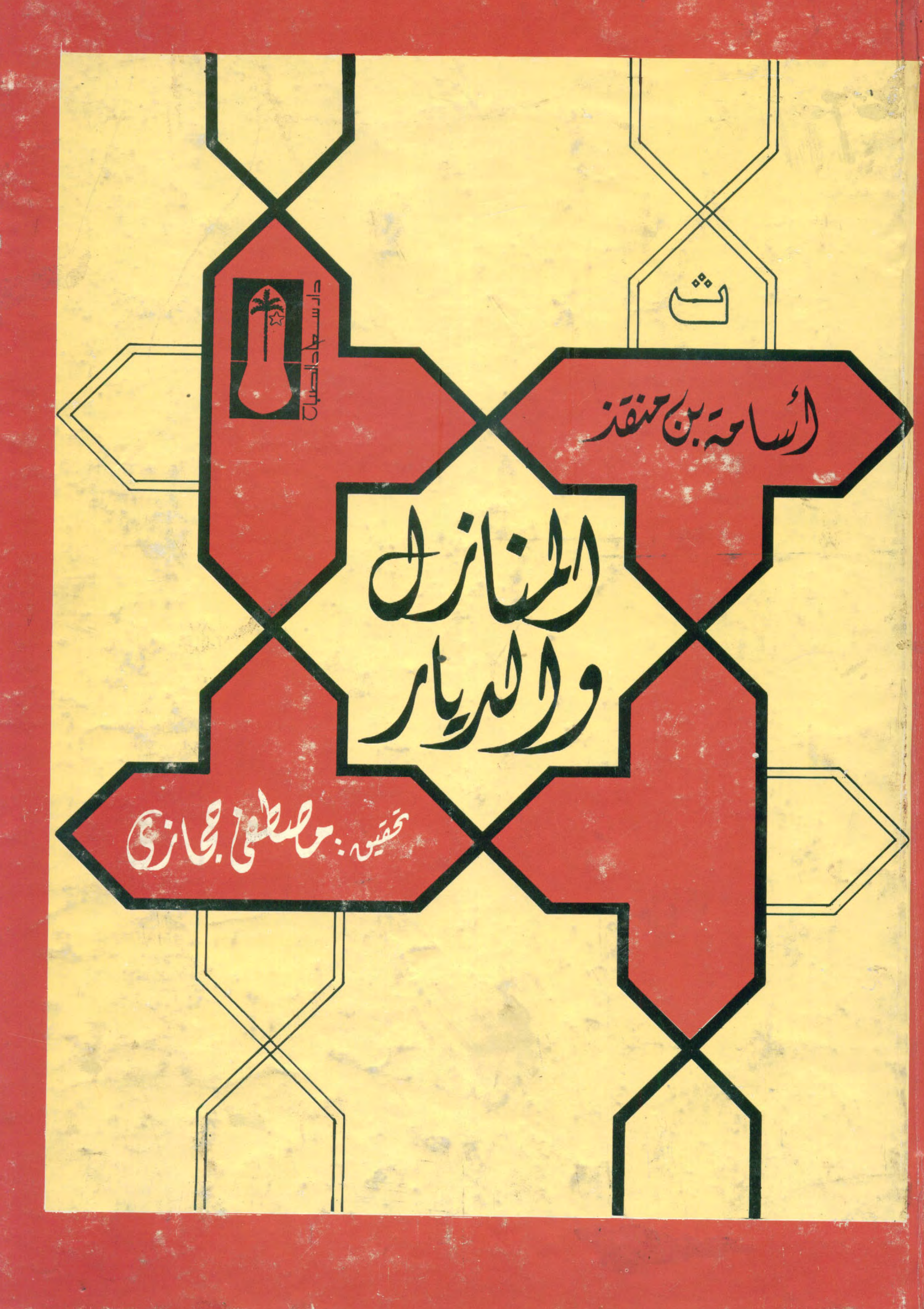

ث
أسامة بن منقذ
المنازل والديار
تحقيق: مصطفى حجازي

■ دار سـعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسـجلة بـدولة الكـويت وجمهـورية مـصر العـربيـة وتهـدف إلى نشـر مـا هـو جـدير بالنشـر مـن روائـع التراث العـربي والثقـافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشبـاب العـربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخـرى حتى تكـون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقـلة مـن كبـار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.

المنازل والديار

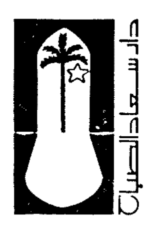
الطبعة الأولى

دار سعاد الصباح

الاشراف الفنى : حلمى التونى

المنازل والديار

المؤلف : أسامة بن منقذ



طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

صدر فى سلسلة التراث :

(١) شرح مشكلات الفتوحات المكية
للشيخ عبدالكريم الجيلى
تحقيق : الدكتور يوسف زيدان
(٢) المنازل والديار للأمير أسامة
ابن منقذ
تحقيق : مصطفى حجازى



المنازل والديار

تأليف

أسامة بن منقذ

٤٨٨ - ٥٨٤ هـ

بتحقيق

الأستاذ مصطفى حجازي

الطبعة الثانية

القاهرة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير

بقلم الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم
رئيس لجنة احياء التراث

زخر تاريخ الاسلام بسِيَر أبطال الحروب وفرسان الميادين ، ممَّن حملوا راية الجهاد ، وفتحوا البلاد ، وقوَّضوا العروش ، ومكَّنوا للملَّة الحنيفيَّة فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ كما حفل هذا التاريخ أيضا بأخبار قادة الفكر ورُوَّاد المعرفة ، وأعيان العلماء والحكماء والشعراء وملوك البيان . وبجانب هؤلاء فريق ممَّن جمع بين السيف والقلم ، وتهيأ له شهود الوقائع وخوض المعامع . والمشاركة فى العلوم والفنون والآداب .

وكان من هذا الفريق « أسامة بن منقذ الكنانى » ، سليل الأسرة العربية الأصيلة التى أقامت مُلكَها فى أطراف حلب فى القرن السادس ، وعاشت تاريخها بين غزو جهاد ، وفروسية ونضال .

ولد فى شيزر ، ونشأ بين الفرسان الأنجاب من بنى منقذ ، وترامت اليه منذ حداثته أخبار الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، وثقف العلوم والآداب ، وحفظ القرآن وتدارسه ، وسمع الحديث ورواه ، ووهبه الله ذهنا صافيا ، وذكاء نادرا ، وعقلا خصيبا فقال الشعر ، وصاغ القريض ، ونفح طبعه بأجمل المقطعات ، وأروع القصيد .

ثم حمل راية الجهاد ، والتقى مع الروم فى كثير من المواقع والأيام ، فكان صليبَ النَّبع ، صادق البأس ، مشيَّع القلب ، جرىء المقدم ، خرج منها كلّها مظفرا منصورا ، كما كان له رحلات بين مصر والشام ، ولقاء مع الملوك والعلماء والأدباء ، وغرام باقتناء الكتب والأسفار ؛ فأفاد من كل ذلك تجربة واختبارا ، وحمل علما وافرا غزيرا .

وبارك الله فى عمره ، وفسَح له فى أجله ، الى أن أرعشه الكبر عن حمل السيف ، وقيَّده الهرم عن الرحلة والسفر ، فأخلد الى الراحة والاطمئنان ، وعاوده الحنين الى الشعر فأودعه نبضات قلبه ، وخلجات فُؤاده ، وخلاصة تجاربه ، والى العلوم والآداب ، فصنَّف الكتب وأودعها مخزون معارفه ، وثمرة قراءته واطلاعه ؛ وكان من هذه المصنفات

« كتاب المنازل والديار » . وهو الكتاب الذى عنيت لجنة احياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بتحقيقه ونشره ، أودعه طائفة مما صدر عن الشعراء فى ذكر معاهد الحداثة وملاعب الصبا ، والبكاء على من سكن الديار من الأهل والأحباب ، والتلدات والأقران ، ألَّفه عزاء لنفسه ، وتأساء لقلبه ،حين عاد الى بلده بعد رحلة بعيدة فوجدها رسوما عافية ، وأطلالا بالية ، ومنازل خاوية ، بعد زلزال مروِّع أليم .

وفيما اختاره أسامة من هذا الشعر ، فوق ما فيه من متعة للقلب ، ونزهة للوجدان والخاطر — أبيات مما يستشهد بها فى اللغةويقوم بها الاحتجاج ، ممَّا لم يرد فى كتاب ، وطائفة من شعره وشعر أسرته مما يجرى فيه ماء الفصاحة ، ويتفجر عن الأنفة والحميَّة والحفاظ ، كل هذا فى لفظ عفٍّ كريم ، وأسلوب علوىٍّ شريف ، أملاه من محفوظه ، وما كان أودعه سرائر نفسه .

وقد ظل هذا الكتاب قابعا فى زوايا النسيان ، بعيدا عن أعين العلماء والمتأدبين ، الى أن عثر عليه فى خزانة «المتحف الأسيوىّ بلينينجراد» . وقام هذا المعهد بنشره بطريق التصوير مع نقص فى بعض صفحاته ، ثم قام المكتب الاسلامى بدمشق فأعاد نشره عن هذه الطبعة ، ومع هذا فقد ظلت هاتان الطبعتان ، على ما بهما ، غير ميسَّرتين لكثير من قراء العربية لنشرهما فى نطاق ضيق محدود .

ثم جاء الأستاذ مصطفى حجازى — مراقب المعجمات واحياء التراث بمجمع اللغة العربية — فقام بتحقيقه على منهج علمىّ دقيق ، يردّ ما نقص منه ووضعه فى موضعه ، ونسب الشعر — ما استطاع — الى قائله ، وشرح غريبه ، ووشّاه بالحواشى الرائعة ، والتحقيقات العلمية النافعة ، وأورد فى صدره دراسة واعية للكتاب ، وسيرة ضافية لأسامة ابن منقذ جلت تاريخه المشرق ، وحياته فى جهاده وحروبه ، كأروع مثل للقائد المسلم العربىّ الشجاع الأصيل .

والأستاذ مصطفى حجازى من الصفوة الكريمة التى تمرَّست بالبحث والتحقيق ، وعُرفت بالاطّلاع ووفرة المحصول . قام بتحقيق كتاب « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ، والجزء الحادى والثلاثين من كتاب « نهاية الأرب » للنويرى ، كما شارك فى تحقيق« تاج العروس شرح القاموس المحيط » فحقق الجزأين الخامس والثانى عشر منه ، وله غيرهذا من الجهود الموفقة المشكورة .

وبعد ، فهذا الكتاب ، بنسبته الى بطل من أبطال الاسلام الكرام ، فى موضوع طريف يأخذ بمجامع اللبّ والفؤاد ، وبهذا التحقيق الموفَّق ان شاء الله جدير بأن يوضع فى المكتبة العربية فى أعز مكان .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فهذا كتاب « المنازل والديار » ألّفه أسامةُ بن مُنْقِذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ.) ؛ وعده ناشرو مؤلفاته الأُخرى بين كتبه [1] ، وأجمعوا على أن نسخته الوحيدة محفوظة بالمتحف الآسيوى بليننجراد ، كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية . وبروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ، وربما كان المصدر الأول لما ذكره هؤلاء عن الكتاب هو المقال الذى نشره المستعرب الروسى كراتشكوفيسكى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٥م [2] ، وهو جدير بأن يوثق بكلامه فى ذلك ؛ لأنه كان أمينا للمخطوطات بالمتحف الآسيوى الذى يضم الكتاب بين مقتنياته . وبقى قراء العربية لا يعرفون شيئا عن الكتاب غير ما ذكره هؤلاء ، حتى أتيح لمعهد الشعوب الآسيوية بموسكو نشره سنة ١٩٦١ بطريقة تصوير المخطوط. كما هو ، مع مقدمة له باللغة الروسية كتبها المستعرب الروسى الأستاذ « أنس خالدوف » ووضع فهارس الأعلام والقوافى والمواضع والكتب التى وردت فى ثناياه ، ونشر الكتاب بهذه الطريقة لا يعنى أكثر من توفير عدد كبير من المصوّرات للمخطوط الأصلى . وتيسير الحصول عليها لمن شاء . ومنذ حصلت على نسخته فى أوائل سنة ١٩٦٢ أحسست أن الكتاب جدير بالعناية ؛ وبإعادة نشره محققا وفق مناهج التحقيق الحديثة التى اتضحت على أيدى رواد أفاضل من أساتذتنا الأجلاّء .

---

(١) انظر ديوان أسامة بن منقذ /٨ ولباب الآداب/٢٦ ومقدمة الاعتبار/ك والحاشية رقم ٢٩ من الصفحة نفسها .

(٢) مجله المجمع العلمى العربى بدمشق (تموز ١٩٢٥) ص ٣٣٥ .

وخشيت فى أول الأمر أن يطول انتظار القراء له إذا انفردت بالعمل وحدى ، فرغبت إلى صديق فاضل هو الأستاذ عبد العليم الطحاوى أن يشركنى فى تحقيقه ، حتى أعجّل ظهور الكتاب ، وليكون هذا العمل تأكيداً للصداقة التى أعتز بها ، ولكنه آثر أن أستقل به وحدى ، وبقى يرقب خطواتى حافزا لى على العمل كلما فترت الهمة ، مثنيا على ما يتم لى من توفيق فى بعض المسائل ، وتركنى أخيرا مدينا له بالشكر على استنجازه إياى هذا الجهد الذى أرجو أن تحمد عقباه .

* * *

والآن : وقد فرغت من تحقيق الكتاب ، وبذلت فيه ما استطعت من جهد ، أرى من الضرورى أن أبسط بين يديه مقدمة أضمنها المسائل الآتية :

١ – كتاب المنازل والديار وأهميته الأدبية .

٢ – منهج المؤلف فيه .

٣ – توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

٤ – وصف نسخة الكتاب .

٥ – منهج التحقيق .

٦ – الترجمة لحياة المؤلف وتشمل النقاط الآتية : (ا) شيزر (ب) نسب أسامة (ج) أسرته (د) مولده ونشأته (هـ) حياته الحربية (و) حياته العلمية (ز) مؤلفاته (ح) ثناء العلماء عليه (ط) أسامة فى شيخوخته (ى) وفاته .

٧ – ترجمة للمقدمة التى كتبها بالروسية المستعرب الأستاذ « أنس خالدون » الذى أشرف على نشرة موسكو المصورة للكتاب .

١ ـ كتاب المنازل والديار وأهميته الأدبية

يقول المؤلف فى المقدمة : « وبعد ... فإني دعاني إلي جمع هذا الكتاب ، ما نال بلادى وأوطانى من الخراب ، فإن الزمان جر عليها ذيله ، وصرف إلي تعفيتها حَوْله وحيْله ، فأصبحت كأن لم تَغْنَ بالأَمْس ، موحِشة العَرَصات بعد الأُنس ... ولقد وقفت عليها بعد ما أصابها من الزلازل ما أصابها ـ وهى أول أرض مس جلدي ترابها ـ فما عرفت دارى ، ولا دور إخوتي ، ولا دور أعمامى وبنى عمى وأسرتى ، فبهت متحيرا مستعيذا بالله من عظيم بلائه ، وانتزاع ما خَوَّله من نعمائه ... وما اقتصرت حوادث الزمان ، على خراب الديار دون هلاك السُّكَّان ، بل كان هلاكهم أجمع ، كارتداد الطرف أو أسرع . فاسترحت إلي جمع هذا الكتاب ، وجعلته بكاءً للديار والأحباب ، وذلك لا يفيد ولا يجدى ، ولكنه مبلغ جهدى ... »

هذه المقتطفات من مقدمة المولف تلخص لنا موضوع الكتاب والباعث له على تأليفه ، وهو هذا الزلزال الهائل الذى نُكِب به الجزء الشمالى من سورية فى سنة ٥٥٢ هـ فدمر فيما دمر قلعة شيزر قاعدة ملك بنى منقذ ، وأميرها ـ يومَذاك ـ ابن عمٍّ لأُسامة بن منقذ هو تاج الدولة محمد ابن سلطان[١] .

وتذكر المراجع التاريخية أن تاج الدولة هذا كان قد أولم فى ذلك اليوم المشئوم وليمة ، دعا إليها جميع أسرته ، ليشهدوا ختان أحد أولاده ، وفى أثنائها وقع الزلزال ، فقضى عليهم جميعا ، ولم ينج منهم إلا زوج تاج الدولة وحدها .

وكان أُسامة حينذاك بعيدا عن « شيزر » فسلم من الموت ، ولكنه لم يسلم من الأسى والحسرة اللذين اعقبتهما هذه الفاجعة التى أودت بأُسرته ، وتركَت فى نفسه أثرا عميقا لا تعكسه لنا هذه المقدمة وحدها ، بل نحسه فى الكتاب كله ، إذ حشد فيه أسامة أحزان من سبقوه من الشعراء

(١) أورد سبط ابن الجوزى فى (مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٢٨ و ٢٢٩) خبر هذا الزلزال فى حوادث سنة ٥٥٢ هـ فذكر أنه « هدم حلب ، وحماة ، وشيزر ، وأفامية ، وكفرطاب ، والمعرة، وحمص ، وأنطاكيه ، وطرابلس ، ودمشق أيضا ، وهلك فيه خلق عظيـــم ، حتى روى أن معلما بحماة كان فى كتاب له ، فقام من الكتاب يقضى حاجته ، ثم عاد وقد وقع المكتب على الصبيان ، فماتوا بأسرهم ، وأعجب من هذا أنه لم يأت أحد يسال عن صبى كان له فى المكتب ، ووقعت أبراج القلاع وغيـــرها ٠٠ وهلك جميـــع من فى شيزر فلم ينج من أهلها الا امرأة واحـــدة وخادم » .

الذين بكوا ديارهم وأطلالها ، ومنازلهم ورسومها ، ومعاهدهم وعرصاتها ، وربوعهم وأثافيها ودمنها ... ، وجعل أشعارهم في كل ذالك مسلاة لنفسه المكلومة ، وقلبه الجريح .

وإننا لنجد صدى هذه المأساة ووقعها فى نفس أسامة فى مواضع كثيرة من شعره ، نذكر من ذلك قوله في أهله من قصيدة[1] طويلة :

وفاجَأَتْهُمْ مِنَ الأَيَّامِ قارِعَةٌ ... سَقتْهُمُ بكُئُوسِ الموتِ ذَيْفانا[2]

أعزِزْ عليَّ بهم من مَعْشَرٍ صُبُرٍ ... «عندَ الحَفيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لانا[3]»

لَمْ يَتْرُكِ الدّهرُ لِى مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمِ ... قَلْباً أُجَشِّمُهُ صَبْراً وسُلْوانَا

فلَوْ رَأَوْنِى لقَالُوا : ماتَ أَسْعَدُنا ... وعاشَ للهَمِّ والأَحْزانِ أَشْقانا

لم يَتْرُكِ الموتُ منهُمْ مِنْ يُخَبِّرُنى ... عَنْهُم ، فُيوضِح ما لاقوهُ تِبْيانا

بادُوا جَميعاً ، وما شادُوا ، فواعَجَباً ... للخَطْبِ ، أَهْلَكَ عُمّاراً ، وعُمْرانَا

هذِى قُصُورُهُمُ أمستْ قُبُورَهم ... كذاكَ كانُوا بها من قَبْلُ سُكّانا

وَيْحَ الزَّلازِل أَفْنَتْ مَعْشَرِى فإذَا ... ذَكَرْتُهُمْ خِلْتُنى فِى القَوْمِ سَكْرانَا

بَنِى أَبِى إنْ تَبِيدُوا ـ أَنْ عدا زمَنٌ ... عَلَيْكُمُ دُونَ هَذَا الخَلقِ عُدْوانا ـ

فلَنْ يَبِيدَ جَوَى قَلْبِى ولا كَمَدِى ... عَلَيْكُمُ أو يُبِيدَ الدّهرُ ثَهلانَا

أفْسَدْتُمُ عُمْرِيَ الباقِى عَلَيَّ فَمَا ... أَنْفَكُّ فيهِ كَئِيبَ القَلْبِ وَلهانَا...

وكأن أسامة لم يكفه هذا الشعر الحزين ، فجمع إليه ما وجده فى هذا المعنى من أشعار الآخرين ، حتى كان له من كل ذلك هذا الكتاب الذى نعده تذكارا لهذا الحادث الأليم ، وأثراً من آثاره في نفس مؤلفه ، وليس هو الأثر الوحيد الذى خلفته هذه الحادثة فى نفس أسامة

---

(١) القصيدة فى ديوان أسامة (٣٠٦ ـ ٣٠٩) ومطلعها :

حَمائِمَ الأَيكِ هَيَّجتُنَّ أَشجَانَا ... فَلْيَبْكِ أَصْدَقُنا بَثّاً وأَشْجانا

(٢) الذيفان ـ بفتح الذال وتكسر : السم القاتل .

(٣) هـذا البيت مضمن ، فشطره الثانى لقريط بن أنيف العنبرى ، والبيت بتمامه كما فى حماسة أبى تمام (١٢/١) :

إذاً لَقامَ بِنَصْرِى مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الحَفِيظَةِ إنْ ذُولُوثَةٍ لانَا

فيما نعتقد ، بل كانت له عنده آثار أخرى ، ففى كتابه «لباب الآداب» يورد جملة من بايغ المراثى[1] يختمها بقوله : «وقد أوردت فى كتابى المترجم بكتاب «التأسّى والتّسلّى» من المراثى والتعازى ما غَنِيتُ به عن الإطالة هاهنا»[2] .

***

وإذا كان المؤلف قد جعل موضوع كتابه وغايته منه التأسى بما قاله الشعراءُ قبله فى بكاء المنازل والديار والوقوف على الدمن والأطلال ، فإن هذا الغرض المحدود لا يصح أن يصرفنا عن النظر فى المزايا الأخرى التى حققها الكتاب ضمنا ، وهذه المزايا يمكننا أن نجملها فيما يلى :

١) جمع المؤلف فى هذا الكتاب نحو خمسة آلاف بيت من جيّد الشعر العربى أكثر أصحابها ممن يحتج بشعرهم على اللغة وقواعدها ، وجمْع أسامة لها فى عصره ، ووصولها إلينا بخطه يعد مصدرا من مصادر الرواية لا يصح أن يُغْفَل .

٢) يعد الكتاب واحدا من كتب المختارات الشعرية الموضوعية ، فهو يمثل حلقة فى سلسلة الكتب التى تشبهه فى هذا النهج مثل الحماسات ، وكتب الأمالى ، والمعانى الكبير ... ونحوها .

٣) أورد أسامة للشعراء الذين اختار لهم – حتى لأصحاب الدواوين منهم – أشعاراً لانجدها فى غيره ، ونسب من بينها ما عزت نسبته فى كثير من الكتب ، وقد نبهنا على ذلك فى مواضعه من الكتاب ، ونذكر هنا أمثلة منها :

فى ص (٧٧–ب) أورد أربعة أبيات لكُثيِّر مطلعها :

أأطلالَ سُعْدَى باللِّوَى تَتَعَهَّدُ «أقامَتْ على الإقواءِ أم تَتَجَدَّدُ»

والقصيدة التى منها هذه الأبيات فى ديوان كثير . وقد أورد جامع الديوان صدر البيت المتقدم – وهو مطلع القصيدة – وذكر أنه لم يعثر له على عجز ، وكذلك ورد ناقصا فى الأغانى .

وفى ص (٣٤–ب) أورد أبياتا من شعر مهيار منها البيت التالى :

.. كانَ دَلالاً فَغَفَرْ ناهُ فتمَّ مَلَلا

---

(١) لباب الاداب (٤٠٥ – ٤١٠)

(٢) لباب الاداب / ٤١٠.

والقصيدة فى ديوان مهيار (١٤٢/٣) لم يرد فيها هذا البيت ، وفى مكانه منها (ص-١٤٤) فراغ أشير إليه فى هامشه بأنه «مطموس فى الأصل لم تتبين منه كلمة» .

وفيه أبيات كثيرة منسوبة إلى الشريف الرضى، وأخرى منسوبة إلى الشريف المرتضى لم ترد فى ديوانيهما المطبوعين ، وكذلك أورد شعرًا للنابغة الجَعْدي لم أجده فيما جمعته «مارينا نلّلينو» من شعره ، وقد زادها ناشر شعر الجعدى أخيرا عن رواية أسامة لها فى كتابه هذا .

٤) أورد أسامة فى هذا الكتاب قدرا كبيرا من شعره لم نجده فى ديوانه المطبوع ، وكذلك روى أشعارا كثيرة لأبيه وجده ، ولأخيه وعمه ، لم ترد فى غير هذا الكتاب ، فلم يذكرها العماد الأصفهانى وهو الذى أفرد للشعراء من بنى منقذ فى خريدة القصر (قسم شعراء الشام) أكثر من مائة صفحة ، وكذلك لم نجدها فى معجم الأدباء لياقوت [1] ،وقد احتفل لترجمة أسامة وذكر شعرًا لبعض أهله ، ولم نعثر عليها فى مظانها الأخرى .

٥) أسامة راوية مكثر[2] وشاعر مطبوع ، له بصر بنقد الشعر[3] ، ومن ثم جاء اختياره لهذه الأشعار اختيارا ممتازا يغلب عليه حس الشاعر المرهف ، والاديب الناقد ، وقد ظهر لنا أثر ذلك عند توثيق النصوص أثناء التحقيق ، فوجدناه يسقط من السياق الأبيات الغثة أو الكثيرة الغريب.

٦) قدم الكتاب مادة غزيرة من الشعر الذي قالته العرب فى المنازل والديار ، والرسوم ، والأطلال ، والدمن والمعاهد ، والمحال و العرصات والمغانى ، والآثار ، وما قيل فى الربع والبيت .. الخ ، فجاء ذا وحدة موضوعية تعين الدارسين على تتبع هذه الظاهرة فى الشعر العربي ، ولا سيما مقدمات القصائد التي حظيت بالنصيب الأوفر من مختارات الكتاب .

---

(١) معجم الأدباء ليـاقوت (٥/ ١٨٨ ـ ٢٤٥)

(٢) نقل الذهبى فى تاريخ الاسلام عن السمعانى قوله : « قال لى أبو المظفر ـ يعنى أسامة ـ : أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية » .

(٣) من كتب أسامة المعروفة كتاب البديع فى نقد الشعر (انظر ص ٤٩) .

٢ ـ منهج المؤلف

قسم المؤلف كتابه ستة عشر فصلا سردها فى آخر المقدمة ، وجرى على إيرادها فى الكتاب مرتبة كما جاءت فى المقدمة ، فالفصل الأول فى ذكر المنازل ، والثانى فى ذكر الديار ، والثالث فى المغانى . وهكذا حتى يصل إلى آخر فصول الكتاب ، وقد جعله «فى بكاء الأهل والإخوان» كأنما أراد بذلك أن يؤكد مرة أخرى غايته من تأليف الكتاب .

وهو يبدأ الفصل غالبا بما يجده مناسبا له من آيات الكتاب العزيز ، يردفه بتفسيرها من المأثور ، وقد يورد بعد ذلك ما يناسبه من الحديث الشريف إن وجد ، ثم يفيض فى مختاراته الشعرية ، وهو يشبه فى هذا منهجه فى كتابه « لباب الآداب » غير أن الغلبة هنا للشعر ، وهذا الأسلوب مألوف فى كثير من المصنفات نذكر منها : «الغُرَر والغُرَر» للوطواط ، و «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهانى ، وهو شبيه أيضا بصنيع ابن عبد ربه فى «العقد الفريد» .

والملاحظ أنه كان يعنيه فى إيراد ما اختاره من أشعار وغيرها تحت الفصول التى عقدها مجرد مجئ اللفظ الذى عنون به الفصل فى شعر أو خبر أو نحوهما مما يراه مناسبا للإيراد ، وكان يفسر أحيانا المعنى اللغوى للفظ الذى جعله عنوانا للفصل ، كما فعل فى «فصل الديار» و «فصل الآثار» ، ولكنه لم يلتزم ذلك فى أكثر الفصول . وقد عنى التحقيق بذكر تفسير هذه الألفاظ فى حواشى الكتاب .

ويبدو أنه كان يحاول أن يجمع كل ماله صلة بعناوين الفصول التى قسم إليها كتابه ، من أشعار وطرائف ، ولكنه وجد ذلك عسيرا ، وهذا ما يشير إليه فى مقدمته بقوله : «وتتبع هذا المعنى صعب ، وحصره لايمكن» فعدل عن ذلك إلى إيراد «ما يبرِّد اللوعة ، ويسكِّن الروعة» .

ولقد حاولنا أن نعرف الأساس الذى أخضع له ترتيب مختاراته الشعرية فى كل فصل - بعد مراعاته لدوائر البحور - وكنا نظنه قد راعى الترتيب الزمنى لأصحابها حين لاحظنا شيئا من ذلك فى بعض المواضع غير أنه لم يطرد ، وربما كان الأقرب لأن يكون أساسا للترتيب عنده - فى تقديرنا - هو مستوى الشعر وأصالته فى المعنى الذى يعرض له ، فما استجاده فى ذلك قدمه ، ثم تلاه بما هو دونه فى الجودة ، وهكذا حتى يفرغ من مختارات الفصل .

أما ما يختاره من أشعاره وأشعار أهل بيته مما يراه مناسبا لموضوع الكتاب ، فكان يؤخره مما يورده للآخرين ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « . . . قلت : لى على من تقدم من الشعراء فضل المزيَّة ، إذ كنت دونهم صاحبَ الرزيَّة ، فكان شعرى أولى أن يُقَدَّمَ على أشعارهم ، وإن قصرت بى البلاغة عن اقْتِفاءِ آثارهم ، لكن للمتقدم السبق ، وهو بالتقدمة أولى وأحق ، وإن كنت أنا وهم كما قال ذَرٌّ لأبيه : يا أبت مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم ؟ فقال : يا بنى ليست النائحة المستأجرة كالثَّكلى[1] » ثم أردف هذه التقدمة بقوله : «وأنا ذاكر شيئا من شعر أخى وشعرى مما يدخل فى هذا الفصل » . وأحيانا يصادفه معنى فى شعر غيره ، ويجد لنفسه ما يشبهه ، فيورده عقيبه لهذه المناسبة .

ويخيل إلىّ أن المؤلف كان يريد أن يفسر فى أثناء الأبيات الألفاظ الصعبة التى ترد فى مختاراته الشعرية ، فعمد إلى شىء من ذلك فى أوائل الكتاب ، ثم بدا له ، فعدل عنه ، ربما لشعوره أن ذلك يفقد القارى لذة تتابع الشعر .

وقد لاحظنا أنه يستطرد أحيانا ، فيورد ما له صلة بالنص المختار ، كما فعل عند إيراده – فى فصل البيت – الآية الكريمة «وإذْ يَرْفَعُ إبراهِيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسْماعِيلُ» إذ دعاه ذلك إلى إيراد خبر «بناءِ البيت الحرام» الذى ساقه فى نحو ثلاثين صفحة من الكتاب ، ويذكر فى فصل الديار الآية الكريمة «هُوَ الذى أخْرَجَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ من دِيارِهِمْ لأوّلِ الحَشْر» فيجره ذلك إلى الاستطراد بذكر إجلاء اليهود عن المدينة ، وخبر مقتل كعب بن الأشرف ، وسبب ذلك

وهو يشعر أحيانا أن هذا الاستطراد بعيد عن موضوع الكتاب فيعتذرُ عنه ، أو يمهد له بذكر موجبه ، كما فعل فى فصل المنازل ، حين أورد الأبيات التى أولها :

ما للمَنازِلِ لا يُجِبْنَ حَزِينا   أصَمَمْنَ أم قَدُم البِلَى فَبَلِينَا

حيث أردفها بقوله : « مرت بى هذه الأبيات فى خبر استطرفته فأوردته ، وليس مما قصدت

---

(١) أنظر ص (١٨ / أ) من الأصل

له ، ولكن الأبيات أوجبت إيراده » ، ثم يسوق الخبر ، وفيه قصة المأمون مع زنادقة البصرة والطفيلى .. وهى مشهورة أوردها الأصفهانى فى الأغانى ، والنويرى فى نهاية الأرب ، والشريشى فى شرح المقامات ، وغيرهم[1] .

ويورد بيتين لأبى الفتيان بن حيوس يقول فى ثانيهما :

تُخْرِجُنى بَلْدَةٌ حتى أميلَ إلى أُخْرَى كَأَنِّىَ عِمْرانُ بنُ حِطَّانَا

ثم يتبعهما بقوله : «ربما وقف على هذين البيتين من يتطلع إلى معنى قول ابن حيوس : « كأنىَ عِمرانٌ بن حطانا » فرأيت أن أذكر شيئا من أخباره ، وإن لم يقتض التأليف ذلك[2] » ثم يورد خبر عِمْرانَ بن حِطّانَ ، وهربه من الحجاج ، واختفائه ، وتنقله فى قبائل العرب على نحو ما نجده فى الأغانى ، والكامل ، وشرح نهج البلاغة ، وخزانة الأدب ، وغيرها .

وهذا الاستطراد أمر مألوف فى مصنفات تلك العصور ، وليس مما يعيب منهج المؤلف ، لأنه هيأنا لذلك بقوله فى المقدمة : « .. فافتتحت كل فصل بما يوافق حالى ، ثم أفضت فيما يوافق ذا القلب الخالى ؛ لكيلا يأتى الكتاب وهو كله عويل ونياحة ؛ ليس فيه لسوى ذى البَثِّ راحة» .

وكم أفاد الأدب من أمثال هذا الاستطراد مادة ومتعة ؛ وليت شعرى أين كنا نجد ما فى الأغانى من حوادث وأخبار ، وسير وأشعار ، وملح ونوادر ، وتراجم وطرائف ، لو أن الأصفهانى أخلى كتابه من كل ذلك ، وقصره على المائة الصوت المختارة للرشيد ؟ إنه لو فعل ذلك لحرم الأدب العربى من موسوعته الكبرى .

---

(١) الأغانى (٢/٥ وما بعدها) ونهاية الأرب (٣/٣٣٨ – ٣٤٢) وشرح المقامات (٩/٢٧٩ – ٢٨٢) .

(٢) انظر ص (١٢٦/ أ) من الأصل .

٣ ـ توثيق نسبة الكتاب الى أسامة

هذا الكتاب افتقده قراءُ العربية ، وربما عدوه فيما ضاع من تراثها ، ولعلهم سمعوا به أول ما سمعوا من المقال الذى كتبه المستعرب الروسى كراتشكوفسكى[١] فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق[٢] ، وقد حكى قصته كاملة فى كتابه «بين المخطوطات العربية[٣]» فذكر أن المستعرب «فرين[٤]» كتب عنه فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، فذكره بين المخطوطات المحفوظة فى المتحف الآسيوى ، وقال : إنه بخط مؤلفه «أسامة بن منقذ» ثم أشار إليه بعد ذلك المستعرب «دورن» خليفة «فرين» وقد لفتت هذه الإشارة نظر كراتشكوفيسكى ، فاهتم بهذا المخطوط اهتماما كبيرا ، وأدهشه أن إشارة فرين إليه قد مضى عليها أكثر من قرن دون أن تثير انتباه أحد من الباحثين ، حتى المهتمين منهم بأُسامة بن منقذ ، ولا سيما المستعرب الفرنسى «ديرانبور» الذى قضى نصف حياته فى دراسة أُسامة وآثاره ، ومع ذلك لم يعرف شيئا عن هذا المخطوط

على أن كراتشكوفيسكى لم يقتنع فى أول الأمر بقول «فرين» : إن الكتاب بخط مؤلفه أسامة بن منقذ ، بل راح يدرس بنفسه هذه القضية ، وكان عليه أن يناقشها من ناحيتين :

الأُولى : نسبة الكتاب إلى أُسامة .

والثانية : إثبات أن نسخته الوحيدة المحفوظة بالمتحف الآسيوى هى بخط أُسامة نفسه .

---

(١) هو اغناطيوس ايليانوفيتش كراتشكوفيسكى (١٨٨٣ ــ ١٩٥١ م) من كبار المستعربين الروس ، قضى أكثر حياته فى الدراسات العربية، وترك فيها من الآثار ما يربو على المائتين بين بحث وترجمة وشرح ونقد وكتاب ومحاضرة وملاحظة،اختير عضوا مراسلا فى المجمع العلمى العربى بدمشق منذ سنة ١٩٢٣ م وهو أول من كتب بالروسية فى آداب اللغة العربية منذ نهضتها فى القرن التاسع عشر .

(مجلة المجمع العلمى العربى ج ٧/١٢٢ــ١٢٦) .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى (تموز ١٩٢٥ ص ٣٣٥) .

(٣) ترجم هذا الكتاب الى العربية باسم « مع المخطوطات العربية » وفيه تحدث كراتشكوفيسكى عن « المنازل والديار » ومؤلفه ، تحت عنوان « معاصر أول حملة صليبية » . ص ١٦٣ ــ ١٧٣ (ط التقدم بموسكو سنة ١٩٦٣)

(٤) هو المستعرب الروسى الكبير (خ.د. فرين ١٧٨٢ ــ ١٨٥١ م)

وقد ظهر له أن المخطوط ناقص من بدايته ونهايته ، فبدايته قد أُعيدت كتابتها فى فترة متأخرة بخط مغاير ، وعلى ورق جديد يخالف ورق الجزء الأساسى من الكتاب ، وكانت نهاية الكتاب غير موجودة ، وقد عزا ضياع هذه الصفحات ـ من أول الكتاب ومن آخره ـ إلى طريقة خزن الكتب فى الشرق ، إذ كانت توضع منسطحة بعضها فوق بعض ، وليست قائمة كما هو المعروف لنا الآن ، وكثيرا ما كان يحدث أن مالك الكتاب ، أو أى تاجر من تجار الكتب القديمة يقوم بتقليد بداية الكتاب ونهايته حتى يعطى له شكلا أكثر قِدَما ، أو ينسبه إلى مؤلف مشهور ، وهذا العمل يحمل دائما على التساؤل عن أصالة المخطوط .

غير أن الشك فى نسبة الكتاب إلى أُسامة يتبدد من نفس الباحث حين يقرأ قول المؤلف فى المقدمة : « ... فإنى دعانى إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادى وأوطانى من الخراب ... ولقد وقفت عليها بعد ما أصابها من الزلازل ما أصابها ... فما عرفت دارى ولا دور والدى وإخوتى ، ولا دور أعمامى وبنى عمى وأسرتى .. » إذ يجد فى هذه العبارة ما يؤكد نسبة الكتاب إلى أُسامة ويكشف عن تاريخ تأليفه فى وقت لاحق لحادثة الزلزال الذى وقع فى سنة ٥٥٢هـ (= أغسطس سنة ١١٥٧م) واجتاح شمالىّ سورية ، ودمّر ثلاثين مدينة من بينها قلعة «شيزر» موطن أُسامة وأسرته بنى منقذ الأمراء ، ومن ثم فإن المقدمة تعكس حدثا واقعيا يؤكد أن مؤلف الكتاب هو أُسامة بن منقذ الذى صدمت نفسه بفاجعة كبرى ، خلفت وراءها آثاراً لا تمحى ، وأبقت لنا كتاب « المنازل والديار » يحمل ذكراها الأليمة .

كذلك استطاع كراتشكوفيسكى ـ بملاحظته التعليقات التى كتبت فى أول الكتاب وفى نهايته ـ أن يثبت أن الكتاب بخط أُسامة ، وأن الصفحة الأخيرة منه كانت موجودة فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى ، كما يذكر أديب دمشقى مشهور عاش فى تلك الفترة ، وكان الكتاب فى حوزته[1] ، وقد جاء فى هذه الصفحة قول أُسامة : إنه « كتبه لنفسه ، وفرغ من

---

(1) يشير الى تعليق ورد فى آخر الكتاب كتبه محمد أنور بن الموقع فى سنة ١٠٨٩ هـ ، وفى صفحة العنوان صيغة تملك بالشراء لمصطفى المدعو بموقع زاده فى سنة ١٠٦٩ هـ ، ويبدو أنه أبو محمد أنور المذكور آنفا ، وهو الذى نقل عن الطالوى قوله ان الكتاب بخط أسامة ، وكان الكتاب فى حوزة الطالوى قبل أن يصير لموقع زاده .

كتابته فى حصن كيفا[1] فى جمادى الأولى من سنة ٥٦٨هـ. (=١١٧٢م) وهذا يعنى أن أسامة كان قد ناهز الثمانين ، ويفسر بذلك أثر الرعشة الملحوظة فى كتابة بعض الحروف نتيجة لتقدم سنه .

ثم يحكى كراتشكوفيسكى رحلة الكتاب من حصن كيفا إلى المتحف الآسيوى بلينينجراد ، فيقدر أن أسامة حين عاد من حصن كيفا إلى دمشق فى أخريات حياته حمل معه مكتبته – كما كان يفعل دائما فى رحلاته – ومن ثم ظهر هذا المخطوط. أول ما ظهر فى دمشق فى نهاية القرن السادس عشر[2] (=١٠٢٦هـ.) ، وتشير حاشية كتبت فى النصف الثانى من القرن السابع عشر (=١٠٨٩هـ.) إلى أن آخر أوراقه قد فقد، وفى القرن الثامن عشر ظهر هذا المخطوط فى حلب[3] ، ونفهم من حاشية أخرى كتبت فى سنة ١٢٢٥هـ. (=١٨١٠م) أن المخطوط وقع فى حوزة مالك جديد هو شاعر حلبى ذو شخصية اجتماعية[4] ، كان صديقا لرسو الفرنسى ، ومن ثمّ وجد الكتاب طريقه بعد ذلك إلى المتحف الآسيوى بين كتب المجموعة الثانية لروسو فى سنة ١٨٢٥م ، وسمع به الناس لأول مرة مما كتبه «فرين» حينذاك ، ثم تأكدت هذه المعلومات فى دائرة المعارف الاسلامية ، وفى كتاب بروكلمان .

---

(١) قال ياقوت : حصن كيفا ، ويقال كيبا ، وأظنها أرمنية ، وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢) يشير بهذا الى حاشية وردت فى الصفحات الأولى تقول : « طالع فى هذا الكتاب المبارك داعيا لمالكه بطول البقاء ، وعلو الارتقاء ، الواثق بالملك الوهاب أحمد بن محمد بن خطاب المالكى عفا الله عنه فى سنة ست وعشرين وألف .

(٣) يشير الى حاشية وردت فى احدى الصفحات الملحقة بأول الكتاب تقول : « طالع فى هذا الكتاب العبد الحقير خادم نوال القرآن والسنة يس بن السيد حسن الشراباتى – عفا الله عنهما – فى سنة ١١٦٦ هـ .

(٤) يشير الى حاشية فى ص ١/١ نصها :

« للمرحوم الشيخ هاشم افندى كلاسى تقريظ للكتاب هو :

هَذِى المنازِلُ شادَها مِنْ دَمْعِهِ ... عِنْدَ الوُقُوفِ على المَنازلِ هامِلُ

فانْظُرْ مَعالِمَها البَدائِعَ مُنْشِداً ... « لَكِ يا مَنازِلُ فى القُلُوب مَنازِلُ »

وقد ضمن بهذين البيتين صدر مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى هو :

لكِ يا مَنازِلُ فى القُلُوبِ مَنازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَواهِلُ

كتبهما وتملكه العبد الفقير لرحمة ربه الغنى القدير نصر الله ولد المرحوم فتح الله بشارة الطرابلسى – جعله مباركا عليه – فى رمضان سنة ١٢٢٥ هـ .

هذه خلاصة ما كتبه كراتشكوفيسكى عن كتاب «المنازل والديار» فى كتابيه «مقالات مختارة[1]» و«بين المخطوطات العربية[2]» ، وكم هو جدير بالشكر على ما أسلف من دقة البحث ، والجد فى تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه أسامة بن منقذ ، وتأكيد أنه بخطه ، ونحن بدورنا نستطيع أن نضيف أداة أخرى إلى ما قدمه كراتشكوفيسكى فى هذا الصدد منها :

١) التشابه الواضح بين منهج أسامة فى هذا الكتاب ومنهجه فى كتابه «لباب الآداب» إذ نراه فى «لباب الآداب» يبدأ الباب بآيات من القرآن الكريم ، تتلوها أحاديث نبوية ، ثم يورد بعد ذلك أقوالا حكمية ونوادر ، ثم يتبعها مختارات شعرية مناسبة للموضوع ، وكذلك جرى منهجه فى أكثر فصول كتاب «المنازل والديار» مع تغليبه المختارات الشعرية فيه .

٢) يذكر أسامة فى مواضع كثيرة من الكتاب أهله ، ويورد شعرًا له ، ولوالده ، وجده ، ولأخيه وعمه ، وقد أمكن توثيق كثير منها بمقابلته بما عثرنا عليه من شعر لهم فى مصادر أخرى.

٣) يشير أسامة فى مواضع من الكتاب إلى أخبار أوردها فى مؤلفاته الأخرى التى عرفت له قبل ظهور هذا الكتاب من ذلك قوله فى ص(٩٤-أ) «وقد أورد تأخباره [يعنى بيهس ابن صهيب] وأشعاره فى صفراء فى كتابى المترجم بكتاب أخبار النساء ..»

٤) ذكر ياقوت فى معجم الأدباء (١٠ / ٩٥ وما بعدها) فى ترجمة ابن أبى حصينة ـ نقلا عن أسامة ـ تمليك ابن مرداس اياه دارا وضيعة حين شكا ابن أبى حصينة إليه كثرة عياله ، وقد أورد أسامة هذا الخبر فى المنازل والديار (١٨٥ب ، ١٨٦أ)

٥) وهناك غير ما قدمنا ما يفيد فى توثيق نسبة الكتاب إلى أسامة ، وهى قرائن لانريد أن نرتقى بها إلى مرتبة الأدلة ، من ذلك أن الأصل المخطوط كتب فى كراسات فى كل منها عشر ورقات ، وفى كل صفحة ثلاثة عشر سطرا ، وعدد أوراق كل كراسة ، وكذلك عدد السطور فى كل صفحة هو العدد الذى التزمه أسامة فى كتابه الآخر «لباب الآداب» حتى ذهب الأستاذ يعترب صروف فى مقدمته إلى أن الصفحات التى زادت سطورها أو نقصت عن هذه العدد

---

(١) «مقالات مختارة» الموضوع رقم ١١ ص ٢٧٤ (ط لينينجراد سنة ١٩٥٥) .

(٢) الترجمة العربية باسم «مع المخطوطات العربية» تحت عنوان «أول حملـــة صليبية» ص ١٦٣ ـ ١٧٣ (ط دار التقدم بموسكو سنة ١٩٦٢)

زائدة على صفحات الكتاب الأصلية[1] ، وكذلك كانت مسطرة الأصل المخطوط لديوان أسامة ابن منقذ كما يشير ناشراه فى مقدمته[2] .

٦) لاحظ (فيليب حتى[3]) على أسامة فى كتابه « الاعتبار » قوله « فاقتطعوهم الروم[4] » هكذا على لغة طيئ وأزد شنوءة المعروفة بلغة « أكلونى البراغيث » وقد لاحظنا مثل ذلك فيما سواه أسامة بأسلوبه فى كتاب « المنازل والديار » ص٣١[5] ب . ص ٢٠٠ ب[6] ، ص ٢١٨ب

٧) فى « لباب الآداب[7] » ـ فى خبر قدوم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات ـ ورد قوله : « ... أيما أحب إليك : عشرة ألف أو هذان الحجران؟ ... فأعطاه عشرة ألف » .

هكذا رسمت كلمة ألف فى الموضعين ، وصححه محققه فيهما (آلاف) وعلق عليه فى هامشه بقوله : « كتب فى الموضعين ألف . وهو خطأ » وقد لاحظ مثل ذلك فى موضع آخر[8] . وقد تكرر ذلك فى « المنازل والديار » ففى صفحة (١٧٧ ـ أ ، ب من الأصل) نجد النص التالى : « ... فبلغ ذلك سعيد بن العاص ، فبعث إليه بثمانية ألف درهم ، وروى المدائنى قال : باع جار لفيروز داره بأربعة ألف درهم ، فجئ بها ، فقال البائع : هذا ثمن دارى ، فأين ثمن جارى ؟ قال : ولجارك ثمن ؟ قال : لا أنقصه والله عن أربعة ألف ، فبلغ ذلك فيروز ، فأرسل إليه بثمانية ألف درهم ... الخ » وفى صفحة (٢٠٩ أ ، ب) فى خبر أورده قال : « ... ولكن لى ابن أخ يتيم فى حجرى ، قد زوجته إياها ، وأصدقتها عنه عشرة ألف درهم » وهكذا يجرى أسامة على طريقة واحدة فى رسم الكلمات فى الكتابين ، فإما أن تكون هذه لغته سار فيها على قاعدته مخالفا ما عرفه الناس فى تمييز العدد من الثلاثة إلى العشرة بجمع مجرور ،

---

(١) يعقوب صروف فى مقدمة «لباب الآداب» لأسامة بن منقذ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ص / ١٠ « (ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٥)

(٢) ديوان أسامة بن منقذ بتحقيق : أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد ص / ٤١

(٣) مقدمة الاعتبار ص / جج (٤) الاعتبار / ٩٢ س ١٨

(٥) الاشارة هنا الى قول أسامة ـ فى خبر المأمون مع زنادقة البصرة ـ « فقال ما اجتمعوا هؤلاء الا لصنيع »

(٦) الاشارة الى قول أسامة فى الموضع الأول « ومناخات الرحال التى يرتفقون بها مارة الطريق » وقوله ـ فى الموضع الثانى ـ « .. فمازلن بها النساء يسهلن عليها الأمر .. »

(٧) لباب الآداب / ٨٥ (٨) لباب الآداب / ٩٠

أو تكون هذه هي قاعدته في الرسم الاملائي . وهذا ما نرجحه . فهو يكتب كلمة آلاف هكذا (ألف) اختصارا في الرسم، وهو قريب من كتابتها في رسم المصحف الشريف، كما نجده في قوله تعالى : « ... أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلٰفٍ من الملٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ . بلَى إنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا ويأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلٰفٍ من المَلٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ[1] »

ويبدو أن هذه كانت القاعدة في رسم كلمة (آلاف) يدل على ذلك قول ابن مَكِّيّ الصقلي في تثقيف اللسان : «وتقول : عندي خمسة آلف تكتبها بغير ألف . فإذا قلت : له عندى آلاف لم يكن بُدٌّ من إثباتها ؛ ليدل على الجمع . إذ ليس قبلها عدد[2] » وبقيت هذه القاعدة بعد زمن أُسامة بأكثر من قرن، فقد رأيتها رسمت بهذه الصورة في غير موضع من مخطوطة الجزء الثالث والثلاثين من كتاب «نهاية الأَرب» للنويري (٧٣٢هـ) وهذا الجزء من نسخة يقال : إنها بخط المؤلف[3]

٨) في آخر فصول المنازل والديار . وهو «فصل في بكاء الأهل والإخوان» لاحظنا التشابه القوى بين ما أورده في هذا الفصل وبين ما اختاره في كتابه «لباب الآداب» تحت عنوان «ومن بليغ المراثى[4] » فالاتفاق بين مختارات أُسامة في الكتابين تام حتى في تتابعها . وفى العبارات التي يقدم بها لهذه المختارات، كذلك اتفقت روايته لها فيهما وإن اختلفت عنها في مصادر أُخرى .

٩) غبارة أُسامة في مقدمة الكتاب تشبه عبارته في مقدمة ديوانه [5] ، وفى خاتمة كتابه لباب الآداب[6] ، ولا سيما في صيغة الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – ففيها يقول : « ... صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين . وعلى أَصحابه البررة المتقين ، وأَزواجه الطاهرات أُمهات المؤمنين صلاة دائمة إلى يوم الدين »

---

(١) سورة آل عمران / ١٢٤ و ١٢٥ (٢) تثقيف اللسان/ ٣١٠

(٣) هـذا الجزء يؤرخ للفتـرة من ٧٢١ ـ ٧٣١ هـ ، وهو آخر أجزاء الكتاب ، والنويرى توفى سنة ٧٣٢ هـ في القول الراجح ، ونسخته المصـورة محفـوظة بدار الكتب تحت رقم/ ٥٥١ معارف عامة .

(٤) لباب الآداب (٤٠٥ ـ ٤١٠) (٥) ديوان أسامة ص : ٤٣

(٦) لباب الاداب / ٤٦٧ و ٤٦٨

١٠) حرص أسامة على أن يضمن المقدمة طريقته فى تصنيف الكتاب فجعله فصولا ، ذكر أسماء كل فصل منها ، وساق الكتاب مرتبا وفق هذه الفصول ، وكذلك فعل فى ديوانه ، فنص فى مقدمته على أنه «جعله مشتملا على ستة أبواب . . ذكرها وجمع الديوان منسوقا عليها[١] وكان هذا صنيعه أيضاً فى مقدمة كتابه البديع فى نقد الشعر ، وفى مقدمة كتابه لباب الآداب حيث يقسمه أبوابا وفصولا ، يلتزم فى كل منها منهجا واضحا فى التأليف .

على أن ما قدمناه من الأدلة والقرائن بالإضافة إلى ما ذكره كراتشكوفيسكى فى هذا الصدد يقوي نسبة الكتاب إلى أسامة ، ولكنه لا يؤكد أنه بخطه ، فقد لاحظت قوة الشبه بين خط الكتاب وخط كتاب «لباب الآداب» وهذا الأخير مثبت فى نهايته أن ناسخه هو «غنايم المعري» كتبه لأسامة فى سنة ٥٧٩هـ ، وقد رجح الدكتور يعقوب صروف أن هذا الناسخ كان يبيض مسودات أسامة ، ثم يقرؤها على المؤلف ، ليصاح ما عسى أن يكون قد أخطأ فيه[٢] ، ومن ثمّ فإما أن يكون الكتاب بخط الناسخ «غنايم المعري» المذكور[٣] أنفا ، أو يكون خط غنايم هذا أشبه الخطوط بخط أسامة بن منقذ ، ومثل هذا الشبه محتمل إذا اتحد الزمن .

---

(١) ديوان أسامة / ٤٤ (٢) لباب الاداب /١٣

(٣) يتحدث أسامة فى كتابه الاعتبار (٢٠٠ و ٢١٩ و ٢٢٠) عمن اسمه «غنايم» فيذكر أنه «كان من غلمان أبيه ، وكان يخرج معهم فى الصيد ، وكان صانعا جيدا فى اصلاح الشواهين والبزاة خبيرا بالجوارح ، ظريف الحديث طيب العشرة» فربما كان مع ذلك جيد الخط فاستعان به أسامة فى نسخ كتبه حين تقدمت به السن ، وعكف على التاليف وترك الصيد .

٤ ـ وصف نسخة الكتاب

يضم هذا الكتاب خمسين ومائتى ورقة متوسطة القطع؛ إذ مساحة صفحتها (٢٠×٥ر١٤سم) وعدد سطور الصفحة ثلاثة عشر سطرًا، متوسط كلمات كل سطر عشر كلمات، ما لم يكن شعرًا، فإن كان شعرًا استقل البيت بسطره. والحبر المكتوب به أسودُ برّاق لم يختلف فى الكتاب من أوله إلى آخره.

وخط الكتاب جميل واضح، وهو مزيج مما نعرفه اليوم بقلمى الثلث والنسخ، مع بعض اللوازم الخطِّيَّة التى نعرض لها بعد، وحجم الحروف فيه سواء، وإن اختلفت برْيَةُ القلم أحيانا دِقَّة وغلظا، وضبط الحروف فى موضع اللَّبْس غالب، ما لم يكن موضع الإعراب من الكلمة محتملا أكثر من وجه، فكثيراً ما يهمل ضبطه فى هذه الحالة، إلا إذا كان أحد الاحتمالات مخِلاًّ بالمعنى، فإنه يقيد الضبطَ بما يحدد المعنى المُراد؛ ورسم الحركات شبيه بالمعروف لنا اليوم ماعدا الكسرة، فإنه يضعها ـ إذا كانت فى وسط الكلمة ـ تحت الحرف مائلة ميلا شديدا من اليسار إلى اليمين عكس ما نعهده الآن، فإذا كانت فى آخر الكلمة رسمها كما نرسمها اليوم.

وحروفه المُعجمَة قليلة النقط، وكلماته نادرة الهمز، إلا أن تكون الهمزة قافية فإنه يثبتها، وهو يرسم قُلامَةَ ظفر فوق الراء غالبا، ليميزها من الزاى المعجمة التى كثيراً ما يهمل نقطها اعتمادًا على أن ترك علامة الراء يعينها. وهو يضع قلامة الظفر هذه فوق السين أيضا، وكأنها عنده علامة مميزة لإهمال الحرف من الإعجام؛ وفى المثال التالى ما يوضح بعض ما تقدم: «قالت الحنسا ىىت عمرو ىں الشرىد» نقط من كلمة «الخنساء» النون وحدها، وترك الهمزة، وأهمل نقط بنت وابن ـ وهو يهملهما دائما فى الكتاب ـ ونقط من كلمة «الشريد» الشين وحدها، ورسم فوق الراء قلامة الظفر. وهو يكتب البيت من الشعر سطرًا متصلا لايفصل بين شطريه، وهذا شىء مألوف فى كتابة الشعر فى مخطوطات ذلك العصر، وظلّ معهودًا أيضا فى عصور تالية، وقد استعمل للفصل بين الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وما يورده أحيانا من أخبار نثرية علامة يرسمها أشبه بحرف الدال المفردة إذا أغلقت فتحتها بما يشبه

التاء المربوطة . وهى أقرب – فى تقديرى – إلى أن تكون ألفا رسمت على قاعدة الخط. الديوانى ، ووصل فى طرفها هاء رسمت كالتاء المربوطة ، فهو الاختصار الذى اصطلح عليه لكلمة «انتهى» والذى نكتبه اليوم هكذا (ا هـ) .

ويمتاز خط. الكتاب بتعليق بعض الحروف المفردة أحيانا ، فإذا وقعت بعد الدال أو الذال أو نحوهما ألف علقت بها . وكذلك تُعلّق الواو بالميم بعدها فى مثل كلمة (يوم) وأحيانا تعلق الواو بالتاء المربوطة قبلها فى مثل (للمشْرَفِيَّة والقَنا) حيث كتبت التاء المربوطة فى (المشرفية) مفتوحة ككتابتها بقلم الثلث وعلقت الواو بها . وهو يعلِّق كلمة (بن) الواقعة بين علمين بما قبلها عادة . وأكثر ما يعلق من الحروف الواو والألف كما يظهران فى البيت التالى :

أَوْفَى بذِمَّتِهِمْ إذا عقَدُوا وأَعَفَّ عندَ العُسْرِ واليُسُرِ [1]

وربما علق الألف بألف قبلها فى مثل : (لنا الهوَى) و (لنا الغداة) حيث وصلت ألف «الهوى» و «الغداة» بألف (نا) من أعلاها .

وهو يترك الكاف غالبا من غير شرطة الرأس إذا كانت (واقفة) أوّلًا أو وسطًا ، اكتفاءً بميل جسمها إلى اليسار ميلا يميزها عن قاعدة اللام فى هذين الوضعين : فإذا رسمت الكاف مبسوطة هكذا (ک) – وقليلا ما يكتبها كذلك – رسم شرطة الرأس فيها ، غير أنها تعد قصيرة شيئًا ما عما نعهده اليوم ، فإذا وقعت طَرَفا فإنه يضع لها شرطة الرأس أحيانا ، وأحيانا يتركها ويرسم فى فراغها ما يشبه الهمزة ، وربما أخلاها من العلامتين إذا أَمِن التباسها باللام ، وقاعدته فى اللام التى تقع طرفا أن يتركها مفتوحة لا يدوّر طرفها سواء اتصلت بما قبلها أم انفردت ، وقريب من ذلك صنيعه بالنون والقاف مع إشالة يسيرة لطرفيهما . أما الباءُ والتاءُ والثاءُ فإنها إذا وقعت طرفا متصلة بما قبلها ترك طرفها الأيسر دون تَدْويرٍ ما ، فإذا أُفردت قوس بدايتها وترك طرفها الأيسر مبسوطا .

وقد لاحظنا اطراد صفة الخط. على هذا النحو فى الكتاب كله ، ما عدا الورقة الأُولى منه ، وثلاثَ أوراق أُخرى أُلْحِقَت بأوله ، ولنا فى هذه المزيدات كلمة نوردها بعد ، وفى صفة هذا

---

(١) وضعنا تحت الحرفين المعلقين خطا يشير الى موضع التعليق فى الأصل .

الخط ما يُمَثِّل مرحلة من مراحل تطور الخط العربي قد تفيد في معرفة ما يتميز به الخط في عصر المؤلف ، والظاهرة التي تَلْفِت النظر هي أن الناس حينذاك قد بدءُوا يخرجون على قيود الخطوط المستقيمة ، ويعكفون على المنحنيات .

أما قاعدته في الرسم الإملائي فإنها لا تكاد تختلف عن قواعدنا اليوم إذا استثنينا مسألتين : أولاهما : الهمزة إذا وقعت في وسط الكلمة أو في آخرها ، ولاسيما تلك التي نرسمها مفردة في هذين الموضعين :

والثانية : ألف المد .

أما الأُولى : فإن كان حقها أن ترسم على ياء أو واو فإنه يتركها اكتفاءً بالياء والواو . كما في هذين المثالين من قول عمر بن أبي ربيعة :

سايلا الرَّبْع بالبُلَيِّ وقُولا هِجْتَ شوقًا لِيَ الغَداةَ طَويلاً[1]

وقوله أيضا :

يا رَفِيقَيَّ قد مَلِلْتُ ثوآي بالمُصلّى وقد شَنِيت البقيعا[2]

ما لم تكن مضمومة وبعدها مد مصور بصورتها ، فإنه يضع الهمزة في هذه الحالة كما في قول جميل بن معمر :

أَلَمْ تَرْبعْ فَتُخْبِرْكَ الطُّلولُ وقد سَأَلت او نَفَع السّؤولُ[3]

وإن كان حقها أن ترسم مفردة رسمها فوق ألف ووضع مدة هكذا (~) على الحرف الذي قبلها ، ويستوي في ذلك أن تقع وسطا . كما في قول حفص الأموي :

فما أبْقَت الأَيامُ من عرصاتِها لمن جآَها غيرَ الرسوم الدَّوارِسِ[4]

أو تقع طرفا ، كما رسمها في قول الشريف المُرْتَضَى :

فلقد عَهِدْتُكَ والزمانُ مسالمٌ فيك المُنى وشفآ دآ المُوجَعِ[5]

---

(1) ص ٨٠ ب
(2) ص ٦٠ ب
(3) ص ٧٥ أ
(4) ص ٦٧ أ
(5) ص ٨٢ أ

وقد اجتمعتا فى كلمة هؤلاء التى يرسمها هكذا (هـاولا) .

فإذا كانت مع تطرفها قافية منصوبة فإنه يرسمها على ألف أخرى ، كما فى قول البحترى :

كيف أغدو من الصبابة خِلْوًا بعد ما أضْحَت الديارُ خَلاءا[1]

أما إذا تطرفت بعد ياء ساكنة مثل (شىء) أو بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها مثل (سُوء) فإنها ترسم على الياء فى الحالة الأولى - وهى كثيرة الورود فى الكتاب - وعلى الواو فى الحالة الثانية ، كما فى قول معن بن أوس المُزَنِىّ :

إذا الحسَبُ الرفيعُ تواكَلَتْهُ بناه السُّؤ أوشك أن يَضِيعا[2]

وأما الثانية ، وهى ألف المد ، فإنه يحذفها من أسماء الإشارة - كما هى القاعدة - إلا هذان وهؤلاء ، فإنه يثبت ألفيهما ، ويكتبهما هكذا (هاذان ، هآولا) وربما كانت كلمة هؤلاء فى رسمه محذوفة الألفين ، وهاتان الألفان المثبتتان مكان همزتيها على قاعدته .

وحذف ألف المد من كلمة (لكن) ومن الأعلام فى ابرهيم ، واسمعيل ، واسحق ، وهرون ، وسليمن . وهو فى هذه يتابع رسمها فى المصحف الشريف ، وحذفها أيضا من : عثمان . وسفيان . ومعاوية وخالد ، والحارث ، فجاءت هكذا : (عثمن ، سفين ، معوية ، خلد ، الحرث) . وإذا وقعت الألف ممدودة فى أول الكلمة أهمل رسم المدة (~) فوقها فى مثل «آيا» و «آى» . وقد اجتمع عنده إهمال رسم المدة فى أول الكلمة ، وحذف ألف المد فى وسطها فى كلمة (الاف) فرسمها هكذا (الف).

وفى الكتاب ما يدل على أن المؤلف أعاد النظر فيه بعد ما أتمّه ، فكتب فى بعض المواضع كلمة (مكرر)[3] أو (كتب سهوا)[4] وأصلح بعض أخطاء بين سطوره أو خارجا عنها[5] ، وأضاف فى هوامش بعض الصفحات ما تيسر له من مختارات مناسبة عثر عليها بعد ما كتبه[6].

كذلك وجدناه فى مواضع كثيرة منه يفسر الكلمة الصعبة بكتابة معناها تحتها مباشرة ،

---

(1) ص ٥٦ آ (2) ص ٦٠ ب

(3) الاشارة هنا الى ما لاحظنا فى ص (١٩ أ/ و ٥٠ ب) من الأصل حيث أورد أبياتا لنفسه ثم شطبها وكتب امامها (مكرر) .

(4) الاشارة هنا الى ما لاحظنا فى ص (١٣٥/ب) حيث أورد فى اثناء (فصل فى ذكر البلاد) ابيـاتا فى الرثاء لابن الحـداد الأندلسى ثم كتب أمامها فى الهامش عبارة (كتب سهوا) .

(5) الاشارة هنا الى مالاحظناه فى الصفحات (٣٥/أ و٣٩/ب و١٤٧/ب و٢٢٧/ أ و ب) وفى غيرها .

(6) الاشارة هنا الى مالاحظناه فى الصفحات (٧/ أ و ٦٥/ب و ٧٥/ أ و ٨٨/ب و ١٠٢/ب و١١٣/ب) وغيرها .

أو يذكر تحت بعض الأماكن التي ترد في ثنايا الشعر أحيانا كلمة (موضع ، أو مواضع) غير أنه لم يلتزم ذلك دائما .

وفي هوامش الكتاب ما يدل على أن كثيرين قد تداولوه بالقراءة والتملك . وقد ورد في نهايته تعليق كتبه محمد أنور بن المُوقِّع (في سنة ١٠٨٩هـ .) نقله عن الطالوى (من أدباء القرن الحادى عشر) الذى يذكر أن الكتاب « بخط مولفه أسامة بن منقذ كتبه لنفسه بمدينة حصن كيفا سنة ثمان وستين وخمسمائة » وأنه « لتقادم الأزمان . ومرور الأيام والأعوام انخرم آخره » .

ونحن نعتقد أن الخرم الذى يشير إليه هذا التعليق ليس كبيرا . وهو فى تقديرنا لايعدو أن يكون تكملة الكراسة الرابعة والعشرين التى بقيت منها ورقة واحدة . فيكون المفقود تسع ورقات ، ربما كان بعضها قد ترك أبيض فى نهاية الكتاب وقاية له . وقد حملنا على هذا الاعتقاد أن أسامة قد استوفى فصول كتابه كلها متتالية وفق الترتيب الذى ذكره فى مقدمة الكتاب : وآخر هذه الفصول هو « فصل فى بكاء الأهل والإخوان » وقد استغرق من مصورة الكتاب ستين صفحة ، وهو بذلك يعدّ من أطول فصول الكتاب إن لم يكن أطولها جميعا . وقدّم له بقوله : « هذا الفصل كان موضعه صدر الكتاب ، إذ كانت المنازل والديار إنما تبكى لسكانها من الأهل والإخوان والاحباب لكننى أخرته لأختم به الكتاب » .

والورقة الأولى من الكتاب قد كتبت فى زمن متأخر عن زمن كتابة الأصل . فهى بخط جميل نرجح نسبته إلى القرن الحادى عشر الهجرى . وأحد وجهيها يحمل عنوان الكتاب واسم مؤلفه فى ثلاثة أسطر بقلم الثلث مع كبر حجم الحروف شيئًا ما . وصورته هكذا .

كتاب المنازل والديار
لمجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد
ابن على بن محمد الكنانى(1)

ويشغل العنوان قرابة نصف الصفحة . وتحته عدة تملكات منسوبة فى تواريخ متعاقبة .

---

(1) نرجح أن يكون الذى كتب العنوان قد تصرف فى اسم المؤلف ، فحمله الإعجاب به على ذكر لقبه « مجد الدولة » ووصفه بالأمير ، واختصر فى سلسلة نسبه ، وقد حملنا على هذا الترجيح صورة صفحة العنوان فى كتابه الاخر (لباب الآداب) الذى أملاه أسامة على ؟اده ـ لكبر سنه ـ فى سنة ٥٧٩ هـ ووهبه لابنه مرهف ، فصيغة العنوان فيه هكذا ـ وهى على ثلاثة اسطر ايضا :

كتاب لباب الآداب
تأليف أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر
ابن منقذ الكنانى . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

والوجه الآخر منها فيه بداية مقدمة المؤلف ، ويبدو أن الأَصل المنقول عنه كان بيد الكاتب أثناء إعادة هذه الورقة ، لاتساق الأُسلوب مع سائر المقدمة ، ولالتزام الكاتب صفة الأَصل فى عدد سطور الصفحة والنسبة العددية لكلمات كل سطر دون ضرورة لهذا الالتزام إلا أن تكون مطابقة الأَصل .

وقد أُلحق بالكتاب من أوله ثلاث ورقات ، الورقة الأُولى منها فى أَحد وجهيها خاتم مطموس ، وعدة تملكات متقاربة التواريخ ، وبضعة تعليقات باللغة الفارسية أكثرها شعر فيه تقريظ الكتاب ، وفى الصفحات الأَربع التالية لها ترجمة لأُسامة بن منقذ لفقها من بعض الكتب - كما يذكر - مالك للكتاب (فى سنة ١٠٠٦هـ) هو الأَديب الدمشقى محمد بن أَحمد بن محمود الطالوى ، وأكثرها ملخص عن ابن خلكان (فى وفيات الأَعيان) وقد أَضاف بعد الترجمة جملة مقطوعات من شعر أُسامة وجدها فى بعض الكتب ، وترك صفحة بيضاء تفصل بين هذا الملحق وأصل الكتاب .

هذه صفة الكتاب كما تعرضه علينا نسخته التى نشرها معهد الشعوب الآسيوية بموسكو سنة ١٩٦١م مصورة عن المخطوطة المحفوظة بالمتحف الآسيوى بلينينجراد . وهى التى اعتمدت عليها فى التحقيق ؛ لأَنها نسخة الكتاب الوحيدة التى لاتعرف له - حتى الآن - نسخة غيرها ، وقد ساغ لى أن أعتمدها أَصلا فى تحقيق الكتاب بعد أَن اختبرتها طويلا . واطمأَنت نفسى إلى سلامتها ، لأُمور ذكرت بعضها فى توثيق نسبة الكتاب إلى أُسامة . وكذلك ما لاحظته فى الهوامش الاستدراكيّة ، والتصويبات فى بعض المواضع ، وقد ذكرت آنفا دلالتها على أن المؤلف قد أَعاد النظر فيه بعد أَن أَتمه . وكذلك القراءات العديدة المدونة فى حواشى بعض الصفحات .

وقد لفت نظرى فى هذا الصدد أَمران أَفدت منهما كثيراً فى الثقة بسلامة النسخة :

أولهما : أَن الكتاب يتأَلف من ثلاث وعشرين كراسة ، وبعض كراسة . تضم كل كراسة منها عشر ورقات ، حرص المؤلف على ضبط ترتيبها ، فكان يكتب فى الزاوية اليسرى من أَعلى الصفحة الأُولى فى كل كراسة ترتيبها العددى بالأَحرف هكذا : « .. ثانية ، ثالثة ، رابعة ... وهكذا إلى رابعة وعشرين » . وقد وجدت قطع الورق ، وصفة الخط ،-

فى جملتها – ونظام الكراسات ، وعدد الأوراق المشتملة عليها كل كراسة ، وكذلك عدد الأسطر فى كل صفحة يتفق تماما مع نظام مخطوطة كتابه « لباب الآداب » التى كتبت فى حياة أسامة سنة ٥٧٩هـ ، كما وصفها الدكتور يعقوب صروف فى المقتطف (ديسمبر ١٩٠٧) ونقلها عنه العلامة المرحوم الشيخ أحمد شاكر فى مقدمة « لباب الآداب » .

ثانيهما : التزام « التعقيبة [1] » فى صفحات الكتاب ، وهى – وإن كانت قد كتبت بخط مغاير يشهد بحداثتها – تدل على أن كاتبها قد ضبط بها توالى صفحات كل كراسة من كراسات الكتاب بعد أن ضمن له كاتب الأصل ترتيب هذه الكراسات ، كما أشرنا من قبل .

وقد أفدْت من هذه الملاحظة فى اكتشاف خرم وقع فى موضع من مصورة الكتاب التى نشرها معهد الشعوب الآسيوية بموسكو ، ففى نهاية الصفحة الأخيرة من الكراسة السابعة عشرة كانت التعقيبة هى «فصل فى ذكر البيت » وفى أول الصفحة التالية لم أجد التعقيبة السابقة ؛ ووجدت العنوان هو « فصل فى ذكر المساكن ... الخ » وفى الموضع الذى يكتب فيه الترتيب العددى للكراسة كتب « حادية عشرة » وهى صفحة تقدمت قبل ذلك فى ترتيبها الصحيح ، ولم تتصل هنا بما بعدها فى السياق ، والموضع هنا للكراسة «الثامنة عشرة » كما يقتضى الترتيب ، وحق العنوان الذى يثبت فى أول الصفحة هو «فصل فى ذكر البيت » كما تشير التعقيبة ، وكما يوجبه نسق فصول الكتاب كما سردها أسامة فى المقدمة ، فقطعت بوقوع خرم فى هذا الموضع ، ورأيت أن الأمانة العلمية تقتضينى الرجوع إلى المشرف على نشر الكتاب فى معهد الشعوب الاسيوية بموسكو ، الأستاذ « أنس خالدوف » المستعرب الروسى ، فكتبت إليه بهذه الملاحظة ، مقدراً أن يكون قد وقع خطأ فى تصوير الأصل ، فكرر تصوير الصفحة الأولى من الكراسة الحادية

---

(١) التعقيبة فى اصطلاح الناسخين القدماء هى هذه الكلمة التى تكتب فى أسفل الصفحة وتعاد فى أول الصفحة التاليه ، لتدل على اتصال الكلام ، وعلى أنه لم يسقط منه شىء بين الصفحتين ، وقد بقيت مستعملة زمنا فى المطبوعات القديمة ، ولا سيما المطبوعات الأزهرية التى كانت تضم صفحاتها أكثر من كتاب ، حيث نجد فى الصفحة عدة تعقيبات : تعقيبة للمتن ، وأخرى للشرح ، وثالثة للحاشية المحيطة بهما .

عشرة . ورقمها فى الكتاب هو (١٠٩ـ أ) وأثبتت خطأ فى مكان صفحة لم تصور هى الصفحة الأولى من الكراسة الثامنة عشرة ، ورقمها فى الكتاب هو (١٩٠ـأ) ورجوته مقابلة النسخة المصورة بالأصل المخطوط. المحفوظ. لديه فى هذين الموضعين ، وسألته - إن صح ما قدرته من وقوع هذا الخطأ - أن يصور الصفحة التى أغفل تصويرها ، ويرسل إلىّ بها ، ليتسنى لى وضعها فى مكانها الصحيح من الكتاب . ولم ألبث أن تلقيت منه صورة للصفحة التى سقطت أثناء تصوير الكتاب ، ومعها ردّه على رسالتى ، وفيه يؤكد صحة ما قدرته ، ويأسف لوقوع هذا الخطأ بقوله « .. أما قصة الصفحتين (١٠٩ـأ ، و ١٩٠ـأ) وقد وجدتم يا سيدى فيهما غلطا من أغلاط النشر حيث كررت الصفحة (١٠٩ـأ) مرتين ، وأرسل أنا الآن صورة فوتوغرافية عن الصفحة (١٩٠ـأ) وأبقى معتذرا مخجولا (؟)، وشاكرا ... » .

٥ ــ منهج التحقيق

حين قمت بعملي في تحقيق هذا الكتاب جعلت همي ــ بعد سلامة النص ، والعناية بالضبط ، ووضع علامات الترقيم ــ توثيق النصوص الواردة في الكتاب ، بالرجوع إليها في مظانّها على حسب طبيعة النص ، فحينما يكون تفسير آية كريمة فإننا نطلبه في مصادره من كتب التفسير ، ولا سيما تلك التي تعتمد على المأثور ، حيث لا حظنا ذلك فيما ساقه من هذا القبيل ، وإذا كان حديثا شريفا رجعنا إليه في مصادره من الكتب الصحيحة ، وقد وجدت « حديثا » منها لم يذكره غير العَلْقَمِيّ في مسنده الذي ما زال مخطوطا ، وشذت بعض أحاديث لم استطع تخريجها ، وقد سبقني إلى ملاحظة ذلك المرحوم العلامة الشيخ أحمد شاكر حين وجد للمؤلف في كتابه الآخر (لباب الآداب) نظائر لهذه الأحاديث ، «ونصح القارى الا يحتج بها ؛ إذ الحديث عن رسول الله شديد والاحتياط فيه واجب... والمولف لم يكن من العلماء بالسنة[1] . » وحين يكون النص خبراً اقتضته مناسبة فإننا كنا نرجع إليه في كتب الأدب الجامعة من أمثال الأغاني والامالي ، والكامل ، وأشباهها مما يظن وجوده فيها .

أمّا إذا كان النص شعرا منسوبا لقائله رجعنا إليه في ديوانه ، ولا سيما إذا كان مطبوعا ، وإن لم يكن منسوبا ، أو كان لا يعرف لصاحبه ديوان ، التمسناه في مظانّه من كتب الأدب كالأغاني ، والأمالي ، ودواوين الحماسة ، والشعر والشعراء ، والمعاني الكبير ، ويتيمة الدهر ، وتتمتها ، ومعجم الأدباء ، وخريدة القصر بأقسامها ، وكتب الطبقات ونحوها ، وكنا نعنى بالإشارة إلى ما قد يكون من اختلاف بين رواية المصنف لهذه النصوص الشعرية والنثرية ، وروايتها في مصادرها الأخرى ؛ لتتم بذلك الفائدة .

ولقد أشرنا في منهج المؤلف إلى أنه حاول أن يفسر بعض الألفاظ الصعبة في ثنايا مختاراته

---

(١) اذا كنت أوافق المرحوم الشيخ شاكر في عدم الاحتجاج ببعض أحاديث أسامة في هذا الكتاب من باب الاحتياط فانني لا أوافقه فيما وصفه به من عدم العلم بالسنة ، فقد ترجم له ابن الصابوني (في تكملة اكمال الاكمال /٢٩٢ ط المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧ بتحقيق مصطفى جواد) بين المحدثين ، وقال مالفظه « .. سمع من أبي الحسن على بن سالم السنبسي وغيره ، وحدث ، وسمع منه الحافظ أبوالقاسم على بن الحسن بن عساكر ، وأبوسعيد عبدالكريم ابن محمد السمعاني وأبو المواهب الحسن بن هبه الله بن صصرى الربعي ، وعبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي .. وغيرهم ، وروى لنا عنه جماعة من شيوخنا » ومن كان هذا شأنه فاننا نظلمه اذا وصفناه بعدم العلم بالسنة .

الشعرية ، ودرج على ذلك فى بعض المواضع من أوائل الكتاب ، ثم عدل عنه ، ولكن عدوله ذلك لم يصرفنا عن الوفاء له بهذه الفائدة فى حواشى الكتاب ، وقد راوحنا فى ذلك بين أسلوبين :

الأول : الاكتفاء بتفسير الألفاظ الصعبة حين يكفى هذا التفسير لفهم المعنى المراد ، وفى هذه الحالة كنا نستغنى بضبط اللفظ الوارد فى الشعر عن إعادة ضبطه أثناء التفسير ، خوفا من الإطالة ، لا سيما وأن الحرف المختار للهوامش لا يقبل الضبط ، ولا سبيل إلى ضبطه والحالة هذه إلا بالعبارة ، وبها يطول القول ، وقد يكون للفظ المفسر بضبطه الوارد أكثر من معنى ، فنعمد إلى ما يتقبله السياق من بينها بمعونة القرائن ، ونغفل ما عداه ، والمثال التالي يوضح ذلك :

أَلاَ أَيُّها الرَّسْمُ المُحِيلُ أَلَمْ يَكُنْ   بك الأَنَسُ الراضُون والخَيْلُ رُوَّدَا ؟

فاللفظ الأَنَس ورد مضبوطا بفتح الهمزة والنون ، وهو بهذا الضبط يرد لمعان منها : سكان الدار ، والحى المقيمون ، والإِنس خلاف الجنّ ، والأُنْس بمعنى الطمأنينة ؛ والمعنى الذى يقبله البيت هو الأول والثانى ، ومن ثم عمدنا إليهما مغفلين المعانى الأُخرى .

الثانى : شرح ما يصعب فهمه من الأبيات شرحا موجزا ، معتمدين فى ذلك على شروح القدامى لبعض الدواوين ، أو فى كتب الأدب الجامعة .

كذلك عنينا بتحديد المواضع والبلدان الواردة فى ثنايا النصوص ، فرجعنا فيها إلى ياقوت والبكرى فى معجميهما ، وأحيانا كنا نعتمد على « مراصد الاطلاع » لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى و « الجبال والأمكنة والمياه » للزمخشرى ، وراعينا الإيجاز فى ذلك ما أمكن .

وكثيرا ما ورد ذكر أسماء مواضع لم تستطع كتب البلدان أن تعطينا تحديدا مقبولا لها ، وإنما نجدها تكتفى بالقول فيها : إنها موضع ورد فى شعر فلان ، ووروده فى شعر فلان قد يكون مفيدا فى أنه موضع ، وهو فى ذلك كوروده فى النص الذى نريد شرحه ، لا أكثر من ذلك ولا أقل ، ومن ثم لم نجد كبير غناء فى ترديد مثل قولهم : « أطائف : موضع فى قول المُرَقِّش :

بُودِّك ما قَوْمِى إذا ما هَجَوْتُهم   إذا هَبَّ فى المَشْتاةِ ريحُ أُطائِفِ »

وأخيرا ، فقد جعلنا من تتمة عملنا - بالإضافة إلى هذه المقدمة - وضع فهارس للكتاب تشتمل على القوافى وبحورها ، والأعلام الواردة فيه ، وكذلك البلدان والمواضع ، وما إليها مما يحرص عليه المنهج الحديث فى التحقيق .

٦ ـ ترجمة المؤلف *

الحديث عن حياة أسامة يفضي بنا إلى الحديث عن أسرته . ويقتضينا من جهة أخرى أن نتحدث عن شيزر مسقط رأس أسامة ، وقاعدة أمارة بني منقذ التي شهدت ملكهم زهاء ثمانين عاما ، وأرى أن أقدم الحديث عن شيزر ، ثم أورد بعده نسب أسامة وأخبار أسرته ، ثم يتلو ذلك الكلام عن أسامة : حياته ومنزلته وآثاره .

* هذه الترجمة استقينا مادتها من مصادر عدة أهمها :

١ ـ كتاب الاعتبار للمؤلف ، ومقـــدمة ناشره فيليب حتى (ط جامعة برنستون سنة ١٩٣٠ م)

٢ ـ معجم الأدباء لياقوت ١٨٨/٥ ـ ٢٤٥ (ط دار المأمون) .

٣ ـ وفيات الأعيان ١٧٥/١ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٤ ـ تاريخ ابن عســـاكر ٢/ ٤٠٠ (ط روضة الشام) .

٥ ـ أعلام النبلاء ٢٧٦/٤ .

٦ ـ البداية والنهـــاية ٢٣١/١٢ (ط السعادة بمصر سنة ١٩٣٢) .

٧ ـ شذرات الذهب ٢٧٩/٤ « ط المقـدسى) .

٨ ـ النجوم الزاهرة ٢٨٨/٥ و ٢٩٣ ، و ٦٠/٦ و ١٠٧ (ط دار الكتب) .

٩ ـ مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٤١ (ط حيدر آباد سنة ١٩٥١) .

١٠ ـ الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى / ٣٨٤ (ط الترقى بدمشـــق بتحقيق جعفـــر الحسنى) .

١١ ـ تكملة اكمال الاكمال لابن الصابونى (ط المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٧ بتحقيق مصطفى جواد » وفى هامش ص ٢٩٢ منه ذكـر محققه أن لأســامة ترجمة فى أعيان الشيعة ج ٥/١٠

١٢ ـ خريدة القصر قســم شعراء الشام (ط المجمع العلمى بدمشـــق بتحقيق شكرى فيصل ج ٤٩٨/١ ـ ٥٤٧) .

١٣ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمه فى التاريخ الاسلامى لزامباور ترجمـــة زكى حسن وآخرين ص ١٦٥ (ط جامعة القاهرة سنه ١٩٥١) .

١٤ ـ معجم المطبوعات العربية لسركيس / ٢٥٦ .

١٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية (ج ٧٩/٢)

١٦ ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبرى نشر أنطون صالحانى .

ومن المباحث الحديثة .

- مجلـــة المجمع العلمى العربى بدمشق ٢٣٠/١٠ و ٣٠٥ .
- مقدمة لباب الآداب بقلم المرحوم الشيخ أحمد شاكر (ط الرحمانية ١٩٣٥ م)
- مقدمة ديوان أسامة بن منقـذ بقلـــم المرحوم أحمد أحمـــد بدوى (ط الأميـــرية ١٩٥٣ م) .
- الحروب الصـــليبية وأثرها فى الأدب العربى /٢٠٢ ـ ٢٠٧ (ط دار الكتاب العربى ١٩٤٩ م) .

١ – شيزر :

تقع شيزر على مسافة خمسة عشر ميلا إلى الشمال من حماة فى مرتفع صخرى ، ويذكر المؤرخون أنها من مدن الشام القديمة ، ورد ذكرها بالهيروغليفية فى عهد تحتمس باسم «سنزار» ثم وردت فى نقوش « تل العمارنة » التى ترجع إلى عهد أمنحتب الثانى باسم «زنزارا» وسماها الأغريق «سدزارا» وعرفت عند البيزنطيين (الروم) باسم «سيزر» ، وفى القرن الرابع قبل الميلاد أسكنها سلوكوس الأول مهاجرين من «لارسا» فى «تساليا» وسماها «لارسا» من أجل ذلك ، غير أن اسمها السامى الأصل لم يلبث أن تغلب ؛ فظهر بصيغة «شيزر» التى عرف بها فى النصوص العربية ، وبهذه الصيغة وردت فى قول امرىء القيس :

تَقَطَّعُ أسبابُ اللُّبانَةِ والهوى ... عشيةَ رُحْنَا من حماةَ وشَيْزَرا

وفى قول عبيد الله بن قيس الرُّقَيّات :

فَوَا حَزَنَا إذْ فارَقُونَا وجاوَرُوا ... سِوى قَوْمِهِمْ أعْلَى حَماةَ وشَيْزَرا

وفى سنة ١٧هـ. (= ٦٣٨م) فتح المسلمون شيزر فيما فتحوا من مدن الشام عقب فتحهم حمص وحماة بقيادة أبى عبيدة بن الجراح .

وقد سمّاها مؤرخو العرب حينا (عرف الديك) لما رأوها هضبة منتصبة على ضفة العاصى الغربية ، ولا تزال بقايا حصنها قائمة إلى اليوم معروفة باسم «سيجر» .

وكان مؤرخو الفرنج للحروب الصليبية يسمونها قيصرية «Caesarea» وربما قالوا قيصرية العاصى ؛ ليميزوها من قيصرية الروم .

ومنذ القدم حظيت شيزر بأهمية خاصة بسبب موقعها الجغرافى والعسكرى ؛ لأنها تقع على أحد طريقين يسلكهما عادة غزاة البلاد السورية . فهى على الطريق التى سلكها نبوخذ نصر (بختنصّر) البابلى ، ورمسيس وتحتمس وغيرهم . وهى الطريق التى آثرها أكثر الصليبيين فى غاراتهم على البلاد العربية ، ولا بد لمن يسلكها أن يجتاز أفامِيَةَ ، التى عرفت بقلعة المضيق ، ليصل بعدها إلى أختها «شَيْزَر» المسيطرة على وادى العاصى ، فهى إذن مفتاح سورية الداخلية ، وهذا ما جعلها مَطْمَح أبصار البيزنطيين دائما ، فغلبوا عليها مرارا ، واستخلصها العرب من أيديهم مرارا حتى اغتصبها الامبراطور باسيل الثانى سنة ٣٩٠هـ. (= ٩٩٩م) فبقيت فى حوزة

الروم إلى سنة ٤٧٤هـ (=١٠٨١م) حيث استطاع في هذه السنة سديد الملك أبو الحسن على ابن مُقَلَّد بن نَصْر ـ جد أُسامة ـ أن يستخلصها من الروم في عهد كومنينوس، وجعلها سديد الملك منذ ذلك الحين قاعدةً لإمارة شيزر، وبذا عد مؤسس دولة بني منقذ التي قامت في الفترة بين سنتي ٤٧٤هـ (=١٠٨١م) و٥٥٢هـ (=١١٥٧م) حين هدمها الزلزال المشهور، وقتل تحت أنقاضها أكثر بني منقذ، وتفرق بعده من بقي منهم بددا، ثم جاء بعد ذلك في بقية سنة الزلزال السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فأخذها وعمرها.

ويذكر الأُستاذ طاهر النعساني ماضي شيزر وحاضرها فيقول:

«كانت على عهد بني منقذ عامرة بقُطّانها ومحصولاتها الزراعية، وفواكهها الطيبة، يخرج منها خمسة آلاف مقاتل، وهي اليوم (سنة ١٩٢٩) لا يكاد يوجد بها خمسون مزارعا، موبوءة مستوبلة، أمراضها فتّاكة، يضرب المثل بهوائها الفاسد، فيقال: «أوخم من شَيْزر» ويقال: «تفعل كذا، وتنال كذا وتقول شيزر وَخِمة[1] ؟!».

ب ـ نسب أسامة:

هو أبو المظفر أُسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الكلبي الشيزري، الملقب مؤيد الدولة مجد الدين[2].

هكذا ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان، وفي معجم الأُدباء زاد ياقوت في سلسلة نسبه، فارتفع بها إلى يعرب بن قحطان، وعقب عليها بقوله: «هكذا ذكر هو نسبه، وفيه اختلاف يسير عند ابن الكلبي».

جـ ـ أسرته:

لا نكاد نعرف شيئا عن أَجداد أُسامة قبل مخلص الدولة مُقَلَّد بن نصر بن منقذ الذي يذكر ابنُ خَلِّكان في ترجمته أنه «كان رجلا نبيل القدر، سائرا الذكر، رزق

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج ١٠/٢٣٠).

(٢) أبو المظفر أشهر كنى أسامة، وذكر ياقوت كنية أخرى له هي «أبوأسامة» وذكر النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس أن كنيته أبو المظفر وأبو الحارث، ووجد الشيخ أحمد شاكر في عنوان كتاب أسامة «البديع في نقد الشعر» كنية أخرى هي أبو الفوارس، ومن ألقابه مجد الدولة، ولقبه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٨ ق ٢٤١/١) بمؤيد الدين، ويشير فيليب حتى الى لقب آخر وجده في تاريخ بيروت / ٣٥ و ٣٦ هو «عز الدين».

السعادة في بنيه وحفدته ، وكان ينزل فى جماعة كبيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر ، عند جسر بنى مُنْقِذ المنسوب إليهم ، وكانوا يترددون إلى حماة وحلب وتلك النواحى ، ولهم بها الدور النفيسة ، والأملاك المُثَمَّنة ، وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر ، وكان ملوك الشام يكرمونهم ، ويُجِلُّون أقدارهم ، وشعراءُ عصرهم يقصدونهم ، ويمدحونهم ، وكان فيهم جماعة أعيان رؤساءُ أجلاء[1] » وذكر أن وفاته كانت سنة ٤٥٠هـ. (=١٠٥٨م) وأورد مرثيَّة استجادها رثاهُ بها ابن أبى حصينة ، وكان ابنُ سنان الخفاجيّ من الشعراءِ الذين مدحوه ، كما رثاه ورثى أخاه أبا الغيث منقذ بن نصر المتوفى سنة ٤٣٩ هـ. (=١٠٤٧م) .

وكان مقلَّد هذا طموحًا فاستطاع أن يضم «كفر طاب» إلى الإقطاع الصغير الذى أقطعه صالح بن مرداس الكَلابى صاحب حلب[2] الأُمراءَ المنقذيين قرب شيزر ، ولم يلبث أن بسط سلطته على وادى العاصى ، وبنى حصن الجِسر قُبالةَ شَيْزر ؛ ليقطع عنها مدد الروم .

ولما خلفه ولده سديد الملك أبو الحسن على كانت قلعة شيزر بيد الروم ، فحدثته نفسه بأخذها ، فنازلها ، واستخلصها بالأمان بمال بذله للأسقف الذى كان بها[3] ، وذلك فى رجب سنة ٤٧٤هـ. (=١٠٨١م) وجعلها قاعدة الإمارة التى أصبحت تضمّ شَيْزَرَ ، وأفامِيةَ وكَفْرَ طاب ، واللَّاذقية ، وأصبح بذلك مؤسس دولة بنى منقذ بشيزر .

وقد أثنى عليه ابنُ خَلِّكان ، فذكر أنه كان مقصودا ، وخرج من بيته جماعة نجباءُ أُمراءُ ، وكان موصوفا بقوة الفطنة ، ومدحه جماعة من الشعراءِ ، كابن الخَيَّاط ، وابن سِنان الخفاجى وغيرهما[4] .

وممن مدحه غير هذين من فحول الشعراءِ ابن حَيُّوس ، وقد أورد ياقوت مطلع قصيدة له مدحه بها ، وكان سديد الملك نفسه شاعرًا ، ذكر ابن خلكان من شعره بيتين استجادهما ، وأورد أُسامة فى هذا الكتاب طرفا من شعره .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٣٧٥ - ٣٦١ .

(٢) صالح بن مرداس الكلابى ملك حلب فى (١٣ من ذى الحجة سنه ٤١٧ هـ وقتل فى جمادى الأولى من سنة ٤١٩ ، أو ٤٢٠ هـ على ما يذكر ابن خلكان (الوفيات ٢/ ١٨٠) .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ١/٥٠٤ (ط باريس) وابن خلكان (وفيات الأعيان ٣/٨٦) .
وفى مقدمة الاعتبار يذكر فيلب حتى أن شيزر كانت بيد الروم منذ غلب عليها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٣٩٠ هـ (= ٩٩٩م) وبقيت فى حوزتهم الى عهد الامبراطور اليكسيس كومنينوس سنة ٤٧٤ هـ (= ١٠٨١ م) حين اخذها سديد الملك .

(٤) وفيات الأعيان (٣/٨٦) ومعجم الأدباء (٥/٢٢١) .

ولما توفي سديد الملك سنة ٤٧٥هـ (= ١٠٨١م) خلفه ابنه عزُّ الدولة أبو المرهف نصر بن على بن منقذ ، وهو عمُّ أسامة وكان شاعرًا ، ذكر ياقوت شيئا من شعره ، وأورد له أسامة فى هذا الكتاب بعض مختارات ، وكان مع كرمه [٢] معروفا بالورع والميل إلى السلام ، وحين أدركته الوفاة بلا عقب سنة ٤٩٢هـ (= ١٠٩٨ م) كان قد عهد بالإمارة من بعده إلى أخيه الأمير أبي سلامة مُرْشِد بن على بن مُنْقِذ – والد أسامة – وعمره حينذاك ثلاثون عاما .

ويبدو أن مُرشِدًا كان قد رسم حياته على نحو ارتضاه لم يشأْ أن يغيره بتبعات الرئاسة وأعباء الملك ، وقد أعطى أسامة صورة لحياة والده فى الفصل الذى ختم به كتابه الاعتبار – والذى جعله فى أخبار الصيد – وفيه يتحدث عن والده فيقول :

« كان رحمه الله مشغوفا بالصيد ، لهجا به ، وبجمع الجوارح ، لا يستكثر ما يغرمه عليه لفرجته ، فإنه كان نزهته ، فليس له شغل سوى الحرب ، وجهاد الإفرنج ، ونَسْخِ كتاب الله عز وجل عند فراغه من أشغال أصحابه ، وهو رحمه الله صائم الدهر ، ومواظب على تلاوة القرآن ، فكان الصيد له كما جاءَ فى الخبر «رَوِّحُوا القلوب تَعِى الذِّكْرَ» وما رأيت قط مثل صيده وترتيبه [٣] ؛ » ويقول فى موضع آخر : «وذلك أن والدى – رحمه الله – كان قد فرغ زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد فى نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى ، فكان قد نسخ ستا وأربعين ختمة بخطه ، منها ختمتان بالذهب [٤] » .

ويذكر السَّمْعَانىّ فى تاريخه أنه رأى مصحفا بخط والد أسامة ، كتبه بماءِ الذهب على الطاق الصوري [٥] – يقول – : « ما رأيت ولا أظن أن الرائين رأوا مثله ، فقد جمع إلى فضائله حسن خطه ، وتقدم بحسن تدبيره على رهطه [٦] » .

فلا عجب – وهذا شأْنه – إذا رأيناه يرفض ولاية الإمارة ، ويوليها أخاه الأصغر « سلطان » وهو يقول : «والله لا وليتُها ، ولأَخْرُجَنّ من الدنيا كما دخلتها [٧] » كان ذلك زهدا منه فيها

---

(١) معجم الأدباء ٥/٢٣٨ و ٢٣٩ . (٢) انظر معجم الأدباء ٥/٢٤١ و ٢٤٢ .

(٣) الاعتبار / ١٩١ و ١٩٢ . (٤) الاعتبار/١٩٩ .

(٥) الطاق الصورى : نوع من الثياب منسوب الى مدينة صور .

(٦) نقل ياقوت عن السمعانى هذه العبارة فى معجم الأدباء ٥/٢٢٦ و ٢٢٧ فى تعريفه بوالد أسامة .

(٧) كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ١/١١١ (ط مصر سنة ١٢٨٨ هـ) .

لا عجزا عن النهوض بمهامها ، فقد كان شاعرا موصوفا بالشجاعة والكرم ، مقصدا للشعراء ، وقد بقي طوال حياته إلى جانب أخيه أبي العساكر سلطان بن علي - الذى أصبح أميراً لشيزر - يعينه على النهوض بأعباء الإمارة التي تعرضت في عهده لغارات متتابعة من بني كلاب في حلب ، ومن الاسماعيلية (الحشاشين) ومن الروم (البيزنطيين) ومن الفرنج (الصليبيين) ولكنها استعصت عليهم جميعا بفضل حصانة موقعها ، ومناعة حصونها ، وقوة دفاع الأمراء المنقذيين عنها ، وكانت هذه الغارات - التي روى لنا أسامة في كتابه الاعتبار طرفا من معاركها - الميدان الذي تجلت فيه بطولة أسامة وأخوته ووالدهم ، وبرزت فيها شخصيته الحربية ، وكانت مؤازرة والد أسامة وأبنائه لأخيه أبي العساكر سلطان مما وطّد دعائم دولته ، وجعله يولي أخاه مرشداً وأولاده عطفه وكرمه ، ويخص منهم أسامة بكثير من وده ، ويعهد إليه بكثير من مهامه الخاصة ، وكأنه يهيئه ليخلفه من بعده .

ولكن أبا العساكر لم يكد يصبح له من أبنائه من يصلح للولاية من بعده حتى تغيّرت نظرته إلى أخيه وأولاده ، ولا سيما أسامة الذى كانت أخبار وقائعه وانتصاراته تكسبه صيتا ذائعا ، وتجعله منافسا خطيرا يخشى منه سلطان على مستقبل أبنائه ، وشعر أسامة بغيرة عمه ، فغادر شيزر مؤقتا في سنة ٥٢٤هـ. (= ١١٢٩م) ، وأحس مرشد بتغير أخيه فأغضى عنه على قذى ، وأرسل شعره عاتبا عليه بمثل قوله(١) :

وقلتُ : أخِي يَرْعَى بَنِيَّ وأُسْرَتِي ويَحْفَظُ فِيهِمْ إِعْهْدَتِي وذِمامِيا
ويَكْفِيهِمُ ما لَمْ أُكَلِّفْه فِعلَه لنَفْسِي فقَدْ أَعْدَدْتُه من تُراثِيا
فأَصْبَحْتُ صِفْرَ الكفِّ مما رَجَوْتُه أرى اليأسَ قد غَطَّى سَبِيلَ رجائيا
فمالَكَ لما أَنْ حَنَى الدهرُ صَعْدَتِي وثَلَّمَ مِنِّيَ صارِمًا كان ماضِيا
تَنَكَّرْتَ حتى صارَ بِرُّكَ قَسْوةً وقُرْبُكَ منهم جَفْوَةً وتَناسِيا

ولم يلبث مرشد ، والد أسامة بعد ذلك طويلا ، فقد مات سنة ٥٣١هـ. (١١٣٦م) وغادر أولاده - كما أراد عمهم أبو العساكر سلطان - شَيْزَر إلى غير رجعة ، وكان هذا من لطف الله بهم ، فنجوا من الموت الذى أدرك أهلهم جميعا في كارثة الزلزال سنة ٥٥٢هـ. (= ١١٥٧م) .

---

(١) القصيدة التي منها هذه الأبيات مطلعها :

ظلومُ أبَتْ في الظُّلْمِ الاّ التّماديا وفى الصَّدِّ والهِجْرانِ الا تَناهِيا

وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء (٥/٢٢٨ - ٢٣٠) قطعة كبيرة منها .

وحين توفي أبو العساكر سلطان سنة ٥٤٩هـ. (= ١١٥٤م) خلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد آخر أمراء شيزر من بنى منقذ ، وفي عهده وقع الزلزال المُدَمِّر الذى هدم من مدن الشام حلب وحماة وحمص وأفامية والمعرة وكفر طاب ، وأنطاكِيَةَ وطرابلس وأصاب دمشق أيضا ، وتداعت فيه قلعة شيزر على أميرها ناصر الدين محمد وأسرته الأمراء ، ولم ينج منهم سوى زوجة الأمير التى استنقذت من تحت الردم [١] ، وشغرت شيزر بعد ذلك ، فجاء نور الدين محمود بن زنكى في بقية السنة فأخذها وعمرها .

هؤلاء هم أمراء بنى منقذ الذين تعاقبوا على ملك شيزر ، نلتقى فى المراجع التاريخية والأدبية بعدد آخر منهم عاشوا بعيدين عن شيزر ، ولكنهم لم يبعدوا عن السيادة ونباهة الذكر أينما كانوا ، من هؤلاء :

أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ الكنانى ، أخو مخلص الدولة مقلد بن نصر بن منقذ ، ذكره ابن خلكان فى ترجمة أخيه مقلد بن نصر [٢] ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٤٣٩هـ. (= ١٠٤٧م) ورثاه ابن سِنان الخفاجى بقصيدة منها :

غَرُبَتْ خَلائِقُك الحِسانُ غَرِيبَةً ... ورَمَى الزمان دُنُوَّها ببعاد

ذَهَبَتْ كما ذَهَبَ الربيعُ وخَلَّفَتْ ... فَيْضَ الدموعِ حَرارةُ الأَكبادِ

وأبو المتوَّج الملقب بتاج [٣] الأمراء مقلد بن على ، وهو عم أسامة ، أقام بمصر مكرما .
وناصر الدوله كامل بن مقلّد بن على بن مقلد بن نصر ، وهو ابن تاج الأمراء المقدم ذكره .

ومنهم أبو الميمون المبارك بن كامل [٤] بن مقلّد بن على الملقب سيف الدولة مجد الدين كان من أمراء الدولة الصلاحية ، وُلِّى شاد الديوان بالديار المصرية ، ووجّهه صلاح الدين مع أخيه شمس الدولة تُوران شاه إلى بلاد اليمن فى سنة ٥٦٩هـ. (= ١١٧٣م) فلما ملكها توران شاه

---

(١) أنظر مرآة الزمان ج ٨ق ٢٢٨/١ و ٢٢٩ ووفيات الأعيان ٨٦/٣ ومقدمة الاعتبار ص/ذ
(٢) وفيات الأعيان ٣٦٠/٤ .
(٣) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى لزامباور (١٦٥/١) .
(٤) انظر فى ترجمة المبارك بن كامل وفيات الأعيان ٢٩١/٣ وتاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن (٧٥ ـ ٧٧) .

أناب عنه سيف الدولة المبارك بن كامل هذا فى زبيد ، فبقى بها إلى سنة ٥٧٧هـ. (= ١١٨١م) ثم مرض وكره المقام باليمن ، فعاد إلى مصر ، وتوفى بالقاهرة فى سنة ٥٨٩هـ. (= ١١٩٣م) وكان مولده بقلعة شَيْزر سنة ٥٢٦هـ. (= ١١٣٠م) .

وقد مدحه جماعة من مشاهير الشعراء ، وكان شاعرا ، أورد ابن خلكان من شعره قوله فى البراغيث - وقد آذته أثناء حجّه - :

ومَعْشَر يَسْتَحِلُّ الناسُ قَتْلَهُم كما استَحَلُّوا دَمَ الحُجّاج فى الحَرَمِ
إذا سَفَكْتُ دَمًا منها فما سَفَكَتْ يداىَ من دَمِها المسفوكِ غيرَ دمِي

وكان حين عودته من اليمن قد أناب عنه أخاه حطان[1] بن كامل الذى استقل بزبيد ، فسار إليه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب فقبض عليه ، واستصفى ماله ، وقتله فى سنة ٥٧٩هـ. (١١٨٣م) .

ومنهم أبو الحسن على[2] بن مرشد أخو أسامة ، ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ، ووصفه بأنه سيد بنى منقذ ، واستجاد شعره ، وأورد نماذج مما أنشده السَّمْعَانِىّ له فى تاريخه ، وأخرى مما رواه لياقوت مرهف بن أسامة من شعر عمه أبى الحسن هذا ، وقد أورد له أسامة فى هذا الكتاب أشعارًا كثيرة ، ونقل ياقوت أنه استُشْهِد على غزه فى شهر رمضان سنة ٥٤٥هـ. (= ١١٥٠م) فى حرب الصليبيين ، ومما أورده ياقوت من شعره قوله يحن إلى أهله :

بَنِى أَبِى إن عَدا دَهْرٌ فَفَرَّقَنا فهَمُّ نَفْسِى بِكُمْ ماعِشْتُ مُجْتَمِعُ
هل تَعْلَمُون الذى فى النفْسِ من أسفٍ عليكُمُ وحَنِينٍ ليس يَنْقَطِعُ
نَزَحْتُمُ أَدْمُعِى حتى لقَدْ مَحَلَتْ جُفُونُ عيْنِى وماتَ اليَأْسُ والطمَعُ

ومنهم نجم الدولة أبو عبد الله محمد بن مرشد أخو أسامة أيضا ، ذكره السَّمْعانى فى تاريخه وروى عنه شعرًا لأبيه مرشد أنشده أياه عند عقبة أفيق بنواحى الأُرْدُنّ[3] .

---

(1) ورد اسمه فى وفيات الأعيان ٣/٢٩١ حطان ، وفى تاريخ اليمن /٧٧ و ٧٨ يذكره باسم « خطاب » .

(2) انظر فى ترجمته معجم الأدباء ٥/٢١٤- ٢٢٠ .

(3) معجم الأدباء ٥/١٩٣ .

ومنهم شرف الدين أبو الفضل إسماعيل بن أبي العساكر سلطان بن على ، وهو ابن عم أسامة سكن دمشق — بعد أن زالت شيزر عنهم — وبقى بها إلى أن مات سنة ٥٦١هـ. (=١١٦٥م) ذكر ياقوت له شعرا جيدا منه قوله فى الغزل :

بأىِّ أمرٍ سأنجو من هوى رَشَإٍ   فى جفنه سحر هارُوتٍ وسيفُ عَلِى
إذا رَمَى طَرْفُه باللَّحظِ قالَ لَه   قَلْبى : أُعِذْ « لا رَماك اللهُ بالشَّلَلِ »

ومنهم أبو الفتح يحيى بن سلطان ، أخو المقدم ذكره ، قال ياقوت — نقلا عن مرهف بن أسامة — أنه قتل على بعلبك فى سنة ٥٤٠هـ. (=١١٤٥م) وأورد أبياتا من شعره .

ومنهم الأمراءُ بنو أسامة بن منقذ : عز الدولة أبو الحسن بن أسامة ، وبهاء الدولة أبو الغيث منقذ ، ونجم الدولة أبو عبد الله محمد ، وابنه أبو الحارث عبد الرحمن بن محمد بن أسامة ابن منقذ الذى بعثه صلاح الدين إلى المغرب وتوفى بها سنة ٥٩٩هـ. (= ١٢٠٢م) .

وآخر من بقى من أبناء أسامة الأمير عضد الدولة أبو الفوارس مرهف الذى أقام بمصر مُوَقَّرًا فى الدولة الأيوبية ، وحَظِى بمودة صلاح الدين ، حتى « صار جليسه ، ونديمه وأنيسه » [1] ، ولقيه ياقوت فى سنة ٦١٢هـ. (=١٢١٥م) وكان قد جاوز التسعين من عمره ، وأقعدته السن ، ووصفه بأنه « شيخ ظريف واسع الخلق ، شائع الكرم ، جمّاعه للكتب [2] » وروى عنه فى معجم الأدباء كثيرا من شعر أهله ، وكانت وفاته سنة ٦١٣هـ. (= ١٢١٦م) ومولده سنة ٥٢٠هـ. (=١١٢٦م) وقد أورد شيئا من شعره .

ويذكر ياقوت منهم غير هؤلاء : حميد بن مالك بن مغيث بن نصر بن منقذ ، أبا الغنائم مكين الدولة ، المولود فى شيزر سنة ٤٩١هـ. (=١٠٩٧م) والمتوفى بحلب سنة ٥٦٤هـ. (=١١٦٨م) ووصف شعره بالجودة ، وذكر منه قوله :

ما بَعْدَ جِلِّقَ للمُرْتادِ مَنْزِلَةٌ   ولا كسُكَّانها فى الأَرضِ سكَّانُ
فَكُلُّها لمَجالِ الطَّرْفِ مُنْتَزَهٌ   وكُلُّهُم بصُرُوف الدهرِ أَقْرانُ
وهُمْ وإن بَعُدوا عنى بنِسبتِهم   إذا بَلَوْتَهُم بالوُدِّ إخوانُ

(١) معجم الأدباء ١٩٣/٥ .   (٢) معجم الأدباء ٢٤٣/٥ .

ولا تتسع هذه العُجالة لكل ما يمكن أن يقال عن بنى منقذ أُسرة أسامة ، غير أنه يتضح لنا مما سبق أنهم كانوا جميعا سادة أجواداً ، وفرساناً شعراء ، كان الشعر فيهم سايقة رجالا ونساء ، ومن طريف ما يرويه ياقوت عن أُسامة بن منقذ أن عمه أبا المرهف نصر كان قد أخرج من ماله حجّة عن والدته التى ماتت ، فرآها فى نومه ـ وقد حمدت بره بها ـ تنشده هذه الأبيات التى استيقظ. وهو يحفظها كما أنشدَتْها :

جُزِيتَ من وَلَدٍ بَرٍّ بصالِحَةٍ ... فقَدْ كَسَبْتَ ثوابًا آخِرَ الزَّمَنِ

وقد حَجَجْتَ إلى البَيْتِ الحَرامِ وقد ... أتَيْتَهُ زائِرًا يا خَيْرَ مُحْتَضَنِ

فلا تَنَلْكَ يَدُ الأيام ما طَلَعَت ... شمسٌ ، وماصَدَّحَتْ ورقاءُ فى فَنَنِ

د ـ مولده ونشأته ·

ولد أُسامة بن منقذ[1] بشيزر فى يوم الأحد الموافق ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ (يولية سنة ١٠٩٥ م) فى أُسرة مجيدة ، أسست إمارة شيزر ، وتوارثت ملكها ، أكثر رجالها فرسان محاربون من الطبقة الأُولى ، وحين بلغ الثانية من عمره كانت الحروب الصليبية قد بدأت فى بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ (= ١٠٩٧م) ففتح عينيه على معاركها ، وبلاء أبطال أُسرته فيها ، فلا عجب أن رباه والده على الشجاعة والفتوة والرجولة ، واصطحبه معه إلى الصيد ، وحمله على ركوب الأخطار ليجعل منه فارسا كاملا ، وفى هذا يقول أُسامة : « .. ما رأيت الوالد رحمه الله نهانى عن قتال ولا ركوب خطر مع ما كان يرى فىّ وأرى من إشفاقه علىّ وإيثاره لى[2] » ويذكر أنه رأى وهو صغير حية على حائط الدار فتسلق إليها ، وأخذ يَحُزُّ رأسها بسكينه الصغير ، وهى تلتف على يده ، وأبوه يراه ولا ينهاه[2] .

كذلك يروى لنا أُسامة حادثة وقعت لأُمّه حين هاجم الإسماعيلية (الحشاشون) شَيْزر ، والرجال غائبون عنها ، فوزعت أُمّ أُسامة السلاح ، « وألبست ابنتها الخف والإزار وأجلستها على رَوْشَن[3] مشرف على الوادى ، حتى إذا ما انتهى الأعداءُ إليها تدفعها وترميها إلى الوادى ، فتراها

---

(١) هكذا اشتهرت نسبة أسامة الى جده الأعلى منقذ ، وقد تقدم فى سلسلة نسبه أنه أسامة ابن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ·

(٢) الاعتبار/١٠٣ فى الموضعين ·

(٣) الروشن : أصله الكوة ، ثم اطلق على الرف والشرفة .

ميتة ولا أسيرة في أيدى الفلاجين والحلاجين »[1] ومن هذه الواقعة نتبين المعدن الذى جبلت منه هذه الأم الجديرة بأن تكون أم أسامة البطل .

هذه هى البيئة التى نشأ فيها أسامة على الفروسية ، وغذي فيها بلبان الشجاعة ، فصلب عوده وهو مرن ، وألف اقتحام المخاطر وهو صغير ، وكانت الأحداث من حوله تشده إلى هذا اللون من حياة الفتوة والخشونة ، فالروم يتهددون أطراف بلاده ، والصليبيون غاراتهم متلاحقة على بيت المقدس وبلاد الشام ، ومن دون هذين كان بنو كلاب والإسماعيلية (الحشاشون) يُغيرون على شَيْزر ، وكان ما حول شيزر من أماكن يقصدها أسامة للصيد مليئا بالوحوش الضارية والحيوانات المفترسة مما جعل أسامة لا يخرج للصيد إلا وهو مسلح[2] .

وإذا كان الذهبي[3] يسميه أحد أبطال الاسلام فإن ذلك اعتراف بالحقيقة من غير مبالغة ، وأسامة نفسه يقول - حين أقعده الكبر - : «حضرت من المصافات والوقعات مهول أخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، وباشرت الحرب وأنا ابن خمس عشرة سنة إلى أن بلغت التسعين ، وصرت من الخوالف ، خَدِين المنزل ، وعن الحروب بمعزل ، لا أُعدّ لمُهِمٍّ ، ولا أُدعى لدفع مُلِمّ ، بعد ما كنت أول من تُثْنَى عليه الخناصر ، وأكبر العُدَد لدفع الكبائر[4] » . وكانت أول حملة قادها سنة ٥١٣هـ (=١١١٩م) حين سيره والده إلى أفامية ، لقتال الفرنج المخيِّمين بها ، وكان النصر حليفه ، ولم يكن جهاده الفرنج (الصليبيين) قاصرا على قتالهم فى حماة وشيزر وأفامية ، وغيرها من مدن سورية الشمالية ، بل حاربهم في فلسطين ، فنازلهم في عَسْقَلان[5] أربعة أشهر ، وقاتلهم فى بيت جبريل[6] ، وفى يبنى[7] . كما شهد القتال أيضا

(١) الاعتبار/١٤٥ وهى السان الفلوجة : الأرض الطيبة البيضاء المستخرجة للزراعة، وفلاليج السواد : قراها ، فلعل أسامه عنى بالفلاجين القرويين الفلاحين ، والحلاج : الذى يحلج القطن، أى يندفه ويخلصه من بزره .

(٢) الاعتبار /٢٠٠ .

(٣) دول الاسلام ٢/ ٧١ (ط حيدر أباد ١٣٣٧ هـ) .

(٤) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١٠/ ٢٣٠ وما بعدها .

(٥) عسقلان : على ساحل البحر بين غزة وبيت جبريل ، وكان ذلك فى سنة ٥٤٨ هـ وقد استولى الصليبيون عليها فى هذه السنة بعد قتال شديد .

(٦) بيت جبريل : بليدة بين بيت المقدس وغزة ، وبينها وبين عسقلان واد يزعمون أنه وادى النمل .

(٧) يبنى : بلدة قرب الرملة .

في ديار بكر والموصل وغيرها ، وقد أفادته تجاربه الحربية الكثيرة إيمانا عميقا بأن الموت لا يقدمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[1] ، كما عودته الصبر والرضا بالقدر ، وصار يستقبل الأفراح كما يودع الأحزان ، ويواجه النصر والظفر بالروح العالية التي يجابه بها الهزيمة والفشل ، لأنه يؤمن أن كل ذلك بقدر من الله[2] .

وحين تقدمت به السن ، وسئم تكاليف الحياة كان يذكر وقائعه ، ويتمنى لو أن الموت كان قد وافاه في إحداها ، فنال شرف الشهادة ، ويرى في ذلك عبرة لكل جبان يقعد عن الجهاد حذر الموت ، وفي ذلك يقول – بعد أن حكى بعض ما لقي من أهوال – : « فهذه نكبات تزعزع الجبال وتفني الأموال ، والله سبحانه يعوض برحمته ، ويختم بلطفه ومغفرته . وتلك وقعات كبار شهدتها ، ونكبات نكبتها ، سلمت فيها النفس لتَوْقِيت الآجال ، وأجحفت بهلاك المال[3] » ويقول أيضا : « فلا يظن ظانّ أن الموت يقدمه ركوب الخطر ، أو تؤخره شدة الحذر ، ففي بقائي أكبر معتبر ، فكم لقيت من الأهوال ، وتقحَّمْت المخاوف والأخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود ، وضُرِبت بالسيوف ، وطُعِنت بالرماح ، وجُرِحت بالسهام والجروخ[4] وأنا من الأجل في حصن حصين – إلى أن بلغت تمام التسعين » ثم يورد بعد ذلك أبياتا تصور ضعفه وأثر الشيخوخة في بدنه يختمها بقوله :

فاعجَبْ لضعف يَدِي عن حَمْلِها قَلَماً ... من بَعْدِ حَطْمِ القَنا في لبَّةِ الأَسدِ
وإن مَشَيْتُ وفي كَفِي العَصا ثَقُلَتْ ... رِجْلِي ،كأنّي أخُوضُ الوَحْلَ في الجَلَدِ
فقُلْ لمن يَتَمَنَّى طُولَ مُدَّتِه ... هذي عَواقِبُ طُولِ العُمْرِ والمُدَدِ[5]

وكتاب الاعتبار الذي ألفه أسامة بعد أن بلغ التسعين يُعَدّ ترجمة لحياته كتبها

---

(1) الاعتبار/١٦٣ .
(2) انظر الاعتبار/١٤٧ .
(3) الاعتبار/٣٨ .
(4) من أدوات الحرب ترمى عنها السهام والحجارة ، والكلمة معربة .
(5) الاعتبار/١٦٣ و ١٦٤ .

بتمامه على نحو ما نسميه اليوم تراجم ذاتية [1] ، صوّر فيه بأسلوب لا تكلف فيه ما وقع له في جد الأمور ولهوها ، وألقى به ضوءا ساطعا على أحداث عصره وحياة الناس فى مجتمعه ، ولو بلغنا هذا الكتاب كاملا لأفاد الدارسون منه كثيرا فى الكشف عن جوانب من حياة أسامة ، والواضح منه أنه كان يهدف إلى تأسّى غيره به ، وأخذ العبرة من حياته .

ويذكر أسامة ذلك بعبارة مجملة – فى كتابه الآخر لباب الآداب – فيقول : «وقد أوردت فى كتابي المترجم «بكتاب الاعتبار» عجائب ما باشرته ، وحضرته ، وشهدته من الحروب والمصافّات منذ كنت ابن خمس عشرة سنة إلى أن تجاوزت التسعين ، وما نالنى فيها من الجراح والمكاره ، وأنا القائل :

أَلُوم الرَّدَى كَمْ خُضْتُهُ مُتَعَرِّضاً ... له وهو عَنّى مُعْرِضٌ متجنِّبُ
وكم أَخَذَتْ منى السيوفُ مآخذ الـ ... ـحِمام ولكنَّ القضاء مُغَيَّبُ
إلى أن تَجاوَزْتُ الثَّمانِينَ وانقضت ... بُلَهْنِيَةُ العيشِ الذى فيه يُرْغَبُ
فمَكْرُوه ماتَخْشَى النفوسُ من الرَّدَى ... أَلَذُّ وأَحْلَى مِنْ حياتِى وأَطْيَبُ

وذكرت ما شاهدته من إقدام الرجال ، وعجائب تَصرُّف الآجال ، فغنيت بما أوردته هناك عن الإطالة هنا [2] » فإذا أحلنا القارىء على كتاب الاعتبار فإننا نجمعه بأسامة نفسه ، ليحدثه عن البطولة العربية التى جعلت ابن الأثير يصفه بأنه «كان من الشجاعة فى الغاية التى لامزيد عليها» .

هـ – حياته الحربية :

وحسبنا هنا أن نتابع – فى إيجاز – خطوات الزمن فى حياة أسامة ، لنراه يغادر شيزر

---

(1) يرى فيليب حتى ان كتاب الاعتبار اول سيرة ذاتية فى الأدب العربى ، وقد وجدنا أن ابن خلدون فعل ذلك حين كتب فى آخر تاريخه فصلا عرف فيه بنفسه فذكر أصله ونشأته وترجم لمن تعلم عليهم أو تلقى عنهم ، وعرف بالحكام والسلاطين الذين عمل معهم ، كما تحدث عن الصلات التى كانت بينه وبين غيره من العلماء والوزراء ، والرحلات التى رحلها ، وأثر كل ذلك فى نفسه وثقافته ، ثم أضاف اليه اضافات أخرى اقتضتها رحلاته حتى صار كتابا مستقلا أطلق عليه «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» وقد حققه وعلق عليه محمد بن تويت الطنجي وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر . وقريب من ذلك كتاب للسيوطى عنوانه «التحدث بنعمة الله» وكتاب آخر للامام الشعرانى يحمل العنوان نفسه ، وفى العنوان تيمن بقوله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» ولئلا يظن القارىء بصاحبه الفخر أو المباهاة .

(2) لباب الآداب/٢٢٦ .

فى سنة ٥٢٩هـ. حين أصبح عمه سلطان ـ أمير شيزر حينذاك ـ لا يريه من العطف ما كان يعهده ، بل إن أسامة أحس أن عمه يحقد عليه ، ويخشى على أولاده من مكانته. ويمضى أسامة إلى الموصل؛ لينتظم فى جند عماد الدين زنكى الذى صار أكبر أبطال الحروب الصليبية فى وقته ، ويخوض أسامة تحت قيادته معارك كثيرة .

ويهاجم الفرنجُ والروم شَيْزَرَ فى سنة ٥٣٣هـ . فيمضى أسامة إليها ، ويبلى بلاءً حسنا فى الدفاع عنها ، لعل ذلك يعطف قلب عمه عليه ليبقى بشيزر بين أهله الذين كانوا قد فقدوا والده سنة ٥٣١هـ ، غير أن انتصارات أسامة التى أصبحت حديث الناس جعلت عَمَّه يوقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وعلى مستقبل بنيه من بعده ، ومن ثَمَّ يأمره هو وأخوته بالرحيل عن شيزر ، فيخرج أسامة بهم إلى دِمَشْق وهو ينشد :

دَعْنِى وقَطْعَ الأَرضِ دونَ مَعاشرٍ ... كلٌّ علىَّ ـ لغير جُرْمٍ ـ مُحْنَقُ[1]

تغلى علىّ صدورُهم من غيظِهِمْ ... فتكادُ من غَيْظٍ على تَحَرّقُ

أَعيا علىّ رضاهمُ فيئست من ... إدراكه ، ما النجمُ شئٌ يُلْحَقُ

قد أَفْسَدوا عيشى علىَّ ، وعيشَهم ... فأَنا الشقىٌّ بهم ، وبى أيضا شَقُوا

فَضْلُ الأَقاربِ برُّهم وحُنُوُّهم ... فإذا جَفَوْنِى فالأَباعدُ أَرْفَقُ

وفى دمشق اتصل بصديقه معين الدين أَنَر ، وزير شهاب الدين محمود ، فاعتمد معين الدين على أسامة فى تصريف الشئون السياسية ، ونجح أسامة فى هذه المهمة نجاحا رفع مكانته فى دمشق ، وجعله يعيش مُكَرَّما فى رعاية معين الدين أَنَر أكثر من سبع سنوات ، غير أن أمثال أسامة لايعدمون حسّادا يكيدون لهم ، فسرعان ما سعى به الواشون إلى معين الدين الذى صدقهم فانحرف قلبه عن أسامة ، فنبت به دمشق « نُبُوَّ الداربالكريم » كما يقول العماد الأَصفهانى .

ويرحل أسامة إلى مصر ، وهو يودع معين الدين بقصيدة عاتبة ، ننقل منها قوله :

---

(١) ديوان أسامة/١٢٧ و ١٢٨ .

بلِّغْ أَمِيرِى مُعِينَ الدين مَأْلُكَةً من نازح الدار لكن وُدُّهُ أَمَمُ[1]

هل في القضية يا من فضل دولته وَعدلُ سيرته بين الورى عَلَمُ

تَضْيِيعُ واجِبِ حَقِّي بعد ما شَهِدت به النصيحةُ والإخلاصُ والخِدَمُ

وما ظننتُك تنسى حقَّ معرفتى «إن المعارفَ في أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ»

ولا أعتَقَدْتُ الذى بينى وبينَك من وُدٍّ – وإن أَجْلَبَ الأَعداءُ – ينصَرِمُ

لكن ثِقاتُك مازالوا بِغِشِّهِمُ «حتى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الأَنوارُ والظُّلَمُ»

وهى قصيدة طويلة ، نحس فيها بنفس أسامة تفيض بالحب والإخلاص لمُعِين الدين ، مما جعله يختمها بالدعاء له قائلا :

فاسْلَمْ ، فما عِشْتَ لى فالدَّهْرُ طَوْعِ يَدِى وكُلُّ ما نالَنِى من بُؤْسِهِ نِعَمُ

وصل أسامة إلى القاهرة ، وهو يحكى ذلك في كتابه الاعتبار فيقول : « كان وصولي إلى مصر يوم الخميس الثانى من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (نوفمبر سنة ١١٤٤م) فأَفرَدَني الحافظ لدين الله ساعة وصولى ، فخلع علىَّ بين يديه ، ودفع لى تخت ثياب ، ومائة دينار ، وخَوَّلَني دخول الحمام ، وأنزلنى فى دار من دور الأفضل ابن أمير الجيوش فى غاية الحسن وفيها بسطها وفرشها ، ومرتبة كبيرة وآلتها[2] من النحاس ، كل ذلك لا يستعاد منه شيء ، وأقمت بها مدة ، إقامة فى إكرام واحترام وإنعام متواصل[3] » .

ولما مات الخليفة الحافظ ، وولى ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل ، وثب على الوزارة سيف الدين أبو الحسن على بن السلار الملقب بالملك العادل ، وقد رأى هذا الوزير أن يبعث أسامة فى مهمة سياسية وحربية لدى نور الدين بن زنكى ، مؤداها أن يطلب إليه منازلة الفرنج

---

(١) من قصيدة فى ديوانه/١٤٦ و ١٤٧ وكأنها معارضة لقصيدة المتنبى التى ودع بها سيف الدولة عاتبا حين عزم أن يتحول عنه الى كافور ، ويرحل من حلب الى مصر ، وما أشبه الحال بالحال ، ومطلع قصيدة المتنبى :

واحَرَّ قَلْباهُ ممّن قَلْبُه شَبِمُ ومَن بِحالِي وجِسمِي عِنْدَه السَّقَمُ

ومع تشابه المعانى فى القصيدتين فقد ضمن أسامة فى قصيدته كثيرا من أبيات المتنبى .

(٢) يعنى بآلة المرتبه السرير الذى توضع عليه .

(٣) الاعتبار/٦ .

فى طَبَرِيَّة ، ليشغلهم عن المصريين الذين يستعدون لمهاجمة الفرنج فى غزة ، وكان هؤلاء «قد شرعوا فى عمارة غزة ليحاصروا عسقلان[1]» .

وعند بُصْرَى يلتقى بنور الدين بن زَنْكِي ، فيُفْضِي إليه بما كُلِّف به ، ولكن نور الدين يعتذر إليه عن عدم استطاعته ذلك ، لأن مركزه الحربى لم يكن يسمح له حينئذ ، وبدلا من أن يعود أسامة ليؤدى جواب رسالته نراه يقود جماعة من الفرسان[2] ، يتجه بهم إلى عسقلان ، وتدور بينه وبين الصليبيين عندها معارك عظيمة يظهر فيها بطولة نادرة .

وفي أثناء هذه المعارك يصله كتاب من ابن السلار يستدعيه إلى مصر ، فيعود إليها تاركا أخاه عز الدين أبا الحسن عليًّا مكانه فى منازلة عسقلان ، وظل عز الدولة فى حرب الفرنج بها إلى أن استشهد ، وكان كما وصفه أسامة من علماء المسلمين وفرسانهم وعُبّادهم .

عاد أسامة إلى مصر ليشهد سنوات خمس (٥٤٤هـ ـ ٥٤٩هـ) عاشتها البلاد فى اضطراب سياسى ، وفوضى شاملة ، انعدم فيها الأمن ، وكثرت[1] الفتن ، فالخليفة يكيد لوزرائه ويغتالهم ،

---

(١) الاعتبار/١٠ .

(٢) يذكر الأستاذ طاهر النعسانى (مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ١٠/٢٣٠) أن نور الدين محمود بن زنكى هو الذى سير أسامة لمحاربة الصليبيين فى عسقلان ، فسار اليها فى ٨٦٠ فارسا ، وأقام ينازلهم أربعة أشهر .

(٣) كان من نتيجة هذه الفتن أن قتل الخليفة الظافر ، والوزير ابن السلار ، وقد اتهم بعض المؤرخين أسامة بأن له يدا فى قتلهما ، والتحريض على هذه الجرائم المنكرة ، وقد برأه الله من أن يغمس يده فى الدماء البريئة .

ويرى المرحوم الشيخ أحمد شاكر فى مقدمة لباب الآداب/٢٣ :

« ان أسامة انما اتهم بذلك افتراء واتباعا للشائعات التى اشاعها ذوو الأغراض من الدساسين ، والقارىء المنصف لما كتبه أسامة فى (الاعتبار) عن هذه الحوادث يتبين براءته مما نسب اليه زورا وبهتانا » .

ونضيف الى ذلك أن هذه التهمة لو كانت صحيحة لما وجدنا الملك الصالح طلائع بن رزيك يحسن الى أسرة أسامة بعد رحيله ، وينزلها فى دار خاصة ، ويجرى عليها ما تحتاجه ، بل ان رسائل ابن رزيك تترى على أسامة يلح عليه فيها بالعودة الى مصر ، ويعده باقطاعه أسوان ، وامداده بما يتقوى به على محاربه الحبشة ، ويبعث اليه بقصيدة طويلة يحدثه فيها عن الوزير عباس الذى كان من وراء هذه الفتن فيقول :

عَلَىَّ أنّه قد نالَ بالغَدْرِ من بَنِى نَبِيِّ الهُدَى مالم يَنَلْهُ بَنُو حَرْبِ
وحاشاكُم ما خُنْتُم العَهْدَ مثله ولا لكم فيما جَرَى منه مِنْ ذَنْبِ
ومِنْ مِثْلِ ما قد نالَكُم من دُنُوِّه تُحاذِرُ أن تَدْنُو الصحاحُ من الجُرْبِ

وانظر فى تحرير ذلك الكامل لابن الأثير ١١/٧٥ و ٧٨ وتاريخ أبى الفدا (٣/٢٧ و ٢٨) والنجوم الزاهرة (٥/٢٨٨ ـ ٢٨٩ و ٢٩٣ و ٣٠٩) وخطط المقريزى (٣/٤٦ ـ ٤٨) .

والوزراء يتآمرون على حياة الخليفة ، والصليبيون يهددون بغزو البلاد ، ويحكى أسامة أحداث هذه الفترة فى كتابه الاعتبار [1] ، ويذكر ما قاسى فيها من شدائد وأهوال كادت تقضى على حياته ، فقد نهبت داره ، وأصيب بجرح فى رأسه حينما هم بمغادرة مصر ، فلقيه عند باب النصر بعض قبائل العرب ، ودار بينه وبينهم قتال شديد ، ثم سار حتى وصل بِلْبِيس ، ورأى أنه عاجز عن حمل أسرته معه ، فردها إلى القاهرة ، فأكرم الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك مثواها ، وكانت هذه مَكْرُمة عرفها أسامة لابن رُزِّيك ، وظل يمدحه في شعره ، ويشيد بجوده وكرمه .

وفي طريقه إلى دمشق لقى صعابا جمة كادت تقضى عليه ، فقد تعرض لقُطَّاع الطريق من الأعراب ، كما تعرض لسرايا الصليبيين التى كانت منبثّة فى جنوبى فلسطين ، ويبدو أن ما صادفه من ذلك كان شيئا كثيرا حتى أنه جعل « السلامة من تلك الطريق من دلائل قدرة الله وحسن دفاعه » [2] .

وصل أسامة إلى دمشق فى يوم الجمعة خامس ربيع الثانى سنة ٤٤٩هـ.(=١١٥٤م) فقربه منه نور الدين محمود بن زنكى وأحسن إليه ، ولكن طلائع بن رُزِّيك لا يفتأ يغريه بالعودة إلى مصر ، ويعرض أسامة الأمر على نور الدين محمود ، فينصحه ألا يغادر الشام ، ويعده أن يأخذ لأهله الأمان من الصليبيين ، وينفذ إليهم من يصحبهم من مصر إلى دمشق . ويفى نور الدين محمود بوعده ، ولكن الصليبيين لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فقد غدروا بالأمان ، وهاجموا السفينة التى كانت تُقِلُّ أسرة أسامة ، ونهبوا ما فيها ، ويذكر أسامة ذلك فى كتابه الاعتبار فيقول : « وقد كان فى المركب حلى أودعه النساء ، وكسوات وجوهر وسيوف وسلاح وذهب وفضة بنحو من ثلاثين ألف دينار ، فأخذ الجميع ، ونفذ لهم مائة دينار ، وقال — يعنى الملك بالدون الثالث — : توصلوا بهذه إلى بلادكم ، وكانوا رجالا ونساء فى خمسين نسمة ... فهون على سلامة أولادى وأولاد أخى ، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال ، إلا ما ذهب لى من الكتب ، فإنها كانت أربعة آلاف مجلد ، من الكتب الفاخرة ، فإن ذهابها حزازة فى نفسى ما عشت [3] » .

---

(١) الاعتبار/٦ — ٢٩ .

(٢) الاعتبار/٢٨ .

(٣) الاعتبار/٣٥ .

ويبقى فى دمشق زهاء عشر سنين لم تصفُ كلُّها من الهموم والشدائد ، فقد دمر الزلزال شيزر سنة ٥٥٢هـ وقتل من كان فيها من بنى منقذ ، فكان لهذا الحادث المولم صدى قَوِىٌّ فى شعره ، وكان من أثره أن جمع أُسامة كتابه « المنازل والديار » يخلد به هذه المأْسلة .

وحَجَّ فى سنة ٥٥٥ هـ = (١١٦٠م) ، وحين حاصر نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم فى سنة ٥٥٧هـ كان أُسامة يشاركه فى حصارها ، وهو على عتبة السبعين من عمره . ويبدو أنه لم يلبث بعد ذلك بدمشق طويلا ؛ فقد رحل إلى حصن (كيفا)[١] ومعه أُسرته ، حيث استقبل هناك حياةً هادئةً وادعة ، أتاحت له العكوف على البحث والدرس والتأْليف .

و ـ حياته العلميـة ·

وإذا كانت نشأَة أُسامة قد غلبت عليها الشجاعة والفروسية حتى لقد مضى الشطر الأَكبر من حياته فى الجهاد ، وبرزت الناحية الحربية من شخصيته واضحة فى تاريخه ، فإن ذلك ينبغى ألا يصرفنا عن شخصيته العلمية والأَدبية ، وعن شاعريته القوية ، فقد حفظ القرآن فى طفولته وتعهده والده منذ صغره بالمؤدِّبين ، وكان يحضر الشيوخ الكبار ليعلموه هو وإخوته ، وسمع الحديث من الشيخ الصالح أبى الحسن على بن سالم السِّنْبِسِىّ فى سنة ٤١٩هـ[٢] . وكان يؤدبه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة ٥٠٣هـ[٣] . وقرأ علم النحو قريبًا من عشر سنين على أَبى عبد الله الطُّلَيْطِلِىّ النحوى ، وكان فى النحو سيبويه زمانه ، ولا شك أن ذلك يقتضيه الاطلاع على غريب القرآن وتفسيره ، والتوسع فى رواية الشعر ، فنشأَ راوية كاتبا ، وأديبًا شاعرا . وكذلك درس البلاغة ، وصنف فيها كتابه « البديع فى نقد الشعر » . وكان بيت بنى منقذ الأُمراء مثابة للشعراء والأُدباء ، يقصدونهم مادحين ومسترفدين ، ويقيمون فى كنفهم مكرَّمين ، وكانوا هم أيضا علماء شعراء ، فأَفاد أُسامة من هذا المجتمع الأَدبى

---

(١) أنظر / ص ١٦ حاشية (١) ·

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبى (وفيات سنة ٥٨٤ هـ) وفى تكملة اكمال الاكمال لابن الصابونى/٢٩٢ أن أسامة سمع من السنبسى وغيره ، وحدث وسمع منه الحافظ ابن عساكر ، وعبد الكريم بن محمد السمعانى ، والحسن بن هبة الله بن صصرى وغيرهم ·

(٣) انظر لباب الآداب/١٠١ و ١٩٠ ·

الذى نشأ فيه أدبا جما ، وأولع بحفظ الشعر وروايته . حتى روى الذهبى فى تاريخ الإسلام عن السمعانى أن أسامة قال له : « إنى أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية » وقد بدا أثر ذلك واضحا فى جزالة شعر أسامة ، وفى مصنفاته الأدبية ، ولا سيما فى لباب الآداب ، والبديع فى نقد الشعر ، وفى كتابه « المنازل والديار » .

نفى أسامة بشعره طيلة حياته ، وشغله الجهاد ، وحب المغامرة ، وكثرة الرحلة عن أن يفرغ للتأليف إلى أن جاوز السبعين من عمره ، غير أن ذلك لم يكن يمنعه من القراءة والتحصيل والاطلاع فى سنى فروسيته ، تشهد بذلك مكتبته الضخمة التى صحبها فى رحلته إلى مصر ، وكانت تربو على أربعة آلاف مجلد ، والتى سلبها الصليبيون فيما سلبوا من متاعه وأمواله حين عودة أسرته من مصر ، وسبب فقدها لأسامة حسرة عظيمة ، ويدل عليه أيضا ما ذكره النعيمى [1] من أن « دار أسامة فى دمشق - مكان العزيزية - كانت معقلا للفضلاء ، ومنزلا للعلماء » .

وتنسب دائرة المعارف الإسلامية نشاط أسامة العلمى إلى السنوات العشر التى قضاها فى حصن كيفا فيما بين سنتى ٥٥٩ هـ و ٥٧٠ هـ ، وما نظن هذا الرأى صوابا ، وأولى من ذلك أن يقال : إن أسامة فرغ للتأليف حين جاوز السبعين ، وظل ذلك همه أكثر من خمس وعشرين سنة عاشها بعد ذلك ، فكتابه هذا ألفه فى سنة ٥٦٨هـ ، ولا نعتقد أنه أول مصنفاته ، لأنه يشير فى أثنائه إلى كتب أخرى له ، وفى آخر كتابه لباب الآداب يقول : « .. ولولا أن النفس إذا غُولِبَت غَلَبَتْ ، وإذا زجرت لجت وأبَتْ ، لكان اشتغال من بلغ من السنين إحدى وتسعين بأعمال البرّ والثواب أجدى عليه من تأليف كتاب [2] » وكان فراغه منه سنة تسع وسبعين وخمسمائة [3] وما نظن أنه آخر كتبه .

ز - مؤلفاته .

لقد كانت ثمرة هذه الحياة العلمية أكثر من عشرين كتابا ، ضاع معظمها ، وطبع القليل منها ، ومازال بعضها مخطوطا .

---

(١) الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ١/ ٣٨٤ بتحقيق جعفر الحسنى (ط دمشق ١٩٤٨)
(٢) لباب الآداب/٤٦٧ .
(٣) لباب الآداب/٤٦٨ .

وقد ذكر حاجي خليفة بعضها ، ووردت أسماءُ بعضها فى الكتب الأُخرى التى ترجمت لحياة أُسامة ، وأشار أُسامة إلى بعضها فى مؤلفاته الأَخرى ، وهذه هى :

١) المنازل والديار وهو هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراءِ ، وقد صنفه سنة ثمان وستين وخمسمائة .

٢) لباب الآداب الذى جمع فيه الكثير من الأَقوال ، والأَخبار ، والأَشعار ، وقسمه على سبعة أَبواب هى : الوصايا ، والسياسة ، والكرم ، والشجاعة ، والآداب ، والبلاغة ، والحكمة ، وقد أَفاض فى بابى الآداب والبلاغة ، فجعلهما فصولا عدة ، وقد نشرته مكتبة سركيس بتحقيق العلامة المرحوم الشيخ أَحمد شاكر (ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٥م) .

٣) الاعتبار ، وقد سبق التنويه به ، وله طبعتان عربيتان :

حقق الأُولى ديرنبرغ (ط ليدن سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٦) .

وحقق الثانية فيليب حتى (ط جامعة برنستون سنة ١٩٣٠م) .

وقد حظى هذا الكتاب باهتمام المستشرقين ، فترجم إلى الفرنسية والإنجليزية والأَلمانية والروسية .

٤) البديع فى نقد الشعر ، وهو كتاب جمع فيه ما تفرق من أَلوان البديع فى كتب العلماءِ المتقدمين ، وزاد فيها حتى بلغت خمسة وتسعين نوعاً ، وقد طبع بتحقيق أَحمد أَحمد بدوى وزميله (ط الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٦٠) .

٥) كتاب العصا[1] الذى تحرف على الشيخ أَحمد شاكر تبعاًلياقوت فى معجم الأُدباءِ فسماه خطا (كتاب القضاءِ) .

---

(١) ذكره الأستاذ طاهر النعسانى فى مجلة المجمع العلمى بدمشق (ج ١٠/٣٠٥ - ٣١٦) وأورد نماذج منه نثرا وشعرا ، ومنه قول أسامة فى كتاب بعث به الى ولده مرهف بمصر يطلب منه عصا من آبنوس :

أَريدُ عَصاً من آبَنُوس تُقِلُّنِى ... فإن الثمانين استعادَتْ قُوَى رِجْلِي

ولو بعصا موسى اتَّقَيْتُ لآدَها ... - على ما بِها من قُوّة - حَمْلُها ثِقْلِى

ولكن تمنّيْنا الرجاءَ بباطل ... وكم قَدْر ما تُرْجَى المنايا ، وكم تُمْلِي

إذا بلغ المرءُ الثمانين فالرّدَى ... يناجِيه بالترحال من جانب الرَّحلِ

٦) مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومخطوطته محفوظة بدار الكتب المصرية ، وفي مقدمته يقول أسامة : « إنني وقفت فى شوال سنة سبع وستين وخمسمائة على كتاب مناقب أمير المؤمنين أبي حفص عمر تأليف الإمام العالم الزاهد .. أبي الفرج عبد الرحمن ... ابن الجوزيّ ... فرأيت – وبالله التوفيق – أن أجردها من الأسانيد ... وقد كنت أوردت فى كتابي المترجم « بالتاريخ البدرى » المشتمل على ذكر فضائل أهل بدر من مناقبه وفضائله وفتوحاته وأحكامه ، ما فيه مقنع وكفاية ، ولكنّ الزيادةَ من الخير خير (٢) » .

٧) مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ومخطوطته محفوظة بدار الكتب المصرية ، وهو اختصار كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز من تأليف ابن الجوزى أيضا . وقال أسامة في مقدمته : « .. جردته من الأسانيد ، وحذفت ما فيه من التكرار .... وكتبته بخطى ، وكنت قد أوردت من مناقبه وورعه وحسن سيرته وزهده فى كتابي المترجم بكتاب « نصيحة الرعاة » ماجاء مفرقا فى أثناء أبواب الكتاب » .

٨) التاريخ البدرى المشتمل على فضائل أهل بدر ، كذا أشار إليه أسامة فى مقدمة كتابه « مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » وذكره الذهبي أيضا ، وقد تحرف على فيليب حتى فسماه « التاريخ البلدى » .

٩) نصيحة الرعاة أشار إليه فى مقدمة كتابه « مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز » .

١٠) تاريخ القلاع والحصون – ذكره صاحب كشف الظنون .

١١) أزهار الأنهار – ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقله عنه الأستاذ فيليب حتى .

١٢) التأسِّي والتسلي – أشار إليه أسامة في لباب الآداب (ص٢٩٤و٤١٠) .

١٣) أخبار النساء – ذكره أسامة فى الاعتبار (١٦٨) وفى المنازل والديار (ص ١٩٤) .

١٤) الشيب والشباب – أشار إليه فى لباب الآداب (٣٧٧) وذكر ياقوت فى معجم الأدباء أنه ألفه لأبيه .

---

(١) يقول الأستاذ طاهر النعسانى فى المصدر السابق « وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته ، وبعثت بالأصل الى العلامة الأستاذ تيمور » وهذا يعنى أن للكتاب نسخة أخرى بالمكتبة التيمورية .

١٥) النوم والأحلام – أشار إليه في الاعتبار ص ١٨٦ .

١٦) (أخبار البلدان) في مدة عمره ، ذكره الذهبي .

١٧) التجائر المربحة والمساعي المنجحة – ذكره صاحب كشف الظنون ، وأورده أيضا فيليب حتى نقلا عن ديرنبورغ .

١٨) ذيل يتيمة الدهر ، ذكره ياقوت ، وسماه الذهبي ذيل خريدة القصر[1] للباخرزي .

١٩) كتاب في أخبار أهله ذكره ياقوت وقال : إنه رآه .

٢٠) كتاب تاريخ أيامه ، ذكره ياقوت أيضا ، ورجح المرحوم الشيخ أحمد شاكر أن يكون هو كتاب الاعتبار .

٢١) ديوان شعر أسامة بن منقذ ، ذكره ابن خلكان ، وذكر أنه في جزأين ، وأنه رآه بخط أسامة ونقل منه ، وقد نشر بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد (ط القاهرة سنة ١٩٥٢) .

٢٢) كتاب «فضائل الخلفاء الراشدين» ذكره أسامة في لباب الآداب ص ١٧٣ .

ح – ثناء العلماء عليه .

يقول العماد الأصفهاني في ترجمته لأسامة : «هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء ، والكرماء الكبراء ، والسادة القادة العظماء ، وقد متعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو معدود من شجعان الشام ، وفرسان الإسلام» ويقول أيضا : «وأسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه .. حلو المجالسة ، حلى المساجلة .. معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف[2]» .

ويقول ياقوت[3] : «وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء ، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم» .

وقال الحافظ ابن عساكر : «اجتمعت بأسامة في دمشق وأنشدني قصائد من شعره ، وقال لي أبو عبد الله بن الحسن بن الملحى : إن الأمير مؤيد الدولة أسامة شاعر أهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر ، متصرف في معانيه .لاحق بطبقة أبيه ... فقصائده الطول لا يفرق بينها

(١) معروف أن خريدة القصر للعماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٦ هـ بعد وفاة أسامة باثنتي عشرة سنة ، وكتاب الباخرزي اسمه (دمية القصر) وهو ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي .

(٢) خريدة القصر قسم شعراء الشام ج ٤٩٨/١ .

(٣) معجم الأدباء ١٩١/٥ .

وبين شعر ابن الوليد ، ولا ينكر على منشدها نسبتها إلى لبيد ، وهى على طرف لسانه ، بحسن بيانه ، غير محتفل بطولها ، ولا يتعثر لفظه العالى بشيء من فضولها ، وأما المقطعات فأحلى من الشهد ، وألذ من النوم بعد طول السهد ، فى كل معنى غريب وشرح عجيب » .

ط ـ اسامة فى شيخوخته :

حين استعاد صلاح الدين الأيوبى دمشق من الصليبيين فى سنة ٥٧٠ هـ كان الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة من خاصة صلاح الدين المقربين ، وكان صلاح الدين شديد الإعجاب بأسامة «لم يزل مشغوفا بذكره ، مشتهرا بإشاعة نظمه ونثره[1] » وكان «يفضّل ديوان شعره على سائر الدواوين[2] » فكتب صلاح الدين إلى أسامة يستدعيه من حصن «كيفا » إلى دمشق ، فشخص إليه أسامة ، وهو يومئذ شيخ قد جاوز الثمانين ، فأنزله دارًا بدمشق ، وأكرم مقامه ، وأجري عليه نفقة ، وأعاد إليه إقطاعا كان له فيها قبل رحيله عنها إلى حصن كيفا ، فطاب له العيش ، ونعم في شيخوخته بشئ من الرفاهية ، فأخذ يلقى محاضراته فى البديع ، ويجلس للتدريس فى المدرسة الحنفية ، غير أن ذلك ـ فيما يبدو ـ لم يدم طويلا ، فقد حول صلاح الدين عنه وجهه ، ووقعت بينهما جفوة لا ندرى ما سببها[3] ، ولا كم طال أمدها ، ولم تكن سنه تحتمل رحلة جديدة ، فلزم بيته وفى نفسه ما فيها من أسى وحسرة نحسهما فى قوله : « ... وكنت أظن أن الزمان لا يبلى جديده ، ولا يهى شديده ، وأنى إذا عدت إلى الشام وجدت أيامى بها كعهدى ، ما غيرها الزمان بعدى ، فلما كذبتنى وعود المطامع ، وكان هذا الظن كالسراب اللامع . اللهم غفرا هذه جملة اعتراضية عرضت ، ونفثة همٍّ أقضّت ثم انقضت » .

وما أكثر الهموم فى حياة أسامة ! حتى لقد صدق قوله :

وإذا عَدَدْتُ سِنِيَّ ثم نَقَصْتُها زمنَ الهُمومِ فتلك ساعةُ مولِدِي[4]

(١) المصدر السابق ١٩٣/٥ .

(٢) الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ١/ ٣٨٤ .

(٣) يرجع الأستاذ فيليب حتى فى مقدمة الاعتبار أن هذه الجفوة ربما كانت بسبب ميل من أسامة للتشيع لحظة صلاح الدين وهو نصير السنة ، ومحيى دولة أمير المؤمنين ، وسنة الخلفاء الراشدين والظر الاعتبار/١٦٤ .

(٤) لباب الآداب (٢٧ مقدمة) .

ولم يلبث أسامة بعد ذلك أن أدركه ما يدرك المُعَمَّرين حين يسلمهم الكِبَر إلى الضعف ، فيَمَلّون العيش ، ويسأمون طول البقاء ، فيكثرون الشكوى ، وفى ذلك يقول أسامة : « ... ولم أدر أن الكبر عام ، يعدى كل من أغفله الحِمام ، فلما توَقَّلْتُ[1] ذروة التسعين ، وأبلانى مر الأيام والسنين صِرْتُ كجواد العَلاَّف ، لا الجوادِ المِتلاف ، ولصقت من الضعف بالأرض ، ودخل من الكِبَر بعضى فى بعض ، حتى أنكرت نفسى ، وتحسّرت على أمسِى ، وقلت فى وصف حالى :

لمّا بَلَغْتُ من الحياة إلى مَدَى ... قد كنت أهواه تمنَّيْتُ الرّدَى

لم يُبقِ طولُ العمرِ منى مُنَّةً ... أَلْقَى بها صرفَ الزمانِ إذا اعتدَى

ضَعُفَت قُواىَ وخانَنِى الثِّقتانِ من ... بَصرِى وسَمْعِى حين شارَفْتُ المَدَى

فإذا نهضت حسِبْتُ أنِىَ حاملٌ ... جَبَلا ، وأمشى إن مَشَيْتُ مقيَّدا

وأَدِبُّ فى كفى العَصَا وعهِدْتُها ... فى الحرب تحملُ أَسْمَرًا ومهَنَّدا

وأَبيتُ فى لين المِهاد مُسَهَّدًا ... قلِقًا كأَنَّنِىَ افترَشْتُ الجَلْمَدا

والمرءُ يُنسَى فى الحياةِ وبينما ... بلغ الكمالَ وتَمّ عادَ كما بَدَا[2]

ى ــ وفاته :

عاش أسامة فى دمشق بقيّة أيامه إلى أن وافته منيته فى ليلة الثلاثاء ٢٣ من رمضان سنة ٥٨٤ هـ. (نوفمبر سنة ١١٨٨م) وقد بلغ من العمر ستا وتسعين سنة قمرية حفلت بالنضال وجلائل الأعمال ، ودفن من الغد فى سفح جبل قاسيون من شرقيّه ، قال ابنُ خَلِّكان : «وقد دخلتُ تربتَه وهى على جانب نهر يزيد الشمالى ، وقرأت عنده شيئا من القرآن ، وترحَّمْتُ عليه » وقد دَرَس قبره فيما درس من الآثار فى ذلك الجانب من الجبل ، وقامت على أنقاضه الدور الحديثة .

وهكذا انطوت صفحة مشرقة من صفحات البطولة العربية التى جمعت إلى صدق الجهاد سعة العلم ، وغزارة المعرفة ، وعمق الفكر . ؟

مصطفى حجازى

القاهرة فى { ٣ / ١١ / ١٣٨٧ هـ
الموافق ٢ / ٢ / ١٩٦٨ م }

(١) التوقل : الاسراع فى الصعود .

(٢) «يشير إلى معنى الآية الكريمة : اللهُ الذى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعف ثم جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْف قُوَّةً ثم جَعَلَ من بَعْدِ قُوّة ضَعْفاً وشَيبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وهو العَلِيمُ القَدِيرُ » (الروم / ٥٤)

ترجمة لمقدمة المصورة الروسية *

الطبعة الحالية تعرض صورة طبق الأصل للمخطوطة الفريدة المحفوظة بقسم المخطوطات في معهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي بلينينجراد ، تحت رقم (C٣٥) .

وهي تحتوي على مؤلف لأسامة بن منقذ (١٠٩٥–١١٨٨م) هو «كتاب المنازل والديار» .

والمخطوطة بخط المؤلف أسامة ، وكان الفراغ منها بحصن كيفا (غير بعيد من مدينة ديار بكر ، المجاورة الآن لتركيا) في جمادى الأولى عام ٥٦٨ هـ (= ديسمبر عام ١١٧٢م) حينما كان في السابعة والسبعين من العمر .

وقد نال مؤلف هذا الكتاب في عصرنا هذا شهرة بفضل تأليفه لكتاب الاعتبار الذي ترجم إلى عدد من اللغات الأوربية ، ومن بينها اللغة الروسية [١] .

وأما الدراسة العلمية للنسخة المذكورة فإنها مرتبطة باسم عضو الأكاديمية «كراتشكوفيسكي» فقد أعطى في سنة ١٩٢٥ وصفا مفصلا للمخطوطة ، وأبرز مكانتها كأثر قديم بين مجموعة المؤلفات الأخرى في الأدب العربي في العصور الوسطى [٢] .

وقصة مصير المخطوطة ، وتاريخ اكتشافها تحت عنوان «معاصر أول حملة صليبية» تشكل واحدا من أروع الفصول في الكتاب المعروف لكراتشكوفيسكي «مع المخطوطات العربية [٣]»

---

* هذه المقدمه كتبها باللغة الروسية الأستاذ أنس خالدوف ، وقد ترجمها الى العربية صديقنا الفاضل الأستاذ رضـــوان ابراهيم فيأغسطس سنة ١٩٦٥ م وبعثت بها الى الأستـاذ خالدوف فأقرها ، وأثنى عليها ، وأبدى اعجابه بدقتها .

(١) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ترجمه عن العربية م. أ. سال محرر بمعاونة مقـــالات وتعليقات أغناطيوس كراتشكوفسكي (بطرجراد– موسكو ١٩٢٢ الطبعة الثانية) مع الاستعانة بمقالات أ. بليايف عن « عصر أسامة (موسكو ١٩٥٨) وفي نهـــاية أوراق الطبعتين نشـرة بيبليوجرافية بالأعمال المؤلفة عن أسامة والترجمات الأوربية لكتبه .

(٢) اغناطيوس كراتشكوفسكي (مؤلف مجهول بخط المؤلف السوري الأمير أسامة « رسائل الزملاء المستشرقين » الموضوع ١، ١٩٢٥، الصفحات ١ ـ ١٨) واغناطيوس كراتشكوفسكي مقالات مختارة (الموضوع ١١ موسكو ـ لينينجراد ١٩٥٦ص ٢٦٦ ـ ٢٨٣) .

(٣) اغناطيوس كراتشكوفيسكي بين المخطوطات العربية (موسكو ـ لينينجـــراد ١٩٤٥) الصفحات ٤٦ ـ ٥٠، وفي الترجمة العربية (ط دار التقدم بموســـكو ١٩٦٣ ص ١٦٣/١٧٣) واغناطيوس كراتشكوفسكي مقالات مختارة موضوع/١ (موسكو/لينينجراد ١٩٥٥) ص ٧١ ـ ٨٤)

و «كتاب المنازل والديار» يقدم ديوان شعر، أو على الأصح، مجموعة من الشواهد الشعرية مع التنويه بأسماء مؤلفيها .

كما يعلن المؤلف فى مقدمته سبب جمعها، مستخدما مذكراته عن الأحداث التى تركت فى نفسه أثرا لا ينسى مدى الحياة، ففى أغسطس عام ١١٥٧م دمر الزلزال الرهيب - إلى جانب المدن الأخرى فى شمالى سوريا - المدينة الأم لأسامة، وهى «شيزر» وكان كل أفراد أسرته على وجه التقريب محتشدين فى احتفال عائلى أقيم فى القصر، فهلكوا تحت الأنقاض، ومنذ زوال عهدهم اعتزل الأمير بعيداً عن الذكريات المرهقة يبحث عن السلوى فى الأشعار العربية .

وقد وجد فى أشعار الشعراء القدامى والمعاصرين له أصداء لمشاعره وأفكاره المضطربة تتردد فيها أنغام الحسرة على الأقارب والأصهار، والحنين إلى الوطن المهجور، وذكريات الأيام السعيدة الذاهبة إلى غير رجعة، وفراق الأحباب ورثاء الموتى، وحتمية القضاء، وضياع الجهود البشرية فى بهرج الحياة الأرضية .

وهذه الأنغام تأتى بصورة أساسية فى القسم الافتتاحى الغنائى لمعظم الأشعار العربية، وهو المسمى عادة بالنسيب أو «البكاء على الأطلال والمنازل» .

أما عن تكوين الكتاب فالمؤلف يعتمد على السمة الظاهرية البحتة، وقد رتبه فى ١٦ قسما، مقسمة أحيانا إلى أصغر، وأسامة يرتب المقطوعات الشعرية بفطنة مع تلك الكلمات التى يستعملها الشعراء عند توجيه الخطاب إلى المكان المهجور أو المخرب، حيث كان يعيش ذووه ...

فهذا المسكن المأهول والمنزل واستراحة الربيع، وآثار الترحال، والمدن، والبيوت ... مع جميع المترادفات المختلفة، والناشئة كذلك عن حياة الرحلة العربية[١] .

وهو يقدم مادة حقيقية غنية مجتمعة فى هذه الباقة بين يدى الباحث المعاصر فى شكل منظم؛ ومن الممكن أن يقدم معاونة قيمة فى الدراسة التاريخية للشعر العربى، وبخاصة التطور التاريخى لافتتاحيات القصائد العربية - «النسيب» . وهذا فى رأى اغناطيوس كراتشكوفيسكى هو المغزى الرئيسى للكتاب[٢] .

---

(١) اغناطيوس كراتشكوفسكى، مقالات مختارة، الموضوع ١١، صفحة ٢٧٤ .

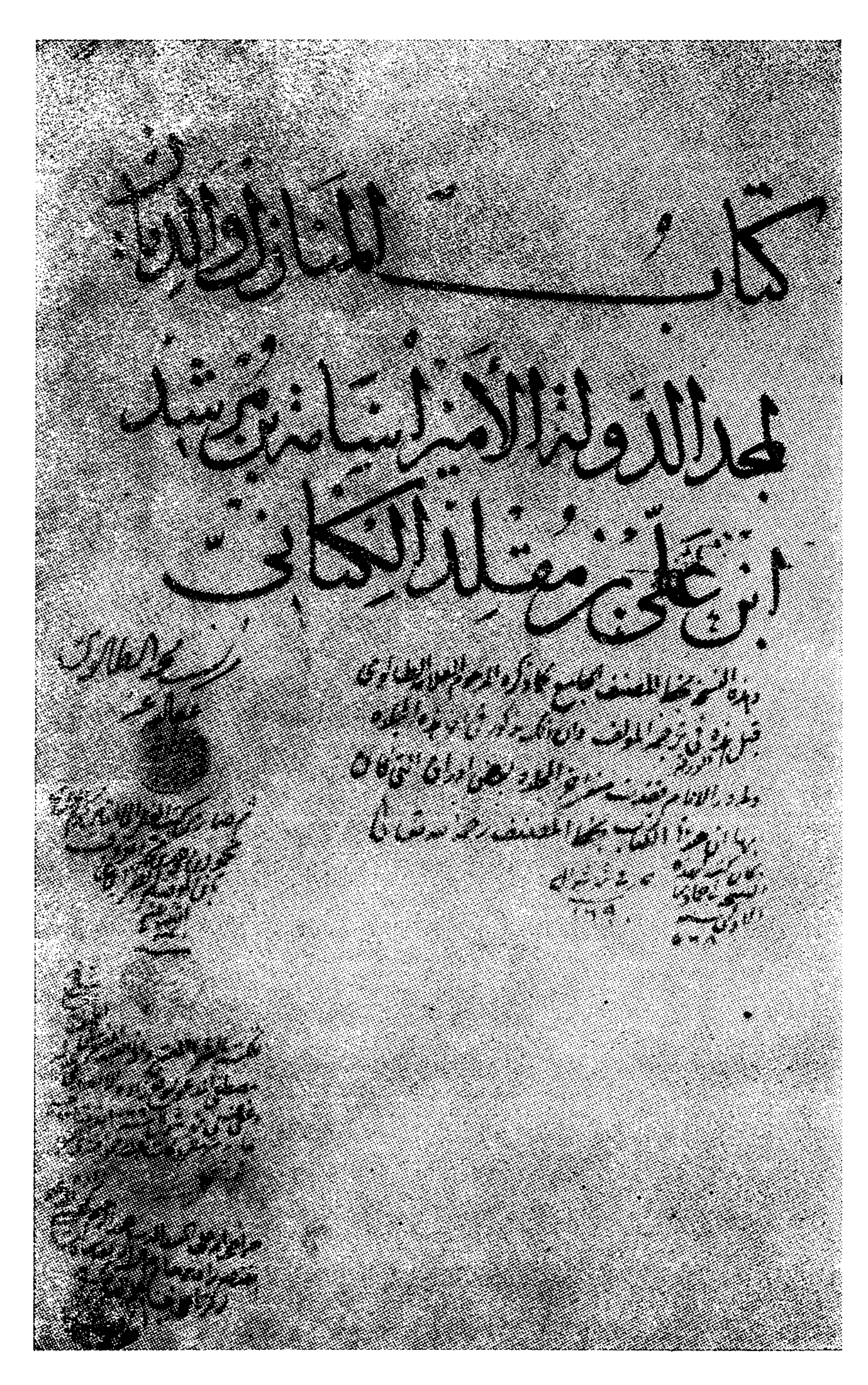
(٢) المصدر السابق صفحة ٢٨٣

و « كتاب المنازل والديار » يعطى فرصة لعرض الصورة الروحية الدقيقة والموقف الأدبى للمؤلف، وفيه معلومات عن ترجمة حياة المؤلف ، متممة ومؤكدة لما هو معروف من « كتاب الاعتبار » .

وفى النهاية فإن هذا الكتاب يحوى قدرا من الأشعار الهامة للشعراء السوريين والمصريين فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر [بعد الميلاد] ، وهى تقدم مساعدة هامة لنقاد النصوص عند نشر الآثار المقارنة ، وفى بعض الأحداث الهامة تلعب دور المصدر الأول .

أنس خالدوف




كتاب المنازل والديار
لمجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد
ابن علي بن منقذ الكناني

صفحة العنوان من الكتاب وانظر ص ٢٥



الصفحة الاخيرة من الكتاب وعليها تعليق كتبه محمد انور بن الموقع فى سنة ١٠٨٩ هـ وانظر/١٢ حاشية رقم (١)



فصل

في ذكر البيت

في ذكر البيت

قال الله تبارك وتعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى للعالمين ٥ قال مجاهد رحمه الله تفاخر
المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل وقال المسلمون
بل الكعبة افضل فانزل الله تعالى هذه الآيه ٥ ولا اختلاف بين
اهل السير انه اول بيت وضع للناس واختلفوا هل كان اول
بيت وضع للعبادة على قولين احدهما انه قد كان قبله بيوت كثيره
وهو قول علي بن ابي طالب رضوان الله عليه والحسن رضي الله عنه ٥
والثاني انه لم يوضع قبله بيت وهو قول مجاهد وقتاده ٥
وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بيت وضع في الارض اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي
بيت قال بيت المقدس قلت كم كان بينهما قال اربعون سنه ٥

هذه الصفحة سقطت من مصورة الكتاب التى نشرها معهد الشعوب الآسيوية بموسكو ، وانظر ص (٢٧ و ٢٨) .



المنازل والديار



بسم الله الرحمن الرحيم

[٤ ب]

قال [١] أسامةُ بنُ مُرشِدِ بنِ عليِّ بنِ مُقَلَّد بنِ نَصْرِ بنِ مُنْقِذِ الكِنانى -غَفَرَ اللهُ له ، ولجميع أُمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم- :

«الحمدُ لله ، وإن تَنَقَّلَت بنا الدنيا تَنَقُّلَ الظِّلال ، وتَقَلَّبَ بنا الدهرُ من حالٍ إلى حال ، وعفَّتْ رُسوم آثارنا ، واستولت يدُ الاعتداء على ديارِنا ، وتصَدَّعَ شمْلُنَا أَيْدِى سَبَا [٢] ، وتَشَعَّبتْ بنا سُبُلُ المذاهِبِ ، وأَخْنَت الحوادِثُ على معْشَرِى وآلِى ، وأَفْنَى الموتُ أُسودِى وأَشبالِى ، كلُّ ذلك بِقَدَرٍ جرى به القَلَمُ فى القِدَم ، وقضاءٍ سبقت به المَشِيئةُ قبل الخروج إلى الوجود من العَدَم ، أَلْقَى ما سرَّ من ذلك وساءَ بالتَّسْلِيم والرِّضا ، وأُفوِّض إليه جَلَّ وَعَلا فيما قَدَّرَ وقَضَى ، وأُقِرُّ بأنَّ ابتلاءَهُ بِعَدْلِه ، ومعافاتَه بفَضْلِه ، وأرجو من رحمته أن يكون ذلك كفَّارةً لذُنُوب سَلَفَتْ ، وموعِظَةً دَعَتْ عن المعاصى وصَرَفَت ، وأَنَّ ما نالَنا من الدنيا / وآفاتِها ، بذنوب اقْتَرَفْناها [٥ أ] فرُحِمْنَا بتعجيلِ مُكافاتِها ، وصلى الله على رسولِه الأَمين ، محمد خاتَمِ النَّبِيين ، الذى وصفه فى كتابه الكريم ، فقال : « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظِيم [٣] » وعلى آله الطَّيِّبين الطاهرين ، وأصحابه البَرَرَةِ المُتَّقِينَ ، وأزواجِه الطاهرات أُمَّهاتِ المؤمنين ، صلاةً دائِمَةً إلى يوم الدين .

وبعد : -جَعلك الله بِنَجْوَةٍ من النَّوائِب ، وأَصْفَى لك الحياةَ من كَدَرِ الشوائب ، ولا راعَكَ بحادثة تُنْسِى ما قبلها ، وتُصَغِّرُ ما بعدَها ، وتفتح من النَّكَباتِ أَبوابًا لا تستطيع سدَّها - فإنى دعانى إلى جمع هذا الكتابِ ، ما نال بلادِى وأَوطانى من الخراب ؛ فإن الزَّمان جرَّ عليها ذَيْلَه ،

---

(١) هذه الصفحة كتبت فى الأصل بخط مغاير ، وفى نهاية الكتاب تنبيه الى انه مما نقله الطالوى « محمد بن أحمد بن محمود الدمشقى (من أدباء القرن الحادى عشر الهجرى) اصلح به خرما وقع فى الكتاب وهو فى حوزته »

(٢) يقال : ذهبوا ايدى سبا ، أى متفرقين : شبهوا بأهل سبأ لما مزقهم الله فى الأرض كل ممزق ، ويقال أيضا : « تفرقوا أيادى سبا » قال كثير (ديوانه ١/ ٦٠) :

أَيادِى سَبَا يا عَزّ ما كنتُ بَعْدَكُم ... فلم يَحْلَ للعَيْنَينِ بعدَكِ مَنْظَرُ

(٣) سورة القلم/ ٤

وصرف إلى تَعْفِيَتها حوْله وحَيْلَه[1] ، فأَصْبَحَتْ «كأَنْ لم تَغْنَ بالأَمْسِ» موحِشَةَ العَرَصاتِ بعد الأُنْسِ ، قد دَثَرَ عُمرانها ، وهَلَكَ سُكَّانها ، فعادت مغانِيها رُسُوما ، والمَسَرَّاتُ بها حَسَرَاتٍ وهُموما ، ولقد وقَفْتُ عليها بعدما أَصابَهَا من الزّلازِلِ ما أَصابَها ، وهي «أَوّلُ أَرضٍ مسّ جِلْدى [٥ ب] ترابُها[2]» ، فما عَرَفْتُ دارى ، ولا دُورَ والدى وإخوتى ، ولا دُورَ أَعمامِى وبنى عَمّى وأُسرتى ، فَبُهِتّ متحَيِّرًا مستعِيذًا بالله من عظِيمِ بلائِه ، وانتزاع ما خَوَّلَه من نعمائِه

ثم انصرَفْتُ فلا أَبثُّكَ حِيبَتى رعِشَ القِيام أَمِيسُ مَيْسَ الأَصْورِ[3]

وقد عَظُمَت الرَّزِيَّة حتى غاضت بوادِرُ الدُّموع ، وتتابَعَت الزَّفرات حتّى أَقامت حَنايا الضُّلُوع . وما اقْتَصَرتْ حوادثُ الزمانِ على خَرابِ الدِّيارِ دون هَلاكِ السُّكّان ، بل كان هلاكُهم أَجمع ، كارتِداد الطَّرْفِ أَو أَسْرَع ، ثم استمرت النَّكَباتُ تَتْرَى ، من ذلك الحين وهلُمّ جرا ، فاستَرَحْتُ إلى جمع هذا الكتاب ، وجعلتُه بكاءً للدِّيارِ والأَحباب ، وذلك لا يُفيد ولا يُجْدِى ، ولكنه مَبْلَغُ جُهدِى ، وإلى الله عزّ وجل أَشكو ما لَقِيتُ من زمانِى ، وانفِرادى من أَهلى وإخوانى ، واغْتِرابِى عن بلادى وأَوطانى :

لو كانت الأَحْلامُ نَاجَتْنى بما أَلْقاه يَقْظَانَ لأَصْمانِى الرَّدى[4]

---

(١) الحيل : الحول ، قال ابن سيده : الحول والحيل (بفتح فسكون فيهما) والحول (بكسر ففتح) والحيله (بكسر فسكون) والحـول والمحاله (بفتح الميم) والتحول والتحيل ، كل ذلك الحذق وجودة النظر والقدرة على دقـة التصرف

(٢) اقتباس ؛ وهو عجز بيت صدره

« بِلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تَمائِمى . . »

والقافية برفع البـاء فى « ترابها » وقد ضبطه المصنف بالفتح عـلى المفعولية والفاعل جـلدى لتصح السجعة ، والبيت من ابيات ثلاثة نسبهـا البكرى فى معجـم ما استعجم فى رسم (منعج) لا مرأة من طيىء ، ومثلـه فى ياقـوت ونسـبها الشريشى فى شرح المقامات ٢٢٩/١ لرفاعة بن عاصم الفقعسى . وفى اللسان (عقق) من غير عزو ، وفى (نوط) نسبه الى رقاع بن قيس الأسدى .

(٣) البيت لأبى كبير الهـذلى ، وروايته فى ديوان الهذليين ١٠٢/٢ .

* رَعِشَ الجَنَانِ أَطِيشُ فِعْلَ الأَصْوَرِ *

وفى اللسان والتاج / بثث ، طيش

* رَعِشَ البَنَانِ اَطِيشُ مَشْىَ الأَصْوَرِ *

(٤) أصماه : قتلـه مكانه ؛ والاصـماء : القتـل دون تلبث ، والبيت لابن دريد من مقصورته

وإليه – عز وجل – أرغَبُ فى أن يَمُنَّ علىّ وعليهم بغُفْرانِه ، ويعوّضَنا برحمتِه فى دار رضوانِه ، [٦ أ] إنه لا يرد دعاءَ من دعاه . ولا يخيِّب رجاءَ من رَجاه .

وقد جعلت هذا الكتابَ فصُولا ؛ فافتتحت كل فصل بما يُوافق حالى . ثم أَفَضْتُ فيما يوافق ذا القلبِ الخالى . لكيلا يأتِىَ الكتابُ وهو كُلّه عويلٌ ونياحة ؛ ليس فيه لسوى ذِى البَثِّ راحة ، على أن رَزايا الدّنيا كالأَجَل ؛ تُمْهِل ولا تُهْمِل . فإن تولَّت اليوم فغَداً تُقْبِل :

* فما أَحَدٌ مِن رَيْبِهِنّ سَلِيمُ[1] *

وتَتَبُّع هذا المعنى صعبٌ وحصرُه لا يُمْكن . وقد أوردتُ منه ما يُبَرِّد اللَّوْعَة ، ويسكِّن الرَّوْعة ، والعذرُ إلى من وقَفَ عليه مبذُول ، وهو عند الكرام مقبول .

فصول الكتاب

(١) هذا عجز بيت للتهامى ، والبيت بتمامه :

فإنْ تَكُن الأَيّامُ فرَّقْنَ بيننا فمَنْ ذا الذى مِنْ رَيْبِهِنّ سَلِيمُ ؟!

وقد أورده المصنف فيما اختاره فى « فصل فى ذكر البلاد » ص ١٤٥ أ

١ ـ فصل فى ذكر المنـــازل

عن ابن أَبِى مَرْيَمَ قال : مررتُ بِسُوَيْقَة عبد الوهاب[١] وقد خَرِبَت ، وعلى حائط. منها مكتوبٌ :

هذِى منازلُ أقوامٍ عَهِدْتُهُمُ ... فى خَفْضِ عيش وعِزٍّ ماله خَطَرُ

صَاحَتْ بهم نائباتُ الدّهرِفانقَلَبُوا ... إلى القُبورِ ، فلا عينٌ ولا أثَرُ

وقال الأَسودُ بن يَعْفُرٍ[٢] :

ماذا أُرَجِّى بعد آل مُحَرِّقٍ[٣] ... دَرَسَتْ[٤] منازلُهُمْ ، وبعد إيادِ[٥]

أَهلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ ... والقَصْرِ ذى الشُّرُفات من سِنْدادِ[٦]

جَرَتِ الرِّياح على مَحَلِّ دِيَارِهِمْ ... فكأَنَّمَا كانُوا على مِيعادِ

فإذا النَّعِيمُ وكلُّ مايُلْهَى بهِ ... يومًا يصِيرُ إلى بِلًى ونَفَادِ

ولقد غَنَوْا فيها بأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فى ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأَوْتَادِ

وقال بِشْر بن أَبِى خازم[٧] :

[٧ ب] أَىَّ المنازل بعد الحَولِ تَعْتَرِفُ ... أم هَلْ صِباكَ ـ وقد حُكِّمتَ ـ مُنْصَرِفُ[٨] ؟!

---

(١) سويقة عبد الوهاب : محلة قديمة بغربى بغداد (المراصد / ٧٥٩)

(٢) الأسود بن يعفر النهشلى ، أعشى نهشل، والقصيدة التى منهـا الأبيـات فى ديوانه فى الصبح المنير . ويقابلها الأبيات ٨ و ٩ و ١١ و١٥ و١٢ وهى من مختارات أشعار العرب وحكمها ؛ مفضلة مأثورة ، وانظر فى تخريجها المفضليات ٢/١٥ .

(٣) محرق : لقب بعض ملـوك العـرب والمعنى هنـا امرؤ القيس بن عمر ، كما نص عليه صاحب القاموس .

(٤) فى المفضليات والقاموس «حرق» (تركوا منازلهم) وفى طراز المجالس ١٩ « نزلوا »

(٥) اياد : حى من معد

(٦) الخورنق : قصر بالحيرة بظاهرها ، يقال : ان النعمان بن المنذر ابتناه ، والذى بناه له رجـل يقال له سنمار وقصته مشهورة ، والسدير: موضع معروف بالحيرة، وقيل: نهر ، وبارق ماء بالعراق من أعمال الكوفة وهو الحـد من القادسية الى البصرة ، وسنداد : نهر أسفل من الحيرة بينها وبين البصرة ، ورواية السهيلى فى الروض الأنف (١/٦٨) للشطر الثانى :

* والبَيْتِ ذى الكَعْباتِ من سِنْدادِ *

(٧) الأبيات فى ديوانه / ١٣٧ ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان ١ و٢ و٤ و٩ و ١٠.

(٨) فى الديوان :

* أم ما صِباكَ ، وقد حُكِّمتَ ، مطَّرِفُ *

وفى هامشه أشار محققه الى ان (أم هل صباك .. الخ) رواية احدى نسخ الديوان .

أم ما بُكاؤك فى دار عَهِدْتَ بها عَهْدًا ، فأَخْلَفَ ، أم فى أيِّهَا تَقِفُ ؟!

كأنَّها بعد عَهد العاهِدِينَ بها من الذُّنُوب وحَزْمَى[1] واحف صُحُفُ

[الذَّنوب ، وحزما واحف] : مواضع

أَضْحَت خلاءً قِفارًا لا أَنيسَ بها إلا الجَوَازِئُ والظِّلْمانُ تَخْتَلِفُ[2]

الجوازئُ : بقر الوحش تجتزئُ بالعُشب الرُّطْب عن الماء ـ والظِّلْمان : ذكور النعام .

فأَصْبَحُوا بعد نُعماهم بمَبْأَسَةٍ والدهرُ يَخْدَعُ أحيانا فينصرِفُ[3]

قوله : يخدعُ ، أى يخالف ما تريد ، يقال للرجل إذا وعد ثم أخلف : خدع ، وإذا أطلع الضبُّ رأسَه ثم أدخله يقال : خدع الضبُّ ، وخدع الرِّيق ، إذا تغيّر وفسد ، وخدَعَت السوق ؛ إذا كَسَدت ، وقوله : « فينصرف » أى ينقلب ويحول .

تبكى لهم أَعْيُنٌ من شَجْوِ غيرهم وإن بَكى لهمُ باكٍ فقد لَهِفُوا

[لهفوا] : أى الحق ذلك[4]

وقال ابنُ أبى طاهِر[5] :

يا مَنْزِلًا لَعِبَ الزمانُ بأَهْلِه طَوْرًا يُفَرِّقُهم ، وطَوْرًا يَجْمَعُ

أَين الذين عَهِدتُهم بك مرَّةً كان الزمانُ بهم يَضُرُّ وينفعُ

---

(١) فى الديوان « وحزمى واحف » وفسر الحزم فقال : هو كالحزن : الغليظ المرتفع من الأرض .

وفى معجم البلدان فى رسم (الذنوب) روايته :

* بَيْنَ الذنوب وحَزْمَيْ واهِبٍ صُحُفُ *

(٢) التفسير التالى للمؤلف ، وقد اتبع ذلك فى مواضع قليلةمن الكتاب .

(٣) فى الديوان (وينصرف) .

(٤) هذا تفسير المؤلف ؛ وفى الديوان

* وإنْ بَكَى منهُم باكٍ فَقَدْ لُهِفُوا *

وضبط « لهفوا » بالبناء للمفعول ، وفى اللسان يقال : لهف فهو ملهوف ، أى حزين قد ذهب له مال أو فجع بحميم .

(٥) الأبيات ١و٢و٣و٤ أعلام الناس /١٥٣ من غير عزو ؛ وحكى أن الرشيد قراها مكتوبة فى لوح على أحد جدران بنى برمك بعدما أبادهم ، وزاد بعد البيت الثالث :

ذَهَبَ الذين يُعاشُ فى أَكْنافِهِمْ وبَقَى الذين حَياتُهم لا تَنْفَعُ

وفى محاضرات الأدباء ٢/٢٦٩ أبيات لابن أبى طاهر فى مثل هذا المعنى

والبيتان ١و٢ أوردهما ابن خلكان (وفيات الأعيان ١/٣١٣) فى ترجمة جعفر بن فلاح من قوادِ المعزِ لدين الله الفاطمي ، حكى بعضهم أنه قرأها على باب قصر جعفر بعد قتله .

[١٨]

أَصْبَحْتَ تُفْزِعُ من رآكَ ، وطالمَا ... كُنَّا إليك من الحوادِثِ نَفْزَعُ

أيام لا أَغْشَى لأَهلِكَ مَرْبَعًا ... إلا وفيه للمَسَرَّةِ مَرْبَعُ

لَهْفِى عليك ، لو آن لَهْفًا يَنْفَعُ ... أَو أن دهرًا راحِمٌ من يجْزَعُ

ما كان ذاك العيشُ إلا خُلْسَةً ... خَطْفًا كَرَجْعِ الطَّرْفِ أَو هو أَسْرعُ

وقلت [١] :

يا ليت أن ديارَنا كانت كذا ... طورًا تُفَرِّقُنا وطورًا تجمعُ

لكنها دَرَسَت وأوحشها الردَى ... من أهلها فهى القِفار البلقعُ

لا يُرتَجَى لهم إيابٌ جامع ... لِشَتاتِهم حتى يَضُمَّ المجمعُ

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى العاص بن وائل :

وأصبَحَتِ المنازلُ وهى قَفرٌ ... مُخَلَّاةً عليهِنَّ القَتامُ

كأَنَّ النَّاس بعدَكَ نَظْمُ سِلْكٍ ... تَقطَّعَ لا يَقُوم له نِظامُ

وقال المتَنَبِّى أَبو الطَّيِّب أَحمدُ بن الحُسَيْن : [٢]

أَبَنِى أَبِينا نحْنُ أَهلُ منازِلٍ ... أبدًا غُرابُ البينِ فينَا [٣] يَنْعِقُ

نبكى على الدُّنْيَا وما من مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُم الدّنيا فلم يَتَفرَّقُوا

أَين الأَكاسِرةُ الجبابِرَةُ الأُلَى ... جَمَعُوا الكنوزَ فما بَقِينَ ولابَقُوا

من كلِّ من ضاقَ الفَضاءُ بجيْشِه ... حتى تَوَى [٤] فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

خُرْسٌ إذا نُودُوا ، كأَن لم يَعْلَمُوا ... أَنَّ الكلامَ لهم حَلالٌ مُطْلَقُ

[٨ ب]

وقال البُحْتُرِىّ [٥] :

وما أَهْلُ المنازِل غيرُ رَكْبٍ ... مناياهم رَواحٌ وابتِكارُ

لنا فى الدَّهر آمالٌ طِوالٌ ... نُرَجِّيها ، وأَعْمَارٌ قِصارُ

---

(١) فى هامش الأصل (ص٧ب) كتبت هذه الأبيات ، ولم أجدها فى ديوان أسامة المطبوع .

(٢) الأبيات فى ديوانه ١/٤٧٨ من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد بن أوس الأزدى ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات من٧ــ١١

(٣) الديوان « فيها » والضمير للمنازل ،وذكر غراب البين ، لأن العرب تتشاءم بصياحه

(٤) كذا فى الأصل ، ومعنى توى : هلك ،ورواية الديوان « ثوى »

(٥) البيتان فى ديوانه ٢/٤٦ (ط البرقوقى) من قصيدة فى الحسن وهب مطلعها :

أَناةً أَيُّها الفَلَكُ المُدارُ ... أَنَهْبٌ ما تُطَرِّقُ أَم جُبارُ ؟

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان ٤و٥ والرواية هنا متفقة مع رواية الديوان

وقال أيضا :

يا منزِلًا نَسَجَتْ له أَيْدِي الصَّبا ... من حَوْكِهِنّ سَبَائِبًا وبُرودًا
هَلْ كنتَ إلا مَنْزِلاً عَمَدت له ... عُقَبُ الزَّمان فغادَرَتْه عَمِيدًا ؟!

وقال أيضا :

قِفا نُعْطِ المَنَازِلَ من جُفُونٍ ... لها في الشَّوْقِ أَحْشَاءُ غِزَارُ
عفَتْ آياتُهُنَّ ، وأَيُّ رَبْعٍ ... يكونُ له على الزَّمَنِ الخِيارُ ؟!

وقال أَبو تَمَّام ، حَبِيبُ بنُ أَوْسٍ الطَّائِيّ[1] :

يا مَنْزِلًا أَعْطَى الحوادِثَ حُكمَها ... لا مَطْلَ في عِدَةٍ ولا تَسْوِيفَا[2]
أَرْسَى بِنادِيكَ النَّدَى وتَنَفَّسَتْ ... نَفَسًا بعَقْوَتِك الرِّياحُ ضَعِيفًا[3]
شَعِفَ الغَرَامُ[4] بعَقْوَتَيْكَ ، ورُبّما ... رَوَّت رُباك الهائِمَ المَشْعُوفَا
ولَئِن نَرَى[5] بكَ مُلْقِيًا أَجْرَانَه ... ضَيْفَ الخطوبِ ،لقد أَصابَ مَضِيفَا
وهي الفَجَائِعُ[6] لم تَزَلْ نَكَباتُها ... يَأْلَفْنَ رَبْعَ المَنْزِلِ المَأْلُوفا
خَلَفَتْ بعَقْوَتِكَ الشُّئونَ[7] وطَالما ... كانَتْ بناتُ الدّهرِ عَنْكَ خُلُوفَا
أَيامَ لا تَسْطُو بأَهلِكَ نَكْبَةٌ ... إلا تراجعَ صَرْفُها مصرُوفَا

[٩ أ]

---

(١) الأبيات في ديوانه ٢/٣٧٦ وما بعدها من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات من (٢-٨) وقبلها ؛ وهو المطلع :

أَطْلالُهُمْ سَلَبَتْ دُماها الهِيفَا ... واسْتَبْدَلَتْ وحْشاً بِهِنّ عُكُوفَا

(٢) التسويف : المطل . والمعنى : كأن المنزل وعد الحوادث أن يدرس ويستوحش ، فلم يقدر على مطلها ، واخلاف وعده اياها .

(٣) أرسى : أقام ، العقوة : الموضع المتسع أمام الدار أو المحله ، أو حولهما .

(٤) الديوان « شعف الغمام » وهو أحسن للمعنى ، والشعف – بفتح الشين والعين – : غلبة الحب على القلب ، استعاره لمواصلة المطر في هذا المكان فكأنه قد شعف به .

(٥) في الديوان « ولئن ثوى بك ملقيا اجرامه » وروى « مضيفا » بضم الميم على انه اسم فاعل ، أى لقد وجد عندك ضيف الخطوب من يحسن ضيافته ، قال التبريزي : ويروى : (مضيفا) بفتح الميم على انه اسم مكان بمعنى موضع الضيافة .

(٦) الديوان « وهي الحوادث لم تزل .. »

(٧) في الديوان (السنون) أى الجدب والقحط ، وبنات الدهر : حوادثه وشدائده ، والخلوف الغائبون يقال : حي خلوف ، اذا غاب عنه الرجال ، والمعنى : لما ارتحل عنك أهلك خلفتهم فيك الشدائد ، وقد كانت غائبة عنك اذ كانوا يحلونك

وقال أيضا (١) :

وأبي المنازلِ إنها لشُجُونُ ... وعلى (٢) الصّبابةِ إنّها لتَبِينُ

فاعقل بنِضْوِ الدارِ نِضْوَك نَقْتَسِم ... فيها الصّبابةَ : (٣) مُسْعِدٌ ، ومُعينُ

لا تَمْنَعَنّى وَقْفَةً أَشْفِي بها ... داءَ الصّبابَةِ (٤) إنها ماعُونُ

واسْقِ الأَثَافِيَ من شُئونكِ (٥) رِيَّها ... إن الضَّنِينَ بدمعهِ لَضَنِينُ

وقال أبو نُواس الحسنُ بنُ هانئ (٦) :

عفَا المُصَلَّى فأَقْوت الكُثُبُ ... مِنِّي فالمِرْبَدانِ فالَّلبَبُ (٧)

فالمَسْجِدُ الجَامِعُ المروءةِ والمَجْ ... دِ عفَا فالصُّمَّانُ (٨) فالرُّحبُ

منازلٌ قد عَمَرْتُها زمَنًا ... حتى بدا فى عِذَارِىَ الشُّهُبُ (٩)

فى فِتيةٍ كالسُّيوفِ هَزَّهُمُ ... شَرْخُ (١٠) شبابٍ وزانَهُمْ أَدبُ

ثم أرابَ الزَّمَانُ فاقتسمُوا ... أَيْدِى سبَا فى البلادِ فانشَعَبُوا (١١)

لن يُخْلِفَ الدهرُ مثلَهم أبدًا ... عليَّ ، هيهات شأْنُهم عَجَبُ !

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٣/٣٢٣ من قصيدة يمدح بها الواثق ، وهى من أولها بترتيب الديوان

(٢) الديوان «وعلى العجومة» وهى العجمة ، أى عدم الافصاح والابانة .

(٣) الديوان « فرط الصبابة » ونضو الدار : رسمها ، ونضوك : راحلتك ، والمعنى : احبس بها مطيتك ، حتى يبكى المشتاق الى من كان فيها .

(٤) الديوان « داء الفراق ، فانها .. » والماعون : ماكان سهلا يسيرا من الأشياء .

(٥) الديوان « من شئونى » وفى هامشه اشارة الى انه روى « شئونك » فى بعض نسخ الديوان .

(٦) الأبيات فى ديوانه / ٣ وهى من أول القصيدة على التوالى بترتيب الديوان .

(٧) عفا الأثر : زال وامحى ، واقوت الدار : خلت ، والكثب : واحدها كثيب ، وهو الرمل المستطيل المحدودب ، والمربدان : تثنيه مربد ، وهو موضع بالبصرة ، واللبب : موضع

(٨) الديوان « الصحان » وفسره محققه بانه جمع « صحن » وهو من الدار : وسطها ، اما الصمان فهو موضع .

(٩) كنى ببدو الشهب فى عذاريه عن شيبه

(١٠) شرخ الشباب : أوله ونضارته .

(١١) أراب الزمان : صار ذا ريب ، وريبه : حادثه ، وسبأ : أصله اسم رجل ، وهو جد قديم يجمع قبائل اليمن (مصروف ويترك صرفه ويهمز ، ولا يهمز) ضرب بهم المثل فى التفرق ، لأنه لما غرق مكانهم ، وذهبت جناتهم تبددوا فى البلاد ، فقيل فى المثل : « تفرقوا أيدي سبا » ويقال أيضا « أيادى سبا » قال كثير :

أيادِى سَبَا ياعَزُّ ماكنتُ بَعْدَكُم ... فلم يَحْلَ للعَيْنَيْنِ بعدَكِ مَنْظَرُ

وانشعبوا : تفرقوا .

وقال البُحْتُرِيّ[1] :

فَيْءٌ إليْكَ ، فقد تَخَوَّنَ أُسْرتى حتفُ الرَّدى وتحاملُ النَّكباتِ[2]
تلك المَنَازِلُ ما تُمَتِّعُ واقِفًا بزُهَى الشُّخوصِ ، ولا وغَى الأَصواتِ
لن تُخْلِفَ الأيامُ لى بدَلًا بهم أَيْهات من بدل بهم أَيْهاتِ[3]
ومُعَيِّرى بالدَّهرِ يعلمُ فى غَدٍ أنَّ الحصادَ وراءَ كُلِّ نباتِ

وقال كاسبُ بنُ غِياث أحدُ بنى جِنّ :

هل منزلٌ دارِسٌ يُبِينُ سؤالَ من ما لَه مُعِينُ ؟!
أَقوى وأَوْدَتْ به اللَّيالى وصرْفُ دهرٍ له فُنونُ
فما برَبْعَيْهِ من أَنيسٍ كأَنَّ من فيهِ لم يكُونُوا
صاحَ بمَنْ حلَّه زمانٌ واختَرَمتْهُم به المَنونُ[4]
فكُلُّ عهدٍ لهم مَحِيلٌ وكل رَبْعٍ لهم دَفِينُ
سوى الذى حلَّ فى فؤادى من حُبِّهم فهو لا يَبِينُ[5]
وكلُّ حيٍّ إلى افتراقٍ تشعَبُهم نِيَّةٌ شَطُونُ[6]

[١١٠]

وقال آخر :

دعْنِى وتسكابَ دمعى فى منازِلِهم فللشُّئُون ولى من بعدِهم شانُ
أَحبابَنا ما الديارُ اليومَ بعدَكُم تلك الدّيَارُ ولا الأَوطانُ أَوطانُ !

وقال القاضى أبو المجد محمد بن عبد اللهبن سليمان رحمه الله :

يا مَعْشَرَ الأَحبابِ قد أَضحت منازِلُهم قُبُورا
كنتُ الصغيرَ فليتَنى لم أَدْعَ بعدهُمُ كَبِيرَا

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١/٦٩ من قصيدةقالها فى الفخر وعتاب بعض قومه ، **مطلعها** :
أَحْبِبْ إلىّ بطيْفِ سُعْدَى الآتِى وطُروقِه فى أَعْجَبِ الأَوْقاتِ
ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوانالأبيات (٦ و٧ و ١٣و ١٤)
(٢) الديوان « حيف الردى »
(٣) الديوان « لن تحدث الأيام »
(٤) اخترمتهم المنون : استأصلتهم ، وفىاللسان / منن « المنون : الموت ، وقيل : المنون الدهر ، ولفظه يذكر ويؤنث ، فمن انث حمل على المنية ؛ ومن ذكر حمل على الموت » .
(٥) لايبعد ولا ينفصل
(٦) النية هنا الوجه الذى ينويه المسافر ،والشطون : البعيدة

عن زُنام الزّامِر قال : لما اشتَدّ بالمُعْتَصِم المرضُ – فى مرضه الذى مات فيه – أفاقَ فى بعضِ الأيام ، فقال : هَيِّئُوا لى الزّلال ؛ لأَركب فيه فى دِجْلة غدًا ، فَعَمِلُوه . فركب وركبتُ معه ، فمرَّ فى دِجْلةَ بإزاءِ منازِله ، فقال : يا زُنام ازْمُرْلى :

يا مَنْزِلًا لَمَ تَبْلَ أَطلالُه حاشا لأَطْلالِكَ أن تَبْلَى

[١٠ ب] لم أبكِ أَطلالَكَ ، لكنَّنى بكيْتُ عيشِى فيك إذ وَلَّى

والعيشُ أَولَى مابكاهُ الفتى لا بُدَّ للمحزونِ أن يَسْلَى

قد كانَ لى فيكَ هوًى مرةً غيَّرَهُ الدهرُ وما مَلّا

فما زال ينتَحِبُ حتى عادَ إلى منزله (١) .

ماتَ المعتصمُ رحمه الله لثمانى عشرةَ بقيت من ربيع الأَول سنة سبع وعشرين ومائتين .

وحدثنى من أثق به ، أنه لما وقع بمصرَ الغلاءُ العظيمُ فى أيام المُسْتَنْصِر باللهِ ، واستولت كُتامَةُ والجندُ على الدولة ، واستنفَدُوا مافى الخَزَائِنِ من الأَموالِ ، وتضَعْضَعَت الدولة ، أمر المُستنصرُ بإحضار ابن الجَوْهَرِىِّ الواعظ ، فحضر ، ونُصِب له كرسىٌّ ، فلما صَعِد على الكرسى تلفَّت يمينا وشِمالا إلى نواحى القصر ، ثم أنشد :

يا مَنْزِلًا لم تبلَ أَطلالُه حاشا لأَطلالِك أن تَبْلَى

الأَبيات ، فارتفع البكاءُ والضجيجُ فى القصر ، وما زاد على ذالك ، يستعادُ منه ويكرِّره حتى انقضَى المجلس .

[١١ أ] وقال آخر :

أُحِبُّ منازِلَ الأَحبا ب إن غابُوا وإن حضَرُوا

وأَسْقِيها دموعَ العَيـ ـنِ إن لم يَسْقِها المطرُ

بقدْرِ كرامَةِ الأَحْبا بِ يُكرمُ بعدها الأَثَرُ

ولولا راحةُ الشكوى لكانَ القلبُ ينْفَطِرُ

(١) ورد هذا الخبر فى الفخرى /١٧٢ (ط الرحمانية ١٣٤٠ هـ) ومعه الأبيات الثلاثة الأول كروايتها هنا ،، وأورده الشريشى فى شرح المقامات ١/١٨٢ والبيت الثالث هنا مقدم فيها على الثانى ، وزاد أن المعتصم توفى بعد خمسة أيام من هذه الواقعة .

وقال آخر[1] :

أَيا منزلًا بالدَّيْرِ أصبحَ خَاليًا ... تَلاعبُ فيه شَمْأَلٌ ودَبُورُ

كأنَّكَ لم تَسْكُنْكَ بيضٌ نواعمٌ[2] ... ولم تَتَبَخْتَرْ فى فِنائِك حُورُ

وأبناءُ أملاكٍ كرامٌ وسادَةٌ[3] ... صَغِيرُهم بين[4] الأَنام كَبيرُ

إذا لَبِسُوا أَدْراعَهم فضَراغِمٌ[5] ... وإن لبسوا تِيجانَهم فبُدُورُ

وقال الحارثُ بن شَدّاد، أخو بنى كَعبِ بن عمرو :

إلى الله أشكو ما أرى من عشيرتى ... وما كنتُ فيما قد مَضى اسْتَزِيدُها

تُذَكِّرُنِيهِم وِحْدَتِى ، ومنازِلٌ ... سواءٌ علينا رَثُّها وجَدِيدُها

أرى النَّاس راعُوا للدِّيار وللحَيا ... وكعبُ بن عمرو لا يَرِيعُ[6] شَرِيدُها

[١١ب]

أنشدنى الخطيبُ العالِمُ قدوةُ الشَّريعة «أبو زكريا يحيى بن سلامة الحَصْكَفِىّ» - رحمه الله - عند اجتماعى به بمَيّافارِقين[7] فى سنةِ سبعٍ وعشرين وخَمْسمائة لبعضِ أهلِ المَعَرَّةِ ، وقد اجتازَ بقرية من أعمالِ المَعَرَّةِ يقال لها : «سِيَاث» وفيها عُلوجٌ من الإفرنْجِ يهدِمُون من جُدرانِها الحجارةَ ، ويكسرونَها بالمعاولِ ؛ ليخِفَّ عليهم حمْلُها ، فوقف كالمتأسِّف ، وقال[8] :

مَرَرْتُ[9] بربع من سِياثَ فهاجَنى ... بها زَجَلُ الأحجارِ تحت المعاوِلِ

تصدَّى[10] لها عبلُ الذِّراع ، كأَنَّما ... جنى[11] الدهرُ فيما بينهم حَرْبَ وائِلِ

---

(١) هذه الأبيات اوردها ياقوت فى معجم البلدان عند ذكر (دير الرصافة) والبكرى فى معجم ما استعجم ٥٨٠ - ٥٨٢ من قصيدة ذكر لها قصة مع الخليفة المتوكل ، وانه وجدها مكتوبة فى رقعة ملصقة على أحد جدران دير الرصافة؛ وكان الذى كتبها رجل من بنى زنباع الجذامى، وامه من موالى هشام بن عبد الملك .

(٢) فى معجم ما استعجم « بيض اوانس »

(٣) فى المصدر السابق « عباشم سادة »

(٤) فى المصدر السابق « عند الأنام »

(٥) فى المصدر السابق « فعنابس » .

(٦) الريع : العود والرجوع ، يقال : راع يريع ، وراه يريه ، اى رجع (اللسان) .

(٧) ميافارقين - بفتح أوله وتشديد ثانية وكسر الراء والقاف : اشهر مدينة بديار بكر (مراصد الاطلاع) .

(٨) فى معجم البلدان اورد ياقوت هذه الأبيات فى رسم (سياث) من غير عزو ، وفى خريدة القصر (قسم شعراء الشام ج ٢/٧٠٦٩)هذه الأبيات منسوبة الى ابى الرضا عبد الواحد ابن الفرج بن النوت المعرى ، وفيها ترجمة له .

(٩) فى الخريدة (عبرت) وماهنا يوافق رواية معجم البلدان .

(١٠) فى الخريدة ومعجم البلدان (تناولها عبل الذراع ..)

(١١) فى الخريدة ومعجم البلدان (رمى الدهر ..)

فقلتُ له : شُلَّتْ يَمينُك خلِّها لِمُسْتَخْبِر أو واقِف أو مُسائِلِ[1]

منازلُ قوم حدَّثتنا حديثَهُم ولم أرَ أجْلَى[2] من حديثِ المَنازِلِ

وقال آخر :

إذا أنتَ لم تَرْعَ العهودَ لمَنْزِلٍ فلست براعٍ عهدَ أهْلِ المَنازِلِ

ولا سِيّما دارٌ وُلِدْتَ برَبْعِها وكنتَ بها جذلانَ فى خَيْرِ آهِلِ[3]

[١١٢ ا]

وقال عُمَرُ بنُ أبى ربيعة المَخْزُومى[4] :

هاجَ ذا القلبَ منزِلُ بالبُلَيَّيْنِ مُحْوِلُ[5]

غيَّرت آيَه الصَّبا وجَنُوبٌ وشَمْأَلُ

فلَئِن بانَ أهلُه لَبِمَا[6] كان يُؤْهَلُ

قد أرانا بغِبْطَةٍ فيه نَلْهو ونَجْذَلُ[7]

وقال جَرير بن عَطِيّة بن الخَطَفَى[8] :

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلةِ اللِّوَى والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ

ضَرَبتْ معارِفَها الرّوامِسُ بعدَنا وسِجَالُ كلّ مُجَلجِلٍ سَجّامِ

ولقد أراكِ ـ وأنتِ جَامِعةُ الهوَى يُثْنَى[9] بعهْدِكِ ـ خيرَ دارِ مُقامِ

---

(١) فى الخريدة « لمعتبر أو زاهد .. » وفى معجم البلدان « لمعتبر أو زائر .. »

(٢) فى ومعجم البلدان « احلى » بالحـــاء المهملة .

(٣) يقال : منزل آهل : به أهله ، ومكان آهل : له اهل ، قال سيبويه : هو على النسب

(٤) الأبيات فى ديوانه / ٢٠٧ ويقابلهـا من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٥ و٦)

(٥) فى الديوان ورد عجز البيت هكذا : « دارِسُ الآيِ مُحْوِلُ » .

والبليين : تثنيه بلى ، قال البكرى فى معجم ما استعجم (١/٢٧٨) البلى ، مثل قُصَىٌّ موضع فى شعر عمر بن ابى ربيعة ، وقد وردالبلى فى شعره مثنى » فلعل البكرى يريد هذا البيت .

(٦) الديوان : « فبما » (٧) نجذل : نفرح ونسر .

(٨) الابيات فى شرح ديوان جرير ٥٥١ من قصيدته التى مطلعها :

سَرَت الهُمُومُ فبِتْنَ غيرَ نِيامِ وأخُو الهُمومِ يَرُومُ كُلَّ مَرامِ

وهى نقيضة قصيدة الفرزدق التى مطلعها

عَفّى المَنازلَ آخِرَ الأيّامِ قَطْرٌ ومَوْرٌ واختِلافُ نَعامِ

وانظر النقائض ١/٢٥٦ (ط مصر) و يقابل ابيات جرير من القصيدة الآبيات من(٢ـ٥)

(٩) فى الديوان « نثنى »

فإذا أتيتُ على المنازل باللِّوى   فاضت دُمُوعِى غيرَ ذاتِ نِظام

وقال أبو حَيَّة النُّمَيْرِىّ(١) :

ألا حَيِّيا قَصْرًا رسومَ المنازل   بسُلَّان سَلْمانَيْنِ أو مَيثِ عاقلِ(٢)

خَلَتْ من أنيسٍ صالِحينَ فأصْبَحَتْ   مَرَادًا لِوُحْدانِ النِّعاجِ الخواذِلِ(٣)

[١٢ب]

بما قد أرَى الحىَّ الجميعَ بغِبْطَة   بها ، والنوى قَطَّاعَةٌ للوسائِل

وقال أيضا (٤) :

أأبكاكَ رسمُ المنزِلِ المُتقادِمِ   بأمْراشَ أقوى من حُلولِ الأخارِمِ

[أمراش] : موضع(٥) :

فأمْرَتْ به عيناك لما عَرَفْتَها   بمُبْتَدِرٍ نَظْمَ الفَرِيدَيْنِ ساجِمِ

لِعرْفانِكَ الرَّبْعَ الذى صَدعَ العَصا   به البينُ صَدْعًا ليس بالمُتلائِمِ

فقد كنتُ أدرى أنَّ للبَينِ صَيْحَةً   على الحَىِّ فى يوم لنَفْسِكَ ضَائِمِ

وقال الراعى ، وهو عُبَيْدُ بنُ حُصَيْنٍ النُّمَيْرِىّ(٦) - وكان قومه ارتحلوا ، فصار بعضُهم إلى العراق ، وبعضهم إلى الشام :

تذكَّرتَ فاستَبْكاكَ رسمُ المنازِلِ   بقَارةَ أقوى أو بسُوقةِ حائلِ(٧)

---

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة- ينتهى نسبه الى مضر بن نزار ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسيه ، وكان شاعرا راجزا مقصدا (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغانى ١٥/ ٦١ - ٦٢ والشعر والشعراء / ٤٨٦-٤٨٧ وطبقات ابن المعتز /١٤٣-١٤٦ وخزانة الأدب ٢٨٣/٤ - ٣٨٥) .

(٢) سلان : أرض بتهامة مما يلى اليمن . وسلمانان - بفتح أولى من قرى مرو ، وبضم أوله : موضع عند برقة ، والميث : الأرض السهلة اللينة ، وعاقل : وادبنجد ، وقيل جبل ، وقيل ماء .

(٣) الخواذل : الواحد خاذل ، او خاذلة ، وهى الراعية تتخلف فى المرعى عن القطيع .

(٤) لأبى حية أبيات من هذا البحر والروى فى أمالى القالى ٢/ ٢٨٤ و٢٨٥ ، وحماسة ابن الشجرى /١٥٣ ، وامالى المرتضى ٤٤٣/١ و٤٤٤ وكأن هذه مطلع القصيدة .

(٥) كتب تحته فى الأصل « موضع » ولم أجده فى كتب البلدان

(٦) ترجمته فى الشعر والشعراء /٢٤٦ واسمه مختلف فيه ، فقيل : حصين بن معاوية ، وقيل : عبيد بن حصين ، وكنيته ابو جندل ، وانظر ايضا أمالى المرتضى ٣٢٢/١ و٣٢٣ وشرح أدب الكاتب /٢٥٠

(٧) قارة : احدى القريات التى منها دومه وسكاكة ، واقعة على جبل ، وبها حصن منيع ، وسوقة : موضع بالمروت ، وحائل : ماء به ايضا أضيفت اليه سوقه ، لقربها منه (عن مراصد الاطلاع) .

خَلَتْ من جَميع ساكِنٍ وتبدَّلَتْ ظباءَ السَّليل بعد خال وجامِلِ (١)
ذكرتُ بها من لن أُبَالِيَ بعدَه تفرُّقَ حَيٍّ فى النَّوَى مُتَزَايِلِ
وإن امْرَأً بالسِّيفِ (٢) أكبرُ هَمِّهِ وبُطْنانَ (٣) ليس الشَّوْقُ عنه بغَافِلِ

[١٣١]

وقال جَريرُ بنُ عطِيّة (٤) :

شَعِفْتُ (٥) بعهد ذكَّرَتْه المنازلُ وكيف تناسِى الحلمِ والشيبُ شامِلُ
لعمرُكَ لا أَنْسَى ليالىَ مَنْعِجٍ ولا عاقِلًا ؛ إذْ مَنْزِلُ الحىِّ عاقِلُ (٦)
فياحَبّذَا (٧) أيام يحْتَلُّ أهلُها بذاتِ الغَضَا والحَىُّ فى الدَّارِ آهِلُ
وإذْ نحنُ أُلَّافٌ لَدى كلِّ منزلٍ ولم تَتَفَرّقْ لِلطِّيَاتِ (٨) الحَمَائِلُ

وقال أيضا (٩) :

حىِّ المنازلَ إذْ لا نَبْتَغِى بدلًا بالدّارِ دارًا ، وبالجيرانِ جيرانَا
نُهْدِى السلامَ لأَهلِ الغَوْرِ من مَلَحٍ هيهاتَ من مَلَحٍ بالغَوْرِ مَهدَانا (١٠)
أحْبِبْ إلىّ بذاك الجَزْعِ منزِلَةً بالطَّلْحِ طَلْحًا وبالأَعْطانِ أعطَانَا

---

(١) الخال : الخائل الـذى يحسن القيام على المال ، والجامل : من معانيه القطيع من الابل معه رعيانه وأربابه ، والحى العظيم .
(٢) السيف : ساحل البحر ، وهو اسم لأكثر من موضع منها سيف بنى زهير ، وسيف بنى الصفار ، وسيف بنى المظفـر ، وكلها على شاطىء بحر فارس .
(٣) بطنان ــ بضم أوله وسكون ثانيه ــ :واد بن منبج وحلب بينه وبين كل مرحلة
(٤) الأبيات فى ديوانه / ٤٣٩ (ط الصاوى) وهى من قصيدة مدح بها الحجاج ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٤ و٥)
(٥) ضبطت فى الديوان بالبناء للمجهول ، من قولهم : شعف الحب فلانا ــ كفتح ــ اذا احرق قلبه ، وما هنا من شعف ــ كفرح ــ من قولهم شعف بالأمر اذا ذعر وقلق له .
(٦) هذا البيت من شـــواهد ياقوت فى معجم البلدان رسم (منعج) ومنعج ــ بفتح أوله وسكون ثانية وكسر ثالثه : واد يأخـــذ بين حفر أبى موسى والنباج ، ويدفع فى بطن فلـج وبين هذا البيت والذى يليه بيت آخر فى الديوان هو :

وما فى مُباحاتِ الحَدِيثِ لنا هَوًى ولكن هَوانا المُنْفِساتُ العَقائلُ

(٧) فى الديوان « الا حبذا » .
(٨) الطيات : جمع الطية ، وهى الحاجة ، أو الجهـــة والناحية البعيدة ، والحمائل ــ وفى الديوان الجمائل ــ جمع الحمولة : الدابة يحمل عليها .
(٩) الأبيات فى ديوانه /٥٩٣ من قصـــيدة يهجو بها الأخطل ، ومطلعها :

بانَ الخَلِيطُ ولو طُووِعْتُ مابانا وقَطَّعُوا من حِبالِ الوَصْلِ أقْرانا

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٢ و ١٠ و ١١) .
(١٠) ضبط فى الديوان بضم الميم على اسم المفعول ، والرواية هنا بفتحها على أنها مصـــدر ميمى بمعنى الاهداء . أو اسم مكان ، وملح ــ بفتح الأول والثانى ــ : من ديار بنى جعـــدة باليمامة ، وبسواد الكوفة موضع يقال له : ملح أيضا ، وغور ملح : ماء لبنى العدوية .

روى أنَّ أبا عَمْرِو بن العَلاءِ[1] ـ رحمه الله ـ غابَ عن البَصْرة عشرين سنة ، ثم عاد فَجَلَسَ مجلِسَه فى الجامع ، فَفَقَدَ[2] إخوانَه وأصحابَه الذين كانوا يقْعُدونَ إليهِ ، فبكى ، وأنشأ يقول :

يا مَنْزِلَ الحىِّ الذيـ ... نَ تفرَّقت بهم المَنَازِلْ

أصبحتَ بعد عِمَارَةٍ ... قَفْرًا تهبّ بكَ الشمائِلْ

[١٣ ب]

فلئِنْ رأيْتُكَ مُوحِشًا ... فبِما رأيْتُ وأنتَ آهِلْ

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع العاملىّ[3] :

هل أنتَ مُنْصَرِفٌ فتَنْظُرَ ماترَى ... أبقَى الحوادثُ من رُسُوم المَنْزِلِ؟!

دارٌ بإحدَى الرِّجْلَتَيْنِ[4] كأنَّها ... قد عُفِّيَتْ حِجَجًا ، ولمّا تُحْلَلِ

وكأن سُهْكَ المُعْصِراتِ كَسَوْنَها ... تُربَ الفَدافِدِ واليَفاع بمُنْخُلِ[5]

فسُقِيتِ من دارٍ ـ وإن لم تَسْمَعِى ... أصواتَنا ـ قَطْرَ الرَّبيعِ المُسْبِلِ

قد كان أهلُك مرةً لك زِينةً ... فاستَبْدَلُوا بدَلًا ولم تَسْتَبْدِلى

فابْكِى إذا بَكَتِ المنازِلُ أهلَها ... مَعْذُورةً ، وظَلَمْتِ إن لم تَفْعَلى

أهلًا كرامًا لن يَحُلَّكِ مثلُهم ... فى ذَا الزَّمانِ ولا الزمانِ المُقْبِلِ

وقال أيضا :

لِمن المنازِلُ أَقفَرَتْ بعباءٍ[6] ؟ ... لو شيتُ هيَّجَت الغداةَ بُكائِى

---

(١) هو أبو عمر بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن خزاعى بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، واسمه وكنيته واحدفى الاشهر ، وانظر ترجمته فى « انباه الرواة» و« بغية الوعاة » وشرح المقامات للشريشى /٢٥٤

(٢) كذا ، فى الأصل وكان الأولى أن يقال« أفتقد » ومعنى افتقد الشىء : بحث عنه فلم يجده وهو المناسب للسياق هنا .

(٣) انظر ترجمتهفى الشعر والشعراء ٣٩١ـ ٣٩٤ ، وله من الطرائف الأدبية ٨١ ـ ١٠٢ ثلاث قصائد .

(٤) فى الشعر والشعراء /٣٩٤ «الرحلتين» بحاء مهملة ، وفى معجم ما استعجم /٦٤٠ رجله . بكسر أوله واسكان ثانيه ، وهى ثلاث رجل : رجلة التيس ، ورجلة احجاء ، ورجلة ابلى ، وكلها واردة فى شعر الراعى .

(٥) يقال : سهكت الريح الأرض ، اذا اطارت ترابها ، والمعصرات : فسرت بالرياح ،وبالسحب، والأول انسب ، والفدافد : واحدها فدفد :الأرض الواسعة المستوية لاشىء فيها ، واليفاع : المرتفع من كل شىء ، يكون فى الشرف من الأرض والجبل والرمل وغيرها .

(٦) كذا فى الأصل وفى معجم البلدان (غباء) والبيت من شواهد ياقوت فى رسم (غباء)

[١١٤ ا]

لولا التَّجَلُّدُ ، واعترافى أنّه لا قومَ إلا غُقْرُهم[١] لفَناء
لرَثَيْتُ أصحابى الذين توجَّهوا[٢] ودعوتُ أخرسَ لا يُجيبُ دُعائى
وفِراق ذى حَسَبٍ ورَوْعَة فاجعٍ داويْتُه بِتَجَمُّل وعَزَاء
ليرى الرِّجالُ الشامِتون صلابَتى وأكفُّ ذاكَ بعِفَّةٍ وحياء

وقال البُحْتُرِىّ[٣] :

منازلُ أَضْحَتْ للرّياح منازِلًا تردَّدُ فيها[٤] بين نُؤْىٍ ورَمْدَدِ
شَجَتْ صاحبى أطلالُها فتهلَّلَتْ مدامعه فيها ، وما قلتُ : أَسْعِدِ
وقَلَّتْ لعينى فى المنازِلِ عَبْرَةٌ[٦] من الشَّوْقِ لم تُمْلَكْ بصَبرٍ فتَرْدَدِ

وقال أيضا[٧] :

سألتُ الغوادِى مُلْحِفًا فى سؤالِها وناشَدْتُها فى سَقْىِ بُرْقَةِ ثَهْمَدِ
منازلَ ما أبقى البِلَى من عِراصِها سوى أرْسُمٍ مَعْفُوَّةِ الآى هُمَّدِ

وقال آخر :

تزافر صَحْبِى يوم ذى الأَثْلِ[٨] زَفْرَةً تذوب قلوبٌ من لظاها وأضْلُعُ
منازلُ لم تسْلَمْ عليهن دُقْلَةٌ ولا جَمٌّ[٩] بعد البينِ فيهن مَدْمَعُ

---

(١) العقر ــ بفتح العين وضمها ــ : من معانيه القصر الذى يكون معتمدا لاهل القريه ؛ وقيل : البناء المرتفع كذا فى اللسان .
(٢) يقال : توجه الرجل ، اذا ولى وكبر ، والمراد هنا الذين ماتوا .
(٣) الابيات فى ديوانه ١٩٦/١ (ط هندية) من قصيدة يمدح بها احمد بن المدبر ، وقبلها وهو مطلع القصيدة :

لعَمْرُ المَغانِى يومَ صحراءِ أَرْثَدٍ لقد هَيَّجَتْ وَجْدًا على ذِى تَوَجُّدِ

(٤) الديوان « تردد منها » ومثله فى الزهرة ٢٩٧
(٥) كذا ضبطه فى الأصل ، والذى فى اللسان وغيره : رماد رمدد بكسر اوله وسكون ثانيه ويكسر ثالثه ويفتح ــ أى هالك جعلوه صفة قال الكميت :

* رَماداً أطارَتْه السّواهِكُ رِمْدِدا *

ويقال صار الرماد رمددا ، اذا هبا وصار ادق ما يكون ، والنؤى : مجرى يحفر حول الخباء أو الخيمة يقيها السيل
(٦) فى الديوان « وقَلَّتْ لِدارِ المالكيّةِ عبْرَةٌ » ومثله فى الزهرة
(٧) الديوان ٨١٥ (ط دار المعارف بتحقيق الصيرفى) والرواية متفقة ، ولم ترد القصيدة التى منها هذان البيتان فى طبعات الديوان الأخرى .
(٨) ذو الأثل : موضع بودان
(٩) جم ــ من باب نصر ــ جما وجماما : استراح .

فدمعٌ على رَسْمِ الدِّيارِ مُفرَّقٌ وقلبٌ على أهلِ الدِّيارِ مُرَوَّعُ [١٤ب]

وقال عُبَيْد الله بن قيس الرُّقيّات(١) :

يا سَندَ الظَّاعِنينَ من أُحُدِ(٢) حُيِّيت من منزل ومن سنَدِ(٣)

ما إن بمثواكَ غيرُ راكِدةٍ سُفْعٍ وهَابٍ كالفَرْخِ مُلْتَبِدِ(٤)

استَبْدَلَتْ بالظِّباءِ والبَقَرِ الْعيـ ـينِ خلافَ العَقائِلِ الخُرُدِ(٥)

فساخِطٌ(٦) أنتَ أم رَضِيت بما اسْـ ـتَبْدَلْتَ بالحيِّ بعدَهُمْ فَقَدِ

بُدِّلْتَ غيرَ الرضا وشطَّ(٧) بهم عنـ ـكَ صروفُ المَنُونِ والأَبَدِ

وقال الشريف المرتَضَى(٨) أبوالقاسم علىُّ بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب – رضوان الله عليهم – :

أَعَلَى العَهْدِ منزلٌ بالجَنابِ كانَ فيه متى أَرَدْتُ طِلابى(٩) ؟ !

المَغَانى تلكَ المَغَانى فهَلْ فيـ ـهِنّ ما قَدْ عَهِدْتُ من إطْرابى ؟

ليَسَت الدّارُ بعد أن تُوحِشَ الدّ ارَ نَوًى(١٠) غير جَنْدَلٍ وتُرابِ

فإذا لم يُعِدْ حَنِينِى على الدّا رِ(١١) حبِيبًا فليسَ يُغْنِى انتِحابى [١٥ا]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ص ٧٥ (ط بيروت)وهى مقدمة لاحدى قصائده ، ويقـــابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٥ و٦و ٧)

(٢) أحد : جبل تلقاء المدينة ، وعنده كانتغزوة أحد فى السنة الثالثة للهجرة .

(٣) السـند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .

(٤) السفع : الأثافى ، وهى حجارة الموقد ، واحدتها سفعاء ، والهابى : الرماد .

(٥) فى الديوان :

أَبْدِلْتَ عُفْرَ الظِّباءِ

والعقائل : واحدها عقيلة ، وهى الكريمـة المخدرة ، والخرد : واحدها خريدة ، وهى البكر ، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصـوت المتسترة .

(٦) فى الديوان « أساخط » (٧) شط : بعد

(٨) الابيات فى ديوانه (١/٨٣) من قصيدة قالها فى مدح فخر الدولة ، وما جاء هنا يتفق مع الديوان رواية وترتيبا .

(٩) فى طيف الخيال /٨٥ أورد بين البيتين الأول والثانى الأبيات الثلاثة التالية ، وهى ليست فى ديوانه :

حيِّ بالرَّقْمَتَيْنِ زَوْرًا تَوَخَّا كَ بعد هَدْأَةِ الأَصْحابِ

زارَنى والرُّقادُ مِنّى ومِنْهُم داخِلٌ فى العُيونِ فى كل بابِ

زَوْرَةً زُوِّرَتْ علىّ ولو كا نت يَقِينا لما شَفت بعضَ مابى

(١٠) النوى : الفراق ، وفى الديوان « ترى » بالبناء للمجهول مكان نوى

(١١) الديوان « على الربع » بدلا من « على الدار » .

وقال الشَّريفُ نِظامُ الملك أبُو الحسن على الفاطِمِيّ ، أحد شعراء الدولة بمصر– إذ أنا بها – ويعرف بالأَخْفَش[1] :

أحْبابَنا لم تَذُقْ عَيناىَ مُذْ بَعُدَتْ عنى مَنازِلُكُم غَمْضًا ولا وَسَنَا
ولا وجَدْتُ لقَلْبِى من يُسَرُّ به ولم تر العَيْنُ شيئًا بعدكم حَسَنَا

وقال البَكّاء – واسمه أَرْطاةُ بن كَعْب (جاهلى) – :

لمن المنازلُ قد عَفَوْنَ سِنِينَا أقْفَرْن بعد تحدُّد وبَلِينَا
بقَنان[2] وَدْعَةَ والبُقَيْلِ[3] تَغَيّرتْ بعدِى تَحِنُّ بها الرِّياحُ حَنِينَا
وبِدَارَةِ السَّلَم التى شُوِّقتُها دِمَنٌ يظَلُّ حمامُها يُبْكِينَا
ما كنتُ أوّلَ من تفرَّقَ شملُه ورأى الغداةَ من الفراقِ يَقِينَا

وقال الرَّمّاح بن مَيّادَة[4] ، ومَيّادةُ أُمُّه سِنْدِيَّة . وأبوه الأَبْرَدُ بنُ ثَوْبان بن سُراقَة ابن سَلْمَى ، ابن ظالم :

منازلُ أمّا أَهْلُها فتحَمَّلُوا فسَارُوا ، وأما خَيْمُها فمُقِيمُ[5]
كأَنِّى بها لمّا عَرَفتُ رسومَها ثقيلٌ لدى أيدِى الرُّقاةِ سَلِيمُ[6]
ولم تَرَ عَيْنِى مَرْبَعًا مثلَ مَرْبَعٍ بذى العُشِّ[7] لو أن النَّعِيمَ يَدُومُ

[١٥ ب]

(١) ترجمته فى خريدة القصر (قسم شعراء مصر ج/٢٣٨ – ٢٤٢) وقد أورد العماد طائفة – من شعره ليس من بينها هذان البيتان.

(٢) قنان : جبل فيه ماء يدعى العسيلة لبنى أسد ، وقيل : جبل بأعلى نجد (كذا فى المراصد) .

(٣) كذا فى الأصل البقيل بالباء الموحدة ،ولم أجده فى البلدان ، ولعله نقيل بالنون ، وفى المراصد : نقيل صيد : جبل عظيم ، والنقيل – بلغة اليمن – العقبة ، وهى بين مخلاف جعفر وحقل ذمار ، وفى رأسه قلعة تسمى سمارة .

(٤) ترجمته واخباره فى الأغانى ٢/٨٨ –١٢٠ (ط بولاق) وفيه أن أمه بربرية ، أو صقلبية ، وكان الرماح يزعم أنها فارسيه ، وله ترجمة فى خزانة الأدب ٧٦/١ والشعر والشعراء ٤٨٤ – ٤٨٥

(٥) هذا البيت وقع فى شعر مزاحم العقيلى من قصيدة فى ديوانه /١٥ (ط ليدن سنة ١٩٢٠) وكذلك ورد منسوبا اليه فى معجم البلدان (قنع) .

(٦) السليم : اللديغ ، يقال : سلمته الحية ، أى لدغته ، وقيل : سمى اللديغ سليما ، لانهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى ، كما قالوا للفلاة : مفازة تفاءلوا بالفوز ، وهى مهلكة

(٧) فى معجم البلدان ذو العش : من أودية العقيق بنواحى المدينة ، وانشد فيه لابن ميادة ايضا :

وآخِرُ عَهْدِ العَيْنِ من أُمِّ جَحْدَرٍ بذِى العشِّ إذ رُدَّت عليها العرامِسُ

وقال عبّاس بن كبير بن جابر بن عَمْرو بن غَيْظ بن السَّبِد :

سقى الصّفراتِ العُفْرَ حولَ تَبَالةٍ . إلى رُحَبٍ بالوَشْم غَيْثٌ مُطَبِّقُ[1]
منازِلُ من حَيَّيْ ذُؤَيْبِ بن مازنٍ وغَيْظٍ وكعْبٍ قبل أن يَتَفرَّقُوا
عصائِبُ فى بَرِّ البلادِ وبَحْرِها فمنهم شَآمٍ غائِرٌ ومشَرِّقُ
ديارٌ من الحيِّ الذين رِماحُهُم معاقلُ فى الهَيْجا وبالوِتْرِ تَسْبِقُ
عِظامٌ مَقارِيهم [2] جِماعٌ قُدُورهُم[3] يَدَ الدهرِ تُنْتَابُ النهارَ وتُطْرَقُ[4]
بهم تُتَّقَى الحربُ العَوَانُ وفيهمُ حِفاظٌ على جُلِّ الأُمورِ ومَصْدَقُ

[١٦ ا] عن سِنانِ بن يزيدَ الدَّيْلَمِيِّ قال : كنتُ مع مولايَ جرير بن سَهْم التَّيْمِيِّ ، وهو يسير أمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضوان الله عليه - إلى الشام ، فلما انتهى إلى مَدَائن كسرى ، وقف مولاى ينظر ، ثم تمثَّل :

جَرتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ ديارِهم فكأنَّما كانوا على ميعادِ

. . . الأبيات التى تقدمت للأسود بن يَعْفُر[5] ، فقال له على - رضوان الله عليه - : أى شىء قلت ؟ فأنشده الشِّعْر ، فقال : هلَّا قلت : «كم تركُوا من جَنَّاتٍ وعُيون[6] » ثم قال : يا ابنَ أخِي إنَّ هؤلاءِ كفرُوا النِّعَم ، فحلت بهم النِّقَم ، فإياكم وكفرَ النِّعم ، فتحُلَّ بكم النِّقَم .

وقال الشَّريفُ البَياضِيُّ[7] :

مالِى أُعَلِّلُ نفسِى بالوُقوفِ على منازلٍ أقفرَتْ منكم وأطْلالِ ؟ !

---

(١) الصفرة ، والصفار : يبيس البهمى ، وكل ماذوى وتغير من البنات ، وربما أراد الشاعر هنا موضعا بعينه ، ولم أجده فى رسمه ، ومن المواضع الصفراوات ، والصفرة : الأول بمر الظهران والثانى باليمامة ولعله المراد هنا لاقترانه بالوشم ، وتباله : من بلاد اليمن يضرب بها المثل فى الخصب ، ورحب : جمع رحبة ، وهى الأرض الواسعة ، والوشم : موضع باليمامة يشتمل على أربع قرى بينه وبين اليمامة ليلتان (نحو ٦٠ كم) .

(٢) المقارى واحدها مقراة : ما يقرى فيه الضيف من قصعة أو جفنة أو عس ، وهى القدور .

(٣) كذا فى الأصل بالفاء ، والفدرة : القطعة من اللحم اذا كانت مجتمعه

(٤) تطرق : تقصيد ليلا

(٥) انظر ص ٦ (٦) سورة الدخان / ٢٥

(٧) ترجمته فى وفيات الاعيان ٤/٢٨٥ ، وقد ذكره الباخرزى فى دمية القصر / ٨٧ وسماه الشريف ابا جعفر البياضى ، وأورد بيتين من شعره ، واورد له صاحب معاهد التنصيص ٦١٥ قوله فى الرفق بالابل عند السرى :

رِفْقًا بِهِنّ فَما خُلِقْنَ حدِيدًا أَوَ ما تَراها أَعْظُمًا وجُلُودَا ؟

وفى تزيين الأسواق ١٢٨ (ط البهية ١٣٠٢ هـ) طرف من أخباره وأشعاره .

وأَبْتَغِي البُرْءَ منها وهي بالِيةٌ   هيهاتَ ! كيف يداوِى بالِيًا بالِ ؟!

وقال آخر :

يذكِّرُنى لمعُ البُروقِ منازِلى   بنجْدٍ وأهليها ، فأَضْنَى بها وَجْدَا

وهذى النَّوى حُكْمٌ من الله نازِلٌ   وما كنتُ ممن يستَطِيعُ له رَدَّا

وقال الأَقْرعُ بن مُعاذ :

حيِّ المنازِلَ بين حَمَّةَ فاللِّوى   إن كنت مُشتَغِلًا بهنَّ عمِيدَا [1]

يا برقَ حَمَّةَ مافعلتَ على البِلَى   لا زِلْتَ يصحبُكَ الغمامُ سديدا

فلئِنْ بَكَيتُ لأَبكيَنَّ صبَابَةً   ولئن صبَرْتُ لأَصْبِرَنَّ جَليدَا

[١٦ ب]

وقال عُبَيْد الله بن قيس الرُّقيّات[2] :

ما هاجَ من مَنْزِلٍ بذى العَلَمِ [3]   بين لِوَى المَنْجَنُونِ فالسَّلَمِ [4]

لم تُبْقِ منه الرِّياحُ معْلَمةً   إلا بقايا الثُّمَام والحُمَمِ [5]

وقفتُ بالدارِ ما أُبَيِّنُهَا   إلا إدِّكَارًا ، تَوَهُّمَ الحُلُمِ

بادَتْ وأَقْوَتْ من الإنِيسِ كما   أَقْوَتْ محارِيبُ [6] دارِسِ الأُمَمِ

واسْتَبْدَلَ الحيُّ بعدَها إضَمًا   هَيْهاتَ غَمْرُ الفُراتِ من إضَمِ [7]

---

(١) الحمة ــ بفتح الحاء وتشديد الميم :العين الحارة ، وفى بلاد العــرب حمات كثيرة منها ست فى ديار كلاب ، لانـــــدرى أيها أراد الشاعر ، واللوى فى الأصل منقطع الرمله ، وهو هنا موضع بعينه : واد من أودية بنى سليم به وقعة للعرب

(٢) الأبيات فى ديوانه ص ٧ ، وهى مقدمة احدى قصائده . ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١و٣ـ٦)

(٣) فى الديوان « بذى علم » ، والمنجنون :موضع ، وفى مراصد الاطلاع / ١٢٠٩ « لـوى المنجنون فى شعر عبيد الله بن قيس الرقيات »

(٤) فى الديوان « فالثلم » وفسره شارحه فقال : بلدة بالشام . وبين هـذا البيت والذى قبله فى الديوان البيت التالى :

فبئر قَوٍّ عَفَتْ مَعارِفُ مَبْـدا   كِ بعد الغادِياتِ بالرِّهَمِ

(٥) الحمم : الفحم ، والثمام : نبت ضعيف تتخذ منه الحصر ، ويلقى على خشب يستظل به ، قال أبن الأعرابى : « الخيمة لاتكون الا من اربعة أعواد ثم تسقف بالثمام » فاذا ارتحل القـوم تركوا هذا الثمام فى موضع الخيمة .

(٦) المحاريب : جمع المحراب ، ويطلق ايضا على مجلس الناس ومجتمعهم .

(٧) اضم : واد دون المدينة ، والمعنى : ماأبعد الأرض التى يغمرها الفرات ــ حيث يقيم الشاعر ــ من هذا الوادى ؟!

✳ قيل (١) لأعرابيّةٍ أُصيبت بابْنِها : ما أَحسنَ عزاءَك ! قالت : إن فَقْدِى إِيّاه أَمَّنَنى كلَّ فَقْدٍ سواه ، وإن مصيبته هوَّنت علىّ المصائبَ من بعدِه ، ثم قالت :

من شاءَ بعدَك فليمُتْ فعلَيْكَ كنتُ أُحاذِرُ
كنتَ السّوادَ لناظرِى فعليكَ يبكِى النَّاظِرُ (٢)
ليتَ المنازِلَ والدّيارَ حَضائرُ (٣) ومَقابِرُ (٤)

[١٧ أ] كان الرَّقاشِىّ يجتمعُ إليه جماعةٌ من أَصحابه وإخوانِه يتحدّثون ويتذاكرون ، فغاب فى بعض أحواله ، ثم رجع بعد مدّة ، فوجدَ بعضَهم قد مات ، وبعضَهم قد غاب . فوقف على مجلسِهم وبكى ، وقال :

لولا التَّطَيُّرُ قلت غيّركُمْ ريبُ الزمان فخنتُمُ عهدِى
دَرَسَت منازلُ كنت آلَفُها من بعدِكُمْ . وتَغَيرَت بعدِى

وقال أبو العلاءِ [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرى (٥) :

أَعْفَى المنازلِ قَبْرٌ يُسْتَرَاحُ بهِ وأَفضلُ اللِّبْسِ فيما أَعْلَمُ الكَفَنُ ؟
إن الذينَ على وَجْهِ الثَّرَى وَطِئُوا يُشابهونَ أُناسًا فى الثرى دُفِنُوا(٦)

وقال آخر :

دَعْنِى وتَسْكَابَ دَمْعِى فى منازِلِهِمْ فللشُّئونِ ولى من بعدِهم شَانُ

---

(١) فى نهاية الأرب ٥/١٦٤ « مر الأحنف بن قيس بامرأة تبكى ميتا ، فقال لها : ما أحسن عزاءك .. الخ قال النويرى : ذكر ابو الفرج الاصفهانى بعض هذا الشعر لابراهيم بن العباس ابن محمد بن صول » وفى الأغانى ٩/٢٣ ورد البيتان الأول والثانى منسوبين الى الصولى أيضا والرواية بتقديم البيت الثانى على الأول ، وقد أوردهما أيضا الميمنى فى الطرائف الأدبية /١٦٩ فيما جمعه من شعر الصولى ، وكذلك فى تجريد الأغانى / ١٠٦٨ (ط التحرير) وانظر أيضا العقد الفريد ٢/١٦٥ والوفيات ٢/١١

(٢) فى الأغانى :

أَنتَ السَّوادُ لمُقْلَتِى فَبَكى عليكَ الناظِرُ

(٣) وفى نهاية الأرب ٥/١٦٤

كنتَ السَّوادَ لمُقْلَتِى فعَمَى عليكَ النَّاظِرُ

(٤) فى نهاية الأرب « .. حفائر ومقابر »وأورد بعده بيتا رابعا هو :

إنِّى وغَيْرِى لامَحا لةَ حيثُ صِرْتَ لصائِرُ

(٥) اللزوميات ٢/٢٨٤

(٦) الرواية فى اللزوميات : «يُشَابِهُون أُناساً تَحْتَه دُفِنُوا»

أَحبابَنا ما الدِّيارُ اليومَ بعدَكُم   تلكَ الديارُ ، ولا الأَوطانُ أَوطانُ

وقال آخر :

أَبكِي إلى الشَّوْقِ أَن كانت منازِلُكم   بجانب الغَرْبِ خوفَ القيلِ والقالِ

أَقولُ : بالخَدّ خالٌ حين أَذكُرُه   خوفَ الرَّقيب ، وما بالخَدّ من خالِ

[١٧ ب]

وقال مَهْيَار [١] :

يا مَنزِلًا لعِبَتْ به أَيدى البِلى   لعِبَ الشُّكُوكِ ، وقد بدا بتَيَقُّنِ [٢]

إمّا تُناشِدُنى العهودَ فإنها   خِيسَتْ فكانَتْ بين ذُخْرِ المُقْتَنى [٣]

نَمَض الصِّبَى أَوراقَه ، وأَعادَنى   خُوطَ اليَراعةِ ، كيف تُغْمَزُ تَنْحَنى [٤]

إنى لأَعلَمُ قبلَ فَضِّ خَتْمَه   ما فى كتابٍ بالمَشِيبِ مُعَنْوَنِ

وقال آخر [٥] :

أَمُزْمِعَةٌ للبينِ ليلَى ولم تَمُتْ   كأَنَّكَ عما قد أَظلَّكَ غافِلُ ؟ !

ستعلمُ إن شَطَّت بهم غُرْبَةُ النَّوَى   وزالُوا بليلى أَنَّ لُبَّك زائلُ

وأَنَّك مسلوبُ التَّصَبُّرِ والأَسى   إذا بَعُدَتْ ممن تحِبُّ المنازلُ [٦]

وقال آخر :

تَطْوِى المنازلَ عن حبيبِك دائبًا   وتظَلُّ تبكيه بدمعٍ ساجِمِ

أَلّا [٧] أَقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضا   قُلِّبْتَ ، أَوَحَدِّ الحُسام الصّارمِ ؟ !

كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لستَ من أَهلِ الهَوى   تشكو الفِراقَ وأَنتَ عَيْنُ الظالِمِ ؟

---

(١) الابيات فى ديوانه ٣٦/٤ من قصيدة يمدح بها الوزير أبا العباس أحمد بن ابراهيم الضبى (سنة ٣٩٢ هـ) ومطلعها :

قالُوا : عَسَاكَ مُرَجِّمٌ ، فَتَبَيَّنِ   هَيْهاتَ ، ليسَ بناظِرِى إنْ غرَّنى

(٢) الديوان : « لَعِبَ الشُّكُوكِ وقَدْ بَدَتْ بتَيَقُّنى »

(٣) خيست ، من قولهم : خاس العهد ، اذا نقضه وخانه ، ورواية الديوان : « حفظت » مكان « خيست » .

(٤) الخوط : الغصن الغض ، واليراعة : القصبة ، ويغمز : يجس ويختبر لتعرف صلابته ، ورواية الديوان « ... كيفَ يُعْجَمُ يَنْحَنِى » .

(٥) الأبيات نسبت الى المجنون ، وهى فى ديوانه المجموع بتحقيق عبد الستار فراج ص ٢١٥ وتخريجها فيه .

(٦) فى الديوان « وأَنَّكَ مَمْنُوعُ التَّصَبُّرِ والعَزا » .

(٧) الا : يريد هلا ، وهى كلمة تحضيض مركبة من هل ، و « لا »

قلت : لى على من تقدم ذكره من الشعراء فضل المزيَّة ؛ إذ كنت دونهم صاحب الرَّزيّة ، [١٨ ا]
فكان شعرى أولى أن يُقَدَّم على أشعارهِم ، وإن قَصَّرتْ بى البلاغة عن اقتفاء آثارهم ، لكن للمُتَقَدِّم السَّبْق ، وهو بالتَّقدِمَة أولى وأحق ، وإن كنت وهم كما قال ذرّ لأَبيه : يا أبه . مالك إذا تكَلَّمْت أبكَيْتَ الناسَ ، وإذا تكلَّمَ غيرُك لم يُبْكِهم؟ قال : يا بنى . ليست النائحةُ المستأْجَرَةُ كالثَّكْلَى .

وأنا ذاكرٌ شيئا من شعر أخى – رحمه الله – وشعرى مما يدخل فى هذا الفصل :

• قال أخى عزُّ الدولة أبو الحَسَن علىُّ بن مُرشِد بن على بن مقلّد بن نصر بن مُنْقِذ – رضى الله عنه – (١) :

يا منزلا لَعِب البِلَى برُسُومه ... شَعَفًا ببهجته فليس يَريمُ
لا تَبْعَدَنّ وجادَ ربْعَك وابلٌ ... يُروى ثراك أتِيُّه ويُسيمُ
فاسقِ الربوعَ من الدّموع سِجالَها ... إن الرُّسُومَ لها عليك رُسُومُ (٢)

وقال أيضا (٣) :

[١٨ ب]

سَلِ المنازلَ عمّن كان يسكُنُها ... من الأحِبّة والإخوان ما صَنَعوا ؟
تُخْبِرْكَ وَعْظًا بلا لَفْظ. فقد نَظَرَت ... آمالَهُم والمَنايا كيف تَصْطَرِعُ
وهكذا بعدَ نفخ الصورِ خاويةً ... تضحى المنازِلُ أعلاهن متَّضِع
بَنِى أبى إن عَدَا دهرٌ فَفَرَّقَنا ... فهُمٌّ نفسِى بكم ما عِشْتُ مُجْتَمِعُ
نَزَحْتُم أدمُعِى حتى لقد مَحِلَتْ ... جُفونُ عينى ، ومات اليأْسُ والطَّمَعُ
وإنَّ دَهْرًا رمى عن جِيده دُرَرًا ... أمثالَكم لزَمَانٌ عاطلٌ ضَرِعُ

وقال أيضا :

يا مَنْزِلًا أضْحَى كجِسْمِىَ باليًا ... حَزَنُ القلوبِ ، وحَسْرةٌ للنّاظِرِ
لى كلَّ يومٍ فى رُبُوعِك زَفْرةٌ ... يرمى لَظاها بالشّرار الطائر

---

(١) لم اجده فيما اختاره العماد الأصفهانى من شعره فى الخريدة قسم شعراء الشــــام (١/٥٤٨ – ٥٥١) وياقوت فى معجم الأدباء (٥/ ٢١٤) ومابعدها .

(٢) يعنى بالرسوم الأولى : الآثار الباقية من الديار بعد ما عفت ، وبالثانية : التقاليد المرعية ، وبينهما جناس

(٣) فى معجم الأدباء (٥/٢٢٠) الأبيــات الثلاثة الأخيرة فيما اختاره من شعره

غَربت شموسُك والذين عَهِدْتُهم بك في مُلِمّاتِ الزَّمانِ الغابرِ
فعليهِمُ مني سلامٌ نَشْرُه مُتَضَوِّعٌ كثنائِهم في الحاضِرِ

قلت : كان رحمه الله تأَخَّر عنا ، وخرجتُ أنا وأخواى إلى دِمَشْقَ ، ثم إلى مصرَ ، فكان يتأَسَّف لبعدنا عنه ، وخلو منازلنا منا .

[١٩ ا] وهذا شَيءٌ من شعرى في هذا المعنى ، بعد ما أصابنا من الزلازل ما أصابنا ، قلت(١) :

إلى اللهِ أشكو رَوْعَتى لمنازلٍ خلَتْ ، وَجَوى قلبى لأَهْلِ المنازلِ
شُيُوفى إذا ما نازَلَتْنِى مُلِمَّةٌ حُصُونى إذا خِفْتُ الرّدى ومعاقِلى
مَضَوْا سَلَفًا قبلى فلم أَحْظَ بعدَهُم من العيشِ والعمرِ الطويلِ بطائلِ

وقلت(٢) :

هذِى منازلُهم عَفَتْ وتَفَرَّقُوا فَسَلِ المنازلَ عنهم ماذا لَقُوا ؟!
تُخْبِرْك أن الأَرْضَ قَدْ وارتْهُمُ وأَبَتْ لهم أن يَسْمَعوا أو ينطِقوا
[١٩ب] وَبقِيتُ بعدهُمُ لِهَمٍّ فادحٍ وكآبةٍ تُضْنِى ، وخَطْبٍ يطْرُقُ
أرجو اللَّحاق بهم ، ودون لَحاقهم بابٌ من الأَجلِ المُؤَقَّتِ مُغْلَقُ
فإذا نَهانى عن رجاءِ لقائِهِمْ يأسى هفا قلبٌ إليهم شَيِّقُ

وقلت(٣) :

قُل للذى فَقَدَ الأَحبةَ وانثنى يَسْقِى منازلَهم دُمُوعًا تَسْجُمُ :
ماذا وقوفُك في الديار مسائِلًا عن أَهلِها . ومتى يُجِيبُ الأَبْكَمُ ؟!
سَلْ عنهم صَرْفَ الزَّمان فإنه بهمُ من الدّارِ المُحِيلَةِ أعلَمُ
أَفْناهُم رَيْبُ المنونِ ، وهذه آثارُهُم عِظَةٌ لمن يَتَوسَّمُ
هي شيمةُ الأَيام : كفٌّ تَبْتَنِى - مُذْ كانت الدنيا - وكَفٌّ تَهدِمُ
وإذا رأَيت مُحسَّدِين فقلّما تُرْجِيهِمُ الأَيامُ حتى يُرحَمُوا

---

(١) هذه الأبيات لم ترد في ديوان أسامة بن منقذ (ط القاهرة سنة ١٩٥٣)
(٢) وهذه الأبيات لم ترد في ديوانه أيضا .
(٣) لم ترد هذه القطعة في ديوان أسامة المطبوع

وَنَرى تقلُّبَ هذه الدنيا بنا وكأنَّنا فيها سُكَارَى نُوَّمُ

وقلت[1] :

يُعَنِّفُنى فى الدار صحبى على البُكا فياويحَ قلبى من خَلِىٍّ وجاهِلِ ؟
وقالوا : أتبكى للمنازلَ ؟ قلت : لا ولكنَّما أبكِى لأَهلِ المنازِلِ [٢٠ أ]

وقلت[2] :

حَيَّى رُبوعَكِ من رُبًى ومنازِلِ سارى الغمام ِ بكلِّ هام ٍ هامِلِ
وسَقَتْكِ يا دارَ الهوى بعد النَّوَى وطفاءُ[3] تسفح بالهَتُون الهاطِل
حتى تُرَوِّضَ كلَّ ماحٍ ما حلٍ عافٍ ، وتُرْوِى كلَّ ذاوٍ ذابلِ
أبكيكِ ، أم أبكىَ زمانى فيك ، أم أهْلِيك ، أم شَرْخَ الشباب الزَّائلِ
ما قدرُ دمعى إن تَقسَّمَه الجَوَى والوجدُ بين أَحبَّة ومنازِلِ ؟
أَنْمقتُه سَرَفًا وهأنا ماثِلٌ فى ماحِلٍ أبكى بجَفْنٍ ماحِلِ
وإذا فَرَغتُ إلى العزاءِ دعوتُ من لا يستجيب ، ورُمْت نُصرةَ خاذِلِ

وقلت[4] :

أُنظر منازلَ آلِ مُنْقِذَ إنها عِظَةُ اللّبِيبِ ، وعِبْرَةٌ للنَّاظِرِ
كانوا بها فى نعمةٍ محروسةٍ بمكارم ٍ وذوابلٍ وبواتِرِ
ما رامها مَلِكٌ ولا ذو قُدْرَةٍ إلا انثنى عنها بقلب طائرِ
متلهِّفًا ما اسطاعها ، ومَن الذى يَلِجُ العرينَ على الهِزَبْر الخادِرِ ؟! [٢٠ ب]
فأَصابها قَدَرٌ فأَهلَك مَنْ بها وأعاد شامخَها كرَسْم ٍ داثرِ
فإذا ذكرتُهُم عَرَتْنى حسرةٌ تَمرِى سحائِبَ دمعىَ المُتَبَادِرِ

---

(١) هذان البيتان لم أجدهما فى ديوان اسامة المطبوع
(٢) الأبيات من قصيدة فى ديوانه / ٣٠٤ و٣٠٥ ، وهى من اولها على الترتيب ، وقدم لها بقوله : « وقال يندب وطنه وأهله الهالكين الزلازل بحصن شيزر »
(٣) يقال : سحابة وطفاء ، اذا كانت دائمة السح
(٤) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة المطبوع ، ولم ترد كذلك فيما اختاره صاحب الخريدة من شعر اسامة (خريدة القصر ــ قسم شعراء الشام ج ١ / ٤٩٨ ــ ٥٤٧)

وقلت[1] :

يا مَنْزِلًا كان فيه العِزُّ مُقتَرِنا بالسيفِ، والمالُ مقرونًا إلى الكَرَمِ
من خَافَ جَوْرًا وعُدْمًا ثم لاذَ به لاقَى الأمانَيْنِ من جَوْرٍ ومن عَدَمِ
أفنَتْ حُماتَك أحداثُ الزَّمَان ، فيا لله من فَتْكِها بالأُسْدِ فى الأَجَمِ !
أعيَتْ مُناواتُهم غُلْبَ الملوكِ إلى أن جاءهم قَدَرٌ قد خُطَّ بالقَلَمِ
« فأَصْبَحُوا لاتُرى إلامَساكِنُهُمْ[2] » كأَنَّ ما خُوِّلُوه كان فى الحُلُمِ
ولم تَدَعْ منهمُ إلا حديثَهُمُ كما تُحَدِّثُ عن عادٍ وعن إرَمِ
فيا لَقلبى لِأَحزانٍ أكاتِمُهَا عليهمُ ، ولدمعٍ غيرِ مُكْتَتِم !

وقلت[3] :

غاضَتْ دُموعِى فى المنازلِ وارْعَوَى صبرى ، وراجَعَنى الرقادُ النَّافِرُ
إن لم أَسُحَّ بها سحائبَ أَدْمُعٍ ينجابُ خشيتَها الغمامُ الباكِرُ
أأُحَمِّلُ الأَطلالَ مِنَّةَ عارِضٍ وسحابُ دَمْعِى مستَهِلٌّ ماطِرٌ ؟ !
إنِّى إذنْ بشُئُونِ عينِى بَاخِلٌ وبعَهدِ من سَكَنَ المنازلَ غادِرُ

[١ ٧١]

وقلت[4] :

إن لم تُطِيقا يوم رَامَهْ أَنْ تُسْعِدا ، فَذَرَا المَلامَهْ
عَنَّفْتُمَانى أن وَقَفْتُ[5] بمنزِلٍ أَقْضِى ذِمامَهْ
وشَكَوْتُما – من وقفة فيه – الكَلالَةَ والسَّآمَهْ[6]
هو منزلُ الأَحبابِ لم يَدَعِ البِلَى إلا رِمامَهْ

---

(١) وهذه الأبيات لم ترد أيضا فى ديوانه .

(٢) اقتباس من الآية الكريمة : « تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها ، فأَصْبَحُوا لايُرَى إلاَ مَساكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِى القَوْمَ المُجْرِمينَ (الأَحقاف / ٢٥)

(٣) الأبيات فى ديوان اسامة بن منقذ /٦٩من قصيدة مطلعها
لاغَرْوَ إنْ هَجَرَ الخَيالُ الزائِرُ مايَسْتَزِيرُ الطيْفَ طَرْفٌ ساهِرُ
ويقابلها من القصيدة الأبيات من ١١–١٤ على الترتيب .

(٤) الأبيات فى ديوانه /٩٧ وهى من اول القصيدة على الترتيب

(٥) فى الديوان « أن مررت »

(٦) لم يرد هذا البيت فى القصيدة فى وراية الديوان .

وعليَّ حقٌّ أن تُصا فحَ سُحْبُ أجفانى رَغامَهْ

وأبيكما لأُرَوِّيَ [م] نَّ ولو بِسَحِّ دَمٍ أُوامَهْ (1)

فإلامَ لومُكما ؟ أفى رَعْيِ العُهُودِ علىَّ آمَهْ (2) ؟!

وقلت(3) :

هذِى منازِلُهُمْ وأنْ ت بهم مُعَنًّى مُغرَمُ

فاسْفَحْ دُمُوعَكَ فى ثَرَا ها أو يُمَازِجَهَا الدَّمُ

واسأَلْ بهم صَرْفَ الزما ن فإنَّه هو أعلَمُ

يُخْبِرْكَ أن القَوْمَ قد قَدِمُوا على مَا قَدَّمُوا

وغدًا نُخَيِّمُ حيث حَلْ لُوا فى القبورِ وخيَّموا

[21 ب]

وقال مَهْيار (4) :

أُنظُرْ معى ، فهى نظرة أَمَمُ أَعَلَمُ السَّفْحِ ذلك العَلَمُ ؟!

أنتَ برىءٌ مما تُشَبِّهُه العَ ينُ ، وطرفى بالدَّمع مُتَّهَمُ

يُطْرِبنى اليومَ للمنازِل ما أَسْ أَرَ(5) عندى أيامُها القِدَمُ

ويطَّبِينى(6) – على فَصَاحَةِ شكْ وَاى إليها – ربوعُها العُجُمُ

عَلَىَّ يا دارُ جَهْدُ عيْنى وما علىَّ عارٌ أن تبخَلَ الدِّيَمُ(7)

للكِ الرِّضا من جِمام أدمُعِها(8) أو دمِها إن سقى ثَرَاكِ دَمُ

---

(1) الأوام : العطش ، أو شدته

(2) الآمة : العيب

(3) هذه الابيات لم ترد فى ديوان اسامة المطبوع

(4) هذه الأبيات فى ديوان مهيار (3/257 و 258) من قصيدة كتب بها الى أبى طالب بن أيوب فى النيروز وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(5) اسأر : ابقى

(6) يطبينى : يستميلنى .

(7) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر يدوم أياما

(8) الجمام : معظم الماء .

وقال أيضا [1] :

لها مَنْزِلٌ بالغَوْرِ بينَ مُفَدَّنٍ [2] مَشِيدٍ ومَنْشُورِ البِساطِ مُرَوَّضِ

حبَسْتُ بهِ أَبْغِى الحياةَ لقاتِلى غراماً ، وأَدْعُو بالشفاءِ لمُمْرِضِى [3]

رأَتْ شَيْبَةً ما صَرَّحت لعوارِضِى فصرّح بالهِجْرانِ كلُّ مُعَرِّضِ

وقالتْ : أَشيخٌ ؟ قلتُ : كَهْلٌ ، فأَطْرَقَتْ

وقالت : أَمامَ الشيبِ إنذارُ مُنْبِضٍ [4]

نَبا عنْكَ بعد الشَّيبِ قَلْبِى وناظِرِى

ومِن أَينَ يَصْفُو أَسْوَدانِ لأَبيضِ ؟!

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/ ١٥٠) من قصيدة يمدح بها أبا طالب بن أيوب ويهنئه بالنيروز ، ومطلعها :

رَضِيتُ وما مِنْ طاعَةٍ كلَّ مَنْ رَضِى وفاءً لغَدّارٍ ، وحُبًّا لمُبْغِضِ

(٢) فى ديوانه « معدن » وفسره بالموه بالمعدن ، والبناء المُفدن : الطويل كذا فى اللسان (فدن) .

(٣) فى الديوان : بين هذا البيت والذى يليه هنا البيت التالى

ولما تَواقَفْنَا وفى العَيْشِ فَضْلَةٌ بقدْرِ الوُقوفِ ساعةً ثُمّ تَنْقَضِى

(٤) فى الديوان :

* وقَالَتْ أَمَامَ السَّهْمِ إِنْذارُ مُنْبِضِ *

والمنبض : الذى يجذب وتر القوس لتصوت ، وفى المثل : « لايُعْجِبْكَ الإِنْباضُ قَبْلَ التَّوتِيرِ » يضرب فى استعجال الأمر قبل بلوغ وقته .

فصل آخر فى ذكر المنازل

السّابق إلى بكاء المنازل امرُؤ القَيْس بن حُجْر ـ واسمه حُنْدُج ، والحُنْدُجَةُ : القطعةُ الصغيرةُ من الرمل ـ بقوله[٣] :

قفا نَبْكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٤]

فتُوضِح ، فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رسمُها ... لما نسجَتْهُ[٥] من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

وقوفًا بها صَحْبِى علىّ مَطِيَّهُم ... يقولون : لا تَهلِك أَسًى وتَجَمَّل

وإن شِفائى عَبْرَةٌ لو سَفَحْتها[٦] ... فهل عند رَسْمٍ دارس من مَعَوّلِ ؟

وقال النّابغةُ الذُّبيانى ـ وهو زياد بن معاوية[٧] ـ :

دعاكَ الهَوَى واستَجْهَلَتْكَ المنازِلُ ... وكيفَ تصابِى المرءِ والشيبُ شامِلُ

وقفتُ بربع الدار قد غيَّر البِلَى ... معالمَهَا ، والسّارياتُ[٨] الهواطِلُ

أُسائلُ عن سُعْدَى ، وقد مرَّ دونَها ... على حَجَراتِ الدّارِ سبْعٌ كوامِلُ[٩]

---

(٢) الديوان : « يناغيك » وما هنا أحســن للمعنى .

(٣) الأبيات من معلقتــــه ، وهى فى شرح المعلقات للزوزنى / ٣ـ٥ ويقابلهـــا فى ترتيب المعلقة ١ و ٢ و ٥ و ٦ وهى فى ديوانه أيضا ص ٨ و ٩ (ط دار المعارف)

(٤) فى الديوان (وحومل) وما هنا يوافق شرح المعلقات

(٥) فى الديوان والمعلقات « نسجتها » وسقط اللوى ، والدخول ، وحومل ، وتوضح ، والمقراة . كلها مواضع مختلف فى تحديدها . وأنظر معجم البلدان فى رسم كل منها .

(٦) رواية المعلقات « .. عبرة مهراقة » ورواية الديوان « ... ان سفحتها . وهل ... »

(٧) الأبيات فى ديوانه / ٨٠ (ط بيروت) و ٩٢ (ط باريس) و٧٩ (ط القاهرة) وهى مقدمة قصيدته التى رثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وقد وردت هنا بترتيب الديوان .

(٨) الساريات : السحب التى تسرى ليلا . واحدتها سارية .

(٩) روايه الديوان لهذا البيت :

أُسائِلُ عن سُعْدَى وقد مَرّ بعدَنا ... على عَرَصاتِ الدَّارِ سَبْعٌ كوامِلُ

وقال جَرير بن عطيّة :

[٢٢ ب] قُلْ للمنازِلِ من أُثَيْلَةَ تَنْطِقِ   بالجَزْعِ جَزْعِ القَرْنِ لما تُخْلِقِ

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تقادَمَ عهدُه   وسُقِيت من صوب الغمامِ المُغْدِقِ

وقال أَرْطَاةُ بنُ سُهَيَّةَ – وسُهَيَّة أمه ، وأبوه زُفَر بنُ عبد الله بن مالك بن شدّاد – [١] :

ومن عَجبِ الأَيّام أن كُلّ منزلٍ   لو جُرَةَ من أكنافِ رَمّان دارِسُ [٢]

طِلابٌ بعِيدٌ ، واختلافٌ من النَّوى   إذا ما أتَى منْ دون وَجْرَةَ فارِسُ [٣]

وقد طال ما عِشْنَا جميعًا ووُدُّنَا   جميعٌ إلى من يبتغى الأُنْسَ آنِسُ [٤]

وقال أبو حَيّة النُّمَيْرِىّ ، واسمه الهَيْثَمُ بن الرَّبيع :

لعَلَّ الهَوَى إن أنتَ حَيَّيْتَ منزِلًا   بأَكْياب مرتَدٌّ عليك عَقابِلُهْ

[أكياب] : موضع .

فلما سأَلتُ الرَّبْعَ أين تيَمَّمَتْ   نوى الحىِّ لم ينطِقْ ، وضُلِّل سائِلُه

وكنتُ إذا خُبِّرتُ أن مُكَلَّفًا   بكى أو تعَنّاه عِدادٌ يُماطِلُه

من الحبّ ، عنَّفْتُ المحبّ ، فقد بكى   فؤادى حتى أسلَمَتْه عواذِلُهْ

كأَنَّ فؤادِى طائرٌ فى حِبالَةٍ   رأى غيَّه لما اعتَقَتْه حبائِلُهْ

وقال أبو تَمّام – حَبِيبُ بن أَوْس الطَّائى – [٥] :

---

(١) الأبيات منسوبة اليه فى الأغانى ١١/ ١٣٤ (ط بولاق) .

(٢) فى معجم البلدان ، ومراصد الاطلاع ضبط بالعبارة وفسر بأنه جبل فى بلاد طيىء فى غربى سلمى ، وفى معجم ما استعجم : جبال فى بلاد طيىء محفوفة بالرمل .

(٣) فى الأغانى بين هذا البيت والذى قبله البيت التالى :

وقد جاوَزَتْ قَصْرَ العُذَيْب فما يرى   برَمّانَ إلا ساخِطُ العيشِ بائِسُ

ورواية الأغانى (... من دون وجزة قادس) .

يريد القادسية ، وفيه (وجرة) فى الموضعين .

(٤) فى الأغانى :

(لقد طال ما عشنا .. جميع اذا مايبتغى ..)

(٥) البيتان فى ديوانه ٢/ ٤٠٦ (ط دار المعارف) من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب وهما من أولها على الترتيب ومتفقان مع رواية الديوان .

يا بَرْقُ طالِعْ منزِلًا بالأَبْرَقِ ... واْحْدُ السحابَ له حُداءَ الأَيْنُقِ (١)

دِمَنٌ لَوَتْ عزْمَ الفؤادِ ومَزَّقَتْ ... فيها دُموعَ العينِ كُلَّ مُمزَّقِ (٢)

وقال المُتَنَبِّى (٣) :

لكِ يا منازِلُ فى القلوبِ منازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنتِ ، وهُنّ منكِ أَواهِلُ

يَعْلَمْنَ ذاكِ ، وما عَلِمْتُ ، وإِنَّما ... أَوْلاكما بِبُكًا عليهِ العاقِلُ (٤)

وأَنا الذى جَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُه ... فَمَنْ المُطالَبُ ، والقَتِيلُ القاتِلُ (٥) ؟!

تَخْلُو الدِّيَارُ من الظِّباءِ ، وعندَه ... من كل تابِعةٍ خيالٌ خاذلُ (٦)

وقال البُحْتُرِى (٧) :

سَقَمٌ دونَ أَعيُنٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وعذابٌ دونَ الثَّنايا العِذابِ (٨)

وكمِثْلِ الأَحبابِ ، لو يَعْلَمُ العا ... ذِلُ ، عندِى منازِلُ الأَحبابِ

وقال ابن زُرَيْق الكاتِب (٩) :

باللهِ يا منزِلَ اللَّهوِ الذى دَرَسَتْ ... آياتُه ، وعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أَرْبُعُهُ

---

(١) يقول للبرق : سق سحابك برعده ، وصوبه اليه كما تساق النوق بالحداء .

(٢) لوت : ثنت . والمعنى : كنا قد عزمنا على مجاوزة هذه الدمن ، والاستمرار فى السير ، فلما انتهينا اليها ثنت هذا العزم ، فتركنا السير ووقفنا عليها باكين .

(٣) الأبيات فى ديوانه ٢/١٧٦ من قصيدة يمدح بها القاضى أبا الفضل احمد بن عبد الله الانطاكى ، وهى من أولها على الترتيب .

(٤) هذه رواية الديوان ، وفى هامشه قال : ويروى (يبكى عليه) ببناء الفعل للمجهول أى أولاكما بأن يبكى عليه .

(٥) المعنى : ان طرفى هو الذى جلب المنية الى بالنظر ؛ فمن أطالب بدمى ، وأنا الذى قتلت نفسى ، وهو كقول دعبل :

لا تَأْخُذا بظُلامَتِى أَحَدًا ... قَلْبِى وطَرْفِى فى دَمِى اشْتَرَكا

(٦) الضمير فى عنده ، للذى اجتلب المنية فى البيت السابق ، يعنى نفسه ، قال الواحدى: معناه : تخلو الديار من النساء الحسان ، وعندى من كل صغيرة منهن خيال يأتينى كأنه تأخر عنهن .

الظباء : الغزلان ، والتابعة : التى تتبع أمها ، ويقال : ظبية خاذل وخذول للتى تتخلف عن صواحبها

(٧) البيتان فى ديوانه ١/٧٠ من قصيدة يمدح بها احمد بن اسماعيل بن شهاب ، ومطلعها

ما عَلَى الرَّكْبِ من وُقوفِ الرِّكابِ ... فى مَغانِى الصِّبَى ورَسْمِ التَّصابِى

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٣و٥)

(٨) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

عَرِّجُوا فالدُّمُوعُ إن ابْكِ فى الرَّبْ ... عِ دُموعِى ، والاكْتِئابُ اكْتِئابى

(٩) القصيدة فى طبقات الشافعية ١/١٦٥ (ط الحسينية) ، وفيه عن ابن حزم انه قال : « من تختم بالعقيق ، وتفقه بفقه الشافعى ، وروى قصيدة ابن زريق فقد حوى الظرف كله »

[٢٣ ب]

هل الزَّمانُ معيدٌ فيك لذَّتنا ... أم اللَّيالى الّتى أمْضَتْهُ تَرْجِعُهُ ؟!
فى ذِمّةِ الله من أصبحتَ منزِلَهُ ... وجادَ غَيْثٌ على مَرْباكَ يُمْرِعُهُ
مَنْ عِنْدَهُ لى عَهْدٌ لم يُضِعْهُ كما ... عِنْدِى له عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ
ومن يُصَدِّعُ قلبى ذِكْرُه ، وإذا ... جَرَى على قلبه ذِكرى يُصَدِّعُهُ
استوْدِعُ اللهَ فى بغدادَ لى قَمَرًا ... بالكَرْخِ من فَلَكِ الأزرار مَطْلِعُهُ(١)
ودَّعْتُه وبوُدِّى أن يُوَدِّعَنى ... رَوْحُ الحياةِ ، وأنّى لا أُوَدِّعُهُ
كم قد تشَفَّعَ فى ألا أفارِقَه ... وللضَّرُورَةِ حالٌ لا تُشَفِّعُهُ
وكم تَشَبَّثَ بى يومَ الرَّحِيلِ ضُحًى ... وأدْمُعِى مسْتَهِلّاتٌ وأدْمُعُهُ
لا أكذِبُ اللهَ : ثوبُ الصَّبْرِمُنْخَرِقٌ ... عنّى لفُرْقَتِهِ لكن أُرَقِّعُهُ

وقال آخر :

تَطْوى المنازِلَ عن حبيبكَ دائبا ... وتظَلُّ تَبكِيهِ بدمعٍ ساجِمِ (٢)
ألّا أقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضا ... قُلِّبْتَ ، أو حَدِّ الحُسَام الصارِمِ
كذَبَتْكَ نفسُك ، لستَ من أهلِ الهَوَى ... تشكو الفِراقَ وأنتَ عيْنُ الظّالِمِ

وقالت امرأة من كلب(٣) :

[٢٤ أ]

سقَى اللهُ المنازلَ بين شَرْجٍ ... وبين نواظِرٍ دِيمًا رِهامًا (٤)
فلو أنّا (٥) نُطاعُ إذا أمَرْنا ... أطَلْنا فى دِيارِهم المُقامَا
فإنى لا أنِى ما عِشْتُ أُهْدِى ... لها ولمن يَحُلّ بها السَّلامَا
وما يُغْنِى السلامُ إذا نَزَلْنا ... لِوى لامٍ ، ألامَ اللهُ لامَا

---

(١) هذا البيت ، والأبيات الثلاثة التاليـة له فى يتيمة الدهر ١/٢٧٧ منسوبة الى الواواء الدمشقى وذكر انها مما يتغنى به من شعره ،ولم يورد شيئا من هذه القصيدة فيما اختـاره من شـعر ابن زريق فى اليتيـمة ٢/٣٧٦ . وكذلك وردت فى ديوان الوأواء /١٣٩ و١٤٠فيما ينسب اليه وليس فى أصل ديوانه .

(٢) هذه الأبيات تقدمت فى ص ١٧ ب كروايتها هنا من غير نسبة الى قائل معين .

(٣) البيت الأول والثانى هنا أوردهمـا ياقوت فى معجم البلدان (شرج) ونسبهمـا ايضا الى امرأة من كلب .

(٤) فى معجم البلدان ورد بين هذا البيت والذى يليه ، البيت التالى :

وأوْساطَ الشَّقِيقِ شَقِيقِ عَبْسٍ ... سَقَى رَبِّى أجارِعَه الغَمَامَا

(٥) فى المصدر السابق « فلو كنا »

وقال إسماعيل بن يَسار مَوْلى قُرَيْش (١) :

ما على رَسْم منزل بالجَناب | لو أبانَ الغداةَ رَجْعَ الجواب
غيَّرَتْه الصَّبَا ، وكُلُّ مُلِثٍ (٢) | دائمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السّحابِ
دار هِنْدٍ ، وهل زمانٌ بهندٍ | عائدٌ بالهَوَى وصَفْوِ الجَناب ؟!
صاحِ أَبْصَرْتَ أو سَمِعْتَ براعٍ | ردَّ فى الضَّرْع مامَرَى(٣) فى الحِلاَبِ ؟
أقصَرَتْ شِرَّتِى ، وولَّى شبابى | واستَراحَتْ عواذلى من عِتابى (٤)

وقال جَمِيل بن مَعْمَر العُذْرِىّ (٥) :

إنَّ المنازِلَ هيَّجَتْ إطرابِى | واستَعْجَمَتْ آياتُهَا بجوابِى
قفرًا (٦) تَلُوحُ بذِى اللُّجَيْنِ كأنَّها | أنضاءُ وَشْمٍ ، أو سُطورُ كتابِ
لما وقفت بها القَلُوصَ (٧) تبادرت | منى الدُّموعُ لفُرْقَةِ الأَحبابِ
وذكَرْتُ عَصْرًا يا بثينةُ شَفَّنى | إذ فاتنى، وذكَرتُ شَرْخَ(٨) شبابِى

[٢٤ب]

وقال الشريف الرَّضِىّ رحمه الله (٩) :

أيا منازِلَ سَلْمَى أين سلماكِ | من أجلها إذ أتيْناها أتَيْناكِ
زُرْناكِ شَوقًا ، ولو أن النَّوىبَسَطَتْ | عَرْضَ الفلاةِ لنا جَمْرًا لزُرْنَاكِ

وقال أبو الصَّنِّ رِفاعةُ بن عاصم الثَّقَفِىّ :

---

(١) الأبيات منسوبة اليه فى الأغانى ٤/١٢٠ (ط بولاق)

(٢) يقال : الث المطر ، اذا دام أياما لايقلع ،والودق : ما يكون من خلال المطر كأنه غبار ، وقد يعبر به عن المطر

(٣) يقال : مرى الناقة ونحوها ، اذا استدرها للحلب .

ورواية الأغانى « ردَّ فِى الضَّرْعِ ما قَرَى فى العِلابِ » وبين هذا البيت والذى قبله فى الأغانى خمسة أبيات .

(٤) الشرة : الحدة والنشاط ، يقال : للشباب شرة .

(٥) الأبيات وتخريجها فى ديوانه /٣١ بتحقيق حسين نصار

(٦) رواية الديوان « قفر » بالرفع .

(٧) القلوص من الابل : الفتيــــة المجتمعةالخلق ، وذلك من حين تركب الى التاسعة من عمرها ، ثم هى ناقة .

(٨) شرخ الشباب : أوله ونضارته .

(٩) لم أجد هذين البيتين فى ديوان الشريف الرضى .

أمنزِلَتَيْ ثَبْجَاءَ من بطنِ واسطٍ   إلى ذِي الأراطَى[1] ، كيفَ حالُكُما بعدِي؟
تَتابَعُ أنواءُ الرَّبيعِ عليكما   أمالكما بالمالِكِيَّةِ من عَهْدِ ؟

وقال آخر :

سقى اللهُ بابَ الكَرْخِ من مُتَنَزَّهٍ   إلى قصر وَضَّاح ، فَبِركَةِ زَلْزَلِ[2]
منازلَ لو أنَّ امْرَأَ القيس حَلَّها   لأَقْصَر عن ذِكْرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن الخزاعِيُّ[3] :

كأن لم تكُنْ سُعْدَى بأَحْيَاءِ[4] غَيْقة[5]   ولم تُرَ من ليلى[6] بهِنّ منازِلُ
ولم تَتَرَبّع بالسُّرَيْرِ ولم تكن   به[7] الصَّيفَ خَيْماتُ العُذَيْبِ الظلائلُ[8]
أبى الصَّبْرَ عن سُعْدَى هَوًى ذُو عَلاقة   ووجدٌ بسُعْدَى شارَكَ القلبَ قاتلُ[9]

[١٢٥]

---

(١) كذا ضبطه فى الأصل بفتح الهمزة ، وفى معجم البلدان (اراطى) ضبط بضم الهمزة: ماء على ستة أميال (= نحو ١٢ كم) من الهاشمية شرقى الخزيمية من طريق الحاج .

(٢) كذا ضبطه بفتح الزاى فى الموضعين ، وفى معجم البلدان (بركة زلزل) بضمها فيهما قال ياقوت : « بركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والسراة وباب المحول وسويقة أبى الورد » وهى منسوبة الى زلزال الذى يضرب المثل بحسن ضربه بالعود على عهد الرشيد ، وفيها يقول نفطويه النحوى :

لو أنّ زُهَيْراً وامْرَأَ القَيسِ أبْصرا   ملاحةَ ما تَحْويه بِرْكَة زُلْزُلِ
لما وَصَفَا سَلْمَى ولا أُمَّ جُنْدَبٍ   ولا أكْثَرا ذكْرَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ

(٣) الأبيات فى ديوانه (٢/٩٢ ط الجزائر)من قصيدة يمدح بهـا عبدالعزيز بن مروان مطلعها :

عَفَا ميثُ كُلْفَى بعْدَنا فالأجاوِلُ   فأَثْمادُ حَسْنَى فالبِراقُ القَوابِلُ

(٤) الديوان « بأعناء » وفسره بأنه جمع عنو ، كفنـو ، أو جمع عنا ؛ كعصا ، اى الجوانب والنواحى

(٥) غيقة قال ياقوت : مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الاشقر ، وفيهـا يقول كثير أيضا :

عفَتْ غَيْقَةٌ من أهلِها فحَرِيمُها   فبُرْقَةُ حَسْنَى قاعُها فصَرِيمُها

(٦) فى الديوان « سعدى »

(٧) فى الديوان « ... ولم يكن لها الصيف»

(٨) فى الديوان « الطلائل » وهو تحريف، وما هنا انسب للمعنى .

(٩) لم يرد هذا البيت فى القصيدة كما جاءت فى ديوانه .

وقال جَرير بن عطية[1] :

خليليَّ هِيجا عَبْرَةً أو قِفا بنا ... على مَنْزلٍ بين البَقِيعَةِ[2] والحَبْلِ

فإنِّى لَباقِى الدّمعِ أن كنتُ باكيًا ... على كلِّ دارٍ حلَّها مرّةً أهلى

لعَمْرُكَ لولا اليأسُ ما انقطع الهَوَى ... ولولا الهَوَى ما حَنَّ من والِهٍ قَبْلى

تُريدينَ أن أرْضَى ، وأنتِ بخيلةٌ ... ومن ذا الذى يُرضِى الأخِلاء بالبُخْلِ[3]

وقال أيضا : [4]

حيِّ المنازلَ بالبَرْدَيْنِ[5] قد بَلِيَتْ ... للحيِّ لم يَبْقَ منها غيرُ أبْلادِ

[أبلاد] أى آثار :

ما كِدْتَ تعرفُ هذا الرّبعَ غيَّره ... مرُّ السّنين كما غيَّرْنَ أجْلادِى

لقد عَلِمْتُ ـ وما أُخْبِرْتُ عن أحَد[6] ـ ... أنَّ الهَوى بنَقَا البِشْرَيْنِ مُعْتادِى[7]

---

(١) الأبيات فى ديوانه / ٤٦٠ (ط الصاوى) وفى النقائض ١٤٤/١ (ط مصر) من قصيدة مطلعها :

عُوجِى علينا وارْبَعى رَبَّةَ البَغْلِ ... ولا تَقْتُلِينى . لا يَحِلُّ لكُمْ قَتْلى

وهى نقيضة لقصيدة البعيث التى اولها :

أهاجَ عليكَ الشَّوْقَ أطْلالُ دِمْنَة ... بِناصِفَةِ الجَوَّيْنِ أوْ جانِبِ الهَجْلِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات رقم (٧و٨و١٠ و٩)

(٢) فى الديوان : النقيعة ، وهى خبراء بين بنى سليط وضبه ، وانظر فى البقيع والبقيعة البكرى (معجم ما استعجم وهامشه بتحقيق مصطفى السقا) فقد ورد فى تحديد هذا الموضع كلام طويل .

(٣) رواية الديوان :

تُريدِينَ أنْ نَرْضَى وأنت بَخِيلةٌ ... ومنْذَا الذى يُرْضِى الأحِبَّاءَ بالبُخْلِ؟

(٤) الأبيات فى ديوانه / ١٥٣ (ط الصاوى) من قصيدة يمدح بها معاوية بن هشام بن عبد الملك أولها :

قد قرَّبَ الحَىُّ إذ هاجُوا لإصْعادِ ... بُزْلًا مُخَيَّسَةً أرْمام أقْيادِ

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١٠ ـ ١٢) .

(٥) البيت أورده البكرى فى معجم ما استعجم فى رسم (برد) وقال : « أراد بالبردين بردا ـ يعنى بفتح أوله وكسر ثانيه ـ فثناه وخففه » .

(٦) فى الديوان : « من أحد »

(٧) فى الديوان « بنقى يبرين » ولعله الصواب ، لوروده فى قول جرير أيضا :

فقُلْتُ للرَّكْبِ ـ إذ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنا ـ ... يا بُعْدَ يَبْرِينَ من بابِ الفَرادِيسِ

ويبرين : من قرى حلب ثم من نواحى عزاز .

وقال عُروَةُ بن الوَرْدِ [1] :

أَلم تَعْرِفْ مَنَازِلَ أُمِّ عَمْرٍو ... بِمُنْعَرِجِ النَّواصِفِ من أَبانِ ؟

[٢٥ ب] وقفتُ بها ، ففاضَ الدَّمعُ مِنِى ... كمُنْحدِرٍ من النَّظْمِ الجُمانِ

ولكن لن يُلَبِّثَ وصلَ حَىٍّ ... وجِدَّةَ وجْهِهِ مرُّ الزَّمانِ

وقال حَفْصٌ الأُمَوِىّ :

يا منزلَ الحَىِّ بالأَجْراع من لَجِبِ ... بادَتْ معارفُه فى سالِفِ الحِقَبِ

دارٌ لأَسماءَ إذ كانت تُجاوِرُنَا ... والحبلُ ، إذ كان منها غيرَ مُنْقَضِبِ

إذا تذَكَّرْتُ أهلَ الغَمْرِ ساعدنى ... مَوّارُ دَمْعٍ على الخَدَّيْنِ مُنْسَكِبِ

كانُوا لنا جيرةً حتى تَخَوَّنَهُمْ ... دهرٌ يُفرِّقُ بين الجِيرَةِ الصَّقَبِ [2]

وغَرَّبَتْهُمْ نوًى عنَّا مُطَوِّحَةٌ ... ومن تَغُلْه النَّوَى يشْحَطْ ويَغْتَرِبِ

جاءَ الفِراق ولم نَلْبَسْ لبغتَتِه ... ثَوبَ العزاءِ ، ولم نَذْهَلْ عن الطَّرَبِ

فنحن بين شَجٍ لم يَقْضِ عَبْرَتَه ... وبين حَرّانَ باكِى العينِ مُنْتَحِبِ

وقال جَمِيلُ بن مَعْمَر [3] :

أَهاجَتْكَ المنازِلُ والطُّلُولُ ... عَفَوْنَ ، وخَفَّ منهُنَّ الحُمُولُ

نعم . وذَكَرْتَ دُنيا قد تَقَضَّتْ ... وأَىُّ نعيمِ دُنيا لا يَزُولُ

[٢٦ أ] أُسائِلُ دارَ بَثْنَةَ أين حَلَّتْ ... كأَنَّ الدارَ تَفْهَمُ ما أَقُولُ

وقال الشريف الرَّضِى – رضى الله عنه [4] :

يَقَرُّ بعينِى أَنْ أَرى لكِ مَنْزِلًا ... بنَعْمَانَ يَزْكُو تُرْبُه ويَطِيبُ

وأَرْضًا بنَوّارِ الأَقاحِى صَقِيلَةً ... تردّدُ فيها شَمْأَلٌ وجَنُوبُ

وأَىُّ حبيبٍ غَيَّبَ النَّأْىُ شَخْصَه ... وحال زمانٌ دونه وخُطُوبُ

---

(١) لم أجد هذه الابيات فى ديوان عروة برواية ابن السكيت (ط الجزائر ١٩٢٦) وكذلك لم ترد فى ديوانه (ط جوتنجن ١٨٦٣)

(٢) الصقب : القرب والملاصقة والجوار ،أراد المتجاورين

(٣) هذه الابيات لم أجدها فى ديوان جميل بتحقيق حسين نصار

(٤) ديوان الشريف الرضى : ٨٠ و ٨١ ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الابيات ١ – ٤ و٨ و١٠ و١٤ .

تَطاولَت الأَعلامُ بيني وبينه ... وأَصبح نائِي الدّارِ وهو قريبُ

يقولون : مشغُوفُ الفؤادِ مُرَوَّعٌ ... ومَشْغُوفَةٌ تدعو به فيُجيبُ

عَفافِيَ من دونِ التَّقِيَّةِ(١) زاجِرٌ ... وصَوْنُك من دون الرَّقِيبِ رَقِيبُ

وفي القلبِ داءٌ في يديك دَواؤُه ... أَلا رُبَّ داءٍ لا يراه طَبِيبُ

وقال زُهَيْر بن أَبي سُلْمَى (٢) :

كم للمنازِلِ من عامٍ ومن زَمَنِ ... لِآلِ أَسماءَ بالقُفَّيْنِ(٣) فالرُّكُنِ (٤)

لآلِ أَسماءَ إِذْ هامَ الفؤادُ بها ... حيناً ، وإِذ هي لم تَظْعَنْ ولم تَبِنِ(٥)

وإِذ كِلانا إِذا حانت مُفارقَةٌ ... من الدِّيار ، طوى كَشْحًا على حَزَنِ(٦)

فقلتُ – والدّارُ أَحيانًا يَشِطُّ بها ... صرْفُ الأَميرِ على من كان ذا شَجَنِ(٧)

[٢٦ ب]

لصاحِبِيَّ وقد زال النَّهارُ بنا – : ... هل تُوْنِسان بِبَطْنِ الجَوِّ من ظُعُنِ(٨)

يقطَعْنَ أَميالَ أَجوازِ الفَلاةِ ، كما ... يغْشَى النَّواتِي غِمارَ اللُّجِّ بالسُّفُنِ(٩)

وقال النابغة الذُّبْيانى(١٠) :

---

(١) في الديوان (من دون النقيبة ..) وما هنا انسب

(٢) الأبيات فى شرح ديوان زهير /١١٦ (ط دار الكتب)

(٣) القف : ما ارتفع من الأرض وغلظ ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ؛ والقف : علم لواد من أودية المدينة . كذا فى معجم البلدان ، قال ياقوت :قال زهير :

لمَنْ طَلَلٌ كالوَحْيِ عافٍ منازِلُه ... عَفَا الرَّسُّ منه ، فالرُّسَيْسُ فعَاقِلُهْ

فقُفٌّ فَصاراتٌ فأَكنافُ مَنْعِجٍ ... فشَرْقِيُّ سَلْمَى حوضُه فأَجاوِلُهْ

ثم اضاف اليه شيئا آخر فثناه ، فقال زهير : كم للمنازل ... البيت

(٤) الركن – بضمتين – : موضع باليمامة ،ذكره ياقوت ، واستشهد له بهذا البيت .

(٥) تظعن : ترحل ، لم تبن : من البين ، وهو الفراق .

(٦) طوى كشحا : ولى وهو حزين (٧) فى الأصل « على بما كان من شجن » والمثبت رواية الديوان وهو أقوم للوزن ، ومعنى يشط : يبعد ، وصرف الامير : تصرفه وتقلبه ، والأمير : المشاور الذى يأمر بالرحيل والمسير ،والشجن : الحاجة والهوى

(٨) تؤنسان : تبصران ، والجو : موضع باليمامة ، والظعن : جمع ظعينة ، وهى المراة فى هودجها .

(٩) فى الديوان : « يَقْطَعْنَ أَجْوازَ أَمْيالِ الفَلاةِ كَما ... »

والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط ،والأميال : جمع ميل ، وهو القطعة من الأرض مد البصر ، والنواتي : الملاحون .

(١٠) الابيات فى ديوان النابغة (٨٥ ط بيروت ، ٨٩ ط مصر ، ٩٧ ط باريس) ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات (١و٢و٥ وهى من قصيدة قالها فى غزو عمرو بن الحارث الأصغر الغسانى لبنى مرة .

أهاجَكَ من أسْماء رَبْعٌ[1] المنازلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٌّ فبُرقِ الأَجاوِلِ[2]

أَربَّتْ بها الأَرواحُ حتى كأَنَّما تهادَيْن أعلى تُرْبِهَا بالمَناخِلِ؟[3]

عهدتُ بها حيًّا كِراما فبُدِّلَت خناطيلَ آرامِ الظِّباءِ المطافلِ[4]

وقال زُهَيْر[5] :

لِسَلْمى بشَرْقِيّ القَنَانِ منازِلُ ورسْمٌ بصحراءِ اللُّبَيَّيْنِ ماثِلُ[6]

أَتى[7] عام حَلَّتْ صيفُه وربيعُه وعَامٌ وعامٌ يَتبعُ العامَ قابلُ

تحمَّل عنها أَهْلُها ، وخلَتْ لها سِنُون ، فمنها مُستَبِينٌ وحائِلُ[8]

طرِبْتُ ، وقال القلبُ : هلْ دونَ أهْلِها لمنْ جاورَتْ إلا ليالٍ قلائِلُ[9] ؟

وقال عديٌّ بن الرِّقاع[10] :

[١٢٧] أتعرفُ بالصحراء شَرْقِيَّ شابِكٍ منازِلَ أعْراها الأَنِيسُ ومَلْعَبَا[11] ؟!

---

(١) فى الديوان « رسم »

(٢) الديوان : « فذات الأجاول » ومثله فى معجم ما استعجم فى رسم « الاجاول » وقال البكرى : وهى من نواحى كلفى ، بين الجار ، وودان ، اسفل الثنية .

(٣) اربت : دامت ، والارواح : جمع ربح .

(٤) رواية الديوان «خَناطِيلَ آجالِ النَّعامِ الجَوافِلِ» والخناطيل : الجماعات من الوحش والطير ، والآجال : جمع اجل ـ بكسر فسكون ـ وهو القطيع من بقر الوحش ، والرئم : الظبى الخالص البياض ، والصفير من ولد الظبــاء ، والمطافل : جمع مطفل ، والمطفل : ذات الطفــل

(٥) الأبيات فى ديوانه (٢٩٢) من قصيدة قالها فى سنان بن أبى حارثة المرى ؛ وكان ـ وهو شيخ كبير ـ ركب بعيرا ببطن نخل فذهب به فهلك .

(٦) فى بعض نســخ الديوان المخطوطة البليين ، وهو موضع ، وقــد ذكر ياقــوت والبكرى (معجم ما استعجم) اللبيين واستشهدا ببيت زهير هذا ؛ ورواية الديوان « حائل » بدلا من « ماثل » والحائل : المتغير .

(٧) رواية الديوان « عفا » أى : درس ، والماثل : الدارس اللازق ، ويقال : رأيته ثم مثل أى ذهب .

(٨) فى الديوان « ماثل » مكان حائل .

(٩) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان ابيات ، والمعنى المراد « ليس بيننا وبينها الا ليال قلائل ، ومعنى من جاورت ، أى من جاورتنا »

(١٠) البيتان الأول والثانى أوردهما ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (شابك) منسوبين اليه .

(١١) رواية معجم البلدان «مَنازِلَ غِزلانٍ لها الأنس أطْيبَا »

ظَلَلْتُ أُرائِيها صِحابِى ، وقد أرى بها أَذْنَها من بين غِرٍّ وأَشْيَبَا (١)
ومُحْتَجِبَاتٍ بالسُّتُورِ ، كأَنَّما تُجِنُّ سُتُورُ الخَزِّ منهنَّ رَبْرَبا (٢)
أَخطَرْتُ شَوْقٍ فى الفؤاد تعَرضَت لتَنْكَأَ(٣) قلبًا مُستهاما مُعَذَّبا
وقال ذو الرُّمَّة(٤) غَيْلان :

خليلىَّ عُوجا من صُدورِ الرَّواحل بجُمْهُورِ حُزْوَى(٥) فابكيا فى المنازلِ
لعلّ انحدارَ الدمعِ يُعْقِبُ راحة من الوجدِ أو يَشْفِى نَجِىَّ(٦) البلابلِ
دَعانِى ، وما دَاعِى الهوى من بِلادها إذا ما نَأَتْ خرقاءُ عنى بغافِلِ (٧)
وقال أيضا (٨) :

أَلا حَىِّ المنازِلَ بالسلامِ على بُخْلِ المنازلِ بالكلامِ
لمىٍّ باللِّوَى(٩) درجتْ عليه رياحُ الصيفِ عامًا بعد عامِ
أَلا ياليتنا يا مَىُّ ندرى متى نلقاكِ فى عَرْجِ اللِّمَامِ (١٠)
[يريد بعَرْج اللِّمام] اختلاف دارِهما .
وقال (١١) أيضا :

---

(١) فى المصدر السابق ظَلَلْتُ أُرِيها صَاحِبَىَّ
(٢) تجن : تستر . الخز : الحَرِير ، وقيل : هو من الثياب ما ينسج من صوف وحرير والربرب : القطيع من الظباء ، أو من بقر الوحش .
(٣) يقال : نكأ القرحة ، اذا قشرها قبل ان تبرأ ، والمعنى على التشبيه .
(٤) الأبيات فى ديوانه / ٤٩١ ويقابلها من القصيدة الأبيات (١و٢ و٥)
(٥) اورد ياقوت فى معجم البلدان هذا البيت فى رسم « الجمهور » والجمهور من الرمل : العظيم المشرف على ما حوله ، وجمهور حزوى : موضع بعينه .
(٦) النجى : ما تحدث به نفسك ، والبلابل : الهموم فى الصدور .
(٧) نأت : بعدت ، يقول : ان هواها لايبعدعنى ، وان بعدت عنها .
(٨) الأبيات فى ديوانه / ٥٩٤ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٢ و٧
(٩) فى الديوان : « لِمَىٍّ بالمِعا دَرَجَتْ عَلَيْها »

وهو موضع مختلف فى تحديده ذكره ياقوت فى رسمه من معجم البلدان ، وقد ورد كثيرا فى شعر ذى الرمة ، قال ابو زياد الكلابى : المعا : جانب من الصمان ، وقال ذو الرمة

تُراقِبُ بين الصُّلْبِ من جانِبِ المِعَا مِعا واجِفٍ شَمْسًا بَطِيئًا نُزُولُها

(١٠) فى الديوان : « فى عوج اللمام » وفسره فى هامشه بقوله : « يريد فى عطف اللمام ، اى متى تلم الدار بالدار حين يجتمع القوم ، من قولهم : الم به ، اذا اتاه .
(١١) الابيات فى ديوانه / ٧٧ و٧٨ ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات من (١ ــ ٤ ، و٦ و٧ و٩ و١٠) .

[٢٧ ب]

أَمَنْزِلَتَيْ(١) مَيٍّ سلامٌ عليكما على النَّأْيِ ، والنائِي يودُّ وينْصَحُ
ولا زال من نَوْءٍ(٢) السِّماك عليكُما ونَوْءِ الثُّريّا وابلٌ متَبَطِّحُ
وإن كنتما قد هِجْتُما راجِـعَ الهوى لِذِي الشَّوْقِ حتى ظلَّت العينُ تَسْفَحُ
أجلْ . عَبْرَةً كادت لعِرْفانِ منز لٍ لِمَيَّةَ لو لم تُسْهِل الماءَ تَذْبَحُ(٣)
إذا غيَّر النـأْيُ المُحِبِّين لم أجد رسِيسَ الهَوَى من حُبِّ ميَّةَ يبْرَحُ(٤) .
فلا القُرْبُ يُدْنى من هواها ملالةً ولا حُبُّها إن تنْزَحِ الدارُ ينْزَحُ(٥)
تَصَرَّمُ(٦) أهواءُ القلوب ولا أرى نصيبكِ من قلبي لغيرِكِ يُمْنَحُ
وبعضُ الهوى بالهجرِ يُمْحى فيَنْمَحِي(٧) وحُبُّكِ عندِي يستجدُّ ويربحُ

وقال ذو الرُّمَّة(٨) أيضا :

ألا أَيُّهذَا المنْزِلُ الدارسُ اسْلمِ وأُسْقِيتَ(٩) صوْبَ الباكر المُتَغيِّمِ
وإن كنتَ قد هيَّجْتَ لى دون صُحْبَتِى رسِيسَ(١٠) هوًى من حُبِّ مَيَّةَ مُسْقِمِ

---

(١) هذه رواية الديوان وفيه اشارة الى رواية اخرى هى : « أياطللى مى » والنائى : البعيد يعنى نفسه

(٢) النوء : سـقوط نجـم مع ظهور نجم آخر .

(٣) تذبح : تشق ، وبين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

على حِينَ راهَقْتَ الثّلاثِينَ وارْعَوَتْ لِداتى وكادَ الحِلْمُ بالجَهْلِ يرْجَحُ

(٤) النأى : البعد ، ورسيس الهوى : خفيه، وقيل : مسه وأوله .

(٥) الملالة : الملل . يقول : اننى لا اتغير عماعمدت لها من الحب لا فى قربها ولا فى بعدها ، وبين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

إذَا خَطَرَتْ من ذِكْرِ مَيَّةَ خَطْرَةٌ عَلى النَّفْسِ كادَتْ فى فُؤَادِكَ تَجْرَحُ

(٦) « يريد تتصرم » وفى الديوان (تصرف) وفسره فى هامشه بقوله : اى تصرف فى كل وجه ، ويمنح : يعطى .

(٧) فى الديوان « فيمتحى » واشار فيـه الى رواية « أَرَى الحُبَّ بالهِجْرانِ يُمْحَى فَيَمَّحِي » ومعنى يستجد ويربح : يتجدد وينمو ويزيد .

(٨) الأبيات فى ديوانه /٦٢٦ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٣ و٤ و١٣

(٩) فى الديوان : « وسقيت »

(١٠) فى الديوان «رَجيع هَوًى من ذِكْرِ مَيَّة...» .

هوًى كادت العينانِ يفرُطُ(١) منهما له سَنَنٌ مثلُ الجُمانِ المُنَظَّمِ
أُحِبُّ المكانَ القفرَ من أَجْلِ أنَّنى به أَتَغَنَّى باسمِها غيرَ مُعْجِمِ (٢)

وقال الحارث بن خالد(٣) :

[١٢٨ ا]

إنِّى وما نحرُوا غداةَ مِنًى عند الجمارِ تَئُودُها العُقُلُ
لو بُدِّلَتْ أعْلَى منازِلِها سُفْلًا ، وأصبح سُفْلُها يَعْلُو
فيكادُ يعرفُها الخبيرُ بها فيرُدُّه الإقواءُ والمَحْلُ
لعرفْتُ منزلَها بما ضَمِنَتْ منىَ الضُّلوعُ لأَهلِها قَبْلُ

وقال البُحْتُرِى(٤) :

جِئنا نُحَيِّى من أُثَيْلَةَ منزلا جُدُدًا معالمه بذى الأَنْصابِ
أدَّى إلىَّ العهدَ من عِرْفانِها(٥) حَتَّى لكاد يَرُدُّ رجْعَ جوابى

وقال أيضا(٦) :

مُسْتَهْتَرٌ بالظَّاعِنين وفيهمُ صَدٌّ (٧) يسعِّرُ لَوْعةَ المُسْتَهْتَرِ
يَسَلُ(٨) المنازِلَ عنهم، وعَلَى اللوى دِمَنٌ دوارِسُ إن تُسَلْ لم تُخْبِرِ
ومن السَّفاهَةِ أن تَظَلَّ مُكَفْكِفًا دَمْعًا على طَلَلٍ تَأَبَّدَ (٩) مُقْفِرِ

وقال أيضا(١٠) :

(١) يفرط : يسبق ، والسنن : طريقه ومجراه ، الجمان : حب من فضة كهيئة اللؤلؤ .
(٢) علل حبه للمكان القفر من حبيبته بقدرته على الافصاح فيه بذكر اسمها
(٣) الأبيات منسوبة اليه أيضا فى الاغانى (٤٨/١ ط بولاق)
(٤) الديوان ١٤/١ من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن المدبر ؛ ويذكر وقعته مع الزنج ، ويقابلهما فى القصيدة البيتان (٣و٤)
(٥) الديوان : (من عرفانه .. حتى يكاد)
(٦) الديوان ٢٢٣/١ من قصيدة يمدح بها المستعين بالله ، ومطلعها

هَجَرَتْ وطَيْفُ خَيالِها لم يَهْجُرِ ونَأَتْ بحاجةِ مُغْرَمٍ لم يُقْصِرِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٣و٤و٥)
(٧) الديوان (صد يضرم)
(٨) أراد « يسأل » فحذف الهمزة للضرورة
(٩) تأبد : توحش ، ومثله قول لبيد

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فمُقامُها بمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها

(١٠) ديوان البحترى ٤١/٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ، والأبيات من أولها على الترتيب .

[٢٨ ب]

لا زَالَ مُخْتَفَلُ الغمام الماطر[1] يَهْمِى على حَجَراتِ أهل[2] الحاجر
فلرُبَّ مَنْزِلَة[3] هناك مُحِيلَةٍ ومحلَّة قَفْرٍ ورسْمٍ داثِرِ
أبهتْ لساكِنِها النَّوَى وتكَشَّفَتْ عن أهلِها سِنَةُ الزَّمان الناظِرِ[4]
ولقد تكونُ بها الأَوانِس من مَهًى مِيلِ القلوبِ إلى الصِّبى وجآذِرِ

وقال أبو حَيَّة النُّمَيْرِى[5]:

طربْتَ وها جتْكَ المنازِلُ من جَفْنِ ألا ربما يَعتادُك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرتُ إلى أظعانِ زَيْنَبَ بالضُّحَى فأَعْوَلْتُها لو أن إعوالَها يُغْنِى
فوالله لا أنساكِ زَيْنَبُ ما دَعَتْ مُطَوَّقَةٌ ورقاءُ شَجْوًا على غُصْنِ

وقال الأَحْوَص[6]:

زُبيْرِيَّة بالعرْج منها منازِلٌ وبالْخَيْفِ من أدنى منازِلها رسْمُ
أُسائِلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه ومالى بها من بعد مكَّتِنا عِلْمُ
أيا صاحبَ النخلات من بطنِ أَرْثَدٍ إلى النخل من وَدَّان ما فعلت نُعْمُ؟!

---

(١) فى الديوان (الباكر) (٢) فى الديوان « اعلى الحاجر »
(٣) فى الديوان (فارب اطلال) . (٤) فى الديوان (الزمان الناضر) .
(٥) اسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر عباسى يروى عن الفرزدق ، وانظر فى ترجمته طبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣-١٤٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة / ٤٨٦و٤٨٧ و البيت الأول من هذه الأبيات أورده ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (جفن) ونسبه الى محمد بن عبيد الله النميرى ، ثم الثقفى .
(٦) الأغانى (٤/٦٥ ط بولاق) وقال الاصفهانى : « هو مما غناه الدلال ، ولم ينسبه الى احد »
وفى معجم البلدان فى رسم (أرثد) أورد ياقوت الأبيات مع اختلاف فى ترتيبها من غير عزو ، وروايته لها على النحو التالى :

أَلَمْ تَسْأَلِ الخَيْمَاتِ من بَطْنِ أَرْثَدٍ إلى النَّخْلِ من ودَّانَ ما فعلَتْ نُعْمُ
تُشَوِّقُنِى بالعَرْجِ مِنْها منازِلٌ وبالخَبْتِ من أعلَى منازِلِها رَسْمُ
فانْ يَكُ حَرْبٌ بينَ قوْمِى وقَوْمِها فانِّى لها فى كلِّ ثائِرةٍ سِلْمُ
أُسائِلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه ومالى بِها من بعدِ مَكَّتِنا عِلْمُ

وكذلك انشد ياقوت اول هذه الأبيات فى رسم/ودان ، من غير عزو ، وذكر أن الصواب فى انشاده الى « النحل » بالحاء المهملة ، ونحل الوادى : جانبه ، قال : وليس فى ودان نخل .

فإن تَكُ حربٌ بين قَومِي وقَوْمِها فإنِّي لها في كل حادثةٍ سِلْمُ

وقال البُحْتُرِي [1] : [129 أ]

أكثَرْتَ في لومِ المُحِبِّ فأَقْلِلِ وأمرتَ بالصَّبْرِ الجميلِ فأَجْمِلِ

لم يَكْفِهِ نأْيُ الأَحِبه باللِّوَى حتى ثَنَيْتَ عليه لومَ العُذَّلِ

قَسَمَ الصبابةَ فِرْقَتَيْنِ : فشوقُه للظَّاعِنِينَ ، ودمْعُه للمنْزِلِ

متقسِّمُ الأَحشاء يندُبُ [2] أربُعًا مُتَقَسِّماتٍ بالصَّبَا والشَّمْأَلِ

خُطَّتْ على تلك المنازل [3] والرُّبى منهُنَّ أعباءُ الغَمامِ المُثْقَلِ

وقال أيضا [4] :

منازِلُ لم نُذَمِّمْ عهدَ مُعْرَسِنا فيها ، ولا ذُمَّ يومًا عهدُها فِينَا

تَجَرَّمَتْ [5] عندها أيامُنا حِجَجا معدودَةً وخَلَتْ فيها ليالينا

وقال أيضا [6] :

خُذا من بكائي في المنازِلِ أَودَعَا ورُوحا على لَوْمِي بِهِن أو ارْبَعَا

فما أنا بالمُشتاقِ إنْ قلتُ : أَسْعِدا لِنَنْدُبَ [7] رَبْعًا من سعادَ ومَرْبَعا

ولي لوعةٌ تَسْتَغْرِق الهجْرَ والنَّوَى جميعا ، ودمْعٌ يُنْفِدُ الحُبَّ أَجْمعَا [8]

وقال مَهْيارُ بن مَرْزَويه الدَّيْلَمِي [9] : [29 ب]

---

(1) الابيات على الترتيب من أول قصيــدته التى مدح بها محمد بن صالح الهاشمى ، وهى فى ديوانه (217/2)

(2) رواية الديوان : « ينشد »

(3) رواية الديوان : الأجارع »

(4) لم أجد هذين البيتين فى ديوانه

(5) تجرمت السنة : انقضت ، وتجرم الليل ذهب ، ومنه قول لبيد :

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أنيسِها حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وحَرامُها

(6) الأبيات على الترتيب من أول قصيدته فى مدح الحسن بن وهب ، وهى فى ديــوانه 97/2

(7) رواية الديوان : «لِنَنْدُبَ مَغْنىً من سُعادَ ومَرْبَعا » .

(8) رواية الديوان : «وحُبٌّ يُنْفِدُ الدَّمْعَ أجْمعا » وهو أنسب للمعنى .

(9) الأبيات فى ديوانه (259/2) من قصيدة يرثى بها أمير المؤمنين عليا ، وولده الحسين ، ويذكر مناقبهما ، ومطلعها :

يُزَوِّرُ عن حسناءَ زَوْرَةَ خائفٍ تَعَـ رُّضُ طَيْفٍ آخِرَ الليل طائِفِ

وبالغَوْرِ للنَّاسِين عهْدِىَ منزلٌ حنانَيْكَ من شاتٍ (١) أقام وصائفِ

أُغَالِطُ فيه رِقْبَةً (٢) لا جَهالةً وأسأَلُ عنه وهو باد [ى] المعارفِ

ويَعْذُلُنى فى الدّار صَحْبى كأنّنى على عَرَصات الدارِ أولُ واقِفِ

أنشد المُبَرِّدُ ، قال : أنشدتنى القُرَيْظيّة (٣) : (من بنى قُرَيْظ) (٤)

سقى اللهُ نَجْداً من ربيع وصيِّفِ وماذا تُرَجِّى مِن ربيع سقى نَجْدَا ؟

على أنَّه قد كان للعَيْشِ مرَّةً وللبِيض والفِتْيان منزلةً حَمْدَا (٥)

وقال آخر :

وإن بصحراءِ الغُوَيْرِ منازِلًا لأحبابِنا ، أكْرِمْ بها من منازِلِ

وفيها الذى هامَ الفؤادُ بِحُبها على أنه لم يحْظ منها بطائِلِ

وقال أبو الفتح الحسن بنُ عبد الله بنِ عبدِ الجبَّار بن أبى حَصِيْنَة السُّلَمِىّ :

سل المَنْزِلَ الغَوْرِىَّ أين خرائِدُه وأين تولّى بَدْرُه وفراقِدُهْ

وإن كان ذاك الربعُ مذ بان أهلُه لَيعْتادُه الوجدُ الذى أنا واجِدُه

ومِنْ لَوْعَةٍ من أهلِه لوشَكَوْتُها إليه للانَتْ ـ وهى صُمٌّ ـ جلامِدُهْ

[١٣٠ ا]

وقَفْنا به فاسْتَمْطَرَتْ كلّ مُقْلَةٍ عِهادَ البُكا آياتُه ومعاهِدُهْ

وأَنْبَتَ من سُحْبِ الدموعِ ترابُه حَيًا بشَّر النُّجّاعَ بالخِصْبِ رائدُهْ

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن الخُزاعِىّ (٦) :

---

(١) رواية الديوان « لديه » مكان « اقام » وفى هامشه اشارة الى رواية الاصل « لدى »

(٢) رواية الديوان (سائلا) مكان (رقبة) وما بين الحاصرتين تصحيح من الديوان

(٣) البيتان فى معجم البلدان لياقوت أوردهما فى رسم (نجد) وقد عزاهما الى اعرابى ، وهما فى الزهرة / ٢٦٩ ونسبه فيها الى وردالهلالى .

(٤) مابين القوسين فى الأصل بخط مغاير (٥) رواية الديوان :

بلى إنَّه قدْ كان للعِيسِ مَرَّةً ـ ورَكْنا بها والبيض ـ مَنْزِلَةً حَمْدَا

وروايته فى الزهرة

بلى إنه قد كان للبِيضِ مرَّةً وللعَيْشِ والفِتْيانِ مَنْزِلَةً حَمْدَا

(٦) الأبيات فى ديوانه ١ / ٢٤٤ من مقطوعةعدتها ستة ابيات ، ويقابلها منها بترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٦)

أَلِلشَّوْقِ لما هَيَّجَتْكَ المنازلُ   بحيث الْتَقَتْ من بِيشَتَيْنِ[1] الغياطِلُ
تذكَّرتُ فانْهَلَّتْ لعَيْنى [2] عَبْرةٌ   يجودُ بها جارٍ من الدمعِ هامِلُ [3]
ليالى من عيشٍ نَعِمْنا بوجهِه   زمانًا ، وسُعْدى لى خليلٌ مواصِلُ[4]

وقال البُحْتُرِى [5] :

ليت المنازلَ سِرْن يوم مُتالِعٍ   إذ لم يكن أُنْسُ الخليط مُقيما
فلرُبَّما أَرْوَتْ دموعًا من دمٍ   فيها ، وأَظْمَتْ لائِما ومَلُوما
ولقد منعتُ الدارَ إعلانَ الهَوَى   وطويتُ عنها سرَّكِ المكْتُوما [6]
وسَلى مَحيلَ الرَّبْعِ هلْ أَبْثَثْتُهُ   إلا الوقوفَ عليه والتَّسْليما ؟
سُقِيَتْ رُباكِ بكل نَوْءٍ عاجِلٍ [7]   من وَبْلِه حقًّا لها مَعْلُومَا

[٣٠ ب]

وقال البُحْتُرِى أيضا[8] :

نَشَدْتُكَ اللهَ من بَرْقٍ على إضَمٍ   أَلَّا[9] سَقَيْتَ جنوبَ الخَبْتِ فالعَلَمِ
وصُبْتَ بينهما حتى تُسِيلَهما   بمُسْتَهِلٍّ من الوَسْمِىِّ مُنْسَجِمِ

---

(١) فى الديوان « من بينتين العياطل »
وفى البكرى (معجم ما استعجم ٢٩٨/١) : « .. من بينتين الغياطل » وهو تثنية بينه : موضــــع من الجبى من وادى الرويث ، وبيشة : من أودية تهامه ، وهناك بيشه أخــرى هى بيشة السماوة ، وهى مأسدة (معجم ما استعجم ٢٩٣/١ و ٢٩٤)
(٢) فى الديوان « لعينك »   (٣) فى الديوان « وابل »
(٤) فى الديوان :

لياليَ من عَيْشٍ لَهَوْنَا بِوَجْهِهِ   زَمانًا ، وسُعْدَى لى صَدِيقٌ مُواصِلُ

ومن معانى الوجه : الجاه ، ويقال : وجهالشيء : نفسه وذاته ، والوجه أيضا : ما يقبل من كل شيء
(٥) الديوان (٢٤٢/٢) من قصيدة يمــدح بها ابراهيم بن الحسن بن سهل ، مطلعهــا :

أَحْرَى الخُطُوبِ بِأَنْ يكونَ عَظِيمَا   قَوْلُ الجَهُولِ : أَلا تَكُونُ حليمَا؟

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٥ ــ ٧ و٩ و١٢)
(٦) فى الديوان ــ بين هذا البيت والذىبعده ــ البيت التالى :

فَكَأَنَّما الواشُونَ كَانُوا أَرْبُعًا   مَمْحُوَّةً لِعِراصِها ورُسُومَا

(٧) الديوان (جاعل) مكان (عاجل)
(٨) الديوان (٢٦٤/٢) من قصــيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى بن خاقان ،والأبيات من اولها على الترتيب الوارد فى الديوان .
(٩) الديوان : (لما سَقَيْتَ جَنوبَ الحَزْنِ فالعَلَمِ) .

منازلُ ما تُجيبُ الصَّبَّ من خَرَس ولاتَرِيعُ [1] إلى شَكْواه من صَمَمِ
أَقامَ يَنْشُدُ شَمْلًا غيرَ مُتَّفِق من آل ليلَى ، وشَعْبًا غيرَ مُلْتَئِم

وقال ذو الرُّمَّةِ غَيْلان [2] :

أإنْ ترسَّمْتَ من خَرْقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبَابَةِ من عينيك مَسْجُومُ [3] ؟!
منازلَ الحَيِّ ، إذ لا الدارُ نازحَةٌ بالأَصْفِياءِ ، وإذ لا العيشُ مذْمُومُ
تعتادُنِى زَفَرَاتٌ حين أَذْكُرُها [4] تكادُ تنْقَدُّ منهنَّ الحَيازِيمُ

وقال البُحْتُرِى [5] :

أَرَى بين مُلْتَفِّ الأَراكِ منازلاً مواثِلَ لو كانت مهاها مَواثِلَا
فقِفْ مُسْعِدًا فيهن إن كنت عاذِرًا وسِرْ مُبْعِدًا عنهن إن كنت عاذِلا
لَقِينا المَغانى باللِّوى ، فكأَنَّنا لَقِينا الغَوانى الآنِساتِ عواطِلَا [6]

وقال القاضى أبو الفَتْح محمودُ بن إسماعيل بن قادُوس - مُنْشِئُ ديوان الرسائل بمصر - من ابتداء قصيدة [7] : [١٣١]

هَذِى منازلُ من هَوِيْتَ فَيَمِّمِ واربَعْ ، وسُحَّ برَبْعِها ديم الدَّمِ
عُجْنا فمِن صَبٍّ بِصبِّ دُمُوعِه دَرِبٍ ، ومن متعمِّلٍ متعلِّمِ

وقال آخر :

وقفْتُ لليلى بعد عشرين حِجَّةً بمَنزِلةٍ فانهلَّتِ العينُ تدمَعُ

---

(١) الديوان (لا تجيب) و (لا تريغ) .
(٢) الأبيات فى ديوانه / ٥٦٧ ، ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٥ و١٠
(٣) الديوان (أعن ترسمت) وفى هامشه اشارة الى الرواية الواردة هنا ، ويروى أيضا (توسمت) و (توهمت) مكان (ترسمت) ومعنى ترسمت : نظرت رسومها ، والصبابة : رقة الشوق ، ومسجوم : مصبوب صبا .
(٤) الديوان « من تذكرها » و « تكاد تنفض » وفى هامشه اشارة الى أن ماورد هنا هو احدى روايات الأصل ، والحيازيم ، واحدها حيزوم ، وهو الصدر وما اشتمل عليه .
(٥) ديوان البحترى (٢/ ٢١٢) من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف ، والأبيات من أولها على الترتيب الوارد فى الديوان .
(٦) الديوان (اللابسات)
(٧) لابن قادوس ترجمة فى خريدة القصر قسم شعراء مصر (ج ١/ ٢٢٦ - ٢٣٤) وحسن المحاضرة ١/ ٢٣٤ ولم أجد هذين البيتين فيما ورد له من شعر فيهما .

كأنَّ زِمامًا فى الفؤادِ مُعلّقا [تقودُ به حيثُ استمرّتْ وأَتْبَعُ

وقال آخر :

ما للمنازِلِ لا يُجِبْنَ حزِينَا أَصَمَمْنَ أم قَدُم البِلَى فَبَلِينا ؟!

لا ، بلَ بَلينَ فَهِجْنَ داءً ساكِناً لمُتَيَّمٍ ، وأَثَرْنَ منه دَفِينا .

رُوحُوا العَشِيَّةَ رَوْحَةً مذكورةً إن مِتْنَ مُتْنَ[1] ، وإن حيِين حيِينَا

قلت : مرّت بى هذه الأبيات فى خبر [2] استطَرفْته فأوردْتُه ، وليس مما قَصدْتُ له ، لكن الأبياتَ أَوْجَبَتْ إيرادَه .

[٣١ب] روى أن المأمونَ أمر أن يُحْمَلَ إليه عشرة من الزنادِقَةِ سُمُّوا له من أهل البَصْرَة ، فجُمِعُوا ، وأبصرهم طُفَيْلِيٌّ ، فقال : ما اجتمعوا[3] هؤلاءِ إلا لصنِيعٍ[4] ، فانسَلَّ فدخل فى وَسَطِهم ، ومضى بهم المُوَكَّلُون ، حتى انتَهَوْا إلى زورَقٍ قد أُعِدَّ لهم ، فدخلوا فى الزَّوْرَق ، فقال الطفيلى : هى نُزْهَةٌ ، فدخلَ معهم الزَّورَقَ ، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدَ القوم ، وقُيِّد معهم الطُّفَيْلِيُّ ، ثم سِير بهم إلى بَغدادَ ، فلما دخلوا على المأمون جعل يدْعُوا بأسمائهم رَجُلًا رجُلا ، ويأْمُرُ بضربِ أعناقِهم ، حتى وصل إلى الطفيليّ وقد استوفى العِدَّةَ ، فقال للموَكّلِين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى غير أنَّا وجدناه مع القومِ فَجِئْنَا به ، فقال له المأمون : ما قِصَّتُك ؟ ومن أنت[5] ؟ فقال : يا أمير المؤمنين امرأتُه طالق إن كان يعرفُ من أقاويلهم شيئًا ، ولا مما يدِينُون بِهِ[6] ، وإنما أنا رجل طُفَيْلِيّ ،

---

(١) كذا فى الأصل ؛ وفى شرح المقامات للشريشى (١/٢٨١) «.. متنا ، وان بقين بقينا»

(٢) هذا الخبر ورد . على نحو ما هو مذكورهنا ـ فى نهاية الأرب للنويرى ٣/٣٢٩ ـ ٣٣٣ وشرح المقامات للشريشى ١/٢٤٤ و ٢٧٩ـ٢٨٢ (ط الأميرية ببولاق) ومطالع البدور فى منازل السرور (ج١/١٩٦ ـ ١٩٩) واعلام الناس ١٩٥ـ ١٩٨ (ط الحلبى سنة ١٩٥٥) مع اختلاف يسير فى بعض المواضع ، وكذلك وردت فى تزيين الأسواق (١٤٣ ـ ١٤٥)

(٣) كذا بالأصل وهى لغة بعض العرب منهم أزد شنوءة والأفصح ما اجتمع هؤلاء .

(٤) فى المراجع السابقة « ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة »

(٥) فى مطالع البدور ١/١٩٦ « ماقصتك ويلك ؟! » وما هنا يتفق مع رواية شرح المقامات للشريشى .

(٦) فى مطالع البدو واعلام الناس مكان هذه الجملة « ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله » .

رأيتهم مجتمعين ، فظننت صَنِيعًا يُدْعوْن إليه ، فضحك المأمون(١) ، وقال : يُؤَدَّبُ ، وكان إبراهيم ابن المهدى قائما على رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين هب لى أدَبَه ، وأُحَدِّثُك بحديثٍ عجيب عن نفسى ، قال : قل يا إبراهيم ، قال : خرجتُ من عندِك يومًا ، وطُفْتُ فى سِكَكِ بغداد /مُتَطَرِّبًا حتى انتَهَيْتُ إلى موضعٍ ، فشَمَمْتُ من أبازِيرِ(٢) قِدْرٍ قد فاح طيبُها ، فتاقَتْ نفسى [٣٢ ا]
إليها وإلى طِيبِ رائحتها ، فوقفت على خَيّاط ، فقلت : لمن هذه الدّار؟ فقال : لرجل من التّجّار البَزّازِين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلانُ بن فلانٍ ، ثم رميت بطَرْفِى إلى شُبّاك فيها مُطِلّ ، فنظرتُ إلى كَفٍّ قد خرج على مِعْصَم ، فشغلنى يا أمير المومنين حسنُ الكفِّ والمِعْصَمِ عن رائحةِ القِدْر ، فبَقِيتُ باهتًا ساعة (٣) ، ثم أدركنى ذِهْنِى ، فقلت للخياط : هو ممن يشربُ النَّبيذ(٤) ؟ قال : نعم ، وأحسبُ أن عنده دَعْوَةً ، وليس ينادِم إلا تجارًا مثله مَسْتورِين ، [فبينا] (٥) أنا كذلك إذْ أقبل رجلان جليلان راكبان من رأس الدَّرْب ، فقال لى الخَيّاط : هؤلاءِ مُنادِمُوه ، فقلت : ما اسماهما وكُناهما ؟ فقال : فُلانٌ وفُلانٌ ، فحركْتُ دابّتى وداخَلْتُهما ، وقلت : جُعِلْتُ فِداكما قد استبطَأَكُما أَبُو فلانٍ – حرسه الله – وسايرْتُهما حتى أتيا الباب ، فأَجلّانى ، وقدّمانى ، فدخَلْتُ ودخَلا ، فلما رآنى معهُما صاحبُ المنزل لم يشُكَّ أنى منهُما بسبيل ، أو قادِمٌ قَدِم عليهِما من موضع ، فرحّب بى وأجْلَسَنى فى أفضلِ المواضِع ، فجِيء / يا أميرَ المُؤمِنين بالمائدة ، وعليها خبز [٣٢ب]
نَصِفٌ (٦) ، وأُتينا بذلك اللّون ، فكان طعْمُه أطيب من ريحه ، فقلت فى نفسى : هذه الألْوان

---

(١) . فى المصدر السابق « فضحك المأمون ، ثم قال : بلغ من شؤم التطفيل ان ادخل صاحبه هذا المدخل ؟! لقد سلم هذا الجاهل من الموت ، ولكن يؤدب » ومثله فى اعلام الناس ، وفى شرح المقامات ١/٢٤٤ « فقال المأمون :يؤدب على فرط جهله وتطفيله ، ومخاطرته بنفسه » .

(٢) الأبازير : التوابل

(٣) عبارة الشريشى فى هذا الموضع « فذهب عقلى وبهت » وفى مطالع البدور ، وأعلام الناس « فوقفت حائرا ونسيت رائحة الطعام »

(٤) لم ترد هذه الجملة فى شرح الشريشى ، وفى أعلام الناس ومطالع البدور «الخمر» مكان « النبيذ »

(٥) فى الأصل « فأنا كذلك » وفى مطالع البدور (فبينا نحن فى الكلام ، اذ أقبل رجلان » .

(٦) كذا فى الأصل وفى نهاية الأرب « خبز نظيف ، ولم ترد هذه الجملة فى مصادر القصة الأخرى ، وعبارة مطالع البدور : « ثم جىء بالمائدة ، ونقل اليها الالوان ، فكان طعمها .. الخ »

قد أكَلْتُها ، بقِيت الكَفُّ ، كيف أصل إلى صاحبتها ؟ ثم رُفِع الطَّعام ، وجيء بالوَضُوء[1] ، ثم صِرْنَا إلى مجلس الشَّراب والمنَادمَة ، فإذا أشْكَلُ [2] منزلٍ يا أميرَ المؤمنين ، وجعل صاحبُ المنزل يَلْطُفُ بي ، ويُقْبِل عليَّ بالحديث ، وجعلوا لا يشُكُّون أن ذلك منه عن معرفةٍ مُتَقَدِّمة ، حتى إذا شَرِبْنَا أقداحًا خرجت علينا جاريةٌ كأنَّها جانٌّ ، تتثَنَّى كالخَيْزُران ، فأقبلَتْ فسلَّمت غير خَجِلَة ، وثُنِيَتْ لها وِسادة ، فجلست ، وأُتِي بعُودٍ ، فوُضِع في حِجْرِها ، فجسَّته فتوهَّمْتُ في جَسِّها حِذْقَها ، ثم اندفعَتْ تُغَنِّي[3] :

تَوَهَّمها طَرْفي فأَصْبح خدُّها ... وفيه مكانَ الوهْمِ من نَظَري أثَرُ
يُصَافِحُهَا كَفِّي ، فتَأْلَمُ كَفُّهَا ... فمِن مسِّ كفِّي في أنامِلِها عَقْرُ [4]

فهيَّجَت يا أمير المؤمنين بلابِلي ، وطربْتُ لحسن الشِّعر وحِذْقِها ، ثم اندفَعتْ تُغَنِّي :

أَشَرْتُ إليها : هل عَرَفْتِ مودَّتي؟ ... فَردَّتْ بطرفِ العين : إني على العَهْدِ[5]
فحِدْتُ عن الإظهار عمداًلسرِّها [6] ... وحادَت عن الإظهار أيضًا على عمْدِ

/ فصِحْتُ : السلاح – يا أمير المؤمنين – وجاءني من الطَّربِ مالم أمْلِك [معه] [7] نفسِي ، [١٣٣] ثم اندفَعَتْ تُغَنِّي الصوتَ الثالث :

أَليْسَ عَجِيبًا أن بَيْتًا يَضُمُّني ... وإياك لا نَخْلُو ولا نَتَكَلَّمُ [8]

---

(١) الوضوء : الماء الذى يتوضأ به ، وفى التهذيب : الوضوء : الماء ، وفى مطالع البدور « ثم جيء بالوضوء فغسلنا »

(٢) يعنى أحسن شكلا

(٣) فى أمالى المرتضى ١ /١٨٨ نسب هـذا الشعر الى ابراهيم بن سيار النظام ، وروايتـه « توهمه .. » بضمير المذكر ، ومثله فى مطالع البدور ١/٢٣٩ ونسبه الى ابى نواس ، واورده فى ١/١٩٧ كروايته هنا من غير عزو ، ومثله فى شرح الشريشى ١/٢٨١

(٤) فى أمالى المرتضى ١/١٨٨

وصافَحَهُ قَلْبي فآلَمَ كفَّه ... فمن صَفْحِ قلْبي في أنامِلِه عَقْرُ

وبعده فيه :

ومرَّ بِقَلْبي خاطِرًا فجَرَحْتُه ... ولم أرَ خَلْقًا قطُّ يَجرَحُه الفِكْرُ
يَمُر ، فَمِنْ لِينٍ وحُسْنِ تَعَطُّفٍ ... يُقالُ : به سُكْرٌ ، وليسَ به سُكْرُ

(٥) فى شرح المقامات ، واعلام الناس ، ومطالع البدور من غير عزو

(٦) فى مطالع البدور « حفظا لسرها »

(٧) زيادة عن شرح المقامات ، ومطالع البدور .

(٨) فى أعلام الناس : « لا نلهو » .

سوى أعْيُنٍ تشكو الهَوَى بجُفُونِها(١) وتقطيعِ أنفاسٍ على النار تُضْرَمُ(٢)
إشارةِ أفواهٍ ، وغمز حواجب وتكسير أجْفانٍ ، وكَفٌّ تُسلِّمُ(٣)

فحَسدْتُها والله يا أمير المؤمنين على حِذْقِها ومعرِفَتها بالمعنى الذى قَصدَته من الشعر ، ولم تخرج عن الفَن الذى بدأتْ به ، فقلتُ : بقِى عليكِ ياجارية [شىء](٤) ، فَضربتْ بعودِها الأرض ، وقالت : متى كُنْتُمْ تحضِرُونَ مجالَسكم البُغَضَاءَ ؟ ! فَنَدِمْتُ على ما كان مِنِى ، ورأيت القوم كأنَّهم قد تَغَيَّروا لى ، فقلت : أما عندكم عُودٌ غير هذا ؟ قالوا : بلى ، وأُتِيتُ بعودٍ ، فأَصْلَحْتُ من شأْنِهِ ، ثم غَنَّيْت :

ما للمنازِلِ لا يُجِبْنَ حزينا .... الأبيات التى تقدمت

فما اسْتَتْمَمْتُه - يا أمير المومنين - حتى قامت الجارية فانكَبَّتْ على رجلىَّ تُقَبِّلُهما ، وقالت : معذرةً إليكَ يا سيدى ، فوالله ما سمِعْتُ أحَدًا يغنِّى هذا الصَّوتَ غِناك ، وقام مولاها وأهلُ المَجْلِس ، فَفَعلُوا كفِعْلِها ، وطَرِب القومُ ، واستَحثُّوا الشُّرْب ، فَشَرِبُوا بالطَّاساتِ والكاساتِ ، ثم اندَفَعْتُ أُغَنى :

أَبَى اللهُ أن أُمْسِى ولا تَذْكُرِينَنِى وقدسَجمَتْ عيناى من ذِكْرِكِ الدَّما(٥)
إلى الله أشْكُو بخلَها وسماحتى لها عَسلٌ منى ، وتَبْذُلُ عَلْقَمَا
فَرُدِّى مصابَ القَلْبِ ، أنتِ قَتَلْتِهِ ولا تتركِيه ذاهلَ القلبِ(٦) مُغْرَمَا

فَطَرِب القومُ يا أمير المؤمنين حتى خَرجُوا من عُقولِهم ، فأَمْسَكْتُ ساعةً حتى تراجعوا ، ثم غَنَّيْتُ الصوتَ الثالث :

هذا مُحِبُّكِ مَطْوِىٌّ على كَمدِهْ عَبْرى(٧) مدامِعُهُ تَجْرِى على جَسدِهْ

---

(١) فى مطالع البدور ، وأعلام الناس : « سِوَى أعْيُنٍ تُبْدِى سَرَئِرَ أنْفُس » .
(٢) فى شرح المقامات « وترجيع احشاء » .
(٣) فى المصدر السابق « .. وقلب متيم » وما هنا يوافق رواية مطالع البدور ، واعلام الناس .
(٤) زيادة من مطالع البدور ، وشرح المقامات .
(٥) هذه الأبيات فى نهاية الأرب ٣٣٢/٣ ولم ترد فى اعلام الناس ، وفى شرح المقامات ورد البيتان : الأول والثانى ، وفى مطالع البدور زاد بعدها البيت التالى :

إلى الله أشْكُو أنَّها أجْنَبِيَّة أكُونُ لها ما عِشْتُ بالوُدِّ مَحْرَما

(٦) فى مطالع البدور ، ونهاية الأرب « ذاهل العقل »
(٧) فى اعلام الناس « .. وجدا ، وادمعه » بدلا من (عبرى مدامعه) وفى شرح المقامات ، ومطالع البدور « صب مدامعه »

له يدٌ تسألُ الرحمنَ رحْمَتَه(١)   مما به ، ويَدٌ أخرى على كَبِدِهْ (٢)

فجعَلَت الجاريةُ تَصيح : هذا الغناءُ والله يا سيدى لا ما كُنَّا فيه منذ اليوم ، فسكِر القومُ ، وكان صاحبُ المنزل حسَن الشُّرْبِ ، صحِيحَ العقلِ ، فأمر غلمانَه أن يُخرِجُوهُمْ وَيَحْفَظُوهم إلى منازِلِهم ، وخَلَوْتُ معه ، فلما شرِبْنَا أقداحًا ، قال : يا سيدى ذَهَب ما مَضَى من أيامى ضَياعًا(٣) ، إذ كنت لا / أعْرِفُك ، فمَن أنتَ يا مولاى ؟ فلم يزل يُلِحّ علىَّ حتى أخبرتُه، فقام وقبَّلَ رأسِى ، [٣٤ أ] وقال : وأنا عجبتُ يا سيِّدى أن يكون هذا الأدبُ إلا لمثلِك ، وإنِّى لجالسٌ مع الخِلافة ولا أشْعُرُ ؟ ثم سألَنِى عن قِصَّتى ، فأخبرتُه حتى وصَلْت إلى صاحبة الكَفِّ والمِعْصَمِ ، فقلت : أما الطعامُ فقد نِلْتُ منه حاجتى ، وبقِى الكفُّ والمِعْصمُ ، فقال للجارية : قومِى ، فقولى لفلانة تنزل إلىَّ ، فلم يزَلْ يُنْزِلُ إلىَّ جوارِيه واحدةً واحدةً ، فأنظر كفَّها ومِعْصمها ، فأقول : ليست هى ، حتى قال : والله ما بقِى غيرُ أختى وأمِّى ، وبالله لأُنْزِلَنَّهما إليك ، فعجِبْتُ من كرمه وسَعَةِ صدره ، فقلت . جعِلْتُ فداك ، أبْدَأْ بالأُختِ قبل الأم ، فعسى أن تكونَ هى ، ففعل ، فلما رأيت كفَّها ومعصمَها قلت : هى هذه ، فأمر غلمانَه فسارُوا إلى عشرة مشايخ من جِلَّةِ جيرانِه ، فأقبَلُوا بهم ، وأمر بِبَدْرَتَيْنِ(٤) فيهما عِشْرُونَ(٥) ألفَ دِرْهَم ، ثم قال للمشايخ : هذه أُختى فلانة ، أُشهِدُكُم أنى قد زَوَّجْتُها من سيدى إبراهيم بنِ المهْدِىّ ، وأمْهرْتُها عنه عِشْرين (٦) ألف دِرْهَم ، فَرضِيَتْ وقبِلَتْ النِّكاح ، فَدفَعَ إليها بَدْرة ، وفرَّق الأُخْرَى على المشايخ ، وقال لهم : انصَرِفُوا ، ثم قال : يا سيِّدى أُمهِّدُ لك بعضَ البيوت فتنام فيه مع أهْلِك ؟ فأحْشَمَنى ما رأيْتُ من كرمِه فقُلْتُ : بل أُحْضِرُ [٣٤ب] عَمارِيَّةً(٧) فأحملُها إلى منزلى ، قال : ما شِئْتَ ، فأحضرتُ عَماريَّة فحمَلْتُها إلى منزلى ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد اتْبَعَنا من الجِهاز ما ضاقت عنه بيوتُنا ، فأولدتُها هذا الغلامَ القائمَ على

(١) فى اعلام الناس ، وشرح المقامات « تسأل الرحمن راحته .. » وفى مطالع البدور : « .. تسأل الرحمن راجية »

(٢) فى اعلام الناس ، ومطالع البدور وشرح المقامات ، ورد بعده البيت التالى :

يا مَنْ رأى كَلِفًا مُسْتَهْدَفًا آسِفًا   كانت منِيَّتُه فى طَرْفِه ويَدِه

(٣) عبارة الشريشى « ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا »

(٤) فى اللسان البدرة : كيس فيه الف اوعشرة آلاف .

(٥) فى مطالع البدور « واخرج بدرتين عشرين الف درهم» وفى شرح المقامات« واحضرت (بدرتين) ولم يذكركم كان فيهما .

(٦) فى مطالع البدور وشرح المقامات «عشرة آلاف » .

(٧) العمارية : هودج يجلس فيه

رأس أمير المؤمنين ، فعجب المأمونُ من كرمِ الرّجُلِ ، وألحقه فى خاصّتِه ، وأطلَقَ الطُّفَيْليّ وأجازَه .

وقال بِشر بن أبى خازم [1] :

تغيرت المنازلُ من سُلَيْمَى برَامة فالكثيب إلى بُطاح [2]

[بُطاح] : موضع :

ديار قد تحلّ بها سُلَيْمَى هَضِيمَ الكشْح ، جَائِلَةَ الوشاحِ ؟ [3]

ليالىَ تَسْتَبيكَ بذِى غُروب يُشَبَّه ظَلْمُه خَضِلَ الأقَاحِ [4]

وقال مَهْيار [5] :

هل عند ظَبي المُنْحَنَى إجابةٌ فيُسْألا ؟ [6]

أمْ أنا مَعْذُورٌ إذا سألْتُ [7] عنه الطَّلَلا

بلَى عَدِمْتُ النازلين فبكَيْتُ المنزلا [8]

عثَرْتَ فى غَدْرِك بى عَثْرَةَ من لا وألا [9]

كان دلالًا فَغَفَرْ ناهُ ، فتَمَّ مَلَلا [10]

---

(١) الابيات فى ديوانه ٤٣ ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الابيات (١ و ٣ و ٤) .

(٢) فى الديوان بعد هذا البيت قوله :

فأجْزاعِ اللِّوَى فبِراقِ خَبْتٍ عَفَتْهَا المُعْصِفاتُ من الرِّياحِ

وأورده ياقوت فى معجم البلدان مادة « براق خبت »

(٣) هضيم الكشح : دقيقة الخصر ـ جائلة الوشاح : تجول منطقتهـــا فى وسطها لدقـــة خصرها .

(٤) تستبيك : تستميلك وتأسر عقلك ـ بذى غروب : بفم ذى غروب ، وهى جمع غرب : ما يبدو على الأسنان الصافية البياض كأنه ماء ، وهو الظلم ، يبرق ويتلألأ .

(٥) الابيـــات فى ديـــوانه (٣/١٤٢) من قصيدة كتب بها الى عميد الكفاة ابى سعيد بن عبد الرحيم فى عيد المهرجان ومطلعها :

كَيْفَ رأيتَ الإبِلاَ خَواطِفًا كَلا . ولاَ

(٦) الديوان « من جائد » مكان « اجابه » وما هنا انسب للمعنى .

(٧) الديوان (بما نَاجيت منه) مكان « اذاسالت عنه »

(٨) بين هذا البيت والذى بعده بيت آخر فى الديوان هو :

« يا أمَّ ذات الوَدْع تُرْ عِيها الجَنابَ المُبْقِلا »

والودع : خرز بيض تخـــرج من البحـــر تتفاوت فى الصغر ، والمراد به القلادة .

(٩) وأل : طلب النجاة .

(١٠) لم يرد هذا البيت فى القصيدة برواية الديوان ، وفى (ص ١٤٤) فراغ فى مكان بيت اشير فى الهامش الى انه مطموس فى الأصـــل لم تتبين منه كلمة ، فلعله هذا البيت ، والسياق يقبله .

٢ ـ فصـــل في ذكر الديار

[١٣٥]

قال الله تبارك وتعالى: «وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ، لاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ.. (١)» الآية:

قال الخَلِيلُ: كُلّ موضع حَلَّهُ قوم فهو دار، وإن لم يكُنْ فيه أَبنِيَة، وسُمِّيَت دارًا؛ لِدَوْرِها على سكَّانها، كما سُمِّي الحائطُ حائطًا؛ لإحاطته على ما يحويه.

قال القاضي الماوَرْدِي - رحمه الله -: إن قيل: هل يسْفِكُ أَحدٌ دَمَه، ويُخْرِجُ نفسه من دياره؟ ففيه قولان:

أَحدهما معناه: لا يقْتُلْ بعضُكم بعضًا، ولا يُخْرِجْه من دياره.

والثاني: أنه القِصاص الذي يُقْتَصُّ منهم بمن قتلوه، فصاروا قاتلين لأَنفسهم بالقِصاص.

وقوله تعالى: «ولا تخْرِجُونَ أَنْفُسَكم من دِيارِكُمْ» فيه ثلاثة أَقاويل:

أَحدها: لا يُخْرِجْ بعضُكم بعضًا.

والثاني: لاتُسِيئوا جوارَ من جَاورَكُمْ، فَتُلْجِئُوهم إلى الخُرُوج من دياركم.

والثالث: لا تَفْعَلُوا ما تَخْرُجُونَ به من الجنَّة التي هي داركم.

قوله عزّ وجَلَّ: «هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ / كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ من دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ، ماظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ، فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لم يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ(٢) بُيُوتَهُمْ بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المُؤْمِنِينَ، فاعْتَبِرُوا يا أُولي الأَبْصَار»(٣)

[٣٥ ب]

«أَخرج الذين كَفَرُوا من أَهْلِ الكِتابِ»: يعني يَهُودَ بني النَّضِيرِ. «من دِيارِهِمْ»: يعني منازِلَهم بالحجاز. «لأَوَّلِ الحَشْرِ»: أَجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رُجُوعه من أُحُد إلى أَذْرِعاتِ الشَّام، وأَعطى كلَّ ثلاثة نَفَرٍ بعيرًا يحمِلون عليه ما استَقَلَّ(٤) إلا السِّلاحَ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهَدَهُمْ - حين هاجَرَ إلى المدينة - أَلَّا يُقاتِلُوا معه ولا عَلَيْه،

(١) سورة البقرة ٨٤.

(٢) في الأَصل يُخَرِّبُون بتشديد الراءِ وهي قراءة أَبي عمرو، والباقون بالتخفيف

(٣) سورة الحشر ٢.

(٤) استقل الشيء: حمله

(٤) استقل الشيىء: حمله.

فَكَفُّوا يومَ بَدْرٍ ؛ لظهور المسلمين على المشركين ، وأعانوا المُشْرِكينَ يومَ أُحُدٍ حين رأَوْا ظهورَهم على المُسْلِمين ،فقَتَل رئيسَهم كَعْبَ بنَ الأَشْرفِ ، قتله محمدُ بنُ مَسْلَمَة - رحمه الله- غِيلَةً ، وسأذكر قتله بعد الفراغ من تفسير هذه الآية ، ثم سار النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فحاصرهُم ثلاثًا وعشرين ليلةً مُحارِبًا ، حتى أجلاهم عن ديارِهم .(١)

وقوله تعالى : (لأَوَّلِ الحَشْرِ » : أَنَّهُمْ أَوّل من أجلاه النبى- صلى الله عليه وسلم - من اليهود ، وقيل : أول حشرهم أنهم يُحْشَرُونَ بعدها إلى أرض المَحْشَر فى القيامة (٢).

[٣٦ ا]

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال - لما أجلاهم - : « هذا أَوّلُ الحشر ، وأنا على الأَثَرْ » . وقيل : أَوّلُ حَشْرِهِمْ ؛ لما ذكره قَتَادة-رحمه الله- : أَنَّهم يأْتى عليهم بعد ذلك نارٌ من مَشْرِقِ الشَّمْسِ تحشُرُهم إلى مغرِبِها ، تبيت معهم إذا باتُوا ، وتأكُلُ من تَخَلَّف .

قتل كعب بن الاشرف (٣) :

كان قتل كعب بن الأَشرف فى ربيع الأَوّل ، على رأس خمسة وعشرين شهرًا من الهجرة .

قال ابن إسحاق (٤) - رحمه الله - : كان من حديثِ ابن الأَشْرَفِ أنه لما أُصِيبَ أَصحابُ بدْر قدم زيدُ بنُ حارِثَة-رحمه الله- إلى أَهل السّافِلَةِ ، وعبد الله بن روَاحة - رحمه الله- إلى أَهل العالية بَشِيرَيْن ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله تعالى عليه ، وقتْلِ من قُتِلَ من المشركين ، قال كعبُ بن الأَشرَف -وكان رجلًا من طَيِّئٍ ، ثم أَحدَ بنى نَبْهَان ؛ وكانت أُمُّه من بنى النَّضِير -حين بَلَغَه الخبر : أَحَقٌّ هذا ؟ أترون محمدًا قَتَل هؤلاءِ الذين يُسَمِّى

---

(١) أورد الطبرسى هذا الخبر مبسوطا عند تفسير الآية فى مجمع البيان (٩/٢٥٧) وانظر ايضا الروض الانف ٢/٢٣ وما بعدها .

(٢) عبارة الطبرسى فى هذا الموضع : « لأول الحشر : اختلف فى معناه ، فقيل : كان جلاؤهم ذلك أول حشر اليهود الى الشام ، ثم يحشر الناس يوم القيامة الى أرض الشام ايضا ، وذلك الحشر الثانى عن ابن عباس ، والزهرى ،والجبائى ، وقيل : معناه لأول الجلاء ، عن البلخى ، لأنهم كانوا أول من أجلى من اهل الذمة عن جزيرة العرب ، ثم أجلى أخوانهم من اليهود ؛ لئلا يجتمع فى بلاد العرب دينان ، وقيل : لأول الحشر ، لأن الله فتح على نبيه فى أول ما قاتلهم ، وهذا عن يمان بن رباب » . (مجمع البيان ٩/٢٥٨) .

(٣) هذا الخبر وارد فى كتب السير ،والتاريخ والحديث والتفسير ، نذكر منها شرح سيرة ابن هشام (الروض الانف للسهيلى ٢/١٢٣ وما بعدها) وتاريخ الطبرى (ج٣/٧ ط الأزهرية) وصحيح البخارى (ج٥/٩٠ (طالاميرية ببولاق) ومجمع البيان للطبرسى (٩/ ٢٥٧) ونهاية الارب للنويرى (ج١٧/٧٢) . وانظر أيضا الأغانى (١٩/١٠٦ ط بولاق)

(٤) انظر شرح سيرة ابن هشام (الروض الانف ٢/١٢٣) ومابعدها .

هذان الرَّجُلان؟ - يعنى زَيْدَ بْنَ حارثة ،وعبدَ الله بن رواحة رضى الله عنهما - فهؤلاء أشرافُ العرب ومُلُوكُ النَّاس ، والله لَئِنْ كان محمد أصاب هؤلاءِ القوم لَبطْنُ الأرضِ خيرٌ من ظَهْرِها ، فلما تَيَقَّن عدوُّ الله الخَبرَ خرج حتى أتى مَكةَ ، فنزل على المُطَّلِبِ بن أبى وداعةَ بن صبيرة السَهْمِيٌّ ، وعنده عاتكة ابنَةُ أَبى العِيصِ بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن [عبد] مناف ، فأنزلَه وأكرمهُ ، فجعل يحرِّضُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشِدُ الأشعارَ ، ويبكى أصحابَ القَلِيب من قُرَيْش الذين أُصِيبُوا ببدْرٍ ، فمن ذلك قوله :

طَحَنَتْ رحَى بدْرٍ لمَهْلِكِ أهلها ... ولِمِثْلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ الأَدْمُعُ(1)
قُتِلَت سراةُ النَّاس جول حِيَاضِهِمْ ... لا تَبْعَدُوا إن المُلُوكَ تُصرَّعُ
كم قد أُصِيبَ به مِنَ أبيضَ ماجدٍ ... ذى بَهْجَةٍ تـأْوى إليه الضُّيَّعُ
طَلْق اليدين إذا الكواكبُ أَخْلَفَتْ ... حمّال أثقالٍ يَسُودُ ويَرْفعُ (2)
ويقولُ أقوامٌ - أُثير بسُخْطِهِمْ(3) ... إن ابن الأشْرَفِ ظَلَّ كَعْبٌ (4) يَجْزَعُ
صَدقُوا ، فليت الأَرْضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظَلَّتْ تَسُوخُ بأَهلِها وتَصَدَّعُ
صارَ الذى أثَر الحديثَ بطعنة (5) ... أو عاش أعْمَى مِن عَشًا لا يَسْمَعُ
نُبِّئْتُ أن بنى المُغِيرَةِ كُلَّهُمْ ... خَشَعوا لقَتْلِ أبى الحَكِيم وجُدِّعُوا(6)

يعنى [بأبى الحكيم] : أبا جهل

نبِّئتُ أَنَّ الحارثَ بنَ هِشَامِهِمْ ... فى النَّاسِ يَبْنِى الصَّالحاتِ ويَجْمَعُ
ليَزُورَ يثْرِبَ بالجُموع ، وإنَّما ... يحمى عن الحَسَب الكريم الأَرْوَعُ (7)

---

(1) فى سيرة ابن هشام « تستهل وتدمع »
(2) فى سيرة ابن هشام « ويربع » .
(3) فى سيرة ابن هشام « اسر بسخطهم » وما هنا معناه أن بعادهم اثاره .
(4) فى سيرة ابن هشام « ان ابن أشرف - ظل - كعبا يجزع » بنصب كعب بدلا من ابن الأشرف .
(5) كذا فى الأصل ، وفى سيرة ابن هشام « . بطَعْنَة أو * عاشَ أعْمَى مُرْعَشًا لا يَسْمَعُ »
(6) معنى جدعوا هنا : حبس عنهم الخير ،من قولهم : جدع الرجل عياله ، اذا حبس عنهم الخير ، وفى سيرة ابن هشام بين هذا البيت والذى يليه هنا ، البيت التالى :

وابْنَا ربِيعَةَ عِنْدَه ، ومُنَبِّهٌ ... ما نالَ مثل المُهْلَكِين وتُبَّعُ

(7) فى سيرة ابن هشام قصيدة تنسب الى حسان بن ثابت رضى الله عنه أجاب بها كعب بن الأشرف ، أوردها ابن اسحاق ، ومطلعها :

أَبَكَى لكَعْب ثم عل بعبْرةٍ ... مِنْهُ ، وعاش مُجَدَّعًا لا يَسْمعُ

ثم رجع كعبُ بنُ الأشْرف إلى المدينة ، فشَبَّب بأُمِّ الفضْل بنتِ الحارثِ [1] ، فقال :

أَراحِلٌ أنت لَمْ تُلْمِمْ بمنْتَبِهِ ... وتاركٌ أنت أُمَّ الفضلِ بالْحَرَمِ ؟

تَرتَجُّ ما بين كَعْبَيْهَا ومَرْفِقِها ... إذا تَأَنَّتْ قيامًا ثم لم تَقُمِ

أَشباهُ أُمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا ... والحبلُ منها متينٌ غيرُ منجذمِ

إحْدَى بنى عامرٍ هامَ الفؤاد بها ... ولو تشاءُ شَفَتْ كعْبًا من السَّقَمِ

فَرْعُ النِّساءِ ، وفرعُ القومِ والدُها ... أهلُ المحلَّةِ والإيفاءِ بالذِّمَمِ

لم أرَ شَمْسًا [2] بليلٍ قَبْلَها طَلَعَتْ ... حتى تجلَّت لنا فى ظُلْمةِ الظُّلَمِ

ثم شبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] : « مَنْ لى من ابْنِ الأشْرفِ [4] » ، فقال محمد بن مَسْلَمة [أخو بنى عبد الأشهل [5]] - رحمه الله - أنا لك به يا رسولَ الله ، أنا أَقْتُلُهُ ، قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك ، فرجع محمدٌ ، فمكث ثلاثًا [٣٧ ب] / لا يأكلُ ولا يشربُ إلا ما يعلِّق به [6] نفسه ، فَذُكِرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تَرَكْتَ الطَّعامَ والشَّرابَ ؟ قال : يا رسول الله قُلْتَ لك قولًا لا أدْرِى أوفِى لك به أمْ لا ، قال : إنَّما عليك الْجُهْدُ ، قال : يا رسول الله إنه لابُدَّ أن نَقُولَ [7] قال : « قُولُوا ما بدا لكُمْ ، فأَنْتم فى حِلٍّ من ذلك » فاجتمع فى قَتْلِهِ محمد بن مسْلَمة ، وأبو نائلة سِلكانُ [8] ابن سَلامة بن وَقْش ، وكان أخا كعبِ بن الأشرف من الرضاعة ، وعبَّادُ بن بِشر بن وَقْش ، والحارثُ ابن أوس بن مُعاذ ، وأبو عبْس [9] بن جَبْر رضى الله عنهم ، ثم قدَّموا إلى كعبِ بن الأشْرَفِ -

---

(١) فى شرح السيرة ، قال السهيلى : « أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب » يعنى عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) كذا فى الأصل ولو قال : « ما خلت شمسا » لكان أقوم للوزن .

(٣) الذى فى نهاية الأرب (٧٣/١٧) « اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئت » وقال : « من لى بابن الاشرف »

(٤) فى ابن هشام « من لى بابن الأشرف »
وفى مجمع البيان ٢٥٧/٩ « ان جبريل نزل فأخبر النبى بما تعاقد عليه كعب بن الأشرف وابو سفيان ، وهو تحالفهم على ان يكونوا يداواحدة على النبى ، وان جبريل امر النبى تقتل كعب بن الأشرف » .

(٥) زيادة من ابن اسحاق ، والنقل عنه .

(٦) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٧) معنى « ان نقول » هنا ان نكذب ونخدع

(٨) قال السهيلى فى الروض الانف « وسلكان بن سلامه ، واسمه سعد » .

(٩) فى المصدر السابق « أبو عبس بن جبر واسمه عبد الرحمن » وهو عبد الرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة .. الأوسى الحارثى ، كذا نسبه ابن الأثير فى أسد الغابة (٢٨٣/٣) وفى تنقيح المقال (٢٤١/٢) ضبطه هكذا « عبد الرحمن بن جبر بن زيد بن خيثم الأنصارى ابو غبس بالغين المعجمة المفتوحة والباء الموحدة والسين المهملة .

قبل أن يأتوه ـ أبا نائِلَة ، فجاءه فتحدّث معه ساعة ، وتناشدا الأشعار ، وكان أبو نائلة يقول الشِّعْر ، ثم قال : وَيْحَكَ يا ابن الأشْرفِ ، إنى قد جِئْتُكَ بحاجةٍ أُريدُ ذكرَها لك ، فاكتُمْ عنى ، قال : أفْعَلُ ، قال : كان قُدومُ هذا الرجلِ علينا بلاءً من البلاء ؛ عادَتْنَا العربُ ، ورَمَوْنا عن قَوْسٍ واحدة ، وقُطِعت عنا السُّبُل حتى ضاع العِيال ، وجَهِدت الأنْفُسُ ، وأصْبَحْنَا قد جَهِدْنا وجهِدَ عيالُنا ، فقال كعبُ بن الأشْرَفِ : أما والله لقد كنتُ أُخبرُكَ يا ابنَ سلامة أن الأمرَ / سيصيرُ إلى ما أقُول ، فقال له أبو نائلة (١) : ومعى رجال من أصحابى على مثْلِ رأيى ، وقد أرَدْتُ أن آتيكَ بِهِمْ ، فَنَبْتَاعَ منك طعاما ، فتُحْسِنَ فى ذلك إلينا ، ونَرْهَنَك ما يكونُ لك فيه وفاء ، فقال كعب : ما كنتُ أُحِبُّ يا أبا نائلة أن أرى هذه الخَصاصةَ بك ، وإن كنتَ لَمِن أكْرَمِ الناسِ عَلَىَّ ، أنت أخِى نازَعْتَنِى الثَّدْىَ ، فاصدُقْنى ذات نَفْسِك ، ما الذى تريدُونَ فى أمره؟ قال: خذلانَه والتَّنَحِّىَ عنه ، قال: سَررْتَنى يا أبا نائِلَة ، فما ترهَنُونى(٢)؟ أترهنُونى أبناءَكم ؟ قال : لقد أرَدْتَ أن تَفْضَحَنَا ، قال : أترهنونى نساءَكُم ؟ قال : كيف نرهنُكَ نساءَنا وأنتَ أشَبُّ أهلِ يَثْرِبَ وأعْطَرُهُم ، ولكنَّا نرهنُك من الحَلْقَةِ (٣) ما فيه وفاء ـ وأراد أبو نائلة ألا يُنْكِرَ السِّلاحَ إذا جاءوا به ـ قال : إنَّ فى الحلْقَةِ لوفاءً ، فخرجَ أبو نائلَةَ من عِنْدِهِ على مِيعاد ، فأجمَعُوا أمرهم على أن يأتُوه إذا أمْسَى لميعادِه ، ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم عِشاءً فأخبروه ، قال ابن إسحاق : فمشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البَقِيع (٤) ، ثم وجَّهَهُم وقال : « انطَلِقُوا على اسمِ الله ، اللَّهُمّ أعِنْهُمْ » ثمّ رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته (٥) ، فأقبلُوا / حتى انتَهَوْا إلى حِصْنِه ، فهتَفَ به أبو نائلةَ ، وكان كَعْبٌ حديثَ عهْدٍ بعُرْسٍ ، فوثب(٦) فى مِلْحَفَتِهِ ، فأخَذت امرأتُه بناحِيَتِها ، وقالَتْ : إنَّك امرُؤٌ محارِبٌ ، وإن أصحابَ الْحَرْبِ

[٣٨ ا]

[٣٨ ب]

---

(١) فى سيرة ابن هشام « فقال له سلكان : انى قد اردت أن تبيعنا طعامك ونرهنك ، ونوثق لك ، ونحسن فى ذلك ، فقال : اترهنوننى ابناءكم ؟ قال : لقد اردت أن تفضحنا ، ان معى اصحابى على مثل رأيى ، وقد اردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء .. » .

(٢) كذا لفظه هنا وفيما يأتى ولا وجه له الا أن يكون لغة

(٣) قال بن سيده . الحلقة : اسم لجملة السلاح والدروع وما اشبهها ، كذا فى اللسان (حلق)

(٤) يعنى « بقيع الغرقد » وصرح بلفظه ابن اسحاق فى هذا الموضع . ومثله فى نهاية الأرب (١٧/٧٣) عن ابن اسحاق ايضا

(٥) فى سيرة ابن هشام زيادة « وهو فى ليلة مقمرة » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ، « فوثب وعليه ملحفته ، فأخذت .. الخ » .

لا ينزلون في هذه السّاعة ، فقال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائمًا ما أيقظني ، قالت : والله إني لأعْرِفُ في صوتِه الشّر[1] ، فقال : «لو يُدْعَى الفتى لطَعْنَة أجابَا[2]» ، فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثُوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شِعْبِ العَجُوز[3] فَنَتَحَدَّثَ به بقيةَ ليلَتِنَا هذه؟ قال : إن شِئْتم ، فخرجوا يتماشَوْن ، فَمَشَوْا ساعةً.[4] ، ثم إن أبا نَائِلَةَ أدخلَ يدَهُ في فَوْدَيْ[5] رأسِ كعب ، ثم شَمَّ يَدَهُ ، فقال : ما رأيتُ كالليلةِ طِيبًا أعْطَر قَطُّ. ، ثم مشى ساعةً ثم عادَ لمثلِها ، حتى اطْمَأَنَّ ، ثم مشى ساعةً ثم عاد لمثلها ، فأخَذَ بفَوْدِهِ ساعةً ، ثم قال : اضْرِبُوا عَدُوَّ الله ، فضربُوه فاختَلَفَتْ عليه أسيافُهم ، فلم تُغْنِ شيئا ، قال محمد ابن مَسْلَمة : فَذَكَرْتُ مِغْوَلًا[6] في سيْفي حين رأيت أسيافنا لا تُغْنِي شيْئًا ، فأخذتُه. وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حِصْنٌ إلا أُوقِدتْ عليه نار. فوضعته في ثُنَّته[7] ، وتحامَلْتُ عليه / حتى بَلَغْتُ عانَتَه ، فوَقَعَ عدوُّ الله فاحْتُزَّ رأسُهُ ، وقد أُصيب الحارثُ بن أَوْسِ بن مُعاذ ، فجُرِحَ في رجْلِهِ[8] ، أصابه بعضُ أسيافِنا ، قال : فَخَرَجْنَا حتى أسْنَدْنَا[9] في حَرَّةِ العُرَيْض[10] ، وقد [١٣٩]

---

(١) في الروض الأنف (٢/١٢٥) قال السهيلي – بعد ذكره قول امرأة كعب – : «وفي كتاب البخاري : اني لأسمع صوتا يقطر منه الدم».

(٢) في سيرة ابن هشام «لأجاب» .

(٣) في معجم البلدان ٥/٢٧١ «شعب العجوز : بظاهر المدينة قتل عنده كعب بن الأشرف» .

(٤) في الروض الانف (٢/١٢٥) : «ووقع في رواية ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق بعد قوله : فمشوا ساعة – قال : فجعل كعب ينشد :

رُبَّ خَالٍ لِيَ لو أبْصَرْته ... سَبِطِ المِشْيَةِ أبَّاءٍ أَنِفْ
لينٍ الجانِبِ في أقْرَبِه ... وعلى الأعْداءِ كالسّمِّ الذُّعِفْ

.. الابيات وعدتها ثلاثة عشر بيتا

(٥) الفود : معظم شعر اللمة مما يلي الأذنين هذا قول ابن فارس ، وقال ابن السكيت : الفودان : الضفيرتان ، وقال الأصمعي : الفودان : ناحيتا الرأس ، كل شق فود .

(٦) المغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه ، وقيل : سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ، ليغتال به الناس » .

(٧) الثنة : مابين السرة والعانة

(٨) في سيرة ابن هشام : « فجرح في رأسه أو في رجله » .

(٩) أسندنا : صعدنا ولفظ ابن اسحاق : « فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث ، حتى اسندنا في حرة العريض » .

(١٠) العريض : واد بالمدينة ، كذا فسره ياقوت في معجم البلدان ، وقال له ذكر في المغازي ، والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها احرقت بالنار .

أبطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوس ، ونَزَفَه الدَّمُ ، فوقفنا له ساعةً حتى أتانا يتبع آثارنا ، فحملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم [آخر الليل[1]] ، قال الواقدى : فلما بلغوا «بَقِيع[2] الغَرْقَد» وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك اللَّيلة يُصلِّى ، فلما سمع تكبيرَهُم بالبقيع كَبَّر ، وعرف أنْ قد قَتَلوه ،ثم أتوا النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو واقف على باب المَسْجِدِ ، فقال : «أفْلَحتِ الوجوهُ» قالوا : «ووجْهُكَ يا رسولَ اللهِ» ورَمَوْا برأسِ كَعْبٍ بين يديه ، فحمد الله على قتلِه ، ثم أَتَوْا بصاحِبِهِم الحارث ، فتَفَل على جُرْحِهِ ، فلم يُؤْذِهِ ، قال محمد بن مَسلَمة : فأَصْبَحْنَا وقد خافت يَهُودُ لوقْعتِنَا بعدُوّ الله ، فليس فيها يهودِىٌّ إلا وهو يخاف على نفسه ، قال الواقدى : فَفَزِعَتْ يهودُ ومن معها من المشركين ، فجاءُوا إلى النبى صلى الله عليه / وسلم حين أَصْبَحُوا ، فقالوا : لقد طُرِقَ[3] صاحبُنَا الليلة ، وهو سيِّد من ساداتِنَا ، فقتِلَ غِيلَةً [٣٩ب] بلا جُرْمٍ ، ولا حَدثٍ علمناه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلمَ : «إنه لو قَرَّ كما قَرَّ غيرُهُ ممن هو على مثل رأيه مااغْتِيلَ ، ولكنه نالَ منَّا الأَذَى وهَجَانا ، ولن يفعلَ أحدٌ منكم مثلَ فعلِهِ إلا كانَ له السَّيْفُ» ودعاهم رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى أن يكْتبُوا بينهم كِتابا يَنْتهُونَ إلى ما فيه ، فكَتَبُوا بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم كتابًا فى دار رَمْلَةَ بنتِ الحدث ، وخافت يهودُ من يوم قُتِلَ كَعْبُ بنُ الأَشرف .

«قلت : اقتضت الآية ذكر قتل كعب بن الأشرف فذكرتُه ، وإن لم يكن مما قصدت له» .

قوله – عزَّ وجلَّ – : «للفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الذينَ أُخرِجُوا من دِيَارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ»[4].. الآية .

يعنى تعالى بالمهاجِرين : مَنْ هاجر عن وطَنِهِ من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار الهِجْرَة – وهى المدينَة – خوفًا من أذى المُشْرِكِين ، ورغبةً فى نصْرةِ نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم ، فهم المُقَدَّمُون فى الإسلام .

«يبْتَغونَ فَضْلًا من الله ورِضْوَانًا» : يعنَى فَضْلًا من عَطَاءِ الله تعالى فى الدّنيا ، ورضوانًا من ثوابِه فى الآخرةِ .

---

(١) زيادة عن ابن اسحاق ، والنقل عنه .

(٢) أصل البقيع فى اللغة : الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، والفرقد : كبار العوسج ، وبقيع الفرقد : مقبرة اهل المدينة ، وهى داخل المدينة (معجم البلدان) .

(٣) يقال : طرق القوم ، اذا جاءهم ليلا .

(٤) سورة الحشر / ٨ .

[٤٠ أ] وروى علي بن رَباحٍ اللَّخْمِيُّ ، أنَّ / عمرَ بنَ الْخَطَّاب ـ رضوان الله عليه ـ خَطَب بالجابِيةِ فقال : من أراد أن يسألَ عن القرآن فليأتِ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ ، ومن أراد أن يسألَ عن الفرائِض ، فليأتِ زيدَ بن ثابتٍ ، ومن أراد أن يسألَ عن الفِقْهِ ، فليأتِ مُعاذ بن جَبل ، ومن أراد أن يَسْأَلَ عن المالِ فليأتِنِي ؛ فإن الله تعالى جعلني له خازِنًا وقاسِمًا ، فإني بادٍ(١) بأزْواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمُعْطِيهِن ، ثم بالمهاجرين الأَوَّلِين أصْحابِي ؛ أُخْرِجْنا من ديارِنا وأموالِنا .

قال قَتادة : لأنَّهم اختاروا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما كانت من شِدَّة حتى ذُكِر لَنَا أنَّ الرجلَ كان يعْصُبُ على بطنِه الحجَر ليُقِيم صُلْبَه من الجُوع ، وكان الرجل يتَّخِذ الحفِيرَةَ في الشِّتاء دثارًا ماله دثارٌ غيرُها . رضوان الله عليهم أجمعين .

وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : « قال نوح : ربِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ من الكافِرِينَ دَيَّاراً ، إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، ولا يَلِدُوا إلا فاجرًا كفَّارًا(٢) » في قوله « ديارا » وجهان :

أحَدُهُمَا : يعني أحَدًا ، والآخر : مَنْ يسكن الديار(٣) .

[٤٠ ب] قيل : إنَّ رجلا من قوم نوحٍ عليه السلام مر به ، وعلى كَتِفِه ولدٌ له صغير / فقال لابنه : احْذَرْ هذا فإنه يُضِلُّك ـ يعني نوحًا عليه السلام ـ فقال الصبيُّ لأبيه : أنْزِلْني ، فأنْزَله عن كتِفِه ، فرمى نوحًا عليه السلام فشَجَّه ، فحينئذ غضب نوحٌ عليه السلام ، ودعا عَلَيْهِم .

وقيل : لما أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه « إنه لَنْ يُؤْمِنَ من قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قد آمنَ(٤) » دَعَا عليهم(٥) .

عن أبي بُرَيْدَةَ عن أبيهِ ـ رحمه الله ـ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُم إذا

---

(١) كذا في الأصل . وهو من بدا بتسهيل الهمز ، ثم أجراه مع التسهيل مجرى قاض ومثله « ومَا نَراكَ اتَّبَعك إلاّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ » قرأ أبو عمرو بادِئَ الرأي بالهمز ، أي أول الرأي ، وسائر القراء بغير الهمز ، وجعله الفراء من بدا ، وقال : « لاتهمزوا بادى الرأى ، لأن المعنى فيما يظهر لنا ويبدو » .

(٢) سورة نوح / ٢٦ و٢٧

(٣) في اللسان : قال الجوهري : ويقال :ما بها دوري (بضم الدال وسكون الواو وكسر الراء وآخره ياء مشددة) ، وما بها ديار ، أي احد ، وهو فيعال من درت ، واصله ديوار وقعت الواو بعد ياء ساكنة قبلها فتحة ، فقلبت ياءوادغمت مثل ايام ،وقيام .. ثم قال : لايستعمل الا في النفي ، وفي المفردات في غريب القرآن :« ما بها ديار ، أي ساكن » .

وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (سورة نوح) : « ديارا ، أي احدا ، ويقال ، ما بالمنازل ديار ، اى ما بها احد ، وهو من الدار ،اى ليس بها نازل دار » ومثله في مجمع البيان (١٠/ ٣٦٥)

(٤) سورة هود / ٣٦ .

(٥) حكى الطبرسي في مجمع البيان (١٠/ ٢٦٥) هذا القول عن قتادة .

دَخَلُوا المقابر أن يَقولَ قائلُهم : السلام عليكم يا أَهْلَ الدِّيار من المُؤمنين والمُسْلِمِينَ ، وإنا بكم لاحقون ، نَسْأَل الله لنا ولكمُ العَافِيَةَ .

قال الخِنَّوْت ، وهو تَوْبَة بنُ مُضَرِّس :

رَحَلَتْ حرَامُ عن البِلاد فلَن تَرَى — أُخْرَى المنونِ بها وُجُوهَ حَرَام
ولقد نرَى بالجزْع منهم مَجْلِسًا — ضَخْمًا ، ومَبْركَ جاملٍ قَمْقام (١)
أَضْحتْ ديارُ بنى أَبيكَ كأَنَّهَا — بالبُرْقَتَيْنِ تُخَطُّ بالأَقْلَام
فاتْرُكْ بكاءك فى الديارِ فقد قَضَتْ — عينَاكَ نَحْبَهُما من التَّسْجَام

وفى بنى حَرام يقول رُؤبَةُ بن العجَّاج :

[١٤١]

أَقفَرتِ الوعْساءُ من حَرامِ — وقد يكونون ذوى أَحْلامِ
بها ، وأَحيانًا ذوى عُرام — فإن تَكنْ سوابِقُ الأَيام
ساقَتْهُمُ للبَلدِ الشَّآمى — فبالسّلام ثُمَّ بالسلام

وقال التِّهَامى (٢) :

ماتَتْ لفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيارُهم — فكأَنَّهم كانوا لها أَرْوَاحَا
ولقد عهِدْت بها – فهل أَرَيْنَه – — مَغْدًى لمُنْتَجع العُلَى ومَراحا (٣)

وقال آخر :

أَين أَهلُ الدّيار من قوم نوحٍ — ثمّ عادٌ من بعدِهِمْ وثمودُ
بينما هُمْ على النَّمَارقِ (٤) والدِّيبا — ج أَفضَتْ إلى التُّرابِ الخدودُ

---

(١) الجامل : الجمال ، القمقام : من معانيه العدد الكثير ، ومن الرجال: السيد الكثير الواسع الفضل .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى ،ترجم له الباخرزى فى دمية القصر / ٤٤ – ٤٩ واورد طائفة من شعره منها القصيدة التى فيها اول هذين البيتين ، ومطلعها :

لو جاءهُنَّ غداةَ رُمْنَ رَوَاحَا — غَيْثٌ كدَمْعِى ما أَرَدْنَ بَراحَا

وروايتـــه للبيت الأول « حانت لفقـــد الظاعنين .. » وما هنا يوافق رواية الشريشى فى شرح المقامات ٢/٣١٠ ورواية ديوانه /٥ (ط الاهرام /١٨٩٣) « كانوا بها »

(٣) لم يرد هذا البيت فيما جاء من هذه القصيدة فى دمية القصر / ٤٩ ، وشرح المقامات للشريشى ٢/٣١٠ وفى ديوانه (الصبى) مكان (العلى)

(٤) النمارق : واحدتها نمرقة ، وهى الوسادة ، وربما سموا الطنفســة التى فـوق الرحل نمرقة .

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن الخُزاعي[1] :

لمَن الدّيارُ بأَبْرقِ الحنَّان فالبُرْقِ فالهَضَباتِ من أُدْمانِ[2]
أَقْوَتْ منازِلُهُمْ[3] وغيَّرَ رَسْمها بعد الأَنيسِ تعاقبُ الأَزمانِ
فإذا غَشِيتُ لها بِبُرْقَةِ واسِطٍ ولواء[4] بيْنَة منْزِلًا أَبْكاني

[٤١ ب] / وقال أَبُو نُواس – الحَسَنُ بن هانئ –[5] :

لقد طالَ فى رَسْمِ الديارِ بُكائى وقد طَالَ تَرْدادِى بها وعَنَائِى
كأَنِّى مُرِيغٌ فى الديارِ طَرِيدَةً أُراها أَمامى تارةً وورائِى[6]
فلما بَدَا لِي اليَأْسُ عَدَّيْت ناقتى عن الدّار ، واستولى علىَّ عَزَائِى[7]

وقال آخر :

ليت الدِّيارَ التى تَبْقى فَتُحْزِننا كانت تَبِيدُ إذا ما أَهْلُها بانوا
بانوا بأَفْئِدَةٍ فيهِمْ مُعذَّبَةٍ لو خَلَّفوها لدِنَّاهُمْ كما دانوا
يَنْأَوْنَ عَنَّا ، وما تَنْأَى مودَّتُهم فالقلبُ رهْنٌ لديهم أَينما كانوا

وقال آخر[8] :

ولقد مَرَرْت على ديارِهم وطلولُها بيَدِ البلى نَهْبُ[9]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١/١٧٩ ويقابلهـــافى ترتيب الديوان الأبيات : (١و٢و٥) وهى متفقة مع روايا الديوان ، والبيت الأول والثانيأوردهما داقوت فى (ابرق الحنان) .

(٢) ابرق الحنان : ماء لبنى فزارة . وادمان – كعثمان – : شعبا تدفع عن ويمين بدر بينهما ثلاثة أميال (نحو ٦ كم)

(٣) فى الديوان : « منازلها »

(٤) فى الديوان : « فلوى لبينة » ويروىأيضا « فلوى كتينة »ويروى « فلوى حبيب » قال ابن السكيت – فى هذا البيت – :واسطبين العذيبة والصفراء .

(٥) الأبيات فى الديوان ٤٠٢ وهى من أولالقصيدة بترتيب الديوان .

(٦) مريغ : طالب ، يقال : أراغ الشيء ،اذاأراده وطلبه . يصف تردده على رسوم الديار ، وتعلقه بآثار الأحبة فيشبهه بالذى يطلب طريدةتروغ منه فيجتهد فى تتبعها .

(٧) عديت ناقتى : جاوزت بها هذا المكان .

(٨) فى الأصل بخط مغاير «للشريف الرضى»وهى فى ديوان الشريف الرضى /٨٣ وورد كذلك منسوبه اليه فى الكشكول /٦

(٩) فى الديوان « .. ليدالبلى » وما هنايوافق رواية الكشكول .

فوقَفْتُ حتى عَجَّ من لَغَبٍ   نِضوِى ، ولَجَّ بعذْلِيَ الركبُ[1]
وتلَفَّتَتْ عينى ، فمُذْ خَفِيَتْ   عَنِّى الطُّلولُ تَلَفَّتَ القلبُ

وقال سيْدُوك الواسِطى (وتنسب إلى الرُّستمىّ) [2]

[٤٢ ا]

مررنا بأكنافِ العقِيقِ فأَعْشَبتْ   أباطِحُ من أجفانِنا ومَسَايِلُ
فمِن واقِفٍ فى جَفْنِه الدّمْعُ واقِفٌ   ومن سائلٍ فى خدّه الدمعُ سائِلُ[3]
وكادتْ تُناجِينَا الديارُ صبابَةً   وتبكى - كما نَبْكِى عليها - المنازلُ

وقال أبو نُواس[4] :

لِمَن الديارُ تَسرْبَلَتْ ببِلاها   أنْسَتْكَ روْيتَها ، وما تنساها[5]
لا تكْذِبَنَّ فما أراكَ بمُنْتَهٍ   عنها ، وإن خَبَّرتَ أن ستَنَاهَى[6]

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّىّ[7] :

علامَ هجرتَ شَرْقَ الأرضِ حتى   أتَيْتَ الغربَ تَخْتَبِرُ العِبَادَا
فإن تجد الديارَ كما أراد الْـ   غَرِيبُ ، فما الصديقُ كما أرادَا
إذا الشِّعْرَى اليَمانِيَةُ استَقَلَّت   فجَدِّدْ للشآمِيَةِ الوِدادا[8]

---

(١) فى الديوان : «فوَقَفْتُ حتىَّ لَجَّ من لَهَبٍ » وفى الكشكول :

فَبَكَيْتُ حَتَّى ضَجَّ من لَغَبٍ   نِضْوِى ، وعَجَّ بعَذْلِىَ الرَّكْبُ

(٢) مابين القوسين ورد فى الأصل بخط مغاير ، والرستمى هو أبو سعيد محمد بن محمد ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن رستم ، ترجم له الثعالبى فى يتيمة الدهر (٣/٣١٩) واختار طائفة من شعره ، واوردهذه الابيات من قصيدة فيما اختاره له (ج ۳ / ٣٠٣) ولم يوردها صاحب اليتيمة فيما اختار لسيدوك الواسطى فى الجزء الثانى ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٣) فى اليتيمة هذا البيت متأخر فى الترتيب عن الذى بعده.

(٤) الأبيات فى ديوانه / ٤٩٦ .

(٥) رواية الديوان للشطر الثانى « أنْسَتْكَ ربَّتَهَا وما تَنْساهَا »

(٦) الشطر الثانى فى الديوان هكذا : «عَنْها وإنْ كُلِّفْتَ أنْ تَشْناها» ، وفسر « تشناها » بـ « تشنؤها أى تبغضها » ورواية المصنف هنا انسب .

(٧) الأبيات فى سقط الزند ١/٢٢٣ من قصيدة يخاطب بها خاله على بن محمد وكان قد سافر الى المغرب ، ومطلعها :

تُفَدِّيكَ النُّفُوس ولا تُفادَى   فَأَدْنِ القُرْبَ أو أَطِلِ البِعَادَا

ويقابلها من ترتيب القصيدة الأبيات (٢٢و٢٦ - ٢٩) .

(٨) اراد بالشعرى اليمانية : الشعرى العبور التى خلف الجوزاء ، والشعرى الشآمية هى الشعرى الغميصاء ، والمعنى : لا تعجبنك ضوء الشعرى اليمانية حتى تقيم حيث تطلع هى ، بل ينبغى أن تجدد للشعرى الشامية ودا ، فترجع الى الشام .

فللشّام الوفاءُ ، وإن سواه   توافى منْطِقًا غَدَر اعتقادا[1]
ظَعَنْتَ لتستفيدَ أخًا وفيًّا   وضيَّعْتَ القديمَ المُستفادا[2]

وقال ابن الزَّقَّاق-من شعراءِ الأَندلس-:

[٤٢ ب]

حنَنْتُ إلى الدِّيَارِ ، ولى حَنِينٌ   إلى الأَحبابِ ، ليسَ إلى الرُّبوعِ
ولو أَنِّى أحِنّ إلى مغانى   أَحبّائِى حَنَنْتُ إلى ضلوعِى

رُوِىَ أَنَّ المجنونَ قيسَ بن المُلَوَّح لما اخْتَلَّ عقْله كان يخْرُجُ ، فيأْتى الشّام ، فيقول : أَينَ أَرضُ بنى عامر؟ فيُقال له : أين أَنتَ من أَرضِ بنى عامرٍ ؟ عليك بنَجْم كذا فَسِرْ علَيْهِ ، فينصرف ، ويسير حتى يأْتِىَ أَرضَ بنى عامرٍ ، فيقف عند جَبلٍ لهُم يقال له : « التَّوْباذ[3] » ويُنْشِد[4] :

وأَجْهَشْتُ للتَّوْبَاذِ لما عرَفْته   وكبَّر للرحمن حين رآنى[5]
فأَذْرَيْتُ دمعَ العينِ لما رَأَيْته   ونادى بأَعلَى صوتِه فدعَانى[6]
فقلتُ له : أَين الذين عهِدْتُهم   حواليْكَ فى أَمْنٍ وخَفْضِ مكانِ[7]؟!
فقال :مضَوْا ،واستودعُونى ديارَهُمْ[8]   ومن ذا الذى يبْقَى[9] على الحَدَثانِ؟

وقال آخر :

أَحبابَنا ما الديارُ اليومَ بعدَكمُ   تلك الدِّيَارُ ، ولا الأَوطانُ أَوطانُ

---

(١) يعنى : ان طاب لك غير الشام فانما يطيب لك ظاهره ، لانك فيه غريب لا يستقيم أمرك فيه ، كما يستقيم فى بلادك وبين عشيرتك

(٢) يريد ان يقول له : انك ترحل لتستجد فى الغربة اخا يفى بحق الاخوة ، ولكنك بذلك تضيع الأخ القديم الذى كان قد حصل لك فى ارضك .

(٣) أورده ياقوت فى معجم البلدان (توباذ) قال : آخره ذال معجمة ، وفسره بقوله : جبل بنجد ، وقال نصر : توباذ : أبيرق أسد ، قال بعضهم : واجهشت للتوباذ .. « الابيات مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات .

(٤) الأبيات فى ديوانه /٢٧٥ (ط مكتبة مصر بتحقيق عبد الستار فراج) وتخريجها فيه ، وأنظر أيضا الزهرة / ٢١٣ و ٣١٤ وفى معجم البلدان من غير عزو .

(٥) فى الديوان « وهلل للرحمن » وفى معجم البلدان .. (وسبح للرحمن) .

(٦) فى الديوان « وأذريت .. ودعانى » .

(٧) فى الديوان « فى خصب وطيب زمان » وفى معجم البلدان :

« بربِّك فى خَفْض وَعيْشٍ لَيَانِ » .

(٨) فى الديوان ومعجم البلدان :« واستودعونى بلادهم .. » .

(٩) فى معجم البلدان « يغتر بالحدثان »

[٤٣ أ] /وقال القاضي المُهذَّب أبو محمد الحسَن بن علي بن الزُّبَيْر أحد شعراء مصر(١) :

لكمُ خيالٌ في الجفونِ مُمثَّلُ أبدًا ، وذكرٌ بالفؤادِ مُوكَّلُ
وإلى دياركمُ نَحِنُّ صبابةً ونَفُضُّ أَوْعِيَةَ الدُّمُوعِ ونُرْسِلُ
تلك المنازلُ ما تمر سحابةٌ تَهْمِي بها إلا وَعَيْنٌ تَهْمُلُ
ما ضرَّها إذ ينزِلون رُبُوعَها ألاَّ يُرى «فيها لعلْوةَ منزِلُ»(٢)

وقال السِّنْبِسيُّ(٣) :

وإنِّى كُلَّمَا زاد التنَّاجِى إليكِ وأُضْرِمِ القلبُ الخَفُوقُ
أَمُرُّ على دِياركم وإني بمن أَمْسى بها صَبٌّ مَشوق
وأُومى بالتَّحِيَّةِ من بعيد كما يُومى بإصبَعِهِ الغَرِيقُ

وقال أبو تَغلِب ، الحارث بن غَنْم العدْوانيّ :

ألا لَيْتَ شعرِى هل أَبِيتنَّ ليلَةً بحَوْزَةَ(٤) أو بالْجَزْعِ أو بقِرانِ(٥)؟!
وهل أَرَينْ تلك الدّيار التى بها نَداماى قِدْمًا حيث كنتِ أرانى؟!

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلِيّ :

[٤٣ ب] ليتَ شِعْرِى : هل تخْبِرنِّى الديارُ بيقينٍ عن أهلِها أين سارُوا؟
أسفًا هَيَّجتْ فمالك منها الـ يوْمَ إلا تفجُّعٌ وادكارُ
دارُ حيٍّ تقادم العهدُ مِنها بعد حُضَّارِها ، فبارتْ وبارُوا(٦)
صادَفُوا من غوائلِ الدّهر غولًا بعد ما أَنْجَدُوا سِنينًا وغارُوا

---

(١) ترجم له العماد فى الخريدة (قسم شعراء مصر ١/ ٢٠٤ – ٢٢٥) واورد طائفة من شعره ليست فيها هذه الابيات ، وانظر ترجمته ايضا فى معجم الأدباء (٩/ ٤٧) وفوات الوفيات (١/ ١٢٤) والطالع السعيد / ١٠٠

(٢) يشير الى قول البحترى :

عرِّجْ على حَلَبٍ فسَقٍّ مَحَلَّةً مأْنُوسةً فيها لعَلْوَة منزلُ

(٣) البيتان : الثانى والثالث أوردهما سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان (ج ٨ قسم ٢/ ٤٩٥) وهو يترجم لحياة جده ابن الجوزى عبد الرحمن بن محمد بن على ، وقدم لهما بقوله : « قال – يعنى جده – وقد منع مرة من الطواف بالبيت ، فكان يقف من بعيد ، ويبكى ثم ينشد » وذكر البيتين ، ولعله تمثل بهما ، والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جابر بن الان السنبسى .

« أَمُرّ على منازلهم وإنِّ لمَنْ أَمْسَى ..

(٤) حوزة : واد بالحجاز .

(٥) قران : ناحية بالسراة من بلاد دوس .

(٦) البوار : الهلاك .

فكأنّى من ذِكْرِهم خالَطَتْنى ... من فلَسْطين بنتُ كرم عُقارُ[1]

وقال عبد[2] الله بن قيْس الرُّقَيات[3] :

هل للديارِ بأَهلِها عِلْمُ ؟! ... أم هل يُبينُ[4] فينطِقُ الرَّسْمُ ؟!

يا صاح هل أَبْكاك موقِفُنا ... أم هَلْ علينا فى البكا إِثْمُ ؟!

أم ما بُكاؤك منزِلًا خَلَقا[5] ... قَفْرًا يلوح كأَنّه الوَشْمُ[6] ؟

وقال النَّابغة الجعْدى ، واسمه قيْس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعْدَة[7] :

أَلا يا دِيارَ الحيِّ بين مُحَجَّر[8] ... إلى جانب القَمْرَى كأَن لم تُغَيَّرِ

وقفتَ بها لا أَنْتَ قاضٍ لُبانة ... ولا اليأْس يَشْفِى حاجةَ المُتَذَكِّرِ

أَلا أَيُّها الباكى على ما يعُوله ... تَجَمَّلْ على ما يُحْدِثُ الدهرُ واصْبِرِ

فإِنْ أَنْتَ لم تَصْبِرْ لما كان جائيا ... فإِن كان تَنْكِيرٌ لديكَ فأَنكِرِ

[٤٤ ا]

وقال عِكْرِمَةُ بن ربيعة العبْدَرِىّ :

فإِن تَكُ عبدُ الدّار خلَّتْ مكَانَها ... وبُقِّيتُ فَرْدًا فى ديارِهِمُ وحدِى

فيارُبَّ يومٍ لو هتَفْتُ أَجابنى ... مصالِيتُ أَبطالٌ سراعٌ إلى المجْدِ

وقال لَبِيد بن ربيعة العامرى[9] :

---

(١) هذا البيت ورد فى شعر عدى بن الرقاع ، جمع خليل مردم (مجلة المجمع العلمى العربى المجلد ١٥ ص ٤٥٤ (وبعده البيتان :

عُتِّقَت فى الدِّنَانِ من بَيْتِ راس ... سَنَواتٍ وما سَبَتْها التِّجارُ

فهْى صَهْبَاءُ تتْرُكُ المرْءَ أَعْشَى ... فى بياضِ العَيْنَيْنِ منه احْمِرارُ

وما هنا هو مقدمة القصيدة

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب فى اسمه عبيد الله كما حققه ناشر ديوانه .

(٣) الأبيات فى ديوانه / ٥٥ (ط بيروت) وأولها هو مطلع القصيدة ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٤ و ٥) .

(٤) فى الديوان « تبين » وما هنا انسب .

(٥) الخلق ـ بفتحتين : البالى من الثياب والجلد ونحوهما ، أراد منزلا دارسا .

(٦) الوشم : النقش على الجسم يبقى اثره ظاهرا .

(٧) لم اجد هذه الأبيات فى شعر النابغة الجعدى (نشر المكتب الاسلامى بدمشق) .

(٨) محجر ـ بالضم ثم الفتح ، وكسر الجيم المشددة ، وقد تفتح ـ : اسم لمواضع كثيرة .

(٩) ديوان لبيد بتحقيق احسان عباس ١٦٨ ـ ١٧٢ (ط الكويت) والبيت الأخير لم يرد فى القصيدة ولم يشر اليه محقق الديوان فى تخريجها .

بَلِينا وما تَبْلَى النّجُومُ الطّوَالِعُ ... وتَبْقى الديَارُ بعدنا والمَصانِعُ[1]

وقد كنتُ فى أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ[2] ... ففارقنى جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ

فلا جزِعٌ إن فرّق الدهرُ بيننا ... وكل فتى يوما به الدهرُ فاجِعُ

ولا أنا يأْتينى طَرِيفٌ بفرْحةٍ ... ولا أنا مما أحدثَ الدهرُ جازعُ

وما النّاسُ إلا كالدِّيار وأَهْلها ... بها يوم حَلُّوها. وغَدْوًا[3] بلا قِعُ

وما المرءُ إلا كالشِّهاب، وضوءُه ... يحُورُ[4] رمادًا بعد إذ هو ساطِعُ

وما البِرُّ إلا مُضْمَراتٌ[5] من التُّقى ... وما المالُ والأَهلونَ إلا ودِائِعُ

يقولُ الفتى: إنى سأَفعلُ ذاكمُ ... وما للفتى علمٌ بما اللهُ صانِعُ

وقال زُهَيْر بن أبى سُلْمى[6]:

[٤٤ ب]

لمن الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ ... أَقْفَرنَ[7] من حِججٍ ومن دهرِ[8]

لعب الرياح[9] بها وغيرها ... بعْدِى سوافِى المُورِ والقَطْرِ[10]

وقال عدىٌّ بن الرِّقاع العاملى:

منَع النوم طارقاتُ الهُمُومِ ... بِأَسىً وادّكار خطبٍ قديمِ

---

(١) المصانع: جمع المصنع، وهو ما يصنع لجمع الماء نحو البركة والصهريج، والمصنعة - بالهاء - لغة، وفي اللسان: والمصانع أيضا: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها، وأنشد عليه هذا البيت للبيد.

(٢) المضنة - بكسر الضاد وفتحها - النفيس المضنون به المتنافس فيه. واربد: أخو لبيد.

(٣) غدوا، اى غدا، وفي اللسان عن الليث يقال: غدا غدك، وغدا غدوك، ناقص وتام، ثم أورد هذا البيت شاهدا لمجيئه تاما.

(٤) يحور: يصير ويتحول من حال الى حال.

(٥) المضمرات: ما اضمرت واخفيت ورواية الديوان للشطر الثانى هى:

«وما المالُ إلا مُعْمَرَاتٌ وَدائِعُ» ومعنى معمرات انه لك ما عمرت، وقال ابو عبد الله: معمرات: عاريه، قلت: من العمرى، وهى ما يجعل لك طول عمرك أو تجعله لغيرك طول عمره.

(٦) الابيات فى ديوانه ص ٨٦ من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان.

(٧) فى الديوان «اقوين».

(٨) هذه رواية الأصمعى، ورواية ابى عمرو «من حجج ومن شهر» وعند أبى عبيدة «مذ حجج ومذ شهر» والحجر بكسر الحاء اسم لثلاثة مواضع: حجر ثمود من وادى القرى، وحجر الكعبة، وقرية لبنى سليم حذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له: قنة الحجر.

(٩) رواية الأعلم «لعب الزمان».

(١٠) السوافى: الرياح التى تسفى التراب، ويقال ايضا للتراب الذى تسفيه الريح. - والمور: التراب تثيره الريح. اراد سوافى المور، وسواقى القطر، أو هو معطوف على سوافى، وجره على التوهم أو المجاورة.

من لَدُنْ أن أجنَّنِي الليلُ حتَّى فضَح الصبحُ واضحاتِ النّجوم
من ديار غشيتُها ذُكْرَةً ما بين صاراتِ ضاحكٍ فالهَزِيمِ [1]

[الهزيم] : موضع

نَسجتْ ظهرَها الرياحاتُ حتى برِئَ القاعُ من جميعِ الرُّسُومِ
واختلافُ الأيام حتَّى محاها سالفُ الدهر بعد سَكْنٍ مُقِيمِ
جمعتْنَا بها نوى الحيِّ حوْلًا نَتَلَهَّى بسِرِّنا المكتومِ
ولقد حالَ دون ذلك همٌّ مثله فليُرَعْ فؤادُ الحليمِ
إنَّ قوْمِي تتابَعُوا بعد ما كا نوا ، هم القومُ ، فابكِ غيرَ ملومِ
ولقد كان يَخْفِضُ الجارُ فيهم غير مُسْتَشْرَف ولا مَظْلُوم [2]

[١٤٥ ا] وقال البُحتُرى [3] :

متى تَسْتَزِدْ فضلًا من العُمْرِ تَغْتَرِفْ بَسجْلَيْكَ من أَرْيِ الخطوبِ [4] وصابِها [5]
يُسَرُّ بعُمرانِ الديارِ مُضَلَّلٌ وعمرانُها تَدْنُو به من خَرابِها
ولم أرْتَضِ الدنيا أوان مجيئِها فكيفَ ارتضائِيها أوانَ ذَهابِها

وقال أيضا [6] :

شَرْخُ الشبابِ أخُو الصِّبى وأليفُهُ والشيبُ تزجِيَةُ [7] الهوى وخُفُوفُه
وأراك تعجبُ من صبابةِ مُغْرمٍ أَسْيانَ طالَ على الديار وُقوفُهُ [8]

---

(١) صارة الجبل : رأسه . وضاحك وضويحك : جبلان اسفل الفرش . وفى معجم البلدان (هزيم) « بين قارات » .

(٢) البيت من شواهد اللسان (شرف) وروايته « وَلَقَدْ كانَ يَخْفِضُ المُجاوِرُ فيهِمْ . . » والمستشرف من قولك استشرفنى حقى ، اذاظلمك .

(٣) الأبيات فى ديوانه ٤٧/١ من قصيدة يمدح بها صاعدا ومطلعها :

يُعادُ من الأيام تَعْذِيبُنا بها وإبعادُها بالإلْفِ بعد اقْتِرابِها

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٨ و ١٠ و ١١) .

(٤) الديوان (من شهد الخطوب) والأرى والشهد واحد . والسجل : الدلو العظيمة .

(٥) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان :

تَشِذُّ بنا الدنيا بأَخْفَضِ سعْيِهَا وغُولُ الأفاعِى بَلَّةٌ من لُعابِها

(٦) الأبيات فى ديوانه (٢ / ١١٣) من قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان ، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٢ و ٣ و ٨) .

(٧) يقال : زجى الشيء وأزجاه : اذا ساقه ودفعه فى رفق ولين ، والمعنى أن الشيب مسوق من الهوى وخفوفه ، فكأن الهوى يزجى الى صاحبه الشيب ، كما تزجى الريح السحاب .

(٨) الأسيان : الحزين .

صرفَ المَسامعَ عن ملامَةِ لائمٍ ... لا لومُهُ أجدَى ولا تَعْنِيفُه (١)

فسقَى اللِّوى ، لابل سقَى عهدَاللِّوَى ... أيام نَرْتَبِعُ اللِّوَى ونَصِيفُهُ (٢)

وقال أيضا (٣) :

بنِىَ تَغْلِب أعزِزْ علىَّ بأن أرى ... ديارَكُمُ أمْستْ وليس بها أهْلُ (٤)

خلتْ بلدٌ من ساكِنِيها وأوْحشَتْ ... مرابعُ من سِنْجار (٥) يهْمِى بها الوبلُ

وأزْعَج أهلَ المَحْلبيَّاتِ ناجزٌ (٦) ... من الحرْبِ ما فِيهِ خِداعٌ ولا هزْلُ

وأقْوَتْ من القَمْقَامِ أعراضُ ماردٍ ... فما ضَمِنَتْ تلك الأعِقَّةُ (٧) والرملُ

أفى كلِّ يومٍ فِرْقَةٌ من جميعِكُم ... تبِيدُ ، ودارٌ من مجامِعِكُم تَخْلُو؟!

[٤٥ب]

وقال مَهْيار (٨) :

يا ديارَ الحىِّ من خَبْتِ (٩) اللِّوَى ... عُدْتِ ظنًّا بعد ما كنتِ حَقِيقَهْ

أخَذَ الدهرُ قَشِيبًا رائِقًا ... من مغانِيكِ ، وأعطاكِ سُحُوقَهْ (١٠)

خِلْتُ - لَما لم أُطِقْ حَمْلَ النَّوى - ... أنَّ تِلكَ الدِّمنَ الصُّمَّ مُطيقَهْ

لم أكُنْ أعْلَمُ - حتى نَحَلَتْ ... كنُحولِى - أنَّها مِثلِى مَشُوقَهْ

---

(١) الديوان (عن ملامة عاذل) .

(٢) يقال : تربع القوم الموضع ، وبه ، وارتبعوه : أقاموا فيه زمن الربيع . ويقال أيضا : صافوا بمكان كذا : أقاموا فيه صيفهم .

(٣) الأبيات فى ديوانه (٢ / ١٦٤) من قصيدة يمدح بها الخليفة المتوكل على الله ، ويذكر حرب ربيعة ، وعفو المتوكل عنهم ، ومطلعها :

ضَمانٌ على عينَيْك أنِّىَ لا أسْلُو ... وأنَّ فؤادِى من جَوًى بك لا يَخْلُو

ويقابلها من القصيدة الأبيات (١٤-١٨) .

(٤) الديوان (وليس لها) .

(٥) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (نحو ٩٠كم)

(٦) الناجز : الحاضر المعجل .

(٧) الأعقة : جمع العقيق ، وهو الوادى الذى شقه السيل قدما فانهره ، والقمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

(٨) الأبيات فى ديوانه (٢ / ٣١٧) من قصيدة كتب بها الى أبى طالب بن أيوب يهنئه بالنيروز ، وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٩) رواية الديوان « من جنب الحمى » مكان « من خبت اللوى »

(١٠) بين هذا البيت والذى بعده هنا بيت آخر فى الديوان هو :

فلئِن كنتِ عَدُوَّ العَيْنِ من ... بعدِهِمُ إنَّكَ القَلْبِ صَدِيقَه »

أينَ جيراني بها ؟ لَهْفِى لَهُمْ[1] لهفةً سكْرَتُهَا غيرُ مُفِيقَهْ

وقال الشريف المُرْتَضَى أَبُو القاسم علىٌّ بنُ الحسينبن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن جعفر بن محمّد بن على بن الحُسيْنِ بن على بن أَبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ : [2]

أَىُّ دمعٍ جرى ونحن بِنَجْرا نَ لَنَا ، والدِّيَارُ ثَمَّ رُسومُ

دِمَنٌ لو رنتْ إليهن عيْنَا كَ ، قُبَيْلَ الفِراقِ قلتَ : نُجُومُ[3]

[٤٦ أ] ومغانٍ من النُّحولِ كأنْوا (م) حٍ ، ولكن ليست لهُن جُسومُ

ما سُرِرْنا[4] إلا بِهِنَّ وفيهِ (م) نَّ ـ قِفاراً ـ سِيقت إلينا الهمومُ

وقال أيضا :

قد مررْنَا على الدِّيَارِ تَبدَّا (م) ن دُثُوراً ، بجِدَّةٍ ، وخُمولَا

نكِرَتْها العيونُ منَّا فما تَعْ رِفُ إلا رسومَها والطُّلولَا

قال أَبو عبد الله الطَّبَرِىُّ : قال رجل لأَبى محمد الحريرى ـ رحمه الله ـ : كنت على بِساط الأُنْس ، وفُتِح لى طريق إلى الانبساط ، فَزَلَلْتُ زَلَّةً ، فحُجِبْتُ عن مقامى ، فكيف السبيل إليه؟ دُلَّنى إلى الوصول إلى ما كنت عليه . فبكى أَبو محمّد ، وقال : يا أَخى . الكُلّ فى قهر هذه الخُطَّة ، وفى أَسْرِ هذه الرَّزِيَّةِ ، ثم شَهَق ، وسكت ساعة ، ثم أَنشد :

قِفْ بالديارِ فهذه آثارُهم نَبْكِ الأَحِبَّةَ حَسْرةً وتَشَوُّقَا

كم قد وقفتُ بها أسائِلُ مُخْبِرًا عن أَهلِها أَو صادِرًا أَو مُشْفِقا

فأَجابنى داعِى الهوى فى رسْمِها : فارقْتَ من تَهْوَى فعزَّ المُلْتَقَى

[٤٦ ب] / قيل : لما تغير المتوكِّلُ على محمدِ بنِ عبدِ الملك الزَّيَّات ، كان يتَمثَّلُ قبلَ الإيقاع به بقول أَبى العَتاهِية [5] :

---

(١) رواية الديوان « لهفى بهم » مكان « لهفى لهم » .

(٢) الأبيات فى ديوانه (القسم الثالث ص١٨١) من قصيدة مطلعها :

ما أَرادَتْ إلا الجَفاء ظَلُومُ يومَ رامَتْ عنَّا ، ولَسْنَا نَرِيمُ

(٣) الديوان (قلت النجوم) .

(٤) فى الديوان « ما مررنا » .. ومنهن قفارا .. الخ .

(٥) هذه الأبيات ـ فيما يبدو ـ سقطت من جامع ديوان ابى العتاهية (الأنوار الزاهية فى ديوان أبى العتاهية) وقد ورد البيت الثالث منها فى الديوان / ١٢٥ فى أبيات أولها :

عَجَبًا أَعْجَبُ مِنْ ذِى بَصَرٍ يَأْمَنُ الدُّنْيا وقَدْ أَبْصَرَدا

وربما كان الوارد هنا هو أول القصيدة حيث نجد البيت الأول مصرعا ، كعادة الشعراء فى المطالع ، وليس لأبى العتاهية فى ديوانه من هذا البحر والروى غير هذه الأبيات .

سلْ دِيارَ الحيِّ من غيَّرها وعفَاها ومَحَا منْظَرَها
وهى الدّنيا إذا ما أدْبرتْ جعلَتْ معروفَها مُنْكَرَها
إنّما الدنيا كظِلٍّ زائِلٍ أحمدُ الله ، كذَا قَدَّرها (١)

وقال أبو كَبيرٍ - واسمُه عُتْبة بن قادِم أحد بنى حرام - :

يا صاح ِقِفْ بدِيَارِ الحىِّ مقْفِرةً من الأَحِبَّةِ واحْبِس أَيْنُقًا قُودَا
سقَى الإلهُ - وإن بانُوا ، وقَلَّ لهم - مُبْنَى الخيام ِ، وتلكَ الأَجبلَ السودا
منازِلًا كنتُ أهوَى أن أكونَ بها كما مَضَى ، ليتَ كان العيشُ مرْدُودا

وقال محمدُ بنُ عبد الأَزْدِىّ ، ثم السَّلامانى :

أَرَسْم ديار بالسَّتارَيْن (٢) تعرفُ عفَتْها شَمالٌ ذاتُ نَيْرَيْنِ حَرْجفُ (٣)
فلم تَدع الأَرْواحُ وَالماءُ والبِلَى من الدارِ إلا مايشُوقُ ويَشْعفُ
وقَفْتُ بها والدمْعُ يُذْرِى حبَابَه على الصَّدْرِ حتى كادت الشمسُ تُكْسَفُ

[تكسف] : يريد تغرب .

/ رُسومًا كآياتِ الكتابِ مُبِينَةً بها للحزين الصبِّ مَبْكًى وموْقِفُ [٤٧ أ]
كأنّك لم تَعْهدْ بها الحىَّ جِيرةً جميع الهوى ، من حيْرةٍ ماتَصرَّفُ
إذ النّاس ناسٌ ، والبلادُ بغِرَّةٍ وأنت بها صبٌّ القَرِينةِ مُؤلَفُ

وقال آخر :

كفَى حَزَنًا أنى مُقِيمٌ ببلدةٍ أخِلاَّى عنها نازِحٌ وبعِيدُ (٤)
أقلِّبُ طرْفِى فى الديارِ فلاأرى وجوهَ أحِبَّائِى الذين أُرِيدُ

---

(١) هذا البيت هو آخر الأبيات التى وردت من هذه القصيدة فى الديوان ، وقبله :
فى سَبِيلِ اللهِ ما أغْفَلَنَا نَأْمَنُ الدنيا وما أغْدَرَها
(٢) الستاران : واديان يقال لهما السودة ، أحدهما الستار الأغبر ، والآخر الستار الجابرى .
(٣) الحرجف : الريح الباردة ، وقال ابو حنيفة : اذا اشتدت الريح مع برد ويبس فهى حرجف .
(٤) صدر هذا البيت وقع فى شعر أسامة وهو قوله فى ديوانه / ١٢٣ :
كفَى حَزَنًا أنىِّ مُقِيمٌ ببلْدَةٍ يُعَلِّلُنى بعدَ الأَحِبَّةِ داهِرُ

وقال ثَوْبٌ الغطَفانىّ :

أبَتْ ألا تُكلِّمَكَ الديارُ — وغيَّر رسْمَها بعدى القِطَارُ (١)

فلو نطقت شَفَتْ منى سقامًا — ولكن السُّكاتِ لها شِعارُ

فهل شِعْبٌ يدانى بُعْدَ شِعْبٍ — وهل لِلَيانِ عيشتِنا انكرارُ

عسى هذا العِسارُ من الَّليالى — يكونُ وراءهنَّ لنا يَسارُ

فكلُّ نعيمِ عيشٍ يابن ثَوْبٍ — له – لابُدَّ – جمعٌ وانتشارُ

وقال البُحْتُرِىّ (٣) :

[٤٧ ب]

يا رُبوعَ الديارِ إنى على ما — قد أراهُ مِنكُنَّ غيرُ جَلِيدِ

أخْلَقَ الدهرُ عهدَكُنَّ وللدهْـ — ـرِ صُروفٌ يُبْلِينَ (٤) كلَّ جديدِ

فرَّقَتْ شمْلَنا النوى بعد ماكُنْـ (م) ـا جميعًا فى ظلِّ عيشٍ حميدِ (٥)

وقال الشريف المرْتَضَى – رضى الله عنه – (٦) :

إلى كمْ ذا التصامُمُ والتعَاشِى — وكم هذ التواكُلُ والتوانى

ولو أنا فَهِمْنا عن خراب الد (م) يارِ مقالَها لم يبْنِ بانِ

ويَجْنِى العيْشُ كل أذًى ويُهوَى — فيا للعيشِ يُعْشَقُ وهو جانِ

وقال أيضا (٧) :

منْ على هذه الديار أقاما — لو ضَفَا مَلْبسٌ عليه فَداما (٨)

عُجْ بنا نَنْدُب الذين تَوَلَّوْا — باقْتِيَادِ المنونِ عامًا فعامَا

سَكَنُوا كل ذِرْوةٍ من أشَمٍّ — يحْسِر الطرفَ ثم حَلُّوا الرَّغامَا

يا لَحى الله مُهْمِلًا حسب الدهْـ — ـرَ نئومَ الجُفُونِ عنه فنَامَا

علِقًا فى يد المُنَى كُلَّما نا — لَ هوًى يبْتَغِيهِ رامَ مراما

(١) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . (٢) الليان – بفتح اللام – : نعمة العيش .

(٣) الأبيات فى ديوانه (٢/٧٦٨ ط دار المعارف) وفى المختار من دواوين المتنبى والبحترى وابى تمام للجرجانى فى الطرائف الأدبية / ٢٤٣ .

(٤) فى الديوان « يخلقن » ومثله فى الطرائف .

(٥) فى الديوان « رغيد » .

(٦) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان الشريف المرتضى .

(٧) الأبيات فى ديوانه القسم الثالث ٢٠٤ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١و٢و٥و٦ والبيت الخامس هنا لم يرد فى القصيدة كما جاءت فى الديوان .

(٨) فى الديوان « وداما » .

ابيات من شعر والدى واخى ــ رضى الله عنهما ــ مما يوافق المعنى المقصود .

قال مولاى والدى مجد الدين أبو سلامة مُرْشِدُ بنُ علىّ بن مقلّد بن نصر بن مُنْقِذ ــ رضى الله عنه ــ :

ما فى وقوفكَ فى الديار تَوَرُّعُ   فأفِضْ شئونَ العينِ فهى الأربُعُ
دَرَسَتْ فليس لناظرٍ لولا الهَوَى   من طولِ ما بَلِيَتْ به مُسْتَمتَعُ
يا دارُ لو أنصفتُ ربعَك لم أقِفْ   فيه كهاتِفةٍ تنوحُ وتَسْجَعُ
ولَمَا طلبتُ لى الأُساةَ لأشتنى   من لوعةٍ طُويتْ عليها الأضلُعُ
ما قَدْرُ ما أسفِى عليك وحسرتى   قلَّتْ ، ولو أن الحَشا يتقطَّعُ
أنا مُدَّعٍ فيما أقولُ ؛ لأنَّنى   باقٍ ، وعُذْرِى عنه مالا يُسْمَعُ
فوَدِدْتُ لو أنى ظَفِرْتُ براحةٍ   إما بموتٍ أو بعيشٍ يَنْفَعُ

وقال أخى عزُّ الدولة أبو الحسن علىُّ بن مُرْشِد بن علىّ ــ رضى الله عنه ــ :

قِفا فاحْبِسا تلك الركابَ وأطْلِقَا   دموعِى ، فهل بعد الديار أكاتِمُ؟!

فعهْدِى بهذا الرَّبعِ والشَّمْلُ جامعٌ   وسِيّان عندى عاذِرٌ لى ولائِمُ
أبيتُ كما شاءَ السّرورُ ولا أرَى   من الهَمِّ ما تُثْنَى عليه الحيازِمُ (١)
إخوانُ صدقٍ كالثُّريّا نفوسُهم   سمتْ ووهَتْ شحناؤهم والسخائِمُ (٢)
بقيتُ وقد أودَوْا عناءً وشِقْوَةً   وإنى على عِدٌّ (٣) سُقُوا منه حائِمُ
إذا ماتَذَكَّرْتُ الديارَ وأهلَها   ووحْشتَها منهم أقُلْ (٤) أنا حالِمُ

وقال أيضا :

يَا ديارَ الأحبابِ مافيك للمَحْ   زُونِ إلا البكاءُ والتسليمُ

---

(١) الحيازم : جمع الحيزوم ، وهو الصدر، وقيل الوسط ، وقيل الحيازيم : ضلوع الفؤاد
(٢) السخائم : جمع السخيمة ، وهى الضغينة والحقد والموجدة .
(٣) العد ــ بكسر العين ــ ماء الأرض الغزير ، وقيل : العد : مانبع من الأرض ، وقال الاصمعى : الماء العد : الدائم الذى له مادة ، مثل : ماء العين ، وماء البئر ، ومراده الموت .
(٤) جزم « اقول » فى جواب اذا ضرورة ،لانها لا تعمل الجزم الا فى الضرورة كقول عبد القيس البراجمى :

اسْتغْنِ ما أغْناكَ رَبُّكَ بالغِنى   وإذَا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فتجَمَّلِ

أين سُكَّانُك الذين بهم كا ن على العيش نَضرةٌ ونَعيمُ؟!

أقفَرَتْ منهم الدِّيارُ وأضحتْ دارِساتٍ كأنَّهن رُقومُ

ليتَ أنِّي ناهَلْتُهُمْ (١) جُرَعَ المو تِ ، فعَيْشِي بعد الأحِبة لُومُ(٢)

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ :

يا إخوتى وذَوِى وُدِّى وخالِصَتى حُزنى عليكم مدى الأيامِ مُتَّصِلُ

أحِببْ إلىَّ بليلِ التِّمِّ أسْهرُه تفكُّرًا فيكمُ ، والدمع يَنْهَمِلُ

ديارُكم إن خلَتْ منكم وفارَقَها نورُ المهابةِ وانحطَّتْ بها الكِلَلُ (٣)

[٤٩ أ] فما الزمانُ بمَأْمونٍ على أحد ولا تَدُومُ به الأيامُ والدُّوَلُ

كنتم كأنَّكم شمسُ النهارِ بها قد أشْرَقَتْ وهى من أبراجها الحَمَلُ

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ :

إخوتى شُلَّتْ يد البَيْـ نِ لقد جارَتْ علَيْنَا

واعتدى الدهرُ بلا جُرْ مٍ وما كُنَّا اعتَدَيْنَا

فتَفَرَّقْنَا ، كأنَّا لم نكن قَطُّ الْتقَيْنَا

وَيْحَ قلبى من ديارٍ كنتُمُ فيها عفَيْنَا

أصبحت قَفْراً كأنَّا لم نكن فيها ثَوَيْنَا

لا أقَرَّ اللهُ من قرَّ (م) ت له بالبَينِ عَيْنا

وهذه أبيات من شعرى فى هذا المعنى(٤) قلت :

هذِى ديارُ بنى أبِى ومعاشِرِى قَفْرٌ عليها وَحْشَةٌ وظَلامُ

[٤٩ ب] درَسَتْ محافَظةً لهم، وتَوَحَّشَتْ من بعدِهم ، وتعَفَّت الأعلامُ

فإذا مَرَرْتَ بها فقُل ـ متمثِّلا ـ : «يا دارُ ما صنَعَتْ بكِ الأيامُ»

---

(١) النهل : اول الشرب : تقول نهلت الابل،وانهلتها ، ولم تذكر المعجمات منه المناهلة .

(٢) اصله لؤم ، فخفف بتسهيل الهمزة ،ليسلم من السناد .

(٣) الكلل : جمع الكله ـ بكسر الكاف ـ : ستر رقيق يتوقى به من البعوض وغيره .

(٤) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان اسامة ،ولا فيما اختاره صاحب الخريدة من شعره

[نصف المصراع مضمّن لأبى نواس](١) .

وقلت(٢) :

إذا أنا شارَفْتُ الدّيارَ تحدّثَتْ بمكنونِ أسرارِى الدموعُ النّوارِفُ
وماذا انتفاعِى بالديارِ وقربِها إذا أقْفَرَتْ من كلِّ مَنْ أنا آلِفُ

وقلت(٣) :

تقولُ لِىَ الأشواقُ : هذى ديارُهم فقلتُ : نعم ، لكنها منهم قَفْرُ
وما كنتُ أهوَى الدارَ إلا لأَهْلِهَا وبعدهمُ لا جادَ ساكِنَها القَطْرُ
فما الدارُ تلك الدارُ بعد قَطِينها ولا الدهرُ فيها بعدهم ذلك الدَّهْرُ

وقلت (٤) :

ديارٌ خلَتْ من أهلها وتوَحَّشَتْ فليس بها مَرْعًى لعينٍ ولا خِصْبُ
علاها البِلى حتى تعَفَّت رسومُها وأنكرَها طَرْفِى فأَثْبَتَها القلْبُ

وقلت (٥) :

[١٥٠]

بنُو مُنْقِذٍ ما أنْقِذُوا من زمانِهِم وكم أنْقَذُوا من مُرْهَقٍ (٦) وأسيرِ
أجارُوا على الأيام فاضطَغَنَتْهُمُ وما استمسكوا من جَوْرِها بمُجِيرِ
فلم يبقَ منهم غيرُ حىٍّ كمَيّتٍ أخى حسْرةٍ ما تنقضى وزَفيرِ
فقد أقْفَرَتْ منهم ديارٌ عَهِدْتُها غِياثًا للملهوفِ ، وذخرَ فَقيرِ
وما أقفرتْ من ساكنٍ بل من العُلَى ومن نائِلٍ هامِى السَّحابِ غزيرِ

---

(١) مابين القوسين ورد فى الأصل بخط مغاير . وبيت أبى نواس المشار اليه هو :
يا دارُ ما فَعَلَتْ بكِ الأيّام ضامَتْكِ ، والأيّامُ ليس تُضامُ
(ديوانه / ٤٠٧) .

(٢) هذان البيتان لم يردا فى ديوان أسامة المطبوع ، ولا فيما اختاره له صاحب الخريدة (قسم شعراء الشام) .

(٣) الأبيات الثلاثة التالية لم ترد فى ديوانه المطبوع ، ولا فيما اختاره له صاحب الخريدة (قسم شعراء الشام) • وصاحب معجم الأدباء فى ترجمته (٥/١٨٨-٢٤٥)

(٤) البيتان التاليان لم يردا فى ديوانه ، ولا فى الخريدة (قسم شعراء الشام) •

(٥) الأبيات التالية ليست فى ديوان أسامة المطبوع .

(٦) المرهق : الذى أدرك ليقتل •

وقلت (١) :

ديارَ الهوى حَيَّى معالِمَكِ القَطْرُ	وإن لم يدع إلا تَذَكُّرَكِ الدهْرُ
عهدتُك أفقًا للسعودِ ، وساكِنُو	ربوعِكِ فى أرجائك الأنجمُ الزُّهْرُ
وعصرُهمُ فصلُ الربيع نَضَارةً	فهل يَرْجِعنْ لى ذلك الزمنُ النَّضْرُ
إذا مَرَّ فى فكرى الديارُ وأهلها	فيالى من وجدٍ يجدِّده الذكرُ
إذا أوحشتنى وحْدَتى بعد فقدهم	وَلِهْتُ ، كأنّى قد أصابَنِىَ السِّحرُ
فكيف التَّسلِّى والتَّأَسِّى فيهمُ	ولا عوضٌ منهم ، ولا عنهمُ صَبْرُ
لقد ساءنى الدهرُ الذى سرَّنى بهم	وما ظَلَمُوا ساءُوا قِصاصًا بما سرُّوا

وقلت(٢) :

[٥٠ب]

لا جاد ربْعَكِ من ديار أَقْفَرَت	من أهلِها صَوْبُ الغمام الماطرِ
لم يُبْقِ منك الدهرُ إلا حَسْرَةً	للذاكرين ، وعِبْرَةً للنَّاظِرِ
يا حُسْنَ أول ذلك الدهر الذى	قد كان فيك وقُبْحَ هذا الآخِرِ !

وقلت(٣)

[٥١ا]

إذا بكى لديار بادٍ ساكنُها	ذو وَحدةٍ ساءه فى داره الزمنُ
بكيتُ أهلِى وأوطانِى وآسَفَنِى	أن ليس لى بعدَهُم دارٌ ولا سَكَنُ
أَخْنَى الزمانُ على قومِى وملَّك أو	طانِى سواى ، فلا أهلٌ ولاوَطَنُ
ولم تَدَعْ لى المنايا مُشْتَكَى حزَنٍ	أَبُثُّه كمَدِى إن عادَنِى حزَنُ

(آخر ما أثبتُّه من شعر قومى وشعرى)

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامةالمطبوع .

(٢) هذه الأبيات ليست فى ديوان أسامةالمطبوع ، وقد اورد أسامة قبل هذه سبعة أبيات من شعره سبق أن أوردها فى ص (١٩ ب) وهى التى أولها :

قُلْ للذى فَقَدَ الأَحِبَّةَ وانْثَنى يَسْقِى دِيارهُم دُمُوعًا تَسْجُمُ »

وامامها بخطه فى هامش الأصـل كلمة(مكرر) .

(٣) هـذه الأبيات لم ترد فى ديوان أسامة المطبوع ، ومعانيها مطروقة له فى مواضـع من شعره وشعر أخيه أبى الحسن على الذى أورده ياقوت فى معجم الأدباء (٥/٢١٥) .

وقال الشريف المرتَضَى ، أبو القاسم على بن الحسين الموَسَوِىّ -رضى الله عنه (1) -

دِيارٌ كَرَعْنَ الضَّيْمَ وهو مُصَرَّفٌ ونادى بِهِنَّ الموتُ أهلًا فأسمعا

كأنْ قَطِين الحىِّ بعد تفرُّقٍ جنَتْه الليالى ساعةً ماتَجَمَّعا

ولو كان يَدْرِى بالذين تَفَرَّقُوا توجَّع من فُقْدَانِهِم وتفجَّعا

وقال أيضا (2) :

ولما مَرَرْنَا بالدّيارِ التى خَلَتْ فهُنَّ لفُقْدانِ الأَنيسِ نواحِلُ(3)

فإشراقُها بعد الذين تَحَمَّلُوا ظلامٌ ، وضَحْواتُ النهارِ أصائِلُ

أثار الجَوَى عِرفانُها ، وتبادَرتْ على أهلِها منا الدموعُ الهوامِلُ (4)

[51 ب]

وقال المُرتَضى أيضا(5) :

يا ديارَ الأحبابِ لا أبْصَرَتْكِ العَ يْنُ من بعد أنْ حُلِلْتِ رُسُوما

إنَّ عَيْشًا لنا خَلَسْنَاهُ من- أيْ دِى الرّزايا لَدَيْكِ كان نَعِيما

مَنْ عَذِيرى من الزَّمانِ أخى عَوْجا ءَ أعيا علىَّ أن يستقيما

ليس يعطِى البقاءَ إلا لمَنْ يَسْ(6) لُبُه ذَلِك البَقَاءَ حميما

كتب إلىَّ الملكُ الصالحُ ناصرُ الأئمة ، وكاشفُ الغُمّة ، أميرُ الجيوش ، سيفُ الإسلام ، غِياثُ الأنام ، كافلُ قضاةِ المسلمين ، وهادى دعاةِ المؤمنين ، أبو الغارات طلائعُ بن رُزّيك فتى أمير المؤمنين عزيزِ مصر -رحمه الله - قصيدة من نظمه ، يعزينى عن أهلى الذين هلكوا فى الزلازل -رحمهم الله- منها :

---

(1) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان الشريف المرتضى ، وليس له فى هذا البحر من هذا الروى سوى قصيدة واحدة مطلعها :

ويَوْمَ وَقَفْنا للوَدَاعِ وكُلُّنا يُطَفِّحُ يومَ البَيْنِ عَيْنَيْه ادمُعًا

(ديوانه القسم الثانى / 207) .

(2) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان الشريف المرتضى المطبوع .

(3) نواحل: جمع ناحلة ، أى دقيقة ، وأصل النحول الهزال ، والمعنى على التشبيه .

(4) الهوامل : المسيبه ، ويقال هملت السماء وانهملت ، اذا دام مطرها .

(5) الأبيات فى ديوانه 3 / 207 و 208 من قصيدة له فى الفخر مطلعها :

خَلِّها إنّها تُرِيدُ الغَمِيمَا طَالَما أنْجَدَ الصَّحِيحُ سَلِيما

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (5 و 6 و 24 و 25) .

(6) فى الديوان (يسلبنه) .

لَهْفَ نفسي على ديارٍ من السُّكَّـ (م) انِ أقوَتْ ، فليس فيها عَرِيبُ[1]
ولكم حَلَّها فآنَسَتْه أوطا نَ صِباه والأهلَ يوماً غَريبُ
فاحتسِبْ ماأصاب قومَكَ مَجْدَ الدّ (م) ينِ واصبِرْ فالحادِثاتُ ضروبُ
هكذا الدهرُ ، حكمه الجورُ والعد لُ ، وفيه المكروهُ والمحبوبُ
إن تُخَصِّصْكُمُ نوائِبُ مازا لت لكُمْ دونَ من سواكم تَنُوبُ
فكذاك القناةُ تُكْسَرُ يومَ الرَوْ (م) عِ منها صُدُورٌ وتبقى كُعوبُ

[٥٢]

فصل آخر في ذكر الديار

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعيّ[2] :

أشاقَكَ بالعَبَوْقَرَة[3] الديارُ نعم مِنّا منازِلُها قِفارُ
أحبُّ الأرضِ أرضٌ دمَّنُوها[4] وكان لهم بها يوما قرارُ
فما عِنْدِي لواشٍ في هواكم رِضًى حتى يموتَ ولا اعتِذارُ[5]

وقال محمد بن عبد الملك بن حبيب بن تَمّام بن مَعْبَد بن فَقْعَس بن طَرِيف :

وإن مُروري بالديارِ التي بها سُلَيْمَى ولم أُلْمِمْ بها لجَفَاءُ
وما بالهوى يا أمَّ عمرو ولاالذى تحمَّلتُ من وَجْد عليك خَفاءُ
على أنني يا أمَّ عمرٍو تَهِيجُني دِيارٌ لكم بالأَبْرَقَيْن خَلاءُ

وقال صالح بن عبد الله بن الحجّاج :

كَفَى حزَنًا يا سُعْدُ إن بِنْتِ أن أرى ديارَك يَفْلِيها الحَمَامُ[6] المُطَوَّق
وأن يسْجَعَ القُمْرِيُّ[7] فيهاإذا بدا لرُكْبَانِها قرنٌ من الشَّمسِ أوْرقُ[8]

---

(١) عريب : احد .
(٢) البيت الأول ورد في ديوانه (١/١٢٢) ومعه بيت آخر ، وليس لهما ثالث .
(٣) العبوقرة : في اللسان اسم موضع ،قال الهجرى : هو جبل في طريق المدينة من السيالة ، قبل ملل بميلين .
(٤) في اللسان : دمن القوم الموضع :سودوه وأثروا فيه بالدمن .
(٥) اعتذار : اراد قبول معذرة . (٦) يقال : فلا القوم ، اذا تخللهم .
(٧) القمرى : ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت .
(٨) الاورق : ما في لونه غبرة ، ولعل الرواية « أروق » وهو الصافي .

وألا أرى يا سُعْدُ أهلَك جيرةً وأهْلِيَ إلا رَيْثما نَتَفرّقُ [٥٢ ب]

وقال أَبو نُوَاس(١) :

حيِّ الديارَ إذِ الزَّمانُ زمانُ وإذِ السِّماكُ جرى لنا ومَعانُ(٢)

يا حَبذا سَفَوان من مُتَربَّعٍ ولربما جمع الهوى سَفَوانُ(٣)

فإذا مَرَرْتُ على الدّيار مُسلِّما فلغيرِ دارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ(٤)

وقال أيضًا(٥) :

قل لديارٍ حَيَّيْتُها دُرُسِ من صَمَمٍ ماعَيِيتِ أم خَرَسِ؟(٦)

هاجَرَ عنهن سَكْنُهُنّ فما فيهِنّ من جِنَّةٍ ولا أَنَسِ(٧)

إلا شبيهٌ بها لبعضِهِم في حَوَرِ المُقْلَتَيْنِ واللَّعَسِ(٨)

وقال قَيْسُ بن الخَطيم(٩) :

أَتَعْرِفُ رسماً كاطِّرادِ المَذاهِبِ لعَمْرَةَ وَحْشًا غيرَ موقِفِ راكبِ(١٠)

ديارَ التي كادت ـ ونحن على مِنًى ـ تحُلُّ بنا ، لولا نَجاءُ الرّكائبِ(١١)

---

(١) الأبيات فى ديوانه / ٤٠٤ ، وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٢) فى الديوان «وإذا الشِّباكُ لنا حرًى ومعانُ» . وقد تكلف شارحه فى تفسير المعنى ، ورواية المصنف هنا انسب .

(٣) سفوان : موضع بالبصرة ـ والمتربع : الموضع الذى ينزله القوم أيام الربيع ، ومنه قول الآخر .

بنَفْسِي تِلْكَ الأَرْضُ ما أَطْيَبَ الرُّبَى وما أَحْسَنَ المُصْطَافَ والمُتَرَبَّعَا !

(٤) فى الديوان « واذا مررت » .

(٥) الأبيات فى ديوانه / ٥٠٤ . وهى من اولها على الترتيب .

(٦) رواية الديوان للشطر الثانى مِنْ صَمَمٍ ما هَتَفْتِ أَو خَرَسِ والرواية هنا أنسب .

(٧) فى الديوان (غيب عنهن سكنهن) والسكنُ : اسم جمع لساكن ، كراكب وركب ، يعنى سكان الدار .

(٨) رواية الديوان لهذا البيت هكذا

إلا شَبِيهًا بِهن فى وَضَحِ الـ جيدِ ، وحُسْنِ العُيُونِ واللَّعَسِ

(٩) الأبيات فى ديوانه / ٣٣ وما بعدها (ط القاهرة) وهى مقدمة قصيدة قالها فى حرب حاطب .

(١٠) اطراد : تتابع ، المذاهب : جلود كانت تذهب ، أى تجعل فيها خطوط مذهبة بعضها فى اثر بعض ، وحشا : قفرا ، يقول : يلوح رسمها كما يلوح هذا المذهب .

(١١) النجاء : السرعة ، والمعنى : كادت تحل بنا ركابنا فنقيم عندها من حبنا لها، وقال الطوسى: كادت تجعلنا حلالا ونحن حرام ، وفى اللسان أحله المكان وأحله به ، وحلله به ، وحل به : جعله يحل ، عاقبت الباء الهمزة وأنشد البيت .

وقد وقع هذا البيت فى شعر حسان مع اختلاف القافية وهو قوله « ديوانه/١٩ » .

دِيارَ التى كادَتْ ونحنُ عَلَى مِنىً تَحُلّ بنا لولا نَجاءُ الرَّواحلِ

[٥٣ أ]

تبدّت لنا كالشمس تحت غَمامة ... بدَا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجِب (١)
ولم أرَها إلا ثَلاثًا على مِنًى ... وعهدى بها عذراء ذاتُ ذوائبِ (٢)

وقال ذُو الرُّمَّة (٣) :

أراجِعَةٌ (٤) يالَيْلَ أيامُنا الأُلى ... بذي الرِّمْثِ ، أم لامالَهُنَّ رُجُوعُ؟
وخَيماتُك اللاتى بِمُنْعَرَجِ اللّوى ... بَلِينَ بِلىً لم تَبْلَهُنَّ رُبوعُ
ولو لم يَهِجْنى (٥) الظّاعِنُونَ لهاجَنى ... حمائمُ وُرْقٌ فى الدّيارِ وُقوعُ
تداعَيْنَ فاسْتَبْكَيْنَ من كان ذاهَوًى ... نوائحُ لم تُذْرِف(٦) لهن دُموعُ

وقال أبو نَباتة الكلابى(٧) :

بَدَا لى وللتَّيْمِيّ قُلَّةُ صامِعٍ ... على بُعْدِها مثلَ الحِصانِ المُجَلَّلِ
فقلتُ : أرى تلك الديارَ التى بها ... أُميمةُ ، يا شوقَ الأَسيرِ المُكَبَّلِ!

وقال أيضا (٨) :

أريْتَكَ إن نَجْدًا أَلَظَّ (٩) بِأَهْلِهِ ... وحرَّتِهِ العُليا الغيوثُ الرّواجِسُ(١٠)
وعاد نباتُ الأَرضِ رَطْبًا كأَنَّه ... إذا اطّرَدَتْ فيه الرِّيَاح ـ الطيالِسُ(١١)
أمطَّلِعٌ تلكَ الدّيارَ فناظِرٌ ... إلى أهلِها ، أم أنْتَ من ذاك آيِسُ ؟

---

(١) الحاجب : الجانب .

(٢) عذراء : حديثة ، يريد : عهدى بهـا لم تبلغ أن ينالها الرجال ، ويروى هذا البيت :

وعَهْدِى بها أيامَ نحن على مِنى ... وأحْسِنْ بها عَذراءَ ذات ذَوائِبِ

(٣) الأبيات فى ديوانه / ٣٥٢ و ٣٥٣ من قصيدة مطلعها :

أمِنْ دِمْنَة بالجرِّ جَوٍّ جُلاجِلٍ ... زَمِيلُكَ مُنْهَلُّ الدمُوعِ جَزُوعُ

والبيت الثانىّ هنا لم يرد فى القصيدة ،والثلاثة الأخرى يقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان (٤ و ٥ و ٦) .

(٤) الديوان ح «أراجِعَةٌ يا مَىُّ أيامُنا التى »

ويروى ايضـا « بذى الاثـل » مـكان « بذىالرمث » .

وفى حماسه ابن الشجرى /١٥٧ ورد هذاالبيت مغيرا فى أبيات منسـوبة الى قيس بن ذريح ، وروايته :

أراجِعَةٌ يا لُبْنَ أيامُنا الأُلى ... بذِى الطَّلْحِ ، أمْ لا ، مالَهُنَّ رُجُوعُ ؟

(٥) فى الديوان :

ولو لم يَشُقنى الظَّاعِنُونَ لشَاقَنى ... حَمامٌ تَغَنَّى . . »

(٦) فى الديوان « نوائح ما تجرى لهن » .

(٧) البيتان أوردهما المؤلف فى لباب الآداب/٤١٤ وقد رجح محققه أن يكون أبا نباته بفتح النون .

(٨) هذه الأبيات أوردها أسامة كذلك فىلباب الآداب (٤١٣و٤١٤) كروايتها هنا

(٩) الظ به : أقام به ، ولزمه وألح عليه .وفى لباب الآداب (ألظ بأرضه) .

(١٠) الرواجس : واحده راجس ، وهو الشديدالصوت والرعد .

(١١) الطيالس : الواحـــد طيلس ، وهوالطيلسان : وشاح يلبس على الكتف ، او يحيط بالبدن ، خال من التفصيل والخياطة .

[٥٣ ب]

وقال مهيار(١) :

إنَّ الذين نَسُوا برامَةَ (٢) عهدَنا سَعِدُوا وأشقانا به أوْفانا

ظَعَنُوا وشِبْتُ وما كَبِرْتُ وإنما سارَ الشبابُ (٣) يُودِّعُ الأظْعانَا

أَجِدُ الديارَ كما عهدتُ ، وإنما شكوايَ أني أفْقِدُ الجيرانَا

وقال آخر(٤) :

أمرُّ على الديارِ ديارِ لَيْلى أُقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدَارَا

وما مِنْ حُبِّ الجُدْرَانَ لكن محبة كلِّ من سكَنَ الدّيارا(٥)

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب :

كأنَّ ابنةَ البَكْرِيّ يومَ اجتلَيْتُها عُبيْدَةَ مكحولُ المدامعِ مُرْشِقُ(٦)

وذكّرَنِيها بعدَ ما قد نَسِيتُها ديارٌ عليها وابلٌ متبعِّقُ

وقفتُ بها والشمسُ دون مَغِيبِها قريبًا ، فهاجَ الشوقُ من يَتَشَوَّقُ

قليلًا ، فلما اسْتَعْجَمَتْ عن جوابِنا تعزَّيْتُ عنها ، والدموعُ تَرَقْرَقُ

فلا الدارُ تُدْنِيها لنا غيرَ فَيْنَةٍ ولا حُبُّها عن شاحِطِ النأيِ يُخْلِقُ

[١ ٥٤]

وقال جرير بن عَطِيَّة (٧) :

---

(١) الأبيات في ديوانه (٤ / ٥٥) من قصيدة كتب بها الى صديق له من رؤساء الحضرة ، يشكره على ود مستأنف .. مطلعها :

« دَعْ بَيْنَ جِلْدِي والعِظامِ مَكانَا يَسَعُ الغَرامَ ويحْمِلُ الأَحْزانَا »

(٢) رامة : موضع بالعقيق ، وقال عمارة بن عقيل : وراء القريتين في طريق البصرة الى مكة (البكرى : معجم ما استعجم ٢ / ٦٢٨) . (٣) رواية الديوان للشطر الثاني :

« راحَ الشَّبابُ يُشَيِّعُ الأَظْعانَا »

(٤) البيتان لمجنون ليلى قيس بن الملوح العامري ، وهما في ديوانه ، وفي خزانة الادب ١٦٩/٤ (ط السلفية) .

(٥) رواية البيت – كما في ديوانه وخزانة الادب

وما حُبُّ الدِّيارِ شغفْنَ قَلْبي ولكِنْ حُبُّ مَنْ سكَنَ الديارَا

(٦) المرشق من الظباء :التي تمد عنقها وتنظر والمرشق من النساء والظباء : التي معها ولدها .

(٧) الأبيات في ديوانه / ٥٦٩ (نشر الصاوى) وفي النقائض /٨٨٨ وهى نقيضة قصيدة الفرزدق التي أولها :

يا ابنَ المَراغَةِ والهجاءُ إذا الْتَقَتْ أَعْناقُه وتَماحَكَ الخَصْمانِ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٥ و ٣ و ١٨ و ٤) .

لِمَنْ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحانِ (١) إِذْ لا نَبِيعُ زمانَنا بزمانِ

أَصبحتِ (٢)بعد نعيم عيْشٍ مُونِقٍ قَفْرًا ، وبعد نواعمٍ أَخْدَانِ

هل رام جوُّ سُوَيْقَتَيْن مكانَهُ أم حَلَّ بعد محَلِّنَا البَرْدَانِ (٣)

هل تُؤْنِسانِ ، وديرُ أَرْوَى (٤)دونَنا بالأَعْزَلَيْنِ (٥) ، بواكرَ الأَظْعانِ

راجَعْتُ بعد سُلُوِّهِنّ صبابَتِي (٦) وعرفتُ رسمَ منازلٍ أبكاني

وقال النابغة الجَعْدِيُّ(٧) :

هل بالديارِ الغداةَ من صَمَمِ أم هل بِعَهْدِ(٨) الأَنِيسِ من قِدَمِ

أم ما تُحَيِّ (٩) من ماثلٍ دَرَجَ الدَّ يْلُ عليهِ ، كالحَوْضِ مُنْهَدِمِ

تسأَله العهدَ وَهْوَ عَهْدُكَ وا سَتَجْمَعَ من حَلَّهُ ، ولم يَرِمِ (١٠)

إنكَ أنت المَحْزُونُ في أثرِ الْـ ـقَوْمِ فإنْ تَنْوِ نِيَّهم (١١) تُقِمِ

كانَ بها بعضُ من هَوِيْتَ ومن يَلْقَ سُرُورًا في العيشِ لم يَدُمِ

يسأَلني صاحبي بدائي وقد نام عِشاءً ، وبِتُّ لم أَنَمِ

[٤٤ب] إنَّ شِفَائِي وأَصْلُ دائِي الشَّيْ ءُ واحدٌ وهو أَكْبَرُ السَّقَمِ

---

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة ، وهذاالشطر وقع فى شعر جرير ، واصله لعبيد بن الأبرص ، وقد أورده ياقوت فى رسم « برقةالروحان » وبيت عبيد بتمامه :

لمن الدِّيارُ ببُرْقَةِ الرَّوْحانِ دَرَسْتَ لطُولِ تَقادُمِ الأَزْمانِ

(٢) فى الديوان « أصبحن » .

(٣) هكذا ضبطه فى الأصل بفتح الباء والراء ، ومثله فى معجم ما استعجم / ٢٤٠ وهو موضع من ديار بنى يربوع بالحزن ، وضبطه فى الديوان بضم فسكون ، وفى معجم البلدان : تثنية برد ، غديران بنجد بينهما حاجز، وقيل : ضفيرتان من رمل .

(٤) دير أروى : من اديرة الشام ،وتؤنسان : تبصران .

(٥) فى معجم ما استعجم (١٧٠) الاعزلان :موضع فى ديار بنى تميم .

(٦) فى الديوان : « صبابة » .

(٧) البيتان (١ و ٢) فى الأغانى (٤/ ١٣٧ط بولاق) والقصيدة التى منها الأبيات فى شعر الجعدى /١٤٨ ــ ١٥٩ (ط المكتب الاسلامى بدمشق) .

(٨) فى المصدرين السابقين « بربعالأنيس » .

(٩) فى شعر الجعدى « أم ما تنادى » .

(١٠) لم يرم ، اى لم يبرح من قولهم : رام مكانه يريمه ريما ، اذا برحه ، وأكثر ما يستعمل فى النفى .

(١١) أراد « نيتهم » والمعنى : ان تنو ما نووامن البعد والقطيعه تقم ولا تتبعهم حتى يوافق فعلهم فعلك .

من عَهْدِ ما أَوْرَثَتْ حَبِيبَةُ والشَّرُّ يوافِي مطالِعَ الأكَمِ
أُكَنِّي بغيرِ اسمِها وقد يَعْلَمُ اللّـ ـهُ خفيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ [1]
مخافَةَ الكاشحِ المُكْثِرِ أَنْ يطرحَ فيها عوائِرَ الكَلِمِ [2]

وقال الأخطل [3] :

لأَسماءَ مُحتلٌّ بظاهِرةِ البِشْرِ [4] قديمٌ ، ولما يَعفُهُ سالفُ الدَّهْرِ
يكادُ من العِرْفَانِ يَضْحَكُ رَسْمُها وكم من ليالٍ للدِّيَارِ ومن شَهْرِ

وقال زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمَى [5] :

قِفْ بالدِّيَارِ التي لم يَعْفُهَا القِدَمُ بلى ؛ وغَيَّرها الأَرواحُ والدِّيَمُ [6]
لا الدَّارُ غَيَّرها بُعْدُ الأَنِيسِ ولا بالدّارِ ـ لو كَلَّمَتْ ذا حاجَةٍ ـ صَمَمَ
دارٌ لأَسماءَ بالغَمْرَيْنِ ماثِلَةٌ كالوَحْيِ ليس بها من أهلِها إِرَمُ [7]

[إِرَم] : أحد.

كأَنَّ عَيْنِي وقد سالَ التليلُ بهم [8] وعَبْرَةٌ [9] ما هُمُ ، لو أَنَّهم أَمَمُ

---

(1) هـذا البيت استشـهد به المبـرد فيالكامل / ٦٧٤ على ورود الكناية بمعنى التعمية والتغطية ، وفي شرح شـواهد المغني / ٢١٠ حكى السيوطي عن الأخفش ، أن الجعدي سبق الناس الى الكناية عن اسـم من يعني بغيره ،واورد هذا البيت ، ثم قال : « فسبق النـاس جميعا اليه وتبعوه » .

(2) عوائر : جمع عائر ، وهو من السـهام والحجارة : الذي لا يدرى من رماه ، والمعنى على التشبيه .

(3) البيتان في ديوانه / ٣٨٤ وروايته " بناظرة البشر " .

(4) البشر ـ بكسر فسكون ـ : اسم جبل يمتد من عرض الفرات من أرض الشام من جهة البادية .

(5) الأبيات في شرح ديوانه/١٤٥ (ط دار الكتب) من قصيدة مدح بها هرم بن سـنان ، وهي من أولها .

(6) الديم . جمع ديمة : المطر يدوم في سكون يوما أو يومين .

(7) الغمرين : مثنى الغمـر ، وهو موضع ضم اليه موضعا آخر ثم ثنـاه على التغليب والوحي : الكتاب ، وإرم : ضبط في الاصـل بكسر ففتح ، والذي في الديوان بفتـح فكسر كنهم ، وكسبب ، وأريم ، كأمير ، وأرمي . كل ذلك بمعنى أحد .

(8) في الديوان " السليل " ومثله في معجم (البلدان) في رسم (السليل) . وهو واد ، ويقال : سال السليل بهـم ، أي سـاروا سيرا سريعا .

(9) ما : زائدة صلة ، أي هم عبرة لي ، والامم : القصد ، والقرب ، أي لو أنهم قريبـون كنت أزورهم .

[التليل] : وادٍ .

غَرْبٌ[1] على بَكْرَةٍ ، أو لؤلؤٌ قَلِقٌ ... في السِّلْكِ جاربه[2] ربّاته[3] النُّظُمُ

[٥٥ ا] وقال امْرُؤُ القَيْسِ بن حُجْرٍ[4] :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا ... نبكي الدّيارَ كما بكى ابنُ خِذامِ

دارٌ لهُمْ إذ هُمْ لأَهْلِكَ جيرةٌ ... إذْ تَسْتَبِيكَ بواضِحٍ بسّامِ [5]

فَظَلَلْتُ في دِمَنِ الدّيار كأَنَّني ... نشوانُ باكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ

وقال النَّابغة الذُّبيانيّ[6] :

طالَ[7] الوقوفُ على رُسومِ دِيارِ ... قَفْرٍ ، أُسائِلُها وما اسْتخباري؟

دارٌ[8] تَعَفَّتْ ، لا أنيسَ بجَوِّها ... إلا بقايا دِمْنةٍ وأواري [9]

جَادَتْ عَلَيْهَا - فاضمَحلَّ رسومُها - ... هَزِجُ الرِّياح بديمَةٍ مِدْرارِ [10]

دارٌ لمَيَّةَ إذ هُمُ لك جيرةٌ ... هيهات منك مَنَازِلُ الزُّوّارِ

وقال ذُو الرُّمَّة ، غَيْلان بن عُقْبَةَ بن مسْعُود[11] :

---

(١) الغرب : الدلو العظيم ، وبكرة البئر : ما يستقى عليها ، أي كأن عيني دلو على بكرة ، يريد كثرة دموعها ، أو كأنها لؤلؤة فهي تلمع لتجمع الدمع فيها دائما .

(٢) في الديوان « خان به رباته النظـم » والنظم جمع نظام وهو الخيط ، شبه دموعه بما يسيل من الغرب ، أو بلؤلؤ انقطع من سلكه أثناء نظمه فيه .

(٣) هذه الكلمة في الأصل من غير اعجام ، والمثبت لفظ الديوان .

(٤) ديوانه / ١١٤ ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٤ و ٣ و ٧) .

(٥) رواية الديوان :

دارٌ لهِنْدٍ والرَّبابِ وفَرْتَنى ... ولَمِيسَ قَبْلَ حوادِثِ الأَيَّامِ

(٦) الأبيات في ديوانه ٤١ و ٤٢ (ط بيروت) وهي مقدمة القصيدة التي وردت في طبعات الديوان الأخرى مبدوءة بالبيت :

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ والسفاهَةُ كاسْمِه ... يُهْدِي إليَّ غَرائِبَ الأَشْعارِ

الأبيات (١ و ٢ و ٣) والبيت الرابع هنا لم يرد في الديوان .

(٧) في الديوان : « طال الثواء » (٨) في الديوان « دور تعفت » .

(٩) اواري : جمع آري ، وهو محبس الدابة ، وعروة تثبت في حائط أو وتد تشد فيها الدابة .

(١٠) في الديوان :

قَفَّتْ عليها - فاضْمَحَلَّ طُلولُها - ... هُوجُ الرياح وديمةُ الأَمْطارِ

(١١) الأبيات في الديوان / ١٣٨ و ١٣٩ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ - ٣ و ٦ .

كأنّ ديارَ الحيّ بالزُّرْقِ خِلْفَةٌ (١) ... من الأرضِ أو مكتوبةٌ بمدادِ
إذا قُلْتُ : يَعْفُو(٢) ، لاحَ منها مُهيِّجٌ ... على الهَوَى من طارِفٍ وتِلادِ
وما أنا فى دارٍ لمَىٍّ عَرَفْتُها ... بجَلْدٍ ، ولا دمْعى(٣) بها بجَمَادِ
إذا قُلْتُ بعد النَّأْىِ (٤) يامَىُّ نلتقِى ... عَدَتْنى بكُرْه أنْ أراكِ عوَادِ

[٥٥ ب]

وقال أيضا (٥) :

أما والذى حجَّ المُلَبُّون بيْتَه ... شِلالًا(٦) ومَوْلَى كلِّ باقٍ وهالِكِ
وربِّ القِلاصِ البُدْنِ تَدْمَى نحورُها(٧) ... بمكَّةَ والساعِينَ حولَ المناسِكِ(٨)
لقد كنت آتِى (٩) الأرضَ مايستَفِزُّنِى ... لها الشوقُ إلا أنّها من ديارِكِ

وقال أيضا(١٠) :

ألا (١١) تُسْأَلُ اليومَ الرسومُ الدوارِسُ ... بحُزْوَى وهل تَدرى القِفارُ البَسَابِسُ ؟ !
متى العَهْدُ من حلّاها ؟ أم كم انقضَى ... من الدهر مذ جَرَّت عليها الرَّوامِسُ(١٢)
ديارٌ لمَىٍّ ظلَّ من دون صُحْبَتِى ... لِنَفْسِىَ مما هَيَّجتْ لى وساوسُ (١٣)

---

(١) فى الديوان (خلفه) بكسر فسكون مكان (خلفة) و (أم) مكان (أو) وفى هامشه قال أبو عمرو : خلفه ، أى خلقت ، ومعنى خلفة انها صارت خلفا من الأولى ، والزرق : كثيب بالدهناء .

(٢) الديوان (تعفو) ـ والطارف :المستحدث ، والتلاد : القديم .

(٣) (ولا عينى) .

(٤) الديوان (بعد الشحط) ومعنى عدتنىعواد : صرفتنى صوارف .

(٥) الأبيات فى الديوان / ٤٢٠ من قصيدة مطلعها :

أقولُ لأَطْلاحٍ بَرى هَطَلانُها ... بنا عَنْ حَوانى دأْبِها المُتلاحِكِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٢٧ و ٢٨و ٣٠) وهى فى الزهرة / ٢٧١ من غير عزو .

(٦) شلالا : طردا .

(٧) الديوان « القِلاصِ الخُوصِ تَدْمَى أنوفُها ... بنَخْلَةَ »

(٨) فى الديوان بين هذاالبيت والذى بعدهالبيت التالى :

لئِنْ قَطَعَ اليأْسُ الحَنِينَ فإنَّه ... رَقُوءٌ لتَذْرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ

جعل اليأس دواء لتذراف العيون دمعها . (٩) الديوان « أهوى الأرض »

(١٠) الأبيات فى ديوانه / ٣١١ ، ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و ٢ و ٣ و ٦ و ٧ .

(١١) الديوان (ألم تسأل) والبسابس جمع بسبس : الأرض المستوية التى لا نبت فيها ، ويقال لها السباسب أيضا ، وهى القفار الخالية .

(١٢) الروامس : الرياح ترمس ـ أى تدفن ـ كل شىء تأتى عليه .

(١٣) الديوان « لنَفْسِى بما هَاجَتْ عليها وساوِسُ) .

ولم تُنْسِينى مَيًّا نَوًى ذاتُ غُرْبَةٍ شَطُونٌ، ولا المُستَطْرَفاتُ الأوانِسُ(١)

إذا قلتُ أَسْلُو عنك يامَىُّ لم يَزَلْ مَحلٌ لدائِى من ديارِكِ ناكِسُ(٢)

وقال المُرَقِّش الأَصْغَرُ(٣)، واسمه عمرو بنُ سَعْدِ بنِ مالكِ بن ضُبَيْعَة:

هل بالدِّيارِ أن تُجِيبَ صَمَمْ لَوْ كانَ رَسْمٌ ناطِقًا كلَّمْ

الدارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما رقَّشَ(٤) فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

[١ ٥٦]

(بهذا البيت سمى مُرَقِّشًا).

دارٌ(٥) لأَسماءَ التى تَبَلَتْ قلْبِى، فَعَيْنى ماؤُها يَسْجُمْ

بل هلْ شجاكَ(٦) الظُّعْنُ باكِرَةً كأنَّهنَّ النَّخْلُ من مَلْهَمْ

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دَنا نِيرٌ، وأَطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ(٧)

وقال أبو عُبَادَة الوليد بن عُبَيْد البُحْتُرِىّ(٨):

ما أنتَ للكَلِفِ المشُوقِ بصاحِبِ فاذْهَبْ على مَهَلٍ فَلَسْتَ(٩) بذاهِبِ

عرف الديارَ وقد سئِمْنَ من البِلَى ومَلِلْن من سُقْيَا السَّحابِ الصائِبِ

فأَراه جَهْلَ الشَّوْقِ بين مَعَالِمٍ فيها وَجَدَّ الوجْدِ بين مَلاعِبِ(١٠)

---

(١) النوى: النيه، والغربة،: البعيدة، وشطون: بعيدة فيها اعوجاج عن القصد، والمستطرفات: نساء يستطرفن بعد نساء، يعنى ما يتجدد له من حب.

(٢) الديوان: (لم أَزَلْ مُحِلاًّ لدارٍ من دِيارِك ناكِسُ». وفى هامشه اشارة الى الرواية الواردة هنا.

(٣) كذا فى الأصل، وهو وهم من المصنف، وصوابه المرقش الأكبر، فهو الذى اسمه عمرو بن سعد بن مالك، أما الأصغر فهو حفيده واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة والقصيدة فى المفضليات ٢/٣٧ (ط دار المعارف) والأبيات الواردة هنا يقابلها من القصيدة الأبيات ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦.

(٤) رقش: زين وحسن، أو كتب، يعنى آثار الرياح فى الديار. والاديم: الجلد.

(٥) فى المفضليات «ديار أسماء» ومعنى تبلت: أصابت قلبه بتبل، وأصل التبل: الذحل والعداوة، فكنى به عن اخضاعها اياه: يسجم: يقطر.

(٦) فى المفضلات «شجتك» والشجا: الحزن، وشجاه: حزنه، والظعن: النساء بهوادجهن، وملهم: ارض باليمامة كثيرة النخل.

(٧) النشر: الريح، والعنم: شجر أحمر، شبه حمرة أطراف الأصابع به.

(٨) الأبيات فى ديوانه (٦٥/١) من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٣ و ٧). (٩) الديوان (فليس بذاهب).

(١٠) رواية الديوان لهذا البيت هكذا

فأَراكَ جهْلَ الشَّوقِ بينَ مَعالِمٍ منها. وجَدَّ الدَّمْعِ بين مَلاعِبِ

ما كانَ أَحْسَنَ هذه من وَقْفَةٍ   لو كان ذاكَ السِّربُ سِربَ كَواعِبِ[1]

وقال أيضا[2] :

كيف أَغْدُو من الصَّبابةِ خِلْوًا   بعد ما أَضْحَتْ[3] الديارُ خلاءُ[4]

قِفْ بها وَقْفَةً تَرُدُّ عليها   أَدْمُعًا ردّها الجَوَى[5] أَنْضَاءُ

[٥٦ب]

وقال أيضا[6] :

قد وَقَفْنَا على الدِّيَارِ وفى الرَّكْـ   ـبِ حَرِيبٌ من الغرامِ ومُثْرِى[7]

ولو أنِّى أُطِيعُ آمِرَ حِلْمِى   كان شَتَّى أَمرُ الدِّيار وأَمرِى

وقال أيضا[8] :

أَقام كلُّ مُلِثِّ الوَدْقِ رجّاسِ   على دِيَارٍ بِعُلْوِ الشام أَدْرَاسِ[9]

فيها لِعُلْوَةَ مُصْطافٌ ومُرْتَبَعٌ   من بانَقُوسا وبابِيلا[10] وبِطْيَاسِ

منازلٌ أَنكَرَتْنَا بعد مَعْرِفَةٍ   وأَوْحَشَتْ[11] من هوانا بعد إيناسِ

---

(١) الكواعب : الواحدة كاعب ، وهى التى نهد ثديها ، ويقال لها كعاب ايضا .

(٢) البيتان فى ديوانه (١ / ١) من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف ومطلعه

يا أخا الأَزْدِ ما حَفِظْتَ الإِخاءَ   لمُحِبٍّ وَلَا رَعَيْتَ الوفاءَ

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٤و٦) .   (٣) الديوان (بعد ما راحت الديار) .

(٤) فى الديوان بين هـذا البيت والـذى بعده البيت التالى :

غِبَّ عَيْشٍ بها غَرِيرٍ وكا   نَ العَيْشُ فى عَهْدِ تُبَّعٍ أَفْيَاءَ

(٥) الديوان (الهوى) مكان (الجوى) .

(٦) البيتان فى ديوانه (٢/١٩) من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر ، ومطلعها :

شَدَّ ما أُغْرِمَتْ ظَلُومُ بهَجْرِى   بَعْدَ وَجْدِى بها وغُلَّةِ صدْرِى

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٩ و ١٠) .

(٧) الحريب : الذى سلب ماله ، والمثرى : ضده من اثرى الرجل كثر ماله والمعنى على التشبيه .

(٨) الابيات فى ديوانه (٢/٦٥) من قصيدة يعزى بها موسى بن عبد الملك عن ابنة له توفيت ، وهى من أول القصيدة على الترتيب ، واوردها ياقوت فى معجم البلدان (بانقوسا) .

(٩) الملث : الدائم ، يقال لث المطر ، وألث ، اذا دام أياما لا يقلع ، والودق : المطر ، والرجاس مبالغة من قولهم : رجس صوت الرعد او الجيش: عظم واختلط .

(١٠) الديوان (وباتلى) وبانقوسا : جبـل بظاهر حلب ، وروايه ياقوت « وبابلى » وانشده ياقوت الأبيات ايضا فى رسم بابلى ، وهى قرية كبيرة بظاهر حلب أيضا ، وبطياس : قرية من باب حلب بين النيرب وبابلى ،   (١١) فى الديوان : « فأوحشت » .

وقال بَيْهَسُ بنُ صُهَيْب بن عامِر بنِ عبدِ الله بن نائل[1] :

هل بالدّيَارِ وهل بالقاعِ من أَحَدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدْلِجِ السّاري؟

تلك المنازلُ من صَفْرَاءَ لَيْسَ بها ... نارٌ تضيءُ ، ولا أصواتُ سُمّار

عَفَّت معالِمَها هُوجٌ مُغَيِّرَةٌ (٢) ... تَسْفِي عليها ترابَ الأَبْطَحِ الهارِ

حتى تَنَكَّرْتُ منها كلَّ معرِفَةٍ ... إلا الرّمادَ ، وإلا دَمْعِيَ الجارِي (٣)

إن أُصْبِحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... أَلْهُو إليهم[4] ، ولا صفراءُ فى الدّارِ

أَرْعَى بعينى نجومَ اللّيْلِ مُرْتَفِقاً ... يا طولَ ذلك من ليلٍ[5] وإسْهارِ

فقد يكونُ بها الأَهْلُ الجميعُ[6] وقدْ ... أَلْهُو بصفراءَ ذاتِ المنظَرِ الوارِى

كذلك الدهرُ ، إن الدهرَ ذو غِيَرٍ ... على الأَنامِ ، وذو نَقْضٍ[7] وإمْرار

وقال بِشْرُ بن أبى خازِم ، أخو بنى وَالِبَةَ بن الحارث[8] :

ديارٌ أقفرَتْ من آلِ سَلْمَى ... رعى سَلْمَى بحُسْنِ الوَصْلِ راعِ

ذكرتَ بهنّ من سلْمَى وَداعًا ... فشاقَكَ منهمُ قُرْبُ الوَداعِ (٩)

فإن تَكُ قد نَأَتْكَ اليومَ سَلْمَى ... فكُلُّ قُوى قرينٍ لانقِطاعِ (١٠)

(١) الأبيات فى الأغانى ١٩ / ١٠٨ (طبولاق) .
(٢) فى الأغانى « هوجاء مغبرة » .
(٣) فى الأغانى : « إلّا الرّمادَ نَخيلاً بينَ أحْجارِ » .
وبعده البيت التالى :

طالَ الوُقُوفُ بها والعينُ تَسْبِقُنِى ... فَوْقَ الرِّداءِ بَوادى دَمْعها الجَارِى

(٤) فى الأغانى : « الهو لديهم » .
(٥) فى الأغانى : « من هم » . ومرتفقا : معتمد ا على مرفقه .
(٦) فى الأغانى « الأهل الكرام » .
(٧) فى الأغانى « نقص » والامرار مصدر قولك أمر الحبل اذا فتله ، ويقال : أمر الأمر : أحكمه ، والنقض ضده .
(٨) الأبيات فى ديوانه / ١١٠ من قصيدة مطلعها :

عَفَا رَسْمٌ برامَةَ فالتِّلاعِ ... فكُثْبانِ الحفِيرِ إلى لُقاعِ

ويقابلها فى ترتيب القصيدة الأبيات (٦-٨) .
(٩) شاقك : حزنك وهاجك ، وفى الديوان « بين الوداع » .
(١٠) القوى : قوى الحبل وهى طاقاته ، والمراد الروابط والصلات . والقرين : الصاحب والصديق .

وقال جَرير بن عَطِيّة (١) :

أَلا حَيِّ الدِّيَارَ بِسُعْدَ إِنِّى أُحِبُّ لِحُبِّ فاطِمَةَ الدِّيارَا
أَرادَ الظاعِنُون لِيَحْزُنُونِى فَهاجُوا صَدْعَ قلبى فاسْتَطارَا (٢)

وقال زُهَيْرُ بنُ أَبى سُلْمَى (٣) :

غَشِيتُ الدِّيَارَ بالبَقِيعِ فَثَهْمَدِ دوارِسَ قد أَقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبَدِ (٤)
أَرَبَّتْ بها الأَرواحُ كلَّ عشِيَّةٍ فلم يَبْقَ إلا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ (٥)

(الآل : جمع آله ، وهو عود له شعبتان يعرض عليه عود آخر ، ويلقى عليه ثمام يستظل به)

وغيرُ ثلاثٍ كالحَمَامِ خَوَالِدٍ وهابٍ مُحِيلٍ هامدٍ مُتَلَبِّدِ (٦) [٥٧ ب]

وقال آخر (ينسب إلى المجنون) : (٧) .

أَهاجَكَ - أم لا - بالسَّتَارَيْنِ (٨) مَرْبَعُ ورسْمٌ بأَجْراعِ الغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ
ديارٌ لليلى إذْ نَحُلُّ بها مَعًا وإذ نَحْنُ منها بالمودَّةِ نطمَعُ
فيارب حَبِّبْنِى إليها وأَعْطِنِى الـ ـمَوَدَّةَ منها ، أنت تُعْطِى وتَمْنَعُ

---

(١) البيتان فى ديوانه / ٢٨٠ (ط الصاوى) من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ، وهما متفقان مع الديوان رواية وترتيبا . وبعدهما :

لقد فاضتْ دُمُوعُك يومَ قو لبيْنٍ كان حاجته ادِّكارَا
أَبِيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُ كلَّ نجمٍ تعرَّضَ ، حيثُ أَنْجَدَ ثمّ غارَا .

وانظر أيضا الأغانى (٧/٤١ ط بولاق) (٢) استطار : تفرق .

(٣) الأبيات فى شرح ديوانه / ٢١٩ (ط دار الكتب) من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان ، والأبيات من أولها على الترتيب .

(٤) البقيع : بقيع الفرقد ، وهو مقبرة أهل المدينة ، وثهمد : جبل فى حمى ضرية ، أقوين : أقفرن وخلون .

(٥) اربت : دامت ولزمت ، وتفسير المصنف للآل وارد فى شرح ثعلب لديوان زهير ، والمنضد : الذى جعل بعضه فوق بعض .

(٦) عنى بالثلاث : الأثافى ، وهى حجارة تنصب موقدا ، لتجعل فوقها القدر ، وقد شبهها بالحمام ، لأنها سود تضرب الى غبرة ، فكأنها القمارى - خوالد : مقيمات . هاب : رماد عليه هبوة ، أى غبرة من طول القدم - محيل : اتى عليه حول ، أى عام . الهامد : الخامد ، متلبد : متداخل لزق بعضه فى بعض لتردد الأمطار عليه .

(٧) ما بين القوسين فى الأصل بخط مغاير ولم أجده فى ديوان مجنون ليلى بتحقيق عبد الستار فراج ، ونسبه ابن واصل الحموى فى تجريد الأغانى / ٩١٥ (ط كتاب التحرير) الى جميل ابن معمر وأورد القصيدة ، والأبيات من أولها على التوالى ، وذكر محققه انها ليست موجودة فى أصول الأغانى . (٨) فى تجريد الأغانى « بالتناضب » .

وإلا فصَبِّرْنى وإن كنتُ كارهًا فإنى بها ياذا المَعَارِجِ مُولَعُ
وفى الصّبر عن بعضِ المطامع راحةٌ إذا لم يكن فى الشىء ترجوه مَطْمَعُ
وقد قَرَعَ الواشُونَ فيها لكَ العَصَا قديمًا ، كما كانت لذى الحِلم تُقْرَعُ(١)

وقال آخر :

بكت للفراقِ وقد راعَها بكاءَ الحبيبِ لبُعْدِ الدّيَارْ
كأَنَّ الدموع على خدّها بقيّةُ طَلٍّ على جُلّنارْ

وقال آخر :

إنْ جرى بيننَا وبينَكَ عَتْبٌ وتناءَتْ منّا ومنْكَ الديارُ
فالعَليلُ الذى عهدتَ مُقِيمٌ والدموعُ التى شهدتَ غِزَارُ

[٥٨ ا]

وقال آخر(٢) :

أما الدّيارُ فقلّمَا لَبِثُوا بها بعد اشتياق العِيسِ والرُكبانِ
وضَعُوا سِياطَ الشوقِ فى أعناقِها حتى طَلَعْنَ(٣) بهم على الأَوطانِ

وقال قيسُ بنُ الخطيم(٤) ، وقيل : هى للربيع بن أبى الحُقَيْقِ الأَوسى :

---

(١) يقال : العصا قرعت لذى الحلم ، أى اذا نبه انتبه ، وهو مثل ، قال الحارث بن وعلة الذهلى :

وزَعمْتُمُ أن لا حُلُومَ لَنَا إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لذِى الحِلْمِ

أى زعمتم أننا أخطأنا ، فقد أخطأ العلماء قبلنا ، وأصله ــ فيما يقال ــ أن عمرو بن حممه الدوسى قضى بين العرب زمانا ، فلما أسن ألزموه السابع من ولده يقرع له العصا اذا أخطأ فى حكومته ، لينبهه ، قال المتلمس الضبعى :

لِذِى الحِلْمِ قبْلَ اليوْمِ ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإِنْسَانُ إلا ليعْلَمَا

(٢) هو العرجي ، والبيتان منسوبان اليه فى الزهرة / ٢٠٦ .
(٣) فى الزهرة « حتى وردن » .
(٤) فى الديوان / ٩٥ (ط القاهرة) فى مقطوعتين مما ينسب الى قيس بن الخطيم ، وقد وردت الأبيات : (١ و ٢ و ٤) فى المقطوعة الأولى ص ٩٥ وهى تقابل الأبيات (٣ و ٥ و ٨) منها ، وأولها :

وبعضُ القَوْلِ ليسَ له عِناجٌ كمخْضِ الماءِ ليس له إتاءُ

والبيت الثالث هنا ورد فى المقطوعة الثانية ص ٩٨ التى اولها :

ومنْ يكُ غَافِلاً لَمْ يلْقَ بُؤْسًا يُنِخْ يَوْمًا بساحتِهِ القَضَاءُ

ويقابله منها البيت الثالث :
ونسبة هاتين المقطوعتين الى قيس بن الخطيم موضع خلاف بين الرواة ، ففيها أبيات تنسب اليه أحيانا ، وتنسب أحيانا الى الربيع بن أبى الحقيق ، كما أشار المصنف الى ذلك ، وبعضها ينسب الى نابغه بنى شيبان .

وما بعضُ الإقامةِ فى ديارٍ يُهانُ (١) بها الفَتى إلا عَناءُ(٢)
وبعضُ خلائِقِ الأقوامِ داءٌ كداءِ (٣) البَطْنِ ليس له دواءُ(٤)
وكلُّ شديدةٍ نزلت بقومٍ (٥) سيأتى بعد شِدّتِها رَخاءُ(٦)
يريدُ المرءُ أن يُعْطَى مُناه(٧) ويأبَى اللهُ إلا ما يشاءُ

وقال سعيدُ بنُ حُمَيْد :

تدنو الديارُ وأنت تَبعُدُ جاهِدًا فالدهرُ يُنْصِفُنى وأنت الظَّالِمُ (٨)
فمَتى يَنالُ العدلَ عندك طالبٌ أنتَ المسىءُ به ، وأنت الحاكِمُ

وقال الشريفُ الرَّضِيّ (٩) - رضى الله عنه - :

أروحُ بفِتْيانٍ خِماصٍ من السُّرَى(١٠) لهم أنَّةٌ فى كل دارٍ وأَدْمَعُ
[٥٨ب]
فدمعٌ على نَأْيِ الدّيَارِ مُفَرَّقٌ(١١) وقلبٌ على أهلِ الديارِ مُرَوَّعُ
هلَ أنْتَ معينٌ للغَليلِ بعَبْرَةٍ فنَبْكِى على تلكَ الدّيَارِ ونَجْزَعُ ؟
ألا ليتَ شِعْرِى كلُّ دارٍ مُشِتَّةٌ ألا منزلٌ يدنُو بشَمْلٍ فيَجْمَعُ ؟ !(١٢)

---

(١) فى الديوان « يكون » وما هنا يتفق مع روايتى حماسة البحترى ، وحماسة أبى تمام
(٢) فى الخزانة (عباء) وفى حماسة أبى تمام ، ومعاهد التنصيص ، ومحاضرات الأدباء (بلاء) .
(٣) فى الديوان (كداء الكشح) وفى البيان والتبيين (كداء الشيخ) وفى معاهد التنصيص (كداء الشح) وما هنا يتفق مع رواية حماسة أبى تمام ، والحماسة البصرية .
(٤) فى الديوان (شفاء) وما هنا يوافق حماسة أبى تمام ، والبيان والتبيين .
(٥) فى الديوان (بحى) وفى معاهد التنصيص ، ومعجم الشعراء ، والخزانة ؛ وحماسة أبى تمام (بقوم) .
(٦) فى الأغانى : « سَيَتْبعُها إذا انْتَهَت الرَّخاءُ » .
(٧) فى الديوان (يحب المرء أن يلقى مناه) وما هنا يتفق مع حماسة أبى تمام ، والخزانة . ومعاهد التنصيص .
(٨) هذا المعنى ينظر اليه قول المتنبى :

يا أعْدَلَ الناسِ إلا فى مُعامَلَتِى فيكَ الخِصامُ وأَنْتَ الخَصْمُ والحكَمُ

(٩) الأبيات فى ديوانه (٢٨٠ و ٢٨١) والبيتان الثالث والسادس هنا لم يردا فى القصيدة كما جاءت فى الديوان ، والأبيات الاربعه يقابلها من القصيدة الأبيات ٥ و ١٠ و ٣٢ و ٣٤ .
(١٠) فى الديوان « من الجوى »
(١١) رواية الديوان

فدَمْعِى على بالِى الدِّيارِ مُفَرَّقٌ وَقَلْبِى على أَهْلِ الدِّيار مُوزَّعُ

(١٢) لم يرد هذا البيت فى الديوان .

ألا سَلْوَةٌ تَنْهَى الدّموعَ فَتَنْتَهِى ألا موردٌ يصفو لشربٍ فَيَنْقَعُ ؟ ! (١)

فصبرًا على قَرْعِ الزَّمانِ وغَمزِه وهل يُنكرُ الحِمْلَ الذَّلولُ المُوَقَّعُ ؟ ! (٢)

قرأت على حائط مسجد «بفَنَك(٣)» هذا البيت مفردًا .

تَجَنَّبْتُ غِشْيَانَ الدِّيَارِ وليسَ في تجنُّبِها بعد الفِراقِ مَلامُ

فأجَزْتُه بهذا البيت ، وكتبته تحته :

وما كنتُ أهوَى الدارَ إلا لأهلِها على الدارِ بعد الظَّاعِنِينَ سلامُ

ذكر أبو عمرٍو الشَّيْبانىّ(٤)أن عُرْوَةَ بنَ الوَرْدِ أصابَ امرأةً من كنانةبِكْرًا يقال لها : سَلْمَى ، وتكنى أمّ وَهْبٍ ، فأعتقها ، واتَّخَذَها لنفسه ، فَمَكَثَت عنده بضعَ عشرةَ سَنَة ، فولدت له أولادًا وهو لا يَشُكُّ فى أنها أرغبُ الناس / فيهِ ، وهى تقول له : لو حَجَجْتَ بى ، فأمرَّ على أهلى وأراهم ؟ فحجَّ بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يُخَالِطُ من أهلِ يثربَ بَنى النَّضِير ، فيُقْرِضُونَه إن احتاج ، ويُبَايِعُهم إذا غَنِمَ ، وكان قومُها يخالطون بنى النضير ، فأتَوْهُم وهو عندهم ، فقالت لهم سَلْمَى : إنه خارجٌ بى قبلَ أن يَحْرَجَ (٥) الشهرُ الحرام ، فتعالَوْا إليه ، وأخبروه أنكم تَسْتَحْيُونَ أن تكونَ امرأةٌ منكم معروفةُ النَّسبِ صحيحَتُه سبيَّةً ، وافتدُونى منه ، فإنه لايرى أنى أفارقُه ، ولا أختار عليه أحدًا ؛ فأتَوْهُ ، فسَقَوْهُ الخمرَ ، فلما ثَمِلَ قالُوا له : فادِنا بصاحبَتِنا ، فإنَّها وسيطةُ النَّسبِ فينا معروفة ، وإن علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّة ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودَتَها ، فاخْطُبْها

[٥٩ ا]

(١) رواية الديوان «ألا مَوْرِدٌ يروِى الغَلِيلَ فَيَنْقَعُ ؟»

(٢) هذا البيت لم يرد فى القصيدة

(٣) فنك — بفتح أوله وثانية — : قرية بينهاوبين سمرقند نصف فرسخ (نحو ٣ كم) وفنك أيضا : قلعه قرب جزيرة ابن عمر بينهما نحو من فرسخين (= ١١ كم تقريبا) والظاهر ان الثانية هى المرادة للشاعر هنا ، لانها هى القريبة من وطنه .

(٤) هذا الخبر وارد فى الأغانى(٣/٧٥ — ٧٧ط دار الكتب) وفى ديوانه (٥٣ — ٥٧ ط جوتنجن سنة ١٨٦٣ م) واورد القصه مفصلة، وكذلك جاءت فى الروض الانف للسهيلى (٢/١٨١) وفيه ينقل السهيلى عن أبى الفرج الاصفهانى : .. « وكان عروة يتردد على بنى النضير ، فيستقرضهم اذا احتاج ، ويبيع منهم اذا غنم ، فرأوا عنده سلمى ، فأعجبتهم ، فسألوه ان يبيعها منهم ، فأبى ، فسقوه الخمر، واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه ، وأشهدوا عليه ، وفى ذلك يقول :

سَقَوْنِى الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونى عُداةُ اللهِ من كذِبٍ وزور

ثم أورد السهيلى الرواية الأخرى فى هذاالخبر ، وهى التى حكاها المصنف هنا .

(٥) يحرج : يضيق ، يقال حرجت الصلاة ، اذا ضاق وقتها .

إلينا(١) ، فإنها تَنْكِحُكَ ، فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لى شَرْطٌ فيها ، أن تُخيِّرُوها ، فإن اختارَتْنى انطلَقَتْ معى إلى وُلْدِها (٢) ، وإن اختارتْكُم انطلَقتُمْ بها ، قالوا : ذاك لك ، قال : دعونى أَلْهُ بها الليلة وأُفادِها غدًا ، فلما كان الغَدُ جاءُوه فامْتَنَعَ / من فدائِها ، فقالوا له : قد فادَيْتَها منذُ البارحة ، [٥٩ب] وشهد عليه جماعةٌ ممّن حضر ، فلم يقْدِرْ على الامتناع ، وفادُوها ، فلما فادُوها خيَّرُوها ، فاختارتْ أهْلَها ، ثم أقْبلَتْ عليه ، فقالت له : ياعُرْوَةُ . أمَا إنى أقولُ فيك - وإن فارَقْتُك - الحقَّ : والله ما أعْلَمُ امرأةً من العربِ أَلْقَتْ سِتْرَها على بَعْلٍ خيرٍ منك ، أغضَّ طَرْفًا ، وأقلَّ فُحْشًا ، وأَعْوَدَ يَدًا ، وأحْمى لحقيقة (٣) ، وما مَرَّ علىّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموت فيه أحبُّ إلىّ من الحياةِ بين قومِك ؛ لأنى لم أكُنْ أشاءُ أن أسْمَعَ امرأةً من قومِك تقول : أمةُ عُرْوَة وكذا وكذا ، إلا سَمِعْتُه ، ووالله لاأنْظُرُ فى وجه غَطَفَانِيّة أبدًا ، فارجع راشِدًا إلى وُلْدِكَ(٤) ، وأحْسِنْ إليهم ، فقال عروَةُ فى ذلك :

أرِقْتُ وصُحْبَتِى بمضِيقِ عَمْقٍ(٥) … لبَرْقٍ من تِهامَةَ (٦) مُسْتَطِيرِ

سقَى سَلْمَى ، وأين ديارُ سَلْمَى … إذا كانت مجاوِرَةَ السَّدِيرِ (٧)

إذا حَلَّت بأَرضِ بنى عَلِىٍّ … وأهلى بين زَامِرَةٍ وكِيرِ (٨)

---

(١) فى الأصل « اليهـا » والتصحيح من الأغانى .

(٢) العبارة التى اثنت بها ام وهب على عروة هنا تختلف عنها فى الروض الأنف ، ولفظها فيه : « ... أغض طرفا ، ولا اندى كفا ، ولا أغنى غناء ، وانك لرفيع العماد ، كثير الرماد ، خفيف على ظهور الخيل ، ثقيل على متون الأعداء ، راض للأهل والجار ، وما كنت لأوثر عنك أهلى لولا أنى كنت أسمع بنات عمك يقلن : فعلت أمة عروة ، وقالت أمة عروة ، فأجد من ذلك الموت ... » وما هنا أشبه برواية الأغانى .

(٣) ولد : جمع ولد ، مثل أسد وأسد .

(٤) عمق ـ بفتح فسكون ـ : من اودية الطائف ، والعمق أيضا : موضع قرب المدينة ، وهو من بلاد مزينة ، وهذا الموضع هو المراد هنا .

(٥) تهامة : فى معجم البلدان كلام طويل فى تحديد تهامة منه قول عمارة بن عقيل : « ما سال من الحرتين : حرة ليلى وحرة سليم فهو تهامة ، والغور حتى يقطع البحر .. » وسميت تهامة لشدة حرها ، وركود ريحها .

(٦) هكذا فى الأصل ، والسدير : نهر ، ويقال : قصر ، وهو معرب سه دل = ثلاث قباب ، وقال العمرانى : السدير : موضع معروف بالحيرة . والذى فى ديوانه ، والروض الأنف ، ومعجم البلدان ، ومعجم ما استعجم «السرير» وقال ابن السكيت فى تفسيره : السرير : موضع فى بلاد بنى كنانة .

(٧) كذا فى الأصل ، والذى فى الأغانى ، والروض الأنف ، ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان فى رسم (كير) « بين أمرة وكير » وامرة : منهل فى طريق مكة من البصرة ، وكير : جبلان فى أرض غطفان .

[٦٠ أ]

ذكرتُ منازلًا من أمِّ وَهْبٍ ... محلَّ الحى أسفلَ من ثَبِيرِ [١]

وأَحْدَثُ [٢] مَعْهَدٍ من أمِّ وَهْبٍ ... مُعَرَّسُنا بدارِ بنى النَّضِيرِ

وقالوا : ما تشاءُ ؟ فقلت : أَلْهُو ... إلى الإصْبَاحِ آثِرَ ذى أثِيرِ [٣]

بآنِسةِ الحديثِ رُضابُ فِيها [٤] ... بُعَيْدَ النومِ كالعِنَبِ العَصيرِ

سَقَوْنى الخَمْرَ ثمّ تكنَّفُونى ... عداةُ اللهِ من كذبٍ وزُورِ

وقالوا : لستَ بعد فداءِ سَلْمَى ... بمُغْنٍ مالديْكَ ولا فقيرِ

فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أَمْرِى ... ومَنْ لى بالتَّدَبُّرِ فى الأُمورِ ؟ !

إذَنْ لعَصَيْتُهم فى حُبِّ سَلْمَى ... على ما كان من حَسَكِ [٥] الصُّدُورِ

فيا لَلنّاسِ كيفَ مَلَكْتُ أَمْرِى ... على شىءٍ ويكرهُه ضَمِيرِى

قلت : ذكرت هذا الخبر لما فى الشعر من ذكر الديار .

وقال يَزِيدُ بن عبد المَدَان :

عفا من سُلَيْمَى بطنُ غَوْلٍ [٦] فيَذْبُلُ [٧] ... فَغَمْرَةُ [٨] فَيْفِ [٩] الرِّيحِ ، فالمُتَنَخَّلُ

ديارُ التى صادَ الفؤادَ دلالُها ... وأَغْرَتْ به يومَ النَّوى حين نَرْحَلُ

فإن هى صَدَّتْ عن هوايَ وراعَها ... نوازِلُ أَحْداثٍ وشيبٌ مجَلَّلُ

[٦٠ ب]

فيارُبَّ خَيْلٍ قدهَدَيْتُ بشَطْبَةٍ [١٠] ... يعارِضُهَا عَبْلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ [١١]

---

(١) فى الروض الأنف . ومعجم البلدان (أسفل ذى النقير) . وثبير : اسم لأكثر من موضع ، وأقربها الى المراد هنا الموضع الذى فى ديار مزينة ، وهو اسم ماء ورد فى حديث شريس ابن ضمرة المزنى . وذو النقير : موضع بين هجر والبصرة ، وقيل : موضع وماء لبنى القين من كلب، وبه فسر ابن السكيت قول عروة هنا .

(٢) فى معجم البلدان (كير) والروض الأنف « وآخر معهد »

(٣) آثر ذى أثير : اول كل شىء ، وقيل : الاثير : الصبح ، وذو أثير : وقته . والبيت من شواهد اللسان على ذلك .

(٤) رضاب فيها : يريد ريقها .

(٥) حسك الصدر : حقد العداوة .

(٦) غول : واد فى جبل يقال له انسان ، وانسان : ماء فى أسفل الجبل سمى الجبل به .

(٧) يذبل : جبل مشهور بنجد .

(٨) غمرة منهل من مناهل طريق مكة ، وهو فصل ما بين تهامة ونجد .

(٩) فيف : أصل الفيف المفازة لا ماء فيها ، وفيف الريح : موضع بأعالى نجد .

(١٠) يقال : فرس شطبة ، أى سبطة اللحم ، وقيل طويلة ، والكسر لغة ، ولا يوصف به الذكر .

(١١) فرس عبل الجزارة : ضخم اليدين والرجلين مع كثرة عصبها والهيكل : الطويل الضخم .

تواغِلُ جُرْدًا كالقَنَا حارِثِيّةً علیها قُنانٌ والحُماسُ ورَعْبَلُ (١)

معاقِلُهُمْ فى كلِّ يومِ كريهةٍ صدورُ العوالى والصَّفِيحُ(٢) المُصَقَّلُ

عن الأصمعِىّ قال : دخلتُ خضراءَ رَوْح ،(٣) فإذا أنا برجلٍ من وَلَدِه على فاحِشةٍ يُؤْتَى ، فقلت : قبَّحَكَ الله ، هذا موضعٌ كان أبوك يضرِبُ فيه الأعناق، ويُعطِى فيه اللُّهى(٤) ، وأنت تفعلُ فيه ما أَرَى ! فالتفتَ إلىَّ من غير أن يَزُولَ عنها ، وقال : (٥) :

وَرِثْنا المجْدَ عن آباءِ صِدقٍ أسأْنَا فى دیارِهِمُ الصَّنِيعَا

إذا الحسَبُ الرفيعُ تَواكَلَتْهُ (٦) بُناةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعَا

والشعر لمعن بن أوس .

وقال عُمرُ بن أبى رَبِيعة(٧) :

يا خليلَىَّ قد مَلَلْتُ ثوائى بالمُصَلّى(٨) ، وقد شَنِئتُ البَقِيعَا

بلِّغانى ديارَ هِنْدٍ وسُعْدَى (٩) وارجِعانى ، فقد هَوِيت الرجوعا

وقال ربيعةُ بنُ مَقْرُومٍ (١٠) :

---

(١) الجرد : واحده اجرد وهو من الخيل السباق ، والقنان والحماس ورعبل : اسماء أشخاص ، أراد أن يعد بعض فرسانهم . (٢) العوالى : الرماح ، والصفيح ، السيوف .

(٣) هذا الخبر ورد فى معاهد التنصيص /٣ ٥٠ (ط بولاق) وروايته : دخلت قصر اروح ابن حاتم المهلبى ... وعبارته متفقة مع الواردهنا .

(٤) اللهى : جمع لهوة ، وهى العطية .

(٥) البيتان وردا فى الأغانى ٥٥/١٢ ، ومعاهد التنصيص /٣ ٥٠٣ وفى المعانى الكبير /١ ٥١ ومحاضرات الآدباء (١٦٢/١) وروايته : « دخلت خضراء روح بن زنباع ، فاذا أنا برجل من ولده يفسق به .. » وهما فى المصادر السابقة منسوبان الى معن بن اوس المزنى .

(٦) فى محاضرات الأدباء :

« تَعاورتْه وُلاةُ السوءِ .. »

(٧) البيتان فى ديوانه /١٧٤ (ط الأهلية ببيروت) وفى ص ٢٣٨ من ديوانه (ط ليبزج) أوردهما ناشره فيما نسب الى عمر مما لم يرد فى أصل ديوانه ، وقد نسبا اليه أيضا فى الموشح /١٦٢ .

(٨) المصلى : موضع صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد بالعقيق ، وهو خارج المدينة . والبقيع : بقيع الفرقد ، وهو مقبرة اهل المدينة .

(٩) فى ديوانه « وسلمى »

(١٠) الأبيات فى معجم البلدان فى رسم « أسنمه »

[٦١ أ]

لِمَن الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ بجَنُوب أُسْنُمَةٍ فَقُفُّ العُنْصُلِ (١)

درسَتْ معالمُها فباقي رسْمِها خَلَقٌ كعُنْوانِ الكتابِ المُحْوِلَ

دارٌ لسُعْدَى ، إذ سُعادُ كأنّها رَشأٌ غضِيضُ الطَّرفِ رِخْوُ المَفْصِلِ (٢)

وقال عبد الله بن العَجْلان (٣) :

ولم أر هِنْدًا بعد موقِفِ ساعة بأَنْعَمِ (٤) في وَسْطِ الديار (٥) تُطَوِّفُ

أَتَتْ بين أتراب تَمَايَسُ (٦) إن مَشَتْ دبيبَ القَطا أوهُنّ منهنّ أقْطَفُ (٧)

أشارت إلينا في حياء (٨) وراءَها سَراةَ (٩) الضحى منّى على الحي مَوْقِفُ

وقالت : تباعَدْ يا ابنَ عمٍّ ، فإنني مُنِيتُ بذى صَوْلٍ يَغارُ ويَعْنُفُ

وقال آخر :

عرفتُ ديارَ الحيِّ خالِيةً قَفْرا كأنّ بها لما تَوَهَّمْتُها سَطْرَا

وقفتُ بها كَيْمَا تَرُدَّ جوابَها فما بَيَّنَتْ لي الدارُ عن أهلها خُبْرَا

وقال ابنُ مَفَرِّغ الحِمْيَرِيّ (١٠) :

ديارٌ للجُمانَةِ مُقْفِراتٌ بَلِينَ ، وهِجْنَ للقلبِ ادِّكارَا

[٦١ ب]

فلم أملِكْ دُموعَ العينِ مِني ولا النَّفْسَ التي جاشَتْ مِرَارَا

فقلتُ لصاحبي : عرِّجْ قليلًا نُذَكِّرْ شوْقَنا الدُّرُسَ القِفَارَا

---

(١) اسنمة : جبال من الرمل كأنها اسنمة الابل ، كذا قاله التوزي ، وضبط اسنمة على مثال جمع سنام ، وضبط غيره اسنمه بضم الهمزة والنون ، قال عمارة : وهي نقا محدد طويل ، كأنه سنام ، وهي أسفل الدهناء على طريق فلج ، والقف : ما ارتفع من الارض وغلظ ، والعنصل : موضع في ديار العرب وطريق العنصل من البصرة الى اليمامة .

(٢) في معجم البلدان « رخص المفصل » .

(٣) الأبيات في الأغاني (١٩/١٠٥ ط بولاق) وتزيين الاسواق / ٨١ ط البهيه) .

(٤) انعم : جبل ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة عند منعج .

(٥) في الأغاني « في أهل الديار » وفي تزيين الأسواق « من اهل الديار » .

(٦) في تزيين الأسواق « تمايسن اذ مشت » وما هنا أولى و في الأغاني « تمايس اذ »

(٧) في تزيين الأسواق « الطف » والقطف : البطء .

(٨) في الأغاني (في خفاة) وما هنا يوافق تزيين الأسواق .

(٩) سراة الضحى : وسطه .

(١٠) الأبيات في الأغاني ٦٩/١٧ ، وهو يزيد بن مفرغ الحميري .

كأن لم أغنَ فى العَرَصاتِ منها ولم أذْعَرْ بقاعَتِها صُوارًا[1]

وقال الحارث بن خالد المخزومى [2] :

عَفَت الدِّيَارُ فما بها أَهْلُ حُزّانُها ودِماثُها السَّهلُ[3]

إنى وما نَحَرُوا غداةَ مِنًى عند الجِمارِ [4] تَئُودُها العُقُلُ

لو بُدِّلَتْ أعلى منازِلِها [5] سُفْلًا ، وأصبح سُفْلُها يَعْلُو

فيكاد يَعْرِفُها الخبيرُ بها فَيَرُدُّه الإقواءُ [6] والمَحْلُ

لعرَفْتُ مَغْناها بما احْتَمَلَتْ [7] منى الضُّلوعُ لأهلِها قَبلُ

وقال مهيار [8] :

هل بالدِّيارِ على لَوْمِى ومعذِرَتى عدْوى[9] تقام على وَجْدِى وتِذْكارِى

أم كنتَ تَعْذُلُ فيما لا تزيدُ به إلا مُداواةَ حرِّ النارِ بالنارِ

---

(١) الصوار : القطيع من البقر ونحوه ..

(٢) الأبيات منسوبة اليه ايضا فى الاغانى ٣/٣١٣ (ط دار الكتب) . وفى حماسة أبى تمام ص/٥٦٤ (ط بون) .

(٣) الدماث ، واحدها دمث – بفتح فسكون – : السهل من الأرض ، والحزن : الغليظ منها .

(٤) الجمار : جمع جمرة ، وهى الحصاة : اسم موضع بمنى حيث ترمى الجمرات

(٥) فى الحماسة « أعلى مساكنها »

(٦) الأقواء : مصدر أقوى المكان ، اذا خلا واقفر ، والمحل : الجدب .

(٧) فى الحماسة « لما ضمنت » .

(٨) الأبيات فى ديوانه (٢/٥٠) من قصيدة كتب بها الى الوزير شرف الدين أبى سعيد ، وهو مقيم بالبندنيجين (بلدة مشهورة فى طرف النهروان) ومطلع القصيدة

لو كُنْتَ تَبْلُو غداةَ السفحِ أخْبارِى عَلِمْتَ أنْ لَيْس ما عَيَّرْتَ بالعار .

(٩) العدوى : النصرة والمعونة .

٣ ـ فصل فى ذكر المغـــــانى*

[٦٢ ا]

قال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن الخُزاعىّ (١) :

وقفتُ عليهِ ناقتى فتَنازَعَتْ شُعُوبُ الهَوَى لما عرفْتُ المَغَانِيا
فما أعرفُ الآياتِ إلا تَوَهُّمًا وما أعرفُ الأَطلالَ إلا تماريا
وما خَلَفٌ منكم بأَطْلالِ دِمْنَةٍ تنكَّرْنَ فاسْتَبْدلْن منكِ السَّوافِيَا

وقال أيضا (٢) :

عفا رابغٌ من أهلِهِ فالظَّواهِرُ فأَكنافُ هَرْشَى قد عَفَتْ فالأَصافِرُ (٣)
مَغانٍ يُهَيِّجْنَ الحليمَ إلى الهوَى (٤) وهنَّ قديماتُ العُهُودِ دَوائِرُ
بما قَدْ أَرى تلكَ الدِّيارَ وأَهلَها وهنَّ جميعاتُ الأَنيسِ عوامِرُ

وقال البُحْتُرِىّ (٥) :

أُناشِدُ الغَيْثَ أَن تَهْمِى غواديه (٦) على العَقِيقِ وإن أَقْوتْ مغانيهِ
على مَحلٍّ أرى الأَيامَ تَضْحَكُ عن أيَّامِه ، واللَّيالِى عن لياليِه
عهدٌ من اللَّهْوِ لم تُذْمَم معاهِدُه (٧) يومًا فيُنْسَى ولم تَقْدُم بوادِيهِ

[٦٢ ب]

---

* المغانى : المنازل التى كان بها أهلها ، واحدها مغنى ، وقيل : المغنى : المنزل الذى كان به أهله ثم ظعنوا عنه (اللسان)

(١) هذه الأبيات لم تــرد فى ديوان كثيــر المجموع (ط الجزائر) .

(٢) البيتان : (١ و ٢) فى ديــوانه ١/٨٦ (ط الجزائر) ولم يرد البيت الثـالث فيهــما . وكذلك وردا فى معجم البلدان فى رسم « الأصافر » .

(٣) رابغ : واد يقطعه الحــاج بين البزواء والجحفة دون عزور ، والظـواهر : موضــع ، والأصافر : ثنايا سلكها النبى صلى الله عليــه وسلم وهو فى طريقه الى بدر ، وقيل : جبــال مجموعة تسمى بهذا الاسم ، والاكناف : الجهات والنواحى ، هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة ، ويروى « فأكناف تبنى » ، وهى بلدة باقليم حوران من اعمال دمشق ، ذكرها كثير ايضا فى موضع آخر ، وهو قوله :

أَكارِيسَ حلَّتْ منهُمُ مرْجَ راهِطٍ فأَكْنافَ تُبْنَى مَرْجَها فتِلالَها

(٤) فى الديوان « الى الصبا » .

(٥) الأبيــات فى ديوانه (٢/٣٢١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابه ، وهى من أولها على التركيب .

(٦) فى الديوان : « كى تهمى » .

(٧) فى الديوان « عوائده » مكان « معاهده » وفيه « تفقد » مكان « تقدم »

وقال أبو تمّام[1] :

شهدتُ لقد أقْوَتْ مغانيكُمُ بعدِى ومَحَّتْ كما مَحَّت وَشائعُ من بُرْدِ[2]

فأنْجَدْتُمُ من بعد إتْهام داركم فيادَمْعُ أنْجِدْنى على ساكِنِى نجْدِ[3]

لعَمْرِى لقد أبْلَيْتُمُ جِدَّةَ البُكا بِلاىَ ، وجَدَّدْتُم علىَّ بِلَى الوجْدِ[4]

وقال أيضا [5] :

تجرّع أسًى قد أقْفَرَ الجَرَعُ الفردُ ودَعْ جفْنَ عينٍ يحْتَلِبْ ماءَها الوَجْدُ[6]

إذا انصَرَفَ المحْزُونُ قد فَلَّ صبْرَه سُؤالُ المغانى ، فالبُكاءُ له رَدُّ[7]

هَوًى كانقِضاضِ النجمِ كانَ نتيجة من الهَزْلِ يوما إنَّ هَزْلَ الهوى جِدُّ[8]

وقال القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان المَعَرِّىّ [9] :

يا مغانى الصِّبى بِبابِ حُناكِ لا بِرَمْلِ[10] الغَضا ووادِى الأراكِ

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/١٠٩) من قصيدة يمدح بها أبا المغيث الرافقى ، وهى من أولها على الترتيب .

(٢) شهدت : حلفت ، محت : اخلقت ، والو شائع هنا : خيوط الثوب التى يلحم بها السدى.

(٣) أنجد : أتى نجدا — وأتهم : أتى تهامة ، والمعنى : انتقلتم الى نجد بعد اقامتكم فى تهامة، ولا أجد عليكم مساعدا الا الدمع ، فبه يخف مابى .

(٤) فى الديوان

لَعَمْرِى أخْلَقْتُم جِدَّةَ البُكا بُكاءً وجدَّدْتُمْ به خَلَقَ الوَجْدِ »

وفى هامشه اشارة الى رواية احدى نسخ الأصل

لعَمْرِى لقد أبْلَيْتُم جِدَّةَ البُكا بُكائِى وجَدَّدْتُم علىَّ بِلى الوجْدِ »

وروى الصولى : « جدة البلى » .

(٥) الأبيات فى ديوانه (٢/٨٠) من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانه، وهى من أول القصيدة .

(٦) فى هامش الأصل « حسى عين يفترف »ورواية الديوان « حسى عين يحتلب » والجرع ، والجرعاء : ما سهل من الأرض ، والأسى : الحزن ، وأقفر : خلا .

(٧) رد بفتح الراء : جواب ، ويكسرها — :معين ، اى اذا لم تجبه المغانى فذهب صبره فليس له معين الا البكاء ، وبعد هذا البيت فى الديوان

بَدَتْ للنَّوَى أشْياءُ قد خِلْتُ أنَّه سَيَبْدَوُنى رَيْبُ الزَّمانِ إذا تَبْدُو

(٨) فى الديوان « نوى » مكان « هوى »

(٩) البيتان فى خريدة القصر (قسم شعراء الشام ٢/٢٥و٢٦) وهى مقطوعة من خمسة ابيات ويقابلهما منها البيتان ١ و ٤ ، ومثله فى معجم البلدان فى رسم / حناك .

(١٠) فى ياقوت : « بباب الفضا » وفى خريدة القصر : « بوادى الغضا » .

[حُناك] : قرية من أعمال المعرّة (١)

وعزيزٌ عليَّ أنْ حَكَمَ الدَّهْـ رُ - على رَغْمِ ناظرِى - ببِلاكِ

وقال آخر :

[٦٣ ا] للهِ دَرُّ أنَاسٍ قد عَهِدْتُهُمُ بالشام ِ دَهْرًا سَقَى مَغْناهُمِ الدِّيَمُ

لوقِيلَ لى- وهجيرُ الصّيفِ مُتَّقِدٌ وفى الحَشا غُلَّةٌ كالنار تضطَرِمُ - :

همُ أحبُّ إليك اليوم تبصِرُهم أو شَرْبَةٌ من زُلالِ الماءِ ؟ قلت : همُ

وقال أبو الشّعر موسى بن سُحَيْمٍ الضّبّى :

فيا صاح ألِمْ بالمغانِى فحيِّها مغانٍ لهند عُطِّلَتْ وملاعبِ

مغانٍ خَلَتْ من غِبْطة ونضارةٍ مغانِى الغوانى ، والغنى والرَّغائبِ

وكم زايلتْها من فَتاةٍ ومن فتى ومن قُرَّحٍ منسوبةٍ ونجائبِ

وقَفْتُ فأبكانِى وَهَيَّج عَبْرَتى علىَّ وقوفى فى ديارِ الحبائِبِ

بكى صاحبى لما بكَيْتُ من الهوى فما كاد يقضِى عَبْرَةَ الحُزْنِ صاحبى

جرَتْ عَبْرَةٌ منه فهمَّ بردِّها فلم يستَطِعْ ردَّ الدّموعِ السّواكِبِ

فلو أن فيها أهْلَها يومَ زُرْتُها لقضَّيْتُ حاجاتى بها ، ومآربى

وقال النابغة الذُّبْيانى(٢) :

أهاجَكَ من سُعداكَ مَغْنى المَعَاهِدِ بروضة(٣) نُعْمِى فذاتِ الأساودِ(٤) ؟

---

(١) هكذا فسره المصنف ، والذى فى معجم البلدان هو : حناك : حصن كان بمعرة النعمان وكان حصنا مكينا اخربه عبدالله بن طاهر فى سنة ٢٠٩ هـ ... وشعراء المعرة يكثرون من ذكره ، ثم اورد بيتين لابن ابى حصينة ، وابيات ابى المجد الواردة هنا .

(٢) الأبيات من قصيدة يمدح بها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبى ، وكان قد أغار على بنى ذبيان ، وسبى سبيا من غطفان ، وكانت فيه عقرب بنت النابغة ، فلما عرفها جهزها وخلاها ، وأطلق من اجل النابغة سبى غطفان ، فمدحه النابغة بهذه القصيدة ، وهى فى ديوانه ٨٨ (ط القاهرة)و٣٢ و٣٣ (ط بيروت ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات (١و٢و٤) وتتفق روايتها هنا معرواية الديوان .

(٣) سماها ياقوت (برقه نعمى) واوردالبيت فى رسم نعمى وروايته « .. ببرقة نعمى» قال الزمخشرى : نعمى : واد بتهامة

(٤) والأساود : اسم ماء على يسار الطريق للقاصد الى مكه من الكوفة . قال الشماخ :

تَزَاورُ عن ماءِ الأساودِ إنْ رَنَتْ بِهِ رامِيًا يَعْتامُ رَفْعَ الخَواصِرِ

ولم اجد ذات الأساود ، ولعله الموضع الذى فيه هذا الماء .

[٦٣ ب]

تعاوَرَها(١) الأرواحُ يَنْسِفْنَ(٢) تُرْبَها ... وكلُّ مُلِثٌ ذى أهاضيبَ راعِدِ (٣)

عَهِدتُ بها سُعْدى وسُعْدَى غَريرةٌ ... عَرُوبٌ تَهَادَى فى جَوارٍ خرائدِ (٤)

وقال البُحْتُرى (٥) :

ابكِيا هذه المغانِى التى أخْ ... لَقَها بُعْدُ عَهْدِها بالغَوانى

أسْعدا الغيثَ إذْ بكاها وإن كا ... ن خَلِيًّا من كل ما تجدانِ

جادَ فيها بنفسه فاستجدَّتْ ... حُلَلًا منه جَمَّةَ الألوانِ

وقال أبو القاسم بن هانِئٍ المَغْرِبى (٦) :

قد مَرَرْنا على مغانيكِ تلكِ ... ورأينا فيها مشَابهَ منْكِ

عارَضَتْنا المَها الخَواذِلُ (٧) أسْـ ... رابًا بأجراعِها ، فلم نَسْلُ عنكِ

لا يُرَعْ للمَها هنالك (٨) سِرْبٌ ... فلقد أشْبَهَتْكِ إن لم تكُنْكِ

وقال أبو تمام (٩) :

---

(١) تعاورها الأرواح : تداولتها الرياح ،يقال : تعاورت الريح رسم الدار ، اذا هبت عليه من كل ناحية فمرة شمالا ومرة جنوبا ومرة قبولا ومرة دبورا ، ومنه قول الأعشى :

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تعاوَرَها الصَّيْـ ... ـفُ بريحَيْنِ من صَبًا وشَمالِ

(٢) ينسفن : يقال نسفت الريح التراب ، اذا فرقته وأذرته ، والملث من المطر : الذى يدوم أياما لاينقطع ، والأهاضيب : جمع الأهضوبــة وهى المطرة الدائمة العظيمة القطر . والراعد : المصوت فى امطارة .

(٣) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان

بها كلُّ ذيَّال وخَنْساءَ تَرْعَوى ... إلى كُلِّ رَجَّافٍ من الرَّمْلِ فارِدِ

(٤) العروب : المراة المتحببة الى زوجهــا جمعه ، عرب ، وفى القرآن الكريم :

« فَجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا عرُبًا أتْربًا » .

والخرائد : الواحدة خريدة ، وهى المرأة الحيية ، أو البكر التى لم تمس .

(٥) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٨٥) من قصيدة يمدح بها الحسين بن الحسن بن سهل ، مطلعها

أدْمُعٌ قد غَرِينَ بالهَمَلانِ ... وفُؤادٌ قد لَجَّ فى الخَفَقانِ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٤ و ٥ و ٦) وروايتها هنا متفقة مع رواية الديوان .

(٦) ديوانه ٩٣ (ط الأميرية سنة ١٢٧٤ هـ) من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن جعفر ، والابيات من أولها على التوالى :

(٧) الخواذل : جمــع خاذل ، وهى الظبية ونحــوها تتخلف عن القطيــع ، ورواية الديوان « .. الخــرائد أسرابا » وهو أنسب ، لمنــافاة الخواذل للأسراب .

(٨) فى الديوان : (للمها بذلك) .

(٩) الأبيات فى ديوانه ١/١٢٢ من قصــيدة يمدح بها سليمان بن وهب ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١و٣ و٧و٨و١٠و١١)

أَىّ مَرْعَى عِينٍ ووادٍ قَشِيبٍ(١) لَحَبَتْهُ الأيامُ فى مَلْحُوبِ

ندَّ عنك العزاءُ فيه وقاد الدّ [م] مْعَ من مُقْلَتَيْكَ قودَ الجَنِيبِ (٢)

وبِمَا قدْ أراهُ رَيّانَ مكْسُوّ [م] المغانى من كل حُسْنٍ وطِيبِ(٣)

لسقيمِ الجُفُونِ من غيرِ سُقْمٍ ومُريبِ الألحاظِ غيرِ مُريبِ

فعليهِ(٤) السلامُ لا أُشْرِكُ الأطْ لالَ فى لوْعَتى ولا فى نَحِيبِى

فسواءٌ إجابَتِى غيرَ داعٍ ودعائِى بالقَفْرِ غيرَ مُجِيبِ(٥)

وقال أبو محمد القاسم بن على الحَريرى العالم :

عَرِّجْ-لكَ الخيرُ-صدورَ الركابْ على رُبًا كُنَّ مغانِى الرَّبابْ

وقِفْ بها وقْفَةَ مُسْتَعْبِرٍ يَسُحُّ فيها الدّمعَ سحَّ الرَّبابْ(٦)

فسُنَّةُ العشاقِ أن يُعْوِلُوا فى منزِلِ الحُبِّ إذا الحِبُّ غابْ

يا حَبَّذَا تلك الرّبا من رُبا ظباؤها أَفْتَكُ من ليثِ غابْ(٧)

وقال الشيخ أبو العَلاءِ [أحمد بن عبد الله] بن سُلَيْمَان المَعَرّى (٨) :

(١) فى الديوان « ووادى نسيب » وفسره التبريزى بقوله : « اى كان هذا الوادى فيه اهل يستحقون أن يقال فيهم النسيب » وقد جعل نظر العين الى الحسان رعيا لها ، ولحبته : قشرته ، وملحوب : موضع، ويقال: طريق ملحوب : واضح سهل .

(٢) استعار « ند » للعزاء ، وأصله للابل ،والجنيب الذى يقاد جنيبا وهو ضد الناد ،وفاعل قاد ضمير العزاء .

(٣) كذا فى الديوان ، وبهامشه — عن ابن المستوفى — ان ابا العلاء كان يرويه «وبما قد اراه » وقال التبريزى : هذا كلام معروف من كلام العرب : يقول : اقفرت الدار بما قد أراها آنسه ، اى هذا بذاك .

(٤) عليه ، أى على السقيم الجفون ، والمعنى أخصه بسلامى دون الاطلال ، فلا أشركها فى وجدى وبكائى ونحيبى .

(٥) قال التبريزى : المعنى « لست ممن يقف على الاطلال يخاطبها ويشركها — بزعمه — فى لوعته، او يستحملها بعض جزعه ، فسواء عندى فى الاستحالة ان اجيب من غير ان ادعى ، وان ادعو مالا يجيب .

(٦) الرباب فى البيت السابق ، : اسم المحبوبة ، والرباب فى هذا البيت : السحاب .

(٧) غاب هنا . جمع غابة ، وهى فى البيت السابق الفعل الماضى من الغياب .

(٨) الأبيات فى سقط الزند (٦٤/٢) من قصيدة قالها بمدينة السلام ، ويقابلها من القصيدة الابيات (١ و ٢ و ٤١ و ٤٣) .

[١٦٤]

مغانِي اللِّوى من شَخْصِكِ اليوم أطلالُ — وفى النوم مَغْنىً من خيالِك مِحْلالُ[1]

معانيكِ شتَّى ، والعبارةُ واحدٌ — فَطَرْفُكِ مُغتالٌ ، وزَنْدُك مُغْتالُ[2]

متى سأَلَتْ بَغدادُ عنى وأهلُها — فإنِّى عن أَهْلِ العَوَاصِم سَالُ[3]

إذا جَنَّ ليلى جُنَّ لُبِّى وزائِدٌ — خُفوقُ فؤادِى كلما خَفَقَ الآلُ[4] [٦٤ ب]

وماءُ بلادِى كان أَنْجَعَ مشْرَبًا — ولو أَنَّ ماءَ الكرخِ صَهباءُ جِرْيالُ[5]

وقال المتنبّى[6] :

مغانى الشِّعبِ طِيبًا[7] فى المَغَانِى — بمنزِلةِ الربيعِ من الزَّمانِ

ولكنَّ الفتى العربىَّ فيها — غريبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسانِ[8]

إذا غَنَّى الحمامُ الوُرْقُ فيها — أَجابَتْه أَغانِىُّ القِيانِ[9]

---

(١) المغانى : جمع المغنى ، وهو المنزل ، واللوى : منقطع الرمل ، والاطلال : جمل الطلل وهو ما شخص من آثار الديار . ومحلال :مفعال من الحلول ، ، أى يحلّ فيه كثيرا .

(٢) مغتال الاول من اغتالهاى أهلكه ، والثانى من قولهم ساعد غيل ، أى عبل ممتلىء ريان ، أى معانى صفاتك كثيرة ، وان كانت العبارة واحدة ،فطرفك مغتال للمحبين بحسنه وزندك مغتال، أى سأعدك ممتلىء اللحم ريان .

(٣) المعنى : متى فارقت بغداد واهلها ،واشتاقوا الى وسألوا عنى ، فليس بى سؤال الا عن أهل العواصم يعنى وطنه ، اى اذا عنىأهل بلاد فارقتهم بذكرى ، كنت معنيا بالسؤال عن اهل وطنى ، لا اعدل بهم غيرهم .

(٤) جن الليل : دخل — جن لبه من الجنون، والآل : السراب ، وخفوفه : لمعانه وبريقه فى ضوء الشمس ، والمعنى لا يزايلنى اهتياج الاشتياق الى اهلى ليلا ونهارا ، ولا أزال مكابدا برحه غير سال عنه .

(٥) يفضل ماء بلاده على ماء دجلة ، أى أنه أنفع وامرأ من غيره ، وان كان ماء دجلة فى النفع والصفاء مثل الصهباء .

(٦) الابيات فى ديوانه (٢/٤٨١) وهى من قصيدة يمدح بها عضد الدولة ، ويذكر طريقه اليه فى شعب بوان ، ويقابلها من القصيدة فىترتيب الديوان الأبيات (١و٢و١٤و١٥) .

(٧) فى الأصل « طيب » والمثبت روايةالديوان .

(٨) يقول : انى بها غريب الوجه لا اعرف ،أو لأنه أسمر اللون — كما هو الغالب فى الوان العرب — واهل الشعب شقر الوجوه ، وغريب اليد ، لا تملك يدى فيها مالا ، فيدى أجنبية فيها، أو ان ما بيدى من السلاح غريب عما بأيديهم . وغريب اللسان ، لانى اتكلم العربية ، وهم عجم لا يفصحون ، لان لغتهم هى الفارسية .

(٩) الورق : جمع الورقاء وهى التى فىلونها بياض الى سواد ، والقيان : جمع القينة ، وهى الجارية المغنية .

وَمَنْ بالشُّعْب أَحْوَجُ من حَمامٍ - إذا غَنى وناحَ - إلى البيانِ[1]

وقال مَهْيار[2] :

المغانى أَحْفَى[3] بقلبى من العَذْ ... ل وإن هِجْنَ لَوْعَةً وزَفيرا

أَفهَمَتْنِى على نُحُولِ رُبَاها ... فكأنِّى قرأتُ منها سُطورا

يا مُعِيرى أجفانَه أنا أَغْنَى ... بجفونى الغِزارِ أن أَستَعِيرا

وقال أخى عز الدولة أبو الحسن على - رحمه الله - :

مغنَاهُمُ أضْحَى صَمُوتًا ناطِقًا ... يُهدى الهمومَ إلى القلوبِ بيانُهُ

غشِيَتْ ديارَهم المُحولُ ، وريُّها ... دونَ السَّحابِ على العيونِ ضَمانُه

قد أَلبَسَتْهُ يدُ البِلى عَفْرَ الثَّرى ... فعفا ، ومَحَّ ، فأُخمِدَتْ نيرانُه

وتنكَّبَ العافونَ لاحِبَ سُبْلِه ... لما عفَا ، وتهدَّمَتْ أركانُه

ولقد أراهُ وفيه مجتَمَعُ الهوى ... يهدى السرورَ إلى القلوبِ عِيانُه

فَرَجًا لمَكْرُوبٍ ، ونُصْرَةَ ثائِرٍ ... وملاذَ من تَنْبُو بِهِ أوطانُهُ

والدهْرُ مثلُ الطَّيْفِ لا تَبْقَى على ... حالٍ إساءتُه ولا إحسانُه

[٦٥ أ]

قال آخر :

شجانِى مغانِى الحَىِّ وانشقَّت العَصا[4] ... وصاح غُرابُ البَيْنِ أنتَ مَريضُ

ففاضَتْ دُمُوعِى عند ذاكَ صَبَابَةً ... وفيهنَّ خَودٌ كالمهاةِ غَضِيضُ

ووليتُ محزونَ الفؤادِ مُرَوَّعًا ... كئيبًا ودمعِى فى الرِّداءِ يفِيضُ

قال آخر :

هل هيَّجَتْكَ مغانِى الحىِّ والدورُ ... فاشتَقْتَ ، إن الغريبَ الدارِ معذورُ

وقد نحُلُّ بها إذ عيشُنا أَنِقٌ ... بيضٌ أوانِسُ أمثالُ الدُّمى حورُ

---

(١) يقول : لقد كنت أحوج الى أن أفهم كلام أهل الشعب من أن افهم لغة الحمام اذا غنى وصاح ، لأنهم أعاجم لا أفهم كلامهم .

(٢) الأبيات فى ديوانه (١١/٢) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن على بن الطيب ، ومطلعها :

سائِل الدَّار إنْ سَأَلْتَ خَبِيرَا ... واسْتَجِرْ بالدُّمُوعِ تَلْقَ مُجِيرَا

(٣) أحفى : أحق وأولى

(٤) يقال : انشقت العصا بالبين ، أى تفرقوا ومنه قول قيس بن ذريح :

وصَاحَ غُرابُ البَيْنِ . وانشَقَّت العصا ... ببَينٍ كما شَقَّ الأَديمَ الصَّوانعُ

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ(١) :

أَلا حيٌّ من أجلِ الحبيبِ المَغانيا ... لبِسْنَ البِلى مما لَبِسْنَ اللَّياليا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تقاضاه شئٌ لا يَمَلُّ التقاضِيا

وقال الشريف المُرْتَضَى(٢) ـ رضى الله عنه ـ :

ومِن سَفَهٍ وُقُوفُكَ فى المغانى ... تسائِلُ عن فَرِيقٍ فارقُونا(٣)

سُقِينَ غداةَ(٤) بيْنِهِمُ دُمُوعًا ... وَكَفْنَ فما وَقَفْن ولا رَوِينَا

[٦٥]

وقال مَهْيار(٥) :

أنا يادارُ أخو وَحْشِ الفَلا ... فيكِ ، من خانَ فَعَزْمِى لم يَخُنِّى(٦)

ولئِن غالَ مغانيكِ البِلَى ... ـ عادَة الدهرِ ـ فشخصٌ منك يُغْنى

إن خَبَتْ نارٌ فهذى كَبِدِى ... أو جَفَا الغَيْثُ ، فهذا لك جَفْنِى(٧)

وقال أيضا(٨) :

---

(١) البيتان فى طبقات ابن المعتز / ١٤٤ ، وفى الأمالى (٢/١٨٧) وأمالى المرتضى (١/٤٤٨) والشعر والشعراء /٤٨٧ وشرح المقامات للشريشى (١/٣٧٥) والرواية متفقه .

(٢) الأبيات فى ديوانه القسم الثالث/٣٠٤ من قصيدة له فى الفخر ، مطلعها :

سَلاَ عنَّا المَنَازِلَ لِمْ بَلِينَا ... ولا سَقَمٌ بهنَّ ولا هَوِينَا

(٣) رواية الديوان « تســـاءل » تخفيف تتساءل .

(٤) رواية الديوان

« سُقِينا بعد بيْنِهِمُ دُمُوعًا » .

(٥) الأبيات فى ديوانه (٤/٧٣) من قصيدة كتب بها الى عميد الكفاة الوزير ابى سعيد بن الصاحب ابى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز ، ومطلعها :

دعْ مَلامِى باللِّوَى ، أو رُحْ ودَعْنِى ... واقِفًا أنْشُدُ قَلْبًا ضاعَ مِنِّى

(٦) البيت التالى فى الديوان بين هذا البيت والذى بعده هنا :

قائِمًا ، أو قَائِلًا مُفْتَرِشًا ... بَيْنَ خَدِّى وثَرَى أَرْضِكِ رُدْنِى

(٧) رسمت فى الديوان (فهاذى ، فهاذلك)

(٨) الأبيات فى ديوانه (١/٤٠٧) من قصيدة كتب بها الى صديق له من الكتاب يشكره على موقف وقفه فى حاجة له رضى سعيه فيها ، ويتألم لفقد جماعة من اخوانه ، ويهنئه بعيد المهرجان ، ومطلعها :

حَيِّها أَوْجُهًا على السَّفحِ غُرًّا ... وقِبَابًا بِيضًا ونُوقًا حُمْرًا

يا مغانى الحمى سُقيتِ ، وما يَنْ   فَعُنى الغيثُ أن يَجُودَك قَطْرا[1]

أىُّ عَينٍ أصابَتْ الدارَ أقْ [م] ذى اللهُ بْعدِى أجفانَها وأضرّا[2]

لا ثراها يُطيلُ بعد النَّوَى غُصْ   نًا ، ولا جَوُّها يُتَمِّمُ بَدْرَا

غيرَ حُمٍّ[3] مثلَ القَطا جاثماتٍ   كنّ جُونًا[4] فعُدْنَ بالريح كُدْرَا

وبقايا[5] مواقِدٍ تصِفُ الجُو   د أباديدَ فى يَدِ الريح تُذْرَى[6]

قَلِّبُوا ذاكَ الرَّمادَ تُصِيبُوا   فيهِ قلبى إن لم تُصِيبُوا الجَمْرَا

وقال أيضا[7] :

عابوا[8] وفائى لمن أهْوَى وقد علِمُوا   أن الخِيانَةَ ذَنْبٌ لا أُواقِعُه[9]

كأننى أولُ العُشّاقِ طالَلَهُ[10]   مغنى الأَحِبَّةِ فارفَضَّتْ مدامِعُهُ[11]

---

(١) رواية الديوان « ان يجـــودك قفرا » والمعنى على المروى هنا : انه لا يرضى ان يجودها من الغيث القليل .

(٢) فى الديوان بين هذا البيت والبيت التالى بيت آخر هو .

عَرِيَتْ من ظِبائِها الآنِساتِ الـ   بيضِ ، واعْتَاضت الظّاءَ العُفْرَا

(٣) حم : جمع أحم ، وهو الأسود .

(٤) جونا : جمع جون وهو ، الأسود ، والرهج : الغبار .

(٥) رواية الديوان « وبقايا مواقف »وماهنا أكثر ملاءمة للمعنى .

(٦) فى الديوان « يذرى » .

(٧) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٥١) من قصيدة يمدح بها جلال الدولة ابا طاهر بن بويه ،ويذكر الاتراك فى شغبهم عليه ، وعودهم الى الطاعة ،ومطلعها :

فى كُلِ دارٍ عَدُوٌّ لى اقاذعُه   وعاذِلٌ اتَّقِيهِ أو أُصانِعُه

(٨) هذا البيت متأخر عن الذى بعده هنافى ترتيب الديوان

(٩) واقع الأمر : داناه .

(١٠) رواية الديوان (طال له) والوارد فى اللغة تطاللت للشىء ، اذا تطاولت فنظرت اليه ، والتطال : الاطلاع من فوق المكان أو من الستر ،والمراد ظهر لى فنظرت اليه .

(١١) رواية الديوان « وارفضت »

٤ ـ فصـــل فى ذكر الاطـــلال *

[٦٦ ا]

قال جَرِيرُ بن عَطِيّة بن الخَطَفَى(١) :

حيِّ الغَدَاةَ برامَةَ الأَطْلالَا رَسْمًا تحمَّل أهلُه فأَحالَا(٢)

إنَّ السّوارِيَ (٣) والغوادِيَ غادَرَتْ للرِّيحِ مُنْخَرَقًا (٤) به ومَجالَا

لم نَلْقَ (٥)مثلَكِ بعد عَهْدِكِ مَنْزِلًا فسُقِيتِ من سَبلِ(٦)السِّماكِ سِجالَا

أَصبَحتِ بعد جميعِ أَهْلِكِ دِمْنَةً قَفْرًا ، وكنتِ مَحلَّةً (٧) مِحْلالَا

ولقد عجِبْتُ من الدّيارِ وأَهْلِهَا والدهرِ كيفَ يبدِّل الأَبْدالَا !

وقال أَبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى :

قفا حَيِّيا الأَطلالَ من مَسْقَطِ اللِّوَى وهل فى تحيّاتِ الرُّسُومِ جدَاءُ(٨)

وماذا نُحَيِّى من عِرَاصٍ تَبَدَّلَتْ شعُوبَ النَّوَى عنا فهنَّ قَواءُ

كأَن لم يكنْ فيها الجميعُ ، ولم تَصِحْ بهم نِيَّةٌ تُعْرِى الديارَ خلاءُ

تذكَّرْتُ عَصْرًا قد مَضَى وصَحابَةً ولم يكُ عما قد ذكرتُ عَزاءُ

---

* الطلل : ما شخص من آثار الديار ، والرسم : ماكان لاصقا بالأرض ، والجمع : اطلال وطلول ، وقيل : طلل كل شيء شخصه ، وفى التهذيب: طلل الدار يقال: انه موضع من صحنها يهيأ لمجلس أهلها كالدكانه يجلس عليها ، وعن أبى الدقيش : كان يوجد بفناء كل بيت دكان (مصطبة) عليه المشرب والمأكل ، فذلك الطلل (عن اللسان) .

(١) الأبيات فى ديوانه (٤٤٨ ط الصاوى) من قصيدة يهجو بها الأخطل ، وهى من أولها على الترتيب ، والأبيات الأربعة الأولى أوردها ياقوت فى رسم (رامة) .

(٢) فى الديوان أشار شارحه الى رواية لعمارة بن بلال بن جرير للشطر الثانى من هذا البيت هكذا (رسما تقادم عهده فأحالا) ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة (= ٣٠ كم) فى طريق البصرة الى مكة .

(٣) السوارى : جمع السارية وهى السحابة تسرى ليلا ، والفوادى : جمع الفادية ، وهى السحابة تنشأ أو تمطر غدوة ، والمجال : المسلك .

(٤) فى الديوان « مخترقا » ومثله فى ياقوت ، ومخترق الريح : مهبها وممرها .. وما هنا أولى فهو من قولهم : انخرقت الريح فى الأرض ، اذا هبت على غير استقامة ، أو اشتد هبوبها وتخللها المواضع .

(٥) فى الديوان « لم أر مثلك » وفى معجم البلدان فى رسم (رامة : (لم الق مثلك) ..

(٦) السبل : المطر الهاطل ، والسماك : نوء من أنواء الصيف يكثر فيه المطر .

(٧) فى الديوان « مربة » بفتحتين . وهى المحلة ، ومكان الاقامة والاجتماع .

(٨) الجداء : الفناء ، يقال : فلان قليل الجداء عنك ، أى أنه لا غناء فيه .

٦ ب]

وقال أبو تمّام(١) :

إن شِئْتَ ألاّ تَرَى صَبْرًا لمُصْطَبِرٍ	فانظُرْ على أىِّ حالٍ أصبحَ الطّلَلُ(٢)
كأنّمَا جادَ(٣) مغناهُ ـ فَغَيَّرَهُ ـ	دُموعُنا يومَ بانُوا ، وهْىَ تَنْهَمِلُ

وقال أيضا (٤) :

أسْقَى طُلُولَهُمُ(٥) أجشُّ هَزِيمُ	وغدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعِيمُ
جادتْ معاهِدَهُمْ عِهادُ سَحَابَةٍ (٦)	ما عَهِدُها عندَ الدِّيَارِ ذَمِيمُ
سفِهِ الفراقُ عليك يومَ رحِيلِهِم	وبما أراهُ عنكِ وهْوَ حَلِيمُ

وقال بِشْرُ بنُ الهُذَيْلِ :

يَقول زميلى يوم سَابِقَةِ النَّقَى	وعَيْنَاىَ من فَرْطِ الأَسَى تَكِفانِ :
أمِنْ أجلِ دارٍ بين لَوْذان(٧) فالنَّقَى	غداةَ النَّوَى عيناكَ تَبْتَدِرانِ ؟
فقلتُ له : لا ، بل قَذِيتُ ، وإنما	قَذَى العيْنِ مما هيَّجَ الطّلَلانِ

وقال آخر :

ثوى مائِلًا بين الطُّلولِ المَواثِلِ	فهل بَلَّ من داء الجَوَى والبَلابِلِ(٨)
مُعنًّى قضَى دَيْنَ الغَرامِ مَدَامِعًا	يقَسِّمُها فى دِراسَاتِ المنازِلِ

(١) البيتان فى ديوانه (٣/٦) من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، ومطلعها :

فَحْواكَ عَيْنٌ على نَجْواكَ يا مَذِلُ   حَتّامَ لا يَتَقَضَّى قَوْلُكَ الخَطِلُ

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان (٤ و ٥) .

(٢) فسره التبريزى بقوله : (ان شئت آن ترى وتعلم قلة صبرى على ما احدثته الفرقة ، فانظر حال الطلل . »

(٣) جاد : من الجود وهو أعظم المطر ، والفاعل دموعنا .

(٤) الأبيات فى الديوان (٤/٢٨٩) من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبانة ، وهى من اولها على الترتيب .

(٥) فى الديوان اشارة الى رواية « ديارهم » فى احدى نسخ الأصل . والأجش : يوصف به الرعد كان به جشه ، والهزيم : يحتمل ان يكون من الصوت ، أو من قولهم : تهزم الأديم : تكسر وتشقق .

(٦) العهاد : مطر أول السنة ، ويقال لمكان نزوله أيضا .

(٧) قال ياقوت : لوذان موضع ولم يحدده ، وذكر وروده فى شعر الراعى .

(٨) يقال : بل من مرضه ، وأبل : برىء منه ، والبلابل : شدة الهم والوسواس ، الواحد بلبال ، وبلبالة .

تُسائِلُ عن أحبابه كلَّ دِمْنَةٍ سوائِلُ من عيْنَيْهِ غير سوائِلِ[1]

وقال محمد بن بَشِير الخارجي[2] :

سَقَى اللهُ أطلالًا بأَكْثِبَةِ[3] الحِمَى وإن كُنَّ قد أَبْدَيْنَ للنَّاسِ مابِيا

منازلَ لو مَرَّتْ بهنّ جِنَازَتِي[4] لقالَ الصَّدَى يا حامِلَىَّ أَرْبَعا بِيَا[5]

وقال جَمِيل بن مَعْمَر[6] :

أشاقَتْكَ المعارِفُ والطُّلولُ عَفَوْنَ وخَفَّ منهُنّ الحُمُولَ

نَعَمْ . وذكرتُ دُنْيَا قد تَوَلَّتْ وأَىُّ نعيمِ دنيا لا يزُول؟!

وقال حفص الأموى :

ومِن جَزَعِي ـ والشيبُ إحكامُ ذِي النُّهَى ـ بكاءٌ على الأَطلالِ يوْمَ الرَّواكِسِ

أُسائِلُ أطلالًا عَفَتْ بعد أهلِها وغيَّرها سَهْكُ[7] الرِّيَاحِ الرَّوامِسِ

فما أبقَت الأيامُ من عَرَصاتِها لمن جاءها غيرَ الرّسومِ الدَّوارِسِ

وقال عَدِىُّ بن الرِّقاع العاملي[8] :

هل تعرفُ اليومَ ـ أم لا تَعْرِفُ ـ الطَّلَلَا بَلَى ، فهيَّجَ لى الأَحزانَ والوَجَلَا[9] [٦٧ ب]

وقد أرانى بها فى عِيشةٍ عجَبٍ والدهرُ بَيْنَنَا له حالٌ إِذِ انْفَتَلَا

---

(١) سوائل الأولى : جمع سائل من السؤال، والثانية من السيلان ، اراد دموعها .

(٢) البيتان فى الأمالى (٢/٤٣ ط بولاق)ومطالع البدور (٢/٣٠٣) منسوبان الى مرار بن هباش الطائى .

(٣) فى الألى (بأحبلة) جمع حبل ، وهو ما طال وامتد من الرمل ، وفى مطالع البدور . (بالوية الحمى) جمع اللوى .

(٤) الجنازة بكسر الجيم : النعش ، والميت، وهما معا .

(٥) الشطر الثانى روايته فى الأمالى :

«لَقَالَ صَدَاىَ : حامِلَىَّ انْزِلابِيَا » ومعنى « أربعا » : انتظرا .

(٦) هذا البيتان اوردهما المصنف فى ص (٢٥/ب) ومعهما ثالث ، وروايته لم (أهاجتك المنازل)

(٧) يقال سهكت الريح : اذا عصفت واضطربت ، والريح تسهك الأرض ، أى تقشرها من شدة هبوبها .

(٨) البيتان من قصيدة لعدى بن الرقاع فى الطرائف الأدبية /٨١ وما بعدها ، وهما من أولها على الترتيب .

(٩) رواية البيت فى الطرائف :

أَتَعْرِفُ الدّارَ أم لا تَعْرِفُ الطَّلَلا أَجَلْ ، فَهَيَّجَتِ الأَحْزَانَ والوَجَلاَ

وقال طُفَيْلُ بن عَوْفٍ الغَنَوِىّ :

لمن طَلَلٌ بذِى (١) خِيَمٍ قَدِيمُ ... يَلُوح كأنَّ باقِيَهُ وُشُومُ

محا معروفَه قِدمُ الليالى ... ووكَّافٌ عزَالِيهِ سُجُومُ(٢)

وآونَةً عَجاجُ الصَّيْفِ حَتى ... تَنَكَّرَتِ المعالِمُ والرُّسُومُ

وَقَفْتُ به أسائِلُه ودمعى ... يفيضُ كأنَّه شَنٌّ هَزِيمُ

(الشَّنّ : القِرْبة الخلقة ، والإداوة الخَلَق ، هزيم : منكسر) (٣) .

وقال حاتم بن عبد الله الطائِىّ (٤) :

أتعرفُ أطلالًا ونُؤْيًا تهدَّما ... كخطِّك فى رَقٍّ كتابا مُنَمْنَما(٥)

أذاعَتْ به الأَرْوَاحُ بعد أنيسِهَا ... شُهُوراً وأيّامًا وحَوْلًا مُحَرَّما

دوارِجَ قد غَيَّرْن ظاهِرَ تُربه ... وغيرت الأَيامُ ما كان معْلَما(٦)

وغيّرها طولُ التقادُمِ والبِلى ... فما أعرف الأَطلالَ إلا توهُّمَا

وقال رُقَيْعُ بن عُبَيْد بن صَيْفِى :

[١٦٨] يا صاحِبىّ ألِمَّا بى على الطَّلَلِ ... وحَيِّيَا قبلَ طولِ البَيْنِ والشُّغُلِ

وما تحيَّةُ دارٍ بعد ما دَرَسَت ... إلا معارِفَ رَسْمٍ هاجَ من خَبَلِى

وقال ذو الرُّمَّة غَيْلانُ بن عُقْبَةَ بن مسعود(٧) :

خلِيلَىَّ عُوجا اليومَ حتى نُسلِّما ... على طلَلٍ بين النّقا والأَخارِمِ(٨)

---

(١) قال ياقوت : خيم ، جبل بعمايتين ..ويوم ذى خيم من أيام العرب .

(٢) الوكاف : مبالغة للواكف ، وهو المطـر المنهل ، والعزالى : جمع العزلاء : مصب الماء من القربة ونحوها ، وسجوم : وصف من سجم ،اذا سال .

(٣) هذا التفسير فى هامش الأصل ، وهـو بخط المؤلف ، والذى فى اللسان : تهزمت القربة يبست وتكسرت فصوتت ، والهزيم أيضـا : السحـاب المتشقق بالمطر ، شبه به فيضان العين بالدمع .

(٤) الأبيات فى ديوانه برواية ابن الكلبى ص٢٣ (ط لندن سنة ١٨٧٢ م) وكذلك وردت فى ديوانه ص ١٠٧ ضمن مجموعة الدواوين الخمسة (النابغة ، وعـروة بن الورد ، وحاتم الطائى ، وعلقمة الفحل ، والفرزدق ، ط المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٩٣ هـ) وما ورد هنا يتفق مع الديوان رواية وترتيبا .

(٥) المنمنم : المزخرف المرقش .

(٦) المعلم : ما يستدل به على الطـريق من اثر .

(٧) الأبيات فى ديوانه ٦١٢ و٦١٢ ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٢ و ٤) .

(٨) النقا : الرمل ، والأخارم : الطرق فى الجبال .

كأنْ لم يكُنْ إلا حَديثًا وقد أتى ... له ما أتى للمُزمِنِ المُتقادِمِ (1)

وهل يَرْجِعُ التَّسْليمَ رَبعٌ كأنَّه ... بِسائِفَةٍ قفرًا ظهُورُ الأَراقِمِ (2)؟!

[السائفة] : منقطع الرمل .

وقال البُحْتُرِى :

يأْبى الخَلِيُّ بكاءَ المنزلِ الخالي ... والنَّوحَ فى أَرْسُمٍ أقوت وأطلالِ

وذُو الصَّبابةِ ما ينفكُّ يُنْصِبُه ... وَجْدًا تَأبُّدُ آيِ المنزلِ الخالي

وقال آخر :

أَشاقَتْكَ من أرض العِراقِ طُلولُ ... تحمَّلَ منها جِيرَةٌ وحُلولُ

فكيف أَلَذُّ العيشَ بعد معاشِرٍ ... بهم كنتُ عند النَّائِبَاتِ أَصُولُ

وقال أبو تَمّام(3) :

[68 ب]

طَلَلَ الجميعِ لقد عَفَوْتَ حَميدا ... وكفى على رُزْئى بذاكَ شَهِيدًا (4)

دِمَنٌ كأنَّ البَيْنَ أَصْبَحَ طالبا ... دِمَنًا لدى آرامِها وحُقُودا (5)

أَمواقفُ الفِتْيان تُطْوى لم تَذُبْ ... شوْقًا ، ولم تَنْدُبْ لهنّ صَعِيدا (6) ؟

وقال أبو تَمّام أيضا(7) :

---

(1) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

سَلامُ الذى شَقّتْ عَصَا البَيْنِ بَيْنَه ... وبَيْنُ الهَوَى من إلْفِهِ غيرُ صارِمِ

(2) السائفة : رملة بها طول ، والاراقم : الحيات . والمعنى أن الآثار بهذا الموضع تشبه ترقيش الحيات . ورواية الديوان « بسائفة قفر » وهى أجود .

(3) الأبيات فى ديوانه 1/410 من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (1 و 2 و 5) .

(4) قال التبريزى : معناه « عفوت محمودا أيها الطلل لما كنا نجده ممن كان يسكنك من المساعدة ، وعفوك يكفى من أن استشهد على رزئى فيك بفراق أهلك » ولشراح أبى تمام كلام طويل فى معنى البيت .

(5) لفظ الدمن الأول : جمع دمنه ، وهى آثار القوم فى الديار ، والدمن « الثانى » : جمع دمنة ، وهى الحقد ، وبقيته فى القلب . والآرام: الظباء واحدها رئم ، ومراده النساء على التشبيه بالظباء البيض ، يقول : كأن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن أثارا .

(6) رواية الديوان بضبط تطوى للمعلوم ، ورواية الصولى « نَطوى ، لم نزر شرفا » بالنون ويروى « الفتيات » مكان « الفتيان » وتطوى ، أى تمر عليها ، وشرفا : مرتفعا .

(7) الأبيات فى ديوانه (3/113) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطلعها:

مَتَى أَنْتَ عن ذُهْلِيَّةِ الحَىِّ ذاهِلُ ... وقلبُكَ منها مُدَّةَ الدَّهْرِ آهِلُ

ويقابلها من القصيدة - بترتيب الديوان - الأبيات (2 و 3 و 4) .

تُطَلُّ الطُّلولُ الدمعَ فى كلِّ مَوْقفٍ ‏ وتَمْثُل بالدّمعِ (١) الديارُ المواثلُ

دوارسَ لم يَجْفُ الربيعُ رُبوعَها ‏ ولا مرَّ فى أغفالِها وهو غافِلُ (٢)

فقد سَحَبَتْ فيها السَّحائبُ ذيلَها ‏ وقد أخْمَلَتْ بالنَّوْرِ فيها الخمائِلُ (٣)

وقال المتنبى (٤) :

أثلِثْ ، فإنَّا أيُّها الطَّلَلُ ‏ نَبكِى ، وتَرْزِمُ تحتَنا الإبلُ (٥)

لو كنتَ تَنْطِقُ قلتَ ـ مُعْتَذِرًا ـ : ‏ بِى غيرُ مابِكَ أيُّها الرجُلُ (٦)

أبْكَاكَ أنّكَ بعضُ مَن شَعَفُوا ‏ ولم أبك أنّى بعضُ مَن قَتَلُوا (٧)

إن الذين أقمْتَ وارتَحَلُوا ‏ أيامُهُمْ لديارِهِم دُوَلُ (٨)

وقال أبو نُواس (٩) :

[٦٩ ا] لِمَنْ طَلَلٌ لم أشْجُه وشَجانى ‏ وهاجَ الصِّبى ، لو هَاجَه لأوانِ (١٠) ؟

بَلَى ، فازْدَهَتْنى للصِّبى أرْيَحِيَّةٌ ‏ يمانيةٌ إن السَّماحَ يَمَانِى (١١)

---

(١) رواية الديوان « وتمثل بالصبر » .
تطل : تسفح وتريق ، ومثل من الاضداد معناه : ظهر وانتصب ، و : زال واندرس ، تمثل بالصبر : تذهب به وتزيله ، والمواثل يحتمل المعنيين : المائلة الظاهرة ، أو الدوارس ، والثانى أنسب للسياق .

(٢) المعنى : لم يمر الربيع بهذه الطلول وهوغافل عن سقياها .

(٣) اخملت : سترت ، من قولهم اخمل الرجل اذا اخفى ذكره ، اى ان النور قد سترها واخفاها بكثرته ويقال : اخملت الأرض : كثرت خمائلها

(٤) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٣١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة ، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و٣ و٤ و٥) .

(٥) أثلث : كن ثالثنا (انا ، والابل ، وأنت) والارزام : حنين الابل • يريد من الطلل ان يشاركهما فى حزنهما ، فهو يبكى ، والابل ترزم ، كقول التهامى :

بكَيْتُ فحَنَّت ناقَتِى ، فأجابَها ‏ صَهِيلُ جوادِى حينَ لاحتْ دِيارُها

(٦) قبل هذا البيت فى الديوان :

أوْلا فلا عَتْبٌ على طَلَلٍ ‏ إنَّ الطُّلُولَ لِمِثْلِها فُعُلُ

(٧) الديوان (لم ابك) والمعنى : انت تبكى لأنهم شغفوك حبا بفراقهم ، اما انا فلا ابكى لأنهم قتلونى بارتحالهم .

(٨) فى الديوان ضبط تاء اقمت بالضم ، جعله للمتكلم ، على انه من كلام الطلل ، واشار فى هامشه الى رواية المصنف ، والمخاطب الشاعر .

(٩) البيتان فى ديوانه ٤٦٨ وهما من أول القصيدة على الترتيب .

(١٠) فى الديوان : (وهاجَ الهَوَى ، أوْهاجَه لأوانِ)

(١١) فى الديوان (بل فازدهتنى) . وازدهى: من الزهو ، يعنى استخفتنى ـ والأريحية : الارتياح للندى والجود .

وقال آخر ، وهو ذوالرُّمَّةِ غَيْلانُ(1) :

ما هاجَ عَيْنَيْكَ من الأَطْلالِ المُزْمِناتِ بعدَكَ الخَوالى(2)

كالوَحْيِ في سواعِدِ الحَوَالى غيَّرها تناسُخُ(3) الأَحوالِ

وغِيَرُ الأَيامِ والليالِي فاستبدَلت ـ والدهرُ ذو اسْتِبْدَالِ ـ

من ساكِنِيها فِرَقَ الآجالِ(4) فانظرْ إلى صَدْرِكَ ذا بَلْبَالِ(5)

صبابةً للأَزْمُنِ(6) الخَوالى

وقال الصَّنَوْبَرِيُّ(7) :

مأْلَفٌ موحِشٌ من الأُلَّافِ(8) هاجَ عافيهِ لى جَوًى غيرَ عافِ

أَحْرَامٌ صفْوُ اللَّيالِى لِصَبٍّ ذكَّرَتْه الأَطلالُ عهْدَ التَّصافِى ؟ !

عاجَ يَمْحُو بعضَ الصَّبابة ما بيـ ن مغانٍ مَمْحُوَّةٍ وأَثافِ

كم ترى شمْلَ أَهلِها فى افْتراقٍ وترى شَمْلَ دمعِهِ فى ائْتلافِ !

وقال امرؤُ القيس بن حُجْر(9) :

[٦٩ ب]

عُوجَا على الطَّللِ المَحِيلِ لعلَّنا نبكى الدِّيَارَ كما بكى ابنُ خِذامِ

فَظَلَلْتُ فِى دِمَنِ الديارِ كأَنَّنى نَشوانُ باكرَهُ صَبوحُ مُدامِ

روى ابن حبيب أنه « ابن حُمام » وقال ابن الكلبي : « هو امرؤُ القيس بن حمام بن مالك بن عُبَيدة بن هُبَل الكلبي ، وكذا روى ابن الأَعرابى ، وأَبو عمرو ، والمُفَضَّل ، وخالد .

وقلت ـ من قصيدة(10) ـ :

نَعَمْ هذه الأَطلالُ قَفرٌ كما ترى فما عذرُ أَجفانى إذا لم تَفِضْ دَمَا ؟ !

---

(1) الأبيات فى ديوانه ٤٧٧ من أرجوزة طويلة ، ويقابلها منها الاشطر (١ و ٢ و ٣ و ٦ و ٧ و ١١ و ١٢ و ١٧ و ١٨) .

(2) الديوان : (البوالى) مكان (الخوالى). (3) الديوان (تناسج) .

(4) الآجال : جمع اجل ـ بكسر فسكون ـ: القطيع من بقر الوحش والظباء .

(5) البلبال : شدة الهم والوسواس . (6) فى الديوان : (بالأزمن) .

(7) ترجمته فى أعلام النبلاء ٤/٢٣ ـ ٣٢ والديارات/١٤٠ ـ ١٤٤ ، ولم أجد هذه الابيات فيهما .

(8) فى الأصل « من الاف » ولا يصح الوزن معها .

(9) البيتان التاليان أوردهما المصنف قبل ذلك فى ص ١٥٥ ومعهما ثالث . وهى فى ديوان امرىء القيس /١١٤ (ط دار المعارف)

(10) هذه الأبيات لم أجدها فى ديوان أسامة المطبوع .

وللبوم أعددتُ الدموع وصُنْتُها ... وما يسْتَجِمُّ الدمعُ إلا ليَسْجُما
وفي منزلِ الأحْبَابِ عُذْرٌ لذى الهوَى ... فلا لومَ إلا أن تجُورَ وتَظْلِمَا

وقال سعيد بن حُمَيد المَنْبِجيّ المَذْحِجيّ المعروف بالدَّوْقَلَة (١) :

هل بالطُّلُولِ لسائِلٍ رَدُّ ... أم هل لها بتَكَلُّمٍ عهْدُ؟!
دَرَسَ الجديدُ جَدِيدَ مَعْهَدِها ... وكأنَّما هى رَيْطَةٌ جُرْدُ
من طولِ ماتبكى الغُيُومُ على ... عرَصاتِها ، ويُقَهْقِهُ الرَّعدُ
وتُلِثُّ سارِيَةٌ وغادية ... ويكُرُّ نَحْسٌ خَلْفَهُ سَعْدُ

[١٧٠]

يعنى الدَّبَران والعقرب :

تَلْقَى شآمِيَةٌ يمانِيَةً ... بهما بمَوْرِ ترابِها سَرْدُ
فوقفتُ أسألُها وليس بها ... إلا المَها ونَقانِقٌ (٢) رُبْدُ
فتناثَرَتْ دُرَرُ الشئونِ على ... خَدِّى كما يَتَناثر العِقْدُ

وقال أيضا (٣) :

خَبِّرنى أيُّها الطلَلُ ... الأُلَى حَلُّوكَ ما فعلُوا ؟
قال لى : لا عِلْمَ لى بِهِمُ ... أيُّها المشتاقُ مُذْ رَحَلُوا
فابكِهِمْ ؛ ثم ابكنى معهم ... بدموع (٤) ماؤها خَضِلُ
تَنْسِجُ النكباءُ في دِمَنِى ... للبِلَى ثوبا وتَغْتَزِلُ
فإذا ما أُخْلِقَت حُلَلٌ ... جُدِّدَت لى بعدَها حُلَلُ
قلت : إن القلبَ بعدهم ... من عزاءٍ عنهم عُطُلُ
عصَفَتْ فيه رياحُ هوًى ... فكِلانا بعدَهُمْ طَلَلُ

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة اشتهرت باسم اليتيمة وقد تنازعها عدد من الشعراء منهم أبو الشيص وسعيد بن حميد المعروف بدوقلة وقد نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمنى فى مجلة الزهراء جـ ٣٤٧/٣ . عن أصل مخطوط عثر عليه فى احدى مكتبات الهند .

(٢) النقانق : واحدها نقنق ، وهو ذكر النعام ، والربد : جمع أربد ، الذى اختلط سواده بكدرة .

(٣) لابن المعتز فى هذا المعنى أبيات من قصيدة أوردها له الصولى فى الأوراق (أشعار اولاد الخلفاء / ١٦٧) منها قوله :

تَعاهَدَتْكَ العِهادُ يا طَلَلُ ... خَبِّرْ عن الظاعِنِينَ ما فَعَلُوا؟!
فقَالَ : لم أدْرِ غَيْرَ أنَّهُمْ ... صاحَ غُرابٌ بالبَيْنِ فاحْتَمَلُوا

(٤) فى هامش الأصل (بجفون) وعليها علامة الصحة .

وقال مهيار[1] :   [٧٠ ب]

هَلْ عندَ هذا الطَّلَلِ الماحِلِ ... إجابةٌ تُجْدِي على سائِلِ[2] ؟
أَصَمُّ ، بل يسمعُ ، لكنَّه ... من البِلى فى شُغُلٍ شاغِلِ
وقفتُ فيها شَبَحًا ماثِلا ... مرتَفِدًا من شَبَحٍ ماثِلِ[3]
ولا ترى أعْجَبَ من ناحلٍ ... يشكو ضَنَى الجسم إلى ناحِلِ
لَهْفَكِ يا دارُ ، ولهْفِى على ... قَطِينِكِ[4] المرتَحِلِ الزائلِ
قَلْبِىَ للأحْزَانِ بعد النَّوَى ... وأنتِ للسَّافِى[5] وللنَّاخِلِ[6]
مِثْلان[7] فى السُّقْمِ ، ولى فَضْلَةٌ ... بالعقْلِ ، والبَلْوَى على العاقلِ   [١٧١]

فصل آخر فى ذكر الأطلال

قال امرُو القيس بن حُجْر[8] :

ألا انْعِم[9] صباحًا أيها الطَّلَلُ البَالِى ... وهل يَنْعَمَنْ[10] مَن كان فى العُصُرِ الخالى؟!
وهل يَنْعَمَنْ[10] إلا سَعيدٌ مُخَلَّد ... قليلُ الْهُمومِ ، لايبيتُ بأَوجالِ؟[11]
ديارٌ لسُعْدَى عافِياتٌ بذى الخَالِ ... ألَحَّ علَيْها كلُّ أسْحَمَ هطَّالِ[12]

وقال طَرَفَةُ بن العَبْدِ[13] :

---

(١) الأبيات فى ديوان مهيار (٣/٢١٨) من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ، ويهنئه بالمهرجان ، وهى من أول القصيدة على التوالى .

(٢) رواية الديوان للشطر الثانى : « مِنْ جَلَدٍ يُجْدِى على سَائِلِ » وما هنا أكثر مناسبة للمعنى .

(٣) رواية الديوان للشطر الأول « وَقَفْتُ فيه شَبَحاً ماثِلاً » والمرتفد : الذى أصاب رفدا ، أى صلة وعطية ، والمعنى يناسبه طالب الرفد .   (٤) قطين الدار : أهلها .

(٥) السافى : ما تذروه الريح من التراب .

(٦) الناخل : يقال : نخل السحاب المطر ، اذا صبه .

(٧) رواية الديوان « مثلك فى السقم » وعلق عليه مصححه بأنه فى الأصل (مثادن) والصواب ما هنا ، وما ظنه مصححه مثادن فى الأصل هو (مثلان) الواردة هنا قرئت محرفة .

(٨) الأبيات فى ديوانه ٢٧ (ط دار المعارف بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم) ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات ١و٢و٤ .   (٩) الديوان « ألاعِمْ صَباحاً » .

(١٠) الديوان : « وهل يعمن » فى الموضعين

(١١) الديوان : « ما يبيت » وبين هذا البيت والذى يليه هنا البيت :

وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ أحْدَثُ عَهْدِه ... ثَلاثِينَ شَهْرًا فى ثلاثةِ أحْوالِ ؟

(١٢) الديوان : « ديار لسلمى » .. « بذى خال » .

(١٣) الأبيات فى ديوانه ٧٦ (ط باريس سنة ١٩٠٠) قالها فى عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، وهى من أول القصيدة ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات (١و٢و٤و٥)

لهِنْدٍ بحِزّان الشُّرَيف طُلُولُ تلوحُ وأدْنى عهدِهنّ مَحيلُ(١)
وبالسَّفح آياتٌ كأنّ رسومَها يَمان وَشَتْهُ رَيْدةٌ وسُحِيلُ(٢)

(رَيْدة : قرية باليمن ، وسَحِيل : ريح تسحِل ، أى تقشر) .

فغيّرْن آياتِ الديار مع البِلَى وليسَ على رَيْبِ الزمانِ كفيلُ(٣)
بما قد أرَي الحيَّ الجميعَ بغِبْطَةٍ إذ الحيُّ حَيٌّ ، والحُلولُ حُلولُ(٤)

وقال ربيعُ بن قَعْنَب :

ألم تر للأطلالِ يوم سُوَيْقَةٍ (٥) عفَتْ بعد عهدِ الحيّ فهى قُفورُ ؟
تحمَّل منها بعدَ طُول إقامةٍ حِسانٌ نقيّاتُ المَدامِعِ حُورُ (٦)
دعاهُنّ سير بعد خَفْضٍ ورُفِّعَتْ لهُنّ على بُزْلٍ (٧) الجمال خُدورُ
فأصبحتُ لا أدري لَدُنْ أن رأيتُهم أتى حَدَبٌ(٨) دون الجميع وقُور(٩)
وحتى رأيتُ الحيَّ تعفُو عِراصُهم يمانيةٌ تُسْدِى البِلى وتُنِيرُ (١٠)

[٧١ ب]

---

(١) الحزان - بكسر الحاء وتشديد الزاى - : جمع حزيز ، وهو الغليظ من الأرض ، والشريف بضم ففتح : واد بنجد ، والمحيل : الذى أتى عليه حول .

(٢) الديوان « وسحول » وهو أنسب لاقترانه بريدة. السفح: أسفل الجبل، أو هومكان بعينه. يمـان : أى ثوب منســوب الى اليمن ، وريدة وسحول : قريتان من قرى اليمن عرفتا بصناعة هذا النوع الموشى من الثياب .

(٣) الكفيل : الضامن ، وفى الديوان بيت آخر بين هذا البيت والذى قبله وهو :

أرَبَّتْ بها نأْجَةٌ تَزْدَهِى الْحَصَى وأسْحَمُ وَكّافُ العَشِيِّ هَطُولُ

(٤) المعنى : هذا التغير بما كان الناس فيه من الغبطة والسرور ، أى هـذا بذاك ، اذ كانوا مقيمين بالديار على ما عهدتهم لم يتفرقوا .

(٥) سويقه : مواضع كثيرة فى بلاد العرب ، وهى تصغير ساق : قارة مستطيلة تشبه ساق الانسان .

(٦) الحور : جمع حوراء ، وهى من النساء: البيضاء ، لايقصد بذلك حور عينيها .

(٧) البزل : جمع البازل ، وهو من الابل : الذى طلع نابه ، وذلك فى السـنة الثامنـة او التاسعة .

(٨) الحدب : شدة برد الشتاء ، وهو أيضا ما ارتفع وغلظ من الارض ، وبه فسر قوله تعالى : « وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ »

(٩) يقال : قورت الدار ، اذا وسعت ، فهى قوراء ، والجمع قور . ومن معانيه أيضا : التراب المجتمع ، وجمع القارة ، وهى الاكمة . وربما كان حدب وقور أسمى موضعين ، ولم أجدهما فى كتب البلدان .

(١٠) يقال : اسدى الثوب ، اذا مد سداه ، وهى الخيوط التى تمد طولا فى النسج ، وأناره : جعل له نيرا ، وهو لحمة الثوب التى تأتى عرضا فى النسج ، تلحم بها السدى .

ونفحُ جَنُوبٍ أو شَمال مُلِثَّةٍ تُعارِضُها بالمُعْصِفاتِ دَبُور (١)

وقال جَرير بن عطيّة(٢) :

بقِيتْ طُلولُك ياأُمامَ(٣) على البِلَى لا مثلَ مابقيَتْ عليه طُلولُ
عَفَت(٤) الجَنوبُ مع الشَّمالِ رسومَها وصبًا مُزَمْزِمَةُ الحَنِينِ(٥) عَجُولُ
أعذَرْتُ فى طلبِ النَّوالِ إليكم لو كان مَنْ مَلَكَ النوالَ يُنِيلُ
إن كان دَهْرُكم(٦) الدّلالَ فإنَّهُ حسنٌ دَلالُكِ يا أُمَيْمَ جميلُ
لا يَبْعَدَنْ أنَسٌ تقادَمَ بَعْدَهُم طَلَلٌ ببُرْقَةِ رَامَتَيْنِ مَحِيلُ
ولقَدْ نَكُونُ إذا يُحَلُّ(٧) بغِبْطَةٍ أيامَ أهْلُكِ للديارِ حُلُولُ
ولقد تُساعِفُنَا الديارُ وعَيْشُنَا ـ لو دامَ ذاكَ كما نُحِبّ(٨) ـ ظَلِيلُ
فسقَى ديارَكِ حيثُ كنْتِ مُجَلْجِلٌ هَزِجٌ ، ومن غُرِّ السّحابِ هَطُولُ(٩)

[٧٢ ا]

وقال عُمارة بن بِلال بن جَرير بن عطية :

ألا يا اسلَمَا يا أيُّها الطَّلَلانِ(١٠) وإن هِجْتُمَا عَيْنِى على الهَمَلانِ
وهل دمعُ عينَىَّ اللّجُوجَيْنِ راجعٌ ليالِىَ حلَّ الحىُّ هضْبَ عُرانِ(١١)

(١) ملثة : دائمة . والمعصفات من الرياح :الشديدات الهبوب . والدبور : ريح تهب من المغرب ، تقابلها القبول ، وهى ريح الصبا .

(٢) الأبيات فى ديوانه (٤٧٢) من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، ويهجو فيها الأخطل ، ومطلعها :

وَدِّعْ أُمامَةَ حانَ مِنْكَ رحِيلُ إنَّ الوَدَاعَ إلى الحَبِيبِ قَلِيلُ

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الابيات (٨و٩و٣و٤و١٢ ــ ١٥)

(٣) فى الديوان « يا أميم » .

(٤) فى الديوان : « نسج الجنوب » وماهنااولى

(٥) فى الديوان « الرباب » .

(٦) فى الديوان « ان كان طبكم الدلال » .

(٧) ضبط تحل ــ فى الديوان ــ بالبنـــاء للمعلوم ، وما هنا أجود .

(٨) فى الديوان « بما نحب » وماهنا انسب

(٩) من معانى الهزج صوت الرعد ،والهزج الوصف منه ، اراد سحابة راعدة حين تمطر والهطول مبالغة من الهطل ، وهو تتابع المطر فى سقوطه غزيرا عظيم القطر .

(١٠) المصراع الأول وقع فى مطلع قصيدة لناهض ثومة أوردها صاحب الأغانى فى أخبار ناهض (١٣/١٧٥ ط دار الكتب) والبيت بتمامه :

أَلَا يا اَسْلَمَا يا أَيُّها الطَّلَلان وَهَلْ سَالِمٌ باقٍ على الحَدَثانِ ؟!

(١١) عران : كذا ضبط بضم العين ، ولم أجده بهذا الضبط فى كتب البلدان ، والذى فى معجم البلدان بكسر العين وفسره ياقوت بقوله :موضع قرب اليمامة عند ذى طلوح لباهلة .

كأنَّ زمانًا حلَّهُ الحيُّ باللِّوَى لِوَى تَرْمَدَاء[1] لم يكن بزمانِ
ولم نَغْنَ فى أيامِهِ أحسَنَ الغِنَى وشَعْبًا جميعِ الشَّمْلِ مُتفِقَانِ
إذا قلتُ : أنْسَى ذكْرَأَسماء[2]هَيَّبَت بقلبى دَوَاعِى حُبِّها فعصانى

روى عن مُوَيْلِكٍ عن أبيه قال : قال لى سائبُ خاثِرِ يوم الحَرَّة : ألا أُسمِعُكَ شيئا قدصنَعْتُه ؟ قلت : نعم ، فغنّانى[3] :

لمَنْ طَلَلٌ بين الكُراع[4]إلى القَصْرِ[5] يُغَيِّبُ عنَّا آيَهُ سَبَلُ القَطْرِ
إلى خالِداتٍ[6] ما تَرِيمُ ، وهامِد وأَشْعَثَ تُرْسِيهِ[7] الوَلِيدةُ بالفِهْرِ[8]

فسمعت عجبًا مُعجِبا ، ثم ذكر أهلَه وولَده ، فبكى ، فقلتُ له : فما يمنعُك منهم ؟

[٧٢ب] قال : أما بعدَ شىء سمعتُه من يزيدَ بنِ معاويةَ فلا ، ثم تقدّم / فقاتل بسيفِهِ حتى قُتِل ، وسائِبُ خاثِرٍ : مولًى بنى لَيْث ، اشترى عبدُ الله بن جعفر - رضى الله عنهما - ولاءه من مواليه ، وقيل : اشتراه وأَعْتَقَه ، فانقطع إلى عبد الله ولَزِمه ، وهو أول من عمل العُودَ بالمدينة ، وغَنَّى به .

وقال ذو الرُّمَّة غَيْلانُ بنُ عُقْبَة بن مسعود[9] :

---

(١) ترمداء : كذا بالذال المعجمة وأوله تاء ، وقد أهمل ضبطه ، والصواب ثرمداء بالثاء المثلثة ودال مهملة : ماء لبنى سعد ، فى وادى الستارين ، وقيل : قرية بالوشم من اليمامة ، وقد ورد فى شعر جرير ، جد عماره ، قال :

أَنْظُرْ خَلِيلِى بِأَعْلَى ثَرْمَدَاء ضُحًى والعِيسُ جائِلَةٌ أَغْراضُها جُنُفُ

(٢) هيب به : دعاه ، أو صاح به ، ولم أجده فى كتب اللغة ، والوارد أهاب به .
(٣) البيتان ، ومعهما هذا الخبر ، وردا فى الأغانى (٧/ ١٩٠ ط بولاق)
(٤) الكراع : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة أمام عسفان بثمانية أميال ، يقال له : كراع الغميم . وهو جبل أسود .
(٥) القصر : مواضع كثيرة الا أنه فى الأعم الأغلب مضاف ، وأقرب احتمال للمراد هنا قصر ابن عامر : من نواحى مكة ، وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة :

ذَكَرْتُكَ يومَ القَصْرِ قَصْرِ ابنِ عامِرٍ بِخُمٍّ فهاجَتْ عَبْرَةُ العَيْنِ تَسْكُبُ

(٦) عنى بالخالدات : الأثافى وهى الحجارة الثلاث التى تنصب لتجعل القدر عليها ، والهامد : الخامد ، أراد ما يتخلف عن النار حين تخمد وتنطفىء . والأشعث : الوتد .
(٧) فى الأغانى « ترميه » وما هنا أنسب ، والمراد تدق عليه ليثبت فى الأرض .
(٨) الفهر : الحجر .
(٩) الديوان ٢٣٩ - ٢٤١ ويقابلهما من القصيدة الأبيات من (١ - ٧ و ٩) .

لمَيَّةَ أطلالٌ بحُزْوَى دَوائِرُ ... عَفَتْهَا السَّوافِى بعدَنا والمَواطِرُ (1)

كأنَّ فُؤادى ـ هاضَ عِرفانُ رَبْعِها ... ـ بِها وَهْىُ ساقٍ أَسْلَمَتْها الجبائر (2)

عَشِيَّةَ مسعودٌ يقول ـ وقد جَرَى ... على لحيتِى من دَمْعِ عَيْنَىَّ ماطِرُ ـ : (3)

أفى الدار تبكِى أن تَفرَّقَ أهْلُها ... وأنت امرُؤٌ قد حلَّمَتْك (4) العَشَائِرُ ؟

فلا ضَيْرَ أن تَسْتَعْبِرَ العينُ إنَّنِى ... على ذاك ـ إلا جَوْلَةَ الدمعِ ـ صابِرُ (5)

فيامَىُّ هل يُجْزَى بكائِى بمثلِه ... إليكِ ، وأنفاسِى عليك زَوافِرُ (6)

وإنِّى متى أُشرِفْ إلى الجانبِ الذى ... به أنتِ من بين الجوانبِ ناظِرُ (7)

وأنْ لا ينالَ الركبُ تَهوِيمَ وقعةٍ ... من اللَّيلِ إلا اعتادَنِى منك زائرُ (8)

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومىّ (9) :

[١٧٣]

بوَجْرةَ (10) أطلالٌ تعفَّت رسومُها ... وأقفَرَ من بعد الأنيسِ قديمُها

تَلُوح على طولِ الزمانِ عِراصُها ... كما لاح فى كف الفتاةِ وُشُومُها

---

(1) الدوائر : التى انمحت ودثرت ، عفتها: درستها ــ السوافى : الرياح تسفى التراب ــ المواطر : السحب .

(2) الديوان (وعى) مــكان (وهى) وفى هامشه ان «وهى» رواية احدى نسخ الاصل ، هاض : كسر ، الوعى : جبر الكسر على غير استواء ــ أسلمتها : سقطت عنها ــ والجبائر ما يشد على الكسر .

(3) فى الديوان (من عبرة العين قاطر) .

(4) حلمه : جعله حليما .

(5) فى الديوان (فلا صبر) واشار الى أن ما ورد هنا رواية احدى نسخ الأصل :والمعنى: أنه صابر على كل حال ، ثم استثنى حال جولة الدمع فى العين فانه لايقدر أن يرده .

(6) الديوان (وانفاسى اليك) والمعنى هــل تبكين مثل بكائى ؟

(7) يريد انه متى يشرف على الجانب الذى به منزلها فانه يخصــه بالنظر من بين ســائر جوانب الأرض ، أو اننى ناظــر متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب .

(8) أن : مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الحال والشان ، اراد وانه لاينال .. التهويم : النوم القليل ــ الوقعة : نومة آخر الليل . والزائر: يريد به الخيال والطيف يلم به عند النوم .

(9) الأبيــات فى ديوانه ٢٤٦ (ط بيروت) وهى من أولها ، وما هنــا يتفق مع الديوان رواية وترتيبــا . ولم ترد فى ديوانه (ط ليبزج) .

(10) فى معجم البلدان (وجرة) قال الأصمعى:وجرة بين مكة والبصرة، بينها وبين البصرة نحو اربعين ميلا (نحو ٨٠ كم) ليس فيها منزل ، فهى مرب للوحش ، وقال محمد بن موسى :وجرة : على جادة البصرة الى مكة بازاء الغمر الذى على جادة الكوفة ، منها يحرم أكثر الحاج .. لا تخلو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير .

وقفتُ بها والعينُ شاوِلَةُ القَذَى كعينِ طريفٍ(١) مايجِفُّ سجومُها
فذلك هاجَ الشوقَ من أُمِّ نَوْفَلٍ وذكرى لنَفْسٍ جَمَّةٍ ماتَرِيمُها
فقد أَدْرَكَتْ عندى من الوُدِّ فوقما تَمَنَّتْ بغيبٍ أو تمنى حَمِيمُها

وقال آخر :

عفا من آل بَلْجَاء الطُّلُولُ وجَدَّ البيْنُ وانقطع الوَسِيلُ
وصاح بصرْمِهَا من بطن قَوٍّ(٢) غداةَ البَيْنِ شحَّاجٌ حجُولُ (٣)
من اللائِى لُعِنَّ بكل أرضٍ فليس لهُنَّ فى بلدٍ قَبُولُ
يباصِرْنَ النَّوى فإذا اشْمَعَلَّتْ(٤) بأهلِ الدارِ واقْلَوْلَى(٥) الحُمُولُ
تبادَرْنَ الديارَ يَمِسْنَ فيها وبِئْسَ من المَليحاتِ البَديلُ

وقال طَهْمانُ بن عمرو (٦)

ألا يا اسلما بالنِّير(٧) من أُمِّواصِلٍ ومن أُمِّ جَبْرٍ أيها الطَّلَلانِ
وهل يسلمُ الرَّبْعان يجرى عليهما صباحَ مساءَ دائمُ الهَطَلانِ(٨)

[٧٣ ب]

(١) الطريف : من طرفت عينه .

(٢) قو ـ بالفتح ، والتشديد ـ منزل للقاصد من المدينة الى البصرة ، يرحل من النباج فينزل قوا . وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولاتخرج ، عليه قنطرة يعبر القفول عليها ، يقال لها : بطن قو .

(٣) يقال : شحج الغراب ، اذا اسن وغلظ صوته ، فهو شاحج وشحاج ، والحجول ، وصف من قولهم : مر يحجل بين القوم ، أى يمشى بينهم بالوقيعة ، يريد ان هذا الغراب صاح منذرا بفراقهم .

(٤) اشمعلت الدابة : نشطت ، وفاعله الحمول ، وهى جمع حمل ـ بكسر فسكون ـ : البعير عليه الهودج ، ومعنى يباصرن النوى : يبارينها فى الابصار .

(٥) يقال : اقلولت الدابة ، اذا اسرعت براكبها .

ومعنى الأبيات : ان هذه الغربان اللعينة التى أنذرت بفراقهم ، يبارين النوى فى التطلع الى رحيل الاحبة ، حتى اذا أسرعت بهم الظعائن بادرن الى ديارهم يتنقلن فى أنحائها ويتبخترن، وبئس البديل من المليحات هذه الغربان المشئومة .

(٦) القصيدة فى معجم البلدان فى رسم (دمخ) منسوبة اليه ، والأبيات الواردة هنا يقابلها من القصيدة الأبيات ١و٢و٦و٧و٩و١٠

(٧) النير فى موضعين : قرية ببغداد ، وجبل بأعلى نجد ، ورواية ياقوت فى (دمخ) « الايا اسلما بالبئر »

(٨) الشطر الثانى فى معجم البلدان ورد هكذا :
صَبَاحَ مَساءَ دائبُ الحدَثان

كفَى حَزَنًا أنى تَطالَلْتُ كى أرَى ... ذُرَى عَلَمَىْ[1] دَمْخٍ[2] فَمَا تُرَيانِ

كأنَّهما والآلُ[3] يجرى عليهما ... من البُعْدِ عينا بُرْقُعٍ خَلَقانِ

ألا حَبَّذَا واللهِ ـ لو تعْلَمانِهِ ـ ... ظِلالُكما يـأيُّها الْعَلَمَانِ

وماؤُكما العَذْبُ الذى لو شَرِبْتُه[4] ... وبى صالِبُ[5] الحُمَّى إذًا لشَفانِى

وقال أبو الصَّفِىّ رِفاعة بن قَيْس :

سقَى اللهُ أطلالًا لبَلْجاء بَالغَضَا[6] ... كساها البِلَى والنَّأْىُ لِبْدًا على لِبْدِ[7]

وأيامَنا اللاتِى مَضَيْنَ بعاقِلٍ[8] ... فغُبْرٌ ذَمِيمات مَضَيْنَ ولا نُكْدِ

لقد كان لى ليلٌ ببَلْجاء مَرّة ... قصيرٌ إذا ما الليلُ طالَ على الرُّمْدِ[9]

وقال زُهَيْر بن أبى سُلْمَى[10] :

لمن طَلَلٌ[11] برامَة[12] لايَرِيمُ ... عَفا ، وخَلا لَهُ[13]حِقَبٌ[14] قديمُ

تحمَّلَ أهلُه منه فبانُوا ... وفى عرَصاتِه منهم رُسومُ[15]

يلوح كأنَّه كفًّا فتاة ... تُرَجَّعُ[16] فى معاصمها الوُشُومُ

---

(١) فى معجم البلدان « ذرى قلتى » وما هنا اولى ، ومعنى تطاللت : تطاولت لأنظر .

(٢) دمخ : اسم جبل كان لاهل الرس ،مصعده فى السماء ميل ، وقيل : هو جبل لبنى نفيل بن عمرو بن كلاب ، فيه أوشال كثيرة .

(٣) الآل : السراب ، أو هو خاص بما يرى منه فى أول النهار وآخره ، والخلق ــ بفتحتين ــ : البالى .

(٤) فى معجم البلدان : « وبى نافض الحمى » .

(٥) الصالب : الحمى الشديدة الحرارة .

(٦) الغضا : ارض فى ديار بنى كلاب ،والغضاأيضا : واد بنجد .

(٧) اللبد : ضرب من البسط ، شبه به ما تراكم عليها من التراب .

(٨) عاقل : واد لبنى أبان بن دارم من دون بطن الرمة ، وهو يحاذى منعجا من قدامه ، وعن يمينه .

(٩) الرمد ، واحده أرمد ، وهو من بعينـهرمد .

(١٠) الأبيات فى شرح ديوان زهير ٢٠٦ من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المرى ، ويقابلها من القصيدة الابيات ١و٣و٢ .

(١١) الطلل : ما كان له شخص على وجه الأرض ، والرسم : اثر لا شخص له .

(١٢) رامة : منزل فى طريق البصرة الى مكة ، وهى هضبة ، وقيل : جبل لبنى دارم .

(١٣) هكذا فى الديوان ، ويروى « واحاله »أى غيره .

(١٤) فى الديوان « عهد » قال ثعلب : ويروى حقب ــ بضمتين ــ أى دهر ، ويروى حقب ــ بكسر ففتح ــ : جمع حقبة وهى السنة .

(١٥) العرصة : وسط الدار ، وبانوا : انقطعوا .

(١٦) الترجيع : اعادته مرة بعد مرة ، وهو أجدر الا يتبين .

وقال كُثَيِّر(١) :

أَمِنْ طَلَلٍ أَقْوَى من الحيِّ ماثِلُهْ تُهَيِّجُ أَحزانَ الطَّرُوبِ منازِلُهْ
بكيتَ وما يُبْكِيكَ من رسمِ دِمْنَةٍ أَضرَّ به جَوْدُ(٢) الشَّمالِ ووابِلُهْ ؟
وحُبُّكِ يُنْسِينى من الشيءِ فى يدى ويُذْهِلُنى عن كلِّ شيءٍ أُزاوِلُهْ
سيَهْلَكُ فى الدنيا شفيقٌ عليكم إذا غالَه من حادث الدهر غائِلُهْ
كريمٌ يميت السِّرَّ حتى كأنَّه إذا استخبروه(٣)عن حديثِك جاهلُهْ(٤)

وقال ذو الرُّمَّة(٥) :

خليلىَّ عوجا عوجَةً نَاقَتَيْكُمَا على طَلَلٍ بين القَرِينة(٦) والحَبْلِ
بجَرْعائِها من سامِرِ الحيِّ مَلْعَبٌ وآرىٌّ أفراسٍ كجُرْثُومَةِ النَّمْلِ(٧)

شبَّه ما تهدم من مرابط الخيل بما يخرجه النمل من التراب عند بيوته .

كأن لم يَكُنْها الحيُّ إذ أنت مرّة بها مَيِّتُ الأهواءِ مجتَمِعُ الشَّمْلِ
بكيتُ على مَيٍّ بها إذ عَرَفْتُهَا وهجتُ(٨) البُكا حتّى بكى القومُ من أَجْلى
وهل هَمَلانُ العين راجعُ ما مَضَى من العَيْشِ(٩) أو مُدْنِيكِ يامىُّ من أهلى ؟ !

---

(١) هذه الأبيات ورد بعضها فى ديوانه (٢٥٩/١) فى قصيدة عدتها أحد عشر بيتـا ، وهى الأبيات (٣ ــ ٥) مع اختلاف فى الترتيب ، وكذلك وردت فى الأمالى (٧/٢ ط بولاف) ويبدو أن البيتين الأول والثانى هنا هما مطلع القصيدة ، وما بعده للتصريع الوارد فى أولهما ، وارتبـاط الاستفهام فى البيت الأول بما فى البيت الثانى .

(٢) يقال : مطر جود ، أى غزير ، وقيل : الجود المطر الذى لا مطر فوقه البتة .

(٣) فى الديوان ، والأمالى : « اذا استبحثوه » وبعده فيهما :

يَوَدُّ بأَنْ يُمْسِى سَقِيمًا لعلَّها إذا سَمِعَتْ عنه بشَكْوَى تُراسِلُه

(٤) بعده فى هامش الأصل بخط مغاير :

ويَرْتاحُ للمَعْرُوفِ فى طَلَبِ العُلى لتُحْمَدَ يَوْمًا عند عَزَّ شَمائِلُه

(٥) الأبيـات فى الـديوان ٤٨٤ ــ ٤٨٦ ،ويقابلها من القصيدة الأبيات ١و٤و٥و٦و٨

(٦) القرينة : روضة بالصمان ، وقيل : واد ،والحبل : موضع بالبصرة على شـاطىء الفيض ممتد معه .

(٧) السامر : الذين يسهرون ويتحـادثون بالليل ، والآرى : المربط ، والجرثومة : كل ما ارتفع من الأرض .

(٨) الديوان (وهجت الهوى) وبين هـذا البيت والذى بعده فى الديوان :

فَظَلُّوا ومِنْهم دَمْعُهُ غالِبٌ له وآخرُ يَثْنِى عَبْرَةَ العَيْنِ بالهَمْلِ

(٩) فى الديوان (من الوجد) .

وقال ذو الرُّمَّة أيضا[1] :

قِف العِيسَ فى أطلال مَيَّةَ فاسأَلِ ... رُسومًا كأَخلاقِ الرِّداءِ المُسَلْسَلِ[2]

أظُنّ الذى يُجْدِى عليك سوالُها ... دُموعًا كتَبْذِير الجُمانِ المُفَصَّلِ[3]

وما يومُ حُزْوَى إن بكيْتَ صَبَابةً[4] ... لعِرفان رَبْعٍ أو لعِرفانِ مَنْزِلِ

بأَوّل ما هاجتْ لك الشوقَ دِمْنَةٌ ... بأَجْرَاع[5] مِخْلالٍ مُرِبٍّ مُحَلَّلِ

عَفَتْ غيرَ آرِىٍّ وأَعْضَادِ مَسْجِدٍ ... وسُفْعٍ مُناخاتٍ رواحِلِ مِرْجَلِ[6]

تجرُّ بها الدَّقْعاءَ هِيفٌ كأَنَّها[7] ... تَسُحُّ الترابَ من خَصَاصَاتِ مُنْخُلِ[8]

دَعَتْ مَيَّةَ الأَعدادُ واسْتَبْدَلَتْ بها[9] ... خَناطِيلَ آجالٍ من العِين خُذَّلِ

(يقول : لما نَضَبَت مياهُ منازلهم ارتحلوا إلى الأَعْداد ، وهى المياه التى لها مادّة فى الصيف والشتاء ، فكأَنها دعتها . والخَناطِيلُ : أَقاطِيعُ الظِّباء والبقر ، الواحدة خَنْطَلَة[10] ، والإِجْلُ ،

---

(١) الديوان ٥٠١ ــ ٥٠٣ ويقابلهـــا من القصيدة الأبيات (١ ــ ٦ و ٨) .

(٢) الرداء المسلســـل : الذى فيه صــور كهيئة السلسلة .

(٣) بعد أن سأل صاحبه أن يقف مطيتــه فى اطــلال مية قال : اظن الذى يجـديه عليك سؤالك هو الدموع ، ومعنى يجـدى : يعطى ،يقال : ما أجدى عليه أى ما أعطاه ، والجمان : اللؤلؤ ، والمفصل : الذى عقد بين كل لؤلؤتين منه خرزه .

(٤) الصبابة : رقة الشوق .

(٥) الديوان (بأجرع مرباع) وضبط مرب بفتح أوله وثانيه ، وفسره بالمقام من ارب المكان ، والمعنى : وما يوم خزوى بأول ما هاج لك الشوق أثر الدمنة .

(٦) عفت : درست ، والآرى : مربط الدواب ، وأعضاد : جوانب ، وسفع : سود يعنى الأثافى وهى مناصب القدر ، ومنــاخات : مقيمات ،وجعلها رواحل للمرجل لأن المرجل يعلوها فتكون له كالرحل .

(٧) الديوان (كأنما) والدقعــاء : التراب الرقيق ــ والهيف : الريح الحارة ، وتسح : تصب . وخصاصات المنخل : فروجه .

(٨) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان

كَسَتْهَا عَجاجَ البُرْقَتَيْنِ وراوَحَتْ ... بذَيْلٍ من الدَّهْنا على الدّارِ مُرْفِلِ

(٩) الديوان (فاستبدلت) والأعداد جمع العد (بكسر العين) ، وهو الماء الذى لا ينقطع يقول : حضرت مية حين لم تقدر على المقــام بالفلوات ، لان الماء لا تقدر عليــه فى الفلاة ، فاستبدلت الدار بمية الخناطيل وهى قطعان الوحش ، وخذل : متخلفات عن صواحبهـــا ، والآجال جمع اجل بكسر فسكون وهو القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(١٠) كــذا فى الأصــل ، والذى فى اللســان خنطيلة ــ بكسر الخــاء والطاء وخنطولة ــ بضمهما ــ وفسره بالقطعة من الابل والبقـــر والسحاب ، واورد بيت ذى الرمة شاهدا عــلى معنى القطعان من البقر .

والعِينُ : البقرالوحشى ، وهَذَلَت الظبيةُ ونحوها : أقامت وتخلّفت عن قُطعانِها ، والواحدة عائِل)

وقال جميلُ بن مَعْمَر(١) العُذْرِىّ :

[١٧٥]
ألم تَرْبَعْ فتخبرْكَ الطُّلولُ وقد ساءلْتَ لو نَفَع السُّئُولُ(٢)
وكيف سُؤالُ مُخَيَّمات بوالٍ ونُؤْيٍ عَهْدُ أحْدَثِه مَحِيلُ(٣)؟!
لَئِن أمْسَى خلاءً بعد جُمْلٍ لقد يَغْنَى به الأَنَس الحُلُول

وقال البحتري(٤) :

هلاَّ سألت بجوِّ ثَهْمَدْ طَلَلاً لمَيَّةَ قد تَأبَّدْ(٥) ؟
درَسَتْ عِهادُ(٦) الغيثِ مِنْـ ـهُ فحالَ عما كنتَ تَعْهَدْ
ولقد يساعِفُ ذا الهَوَى بـأوانِسٍ كالوَحْشِ خُرَّدْ

وقال الشريف المرتضى – رضى الله عنه(٧)– :

ليس يُجْدِي يا صاحِبِيَّ وُقوفٌ بطُلُولٍ ولا يُرَدُّ سُؤالُ
إنما الرَّبْعُ بالمقيمين فيهِ وهو خِلْوًا(٨) من ساكنيه مِثالُ

وقال سُوَيْدُ بنُ كُراعٍ العُكْلِيّ(٩) :

---

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان جميل (جمع وتحقيق حسين نصار) .

(٢) يريد السؤال ، وضعه موضع المصدر ، ولم أجده .

(٣) النؤى : مجرى يحفر حول الخيمة اوالخباء يقيها السيل ، والمحيل : القديم ، وبضم الميم الذى اتى عليه حول .

(٤) الأبيات فى ديوانه ١٤٣/١ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد ، وهى من أولها على الترتيب .

(٥) ثهمد : جبل احمر فارد فى ديار غنى ، او موضع فى ديار بنى عامر ، وتابد : خلا واقفر .

(٦) العهاد : مطر أول السنة ، ومكان نزوله يسمى العهاد ايضا ، وهو المراد هنا .

(٧) الأبيات فى ديوانه ١٣/٣ من قصيدة كتب بها الى الوزير ابى على الحسن بن حمد ، ومطلعها :

بِنَقَا الرَّمْثِ من شِراف غَزَالُ ضَلَّ عَنِّيَ وليس منه الضَّلالُ

(٨) رواية الديوان « خلو » بالرفع .

(٩) ترجمة سويد بن كراع فى الشعر والشعراء ٤٠٣ والاصابة ١٧٢/٣ والأغانى ٣٤٠/١٢ ط دار الكتب ، والأبيات فى الاغانى ، ومعجم البلدان فى رسم (عطالة) .

خليليَّ قُومَا فى عَطالَةَ(١) فانظُرا ... أنارًا تُرَى من آل يَبْرِينَ أم بَرْقًا(٢) ؟

فإن تكُ نارًا فهى فى مُشْمَخِرَّةٍ ... من الريح تَذْرُوها وتَصْفَقُها صَفْقًا(٣)

لأمِّ عَلِيٍّ أوْقَدَتْها طَماعَةً ... لأوْبَةِ سَفْرٍ أن تكونَ لهم وَفْقًا

وحُطًّا على الأطلالِ رَحْلِى فإنها ... لأوَّلُ أطْلالٍ عَرَفْتُ بها العِشْقا(٤)

وقال ذو الرُّمَّة(٥) :

أتَعْرِفُ أطْلالًا بُوَهْبِينَ فالحُضْرِ ... لِمَىٍّ كأنْيَارِ المُفَوَّفَةِ الخُضْرِ(٦)

فلما عَرَفْتُ الدارَ واعْتَزَّنى(٧) الهَوَى ... تذكَّرْتُ ، هل لِى إن تَصابَيْتُ من عُذْرِ؟

فلم أرَ عُذْراً بعد عشرين حِجَّةً ... مضتْ لى وعشرٍ قد مَضَيْنَ إلى عَشْرِ

[٧٥ب]

فأخْفَيْتُ شَوْقى من رفِيقِى وإنَّه ... لذو نَسَبٍ دانٍ إلَىَّ وذو حِجْرِ(٨)

محلَّ الحِواءَيْنِ الذى لستُ رائِياً ... مَحَلَّهما إلاَّ غُلِبْتُ على الصَّبْرِ(٩)

فهاجَتْ عليكَ الدَّارُ مالستَ ناسِيًا ... من الحاجِ إلا أنْ تَنَاسَى على ذِكْرِ(١٠)

إذا قُلْتُ : يسلو ذكرَ مَيَّةَ قلبُه ... أبَى حُبُّها إلا بقاءً على الدهرِ(١١)

---

(١) عطالة : جبل فى ديار بنى سعد .

(٢) فى الاغانى « من نحو يبرين » وفى معجم البلدان « من ذى أبانين » ويبرين : موضع مختلف فى تحديده قيل : رمل لا تدرك اطرافه من حجر اليمامة ، وقيل : من أصقاع البحرين .

(٣) هذا البيت ملفق من بيتين هما – كمافى الاغانى ومعجم البلدان :

فإنْ كان بَرْقًا فهو فى مُشْمخِرَّةٍ ... تُغادِرُ ماءً لا قَلِيلاً ولا طَرْقًا

وإنْ كانَ نارًا فهْىَ نارٌ بمُلْتَقَى ... من الرِّيحِ تَسْفِيها وتَصْفِقُها صَفقًا

(٤) لم يرد هذا البيت فى الأغانى ولافى معجم البلدان .

(٥) الأبيات فى ديوانه ٢٦٠ و٢٦١ ويقابلهـا من القصيدة الأبيات من (١–٥ و ١٢ و ١٦) .

(٦) الديوان « والحضر » بالحـاء المهمـلة وضبط بفتح فسـكون ، ووهبين : من جبـال الدهناء ، والحضر : موضع ، ويروى بالصاد ، وأنيار : جمـع نير : وهو العلم ، فى الثـوب ، والمفوقة : المنقوشة .

(٧) الديوان « واعتزنى » والمعنى غلبنى .

(٨) يريد بذى حجر ، انه ذو منعه ، كقولهم : هم فى حجر فلان ، اى فى كنفه ومنعته ، ويجوز ان يراد بالحجر العقل .

(٩) المحل : المنزل . والحواءين . المفـرد حواء ، والجمع احوية ، وهى الأبيـات يقـابل بعضها بعضا ، ومحل فى هذا البيت منصوب على البدل من (الدار) فى البيت الثانى .

(١٠) فى الديوان (تناسى) ضبطه بضم التاء وكسر السـين ، وفسره بقـوله : تخادع قلبك بالنسيان وانت ذاكر ، اراد تتكلف النسـيان وتتظاهر بالسلو .

(١١) الديوان (على الهجر) وفى هامشـه اشارة الى أن ما ورد هنا هو رواية احدى نسخ الأصل .

وقال ذو الرُّمَّة أيضا (١) :

عليكُنَّ يا أطلالَ مَيٍّ بشارعٍ (٢) — على ما مَضى من عهدِكُنّ — سلامُ
علام سألناكُنَّ عن أُمِّ سالمٍ ومىٌّ فلم يَرْجِـعْ (٣) لكُنّ كلامُ
هَوًى لكَ لاينفكُّ يدعو كما دعا حماماً بأجراع العقيق حَمَامُ (٤)
إذا هَمَلَتْ عينى له قال صاحبى : بمثلِكَ هذا فتنةٌ وغَرامُ (٥)

وقال البُحترى : (٦)

وقَفْنَا فلا الأطلالُ رَدّتْ إجابةً ولا العَذْلُ أجْدَى فى المَشُوقِ المخَاطِبِ
وما انفكَّ رسمُ الدار حتى تَهَلَّلَتْ دموعِى ، وحتى أكثَرَ اللَّوْمَ صاحِبِى
تمادت عقابيلُ (٧) الهَوَى ، وتطاولَتْ لَجَاجَةُ مَعْتُوبٍ عليه وعاتِبِ

وقال زُهَير (٨) :

أمِنْ آلِ سَلْمَى (٩) عرَفْتَ الطُّلولاَ بذى حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولاَ (١٠)
بَلِينَ وتَحْسَبُ آياتِهنّ [م] عن فَرْطِ (١١) حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلاَ

(١) ديوانه ٥٦٢ ويقابل هـــذه الأبيات من القصيدة الأبيات ١و٤و٥و٦ .
(٢) شارع : جبل من جبال الدهناء . (٣) ضبط فى الديوان بالبناء للمجهول .
(٤) الديوان :

ما يَنفكُّ يدْعُوكَ ما دَعَا حَمامًا بأجْزاع العَقِيقِ حمامُ

والأجزاع : واحدهما جزع وهو منعطف الوادى ، وكل واد عقيق .
(٥) الغرام : الهلاك ، أو الولوع ، أو البلاء ، ويروى (بمثْلِكَ هذا لَوْعَةٌ وغَرامُ) .
(٦) الأبيات فى ديوانه ١/ ٩٠ من قصـيدة يمدح بها المعتَز ومطلعها :

أبَعْدَ المَشِيبِ المُنْتَضَى فى الذَّوائِبِ أُحاوِلُ لُطْفَ الوُدِّ عِنْدَ الكَواعِبِ؟!

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٤و٣و٥)
(٧) عقابيل الهـوى : بقيته — اللجـاجة : التمادى والعناد ، ويقال : لج القوم: اختلطت أصواتهم .
(٨) البيتـان فى ديوانه ١٩٣ من قصـيدة يمدح بها سنان بن ابى حارثة ، وهما من اولها على الترتيب — رواها أبو عمرو والمفضل ، وزعم الأصمعى أنها مولدة .
(٩) رواية الديوان :

« أمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولاَ » .

وذو حرض : واد عنـــد النقرة لبنى عبد الله بن غطفان .
(١٠) ماثلات مثولا : منتصبات انتصـابا ، والماثل ايضا اللاطىء اللاصق بالأرض ، والطلل: ما شخص ، والرسم : الأثر لا شخص له .
(١١) عن فرط حـولين : عن مضى حولين ، محيل بضم الميم : أتى عليه حول وبفتحها : قديم . الرق : جلد رقيق يكتب عليه .

وقال أبو تمام[1] :

أأطْلالَ هِنْدٍ ساءَ ما اعْتَضْتِ من هِنْدِ ... أقايَضْتِ حُورَ العينِ بالعينِ والرُّبْدِ[2] ؟!

فلا دَمْعَ مالم يَجْرِ فى إثْرِه دَمٌ ... ولا وَجْدَ مالم تَعْيَ عن صِفَةِ الوَجْدِ[3]

وقال أيضا[4] :

قِفْ بالطُّلولِ الدّارساتِ عُلاثَا ... أضْحَى[5] حِبالُ قَطِينِهِنّ رِثَاثَا

قَسَمَ الزمانُ رُبوعَها بين الصَّبا ... وقَبُولِها ودَبُورِها أثْلاثَا[6]

فتَأَبَّدَتْ من كلِّ مُخْطَفَةِ الحَشَا ... غيداءَ تُكْسَى يارِقًا ورِعاثَا[7]

وقال أبو نُواس[8] :

لمن طَلَلٌ عافِى المَحلِّ دَفِينُ ... عفا آيُه إلا خَوالِدُ جُونُ[9]

كما اقْتَرَنَتْ عند المَسَاءِ حَمَائِمٌ ... غريباتُ مَمْسَى مالهُنّ وُكُونُ[10]

ديارُ التى أمّا جَنَى رَشَفَاتِها ... فيَحْلُو ، وأما مسُّها فيَلِينُ

[٧٦ ب]

---

(١) البيتان فى ديوانه ٢/٥٩ من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان ١ و٤ .

(٢) فى الديوان « بالعـون » اعتضت : استبدلت ، وقايضت : من المقايضة وهى المبادلة. العين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما ، والعون : جمع عوان ، وهى من الوحش : الأتان التى قد حملت بطنين أو ثلاثة ، أو جمع عانة – مثل ساحة وسوح – والعانة القطيع من بقر الوحش ، والربد : جمع أربد وربداء ، وهو مالونه غبرة الى سواد .

(٣) المعنى : لم تقض ما عليك لهذه الاطلال ان لم تبك دما ، ولا وجد بك مادمت مطيقا لان تصف وجدك .

(٤) الأبيات فى ديوانه (١/٣١٣) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ، وهى من أولها على الترتيب .

(٥) فى الديوان « أمست حبال » ، وعلاثا : ترخيم علاثة ، وهو غلام أبى تمام ، ويحتمل أن يكون اسم محبوبة افتعله . القطين : أهل الدار، رثاثا : جمع رث وهو البالى .

(٦) القبول : ريح بين الصبا والجنوب ، أو هى كل ريح لينة طيبة المس ، تقبلها النفس .

(٧) تأبدت : خلت وأوحشت ، مخطفة الحشا : دقيقة الخصر ، غيداء : طويلة العنق، اليارق : ضرب من الحلى (معرب) الرعاث : جمع رعث ، ورعثة ، وهو القرط .

(٨) الأبيات فى ديوانه ٦٨ وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٩) الخوالد : الأثافى وهى الحجارة التى تنصب لتوضع فوقها القدر – جون : سود ، ورواية الديوان «لِمَنْ طَلَلٌ عارِى المَحَلِّ دَفِينُ » .

(١٠) فى الديوان :

« كَما اقْتَرَنَتْ عِنْدَ المَبِيتِ حمائِمٌ »

والوكون : جمع الوكن – بفتح فسكون –: عش الطائر .

وقال كُثَيِّر بنُ عبدِ الرحمن الخُزاعِيّ [1] :

متى أَسْلُ عن سُعْدى يُهِجْنِي لذِكْرِها ... حمائِمُ أو أطلالُ دارٍ مَوَاثِلُ
أَضَرَّ بها الأنْواءُ والريحُ والنَّدي ... وغيَّرَ مَغْنَاها الضُّحَى والأصائِلُ

وقال أيضا [2] :

لِعَزَّةَ أطلالٌ أَبَتْ أن تَكَلَّمَا ... تَهِيجُ مَغانِيها الطَّروبَ المُتَيَّمَا [3]
كأنَّ الرياحَ الذارياتِ عَشِيَّةً ... بأَطْلالِها يَنْسِجْنَ رَيْطًا مُسَهَّما [4]
أَبَتْ وأبَى وَجْدِي بعَزَّةَ إذ نأَتْ ... على عُدَوَاءِ [5] الدارِ أن يَتَصرَّمَا

وقال أيضا [6] :

أهاجَكَ من سُعْدَى الغداةَ طُلولُ ... بذِي الطَّلْحِ [7] عامِيٌّ بها ومَحِيلُ [8]
وما هاجَهُ من منزلٍ لَعِبَتْ به ... لهَوجاءَ مِرْقالٍ [9] العَشِيَّ ذُيولُ

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى الديوان ، ولم نعثر عليها فى مصدر آخر ، وقد أورد الديوان (ج ١/٢٤٤) له من هذا الروى فى بحر الطويل ، مقطوعة أولها :

أَللشَّوْقِ لما هَيَّجَتْكَ المنازِلُ ... بحيثُ الْتَقَتْ من بيْنَتَيْنِ الغَياطِلُ

وقصيدة أخرى فيه (٢/٩٢) مطلعها :

عَفَا مِيثُ كُلْفَى بَعْدنَا فالأَجاوِلُ ... فأَثْمادُ حَسْنَى فالبِراقُ القَوابِلُ

وبعده : كأن لم تكن سُعْدَى بأَعْنَاءِ غَيْقَةٍ ... ولم تَرَ مِن سُعْدَى بِهِن مَنَازِلُ

ولم تَتَربَّعْ بالسُّرَيْرِ ، ولم يكن ... لها الصيْفَ خَيْماتُ العُذَيْبِ الظلائِلُ

وربما كان هذان البيتان من هذه القصيدة ،لاطرادهما مع السياق ، وارتباط المعنى فيهما بالبيت الثالث من هذه الأبيات .

(٢) الأبيات فى ديوانه (١/١٦٣) وهى من أول القصيدة على الترتيب ، وقد وردت هنا متفقة مع رواية الديوان . (٣) الطروب : الكثير الطرب .

(٤) الريطة : الملاءة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة والمسهم : المخطط ، والذاريات : الرياح التى تذرى التراب وتفرقه .

(٥) عدواء الدار : بعدها ونأيها .

(٦) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه المجموع (ط الجزائر) .

(٧) الطلح - بفتح فسكون - : موضع بين المدينة وبدر ، وموضع آخر بين اليمامة ومكة ، ويقال له أيضا : ذو طلوح .

(٨) العامى : الذى أتى عليه عام . والمحيل : المتغير الذى أتت عليه أحوال ، ولو قيل : محيل - بضم الميم - فهو الذى أتى عليه حول . (٩) والمرقال : السريعة .

بما قد ترى سُعْدَى به وكأنّها   طَلًا راشِحٌ للبارحاتِ خَذُولُ (1)

وقال أيضا (2) :

[177]

أَلَمْ تَرْبَعْ فَتُخْبِرْكَ الطُّلولُ   بِبَيْنَةَ (3) رسمُها عافٍ مَحِيلُ

تَحَمَّلَ أهلُها وجَرَى عليها   رياحُ الصَّيْفِ والدَّرِبُ الهَطُولُ

تَحِنُّ بها الدَّبُورُ إذا أَرَبَّتْ   كما حَنَّتْ مولَّهَةٌ ثَكُولُ

وقال الحادِرَةُ ، واسمه قُطْبَةُ بن أَوْس (4) :

لِعَمْرَةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ طُلُولُ   تقادم منها مُشْهِرٌ ومُحِيلُ (5)

وقفتُ بها حتى تعالَى بِيَ (6) الضُّحَى   لأُخْبَرَ عنها إنني لَسَئُولُ

وقال أبو نَصْر الخَيْشِيّ :

أُطِيلُ وُقوفِي في الطُّلولِ كأنّما   تخلَّفَ خَلْفِي صاحبٌ أتأنّاهُ

ومن شِيَمِ العُشّاقِ في مَذْهَبِ الهوى   وقوفُهم في الرَّبعِ أَقْفَرَ مَغْناهُ

وقال عمر بن أبي ربيعة (7) :

---

(1) الطلا : ولد البهمة كالظبية والبقرة ، والراشح : الذى قوى على المشى مع أمه ، والبارح : ما مر من الطير والوحوش من يمينك الى يسارك ، والعرب تتطير به ، والخذول : المتخلف عن القطيع .

(2) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه المجموع (ط الجزائر) .

(3) بينة ــ بفتح فسكون ــ : موضع من الجى ، والجى ــ بفتح الجيم وتشديد الياء ــ : وادى الرويثة ، وقد ورد فى شعر كثير فى غير هذا البيت وهو قوله :

أهاجَكَ بَرْقٌ آخرَ الليلِ خافِقُ   جَرَى من سناه بَيْنَةٌ فالأبارقُ

وثناه فى موضع آخر ، فقال

أَللشَّوْقِ لما هَيَّجَتْكَ المنازلُ   بحيث الْتَقَتْ من بَيْنَتَيْنِ الغَياطِلُ

(4) البيتان فى ديوانه (17 ط ليدن) فى أربعة أبيات قالها فى هجاء زبان بن سيار الفزارى وأورد فيه مناسبة التهاجى بينهما .

(5) الأخشبان : جيلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى ، وهما أبو قبيس وقعيقعان وفى الديوان « الأخرمين » وفيه أيضا :«ويروى الأحبشين » والمشهر : الذى أتى عليه شهر . والمحيل بضم الميم : الذى أتى عليه حول .

(6) فى الديوان : (تعالى لى الضحى)وتتمة الأبيات فيه :

فإن تَحْسَبُوها بالحِجازِ ذليلَةً   فما أنا يومًا إن ركِبْتُ ذليلُ

فإن شِئْتمو عُدْنا صديقًا وَعُدتُمُ   وإمّا أَبَيْتُمْ فالمقامُ رَحُولُ

(7) البيتان فى ديوانه 295 (ط بيروت) وهما من أول القصيدة ، وكذلك وردا فى الأمالى (21/2 ط بولاق) .

هل تعرفُ الدارَ والأطلالَ والدِّمَنا   زِدْنَ الفؤادَ على عِلاتِه حَزَنَا
دارٌ لأسماءَ إذ كُنّا نَحُلُّ بها(١)   وأنتَ إذ ذاك قد كانت لكم وَطَنَا

وقال أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى(٢) :

[٧٧ب]

بأطلالِ دارٍ من عُمَيْرَةَ عَرِّجِ   كوَشْيِ اليَمَانى بُرْدَهُ غيرَ مُنْهجِ
أقامت على الأنواء يَسْحَقْنَ تُرْبَها   وتنسِجُها الأرواحُ من كل مِنْسَجِ(٣)
أراني على شَيْبِ القَذَالِ متى أقِفْ   بأطلالِ دارٍ من عُمَيْرَةَ أنْشِجِ(٤)

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن(٥) :

أأطلالَ سُعْدَى باللِّوى تتعهَّدُ   أقامت على الإقواء أم(٦) تتجَدَّدُ
وبين التَّراقِي واللَّهاةِ حَرَارةٌ   مكانَ الشَّجَى ماتستَقِرُّ فَتَبْرُدُ(٧)
وقلتُ لماء العَيْنِ : أمْعِنْ لعلَّه   بما لا يُرى من غائب الوَجْدِ يَشْهَدُ(٨)
ولم أرَ مثلَ العَيْنِ ضَنَّتْ بمائِها   عليَّ، ولا مثلِي على الدمعِ يُحْسَدُ(٩)

---

(١) رواية الديوان لهذا البيت :

دارٌ لأسْماء قد كانت تَحُلُّ بها   وأنْتَ إذْ ذاك قد كانتْ لكم وَطَنَا

وفى الأمالى (٢/٢١) :

دارٌ لأسماءَ إذ كانت تَحُلُّ بها   وأنتَ إذْ ذاكَ إذْ كانتْ لنا وَطَنَا

(٢) فى طبقات ابن المعتز (٢٧٦-٢٨٠) طائفة من أخباره وشعره ولم ترد هذه الأبيات فيما اختاره ابن المعتز من شعره .

(٣) يسحقن ، من قولك سحق الشيء ، اذا دقة أشد الدق ، والارواح : جمع الريح ، والمنسج : النول الذى ينسج به .

(٤) القذال : مؤخر الراس من الانسان ، والنشيج : تردد البكاء فى الصدر من غير انتحاب .

(٥) الأبيات فى ديوانه (١/١١٤) من قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتا ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١و٦و١١و١٣) .

(٦) فى الديوان لم يرد الشطر الثانى لهذا البيت ، وذكر جامعه أنه لم يعثر عليه ، وكذلك ورد صدر البيت دون عجزه فى الأغانى (١١/ ٤٨) .

(٧) فى الديوان « ما ان تبوح فتبرد » ولعلها « تبوخ » ، وقد اشار جامعه الى رواية أخرى هى (ما تطمئن) .

(٨) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى وبه تمام المعنى :

فلم أدْرِ أن العينَ قبل فِراقِها   غداةَ الشَّبا من لاعِجِ الوَجْدِ تَجْمُدُ

وقوله : امعن : أى أجر واظهر ، وهو من قولهم امعنت الأرض اذا رويت ، وقد أورد المفضل ابن سلمة هذا البيت شاهدا لهذا المعنى فى كتابه الفاخر ٢٧٧ .

(٩) رواية الديوان (يحسد) ببناء الفعل للمعلوم .

وقال ذُو الرُّمَّة غَيْلان(١) :

خليلَيَّ عُوجا عَوْجَةً ناقَتَيْكُما ... على طَلَلٍ بين القِلاتِ(٢) وشارعِ
وَقَفْنا فقُلْنَا : إيهِ(٣) عن أُمِّ سالمٍ ... وما بالُ تكليم الدِّيارِ البَلاقعِ
فما كلَّمَتْنَا دارُها غير أنَّها ... ثَنَتْ هاجِسَاتٍ من خَبالٍ(٤) مُراجع
خَلَتْ غير آجالِ الصَّريمِ وقدتُرَى ... بها وُضَّحُ اللَّبَّاتِ حُورُ المدامعِ(٥)

***

[١٧٨] قيل : دخل(٦) بشَّارُ بن بُرْدٍ على عُقْبَةَ بنِ سَلْمٍ(٧) ، فأَنْشده بعضَ مدائِحِه فيه ، وعنده عُقْبَةُ ابن رُؤْبَةَ بن العَجَّاج ، فأَنشده عُقْبَةُ بن رُؤْبَة رَجَزا يمدحه به ، فشيَّعه بشَّارٌ ، وجعل يستحسن ما قال ، إلى أن فَرَغَ ، ثم أَقبل على بشَّار ، فقال : هذا طِرازٌ لا تُحسِنُه أنت يا أَبا مُعاذ ، فقال بَشَّار : أَلِي يُقال مثل هذا ؟ ! والله لأَنا أَرْجَزُ منك ومن أَبيك ومن جَدِّك ، فقال له عقبة : أنا - والله - وأَبي وجَدِّي(٨) فتَحْنا للنَّاس بابَ الغريبِ وباب الرَّجَز ، وإني لخَلِيقٌ أن أَسُدَّه عليهم ، فقال له بشَّار : ارحَمْهُمْ رحمك الله ، فقال عُقْبَةُ ، أَتسْتَخِفُّ بي يا أَبَا مُعاذ وأَنا شاعرُ ابنُ شاعرٍ ابن شاعر ؟ فقال له بشَّار : فأَنت إذن من الذين أَذْهَبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ ، وطَهَّرهم تطهِيراً . ثم خرج [من عنده](٩) عُقبةُ مُغْضَبا ، فلما كان من غَدٍ غَدا بَشَّارٌ على عُقْبَةَ بنِ سَلْمٍ ، وعنده عُقْبَةُ ابنُ رُؤْبَة فأَنْشَدَهُ أُرْجُوزتَه - التي مدحه فيها - :

يا طَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمْدِ(١٠) ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بَعْدِي ؟

---

(١) الأبيات في ديوانه ٣٥٥ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٣ و٤ و٧ .

(٢) القلات : قلات الصمان : نقر في رءوس قفافها يملؤها مطر الشتاء .

(٣) ايه : اسم فعل أمر بمعنى زدني من الحديث عن ام سالم .
قال شارحه : ايه اي حدثنا عن ام سالم ، اذا نهيت قلت : ايها بكسر الهمزة منونا ، واذا تعجبت قلت : واها ، واذا أغريت قلت : ويها .

(٤) الخبال : ماخبل الفؤاد فافسده ، ومراجع : معاود

(٥) الآجال : قطعان الوحش ، واحدها اجل بكسر فسكون ، والصريم : الرمل ، وضبط ترى في الديوان بالبناء للمعلوم .

(٦) هذا الخبر في الاغاني ٣/١٧٤ -١٧٦ (ط دار الكتب) والأرجوزة فيه بتمامها ، وقد اورده ابن المعتز في طبقات الشعراء ٢٥و٢٦ مختصرا ، وذكر أبياتا من الأرجوزة .

(٧) عقبة بن سلم الهنائي ، كذا نسبته في طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٨) لم يرد في الأغاني قوله « وجدي »وجدعقبة هو العجاج الراجز المشهور .

(٩) زيادة من الاغاني .

(١٠) الصمد - بفتح فسكون - : ماء للضباب .

[٧٨ ب]

أَحْسَسْتَ[١] من دعْدٍ وتِرْبِ دَعْدِ سَقْيًا لأسماء ابْنَةِ الأَشَدّ

قامت تَرَاءَى إذ رَأَتْنِي وَحْدِي كالشَّمْسِ بين[٢] الزِّبْرِجِ المُنْقَدّ

صدَّت بخَدٍّ وجلَتْ عن خَدِّ ثم انْثَنَتْ كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ

عَهْدًا[٣] لها سَقْيًا له من عَهْدِ تُخْلِفُ وَعْدًا[٤] أَو تَفِي بوعْدِ

فنَحْنُ[٥] من جَهْدِ الهَوَى في جَهْدِ[٦] ....

ويقول فيها :

وَافَق حظًّا من سعى بجِدِّ ما ضَرَّ أهلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الكَدِّ[٧]

الحرُّ يُلْحَى[٨] والعَصَا للعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ[٩] مثلُ الرَّدّ

والنَّصْفُ[١٠] يكفيك من التَّعَدّي وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[١١]

حمَلْتُه في رُقْعَةٍ من جِلْدي أَرْقُبُ منه مثلَ حُمَّى الوِرْدِ[١٢]

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ وما دَرَى ما رَغْبَتِي من زُهْدِي

ومدح فقال :

واسلَمْ وحُيِّيتَ أَبا المِلَدّ مفتاحَ بابِ الحَدَب[١٣] المُنْسَدِّ

---

(١) فى الاغانى « أوحشت » وهو احسن. ومعنى أحسست من كذا : علمت

(٢) الاغانى : « تحت » والزبرج:السحاب ،والمنقد : المتقطع .

(٣) الاغانى : « عهدى بها » .

(٤) الاغانى : « وتفى » .

(٥) لم يتضح فى الاصل والقراءة المحتملة له« فيحيى » والمثبت رواية الاغانى .

(٦) بين هذا المشطور والذى يليه خمسة اشطار فى الاغانى .

(٧) فى الأغانى « ضعف الجد » .

(٨) يلحى : يلام .

(٩) يقال : ألحف السائل ، اذا الح ، أو شمل بالمسألة ، وهو مستغن عنها .

(١٠) النصف : الانصاف .

(١١) يقال : أمد الدمل ، فهو ممد ، اذا تجمع فيه القيح .

(١٢) فى الاغانى « مثل يوم الورد »والورد:من أسماء الحمى .

(١٣) الحرف الاخير من هذه الكلمة مهمل من الاعجام فى الاصل ، والمصنف يفعل ذلك بالباء أحيانا ، والذى فى الأغانى « الحدث » .

مُشْتَرَكَ النَّبْلِ وَرِيَّ الزَّنْدِ أَغَرَّ لَبَّاسًا ثيابَ المَجْدِ[1]

والأُرْجُوزَة طويلة[2] ، فطَرِب عُقْبَةُ بنُ سَلْم[3] وأجزل صِلَتَه ، وقام عُقْبَةُ بن رُؤْبَةَ ، فخرج عن المجلس بخزى ، وهرب من تحت ليلَتِه [فلم يَعُدْ إليه][4] .

---

(١) فى الأغانى : « أَغَرَّ لَبَّاسَ ثيابِ الحَمْدِ »

(٢) تتمتها فى الأغانى واحد وعشرون شطرا بعد الوارد هنا .

(٣) فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦ أن عقبة بن سلم الهنائى أعجب بالأرجوزة ، وقال لعقبة ابن رؤبة : « والله ما قلت أنت ولا أبوك ولا جدك مثل هذا » ، ووصل بشارا وأجزل له العطية .

(٤) زيادة وهى تتمة الخبر فى الأغانى .

٥ ـ فصل في ذكر الربـــع *

قال الأَحْوَص (١) :

قد لَعَمري بِتُّ لَيْلِي كَأَخي الدّاءِ الوَجِيعِ
ونَجِيُّ الهَمِّ مِنِّي باتَ أَدنى من ضَجِيعِي
كلَّمَا أَبصرتُ رَبْعًا خاليًا فاضت دُمُوعِي

وقال أبو تمّام (٢) :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَراكَ دَرِيـسَا وقِرَى ضيوفِكَ لوعةً ورَسِيسَا (٣)
ولئن حُبِسْتَ على البِلَى لقد اغْتَدَي دَمْعِي عليكَ إِلى المماتِ حَبِيسَا (٤)
وأَرَى رُبوعَكَ مُوحِشَاتٍ بعد ما قد كنتَ مأْلوفَ المَحَلِّ أَنِيسَا (٥)

وقال أيضا (٦) :

أَجَلْ أَيها الربعُ الذى خَفَّ آهلُه لقد أَدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى ما تحاولُهْ (٧)
أُسائِلُكُمْ : ما بالُه حَكَمَ البِلَى عليه ! ، وإِلا فاتْرُكُونِي أُسائِلُهْ (٨)

---

* فى اللسان : الربع : المنزل ، ودار الاقامة ، وربع القوم : محلتهم ٠٠ وقيل : الربع : المنزل ، والدار بعينها ، والوطن متى كان ، وبأى مكان كان ، وجمعه : أربع ، ورباع ، وربوع ، وأرباع وفى حديث اسامه قال له عليه الصلاة والسلام : (وهل ترك لنا عقيل من ربع) ؟

(١) الأبيات فى الأغانى (٨/١٢ و ١٣ ط بولاق) كروايتها هنا ٠

(٢) الابيات فى ديوانه ٢/٢٦٢ من قصيدة يمدح بها أبا الغيث موسى بن ابراهيم ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات (١و٢و٤)

(٣) القشيب : الجديد ، واللوعة : حرقة القلب ، والرسيس : ما يجده الانسان فى قلبه من حزن أو هوى ، ويقال : رس الحب فى قلبه ، اذا ثبت ٠

(٤) الديوان « لبما » مكان « لقد » والمعنى : صرت وقفا على الأمطار والرياح ، وصار دمعى وقفا عليك .

(٥) فى الديوان « بعدها » مكان « بعدما » وما هنا أنسب للمعنى ٠ والأنيس : المانوس المأهول .

(٦) الأبيات فى ديوانه ٣/٢١ من قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١و٣و٧) .

(٧) خف آهله : ارتحل من كان فيه ، والآهل : القطين ، وهم أهل البيت ٠

(٨) كأنه يقول : لا تلوموني على الوقوف ، لأني اسائلكم عن خبره ، فان كنتم جاهلين بذلك فاتركوني اسائله .

[٧٩ب]

وقفْنا على جَمْرِ الوَداعِ عَشِيَّةً ولا قلبَ إلا وهو تَغْلي مَراجِلُهْ(١)

وقال أيضا (٢) :

سلِّمْ على الرَّبع من سَلْمى بذى سَلَمِ عليه وَسْمٌ(٣) من الأَيام والقِدَمِ

ما دامَ عيشٌ لبِسْناهُ بساكِنِهِ لَدُنًا ، ولو أن عَيْشًا دام لم يَدُمِ

يا منزلًا أعْنَقَتْ فيه الجَنوبُ على رَسمٍ مَحِيلٍ ، وَشعْبٍ غيرِ مُلتَئِمِ(٤)

هَرِمْتَ بعدِىَ والربعُ الذى أَفلَتْ منه بدُورُكَ معذورٌ على الهَرَمِ (٥)

وقال أيضا (٦) :

يا مَوْسِمِ اللَّذَّاتِ غالَتْكَ النَّوَى بعدى فرَبْعُكَ للصَّبابةِ مَوْسِمُ(٧)

ولقد أَراكَ من الكَواعِبِ كاسِيًا فاليومَ أنتَ من الكواعِبِ مُعْدِمُ(٨)

لَحَظَتْ بشاشَتَكَ الحوادثُ لَحْظَةً ما زلتُ أعلمُ أنها لا تَسْلَمُ(٩)

---

(١) يسترجع موقف وداعه لمن بانوا عن هذه الديار ، ويشبه الم الفراق ولوعته بالجمر تارة وغليان المراجل تارة أخرى .

(٢) الأبيات فى ديوانه (٣/١٨٤) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبى ، وهى من أولها على الترتيب

(٣) فى الأصل تقرأ « رسم » وفى الديوان « وسم » والوسم : العلامة ، أى اذا نظر اليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب. وذو سلم : واد ينحدر على الذنائب ، وهى فى أرض بنى البكاء ، على طريق البصرة الى مكة .

(٤) أعنقت : أسرعت، والمحيل : الذى اتى عليه حول ، يذكر أثر الرياح فى هبوبها مسرعة على هذا المنزل حتى غيرته .

(٥) يقول : تغيرت فى مدة قريبة، حتى كانك فورقت منذ دهر طويل فهرمت فى الخراب ، ومثلك معذور على الهرم اذا فارقه من لايعتاض منه .

(٦) الأبيات فى ديوانه ٣/٢١٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان ، ومطلعها :

أزَعمْتَ أنَّ الربعَ ليس يُتَيِّمُ والدمعَ فى دِمنٍ عَفَتْ لا يَسجُمُ ؟

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (٢ و ٣ و ٤)

(٧) كاسيا : ذا كسوة ، على النسب ، كما يقال تامر : أى ذو تمر ، جعل الكواعب للربع مثل الكسوة ، لانه كان يتجمل بهن .

(٨) فى الديوان « محرم » جعل خلوه من الكواعب مثل تجرد الحاج من ثياب الزينة اذا احرم ، وهو كقول البحترى فى الربيع .

أَحَلَّ فأَبْدَى للعُيونِ بَشاشةً وكان قَذًى لِلعَيْنِ إذ كان مُحْرِما

(٩) فى الديوان « أحلم » مكان « أعلم » والمعنى حسدتك الحوادث فأصابتك عينها بنظرة علمت انك لا تسلم منها . وقال المرزبانى فى معناه : اخلقت الحوادث من الرياح والأمطار مغانيك ، فذهبت ببشاشتك .

قيل : خرج يَحيَى بنُ خالدِ بنِ بَرْمَك يوما من داره يريد الرشيد ، فمرّ ببعضِ أفنِيَةِ قصره ، فرأى على بعض حيطانه مكتوباً :

أَنْعِمُوا آلَ بَرْمَكٍ وارقُبوها متى هِيَهْ
وارقُبُوا الدهرَ أن يَدُو رَ عليكُمْ بداهِيَهْ

[١٨٠]

فَوَجَمَ وجَزِعَ لذلك ، ثم دخل – في ذلك اليوم – عليه أبو نُواس ، فأنشده(١) :

أرَبْعَ البِلَى إن الخُشُوعَ لبادِ عليكَ وإنى لم أخُنْكَ وِدَادى
فمَعذِرَةً منى إليكَ بأن تُرَى رَهِينَةَ أرْواحٍ وصَوْبِ غوادِ(٢)
ولا أَدْرَأُ الضرّاء عنك بحيلةٍ فما أنا فيها قائِلٌ لسُعَادِ(٣)
وإن كنتَ قدبُدِّلْتَ بُؤْسَى بنعمةٍ لقد بُدِّلَتْ عينِى قَذًى برُقادِ

إلى أن بلغَ إلى قوله :

سلامٌ على الدّنيا إذا ما فُقِدْتُمُ بنى بَرْمَكٍ من رائِحِينَ وغادِ(٤)

فتَطَيّر ، فنُكِبَ فى تلك الليلة .

كان محمد بن واسع – رحمه الله – يمر بربِاع إخوانِه بعدموتِهم ، فيُنادِيهم : أيْ فلان ، أيْ فلان ، ثم يَرجِعُ إلى نفسه فيقول : ماتُوا والله ، وإن نَعْلًا فَقَدتْ أخْتَها لَسَرِيعَةُ اللَّحاقِ بصاحبتها .

وقال الفِنْدُ الزِّمّانى ، واسمه شَهْلُ بنُ شَيْبَان بنِ ربيعةَ بن زِمّان(٥) :

[٨٠ب]

أشَجَاكَ الرَّبعُ أقْوَى والدِّيَارُ وبكاءُ المرءِ للرّبعِ خَسارُ
أيُّ لُبٍّ لامرِئٍ فى قَدْرِه عائِذٌ بالحُزْنِ إذ تُشْجيه دارُ
إنما يبكى الأُلَى كانوا بها فانْتَأَوْهُ بعد ما شَطَّ المَزارُ

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٤٧١ من قصيدة قالها فى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ، وترتيبها من القصيدة برواية الديوان « ١ و٢و٣و٥ و١٩ » .

(٢) الأرواح : الرياح – والغوادى : جمـع الغادية ، وهى السحابة تنشأ فتمطر غـدوة ، ويقال لمطرة الغداة : غادية .

(٣) أدرأ : أدفـع . الضراء : الضر . وفى الديوان بين هذا البيت والذى يليه .

وإنْ كنتَ مَهْجُورَ الفِنا فبما رمَتْ يدُ الدهرِ عن قَوْسِ المنون فُؤادِى

(٤) قبل هذا البيت فى الديوان :

فما هو إلا الدهرُ يأْتى بصَرْفِه على كل من يَشْقَى به ويُعادى

(٥) ضبط فى الأصل بفتح الزاى، والتصحيح من القاموس (زمن) وتتمة نسبه فيه « .. زمان ابن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل » .

يُخْرِبُ الدهرُ ويَبْنِى جاهِدًا وخرابُ الدّهرِ للدّارِ عَمارُ

(هذا قلب ، أراد عمارتها خراب لها) :

أَيُّها الباكى على ما فاته أقصِرَنْ عنك ، فبعضُ القولِ عارُ

ليس يُغْنِى جَزَعَ القومِ إذا وقَعَ الأَمْرُ بهم إلا الغيارُ

(يقول : ليس يُغنى عنهم أن يجزعوا ، ولكن أن يُغِيروا) .

فاجْزَعُوا للأَمْرِ ، أولا تَجْزَعُوا قد تداعَى السقفُ وانهارَ الجدَارُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومىّ (١) :

سائِلا الرّبْعَ بالبُلَىِّ (٢) وقُولا هِجتَ شوقًا لنا (٣) الغداةَ طويلا

أين حىٌّ حَلُّوكَ إذ أَنْتَ مَحْفُو (٤) فٌ بهم آهِلًا (٥) أراكَ جَميلَا

قال : ساروا بِأَجْمَعٍ (٦) فاستَقَلُّوا وبكُرْهِى لو استطعْتُ سبيلَا

وقال حفْصٌ الأُموى :

يا رَبْعُ أين انْتَجَعَ الحَاضِرُ جادَك نَوْءُ الجَبْهَةِ الماطِرُ (٧)

مالى أرى مغناك قفرا كأَن [م] لم يَلْهُ فى ساحته سامِرُ [١٨١]

أَصبحَ قد رُدِّىَ ثوبَ البِلى فالآىُ (٨) منه مُخلِقٌ داثِرُ

وقد أراهُ قبل صَرْفِ النَّوَى يَعْجَبُ من بهجَتِه الناظِرُ

---

(١) الابيات فى ديوانه ٢٣٠ (ط بيروت) وفى الأمالى (١٧/٢ ط بولاق) وهى من أول القصيدة على الترتيب ، وهى هنا متفقة مع الديوان رواية وترتيبا .

(٢) الضبط من البكرى معجم ما استعجم (٢٧٨/١) وضبطه بالعبارة فقال : بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء وقد أورد البيت شاهدا عليه ، وكذلك ضبط فى الامالى ، وفى مراصد الاطلاع البلى : تل قصير أسفل حاذة ، بينهـا وبين داف .

(٣) فى الأمالى : « لى » . (٤) رواية الأمالى : «اذ أنت مسرور بهم »

(٥) كذا فى الأصل ، وفى الديوان والأمالى « آهل » بالرفع ، وهو أولى .

(٦) فى الأمالى : قالَ : ساروُا ، « فأَمْعَنُوا ، فاسْتَقَلُّوا » .

والوارد هنا يتفق مع رواية الديوان

(٧) انتجع الكلا : طلبه فى مواضعه ــ النوء:المطر ــ الجبهة ، اراد جبهة الأسد ، وهى اربعة انجم ينزلها القمر ، قال الشاعر :

يا مَنْ رأى عارِضًا أُسَرُّ به بينَ ذِراعَىْ وجَبْهَةِ الأَسَدِ

(٨) الآى : واحده آية ، وهى هنا العلامة والأثر .

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ :

قِفَا عند مما تعرفان رَبُوعِى ... وإن سَبَقَتْ فرطَ العزاء دُموعِى
نُحَيِّى على طولِ البِلَى رسمَ دِمْنَةٍ ... كأن لم تَكُنْ من آلفِينَ جَميعِ
وماذا نُحَيِّى من رسومٍ كأنَّها ... بأنْفَلِ سُلْمانِين[1] سَحْقٌ[2] صَديع
كأنَّ حمامات ثلاثًا بِربعها ... وقَعْن فما يسأمْن طولَ وقوعِ[3]
وإنى لصَبٌّ ما علمتَ وإنَّنى ... لبعض هوى نفسى لغيرُ مطيعِ

وقال البُحترى[4] :

يا رُبوعَ الديارِ إنِّى على ما ... قد أراهُ منكُنّ غيرُ جَلِيدِ
أخْلَقَ الدهرُ عهدَكُنّ وللدّهْـ ... ـرِ صُروفٌ يُبْلِينَ كلَّ جديدِ
فرّقَتْ شملَنا النَّوَى بعد ما كُـ ... ـنَّا جميعًا فى ظلِّ عيشٍ حَمِيدِ

وقال قَبِيصةُ بن عمرو المُهَلَّبِىّ :

[٨١ب]

لأَحسنُ من بَطْنِ الرُّصافَةِ مَنْظَرًا ... وميدانِها فالكَرْخِ فالدُّورِ فالجَسْرِ[5]
ربائِعُ لايَلْبَسْنَ والريحُ رَيْدَةٌ[6] ... قتامًا ولا يَلْثَقْنَ[7] للوابلِ الهَمْرِ
إذا ما كساهُنَّ الربيعُ رِياطَه[8] ... تأَرَّجْنَ مِسكًا أو تضاحَكْنَ عن دُرّ

وقال الشريف الرضى – رضى الله عنه[9] – :

---

(١) سلمانين : مختلف فى ضبطه ،والضبط المثبت يعنى واديا يصب على الدهناء شمالى حفر الرباب بناحية اليمامة بموضع يقال له : الهرار .

(٢) السحق من الثياب : الخلق البالى ، ويضاف للبيان . فيقال: سحق عمامه . فيكون المراد سحق ثوب صديع ، والصديع : النصف من الشىء المشقوق نصفين .

(٣) عنى بالحمامات الثلاث أثافى القدر على التشبيه .

(٤) تقدمت هذه الابيات فى ص ٧٤ وقد أشرنا اليها ثمة، وهى فى ديوان البحترى ٢/٧٦٨ (ط دار المعارف) ولم ترد فى طبعات الديوان الأخرى . وقد وردت أيضا فى المختار من دواوين ابى تمام والبحترى والمتنبى للجرجانى ، فى الطرائف الأدبية ٢٤٣ .

(٥) الرصافة : مواضع كثيرة . والمعنى هنا رصافة بغداد ، والكرخ : محلة ببغداد .

(٦) الريدة : الريح اللينة الهبوب .

(٧) يلثقن ، من قولهم : لثقت الأرض، اذا ابتلت ونديت .

(٨) الرياط : واحدها ريطة وهى الملاءة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة .

(٩) البيتان فى ديوانه ٥١٦ من قصيدة مطلعها :

أيا جَبَلَىْ نجد أبينا – سُقِيتُما ... متى زالَت الأَظعانُ يا جَبلانِ ؟!

وهما متفقان فى الرواية مع الديوان .

قِفا صاحبيَّ اليومَ أسأَل حاجَةً ... ولا تَزْجرا سَمْعي بغيرِ بَيانِ
هل الربعُ بعد الظّاعِنينَ كعَهْدِهِ ... وهل راجعٌ فيه عليَّ زماني ؟

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن صَدَقة الخَيَّاط الدِّمَشْقي[1] :

أُحِب ثَرَى الوادى الذى بانَ أهلُه ... وأَصْبُو إلى الربعِ الذى مَحّ مَغْناهُ[2]
وبالجَزْعِ حيٌّ كلما عنَّ ذكرُهُم ... أماتَ الهوى منّى فؤادًا[3] وأحياهُ
تمنيتهم بالرَّقْمَتَيْنِ[4] ، ودارُهم ... بوادي الغَضا يابُعْدَ ما أتمنَّاه
وما شَغَفِي بالريحِ إلا لأنَّها ... تمر بحيٍّ دون رامةَ مثْواهُ

وقال ذو الرُّمَّة غَيلان[5] :

أَلِلرَّبْعِ ظلَّتْ عينُك الماءَ تَهْمُلُ ... رشاشًا كما استَنَّ الجُمانُ المفَصَّلُ ؟![6]
لعِرْفانِ أطْلالٍ كأَنَّ رُسومَها ... بوَهْبَيْن وشيءٌ أو رداءٌ مسَلْسَلُ [١٨٢]
نَبَتْ نبوةً عيني بها ثم بَيَّنَتْ ... يحاميمُ سودٌ[7] أنها الدار مُثَّلُ[8]
عهِدْتُ بها الحيَّ الحُلولُ بسَلْوةٍ ... جميعًا ، وآياتُ الهَوَى ما تَزَيَّلُ[9]

وقال الشريف المرتَضَى - رضى الله عنه[10] - :

حُيِّيتَ يا رَبْعَ الهوَى من مَرْبَعٍ ... وسُقِيتَ أنْدِيَةَ الغُيوثِ الهُمَّعِ[11]
فلقد عَهِدتُك والزمانُ مُسالِمٌ ... فيكَ المُنَى وشفاءُ داءِ المُوجَعِ

---

(١) الأبيات فى مختارات البارودى ٤/٣٤٥ والبيتان : الثانى والثالث فى ترجمته فى وفيات الأعيان (١/١٢٩) ووصفهما ابن خلكان بأنهما فى غايه الرقه .

(٢) مح : عفا وبلى ودرس .

(٣) فى المختارات « فؤادى »

(٤) الرقمتان : مختلف فى تحديد المراد بهما ، فقيل : قريتان بين البصرة والنباج ، وهما على شفير الوادى ، وقيل : روضتان بناحية الصمان .. والرقمتان أيضا : نهيان من أنهاء الحرة ، قرب المدينة (عن مراصد الاطلاع) .

(٥) الأبيات فى ديوانه ٤٥٩ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١و٢و٥و٩ .

(٦) الجمان : ما يعمل من الفضة والذهب كهيئة اللؤلؤ ، الواحدة جمانة ، استن : تتابع .

(٧) فى الاصل كتب « جون » فوق كلمة « سود » وعليها علامة الصحة .

(٨) نبت عينى بها ، اى انكرتها ، يحاميم ، وجون بمعنى واحد ، وهى السود ، آراد بها الأثافى ، مثل : منتصبة .

(٩) السلوة هنا معناها الرخاء . وآيات الهوى : علاماته . ما تزيل : ما تتفرق .

(١٠) الأبيات فى ديوانه (القسم الثانى / ٢٢١) من قصيدة قالها وهو بواسط ، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١و٢و٣و٦) .

(١١) فى الديوان (ياربع اللوى) والهمع : جمع هامع ، وهو الماطر .

أيامَ إنْ يَدْعُ الهَوَى بى اتَّبِـعْ ... وإذا دُعِيتُ إلى النُّهى لم أتْبَع (١)
سَقْيًا له زَمَنًا نَعِمْتُ بظِلِّه ... لكنَّه لما مَضَى لم يَرْجعِ

وقال أيضا (٢) :

عُوجا نُحَىِّ الرَّبْعَ فيه لنا الهَوَى ... فلرُبَّما نفعَ المُحِبَّ سلامُهُ
واستَعْبِرا عَنِّى بهِ إن خانَنِى ... جَفْنى ، ولم يُمْطِرْ(٣) علىَّ غَمامُهُ(٤)
دِمَنٌ رَضَعْتُ بهنّ أَخْلافَ(٥) الصِّبى ... لو لم يكُنْ بعد الرَّضاعِ فِطامُهُ

وقال أيضا :

[٨٢ب]

وقَفْنَا على رَبْعِ الأَحِبَّةِ وَقْفَةً ... فلم نَرَ إلا رِمْدِدًا(٦) وأثافِيا
وأشْعَثَ منقَدَّ السَّراةِ مُهَشَّمًا ... أَضَرَّ بهِ ضَرْبُ الوليدةِ بالِيَا
فما زال رسمُ الدار حتى أعادَنى ... ـ وكنتُ جَلِيدَ القومِ ـ فى القومِ باكِيَا
وقفتُ به صَحبى صَحِيحًا فلم تَكُنْ ... سِوى نظرةٍ حتى رَجَعْتُ بدائِيا

وقال القاضى المهذَّبُ أبو محمد حسن بن على بنِ الزُّبَيْر ـ رحمه الله(٧) ـ :

رَبَعَ الفؤادُ خِلالَ تلكَ الأَرْبُعِ ... فكأنَّها أولَى بهِ من أضْلُعِى
وأقامَ فيه فالجوانحُ بَلْقَعٌ ... منه ، وما البيدُ القِفارُ بَبَلْقَعِ

---

(١) فى الديوان بين هذا البيت والذى بعده البيتان :

إذْ قامَتِى ممتدَّةٌ ، وذَوائِبِى ... مُسْوَدَّةٌ ومسائِحِى لم تَصْلَعِ
وإذِ النَّضارةُ فى أدِيمِى جَمَّةٌ ... والشيبُ فى فَودىَّ لما يَطْلَعِ

(٢) الأبيات فى ديوانه (القسم الثالث ص١٥٩) من قصيدة يفخر فيها ويعرض ببعض أعدائه ومطلعها :

أمّا الشَّبابُ فقَدْ مَضَتْ أيّامُهُ ... واسْتُلَّ من كَفِّى الغَداةَ زِمامُهُ

(٣) الديوان (فلم يمطر) .

(٤) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

فمن الجُفُونِ جوامِدٌ وذَوارِفٌ ... ومن السحابِ رُكامُه وجَهامُه

(٥) اخلاف : الواحد خلف ـ بكسر فسكون ـ وهو الثدى ، وخصه البعض بثدى الناقة .

(٦) يقال رماد رمدد ـ بكسر أوله وثالثه ، وبفتح ثالثه أيضا ـ : كثير دقيق جدا . وقال الجوهرى : رماد رمدد ، أى هالك ، جعلوه صفة

(٧) روى العماد الأصفهانى فى الخـريدة (قسم شعراء مصر ج١/٢١٤) قطعة من هذه القصيدة ، وقال : انها مما انشدنيه الأمير مرهفت بن أسامة بن منقذ للمهذب بن الزبير ، والبيت الأول هنا هو مطلع القصيدة ، وقد قالهـا فى مدح ابن رزيك الملك الصـالح ، وكان يغرى الشعراء بعضهم بالبعض ، ومنها :

يا أيُّها الملكُ الذى أوصافُه ... غُررٌ تجلَّتْ للزَّمان الأَسْفَعِ
لا تُطْمِـعِ الشعراءَ فىَّ فإنَّنى ... لو شِئتُ لم أَجْبُنْ ولم أتخشَّعِ

وأرِي الصَّبَا تَمْرِي[1] السحابَ وإنَّما تَمْرِي صبابَتُهُ سحابَ الأَدْمُعِ

وقال أبو العَلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرّى :[2]

أَمُرُّ بربعٍ كنتَ فيه كأنَّمَا أَمُرُّ من الإجلالِ بالحِجْرِ والرُّكْنِ[3]

وإجلالُ مَغناكَ اجتهادُ مُقَصِّرٍ إذا السيفُ أَوْدَى فالعفاءُ على الجَفْنِ[4]

وقال أبو تمّام[5] :

على مِثْلِها من أَرْبُعٍ وملاعِبِ أُذيلَتْ مَصُوناتُ الدموعِ السواكِبِ[6]

أقولُ لقُرْحَانٍ[7] من البَيْنِ لم يُضِفْ رسيسَ الهوى بين[8] الحَشَا والترائِبِ

[١٨٣]

أَعِنِّى على تَفريقِ دمعِى فإنَّنى[9] أرى الشَّمْلَ منهم ليس بالمُتقارِبِ

أَميدانَ لهوى من أتاح لك البِلَى وأصبحتَ مَيْدَانَ الصَّبَا والجنائِبِ ؟

أَصابَتْكَ أبكارُ الخُطوب فَشَتَّتَتْ نواكَ[10] بأبكارِ الظِّبَاء الكَواعِبِ

وقال آخر :

أَمْسَحُ الربعَ بِخَدِّى أنْ مشى فيهِ الخليلُ

وعلى مثلِكَ يُبْكَى أيُّها الربعُ المَحِيلُ

---

(١) يقال : مرت الريح السحاب : اذا انزلت منه المطر .

(٢) البيتان فى سقط الزند (٢٦٠/١) من قصيدة رثى بها المعرى أباه عبد الله بن سليمان ومطلعها :

نَقِمْتُ الرِّضا حتىّ على ضَاحِكِ المُزْنِ فلا جادَنى إلَّا عَبُوسٌ من الدُّجْنِ

(٣) المعنى : اعظم منزلك الذى كنت فيه كاعظامى ركن الكعبة والحجر ، وهو ماحول الحطيم .

(٤) العفاء : الهلاك والتراب ، وجفن السيف : غمده .

(٥) الأبيات فى ديوانه (٢٠٥/١) من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجل ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٣ و٧ و٨) .

(٦) اذيلت : اهينت وارخصت ، والسواكب : جمع ساكبة من قولهم : سكبت العين دمعها اذا صبته .

(٧) يقال : رجل قرحان ، اذا لم يصبه مرض مثل الجدرى والحصبة ، وقال الآمدى : جعل من لم يعشق ولم يفارق الأحباب قرحانا على التشبيه كقول جرير :

* لو كُنتَ من زَفَرات الحبِّ قُرْحانا *

(٨) فى الديوان « تحت » .

(٩) فى الديوان «أَعِنِّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دمعى فإنَّنى»

(١٠) فى الديوان : « هواى » واشار فى هامشه الى أن « نواك » رواية الخارزنجى ، وعنى بأبكار الخطوب التى لم يصب بها أحد قبله على التشبيه .

وقال آخر :

يا ربعُ مالَكَ لا تُجيبُ متَيَّمَا ... قد عاجَ نحوَكَ زائِرًا ومُسلِّمَا
جادَتْكَ كلٌّ سحابةٍ هطَّالةٍ ... حتى تُرى عن زَهْره متبسِّما
لو كنتَ تدرِي من دعاك أَجَبْتَه ... وبكيتَ من حُرَقٍ عليه ـ إذًا ـ دَمَا

وقال آخر(١) :

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طولِ تَوَاصُلٍ ... خَلَقًا ، ويُصْبِحْ(٢) رَبْعُنَا مَهْجُورَا
فلقد أرانِي ـ والجديدُ إلى بِلًى ـ ... دَهْرًا بوصْلِكِ ناعِمًا(٣) مَسْرُورًا
كنتِ الهويَ وأعزَّ من وطِيءَ الحَصَا ... عندِي ، وكنتُ بذاك منكِ جَدِيرا

[٨٣ ب]

وقال جُبَيْهَاءُ الأَشجَعيُّ ، واسمه يزيد بن عبيد(٤) :

أَمِنَ الجَميعِ بذِى النِّعاجِ رُبُوع ... هاجت فؤادَك والرُّبوعُ ربُوع(٥)
من بعد مانُكِرَتْ وغيَّر آيَها ... قَطْرٌ ومُسْبِلَةُ الذيولِ خَرِيعُ ؟(٦)

وقال آخر :

وقفتُ على رَبعٍ لسُعْدَى وعَبْرَتِي ... تَرَقْرَقُ فى العَيْنَيْنِ ثم تَسِيلُ
أُسائِلُ ربْعًا قد تَعَفَّتْ رسومُه ... عليه لأَصْنَافِ الرياح ذُيولُ

---

(١) الابيات فى الزهرة ١٤١ ونسبها الى الحارث بن خالد المخزومى وهى منسوبة اليه أيضا فى الأغانى (٣/٣٣٦) ومختار الأغانى (٢/٣٨٥)

(٢) فى الزهرة (وأصبح) .

(٣) فى الزهرة ومختار الاغانى : « راضيا » وفى الأغانى « قانعا »

(٤) فى الأغانى ١٦/١٤٦ وفى اللسان/جبه « يقال : جبهاء الأشجعى وجبيهاء الاشـجعى ، وقال أبن دريد : جبهاء على لفظ التكبير » .

(٥) فى الأغانى « بذى اليفاع » و « الربوع تروع » وهو أجود .

(٦) فى الأغانى « ومسبلة الدموع خريع » والمسبلة من قولهم : أسبل فلان الدمع ، اذا أرسله ، ويقال : أسبلت السماء ، اذا أمطرت .

فصل آخر فى ذكر الربع

قال أبو تَمّام(١) :

قد نابت الجِزْعَ من أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ ... واستَحْقَبت جِدّة من ربْعِها الحِقَبُ(٢)

أَلْوَى بصبْرِكَ إخلاقُ اللِّوى وهَفا ... بلُبِّكَ الشوقُ لما أقفرَ اللَّبَبُ(٣)

خَفَّتْ دموعُك فى إثرِ الخليطِ لدن ... خَفّتْ من الكُثُبِ القُضبانُ والكُثُبُ(٤)

وقال أَرْطاةُ بن سُهَيَّة :

أَلا حَىِّ رَبْعًا باللَّدِيدِ(٥) المُقابِلِ ... يَهِيجُ الهوَى من بينِ تلك المَنازلِ

يَهيجُ الذى قد كان من سالِفِ الصِّبَى ... على مُسْتَهَامٍ قلبُه غيرُ ذاهِلِ

يَهِيمُ بذكر الغانياتِ ، وهَمُّه ... طِلابُ الصِّبى فى غَيِّه المُتمايِلِ

فما ظَبْيَةُ الغُرِّ(٦) التى هاجَتِ الهَوَى ... ولكنما شبَّهْتُها أُمَّ واصِلِ

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١/٢٤٤ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ، وهى من أولها على الترتيب .

(٢) جزع القوم ــ بكسر الجيم ــ : محلتهم ، وأروية : اســـم امرأة ، ومراده منـــازل أروية ، واستحقبت : جعلته وراءها بمكان الحقيبة من رحل الراكب ، يريد أن الحقب قد اذهبت جدة هذا الربع ، فكأنها جعلته فى حقائبها ، ومن جعل الشىء فى حقيبته فقد استبد به

(٣) الوى بالشىء : ذهب به ، واللوى : مسترق الرمل ، وهفا : طار ، واللبب : مقدم الكثيب .

(٤) خف فى اثر الشىء : أسرع، وخف القوم : ارتحلوا . والكثب الأولى : جمع الكثيب من الرمل ، والقضبان : أراد بها قدود النساء على التشبيه ، والكثب الثـــانية : مراد بها أرداف النساء . وفى الديوان : « فى اثر الحبيب » ويروى « الكثبان والقضب » .

(٥) اللديد : موضع ورد أيضا فى شعر لبيد قال :

تَكُرُّ أَخادِيدُ اللَّدِيدِ عليهِمُ ... وتُقْرَى جِفانُ الضيفِ مَحْضًا مُعَمَّما

(٦) كذا ضبطه فى الأصل بضم الغين ، والذى فى اللسان بفتحها ، وفى معجم البلدان « الغر بالفتح ثم التشديد : موضع بينه وبين هجر يومان ، قال الراجز :

فالغَرُّ ترعاه فجَنْبى جَفَرَهْ

وقال نصر : غر : ماء لبنى عقيل بنجد ، أحد ماءين يقال لهما : الغران .

مِن البيضِ مِكْسالًا كأنَّ حديثَها جَنَى النَّحْلِ هَيفاءَ صَموتَ الخَلاخِلِ(1)

وقال البحترى(2) :

وقَفْنا على رَبْعِ البَخيلةِ فانبرَتْ سوابِقُ قد كانَتْ بها العينُ تَبْخَلُ(3)

[٨٤ ب]

فلم يدْرِ ربعُ الدار كيف يُجِيبُنا ولا نحنُ من فَرْطِ الأَسى كيفَ نَسْأَلُ(4)

وقال طَرَفَةُ بن العَبْدِ(5) .

أَشَجَاكَ الربعُ أم قِدَمُهْ أم رمادٌ دارسٌ حُمَمُهْ(6)

حابِسِى رسمٌ وقفتُ به لو أُطيعُ النفسَ لم أَرِمُهْ(7)

وقال جميل بن مَعْمَر العذرى(8) :

أَتَصْرِمُ هذا الربعَ أم أنت زائِرُهْ وكيف يُزارُ الربعُ قد بان عامِرُه

وقد كانَ ممن يَسْكُنُ الربعَ مرّةً جميلُ المُحَيّا ، قاصرُ الطرفِ فاتِرُهْ

سَقَى اللهُ بيتًا لستَ أقْرَبُ أَهْلَه ولا ـ أَنْتَ إلا أن تُعَنَّفَ ـ زائِرُهْ

---

(1) عنى بقوله « مكسالا » انها مترفة منعمة ، فهو مدح لها ؛ كقولهم : نئوم الضحى، وصموت الخلاخل ، كقولهم : خرساء الأساور ؛ كناية عن البدانة وامتلاء الجسم .

(2) البيتان فى ديوانه (٢٠٢/٢) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ، ومطلعها :

فُؤَادٌ بِذِكْرِ الظاعِنِينَ مُوَكَّل ومَنزِلُ حىٍّ فيه للشوقِ مَنزِلُ

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٥ و ٧) .

(3) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

على دارِسِ الآياتِ عافٍ تعاقَبَتْ عليه صَبًا ما تَسْتَفِيقُ وشَمأَلُ

(4) رواية الديوان لهذا البيت :

فلم يَدْرِ رَسمُ الدارِ كيف يُجِيبُنا ولا نَحْنُ من فَرْطِ البُكا كيف نَسْأَلُ

(5) البيتان فى ديوانه/٦٨ (ط باريس) ويقابلهما فى ترتيب القصيدة البيتان (١ و ٦)

(6) يقول : أسبب حزنك خلو الربع ، أم قدم عهده بأهله ؛ أم ما تراه من رماد قد درس فحمه ؟ وبعد هذا البيت فى الديوان :

كسُطور الرَّقِّ . رَقَّشَه بالضُّحَى مُرَاقِّشٌ يشِمُه

(7) المعنى : وقفت ناقتى فيه متعجبا لتغيره، متذكرا من عهدت به . ونطقت الميم فى «ارمه» بالضم وكان حقها السكون للجزم ، لأنه نقل اليها ضمة الهاء للوقف ، ومثلـه قول عمر بن أبى ربيعة :

وقفتُ بالربعِ كى أُسائِلَه لو استَطاعَ الكلامَ لم أَرِمُه

(8) البيتان : (الأول والرابع فى ديوانه/١٠٠ (بتحقيق حسين نصار) وهما أيضا فى ديوانه/٣٢ (ط بيروت) والرواية فيهما متفقة مع ما هنا .

رأيتُك تأتي البيتَ تُبْغِضُ أهلَه وقلبك فى البيتِ الذى أنتَ هاجِرُه

وقال كُثيِّر بن عبد الرّحمن الخُزاعِيّ (١) :

خليليَّ هذا ربع عَزّةَ فاعقلا قَلُوصَيْكُما ثم ابكيا حيث حَلَّتِ (٢)

وما كنتُ أدرِي قبلَ عَزّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلب حتى تولَّتِ (٣)

[١ ٨٥]

فيا عَجَبًا للقلبِ كيف اعترافُه (٤) وللنَّفْسِ لما وُطِّنَتْ كيف ذَلَّتِ

وإنى وتَهْيَامِي بعَزّةَ بعد ما تَخَلَّيْتُ عما بينَنا ، وتَخَلَّتِ (٥)

لكالمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّما تبوَّأَ منها للمَقِيلِ اضمحلَّتِ

كأنى وإياها سحابةُ مُمْحِلٍ رجاها ، فلما جاوَزَتْه استهَلَّتِ (٦)

وقال ذو الرمّة (٧) :

خَلِيلَيَّ عُوجَا عَوْجَةً ثم سلِّما على الربعِ بالجَرْعاء أن يَتَكَلَّما

تَعَرَّفْتُه لما وَقَفْتُ بربْعِهِ كأنَّ بقاياهُ تماثِيلُ أعْجَمَا

ديارٌ لِمَيٍّ قد تعفَّتْ رسومُها تُخالُ (٨) نَواحِيها كِتابًا مُعَجَّما

[معجم] أى منقط.

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٣٦/١ والأمالى ١٠٩/٢ (ط بولاق) والسمط/٧٣٧ وخزانة الأدب ٣٧٨/٢ وهى من منتخبات شعره ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١و٤و٣٨-٤١)

(٢) فى الديوان اشارة الى روايه أخرى فى البيت وهى :

خَلِيلَيَّ هذا رسمُ عَزّةَ فاعقِلا قَلُوصَيْكُما ثم انظرا حيث حَلَّت

(٣) من شواهد النحاة على نصب موجعات عطفا على محل مفعول ادرى المعلق بالاستفهام ، لأن المعلق أبطل عليه لفظا لا محلا . (شرح شواهد المغنى/٣٧٥) .

(٤) اعترافه : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عروفا ، اى صبورا ، والعارف : الصابر وقد أورد القالى البيت شاهدا على هذا المعنى (الأمالى ١١٢/٢ ط بولاق) .

(٥) البيت فى اللسان مادتى (هيم ، محل) .

(٦) المعنى فى هذا البيت يقرب من معنى البيت السابق ، وقد أورده ابن رشيق فى العمدة مثالا على التكرار وفسره بقوله : جعل رجاء الاول ظل الغمامة ليقيل تحتهـــا من حرارة الشمس فاضمحلت وتركته ضاحيا ، وجعل المحل فى البيت الآخر يرجو سحابه ذات ماء فأمطرت بعد ما جاوزته (العمدة ٦٣/٢) .

(٧) الأبيات فى ديوانه/٥٦٠ وهى من أول القصيدة على الترتيب

(٨) فى الديوان (أخال) .

وقال أيضا[1] :

وقفتُ على رَبْعٍ لمَيَّةَ ناقتى   فما زلتُ أبكِى عندَهُ وأخاطِبُهْ
وأُسْقِيه[2] حتى كادَ مما سَقَيْتُه[3]   تُكَلِّمُنى أحجارُه وملاعِبُهْ[4]

أسقيه] : أدعو له بالسُّقيا .

ألا لا أرَى مثل الهوى داءَ مُسْلِمٍ   كريمٍ ، ولا مثلَ الهَوَى لِيمَ صاحِبُهْ
متى يَعْصِهِ تُبْرِحْ معاصاتُه به   وإن يتَّبِعْ أسبابَهُ فهو عائِبُهْ

[٨٥ ب]

وقال البحترى[5] :

عهدِى بِرَبْعِكِ مأْنُوسًا ملاعِبُهُ   مثالُ آرامِه حُسْنًا كواعِبُهُ[6]
يَشُبْنَ للصَّبِّ فى صفوِ الهوى كدَرًا   إن وَخَطَ شيبٍ أُعِيرتْه ذوائِبُهُ

وقال أيضا[7] :

إذا شئتُ أجرَتْ أدمُعِى من شُئونِها   ربوعٌ لها بالأَبْرَقَيْنِ وأرْسُمُ
وقفتُ بها والركبُ شَتَّى سبيلُهم   يُفِيضُون ، منهم عاذِرُون ولُوَّمُ
هى الدارُ إلا أنها لا تَكَلَّمُ   عفا مَعْلَمٌ منها وأقفر مَعْلَمُ
تُقَيِّضُ[8] لى من حيث لا أعلمُ النَّوى   ويَسْرِى إلىَّ الشوقُ من حيث أَعْلَمُ

وقال أبو الفِتْيان بن حَيُّوس[9] :

---

(١) الأبيات فى ديوانه/٣٨ و ٣٩ ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات ١ و ٢ و ٢٤ و ٢٥ .

(٢) أسقيه ضـــبط فى الأصل بفتح همزة أسقية ، وفى اللسان (سقى) بضمها ؛ وهو بهما يقال : سقاه وأسقاه بمعنى

(٣) فى الديوان (حتى كاد مما أبثه) ومعنى أبثه : أشكو اليه .

(٤) فى الديوان (فهو غالبه) ومعنى تبرح: تشق عليه وتشتد ، والبرح : الشدة .

(٥) البيتان فى ديوانه (٣٩/١) من قصيدة مدح بهامحمد بن بدر ، وهما من أولها فى ترتيب الديوان .

(٦) الديوان : (أشباه آرامه) .

(٧) الأبيات فى ديوانه (٢٢٩/٢) من قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان ومطلعها :

خيالٌ مُلِمٌّ أو حَبِيبٌ مُسَلِّم   وَبَرْقٌ تجلَّى أو حَرِيقٌ مُضَرَّمُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات ٤ و٥ و ٦ و ٧ .

(٨) قيض له لشىء : أتاحه له ، وقدره ، وهيأه .

(٩) الأبيات فى ديوانه ٣١٢/١ ، وهى مقدمة قصيدة مدح بهـا فخر الدولة أبا يعلى حمزة بن الحسن بن العباس بن أبى الجن . وقد عد ابن خلكان (الوفيات ٤١/٢) هذه القصيدة من غرر شعره السائرة .

هو ذاكَ رَبْعُ العامِرِيّةِ(١) فارْبَع واسأَلْ مَصِيفًا عافيا عن مَرْبَعِي(٢)

واسْتَسقِ للدِّمَنِ الخوالى بالحمى غُرَّ السحائِب واعتذِرْ عن أَدْمُعِي

فلقد فَنِينَ أمامَ دانٍ هاجِرٍ فى قُرْبِه ، ووراء ناءٍ مُزْمِعِ(٣)

وقال كُثَيِّر(٤) :

[١٨٦]

خليلىّ عُوجا - وبكُما - ساعةً مَعِى على الربع نَقْضِى حاجَةً ونُوَدِّع(٥)

ولا تُعْجِلانِى أن أُلِمّ بِدِمْنَةٍ لعزَّةَ لاحَتْ لى ببيداء بَلْقَع

وقُولا لقلبٍ قدسَلا راجع(٦)الهَوى وللعين أَذْرِى من دُمُوعِك أودَعِى

فلا عَيْش إلا مثل عيْشٍ مضى لنا مَصِيفا ، أقمنا فيه من بعد مَرْبَع (٧)

وقال الشريف المرتضى - رحمه الله - (٨) :

كيفَ أَرْضَى عن الزمانِ وما أر ضى كريمًا قبلى الزمانُ فأَرْضَى

عَرَصَاتٌ أَصْبَحْن وهى سماء ثم أَمْسَيْن بالحوادِثِ أَرْضَا

ورِباعٌ كانت عرينَ أسود أَصْبحتْ للضِّبَاعِ مأْوًى ومَفْضًى(٩)

وثرى يُنْبِتُ النَّعِيمَ إذا أَنْ [م] بَتَ تُرْبُ البلادِ عُشْبًا وحَمْضا

ولقد مضَّنى هُجومى على الدّا ر بلا آذِن على الباب مَضًّا(١٠)

---

(١) فى الديوان « المالكية » وفى هامشه « العامريه » رواية احدى نسخ الأصل .

(٢) فى الديوان « مربع » من غير اضافة ، ومثله فى معاهد التنصيص/٣٢٣ .

(٣) فى معاهد التنصيص ورد هذا البيت هكذا :

فلقَدْ غَدَوْت أمام دانٍ هاجرٍ فى قُرْبِه ، وراءَ ناءٍ مُزْمِعِ

(٤) الأبيات فى ديوانه ١/١٢٣ وهى من أول القصيدة .

(٥) رواية الديوان « منكما » وماهنا أنسب وكان حقه جزم نقضى فى جواب الأمر ، لولا ضرورة الشعر ، بدليل عطفه نودع عليه مجزوما .

(٦) راجع الهوى : أى عد اليه وارجع .

(٧) المصيف : مكان الاقامة صيفا ، والمربع : الموضع الذى يقيمون فيه ربيعا .

(٨) الأبيات فى ديوانه (القسم الثانى ص ١٦٠ - ١٦٣) من قصيدته التى يذكر فيها ايوان كسرى حين رآه سنة ٣٩٨ هـ ومطلعها :

هل مُجِيرٌ من غُصَّةٍ ما تَقَضَّى أَو شفيعٌ فى حاجة ليس تُقْضَى

وترتيبها هنا يخالف الترتيب الوارد فى الديوان :

(٩) رواية الديوان :

ورِباعٌ كانت غُيُوضَ أُسودٍ أَصبَحَتْ للضِّباعِ مأْوًى ومَفْضَى

(١٠) الديوان (بلا آذن على الدار) . والآذن : الحاجب الذى يأذن فى الدخول .

وقال أبو الطيِّب أحمد بن الحسين المُتَنَبِّى [1] :

أَيَدْرِى الربعُ أىَّ دَمٍ أراقا ... وأىَّ قلوبِ هذا الرَكْبِ شاقَا

لنا ولأهلِه أبدًا قُلوبٌ ... تَلاقَى فى جُسومٍ ما تَلاقَى [2]

فلَيْتَ هوَى الأَحِبَّةِ كان عَدْلًا ... فحَمَّل كلَّ قلبٍ ما أطاقَا [3]

[٨٦ ب]

وقال أيضا [4] :

فدَيْنَاكَ من رَبْعٍ وإن زِدْتَنا كَرْبا ... فإنَّك كنتَ الشَّرقَ للشمسِ والغَرْبَا [5]

وكيف عَرَفْنَا رَسْمَ من لم يَدَعْ لنا ... فؤادًا لعِرفانِ الرُّسومِ ولا لُبَّا

نَزَلْنَا عن الأكوارِ نَمْشِى كرامَةً ... لمن بانَ عَنْهُ أن نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا [6]

نَذُمّ السحابَ الغُرَّ فى فِعْلِها به ... ونُعْرِضُ عنها كُلَّما طلَعَتْ عَتْبا

ذكرتُ به وَصْلًا كأن لم أفُزْ به ... وعيْشًا كأنى كنت أقطَعُه وثْبا [7]

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّى [8] :

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١/٤٥٠ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و٢ و٤) .

(٢) تلاقى : تتلاقى والمعنى : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع قلوب تتلاقى بالذكرى ، أى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، كما قال ابن المعتز :

إنَّا على البِعادِ والتَّفَرّقِ ... لنَلْتَقِى بالذِّكْرِ إنْ لم نَلْتَقِ

(٣) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله ما لا يطيق فجار عليه .
وبين هذا البيت والذى قبله فى الديوان :

وما عفَتْ الرياحُ له مَحَلًّا ... عَفاهُ من حَدَابهمُ وساقَا

(٤) الأبيات فى ديوانه ١/٤٠ من قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ ، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات من ١ – ٤ و ٧ .

(٥) يدعو للربع فيقول . فديناك أيها الربع برغم أنك زدتنا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان كالشمس ، وكنت أنت مشرقه ومغربه حين يظهر وحين يحتجب .

(٦) يقول : نزلنا عن رواحلنا وترجلنا ، كرامة للحبيب – الذى كان فيه ثم زايله – وتقديسا له ، إذ لا يصح أن ننزل بربعه راكبين .

(٧) تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأن لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا سريع التقضى حتى كأنى قطعته ألثب فى جريى .

(٧) الأبيات فى سقط الزند (١٣٩/٢) من قصيدة قالها يخاطب أبا أحمد عبد السلام ابن الحسين البصرى صاحب الدولة ، وكان يكثر النزول عنده أيام اقامته ببغداد ، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و٢ و٦٢ و٦٣) .

تَحِيَّةُ كِسرى فى السناء وتُبَّعٍ ... لِرَبْعِك ، لا أرْضَى تحيَّةَ أرْبُعِ (١)

أمير المغانى لم تَزالِى أميرَةً ... به للغَوانِى فى مَصِيفٍ ومَرْبَعِ (٢)

لقد نَصَحَتْنِى فى المُقام بأرْضِكُم ... رجال ، ولكن رب نُصْحٍ مُضَيِّعِ

فلا كان سيرى عنكم رأىَ مُلْحِدٍ ... يقول بيَأسٍ من مَعادٍ ومَرْجِعِ (٣)

وقال المتنبى (٤)

مُلِثَّ الغَيْثِ أعْطِشْهَا رُبُوعا ... وإلا فاسْقِها السّمَّ النَّقِيعَا (٥)

أسائِلُها عن المُتَدَيِّرِيها ... فما تَدْرِى ولا تُذْرِى دُمُوعا (٦)

لَحاها اللهُ إلا ماضِيَيْها ... زمانَ اللَّهوِ والخَوْدَ الشَّمُوعَا (٧)

[١٨٧]

وقال أيضا (٨) :

دمعٌ جَرَى فقَضَى فى الرَّبْعِ ما وَجَبَا ... لأهْلِهِ وشَفَى أنَّى (٩) ولا كَرَبَا

(١) كسرى : ملك العجم ، وهو تعريب خسرو ، وتبـع : من ملـوك اليمن • يخاطب حبيبته فيقول : ان منزلتك عندى تقضى بأن أحيى ربعك بتحيه الملوك ، ولا أرضى له ما يعتاده المحبون فى تحية أربع الأحباب من الدعاء لها بالسقيا ونحوه •

(٢) أى أن هذا المغنى أمير المغانى ، ثم رجع الى خطاب الحبيبة ، فقال وأنت أيتها الحبيبة لم تزالى أميرة للغوانى بهذا المربع حين نزلت به فى الصيف والربيع •

(٣) ينفى فى هذا البيت أن يكون مسيره عنهم ذهابا بلاإياب اليهم ، كما هو رأى الملحدين الذين ينكرون البعث والنشور ، ويزعمون أنه لا معاد للخلق بعد الموت ؛ وهو نفى على سـبيل الدعاء • أى أدعو ألا يكون سيرى عنكم لا اياب له •

(٤) الأبيات فى ديوانه ٤١٧/١ من قصيدة يمدح بها على بن ابراهيم التنوخى ؛ وهى من أولها على الترتيب •

(٥) فى الديوان : (ملث القطر) والملث : الدائم المقيم • يسأل المطر أن يعطش هذه الربوع فلا يسقيها ، والا يعطشها فليسقيها سما قاتلا. قال ابن وكيع لم يسبق أبا الطيب أحد فى الدعاء على الديار بالسم • والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا لديار الأحبة •

(٦) أسائل هذه الربوع عن الذين اتخذوها ديارا فما تدرى جوابا ، ولا تسـيل دموعا • وكأن هذا تعليل منه لدعائه عليها .

(٧) لحاه : فى الأصل قشره من لحوت العود اذا قشرته ، ثم صار يستعمل فى الدعاء على الشىء. والخود ـ بفتح الخاء ـ الفتاة الناعمة ، والشموع : اللعوب الضحوك . دعـا على الدار الا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الخود •

(٨) الأبيات فى ديوانـه ٨/١ من قصيدة يمدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى ، وهى من أولها على الترتيب •

(٩) معنى أنى : كيف ، يقول : ان دمعه حين جرى قضى ما وجب لأطلال الأحبـة من الحزن عليها ، ثم رجع عن ذلك فقال : وكيف أظن أن بكائى قضى ما يجب وشفى ما فى نفسى ؟ انه لم يقضه ، ولا قارب أن يقضيه ، وهذا ما يسميه البديعيون بالرجوع؛ مثله قول زهير بن أبى سلمى :

قِفْ بالدِّيار التى لم يَعْفُها القِدَمُ ... بلى ، وغَيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ

عُجْنا فأذهبَ ما أبقى الفِراقُ لنا من العُقولِ، وما رَدّ الذى ذَهَبَا(١)
سَقَيْنُه عَبراتٍ ظَنَّهَا مَطَرا سوائِلًا من جُفون ظنّها سُحُبا(٢)

وقال أيضا (٣) :

بكَيْتُ ياربْعُ حتى كدتُ أُبْكِيكَا وجُدْتُ بى وبدمعى فى مَغانِيكا
فعِمْ صَبَاحًا لقد هيَّجْتَ لى شَجَنًا واردُدْ تحيّتَنا إنا مُحَيُّوكَا
بأىِّ حُكْمِ زمانٍ صِرْتَ متَّخِذًا رِيمَ الفَلا بَدَلًا من رِيمِ أهْلِيكا؟! (٤)
أيامَ فيك شُموسٌ ما انْبَعَثْنَ لنا إلا انْبَعَثْن دَمًا باللّحظِ مَسْفُوكًا(٥)

وقال أبو فِراسِ بنُ حَمْدان (٦) :

[٨٧ب]

علىَّ لِرَبْعِ العامِرِيَّةِ وقْفَةٌ يُمِلّ(٧) علىَّ الشوقَ والدمْعُ كاتِبُ
فلا وأبى العُشَّاقِ ما أنا عاشِقٌ إذا أنا(٨) لم تَلْعَبْ بصبْرِى الملاعِبُ
ومِنْ مَذْهَبى حبُّ الديارِ لأَهْلِها وللناسِ فيما يَعْشقون مذاهِبُ(٩)

وقال جميل بن سالم ، وتروى لشهبر (١٠) :

---

(١) عاج بالمكان : وقف به .

(٢) فى البيت مبالغة خففها استعمال الفعل ظن .

(٣) الأبيات فى ديوانه ٢/٣ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحترى ، وهى من أولها على الترتيب وروايتها هنا متفقة مع رواية الديوان .

(٤) الرئم : الظبى الخالص البياض ـ الفلا : جمع فلاة وهى الصحراء ، والأرض الواسعة المقفرة ، يعجب من صروف الزمان التى بدلته بساكنيه ظباء تمشى فى نواحيه .

(٥) انبعثن : تحركن أى ذهبن وجئن ، وابتعثن : أسلن ، يعنى أن الحسان اللائى كن فيك أيها الربع ماظهرن لنا الا أبكيننا دما مصبوبا بنظرنا اليهن ، وهو كقول أبى نواس :

يا ناظِرًا ما أقْلَعت نَظَراتُه إلا تَشَحَّطَ بينهن قَتِيلاً

(٦) الأبيات فى ديوان أبى فراس (بتحقيق سامى الدهان ط بيروت ١٩٤٤) من قصيدة كتب بها الى أخيه أبى الهيجاء حرب بن سعيد يعذله على عظيم ما لحقه عند أسره من الجزع ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٥ ـ ٧) .

(٧) فى الديوان : « تمل » وتأويله أن فاعل الاملال هو الوقفة ، وأن الدمع هو الكاتب ، وفى هامشه اشارة الى رواية أخرى هى « فتملى على » .

(٨) فى الديوان : « اذا هى » .

(٩) الشطر الثانى منهذا البيت تذييل جرى مجرى المثل .

(١٠) البيت الأول فى ديوان جميل بن معمر/٣٢ (جمع بشير يموت ط بيروت سنة ١٩٣٤) وقد ورد كروايته هنا ومثله فىديوانه /١٠٠ (طمصر) ومعه بيت ثان هو :

رَأَيْتُك تأتى البيتَ تُبْغِضُ أهْلَه وقَلْبُكَ فى البيتِ الذى أنتَ هاجِرُهْ

أتهجرُ هذا الربعَ أم أنت زائِرُهْ   وكيف يُزار الربعُ قد بان عامِرُهْ؟!
فَذ (1) العَرْشِ قد أجْرَمْتُ في أن هَجَرْتُها   وما يكُ من ذَنْب فإنك غافِرُهْ

قد تقدمت هذه الأبيات – بزيادة فيها – منسوبة إلى جميل بن مَعْمر العُذْرِيّ .

وقال أبو تمام(2) :

يا ربعُ لو رَبَعُوا على ابنِ هُمومِ   مُسْتَسْلِمٍ لجَوَى الفِراقِ سَليمِ؟(3)
قد كنتَ معهودًا بأحسنِ ساكِنٍ   مِنَّا ، وأحْسَنِ دِمْنَةٍ ورُسومِ
أيامَ للأيامِ فيك غَضَارَةٌ   والدهرُ فيَّ وفيك غيرُ مُليمِ(4)

وقال نُصيْبٌ :

ولو أنَّ رَبْعًا راجَعَ القولَ قبلَه   لرَدَّ السَّلامَ رَبْعُ سُعْدَى وسَلَّما
ولكنَّهُ هاجَ الهَوَى لمُكَلَّفٍ   لسُعْدَى وأمْسَى دارسَ العِلمِ أعجما

[188 أ]

وقال الرَّمَّاح بن مَيّادَة – وميّادةُ أُمُّه ، وهي سِنْديّه ، وأبوهُ الأَبْرَدُ(5) بنُ ثَوْبَانَ بنِ سُرَاقَةَ بن سَلْمَى بن ظالم – من قصيدة يمدح بها يزيدَ بنَ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَان(6) :

هل ينطقُ الربعُ بالعَلْياءِ غيَّره   سافِي الرِّياح ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ(7)
جَرَتْ به ذاتُ أذيالٍ مُزَعْزِعةٌ   لها تقِيٌّ ، وذيلٌ عارِمٌ حَصِبُ(8)
تَكْسُو معارِفَه حِبَرًا(9) تُجَدِّدُه   من التّرابِ ، وأُخرى بعدُ تستَلِبُ
دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٌّ مسارِحُها   كأنَّها ظبيةٌ تَرْعَى وتَنْتَصِبُ

---

(1) كذا بالأصل ، وتقديره « فيا ذا العرش » .

(2) الأبيات في ديوان أبي تمام 3/261 من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم ، وهي من أولها على الترتيب .

(3) في الديوان « سقيم » والسليم : اللديغ ، سمي بذلك تفاؤلا .

(4) غضارة العيش : سعته ورغده ؛ ومليم: من قولهم : ألام فلان ، اذا أتى ما يلام عليه ؛ أو صار ذا لائمة ، والمعنى : حين كنا في رغد من العيش لم يفعل الدهر بي ، ولا بك ما يلام عليه .

(5) كذا في الأصل ، وفي القاموس ورد « أبرد » من غير (ال) .

(6) أنظر الأغاني 2/88 – 120 ، وقد أورد الأصفهاني البيتين : الأول والرابع من الأبيات الواردة هنا ، وذكر أن القصيدة طويلة ، وأورد مختارات منها .

(7) في الأغاني : « هَلْ تَعْرِفُ الدارَ بالعلياءِ غَيَّرها . . . »

(8) الريح الحصب : الذي يحمل الحصباء .

(9) الحبر : واحده حبره (بفتحات) وهي الملاءة من الحرير ، وثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع في اليمن .

جَاوَرْتُهَا رَجَبًا أَيامَ ذى سَلَمٍ ثم انْصَرَمَتْ ولاقى دونها رَجبُ

وقال الشريف الرضى – رضى الله عنه – :

مَثَّلْتُ رَبْعَكِ والمراحِلُ دُونَه نُصْبَ[1] الضَّمير فكنتُ فى مَغْنَاكِ
ورأيْتُ ظَبْيًا واقفا بفِنائكم يرنُو إِلَىَّ كما رَنَتْ عيناكِ
فبكيتُ من أَسَفٍ عليكِ وإِنَّمَا أَجْرَى مدامعَ مُقْلَتَىَّ ذكراكِ
قالت : أكنت نَسِيتَنا فذكرتَنَا للظَّبيِ تَشْكُرُ ، لا لدمْعِ الباكى

[٨٨ب]

وقال آخر[2] :

سَقْيًا لِرَبْعِكِ من رَبْعٍ بِذِى سَلَمٍ وللزَّمَانِ بِهِ إِذْ ذاكَ من زَمَنِ
إِذْ أَنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصِيَةٌ وإِذ أَجرُّ إليكم سادِرًا رَسَنِى[3]

وقال مهيار[4] :

استنجدُ[5] الرِّيحَ من سُلَيْمَى مرًّا على ربْعِهَا المُحِيلِ[6]
ولَمْ أَخَلْ قبلَها شِفائِى عند نَسِيمِ الصَّبا العَلِيلِ
وأَقْتَضِى أَذْرُعَ المَطايا مااستَصْحَبت من ثَرَى الطُّلُولِ

وقال آخر :

أَرَبْعَ سلاَمَةَ بالمُنْحَنَى بخَيْفِ سَلْعٍ[7] جادَكَ الهاطِلُ
إِنْ تُمْسِ وَحْشًا فبما قد تُرى وأَنت معمورٌ بهم آهِلُ

---

(١) نصب الضمير : أمام الضمير ، كقولك : هو نصب عينى .

(٢) البيتان للأحوص وقد أوردهما الأصفهانى مما غنى فيه من شعره (الأغانى ٤/٢٦٢ ط بولاق) والرواية هنا متفقة مع رواية الأغانى .

(٣) الرسن : ما كان من الأزمة على الأنف ، يقال : رمى برسنه على غاربه ، اذا خلى سبيله فلم يمنعه أحد مما يريد .

(٤) الأبيات فى ديوانه (٣/٩٨) من قصيدة كتب بها الى الأستاذ أبى المعالى بن عبد الرحيم يهنئه بالمهرجان ، ومطلعها :

نوازِعُ الشَّوْقِ والغَليلِ عَلَىَّ أَخْنَى من العَذُولِ

(٥) رواية الديوان « واسْتَرْوَحَ الريح من سُلَيْمى » وعلق عليه شارحه بأن كلمة « استروح » مطموسة فى الأصل ، وما أثبته ترجيح ؛ وما هنا أولى بالترجيح .

(٦) ضبطه فى الديوان بضم الميم ، وفسره بأنه الذى مرت عليه أحوال أى سنون ، فغيرته .

(٧) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء ، وسلع : مواضع كثيرة منها : جبل بسوق المدينة ، وحصن بوادى موسى قريب من بيت المقدس ، وجبل فى ديار هذيل .

وقال أخي عزُّ الدولة أبو الحَسَن عليّ بن مُرْشِدٍ ـ رحمه الله ـ :

أرْبَعْ بتلك الأرْبُعِ ... بين اللِّوَى فالأجْرَعِ [1]
وقف ولو رجع الصدى ... وِقفةَ صَبٍّ مُوجَعِ
وسَلْ صَباها إن سَرَتْ ... عن الغزالِ الألمعِ
إن كان قد أتْهَمَ لما [م] ... أنْجَد الوَجْدُ مَعِي
كم لى إليهِ أنّةٌ ... تُقِيمُ عُوجَ أضلُعِي
أودَعْتُه قلبيَ فلَمْ ... يَرْعَ حقوقَ المُودَعِ
وإن يكن خانَ ولم ... يرْعَ حُقوقِي فَرُعِي
فيازمانِى والصِّبا ... هَلْ فِيكُمَا مِنْ مَطْمَعِ ؟
وهل لأيَّام التصا ... بِي والحمى من مَرْجِعِ ؟!
ويا غُرَابَ البَيْنِ طِرْ ... بعد الفراق أو قَعِ
فما أبالى بعدهُمْ ... كيفَ أتانِى مَصْرَعِى

---

(1) يقال ربع بالمكان (من باب فتح) اذا أقام به .

٦ ـ فصـــل فى ذكر الدمن (*)

قال رُقَيْعُ بن عُبَيد بن صيفى :

أَلم تُلْمِمْ على الدِّمَنِ البوالِى ... ديارِ الحى فى الحِجَجِ الخَوَالِى
عفَتْها كلُّ مُعْصِرَةٍ ، ومَرٌّ ... من إلأيامِ بعدَكَ والليالِى
فأبْقَى من معا رِفِها قَلِيلًا ... عَيِيًّا ـ حين يُسْأَلُ بالسُّؤالِ
بها عَمرُوا ، وكلُّ نَعِيمِ عَيْشٍ ... من الدُّنيا يصيرُ إلى زَوَالِ
هُمُ كانوا الحُماةَ وكان فيهم ... ذَوُو الأفْضَالِ والأَيْدِى الطِّوالِ

وقال البحترى(١) :

أَلِفُوا الفِراقَ كأَنَّهُ وطَنٌ لَهُمْ ... لا يَقْرَبُون إليهِ حتى يُبْعَدوا
فى كلِّ يومٍ دِمْنَةٌ من حَيِّهم(٢) ... تُقْوِى ، ورَبْعٌ منهم يتأبَّدُ
أسنِدْ صُدور اليعْمَلاتِ(٣) بوقْفَةٍ ... فى الماثِلات كأنَّهن المُسْنَدُ(٤)
دِمَنٌ تقاضاهُنَّ إعلانَ(٥) البِلَى ... هُوجُ الرياحِ البادِياتُ العُوَّدُ

(*) الدمن : جمع دمنة ، ودمنة الدار: أثرها، والدمنة أيضا: آثارالناس وماسودوا، وقيل: ما سودوا من آثار البعر وغيره ، والدمن (بكسر الدال وسكون الميم) : البعر ، ودمنت الماشية المكان : بعرت فيه وبالت ، ودمن القوم الموضع : ســـودوه وأثروا فيـــه بالدمن ، قال عبيد ابن الأبرص :

مَنْزِلٌ دمَّنَهُ آباؤُنَا الْـ ... مُورِثُونَ الْمَجْدَ فى أُولى اللَّيالِى

وقال كثير :

أَحَبُّ الأَرْضِ أَرْضٌ دَمَّنُوها ... وكانَ لهم بها يومًا قَرارُ

(١) الأبيات فى ديوانه (١٧٥/١ و ١٧٦) قصيدة يمدح بها أبا أيوب ، ومطلعها :

يا يومُ عَرِّجْ ، بل وَرَاءَكَ يا غَدُ ... قَدْ أَجْمَعُوا بَيْنًا وأَنْتَ المَوْعِدُ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ٧) .

(٢) فى الديوان (من حبهم) وهو تحريف ، والصواب ما هنا . وبين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

أَوَمَا كَفانَا أَنْ بَكَيْنَا غُرَّبًا ... حتى شَجانَا بالمَنَازِلِ تَهْمَدُ

(٣) اليعملات : واحده يعمـلة ، وهى الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل .
(٤) أراد بالمسند : الخط الحميرى القديم ،وكنى به عن قدمها .
(٥) فى الديوان (اعلام البلى) .

[٨٩ ب]

حتى فَنِينَ ، وما البَقاءُ لواقِفٍ والدهرُ فى أَطْرافِهِ يترَدَّدُ

وقال أيضا (١) :

بين السَّقيفَةِ فاللِّوى فالأَجْرَعِ دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ

فكأَنَّما ضَمِنَتْ معالِمُها الذى ضَمِنَتْهُ أَحْشَاءُ المحبِّ المُوجَعِ

ولو اَنَّ أنواءَ(٢) الربيع تُطيعُنى لشَفَى الرَّبيعُ غَليلَ تلك الأَرْبُعِ

ما أَحسَنَ الأَيامَ(٣) إلا أنَّها تَمْضِى بنا ، وإذا مضت لم تَرْجعِ

وقال أيضا (٤) :

ما جَوُّ خَبْت(٥) وإن نأَتْ ظُعُنُهْ تاركُنا أو تَشُوقُنا دِمَنُهْ(٦)

إذا استَجَدَّتْ دارًا تعلَّقَها بالإِلْف حتى كأَنَّها وَطَنُهْ

تالله ما إنْ يَنِى يُدَلِّهُنا سُرورُ(٧) هذا الزَّمانِ أو حَزَنُهْ

وقال أبو تمام(٨) :

دِمَنٌ أَلَمَّ بها فقالَ سلامُ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلمامُ

نُحِرَتْ رِكابُ الرَّكْبِ حتى يُغْبِرُوا (٩) رَجْلَى ، لقد عنُفُوا علىّ ولاَمُوا

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/١٠٠) من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد ، وهى من أولها على الترتيب .

(٢) الديوان (لو أن أنواء) .

(٣) الديوان (لَوْلا أَنَّها يا صاحِبَىَّ إذا مَضَتْ . .)

(٤) الديوان (٢/٢٨٨) من قصيدة يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدى : ويقابل هذه الأبيات من القصيدة (١ و ٣ و ٤) .

(٥) خبت : اسم لمواضع عدة ، فهو علم لصحراء بين مكه والمدينة ، وهو أيضا : ماء لكلب ، وقرية من قرى زبيد .

(٦) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

يَعُودُ للصَّبِّ برْحُ لَوْعَتِه إن عَاوَدَ الصَّبَّ فى دَد دَدَنُهْ

(٧) فى الديوان (شرور) وهو تحريف والصواب ما هنا لمقابلته بحزنه .

(٨) الأبيات فى ديوانه ٣/١٥٠ من قصيدة يمدح بها المأمون، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٧ – ١٠) .

(٩) يغبروا رجلى : يبقوا راجلين ، جمع راجل وهو خلاف الراكب . دعا عليهم بنحر ركائبهم ليتلبثوا فى الديار ، فيقضى وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاء على لومهم وفى الديوان « ركاب القوم » .

ولعل صوابه « يعبروا » ويكون المعنى ، أنه دعا عليهم بأن تنحر ركابهم ليمروا بها راجلين مهابة لها ، وينظر اليه قول المتنبى :

نَزَلْنا عن الأَكْوار نَمْشِى كَرامَةً لمن بانَ عنه أَنْ نُلِمَّ به رَكْبَا

[٩٠ أ]

وقَفُوا عليَّ اللومَ حتى خيلُوا ... أنَّ الوقُوفَ على الدِّيارِ حرامُ(١)

لا مَرَّ(٢) يومٌ واحدٌ إلا وفي ... أحشائِه لِمَحَلَّتَيْكِ غَمامُ

ولقد أراكِ فهل أراكِ بِغِرَّة (٣) ... والعَيْشُ غَضٌّ والزَّمانُ غُلامُ

أعْوامُ(٤) وَصْلٍ كان يُنْسِي طولَها ... ذِكرُ النَّوى فكأنَّها أيّامُ

ثم انبَرتْ أيامُ هَجْرٍ أرْدَفَتْ ... بِجَوًى أسىً فكأنَّها أعوامُ

ثم انقَضَت تلك السّنونُ وأهْلُهَا ... فكأنَّهُمْ وكأنَّها أحلامُ(٥)

وقال مَهْيار (٦) :

دِمَنٌ كمَسْحَبَةِ الأزِمَّـ ... ـةِ مُسْحَلًا إمرارُها (٧)

ما تَتْ حقائِقُها وخُلِّـ ... ـدَ زُورُها ومُعَارُها

وامتَدّ ليلُ السّافِيا(٨) ... تِ بجَوّها ، ونهارُها

عِنْدِي لها إن أجْدَبَتْ ... وكّافَةٌ(٩) تمتارُها (١٠)

أنِسَت بإسْبالِ الدُّمو ... ع ، كأنَّها أشْفارُها(١١)

---

(١) لقد أكثروا فى لومى حتى جعلوا من يسمعهم يظن أن ما أفعله من الوقوف على الديار حرام .

(٢) فى الديوان « ما مر » وفى هامشه اشارة الى رواية بعض النسخ « لا مر » يدعو للديار بدوام السقيا حتى لا يمر يوم واحد الا ويحمل اليها فى أحشائه الغمام ، وبعده فى الديوان ، وبه تمام المعنى :

حتّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَا ... من نَوْرِهِ وتأزَّرَ الأهْضَامُ

(٣) فى الديوان « بغبطة » وفى هامشه ، وروى « بعزة » والعيش الغض : الناعم اللين ، ومعنى « والزمان غلام » انه يتصرف على ارادتنا تصرف الغلام ، أو أن الزمان مقتبل طرى .

(٤) رواية الديوان بنصب أعوام ، جعله المرزبانى منصوبا بهل أراك .

(٥) فى الديوان « فكأنها وكأنهم أحلام » .

(٦) الأبيات فى ديوانه (٣٩٨/١) من قصيدة كتب بها الى ابى المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز ، ومطلعها :

لِمَنِ الطُّلولُ تَراقَصَتْ ... نَجْوَى حَشاكَ قِفارُها

(٧) سحل الشيء ، قشره ونحته ، ويقال : سحلت الريح الأرض .

(٨) السافيات : الرياح التى تذرو التراب .

(٩) الوكافة : مبالغة من الواكف وهو المطر المنهل ، أراد عينه .

(١٠) تمتارها : يقال امتار لأهله : جمع لهم الميرة (م ى ر) فعدى الفعل بنفسه . والمعنى ان عينه تكفلت بسقيا هذه الأرض .

(١١) الأشفار : جمع شفر ، وهو حرف كل شيء ، وشفر الجفن : حرفه الذى ينبت عليه الهدب .

فصل آخر فى ذكر الدمن

قال زُهَيْرُ بنُ أَبى سُلْمَى ، واسمُه ربيعةُ بن رَزَاح(١) المُزَنِى(٢) :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ بحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ(٣)

ديارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأَنَّها مراجِعُ وَشْمٍ فى نواشِرِ مِعْصَمِ(٤)

[النواشر] : عصب الذراع .

بها العِينُ والآرامُ يَمْشِين خِلْفَةً وأَطلاؤها يَنْهَضْنَ من كُلِّ مَجْثَمِ(٥)

وَقَفْتُ بها من بعد عشرينَ حِجَّةً فلأْيًا عرفْتُ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ

فلما عَرَفْتُ الدّارَ قُلْتُ لِرَبْعِها : أَلا انْعِمْ صَباحًا أَيها الرَّبْعُ واسْلَمِ(٦)

وقال النَّابغةُ الذبيانى(٧) :

عُوجُوا فحَيُّوا لنُعْمٍ دِمْنَةَ الدّارِ ماذا تُحَيّون من نُؤْيٍ وأَحْجَارِ

---

(١) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة/٥٧ (.. ربيعة بن قرط) وقال : والناس ينسبونه الى مزينة ، وانما نسبه فى غطفان ، وذكر بيت شعر لكعب بن زهير فيه نسبتهم الى مزينة ، قال وليس لهم غيره .

(٢) الأبيات فى ديوانه/٤ وهى من أول معلقته المشهورة التى يمدح بها الحارث بن عوف ، وهرم ابن سنان على ماقدما فى حرب داحس والغبراء لاقرار الصلح وحسم الدماء .

(٣) يريد : أدمنة من منازل أم أوفى لم تكلم ، والاستفهام للتوجع ، وحومانة الدراج - بفتح الدال ويروى بضمها - : أماكن غلاظ منقادة . والمتثلم - بكسر اللام ويروى بفتحها ، وهذه المواضع بالعالية ، وفى اللسان مادة (درج) بحومان بالدراج .

(٤) فى الأصل مراجع وشى ، والمثبت رواية الديوان والمعلقات ، وروى أبو عمرو « ودار لها بالرقمتين .. » والرقمتان: احداهما قرب المدينة ؛ والأخرى قرب البصرة ، أراد بينهما والنواشر : عصب الذراع ، والمعصم مكان السوار : يقول : كأن ما بقى من هذه الديار مراجع الوشم .

(٥) العين : البقر ، الواحدة عيناء ، والآرام : الظباء البيض الخوالص البياض ، وخلفة : معناه اذا مشى فوج أتى فوج ، كقوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً » : يخلف أحدهما الآخر .

(٦) بين هذا البيت والذى قبله - فى الديوان - هذا البيت :

أَثافِىَّ سُفْعًا فى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ونُؤْيًا كحَوْضِ الجُدِّ لم يَتَثَلَّمِ

ورواية الأصمعى للشطر الثانى منه : « أَلاعِمْ صَباحًا أَيها الرَّبْعُ واسْلَمِ »

(٧) هذه الأبيات مقدمة قصيدة للنابغة مشهورة ، وهى من المجمهرات ، وقد عدها أبو زيد من معلقة النابغة ، وهى فى ديوانه ١٠٩ (ط القاهرة) وفى جمهرة اشعار العرب/٧٧ وقد وردت هنا على الترتيب ، وسوف يوردها المصنف فى موضع آخر من هذا الكتاب . مع زيادة ونقص فى الأبيات .

أقْوَى وأقْفَرَ من نُعْمٍ وغيَّرها ... هُوجُ الرِّياح بهابي[1] التُّربِ مَوّارِ

وقفتُ فيها سَراة اليوم أسألُها ... عن آلِ نُعْمٍ أمُونًا عُبْرَ أسْفَارِ[2]

فاستعجَمَتْ[3] دارُنُعْمٍ ماتُكَلِّمُنا ... والدارُ لو كَلَّمَتْنا ذاتُ أخْبَارِ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي[4] : [٩١ ب]

أهاجَكَ مغْنى دِمْنَة ومَساكِنُ ... خَلَتْ وعَفَاها المُعْصِراتُ السّوافِنُ[5]

(السوافن) : أراد السّوافى .

دِيارُ ابنَةِ السَّعْدِيّ[6] إذعَقْدُحَبْلِها ... متينٌ ، وإذ مَعْروفُها لك عاهِنُ

(عاهِنْ) :حاضِر .

ومازِلْتُ فى ليلى لَدُنْ طُرَّشارِبى ... إلى اليوم أُطْفِى إحْنَةً[7] وأُداجِنُ[8]

وأحْمِلُ فى ليلى لقوم ضَغِينَةً[9] ... وتُحْمَلُ فى ليلى علىَّ الضَّغائِنُ

---

(١) فى الديوان ، والجمهرة « وغيره » وهابى الترب : سافيه ، والمـوار : المضطرب الذى يجىء ويذهب .

(٢) سراة اليوم : وسطه ، والأمون : الناقة التى يؤمن عثـارها ؛ أو القوية الصلبة ، وعبر اسفار ـ بتثليث العين ـ وعبر سفر أيضا : قوية على السفر تشق ما مرت به ، وتقطع الأسـفار عليها .

(٣) استعجمت : عيت عن الجواب .

(٤) الأبيات فى ديوانه ١/٢٠٣ وما بعدها ما عدا البيت الأول ، وقد أورد الجـاحظ فى (المحاسن والأضداد/١٦٠) المناسبة التى قيلت فيها ، ولم يورد البيت الأول منها ، وهو فيما يبدو مطلعها ، لما فيه من تصريع . والأبيات من ٢ ـ ٤ يقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيـات (١ و ٩ و ١٠) .

(٥) المعصرات : السحائب تعتصرها الرياح بالمطر ، السوافن : الرياح التى تسفن وجه الأرض كأنما تمسحه ، وقيل كأنما تقشره ، ويقـال : سفنت الريح التراب اذا جعلته دقاقا (اللسان) .

(٦) رواية الديوان « ابنة الضمرى » وكذلك ورد فى اللسان مادة (ع هـ ن) وفسر العاهن فيه بالحاضر الثابت ، ويقال : مال عاهن ، أى حاضر ثابت .

(٧) فى الديوان « أخفى حبها وأداجن » والمداجنة حسن المخالطة ، وفى حاشية الأمير على المغنى ١/١٩٢ (ط التجارية) ـ ونسبه لكثير ـ ولعله من قصيدة أخرى .

وما زِلْتُ من لَيْلى لَدُنْ طُرَّ شارِبى ... إلى اليَوْمِ كالمُقْصَى بكلِّ سَبِيلِ

(٨) المداجنة : المداهنة ، وهى المصـانعة واللين ، وقيل : اظهار الانسان خلاف ما يضمره (اللسان) .

(٩) الأغانى ٢/١٣٩ ... وأَحْمِلُ فى ليلى ضَغائِنَ مَعْشَرِ

والضغائن : مفردها ضغينة ، وهى الحقد والعداوة .

وقال ذو الرمّة (١) :

تَحِنُّ إلى مَىٍّ كما حَنَّ نازِعٌ ... دَعاه الهَوى فارتَدّ فى قَيدِهِ قَسْرا (٢)

فقلتُ : أرْبَعا ياصاحبيَّ بدِمْنَة ... بذى الرِّمْثِ قد أقْوَتْ منازلُها عَصْرا(٣)

أرَشَّتْ بها عيناك حتى كأنَّما ... يُحِلّان(٤)من سفح الدموع بها نَذْرَا

ولا مَىَّ إلا أن تَزُورَ بمُشْرِف ... أو الزُّرْقِ من أطلالِها دِمَنًا قَفْرا(٥)

وقال أيضا(٦) :

أمِنْ دِمْنَةٍ بين القِلاتِ وشارِعٍ(٧) ... تصابَيْتَ حتى ظَلّت(٨)العينُ تَدْمَعُ

أجَلْ عَبْرةٌ ظَلّتْ إذا ما وَزَعْتُها ... بحِلْمِى أبَتْ منها عوارضُ تُسْرِع (٩)

وما يَرْجِعُ الوَجْدُ الزَّمانَ الذى مَضَى ... وما لِلْفَتَى فى دِمْنَةِ الدّارِ مَجْزَعُ(١٠)

عشِيّةَ مالى حِيلَةٌ غير أنّنى ... بلَقْطِ الحَصَى والخَطِّ فى الدّار مُولَعُ(١١)

[١٩٢]

---

(١) الأبيات فى ديوانه/١٧٠ ويقابلها من القصيدة الأبيات من ٢ — ٥) .

(٢) فى الديوان . (فارتاد من قيده قصرا) وفسره بقوله : ارتاد من قيده السعة فوجده مقصورا ، وقيل قصرا ، أى ضيقا. ونازع: بعير يحن الى وطنه ، يقول : تحن الى مى كما حن هذا البعير لصاحبته .

(٣) اربعا : أقيما — أقوت : اقفرت وخلت —ـ عصرا : دهرا . وذو الرمث : موضع ينبت فيه الرمث .

(٤) فى الديوان (تحلان) ومعنى أرشت : سالت بالبكاء ، يقول: لما رأيت منازلها بكيت، فكأن عينيك تريان عليهما نذرا لا بد من قضائه .

(٥) يقول : لا تقدر عليها حتى تقطع اليها بلدا قفرا بعيدا ، والأطلال ما شخص من آثار الديار ، والقفر : الخالية ، والدمن : المنازل .

(٦) الأبيات فى ديوانه/٣٤١ ويقابلها من القصيدة فيه الأبيات ١ و ٢ و ٥ و ٦ و ٩ وفى الزهرة/١٩٤ و١٩٥ نسبها الى جران العود ؛ وقال : ومنهم من ينسبها لذى الرمة .

(٧) القلات : قلات الصمان . وهى نقر فى رءوس قفافها يملؤها ماء السماء فى الشتاء، وشارع من جبال الدهناء ، وقد أورد ياقوت هذا البيت فى تعريفه بالموضعين .

(٨) فى الديوان (كدت) مكان (ظلت) ومعنى وزعتها : كففتها .

(٩) فى الديوان (عَواصٍ تَسَرَّعُ) .

(١٠) الديوان (ولا للفتى من دمنة الدار) وفى الزهرة « ولا للفتى فى ... »

(١١) الديوان (.. والخط فى الترب مولع) . وفى هامشه رويت أبيات منها منسوبة لجران العود — كما ذكر صاحب الزهرة — وصحح الرياشى نسبتها الى ذى الرمة ، والرواية فيها (والخط فى الأرض) .

أَخُطُّ وأَمْحُو الخَطَّ ثم أُعِيدُهُ   بكفِّيَ والغِرْبانُ فى الدار وُقَّعُ [1]

كأَنَّ سِنانًا فارسيًا أصابنى   على كَبِدِى ، بل لوعةُ الحُبّ أَوْجَعُ [2]

ألا لَيْتَ أيامَ القِلاتِ وشَارِعٍ   رَجَعْنَ لنا ، ثُمّ انقضى العيشُ أَجْمَعُ

وقال أيضا [3] :

أمِنْ دِمْنَةٍ بالجوّ جَوّ جُلاجِلٍ   زَمِيلُكَ منْهَلُّ الدّموعِ جَزُوعُ [4] ؟

عَصَيْتُ الهَوَى يوم القِلاتِ وإنَّنى   لِداعِى الهَوَى يوم النَّقا لَسَمِيعُ [5]

أَرَبَّتْ به هوجاءُ تَسْتَدْرِجُ الصَّبَا [6]   مُفَرَّقَةً تَذْرِى التُّرابَ جَمُوعُ

أَراجِعَةٌ يا مىُّ ايامُنا الأُلَى   بذى الرِّمْثِ ، أم لا مالَهُنَّ رُجُوعُ ؟

ولو لم يَهِجْنِى الظَّاعِنُون لهاجَنِى   حمائمُ وُرْقٌ فى الدّيار وُقُوعُ [7]

تجاوَبْنَ فاستَبْكَيْنَ من كان ذَاهَوًى   نوائِحُ لم تَذْرِفْ لهُن دُموعُ [8]

وقال كُثَيِّر بنُ عبد الرحمن [9] :

---

(١) هذه رواية الديوان وفى هامشه يروى (.. والغِزْلانُ حَوْلىَ وُقَّعُ) . وفى الزهرة . . وأَمْحُو كُلَّ خَطٍّ خَطَطْتُه

(٢) الديوان (لوعة البين) وما هنا يوافق الزهرة .

(٣) الابيات فى ديوانه/٣٥٢ وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٤) الزميل : الرفيق، وجلاجل بضم جيمه الأولى (وبعضهم بفتحها) وكسر الثانية ــ وكتبه بعضهم بحاءين ــ : جبل بالدهناء .

(٥) الديوان (لمطيع) مكان (لسميع) .

(٦) الديوان (أَرَبّتْ بها هَوْجاءُ تَسْتَدْرِجُ الحَصَى) وهو أحسن ، ومعنى أربت : أقامت ، الهوجاء : ريح شديدة كأن بها هوجا .

(٧) الديوان :

ولَوْ لَمْ يَشُقْنِى الظَّاعِنُونَ لشاقَنِى   حَمَامٌ تَغَنَّى فى الدّيارِ وُقُوعُ

(٨) الديوان (نَوَائِحُ مَا تَجْرى لهُنَّ دُمُوعُ) .

وانظر ص (١٥٣) فقد اورد الأبيات الثلاثة الاخيرة .

(٩) البيتان (١ و ٢) فى ديوانه ١٧/٢ من قصيدة يهجو فيها بنى ضمرة ،ويفخر بقومه ، أما البيتان (٣ و ٤) فلم يردا فى ديوانه ، وما تضمناه من معنى وثيق الصلة بقصيدة أخرى فى ديوانه (١٧٤/٢ وما بعدها) مطلعها :

أَلَمْ يَأْنِ لِى يَا قَلْبُ أَنْ أَتْرِكَ الجَهْلَا   وأَنْ يُحْدِثَ الشَيْبُ المُلِمُّ لِىَ العَقْلَا؟

ومنها :

فأَهْلًا وَسَهْلًا بالذى شَدّ وَصْلَنا   ولا مَرْحَبًا بالقائِلِ : اصْرِمْ لهاحَبْلَا

[٩٢ ب]

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما مِثْلَا(١) بحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد زَانَتَا حَقْلَا(٢)

نَجَاءُ الثُّرَيَّا كلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ تجودُهما جَوْدًا وتُرْدِفُهما وَبْلَا(٣)

إذا شَحَطَتْ دارٌ لعَزَّةَ لم أجِدْ لها فى الألى يَلْحَيْنَ(٤) فى وَصْلِها مِثْلَا

فيا ليت شِعْرِى والحوادِثُ جَمَّةٌ متى تجمعُ الأيامُ يومًا بها شَمْلَا؟

وقال أرْطَاةُ بنُ كَعْبِ بن قُعَيْن :

يا دارةَ السَّلَمِ التى شَرقِيُّها دِمَنٌ يَظَلُّ حمامُها يُبْكِينَا

ما كنتُ أوّلَ من تَفَرَّقَ شَمْلُه ورأى الغَدَاةَ من الفِراقِ يَقِينَا

وقال ذو الرُّمَّةِ غَيْلان(٥) :

خَلِيلَىَّ عُوجا حَيِّيَا رسمَ دِمْنَةٍ مَحَتْها الصَّبَا بَعْدِى وطارت خِيامُها

هل الدّارُ إن عُجْنَا ـ لك الخيرُ ـ ناطِقٌ بحاجَتِنَا أطلالُها وثُمامُها ؟ !

ألا لا ، ولكن عائِدُ(٨) الشوقِ هاجَه عليكَ طُلولٌ قد أحالَ مُقامُها

منازلُ من مَىٍّ بوَهْبَيْنِ جادَها أهاضِيبُ طَلٍّ دَجنها وانْهِمامُها(٩)

وقال أحمر بنُ الأَيْهَمِ التغلَبِىّ :

[٩٣ أ]

أَلْمِمْ على دِمَنٍ تقادَم عهدُها بالجزْع واسْتَلب الزمانُ جَمالَها

---

(١) فى الديوان « أهلا » .

(٢) فى الديوان « رابتا » وأشار شارحه الى انه يروى « زابنتا » .
ويروى « زابنى » وفى الأغانى (٤١/١١) أن هذا البيت ليس لكثير ، وانما هو للأفوه الأودى ، فانتحله كثير

(٣) النجاء : المطر الشديد ، والجود : المطر الواسع الغزير ، ورواية الديوان :
« يَجُودُهُمَا جَوْدًا وَيَتْبَعُهُ وَبْلَا »

(٤) يلحين : يلمن ، يقال : لحا الرجل يلحاه لحيا : لامه وشتمه وعنفه .

(٥) الأبيات فى ديوانه/٦٤١ ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و ٦ و ٧ و ٨) .

(٦) فى الديوان (وطار ثمامها) . (٧) فى الديوان (أطلالها وخيامها) .

(٨) فى الديوان (ولكن عائج الشوق » .

(٩) جادها : من الجود ـ بفتح فسكون ـ وهو المطر ـ والأهاضيب : دفعات من المطر . والطل : الخفيف من المطر ، والانهمام مثله

رَسْمٍ لقاتِلِة الغُرانِق[1] مابهِ   إلا الوحوشُ خَلَتْ له وخَلا لَها

ظَلّت تُسَائِلُ بالمُتَيَّم أَهْلَهُ   وهْىَ التى فَعَلَتْ بِهِ أفْعالَهَا

وقال البحترى[2] :

دِمَنٌ لزينبَ قبلَ تشريدِ النّوى   من ذِى الأَراكِ بزَيْنَبٍ ولَعُوبِ

تأْبَى المنازلُ أن تُجيبَ ومن جَوى   يوم الدّيارِ دعوتَ غير مُجِيبِ

فسَقَى الغَضَى والسّاكنيهِ وإنهمُ[3]   شبُّوه بين جوانِحٍ وقلوبِ

قال أبو الفَرَج الأَصْبهانى : لما قال علىُّ بن أحمد بن أبى أُمَيَّة الكاتب[4] :

يا ريحُ ما تصْنَعِين بالدِّمَنِ   كم لك من مَحْوِ منظَرٍ حَسَنِ

محوتِ آثارَنَا وأَحْدَثْتِ آ   ثارًا بربعِ الحبيبِ لم تَكُنِ

إن تَكُ يا رَبْعُ قد بَلِيتَ من الرّ   (م) يح ، فإنّى بال من الحَزَنِ

قد كانَ ياربعُ فيك لى سكنٌ   فصِرْتَ مُذبانَ[5] بعده سَكَنِى

شَبَّهْتَ ما أَبلتِ الرّياح من آثارِ حَبِيبِى النّائِى إلى بَدَنِى[6]

---

(1) الفرانق: الشاب الأبيض الناعم الجميل ، المفرد بضم الغين ، والجمع بفتحها .

(2) الأبيات فى ديوانه ١/٥٧ من قصيدة يمدح بها يعقوب بن اسحاق النوبختى ، ومطلعها :

كَمْ بالكَثِيبِ من اعتِراضِ كَثِيبِ   وقَوَامِ غُصْن فى الثِّيَابِ رَطِيبِ

ويقابلها من القصيدة الابيات (٣ و ٤ و ٧) .

(٣) فى الديوان (والنازليه) وفى معاهد التنصيص / ٣٠٧ وتحرير التحبير / ٢٧٥ (والساكنيه) وهو من شواهد البلاغيين على الاستخدام ــ من فنون البديع ــ وهو أن يراد بلفظ له معنيان احد هذين المعنيين ثم يعاد الضميرعليه مرادا به المعنى الآخر، فقد ذكر الفضا وأعادعليه ضميرين هما الهاء فى (الساكنيه) ، والهاء فى (شبوه) وأراد بالضمير فى الاول الفضا بمعنى المكان المخصوص وهو أرض لبنى كلاب ، وواد بنجد ــ وأراد بالضمير فى الثانى نار الفضا ــ يريد نار الهوى التى تشبه نار الفضا ــ وخصه لأن جمره بطىء الانطفاء والرواية هنا تتفق مع معاهد التنصيص ، وتورده بعض كتب هذا الفن محرفا الى :

... (شَبُّوهُ بين جَوَانِحِى وضُلُوعِى) .

(٤) خبره فى الأغانى ٢٠/ (ط بولا ق) وكان أبوه يكتب للمهدى على بيت المال وديوانى الرسائل والخاتم ، وكان منقطعا الى ابراهيم بن المهدى ، والى الفضل بن الربيع، وقد ورد الخبر والشعر فى الأغانى على نحو روايته هنا .   (٥) فى الأغانى : « اذبان » .

(٦) فى الاغانى « .. مِنْ آثارِ حبيبِى بلا بَدَنِ » وبين هذا البيت والذى يليه هنا البيت التالى :

يا رِيحُ لا تُظْمِئِى الرُّمُوسَ ولا   تَمْحِى رُسُومَ الدّيَارِ والدِّمَنِ

[٩٣ب]

حاشاكِ يا ريحُ أن تكوني على الـ ... عاشِقِ عَوْنًا لحادِثِ الزَّمَنِ (١)

كثَّرَ الناس فيه ، وتداولُوه ، وغنَّى فيه عمرو الغوال ، فقال أبو موسى الأعمى :

يا ربِّ خُذْنِي ، وخُذْ عليًّا ، وخُذ ... «يا ريحُ ما تَصْنَعِينَ بالدِّمَنِ»

عجِّلْ إلى النَّار بالثَّلاثةِ والرا ... بع عمْرِو الغَوَالِ فى قَرَنِ (٢)

وقال عَمْرو بن شَأْس (٣)

متى تعرفِ العَيْنَانِ أطلالَ دِمْنَة ... لليلَى بأَغْلَى ذى مَعَارِكِ (٤) تَدْمَعَا

على النَّحرِ والسِّربالِ حتى تَبُلَّه ... سَجُومٌ ، ولم تَجْزَعْ إلى الدّارِ مَجْزَعَا

خليلَىَّ عُوجَا اليَوْمَ نَقْضِ لُبَانَةً ... وإلا تَعُوجَا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا

قال أبو عمرو (٥) : كان بَيْهَسُ بن صُهَيْبِ بنِ عامِرِ بنِ عبد الله بن نائلٍ يَهْوَى امرأةً من قومه يقال لها : «صفْرَاءُ» وكان يَتحدَّث إليها ، ويجلِسُ فى بيتها ، ويُكثِرُ وَجْدَه بها ، ولايظهرُه لأحد ، ولا يخطُبُها إلى أبيها ؛ لأنه كان صُعْلُوكا لا مالَ له ، وكان ينتَظِرُ أن يُثْرِيَ ، وكان شاعرًا شجاعًا ، له مواقفُ مشهورةٌ ، وكان من أحسن الشَّبّاب وَجْهًا وشَارَةً ، وحديثًا ، وشِعراً ، فكان نساءُ الحَيِّ يَتَعَرَّضْنَ له ، يَجْلسنَ إليهِ ، ويَتَحَدَّثْنَ معه ، فمرّت به صَفْرَاءُ ، فرَأَتْهُ جالسًا [٩٤ أ] مع فتَاةٍ منهن ، فَهَجَرَتْهُ زمانًا ، لا تُجيبُه إذا دعاها ، ولا تَخْرُجُ إليه إذا زارهَا ، وعَرَضَ له

---

(١) فى الأغانى «عَوْنًا بجانِبِ الزَّمَنِ» وما هنا أحسن .

(٢) القرن : الحبل يقرن فيه بعيران ..

ومن تتمه الخبر فى الأغانى أن أبا موسى الأعمى أنشد على بن أميه هذين البيتين، فكتب على اليه بهذين البيتين ، وأنفذهما اليه مع غلامه ،

كَمْ شَاعِرٍ عِنْدَ نفسِه فَطِنِ ... لَيْسَ لَديْنَا بالشَاعِرِ الفَطِنِ

قَدْ أَخْرَجتْ نَفْسَهُ بغُصَّتِهَا ... «يا رِيحُ ما تَصْنَعِينَ بالدِّمَن»

(٣) فى الأغانى ٦٥/١٠ وأورد بعدها بيتا رابعا هو :

وإنْ تُنْظِرَانِى اليَوْمَ أَتْبَعْكُمَا غَدًا ... قِيادَ الجَنِيبِ أو أذلَّ وأطْوَعَا

(٤) كذا فى الأصل ، ولم أجده فى مظانه من كتب البلدان ، وفى الأغانى (ذى معازل) وهو مجهول أيضا .

(٥) هذا الخبر فى الأغانى ١٠٧/١٩ (ط بولاق) وذكر الأصفهانى أن محبوبته هى صفراء بنت عمه عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل.

سَفَرٌ ، فخرج فيه[1] ، ثمَّ عاد وقد زَوَّجَهَا أبوها رجلًا من بنى أَسَد ، فأَخرَجَهَا وانتقل بها عن دِيارِهِمْ ، فقال بَيْهَسُ بن صُهَيْبٍ :

سَقَى دِمْنَةً صفراءُ كانت تَحُلُّهَا نجاءُ[2] الثُّرَيَّا طَلُّهَا وذَهابُها

وَجَاد[3] عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلٍ ولا زالَ مُخْضَرًّا مَرِيعًا جَنابُها

أَحَبُّ ثَرَى أرض إلىّ وإنْ نَأَتْ مَحَلَّتُكِ منها ، نَبْتُها وتُرابُها

على أنَّهَا غَضْبى علىّ وحَبَّذَا رضَاهَا[4] إذا مَا أُرْضِيَتْ وعِتَابُها[5]

نظرتُ وقد زَالَ الحُمُولُ ، ووازَنُوا بِرَكْوَةَ والوادِى وحَنَّتْ[6] رِكَابُهَا

فقلتُ لأَصحابِى : أَبِالْقُرْبِ منهم جرَى الطَّيْرُ ، أَم نَادَى بِبَيْنٍ غُرابُها؟!

وتُوفِّيَتْ «صَفْرَاءُ» قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بها زوجُها الأَسَدِىّ ، ولبيهس بنِ صُهَيْبٍ فيها أشعارٌ يَرْثِيهَا ، وقد أَورَدْت أَخْبَارَه وأَشعاره فى صفراء فى كتابى المترجَم بكتاب «أَخبار النِّساء» [٩٤ب] فاقْتَصَرْتُ على ما ذكرتُه ههُنا من شعرِه ، لما اقتضاه التأْليف من ذكر الدِّمَن .

وقال المُتَنَبِّى[7] :

قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَيَّـ (م) ـا ، كخَالٍ فى وَجْنَةٍ جنبَ خَالِ[8]

---

(1) فى الأغانى ١٠٧/١٩ « فخرج اليه » .

(2) رواية الأغانى « بنوء الثريا » . (3) فى الأغانى « وصاب عليها .. »

(4) فى الأغانى « الى ما أرضيت .. » وما هنا أولى .

(5) فى الأغانى بين هذا البيت والذى يليه البيت التالى :

وقَدْ هَاجَ لِى حَيْنًا فِرَاقُكِ غُدْوَةً ومَعْيُك فى نَيُفَاءَ تَعْوِى ذِئابُها

(6) فى الأغانى « وخفت » .

(7) البيتان فى ديوانه ١٣٧/٢ ومن قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى ، ومطلعها :

صِلَةُ الهَجْرِ لِى ، وهَجْرُ الوِصَالِ نَكَسانِى فى السُّقْمِ نُكْسَ الهِلالِ

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان ٣ و ٤ .

(8) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، الدو : الصحراء ، وريا : محبوبته ، أراد من دمن ريا فهو كقول زهير « أَمِنْ أُمّ أَوْفَى دِمْنَة لمْ تَكَلَّم »أراد من دمن أم أوفى . والخال : شامة سوداء تكون فى الخد ، شبه دمنتيها فى الصحراء بخالين فى خد .

بطُلُول كَأَنَّهُنَّ نُجُوم في عِراصٍ كَأَنَّهُنَّ ليالِي (١)

وقال أبو تمام(٢) :

أَراكَ أَكْبَرْتَ إِدْمَانِي على الدِّمَنِ ... وحَمِلِيَ الشَّوْقَ من بادٍ ومُكْتَتِمِ(٣)

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامِي أَنْ عَكَفْتُ علَى ... رَبْعِ الْحَبِيبِ فلم أَعْكُفْ عَلَى وَثَنِ(٤)

فما وَجَدْتُ على الأَحشاءِ أَوْقَدَ من ... دَمْعٍ على وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطَنِى

صَيَّرْتُ لى من تَبَارِى عَبْرَتى سَكَنًا ... مُذ صِرتُ فَرْدًا بلا إِلْف ولا سَكَنِ(٥)

وقال المتنبى(٦) :

ذِكْر الصِّبى ومَرَابِعُ(٧) الآرام ... جلَبَتْ حِمامِى قبلَ وَقْتِ حِمَامِى

دِمَنٌ تكَاثَرَت الهُمُومُ علَىّ فى ... عَرَصاتِها ، كتكاثُرِ اللُّوَّام

وكأَنَّ كلَّ سَحابة وَقَفَتْ بها ... تَبْكِي بعَيْنَىْ عُرْوَةَ بْنِ حِزام(٨)

ليسَ القبابُ على الرِّكابِ وإنما ... هُنَّ الحياةُ تَرَحَّلَتْ بسلام(٩)

ليتَ الذى خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الحَصَى ... لِخِفافِهِنَّ مَفاصِلِي وعِظامى(١٠)

[١٩٥]

---

(١) الطلول : ما بقى من آثار الديار ، والعراص ، واحدها عرصة ، وهى ساحة الدار ،

(٢) الأبيــــات فى ديوانه (٣/٣٣٧) من قصيدة قالها فى أبى الحسن على بن مر ، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١و٢و٦ و٧) وهى متفقة فى روايتها مع الديوان .

(٣) البادى : الظاهر ، والمكتمن : الخفى

(٤) الوثن : التمثال ينصب ليعبد ، يريد أن عكوفه على هذه الدمن ليس باطلا أو ضلالا .

(٥) يقول : لقد ألفت البكاء منذ فارقنى من أحب ، فأنست بالدمع مذ صرت بلا الف ولا أنيس .

(٦) الأبيات فى ديوانه ٢/٢٨٨ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات ١ و ٢ و ٣ و ٦ و ٧

(٧) فى الديوان (ومراتع) وفى هامشه ، ويروى (ومرابع) .

(٨) فى الديوان (فَكَأَنَّ كلَّ سَحابةٍ وَكَفَتْ بِهَا) وفى هامشه ويروى (وقفت) .
وعروة بن حزام صاحب عفراء ، وهو احد عشاق العرب المشهورين .

(٩) القباب : جمع قبة والمراد بها هنا الهودج . يقول : ليس هذا الذى تراه هوادج الأحبة على الابل ، ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أن فراق أحبته موت له .

(١٠) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن للابل ، وكان حقه أخفافهن . يقول ــ متمنياً ــ : ليت الذى خلق الفراق جعل أعضائى لأخفاف الابل التى تحملوا عليها حصى حتى تسير على .

وقال أبو نُواس الحسَنُ بن هانئ[1] :

لمَنْ دِمَنٌ تزدادُ طيبَ نَسيمٍ ... ـعلى طول ما أَقْوَتْ ـوحُسْنَ رُسُوم[2]

تجافَى البِلَى عنهنّ حتى كأنَّمَا ... لَبِسْنَ على الإقواء ثوبَ نَعيمٍ[3]

وما زالَ مَدْلُولاً على الرّبعِ عاشِقٌ ... أسيرُ لُبَانَاتٍ ، طَليحُ هُمومِ[4]

يَرَى الناسَ أعياءً على جَفْنِ عَيْنِهِ ... وان حَلَّ فى وادِى أخٍ وَحَميمِ[5]

وقال أيضا[6] :

يا كثيرَ النوْحِ فى الدِّمَنِ ... لا عليها بل على السَّكَنِ

سُنَّةُ العُشَّاقِ واحِدَةٌ ... فإذا أَحْبَبْتَ فاسْتَنِنِ[7]

ظَنَّ بِى من قد كَلِفْتُ به ... فهو يَجْفُونى على الظِّنَنِ[8]

باتَ لا يَعْنِيهِ ما لَقِيَتْ ... عينُ ممنوعٍ من الوَسَنِ[9]

رشَأٌ لولا مَلاحَتُهُ ... خَلَت الدُّنْيا من الفِتَنِ

ما بَدَا إلا اسْتَرَقَّ له ... حُسْنُه عَبْدًا بلا ثَمَنِ[10]

[٩٥ب] وقال البحترى[11] :

أَفِى كُلِّ يومٍ منكَ عَيْنٌ تَرَقْرَق ... وقلبٌ على طول التَّذَكُّرِ يَخْفِقُ

---

(١) الأبيات من قصيدة فى ديوانه /٤٤٧وهى من أولها على الترتيب .

(٢) رواية الديوان :

لمَنْ دِمَنٌ تَزْدَادُ حُسْنَ رسُومٍ ... ـعلى طُولِ ما أَقْوتْ ـ وطِيبَ نَسِيمِ

(٣) تجافى ، تباعد ، والأقواء : مصدر أقوى ، يقال : أقوى المكان ، اذا خلا من سكانه .

(٤) الديوان (حسير لبانات) واللبانات : الحاجات والمآرب ، والطليح : المتعب .

(٥) الديوان (وإنْ حَلَّ فى دارَىْ أَخٍ وحَميمِ) .

(٦) الأبيات فى ديوانه/٤١٢ وهى من أولها على الترتيب .

(٧) الديوان (فاستكن) وفسره محققه بمعنى (اظهر الخضوع والذله) وما هنا أجود .

(٨) يجفونى : يهجرنى ، والظنن ـ بكسر ففتح ، : جمع الظنة وهى التهمة .

(٩) الوسن : أول النوم

(١٠) الديوان (كُلّ يَوْمٍ يَسْتَرِقُّ لهُ) .

(١١) الأبيات فى ديوانه/٢/١٣٨ من قصيدة يمدح بها محمد بن على القمى ، ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٢ و ٤ و ٥) .

على دِمْنَة فيها لأُدْمَانَةِ النَّقا محاسِنُ أيامٍ تَخُبُّ وتعْنُقُ[1]
وقفتُ فأَوْقَفْتُ الجَوَى موضعَ الهَوَى لياليَ عُودُ الدَّهْرِ ريّانُ مُشْرِقُ[2]
فحرَّكَ بَثِّى رَبْعُها ، وهى[3] سَاكِنٌ وَجَدَّدَ وَجْدِى رسمُهَا وهو مُخْلِقُ

وقال ابْنُ المَوْلَى ، وهو محمد بن عبد الله بن المولى ، مولى الأَنصارِ – رضى الله عنهم[4] – :

وقال خَلِيلِى – والبُكا لىَ غالبٌ – : أَقاضٍ على هذا البُكا والتَّشَوّقُ[5] ؟ !
وقد طالَ تَوْقافِى أكَفكفُ عَبْرَةً على دِمْنة كادت بها النفسُ تَزْهَقُ
وإنسانُ عينى فى دوائر لُجَّةٍ من الماء يبدُو تارة ثم يَغْرَقُ[6]

وقال الشيخُ الأَمينُ أبو البركاتِ بنُ أَبِى جَرَادَةَ الحَلَبِىّ[7] :

النّاسُ لاهونَ فى أَماكِنِهِمْ ونحنُ فى رِحْلَة وفى ظَعَنِ
كأَنَّنَا من مُتَيَّمِى العَرَبِ العَرْ باءِ تهوَى المَعَاجَ بالدِّمَنِ

هذان البيتان للشَّيخِ الأَمينِ أبى البَرَكَاتِ بنِ أَبى جَرادَة ،وكان أَمينا على خِزانة الملك العادل [١٩٦] نورُ الدّين ، فكان لايزالُ معه فى سَفَرٍ ، ولم يَكُنْ مُعتادًا لذلك ، فتَبرَّمَ بما هو فيه من الحركة

---

(١) الديوان (تحب وتعشق) والخبب والعنق : ضربان من السير ، يريد مضت مسرعة، وبعد هذا البيت فى الديوان :

نَعَمْ قَدْ تَبَاكَيْنَا على الشِّعْبِ مَرَّةً ومن خَلفِه شَعْبٌ للَيْلَى مُفَرِّقُ

(٢) الديوان (فَيْنَانُ مُورِقُ)

(٣) الديوان (وهو ساكن)

(٤) الأغانى ٣/٨٨ و ٨٩ وهى من قصيدة له يمدح بها الخليفة المهدى ، والأبيات الواردة هنا يقابلها من القصيدة برواية الأغانى الأبيات (١٤ و ١٥ و ١٦) ومطلعها :

سَلَا دارَ لَيْلَى هلْ تُبِينُ فتَنْطِقُ وكَيْفَ تَرُدُّ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ ؟ !

(٥) رواية الأَغانى « أَقاضٍ عليك ذَا البُكا والتَّشَوُّقُ » والمعنى : أَيقضى البكاءُ والتشوق على هذا أى عليه .

(٦) هو من قول ذى الرمة :

وإنْسانُ عَيْنى يَحْسِرُ الماءُ تارةً فَيَبْدُو ، وتَارات يَجمُّ فَيَغْرَقُ

(٧) هو القاضى الأعز أبو البركات بن أبى جرادة ، كان أمينا على خزانة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى الى أن توفى بعد سنة ٥٥٥ هـ ، وهو أخو ثقة الملك الحسن بن على بن أبى جرادة (ت ٥٥١ هـ) ترجم لهما ولأبيهما العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام ٢/١٩٧ ، ٢٢٥) وأورد مختارات من شعرهم ، ولأبى البركات أيضا ترجمة فى معجم الأدباء (٦/١٦) .

والسّفر المستَمِرّ فى الأخطار والحروب ، فكتَب إلى أخيه ثقَة الملك أبى عبد[1] الله ـ رحمهما الله ـ أبياتًا ، منها البيتان المقدّمة ، وأنا ذاكِرٌ القطعةَ بكمالِها :

يَا ثِقَتى أنت مُشْتَكَى حَزَنى ... قد فاتَنى كلُّ مَطْلَبٍ حَسَنِ
ما قصّرَتْ همَّتى فأجْعَلَهَا ... مَظِنَّةَ الإبْهام والظِّنَن
أمَّلْتُ أن أقْتَنى من المَجْدِ والسُّوْدَدِ ما لا يُباعُ بالثَّمَنِ
واقْتَفِى سُنَّةَ الأُلَى دَرَجُوا ... قبلِى على واضحٍ من السّنَنِ
راغِبَ نفسٍ فيما يُزَهِّدُنى ... ناعم بالٍ بعَيْشِىَ الخَشِنِ
حيثُ لا أبتَغى مزاحمَةَ الخَلْـ ... ـقِ ولا أشْرَئبُّ للمِنَنِ
ولا يَرَانِى امرُؤٌ ألوذُ به ... إلا خَلِيلِى فى الله أو سَكَنى
هذا الذى رُمْتُهُ فعارَضَنى ... فى كونِه عارِضٌ من الزَّمن
أصبَح شَمْلِى إلى الشَّتاتِ وأصْـ ... ـبَحْتُ غريبًا ، وما نَبَا وَطَنى
ولا جَفانى أهلُ الصّفاء ولا ... شرِبْتُ دَرَّ الصّفاءِ بالضَّفَنِ[2]
الناسُ لا هُونَ فى أما كنهم ... ونحنُ فى رِحْلَةٍ وفى ظَعَنِ[3]
كأنّنا من مُتَيَّمِى العَرَبِ العرْ ... باءِ ، تهوى المعاج بالدِّمَنِ[4]
لاصبرلى قد خَرجْتُ من جَلَدى ... وقد سُلِبت الحصينَ من جُنَنى[5]
وأسخَن اليأسُ ناظِرَىَّ فما ... يَقَرّ للمُطْمِعاتِ فى الرَّسَنِ[6]

[٩٦ب]

---

(١) هو أبو على الحسن بن على بن عبد الله بن أبى جرادة ، من أهـــل حلب ، قدم مصر ، وتقدم عند وزرائها وسلاطينها ، خاصة عند أبى الغارات الصالح بن رزيك توفى سنة ٥٥١ هـ ، ترجم له العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام ٢/١٩٧ ـ ٢١٨) وله ترجمة فى معجم الأدباء (١١/١٦ وما بعدها) وكانت تربطه بأسامة صداقة ، وفى الخريدة أبيات كتب بها الى اسامة فى الشوق .

(٢) الدر : اللبن ، أو الكثير منه . الضفن ـ كذا ضبطه بفتحتين . وهو بسكون الفاء : ضم الرجل ضرع الشاة حين يحلبها

(٣) الظعن : السفر .

(٤) العرباء : عرب عرباء ، أى صرحاء خلص ، والمعاج : مصدر من قولهم : عاج بالمكان : اقام فيه .

(٥) الجنن : الواحد جنة ـ بضم الجيم ، وهى : كل ما وقى من سلاح وغيره .

(٦) الرسن : الزمام الذى يجعل على الأنف تقاد به الدابة ، والمعنى على التشبيه ، جعل نظره لا يتعلق بما يطمعه من آمال ، لأنه استسلم لليأس منها ، فلم يعد ينقاد لها .

وَمَجَّ سمعى لَغْوَ الحديث فما ... يَطُورُ شىءٌ منه على أُذُنى(١)

وعُدتُ من كلِّ ما أُؤَمِّلُهُ ... أقولُ : حسبى بصحّةِ البَدَنِ

أىّ عُرَى حالَةٍ عَلِقْتُ بها ... وأى شَتّى قَرَنْتُ فى قَرَنِ(٢)

جمعْتُ - والهْفتاهُ - قلبَ فتى ... يفْتَرّ عن همٍّ شارخٍ يَفَنِ(٣)

ورُتْبَةٌ فى العَلاءِ تَتْبَعُها ... صورةُ مُسْتَبْذَلٍ ومُمْتَهَنِ

متُّ ونفسى علىَّ باقِيَةٌ ... وضِعتُ والحافظاتُ تَحْفَظُنى

وا خَيْبَةَ الحاسِدِينَ كم مِنَحٍ ... مَغْبُوطَةٍ ،وهى أعظَمُ المِحَنِ !

يا ليتَ أنّى قبلَ المَنيّةِ قد ... غُيِّبْتُ فى حُفْرَتى وفى كَفَنى

يا ليتَ ما كانَ من حياتى - إذا ال ... أمْرُ على ما أراهُ - لم يَكُنِ !

[١٩٧]

وقال عُرْوَةُ بن حِزام(٤) :

ألا يا غُرَابَىْ دِمْنَةِ الدارِ بيِّنا ... أبالهَجْرِ(٥) من عفراءَ تَنْتَجِيَانِ ؟

فإن كانَ حقًّا ماتقولان فانْهضا(٦) ... بلحمى إلى وَكْرَيْكُمَا فكُلانى

فعفراءُ(٧) أصفى الناسِ عندى مَوَدّةً ... وعفراءُ عنى المُعْرِضُ المتوانى

فواللهِ ما حَدَّثْتُ سِرَّكِ صاحِبًا ... نَصِيحًا ، ولا فاهَتْ به الشَّفَتانِ(٨)

سِوى أنّنى قد قلتُ يوما لصاحبى ... ضُحًى، وقَلُوصانا بِنا تَخِدانِ - :(٩)

---

(١) لا يطور : لا يقربها ولا يحوم حولها .

(٢) العروة من الثوب : ما يدخل فيه الزر ، وكل ما يستمسك به ويعتصم على المجاز ، والقرن : الحبل يقرن به البعيران . (٣) اليفن : الشيخ الكبير أو الفانى .

(٤) الأغانى ٢٠/١٥٢ - ١٥٨ ، والقصيدة بتمامها فى نوادر القالى (١٥٩ : ١٦٤) وتزيين الأسواق/٧٣ ، والأبيات ١ و ٢ و ٣ فى الزهرة/٢٤٨ .

(٥) فى الأغانى : (ابالبين من عفراء ..) وفى الزهرة والنوادر « تنتحبان »

(٦) فى النوادر (فاذهبا بلحمى ...) وماهنا يوافق الزهرة .

(٧) فى الأغانى (أحظى الناس ..) وفى النوادر (أرجى الناس ..) وما هنا يوافق الزهرة .

(٨) هذا البيت لم يورده الأصفهانى فيما اختار من هذه القصيدة ، وأورده القالى
(.. أخًا لى ، ولا فاهَتْ ..)

(٩) القلوص من الابل : الفتية المجتمعة الخلق ، ويقال وخد البعير يخد وخدا ووخيدا ووخدانا ، اذا أسرع ووسع الخطو .

أَلا حَبَّذَا من حُبِّ عَفْراءَ مُلْتَقى نعامٍ ، وبِرْكٍ[1] ، حيث يلتقيان

وقال أَبو وَجْزَةَ السَّعْدِيّ[2] :

لمن دِمْنَةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صعيدُها تَغَيَّر باقيها وَمَحَّ جديدُها

لِسَعْدَةَ فى عامِ الهزيمة[3] إِذْ بِنَا تصافٍ ، وإِذ لَمَّا يَرُعْنا صُدودُها

وإِذْ هِيَ أَمّا نفسُها فأَرِيبَةٌ لِلَهْوٍ ، وأَما عن صِبًى فتَذُودُها

تصيَّدُ أَلْبَابَ الرجالِ بدَلِّها وشِيمَتُهَا وحشيَّةٌ لا نَصِيدُها

[٩٧ب]

كباسِقَةِ الوَسْمِيِّ ساعةَ أَسْبَلَتْ تلأْلأُ فيها البَرْقُ وابيَضَّ جِيدُها[4]

وقال الشريف المُرتَضَى رضى الله عنه[5] :

فإمّا شِئْتُمَا أن تُسْعِدانى فَمُرَّا بى على الدِّمَنِ البوالِي

خَرِسْنَ ، فلو مَلَكْن النُّطْقَ يومًا شَكَوْنَ إِليكَ من جَنَفِ اللَّيالِي[6]

وقال أَيضا[7] :

فيا دِمْنَةَ الحيِّ الذين تَحَمَّلُوا بوادِى الغَضَى ماذا أَلَمَّ بنا منْكِ؟

خَشَعْتِ فلا عينٌ تراكِ لناظِرٍ دُثُورًا ، ولا نُطْقٌ يُخَبِّرُنا عنْكِ

---

(١) فى الأغانى (بغـام وبزل ٠٠) وفى النوادر (نعم والالا حيث٠٠ ٠) وأردفه القـالى بقوله : « أخبـرنى أبى عن الطوسى قـال : أراد بقوله « ملتقى نعم والالا » شفتيها ، لأن الكلمتين فى الشفتين تلتقيان » ثم حكى بعـده الرواية الواردة هنا ، وقال : نعام وبرك : موضعان ٠

(٢) الأبيات فى الأغانى ١١/٨٢ وهى مقدمة قصيدة لأبى وجزة يمدح بها عمرو بن زياد بن سهل بن مكدم ٠

(٣) فى الأغانى (من عام الهزيمة) ٠

(٤) الباسقة : السحابة البيضاء الصافية اللون ـ والوسمى : مطر الربيع الأول ٠ أسبلت : أمطرت ٠

(٥) البيتان فى ديوانه (٣/١٠٦) من قصيدة مدح بها فخر الملك ، ومطلعها :

أَلَا عُوجَا لمُجْتَمَعِ السِّيالِ فَثَمَّ شِفاءُ ما بِى من خَبَالِ

(٦) الجنف : الجور والظلم ، وبعد هذا البيت فى الديوان ـ وهو مما يقتضيه المعنى ـ :

لعَلِّى أَنْ أَرَى طَلَلًا لحِبٍّ وآثارًا لأَيَّام الوِصَالِ

(٧) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٧٥) من قصيدة قالها يتوجع ، ويذكر أحبته ، ومطلعها :

أَفى دارِهِمْ مِنْ بعْدِ ما ارْتَحَلُوا تَبْكِي؟ وتَشْكُو ، ولكِنْ لَيْسَ تَشْكُو إلى مُشْكِ

وأذكرَها(١) والشيبُ يَضحكُ ثَغْرُه   بلمّاتِنا عهدَ الشّبيبَةِ والفَتْكِ

ليالِيَ لا حِلْمٌ لذى الحِلْمِ والنُّهَى   هناكَ ، ولا نُسْكٌ يُصابُ لِذِى نُسْكِ(٢)

وقال لَقِيط بنُ زُرارَة :

لمن دِمْنَةٌ أقفرَتْ بالجنابِ   إلى السفحِ بين المَلا فالهِضابِ(٣)

بكيتَ لعِرْفانِ آياتِها   وهاجَ لكَ الشوقَ نَعْبُ الغُرابِ(٤)

[١٩٨]

وقال أشْجَعُ بن عمرو السُّلَمِىّ(٥) :

دِمَنٌ إذا اسْتَثْبَتَّ عيْنَك عَهْدَها   رَجَعَتْ إليْكَ بِنَظْرَةِ المُتَوَسِّمِ(٦)

فتَكَتْ بها سَنَتانِ يَعْتَورانِها   بالعاصِفاتِ(٧) وكُلِّ أسْحَمَ مُرْزِمِ

وقال مهيار(٨) :

رَحَلُوا بأيّامِي الرِّقاقِ علَى   آثارِهِمْ ، وبِعَيْشِيَ السَّهْلِ

---

(١) فى الديوان « وأذْكَرَتْنِى ... بلمّتنا .. » وهو أحسن

(٢) رواية الديوان للشطر الثانى : « وَلَا نُسُكٌ فيها يُصابُ لذى نُسْكِ »

(٣) الجناب – بفتح الجيم – قيل موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام ، – وبكسر الجيم – : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد . والملا : موضع مختلف فى تحديده . وقيل : هو مدافع السبعان ، والسبعان : وادلطيىء . والهضاب : موضع ورد أيضا فى قول الأخطل :

طَهَّرَتْ خَيْلُنا الجَزِيرَةَ منهُمْ   وعسَى أنَّ تَنَالَ أهْلَ الهِضابِ

(٤) يقال : نعب الغراب نعبا ، ونعيبا ، اذا صاح بالفراق ، على زعمهم ، وقيل : النعيب : تحريك رأسه بلا صوت .

(٥) الأغانى ٣٨/١٧ ، والبيتان من قصيدة لأشجع يمدح بها ابراهيم بن عثمان بن نهيك حين ولى الشرطة ، وقبلهما وهو مطلعها :

لمن المَنَازِلُ مثلَ ظهرِ الأَرْقَمِ   قَدُمَتْ ، وَعَهْدُ أنِيسِها لم يَقْدُمِ

(٦) فى الأغانى : « كرَّتْ إليْكَ بنَظْرَةِ المُتَوَهِّمِ » .

(٧) فى الاغانى : « بالمعصفات » .

(٨) الأبيات فى ديوانه (٢٠٧/٣) من قصيدة قالها يهنىء الوزير أبا القاسم هبة الله بن على بن ماكولا بعيد النيروز ، ومطلعها :

مالى شَرِقْتُ بماءِ ذِى الأَثْلِ   هَلْ كَدَّهُ الوُرّادُ مِنْ قَبْلِي ؟!

وعكَفْتُ بعدهُمُ على ضَمِنٍ[1] عَرَفَ البِلَى[2] فبَلى كما يُبْلِي
جَسدِى ، ودِمْنَتُه بما نَحَلا يتشاكيان تَصَدُّعَ الشمْلِ
مَغْنًى وضَعنَا أمْس من شَعَفٍ سافى ثَراهُ مَواضِعَ الكُحْلِ[3]

(1) الضمن : الذى أصابته أو لزمته علة ، والمراد به هنا الربع على التشبيه .
(2) الديوان « عرف الهوى » .
(3) سافى الثرى : الترب المتطاير .

٧ ـ فصل فى ذكر الرسم *

قال بِشر بن أبى خازم(١) :

عفا رَسْمٌ برامةَ فالتِّلاعِ فكُثْبَانِ الحَضِيرِ(٢) إلى لَفَاعِ (٣)

عفاها كُلُّ هطّالٍ سَكُوب يشَبَّهُ صوتُه صوتَ اليَرَاعِ (٤)

(اليَراعُ : القَصَبُ التى يُصْفَرُ بها . ويروى صوت الرباع يقال : رُبَع ورِباع وهو ولد الناقة إذا كان له عشرة أيام) .

وقفتُ بها أسائِلُها طويلا وما فيها مُجاوبةٌ لداعِ

تحمَّلَ أهْلُها منها فبانُوا فأبْكَتْنى المنازِلُ للرَّوَاعِ (٥)

وقال مُزاحِم بن الحارث العُقَيْلِيّ (٦) :

أشاقَتْك بالنقع الغَداةَ رُسُومُ دَوارِسُ أدنى عَهْدِهِنّ قَدِيمُ (٧)

---

* الرسم : الأثر ، وقيل بقية الأثر ، وقيل : هو ما ليس له شخص من الآثار ، وقيل هو ما لصق بالأرض منها ، ورسم الدار : ما كان من آثارها لاصقا بالأرض ج أرسم ، ورسوم .

(١) الأبيات فى ديوانه/١٠٩ .

(٢) فى الديوان : « فكثبان الحفير » ورامة ، والتلاع ، والحضير ، والحفير ، ولفاع : مواضع ذكرها ياقوت وحدد كلا منها فى لسمه .

(٣) بين هذا البيت والذى بعده بيت آخر فى الديوان ، وهو :

فجَنْبِ عُنَيْزَةَ فَذَواتِ خِيمٍ بها الغِزْلانُ والبَقَرِ الرِّتاعُ

ولعل أسامة أسقطه لما فيه من أقواء ، وأن يكن ذلك مما يكثر فى شعر بشر .

(٤) رواية الديوان « عَفَاها كُلُّ هَطَّالٍ هَزِيمٍ » والهزيم : صوت الرعد ، ويقال : اهتزمت السحابة بالماء : أمطرت مع صوت .

(٥) يقال : راعه الشيء روعا ، اذا أفزعه ، وراعه أيضا : أعجبه .

(٦) ديوان مزاحم /١٥ (ط ليدن) ومعجم البلدان فى رسم (القنع) ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و ٣ و ١٠ و ١٢ ١٣) .

(٧) فى الديوان :

لصَفْراءَ هاجتْكَ الغَدَاةَ رُسُومُ كأنَّ بقاياها الجُرودَ وُشُومُ

ورواية معجم البلدان « أشاقتك بالقنع الغداة » ومثله فى تاج العروس (قنع) . والقنع بكسر فسكون ـ : جبل ، وماء لبنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، باليمامة .

دَوارِسُ أمّا أهْلُها فتَحَمَّلُوا فبانُوا ، وأما خَيْمُهَا فمُقيمُ(١)
وما ذاكَ إلا مِنْ جَميعٍ تَفَرَّقَتْ بهم نِيَّةٌ بعد الجِوارِ قَسِيمُ(٢)
فعادُواكبُرْدِ العَصْبِ شُقَّ فأَصْبَحُوا فَمُحْتَمِلٌ غادٍ ، وظَلَّ مُقيمُ(٣) [٩٩ب]
وذلك(٤) دَأْبٌ للنَّوَى ليس مُخْلِفِي إذا كان لى جارٌ علَىَّ كَرِيمُ

وقال أبو تمام(٥) .

أمّا الرُّسُومُ فقد أذْكَرْن ما سَلَفَا فلا تكُفَّنَّ عن شَأْنَيْكَ أن يَقِفَا(٦)
لا عُذْرَ للصَّبِّ أن يَقْنِى السُّلُوَّ ، ولا للدمع بعد مُضِىِّ الحىِّ أن يَقِفَا(٧)
حتىّ يَظَلَّ بماءٍ سافحٍ ودَمٍ فى الرَّبعِ يُحْسَبُ من عينيهِ قد رَعَفَا(٨)

وقال أبو نواس(٩) :

ألا لا أرى مثْلِي امْتَرَى اليومَ فى رَسْمِ تَغَصُّ به عيْنِي ويلفِظُهُ وَهْمِى(١٠)

---

(١) فى الديوان ، ومعجم البلدان : « منازل أما أهلها ...
(٢) فى الديوان « قسوم » وفى اللسان : يقال : نوى قسوم : مفرقة مبعدة .
أنشد ابن الأعرابى :

نَأَتْ عَنْ بَنَاتِ العَمِّ وانْقَلَبَتْ بها نَوًى يومَ سُلّانِ البَتِيلِ قَسُومُ

(٣) رواية الديوان لهذا البيت هكذا :

كما انْشَقَّ بُرْدُ العَصْبِ شَتَّى فأَصْبَحُوا بمُحْتَمِلٍ ولَّى . وباتَ مُقِيمُ

والبرد : كساء مخطط يلتحف به ، والعصب : برد يصبغ غزله ، ثم ينسج ،والاضافه للتخصيص .
(٤) الديوان « فذلك » .
(٥) الأبيات فى ديوانه ٢/٣٥٩ من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى ، وهى من أولها على الترتيب .
(٦) شأنيك : تثنية شأن ، وهو مجرى الدمع ، وفى الديوان (أو يكفا) وهو أحسن
(٧) فى الديوان : « يقنى الحياء » وفى هامشه « يفنى السلو » عن الخازرنجى ، ويقنى : يذخره ويمسكه .
(٨) تقديره : حتى يظل هذا الصب يحسب قد رعف من عينيه بماء سافح ودم ، لاختلاط الدمع بالدم .
(٩) البيتان فى ديوانه/٨٧ وهما أول القصيدة على الترتيب، وروايتهما متفقة مع رواية الديوان
(١٠) امترى : شك ، وأراد بقوله " تغص به عينى : تتأذى برؤيته ، وأصل الغصة فى الحلق ، وهو الا يسيغ الماء ، فاستعاره للعين ، كأنها لا تطيق رؤيته .

أنتَ صُوَرُ الأشياء بيني وبينه فجَهْلِي كلا جَهْلٍ . وعِلْمِي كلا عِلْمِ

وقال أبو عبد الله بن الخيَّاط الدِّمَشْقِيّ(١)

هو الرَّسْمُ لو أغْنى الوقوفُ على الرسمِ هو الحَزْمُ لولا بعدَ عهْدِكَ بالحَزْمِ
عشيَّةَ جُنَّ القلبُ فيها جُنُونَه ونازَعَني شوقي مُنازَعَةَ الخَصْمِ
فلما أبَى إلا البُكاء على الأَسَى بكَيْتُ فما أبْقَيْتُ للرَّسْمِ من رَسْمِ(٢)
لقد وجدَتْ وَجْدِي الديارُ بأهلهَا ولو لم تَجِدْ وجْدِي لما سَقمَتْ سُقْمِي(٣)
منازِلُ أدْرَاسٌ شَجاني نُحُولُها فهلَّا شجاها ناحِلُ القلبِ والجسمِ ؟
سقاها الحَيَا قبلي فلما سَقَيْتُها دُمُوعي رأت فضلَ الوليِّ على الوَسْمي(٤)

وقال العَرْجِيّ :(٥)

أفي رَسْمِ دارٍ دمعُكَ المُتَحَدِّرُ سِفاهًا . وما اسْتِنطاقُ ماليْسَ يُخْبِرُ
تغيَّر ذاك الرسمُ من بعد جِدَّةٍ وكلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً يتغيَّرُ(٦)

وقال البحتري(٧) :

أرُسُومُ دارٍ أم سُطورُ كتابِ درَسَتْ بشاشَتُهَا مع الأحْقَابِ
يَجتازُ زائِرُها بغير لُبَانَةٍ ويُرَدُّ سائِلُهَا بغير جوابِ
ولرُبَّمَا كان الزَّمانُ مُحَبَّبًا فينا(٨) بِمَنْ فيها من الأحْبَابِ

[١١٠٠]

---

(١) الأبيات في مختارات البارودي ٤/٣٤٤ . (٢) في المختارات « الا البكاء لي الاسى .. »
(٣) وجدت : حزنت ، سقم سقما (من باب تعب) وسقم سقما (من باب قرب) اذا طال مرضه .
(٤) الحيا : الغيث ، الولي : المطر يسقط بعد المطر - والوسمي : مطر الربيع الأول ورواية مختارات البارودي « فلما سقيتها ... بدمي »
(٥) البيتان في ديوانه برواية ابن جني ص/٨٩ بتحقق خضر الطائي (ط بغداد ١٩٥٦) ويقابلهما من القصيدة البيتان ١و٤، وهما أيضا في الأغاني ٤/٦٦ وترجمته فيه ، وله ترجمة ومختارات من شعره في معاهد التنصيص/٤٢١ (ط بولاق) .
(٦) في الديوان (ذاك الربع) وفيه وفي الأغاني : (متغير) .
(٧) الأبيات في ديوانه ١/١٦ من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي ، وهي من أولها على التركيب ، وروايتها هنا متفقة مع رواية الديوان .
(٨) في الديوان (فيه) وما هنا أنسب للسياق .

وقال زُهير بنُ أبي سُلْمَى المُزَنِيّ[1] :

هاج الفؤادَ معارِفُ الرَّسْمِ ... قفرًا بذى الهَضَبات كالوَشْمِ[2]

ولقد أَراها والحُلُولُ بها ... من بعدِ صِرْمٍ أَيَّما صِرْمِ[3]

فاستَأْثَرَ الدّهْرُ الغداةَ بِهِمْ ... والدّهْرُ يَرْمِينى ولا أَرْمِى

لو كانَ لى قِرْنًا أُناضِلُه ... ما طَاشَ عند حَفِيظَةٍ سَهْمِى

أَو كان يُعْطِى النَّصْفَ قلتُ له ... أَحْرَزْتَ قَسْمَكَ فالْهُ عن قَسْمِى[4]

[١٠٠ب]

وقال الصِّمَّة القُشَيْرِيّ[5] :

خليليَّ عُوجا منكما اليومَ أو دَعَا ... نُحَيِّ رُسُومًا بالقُبَيْبَةِ بَلْقَعا[6]

أَرَبَّتْ بها الأَرواحُ حتى تَنَسَّفَتْ ... معارِفَها إلا الصَّفيحَ المُوَضَّعا[7]

وغيرَ ثَلاثٍ فى الدّيَارِ كأَنَّها ... ثلاثُ حَمامات تقابَلْنَ وُقَّعا[8]

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى فلمَّا زَجَرْتُها ... عن الجَهْلِ بعدالحِلْمِ أَسْبَلَتَامَعَا[9]

---

(١) والابيات فى ديوان زهير / ٣٨٢ من قصيدة يرثى بها هرم بن سنان بن ابى حارثة المرى ، ويقابلها ترتيب المؤلف فى الديوان الابيات ١ و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ .

(٢) معارفه : علاماته - والهضبات : جبال فى هذه المواضع . شبه آثار الرسم بالوشم .

(٣) الحلول : المقيمون جمع حال - والصرم - بالكسر - : الابيات المجتمعة المنقطعة من الناس، أو الجماعة من الناس ليسوا بالكثير ، والجمع اصرام وأصاريم .

(٤) النصف كالنصفة بمعنى الانصاف ، أى لو كان ينصفنى .

(٥) الأمالى ١٩٣/١ وفى سمط اللآلى/٤٦١ و٤٦٢ خبر الابيات وقصة الصمة مع ابنــة عمه ، واشار محققه الى اضطراب الرواة فى نسبة الابيات اليه والى المجنون ، والى قيس بن ذريح ، والى ابن الطثرية ، ووجدت البيت الرابع فى شــــعر المجنون (ص ١٩٩ من ديوانه بتحقيق عبد الستار فراج) وأشار أيضا الى اختلاف الرواة فى نسبة القصيدة التى منها هذا البيت .

(٦) لم أجده فى معجم البلدان ، وأورد ياقوت القبيبات ، وقال : بئردون المغيثــة ، فى طريق مكة ، بعد وادى السباع .. وذكر مواضع منهــا ماء فى منازل بنى تميم ، وموضع بالحجاز ..

(٧) أربت : دامت ولزمت - تنسفت : سلبت وازالت ، والــذى فى كتب اللغـــة انتسفت ، والصفيح . الحجارة العريضة .

(٨) عنى بالثلاث : الاثافى ، وهى ثلاثة احجار تنصب ، لتوضع فوقها القدر .

(٩) فى تزيين الأسواق/٩٢ والسمط/٤٦٢ (.. عينى اليمنى) وما هنا يوافق الامالى١٩٤/١، وقال الميمنى والرواية الشائعة « اليسرى » ونقل عن البكرى قوله . « قال ابن القزاز : العين اليسرى أضعف وأقل امساكا من العين اليمنى » فلذلك صارت أسرع بالدمع ، وكذلك المياسر اقوى من الميامن فى كل شىء الا فى اللمس خاصة ، فان اليد اليسرى فيه أقوى حاسة .. ثم قال : ان القول الصحيح فى معناه ان الصمة كان أعــور العين اليمنى .. وساق الدليل على ذلك .

(كان الصِّمّةُ أعْوَرَ ، فيقول : إنه بكى بعينِه الصَّحيحَةِ ، فلما زَجَرَهَا ، أى كَفْكَفَهَا ، فاضَتْ العينُ التَّالفة) .

وقال جَرِير بن عطيّة[1]

أقولُ لصُحْبَتِى لما ارتَحَلْنا ... ودَمْعُ العينِ مُنْهَمِرٌ سِجامُ
أتَمْضُونَ الرّسومَ ولا تُحَيّا ... كلامُكُمُ علىَّ إذنْ حَرَامُ[2]
مُقَامُ الحَىّ مرَّ له ثَمَان ... إلى عِشْرِينَ قد بَلِى المُقَامُ
تَعالَى فوقَ أَجْرَعِكَ الخُزامَى ... بنورٍ ، واستهَلَّ بكَ الغَمَامُ[3]

[١١٠١]

وقال البحترى[4] :

ما على الركبِ من وُقوفِ الرّكابِ ... فى مغانى الصِّبى وَرسْمِ التّصابى
أين أهْلُ القِبابِ بالأجْرَعِ الفرْ ... دِ ، تولَّوْا ، لا أين أهْلُ القِبَابِ[5]
عَرِّجُوا فالدّموعُ إن أبْكِ فى الرّسْمِ ، دُمُوعِى والاكتئابُ اكتئابى
وكمِثْلِ الأحبابِ لو يَعْلَمُ العا ... ذِلُ عندِى مَنازِلُ الأحبابِ

وقال عمرُ بن أبى ربيعةَ المَخْزُومِىُّ[6] :

---

(١) الأبيات فى ديوانه/٥١٢ (ط. الصاوى) من قصيدة مطلعها :

مَتَى كانَ الخِيَامُ بذِى طُلُوح ... سُقِيتِ الغَيْثَ أيَّتُهَا الخِيَامُ

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (٥ و ٦ و ٤ و ٣) وهى متفقة مع رواية الديوان .

(٢) نصب الرسوم بالفعل تمضون اما على نزع الخافض، او على تضمينه معنى تجاوزون، وفى الديوان ذكر شارحه رواية أخرى لم يعزها لمرجع ، وهى : « تَمُرُّونَ الدِّيَارَ ولَمْ تَعُوجُوا » وهو مما يتمثل به .

(٣) فى الديوان « تغالى » وفسره باكتهل ، واكتهال النبت : تمام طوله وظهور نوره . والخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح ، فيها نور كنور البنفسج ، ليس فى الزهر أطيب ريحا منها .

(٤) الأبيات فى ديوانه (١/٧٠) من قصيدة يمدح بها أحمد بن اسماعيل بن شهاب ، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات : (١ و ٢ و ٤ و ٥) وروايتها متفقة مع ما ورد فى الديوان.

(٥) بين هذا البيت والذى يليه فى الديوان البيت التالى :

سَقَمٌ دُونَ أعْيُنٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وعَذَابٌ دُونَ الثَّنَايا العِذَابِ

(٦) الأبيات فى ديوانه/١٩١ (ط بيروت) وهى من أول القصيدة على الترتيب .

أَمِن(١) رَسْمِ دارٍ دَمعُكَ المُترقرِقُ سِفاهًا ، وما استِنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ

بحيثُ التقى جَمْعٌ ومَفضى(٢) مُحَسِّرٍ معالمُه كادَتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ

ذكرتُ بها ماقد مَضَى وتَذَكُّرُ(٣) الـ حَبيبِ ، ورَسْمُ الدّارِ مما يُشَوِّقُ

ليالىَ من دَهْرٍ إذِ الحىُّ جِيرةٌ وإذ هُو مأْهُولُ الخَمِيلَةِ مُونِقُ

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن الخُزاعىّ(٤) :

أَمِنْ آلَ سَلْمَى الرَّسْمِ أنت مُسَائِلُ نَعَمْ ، والمَغَانى قد دَرَسْنَ مواثِلُ

[١٠١ب] فظَلْتَ بها تُفْضِى على حَدِّ عَبْرَةٍ كأنَّكَ من تَجْرِيبِكَ الدَّهْرَ جاهِلُ(٥)

وقد كانَ ما فيه لذى اللُّبِّ عِبْرَةٌ ورأىٌ لذى رَأْيٍ ، فهل أنت عاقِلُ؟

تَذَكُّرُ إخوانٍ مَضَوْا فَتَتَابَعُوا وشيبٌ علا منكَ المفارقَ شامِلُ

وقال ذو الرُّمَّةِ(٦) :

أَهاجَتْكَ أَطلالُ الرُّسُومِ الدَّوَاثِرِ بـأَدْعاصِ حَوْضَى المُعْنِقاتِ النوادِرِ(٧)

---

(١) فى الديوان « أفى رسم دار » .

(٢) فى الديوان « واقصى محسر » .

(٣) رواية الديوان « .. وتَذَكُّرى حَبِيبًا ورَسْمُ الدّار .. »

(٤) لم ترد هذه الابيات فى ديوانه ، وقد اورد جامعه البيت الثانى منها فى ابيات ستة فى ديوانه ١/٢٤٥ مطلعها :

اللشَّوْقِ لما هَيجتْكَ المَنازِلُ بحَيْثُ التقَتْ من بينْتَيْنِ الغَيَاطِلُ

ويبدو أن الأبيات التى هنا من قصيدة أخرى ، ويوحى بذلك التصريع الوارد فى البيت الاول . وقد عرف كثير باكثاره من قافية اللام ، حتى قال صاحب الاغانى: « من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية لم يجمع شعره » (الاغانى ٨/٢٦ ط بولاق) .

(٥) فى الديوان « ظللت بها » وفى ياقوت (معجم البلدن ٢/٧٢٧ ط ليبزج) ورد هذا البيت ومعه بيت آخر فى رسم « رواوة » فقال :رواوة : موضع فى جبال مزينة، قال ابن السكيت: رواوة والمنتضى وذو السلايل : أودية بين الفرع والمدينة ، قال كثير :

وغَيَّرَ آياتٍ بِبُرْقِ رواوة تَنَائِى اللَّيَالِى والمَدَى المُتَطَاوِلُ

ظَلَلْتَ بها تُغْضِى على حَدِّ عَبْرَةٍ كأنَّكَ مِنْ تَجْرِيبكَ الدَّهْرَ جاهِلُ

(٦) الأبيات فى ديوانه/٢٨٢ ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات ١ و ٨ و ٩ و ١٠

(٧) الديوان (أَشاقَتْكَ أَخْلاقُ الرُّسُومِ الدَّوَاثِرِ)

والأدعاص : جمع دعص ، وهو الكثيب من الرمل ، وحوضى : موضع ، والمعنقات : التى لها أعناق متقدمة ، يعنى الادعاص المتقدمات ؛ قال أبو عمرو : المعنقات التى تعنق مع الريح ، أى تذهب معها ، والمعنقة أيضا : اطلعت عنقها ، وخرجت من صواحبها .

نَعَم هاجَت الأطلالُ شوقًا كَنى بِهِ   من الشَّوْقِ إلا أنه غيرُ ظاهِرِ
فما زلْتُ أطْوِى النفسَ حتى كأنَّها   بذى الرِّمْثِ لم تخطُرْ على بال خاطر[1]
حياءً وإشفاقا من الركب أن يَرَوْا   دَليلًا على مُستودَعاتِ الضَّمائر[2]

وقال مهيار[3] :

ورُبَّ رَسْمٍ ماثِلٍ   أعْجَمَ ثمّ بيَّنا[4]
وقال : مِنْ هُنا طلَعْـ   ـنَ ، وغَربْنَ من هُنا[5]
يا بأبى المسكون لو   أنِّى وجدت السَّكَنا[6]
قالوا : النوى تسميَةً   والموتُ يَعْنِى من عَنَى
مَن اشْتَكَى أشْجانَه   فما أحسَ الشجنا[7]
كان فؤادِى وَهُمُ   فظَعَنُوا وَظَعَنَا
لم يَتْرُك الغادُون لى   قلبًا نُجِنّ الحَزَنا[8]

وقال المُرْتَضَى – رضى الله عنه[9] – :

ما بالُ رَسْمٍ بكَثِيبِ الحِمَى   عُطْلًا بلا شاءٍ ولا جامِلِ[10]   [١١٠٢]

---

(١) الديوان (على بال ذاكر) ومعنى اطوى النفس : اضمرها على شيء ، ولم تخطر : يريد صاحبته مية ، على بال من يذكرها ، يعنى نفسه ، وذو الرمث . واد لبنى أسد .

(٢) فى الديوان (مستودعات السرائر) .

(٣) الأبيات فى ديوانه (١٤٢/٤) من قصيدة كتب بها الى كمال الملك أبى المعالى ، وهو بتكريت يهنئه بالنيروز ، ومطلعها :

أيْنَ ظِبَاءُ المُنْحَنَى   ىَ وَالِنمَا وأعْيُنَنا ؟

(٤) أعجم : لم يفصح .
(٥) رواية الديوان . « فقال »
(٦) السكن : أهل الدار .
(٧) رواية الديوان لهذا البيت هكذا :

« مَنْ اشْتَكَى أحْزَانَهُ   فما أجَنّ شَجَنَا »

(٨) هذا البيت يسبق الذى قبله فى ترتيب الديوان ، ورواية الديوان لشطره الثانى :
« قَلْباً يُحِسُّ الحَزَنا » .

(٩) الأبيات فى ديوانه (١٠٤/٣) من قصيدة يمدح بها فخر الملك ، وهى من أولها على الترتيب

(١٠) رواية الديوان : « ما بالُ حِقْفٍ بكَثِيبِ اللِّوَى . . »

حالَتْ مغانيهِ وَوَجْدِى به غَضٌّ جديدٌ ليس بالحائِلِ

لو أبْصَرَتْنِى ناحِلًا عينُه لاستأْنَسَ النَّاحِلُ بالنَّاحلِ

وقال القاضى الجَليس أبو المَعالى عبد العزيز بن الحُسَيْنِ، المعروف بابن الحَبَّاب[1] :

أَجَدَّكَ لا تراكَ العَيْنُ تُذْرِى عَقِيقًا كلما لاحَ العَقِيقُ

سقَى رَمْلَ الحِمَى ورُسُومَ مَغْنىً الـ لُّوَى هَزِجٌ يَرُوق بما يُرِيقُ

فيكْسُو عاطِلَ الهَضَباتِ رَوْضًا له من زَهْره حَلْىٌ أنِيقُ

أَراقَ الطَّلُّ مدمَعَه عليهِ وشَقَّ جيوبَه فيه الشَّقِيقُ

وقلت[2] :

وقفتُ على رسمٍ بِبَيْداءَ بَلْقَعِ خَلِيٍّ من النَّادى صَمُوتٍ إذا دُعِى

نَبَتْ عنه عينى ثم قال لها البِلَى : هى الدار فاذْرَىْ من دُمُوعِكِ أودَعِى[3]

ولاتُنْكِرَنْ[4] للدَّهْرِ إخْلاقَ جِدَّةٍ وتشتيتَ أُلَّافٍ وإيحاشَ مَجْمَعِ

[١٠٢ب] فَلِلمَوْتِ سُكَّانُ الدِّيَارِ، وللبِلَى منازِلُهُمْ ، وشَمْلُهُمْ للتَّصَدُّعِ

فصَبْرًا فإن رَدَّ التفجُّعُ والأسى عليكَ الذى وَلَّى من الأمرِ فاجْزَعِ[5]

وقال الشَّمّاخ بن ضِرَار[6] :

---

(١) ترجمته فى جريدة القصر (قسم شعراء مصر ١٨٩/١ - ٢٠٠) ونسبه العماد فقال : « الأغلبى السعدى التميمى .. » وهو من ذرية بنى الأغلب التميميين سلاطين افريقيه ، توفى سنة ٥٦١ هـ . وانظر أيضا الروضتين ١٤١/١ وفوات الوفيات ٢٧٨/١ .

(٢) الأبيات فى ديوانه/٣٠١ .

(٣) رواية الديوان لهذا البيت :

نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِى ، ثمَّ قالَ لها الهَوَى : هِىَ الدَّارُ ، فاسْتَمْرِى شُئُونَكِ ، أو دَعِى

(٤) فى الديوان « ولا تنكرى » .

(٥) الديوان :

فَصَبْرًا ، فإنْ عَزَّتْ نَوائِبُ دَهْرِنا وأحْدَاثُهُ حُسْنَ التَّصَبُّرِ فاجْزَعِ

ومعنى عزت : غلبت . ورواية الديوان أجود .

(٦) البيتان فى ديوانه/٢١ (ط السعادة) من قصيدة يهجو فيها الربيع بن علباء السلمى .

طالَ الثَّواءُ على رسم بِتَمْثُودِ أَوْدَى ، وكلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِ[1]
دارَ الفَتاةِ التى كُنَّا نقولُ لها يا ظَبْيَةً عُطُلًا حُسَّانةَ الجيدِ[2]

وقال البحترى[3] :

ولقد نَهَيْتُ الدمعَ يوم سُوَيْقَةٍ فأَبَتْ غوالِبُ عَبْرَةٍ ماتُغْلَب
عَفَتِ الرسوم ، وما عَفَتْ احشاؤه من عَهْدِ شوقٍ ما يَزُولُ فيذهبُ[4]
ولو أَننى أنصَفْت فى حُكْمِ الهَوَى ما شِمْتُ بارِقَةً ورأْسِى أَشْيَبُ

وقال أبو العَتاهِيَة[5] :

سل الأَيام عن أُمم تقَضَّت ستخبُرك[6] المعالم والرسوم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نَئُومُ
تروم الخلدَ فى دارِ المنايا وكم قد رام قبلك[7] ما تروم
ألا يـأَيها الملك المُرَجّى عليك نواهض الدنيا تحوم
لأَمرٍ ما تصرَّفت[8] الليالى وأَمرٍ ما تَقَلَّبَتِ النُّجُومُ

---

(١) الديوان (يمئود) وفى تفسيره أنه واد لغطفان ، وفى اللسان (ماد) انه موضع ورد فى شعر زهير ، وبشر ، فى قول الشماخ .

غَدَوْنَ بها صُفْرَ الخُدودِ كما غَدَتْ عَلَى ماءِ يَمْئُودَ الدِّلاءُ النَّواهِزُ ؟

وقال أيضا :

فَظَلَّتْ بِيَمْئُودٍ كأَنَّ عُيونَهَا إلى الشَّمْسِ هَلْ تَدْنُو رُكِيٌّ نَوَاكِزُ ؟

ومثله أيضا فى معجم البلدان وضبط بفتح الياء ، وفى معجم ما استعجم « تمئود » .

(٢) البيت فى اللسان (حسن ، عطـل) الحسانة : الحسنة ، والعطل بضمتين التى خلا جيدها من القلائد ، والعطل - بفتحتين - : تمام الجسم وطوله .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١/٦٢ من قصيدة يمدح بها اسحق بن ابراهيم بن مصعب ومطلعها:

عارَضْنَنَا أُصُلًا فقُلْنَا الرَّبْرَبُ حَتَّى أَضاءَ الأُقْحُوانُ الأَشْنَبُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٥ و ١٣ و ٤) .

(٤) الديوان : (مِنْ عَهْدِ شَوْقٍ ما يحُولُ فَيَذْهبُ) وهكذا أورده المصنف فى / ١٠٣ ب .

(٥) الأبيات فى ديوانه (الأنوار الزاهية / ٢٤٧) من قصيدة فى التنفير من البغى والظلم ولها خبر أورده جامع الديوان ، ومطلع القصيدة فيه :

أَما واللهِ إنَّ الظُّلْمَ لُومُ ولكِنَّ المُسِىءَ هُوَ الظَّلُومُ

(٦) فى الديوان « فتخبرك » (٧) الديوان « غيرك »

(٨) فى الديوان « توليت » وما هنا احسن ، لخلوه من الضرورة الموقعة فى مخالفة القياس .

[١٠٣ا]

فصل آخـــر فى ذكر الرسم

قال مالك بن مُعاوية بن سَلَمَةَ القُشَيْرِىّ :

تذكَّرْتُ من سَلْمَى وذو الشوقِ ذاكِرُ ... وحاجَةُ من لم تُقْضَ داءٌ مُخاوِرُ

تذكُّرَ ذى شَوْقٍ وهاجَ صبابةً ... خيالُ سُلَيْمَى والرّسومُ الدّواثِرُ

بجَوٍّ كأن لم تحتَلَّهُ ، ولم يكُن ... لأهْلِكَ مَبْدًى حَوْلَهُ ومحَاضِرُ

وقال كَعبُ بن مَشْهور المُخَبَّلِىّ(١) :

فقولا لباقِى رَسْمِ مَيْلاءَ باللِّوَى ... لِوى الهَضْبِ بين المَغْرِ والمُتَخَرِّمِ

عليك سلامٌ أيها الرّسمُ باللِّوى ... وحُيِّيتَ مَسْئُولًا وإن لم تَكَلَّمِ

بما كنتَ إذْ مَيْلاءُ مَيْلاءُ ، والهَوَى ... جميعٌ ، وشَعبُ الدّار لم يَتَقَسَّمِ

كما يَتَمَنَّى من تَمَنَّى ، ولا أرى ... دَوَاءً من الدّنيا لحىٍّ بأنْعُمِ

فإن يَخْلُ من مَيْلاءَ رَبْعٌ فما خلا ... بنات الهوى من حُبِّها المُتقدِّمِ

صَحَا مَن تَصابَى من لِداتى وحُبُّها ... شريكُ المَنَايَا خيضَ فى اللّحمِ والدّمِ

[١٠٣ب]

وقال البُحْتُرِى(٢) :

عجَبًا لهجرِكِ قبل تشتيتِ النَّوى ... منّا ، وَوَصْلِكِ فى التَّنائِى أعْجَبُ

أنّى اهْتَدَيْتِ ، وما اهتديتِ لمُعمَدٍ ... من ليلِ عانَةَ والثُّريا تَجْنَبُ(٣)

---

(١) كذا ورد اسمه ، ولعل الصواب « كعب المشهور بالمخيل القيسى » وانظر (تزيين الاسواق ٩٣) وفيه خبره مع ميلاء . وذكر الاختلاف فى اسم أبيه ، وانظر أيضا الاغانى (٢١/٢٤٩-٢٥٦ ط ليدن) ولم يرد الشعر فيما اختاره الاصفهانى له وانظر ايضا معجم الشعراء / ٢٣٧ هامش .

(٢) الأبيات فى ديوانه ١/٦٢ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، ومطلعها

عارَضْنَنَا أُصُلًا فقُلْنَا الرَّبْرَبُ ... حتَّى أضاءَ الأُقْحُوانُ الأشْنَبُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات (١١-١٣) .

(٣) الديوان « كَيْفَ اهْتَدَيْتَ وما اهْتَدَيْت لمُغْمَدٍ » .

والثريا : النجم المعروف ، وتجنب : تتحول جنوبا .

عَفَت الرّسُومُ وما عفت أحشاؤه   من عهدِ شوق ما يَحُولُ فيَذْهَبُ

وقال أبو دُواد الإيادى :

أمِن رَسْمٍ تعفّى أو رَمادِ   وسُحْمٍ (١) كالحماماتِ الفِرادِ

أطاعَتْك الشُّئُونُ فظَلْت صَبًّا   كأنَّ وكيفَها واهِى المزاد(٢)

وهل يَشْتَاقُ مثلُك فى دِيارٍ   عَفَتْها الريحُ والدِّيَمُ الغَوَادِى(٣)

ذكرتَ بها سُعَادَ فعُجْتَ جَهْلًا   على رسمٍ تُسائِلُ عن سُعادِ(٤)

وقال ربيعةُ بن مَقْروم الضَّبِّى :

أمِنْ آلِ هِنْد بالشُّرَيْفِ رُسُومُ   دوارِسُ منها حادِثٌ وقَدِيمُ(٥)

محَتْها رِياحُ الصَّيْف بعدك والبِلَى(٦)   وأسْحَمُ رجَّاف العشِىِّ سَجُومُ

عَهِدْتُ بها هِنْدًا ، وهِنْدٌ غَرِيرَةٌ   عن الفُحْشِ بَلْهَاءُ العَتِىِّ نَئُومُ(٧)

فَشَطَّتْ نَوَى عنكِ الدِّيَارُ فأصبَحَتْ   مناصبُ رَضوَى دُونها وتَسُومُ

[١١٠٤]

وقال الأخطل(٨) :

تغيّر الرسمُ من سَلْمَى بأَجْفارِ   وأقْفَرَتْ من سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدّارِ

---

(١) سحم : سود ، الواحد اسحم أو سحماء ، والمراد بها فى البيت الاثافى ، وهى ثلاثة احجار تنصب لتجعل فوقها القدر .

(٢) الشئون : الدموع ، والوكيف : مصدر وكف الماء ، اذا سال وقطر قليلا قليلا ـ والواهى : من وهى الثوب ، اذا تخرق وانشق ، والمزاد جمع المزادة ، وهى ما يحمل فيه الماء كالقربة ونحوها .

(٣) الديم جمع ديمة ، وهى السحابه يدوم مطرها ـ والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ فتمطر غدوة .

(٤) عجت : يريد عطفت على هذا الرسم ، واقمت به .

(٥) الشريف : ماء لبنى نمير ، وقيل : واد بنجد ، فما كان عن يمينه فهو الشرف ، وما كان عن يساره فهوالشريف .

(٦) الأسحم : يريد السحاب الأسود ، والرجاف : مبالغة من قولهم : رجف الرعد ، اذا تردد صوته فى السحاب ، والسجوم : مبالغة من سجم المطر ، اذا سال .

(٧) فى اللسان : البلهاء من النساء : الكريمة المزيرة الغريرة المغفلة .. وقال الأزهرى : الأبله فى كلام العرب على وجوه : يقال : عيش أبله ، وشباب أبله ، اذا كان ناعما .. ومنه أخذ بلهنية العيش . والنئوم : الكثيرة النوم ، كنى بذلك عن تنعمها ، لأنها غير ممتهنة بالأعمال ، فهى مكفيتها .

(٨) الأبيات فى ديوانه /١١٢ (ط بيروت)

وقد تكونُ بها سَلْمَى تُحَدِّثُنِى ... تساقُطَ الحَلى حاجاتِى وأوْطارى

ثم استمَرّ بسَلْمَى نِيَّةٌ قَذَفٌ (١) ... وسَيْرُ مُنْقَضِبِ الأقرانِ مِغيارِ

كأنَّ قلبى غداةَ البَيْنِ مُنْقَسِمٌ ... طارتْ به عُصَبٌ شَتى لأمْصارِ

ولو تَلُفُّ النوى من قد تُشوِّقه ... إذن قَضَيْتُ لُباناتى وأسْرارِى

وقال النابغةِ الذبيانى(٢) :

أرَسْمًا جديدًا من سُعادَ تَجَنَّبُ ... عفَتْ روضَةُ الأجْدادِ منها فيثْقُبُ(٣)

عفا آيَهُ ريحُ الجَنُوبِ مع الصَّبا ... وأسحَمُ دانٍ مُزْنُه متصَوِّبُ(٤)

عهِدْتُ بها سُعْدَى وفى العيشِ غِرَّةٌ(٥) ... فأصْبَح باقى وُدِّها يتقَضَّبُ

وقد غَنِيَتْ سُعْدَى نُثِيبُ بُودِّها ... ليالىَ لا يُسطَاعُ منها التَّجَنُّبُ

وقال نافِذُ بنُ عُطارِد :

[١٠٤ ب]

ألا أيها الرسم المَحِيلُ ألم تَكُنْ ... بك الأنَسُ الرّاضُونَ والخَيْلُ رُوَّدَا(٦)

وبِيضُ العذارى فى جَميعٍ ، كأنَّها ... نِعاجُ المَلا يَلْبَسْنَ رَيْطًا ومِجْسَدَا(٧)

فإنى وتَهْيَامِى بهِنّ لكالذى ... إذا نالَ من صَدَّاءَ شِرْبًا تردَّدا(٨)

---

(١) النية : الأمر والوجه الذى ينويه المسافر من قرب أو بعد . والقذف – بفتحتين وبضمتين أيضا – : البعيدة .

(٢) الأبيات فى ديوانه ١٠/ط بيروت ، وهى مقدمة قصيدة يعتذر فيها الى النعمان بن المنذر ، ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و ٢ و ٥ و ٦) .

(٣) روضة الأجداد : موضع بنجد فى بلاد غطفان – ويثقب : موضع فى البادية واورد ياقوت البيت فى الموضعين (الأجداد ، يثقب) .

(٤) الأسحم : لأسود ، والمزن : السحاب ، والمزنة : المطرة . أراد ان معالمه محتها الرياح والأمطار التى تعاورت عليها .

(٥) فى الديوان : « وفى العيش عزة » وماهنا انسب للمعنى ، وغرة العيش : نعيمه ورخاؤه .

(٦) الأنس : الحى المقيمون – والرود : جمع رائد ، من رادت الدابّة ، اذا تنقلت فى المرعى مقبلة ومدبرة .

(٧) النعاج : واحدة نعجة وهى هنا البقرة الوحشية ، والعرب يشبهون المراة بها فى الجمال وسعة العين . والريطة : الملاءة كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، والمجسد : الثوب الملامس للجسد

(٨) صداء : اسم بئر عذبة الماء وفى المثل : « ماءٌ ولا كَصَدَّاء » وفى اللسان : أنشد أبو عبيدة

وإنّى وتَهْيَامِى بزَيْنَبَ كَالَّذِى ... يُحَاوِلُ من أحْوَاضِ صَدَّاءَ مَشْرَبا

والشرب : الحظ من الماء .

فإن كُنْتَ ذاعقلٍ فأَقْصِر عن الصِّبَى ولا تُتْبِعَنْ عَيْنَيْكَ شَعْباً تَبَدَّدا

وقال جَميلُ بن مَعْمَر[1] :

أَهاجَكَ أَمْ لا بالتَّناصُفِ[2] مَرْبَعُ ورَسْمٌ بأَجْراعِ الغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ

دِيارٌ لليلى إذ نحل بها معًا وإذْ نَحْنُ منها فى المَوَدَّةِ نَطْمَعُ

فإن تَكُ قد شَطَّت نَواها ، وأن نَأَتْ فإن النَّوى مما تُشِتُّ وتَجْمَعُ[3]

وقال كُثَيِّر[4] :

لعزَّةَ من أيّامِ ذى الغُصْنِ هاجَنِى بضَاحِى قَرَار الرَّوْضتَيْنِ رُسُومُ[5]

هىَ الدّارُ وَحْشًا غَيْرَ أن قد يَحُلُّها ويَغْنَى بها شَخْصٌ عَلَىَّ كَرِيمُ[6]

سأَلْتُ حكيما : أين شَطَّتْ بها النَّوى ؟ فَخَبَّرَنى مالا أُحِبّ حَكِيمُ[7]

تَمُرُّ السنونَ الماضياتُ ولا أرَى بصَحْنِ الشَّبا أطلالَهُنَّ تَرِيمُ[8]

---

(١) الأبيات فى ديوان جميل /١١٧ (ط مكتبة مصر بتحقيق حسين نصار) .

(٢) التناصف : لم يذكره البكرى ، وقال ياقوت هو موضع بالبادية فى شعر جحدر اللص :

نَظَرْتُ وأَصْحَابِى تَغَالَى رِكَابُهم وبالسِّرِّ وادٍ من تَناصُفَ أَجْمَعا ..)

ورواية الديوان «بالمداخل» ، ولم أجد الغديرين ، والذى فى البلدان الغدير ، وهو اسم لمواضع كثيرة تتحدد بالاضافه ، فلعله أراد الغدير فثناه على عادة الشعراء .

(٣) رواية الديوان للشطر الأول هى :

« وإنْ تكُ قدْ شَطَّتْ نَوَاهَا ودارُها »

(٤) الأبيات فى ديوانه ١٨٥/١ من قصيدة قالها لما خرجت عزة الى مصر ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٣ و ٥ و ٢٢) .

(٥) ذو الغصن : واد قريب من المدينة تنصب فيه سيول الحرة . والروضتان : هما روضة آجام من جانب ثافل ، وروضة شوطى من حرة بنى سليم ، وقد أوردهما فى البيت الذى بعده فى الديوان فقال :

فَرَوْضَةُ آجامٍ تَهِيجُ لِىَ البُكا ورَوْضاتُ شَوْطَى عَهْدُهُنَّ قَدِيمُ

(٦) وحشا : قفرا ، ونصبه على الحال من الدار ، وهو مصدر بمعنى الصفة ، أى موحشة .

(٧) حكيم : أراد ابن حكيم وهو راويته .

(٨) فى الديوان ضبط (تريم) بفتح أوله من رام ، وفسره بتقيم وتثبت ، وأكثر ما يستعمل مع النفى يقال : لا يريم أى لا يبرح . وفى معجم البلدان « السنون الخاليات » والشبا : موضع بمصر ، وقيل . شبا : واد بالاثيل من أعراض المدينة به عين يقال لها : خيف الشبا .

[١٠٥ أ] وقال ذو الرُّمَّة(١) :

أحادِرَةٌ دُموعَك دارُ مَيٍّ وهائِجَةٌ صَبابَتَك الرُّسُومُ
عَفَتْ وعُهودُها مُتَقادِماتٌ وقد يَبْقَى لَكَ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ(٢)
وقد يُمْسى الجميعُ أُولو المَحاوِى بها المتجاوِرُ الحِلَلُ المقيمُ(٣)

وقال آخر

لم يَبْقَ بعدَكُم رَسْمٌ ولا طَلَلُ إلا وللبيْنِ فى تغْيِيرِه عَمَلُ
غِبْتم فأَوْحَشْتمُ الدنيا لغَيْبَتِكُمُ فاليومَ لا عِوضٌ منكم ولا بَدَلُ
حمَّلْتمُونى على ضَعْفِى بفُرْقَتِكم ما ليْسَ يحمِلُه سَهْلٌ ولا جَبلُ
إذا شمَمْتُ نسيمًا من دِيارِكمُ عَدِمْتُ عَقْلِى ، كأَنِّى شارِبٌ ثَمِلُ

وقال البحترى(٤)

أَصبا الأَصائِلِ إنَّ بُرْقةَ ثَهْمدٍ(٥) تشْكُو اختلافَكَ بالهُبُوبِ السَّرْمَدِ (٦)
لا تَبْغِنِى عرصاتِها إنَّ الهوى مُلْقًى على تلك الرسُومِ الهُمَّدِ(٧)
دِمنٌ مواثِلُ كالنجُومِ ، فإن عَفَتْ فبأَىِّ نَجْمٍ فى الصَّبابةِ نَهْتَدِى ؟!

---

(١) الابيات فى ديوانه / ٥٨٩ ويقابلها من القصيدة الابيات (١ و ٥ و ٦) .

(٢) المعنى : عهدك بها أيام لقيتها بهذا الموضع قديم .

(٣) الجميع : المجتمعون . والمحاوى : الأبيات المتجاورة ، الواحدة محوى . والحلل : جمع الحلة ، وهى الموضع الذى يحله القوم ، أراد وقد يمسى المتجاور الحلل ، فاضاف .

(٤) الأبيات فى ديوانه (١/ ١٧٠) من قصيدة يمدح بها الخضر بن احمــد الثعلبى ، وهى من اولها على الترتيب .

(٥) فى الديوان (إنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدٍ) والبرقة : الأرض ذات الحجارة المختلفة الالوان ، وهى كثيرة فى بلاد العرب ، تحدد بالمضاف اليها ، وبرقة ثهمد . لبنى دارم ، قال طرفة :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كباقِى الوَشْمِ فى ظاهِرِ اليَدِ

(٦) السرمد : الدائم الذى لا ينقطع .

(٧) لاتبغنى ، أى لا تطلب لى ، والعرصات : واحدها عرصة ، وهى ساحة الدار . والبقعة الواسعة بين الدور ، لا بناء فيها ــ والهمد : يريد به التى بليت .

وقال أيضا (١)

ولقد وقَفتُ على الرُّسوم فلم أجِدْ عَتبًا على سكْبِ(٢) الدمُوعِ الذُّرَّفِ
وسأَلتُها حين انْجذَبْتُ فلم تُصِخْ فيه(٣) لدعوةِ عاشِقٍ مُسْتوقِفِ
دِمَنٌ جنَيتُ بها الهَوى من غُصْنِه وسحبْتَ فيها اللَّهْوَ سحْبَ المِطْرَفِ
فلأُجْرِينَّ الدَّمعَ(٤) إن لم تُجْرِهِ ولأَعْرِفَنَّ الوَجْدَ إن لم (٤) تَعْرِفِ

وقال ذُو الرُّمَّة(٥)

أَلا حيِّ بالزُّرْقِ الرسُومَ الخَواليا وإن لم تكُنْ إلا رَمِيمًا بواليا(٦)
عفَتْ بُرْهَةً أطْلالُ مَيٍّ وأذْرجت بها الرِّيحُ تحت الغَيْمِ قطْرًا وسافِيا(٧)
تحمَّلَ منها أَهْلُ مَيٍّ فودَّعُوا بها أهلَها(٨) لا ينْظُرُون التَّواليا
وقد كنتُ من مَيٍّ إذِ الحيُّ جيرَةٌ على البُخْلِ منها مَيِّتَ القَلْب ساهِيَا(٩)

وقال آخر

بكيتُ وما أبكانىَ الرَّسْمُ إذ عَفا ولا الرَّبعُ أَضْحى نُؤيُه وهو دَاثِرُ(١٠)
ولكنَّنى لا أَسْتَفِيقُ تَذَكُّرًا وليس بمُنْفكٍّ من الدمع ذاكِرُ

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/١٢٠) من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد ومطلعها :

أَتُرَاكَ تَسْمَعُ للحَمَامِ الهُتَّفِ شَجْوًا يَفِيءُ بشَجْوِكَ المُسْتَطْرَفِ

ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الابيات (٤ ـ ٧) .

(٢) فى الديوان (على سَنَنِ الدُّمُوعِ)

(٣) الديوان (فِيها لدَعْوَةِ واقِفِ) وما هنا أنسب .

(٤) الديوان (اذ لم) فى الموضعين .

(٥) الأبيات فى ديوانه/٦٤٩ ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٦ و ٩ و ١٥) .

(٦) الزرق : رمال بالدهناء : وقيل : قرية بين النباج وسمينة صعبة المسلك . وردت كثيرا فى شعر ذى الرمة .

(٧) عفت : درست ـ برهة : زمنا ، السافى : ما سفته الريح من التراب والقطر .

(٨) الديوان (أهلنا) ولا ينظرون ، أى لا ينتظرون ، والتوالى من الظعن والابل : أواخرها ، وعنى بذلك العجلة فى الرحيل .

(٩) الديوان (ميت الشوق ساليا) .

(١٠) النؤى : مجرى يحفر حول الخيمة والخباء وقاية من السيل ، والداثر : البالى المتهدم .

[١٠٦ أ]

٨ ـ فصـــــل في ذكر الآثار

قال تبارك وتعالى : « إِنَّا نحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ، ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ » [١] قيل : نُحْيِيهِم بالإيمانِ بعد الكُفْرِ ، وقيل : بالبَعْثِ ، «ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا : ما عمِلُوا من خير أو شر . « وآثارَهُم » ما أثَّرُوا من سُنَّةٍ حسنة ، وسِيرةٍ يُعمل بها بعدهم ، وقيل : « آثارهم » : خُطاهم إلى المساجد .

وروى سُفيان ، عن أَبي نَضْرَة [٢] ، عن أَبي سعيد الخُدْرِي ـ رحمهم الله ـ قال : « كانت بنو سَلِمَة في ناحيةِ من المدينة ، فأَرادُوا أَن ينْتَقِلُوا إلى قريب من المسجد فنزلت : « إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ المَوْتى ، ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُم » فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن آثَارَكُمْ تُكْتَب » فلم ينْتَقِلوا [٣] .

وقد روى عن أَبي سعيد الخُدْرِيّ ـ رحمه الله ـ أَنَّ بني سَلِمة شكَوْا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بُعْد منازِلِهِمْ من المسجد ، فأَنزل الله سبحانه : « إنا نَحْنُ نُحْيِ الموْتى ، ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثَارَهم » فقالوا : عليكُمْ منازِلَكُم ، فإنما تُكْتَبُ آثارُكم [٤] .

---

(١) سورة يس/١٢ .

(٢) أبو نضرة . اسمه المنذر بن مالك ، وهو تابعي .

(٣) في صحيح الترمذي (١٠٦/١٢) تفسير سورة يس بسنده عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري « .. فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب ، فلم ينتقلوا » قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري ، وأبو سفيان هو طريف السعدي

وروايته في البخاري ١٢٨/١ (ط بولاق)) « الأذان » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الا تحتسبون آثاركم ؟ » قال مجاهد في قوله تعالى : « ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ » قال آثارهم : خطاهم . وقال ابن ابي مريم : « أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد ، حدثني انس أن بني سلمة ارادوا ان يتحولوا عن منالهم، فينزلوا قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم قال : فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا (المدينة ، كمـــا في اللسان / عرى) فقال : الا تحتسبون آثاركم ؟ « قال مجاهد : خطاهم : آثارهم ، ان يمش في الأرض بأرجلهم » . ولفظه في الفتح الكبير ٢٨٣/١ كالرواية هنا عن أبي سعيد « ان آثاركم تكتب » .

(٤) لفظه في مسلم (مساجد) « يا بني سلمة دياركم ، تكتب آثاركم » ، ومثله في الفتح الكبير ٣٩١/٣ وفي مشارق الانوار للصاغاني (ج ٢ / ٣٤) ولفظه فيه بتكرار جملة دياركم .. الخ . وقال شارحه : « كرره النبي صلى الله عليه وسلم للتأكيد » .

وقال عُمَرُبنُعبدالعزيز – رضوان / الله عليه – : لو كان الله تعالى مُغْفِلًا شَيْئًا لأغفل هذه [١٠٦ ب] الآثار التى تعفُوها الرياح . يعنى قوله عز وجل : «إنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموْتَى ، ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارهُم(١)» .

قال الأَحْوص(٢)

ضَوْءُ نارٍ بدا لعَيْنَيْكَ أَم شَب(م) بتْ بذِى الأَثْلِ(٣) من سلامَةَ نارُ
تلك بين الرِّياضِ والأَثْلِ والبا ناتِ منَّا ومن سلامَةَ دارُ
وكذاك الزَّمانُ يذْهَب بالنَّا سِ ، وتَبْقى الرسُومُ والآثارُ

وقال المتنبي(٤)

صفْوُ الحياةُ لجاهل أَو غافِلٍ عما مضَى فيها ، وما يُتَوقَّعُ
ولمنْ يُغالِطُ فى الحقائقِ نفْسَهُ ويسُومُها طلبَ المُحَالِ فتَقْنَعُ(٥)
أَين الذى الهَرَمَانِ من بُنْيانِه ؟ ما قوْمُه ؟ ما يوْمُه ؟ ما المصْرعُ؟!
تتخَلَّفُ الآثارُ عن أَربابِها حِينًا ، ويُدْرِكُها الفَناءُ فتَتْبعُ(٦)

---

(١) سورة يس / ١٢
(٢) الأبيات فى الزهرة/٢٣٤ و ٢٣٥ منسوبة الى الاحوص ، ورواية البيت الثانى فيهـا هكذا :

تِلْكَ دارُ الغَضَاءِ وَحْشًا وقَدْ يَأْ لَفُهَا المُجْتَدُونَ والزُّوارُ

وبعده ، وهو قبل البيت الأخير هنا :

أَصْبَحَتْ دِمْنَةً تَلُوح بِمَتْنٍ تَعتَفِيهَا الرِّيَاحُ والأَمْطَارُ

(٣) ذو الأثل : موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة .
(٤) الأبيات فى ديوانه ٤٣١/١ من قصيدة يرثى بها أبا شجاع فاتكا ، ومطلعها :

الحُزْنُ يُقْلِقُ والتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ والدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

ويقبلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (٦ – ٩) .
(٥) يعنى بالحقائق ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا دار غرور وأخطار، والانسان فيها على خطر عظيم فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب وكلفها طلب المحال من البقاء فى سـلامة فطمعت فى ذلك ، أو قنعت به . ورواية الديوان (فتطمع)
(٦) فى الديوان (عن أصحابها) والمعنى أن الآثار تبقى بعد اصحابهـا حينا ثم لا تلبث أن تزول وتفنى مثلهم .

[١٠٧ أ]

وللَبيد بنِ ربيعةَ السبْقُ إلى هذا المعنى الذى قَصده الأحوصُ بقوله (١)

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم ... فعلَى آخرِ الزّمانِ الدّمارُ

وكذاكَ الزمانُ يَذْهبُ بالنا ... سِ وتَبْقَى الرسومُ والآثارُ

وقال سلْمُ بنُ عمرو الخاسر(٢) :

سلامٌ على الأطْلالِ والمنزلِ القفْرِ ... وإن كان لا يَغْنِيهِ وَصْلِي ولا هجْرِى

ولكن آثار الأحِبَّةِ بينَها ... بَلِينَ ، وما تَبْلَى البلابلُ فى صَدْرى

وقال البحترى(٣)

لا تأمُرَنِّى بالعزاء ، وقد ترى ... أثر الخَلِيطِ ، ولاتَ حينَ عزاءِ(٤)

زِدْنِى اشتياقًا بالمُدامِ وغَنِّنِى ... أَعززْ علىّ بفُرْقَةِ القُرَناءِ

فلعلَّنى أَلْقَى الردى فيُرِيحنى ... عما قليل من جوى البُرَحاءِ

وقال أبو الفرج الوأواء(٥) :

لمن أسائِلُ لارَسْمٌ ولا أثَرُ ... رَحلتُمُ وأقام الدمْعُ والسَّهَرُ

كنتم لعَيْنِى صباحًا لا مساءَ له ... فعاضَها البَيْنُ ليلا ماله سحَرُ(٦)

وما أعاب بشيء بعد فُرقتكم ... غيرَ البقاء فإنّى منه أعْتَذِرُ

وقال على بن أحمد بن أبى أُمية الكاتب (٧) :

---

(١) لم اجدهما فى ديوان لبيد (ط الكويت بتحقيق احسان عباس) وله من البحر والروى قصيدته التى اولها :

إنما يَحْفَظُ التُّقَى الأَبْرَارُ ... وإلى اللهِ يسْتَقِرُّ القرارُ

البيتان بمعانى هذه القصيدة اشبه .

(٢) لم أجد هذين البيتين فى أخباره والمختار من شعره فى الأغانى ٣١/١٠/١١-١٣٠ (ط ليدن) ولا فى طبقات الشعراء لابن المعتز (٩٩ - ١٠٦) .

(٣) الأبيات فى ديوانه ٣/١ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ومطلعها :

زَعَمَ الغُرابُ مُنَبِّئُ الأَنْباءِ ... أَنَّ الأَحِبَّةَ آذَنُوا بتَناءِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٣ و ٥ و ٦) .

(٤) الديوان (فلات حين عزاء) وبين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت التالى :

قَصَرَ الفِراقُ عن السُّلُوِّ عَزِيمَتِى ... وأَطَالَ فى تلك الرُّسُومِ بُكَائِى

(٥) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه بتحقيق كراتشكوفيسكى ، ولا فيما جمعه محققه من الكتب المختلفة من اشعار منسوبة اليه ، ولم نعثر عليها فى أى مصدر آخر .

(٦) عاضها : بدلها ، والبين : الفـراق ، والنأى .

(٧) تقدمت هذه الأبيات وخبـرها فى ص/٩٣ أ .

[١٠٧ ب]

يا رِيحُ ماتَصْنَعِينَ بالدِّمَنِ كم لكِ من مَحْوِ منظَرٍ حَسَنِ

محوتِ آثارنا وأحْدثْتِ آثا رًا بربْعِ الحبيبِ لم تَكُنِ

إن تكُ ياربعُ قد بَلِيتَ من الرِّ [م] يح فإنى بالٍ من الحَزَن

قد أوردت هذه الأبيات بتمامها وخبرها فى فصل المغانى .

وقلت[١] :

أعاضَنى الدهرُ من رُؤْيَاكُم نَظرِى آثَارَكُمْ ، وبرغْمِى ذلك العِوضُ

ثم استقالَ[٢] فقد أَضْحَتْ موانِعُهُ دونَ التَّدانى من الآثارِ تَعْتَرِضُ

فقلْ لمن يمْنَعُ الحِلَّ المباح غداً توفِى وحقِّكَ ماأصبحتَ تقْتَرِضُ

وقال مهيار[٣] :

عِمِى صَباحًا بعدنا وانْعِمِى يا دارَ صفْراء على الأنْعَمِ[٤]

دُعاءَ من أقنَعه البيْنُ بعْـ ـد العيْنِ بالآثارِ والمعْلَمِ[٥]

بكَى النَّوى أمْسِ ، فلم يَدخِرْ دمْعًا يفِيضُ اليوم فى الأرْسُمِ

خانَ بكاءُ العينِ أجْفانَه فَناح ، والنَّوْحُ بكاءُ الفَمِ

روى أنّ الأَخْطَلُ سأَلَ بكر بن وائِل ، فلما انتهى إلى بنى غُبَر ،فنزل بهم أبطئوا عليه ، فقال[٦] :

تنْزُو الدّجاجُ عليها وهى بارِكةٌ ترجُو عَطَاءَ سُوَيْدٍ من بنى غُبُرا

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة بن منقذ المطبوع .

(٢) استقال : طلب الاقالة ، وهى فى اصطلاح الفقه : فسخ عقد البيع .

(٣) الأبيات فى ديوانه (٣/٣١٣) من قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب ويهنئه بعيد المهرجان ، والبيت الأول هنا هو مطلع القصيدة ، والثلاثة التاليه له هى من (٧ ــ ٩) بترتيب الديوان .

(٤) الأنعم ــ بضم العين ــ موضع بالعالية ، وبفتحها : جبل ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة ، وقد وردت فى الديوان مهملة الضبط .

(٥) المعلم . ضبطت فى الديوان بضم الميم ، وهو : ما به علامة . والمعلم ــ بفتحها ــ : ما يستدل به على الطريق من أثر .

(٦) البيتان فى اللسان (عفو) والبيت الثانى فى ديوانه / ٢٨٩ وعجزه فيه

« إن يَهْبِطُو العَفْوَ لا يُوجدْ لهمْ أَثَرُ »

[عليها] : يعنى ناقته

قَبيلَةٌ كشِراك النَّعْلِ دارِجَةٌ إن يَهْبِطُوا عفو أَرْضٍ لاتَرَى أثَرًا[١]

(يذمهم بالقِلَّة والضعف) .

وقال آخر :

أرى آثارَكُمْ فأذُوبُ شوقا وأسْفَحُ فى منازِلِكُمْ دُمُوعِى

وأسأَلُ من بفُرْقَتِكُمْ بلَانِى يمنُّ علَىّ منكُمْ بالرّجُوع

وقال القاضى أبو المجد بن سليمان[٢] ـ رحمه الله[٣] ـ

مرَرْتُ بالدّارِ وقد غُيِّرَت معالمُ منها وآثارُ

فقُلْتُ ـ والقلبُ به لوعةٌ تحرقه ، والدمْعُ مِدْرارُ ـ :

أين زمانٌ فيك خلَّفْتُه[٤] وأين سُكّانُك يا دارُ ؟!

أجابَت الدّارُ على عِيِّها : إنَّ سُكُوتى عنكَ إقرارُ

أما تَرَانِى اليَوْمَ من بَعدِهِمْ مُقْفِرَةً مافىَّ دَيّارُ[٥] ؟!

[١٠٨ ب] وقال آخر :

أعادَ الدُّجى فى الصبحِ من بعد فَقْدِهِم أم الحُزْنُ غَطَّى ناظِرَ العَيْنِ بالدَّمْعِ

---

(١) رواية اللسان لهذا البيت فى مادة/ درج .

... بشِراكِ .... إنْ يهْبِطُوا العَفْوَ لا يُوجَدْ لَهُمْ أَثَرُ .

وفى اللسان (عفو) قال ابن السكيت : « عفو البلاد : ما لا أثر فيه بملك » وصحيح ابن برى نسبة الشعر الى الأخطل وروايته للبيت الأول

تَنْزُو النِّعَاجُ عَلَيْهَا وهْىَ بارِكَةٌ تَحْكِى عِطاءَ سُوَيْد من بَنى غُبَرا

اما البيت الثانى فتتفق روايته له مع الوارد هنا

(٢) اسمه محمد بن عبد الله بن محمد أبى المجد اخى أبى العلاء المعرى ، ترجمته فى خريدة القصر ، قسم شعراء الشام (ج ٢/٧ ــ ٣٢) وكان مولده سنة ٤٤٠ هـ ووفاته سنة ٥٢٣ هـ وادرك عم ابيه ابا العلاء المعرى ، وقرأ عليه أشعاره ومصنفاته ، وأورد العماد طائفة كبيرة من شعره .

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى وردت فى خريدة القصر ، قسم شعراء الشام (ج ٢/١٠) .

(٤) فى الخريدة « قضيته » .

(٥) ديار : أحد ، وأصله فيعال ، من دار ، يدور ، ولا يستعمل الا فى النفى .

وقفتُ على آثارِهم فَقَرَيْتُهَا دموعَ اشْتِياق مثلَ مُنْهمِرِ الرَّجْعِ[١]
دُموعًا جَرَتْ جَرْيًا تحَلَّلَ عِقْدُه غداةَ رَبَعْنا بالهُموم على الرَّبْعِ[٢]
سلامٌ على قلبي فقد بانَ إثرَهُمْ وقد صُمَّ - إلا عن حديثِهِمُ - سَمْعِي

كتب ارِسْطَاطالِيس إلى الإِسْكَنْدرِ كتابًا يوصيه فيه بمصالِح ملكه ، ثم قال له فيه : «إعْلَمْ أن الأيامَ تأتى على كلِّ شيءٍ ، فَتُخْلِقُ الأفعالَ ، وتمحو الآثار ، وتميت الذِّكر ، إلا ما رسخَ فى القلوب بمَحَبَّةٍ تتوارثُها الأعْقابُ ، فاجْهَد أن تظْفَرَ بالذكر الذى لا يموت ، بأن تُودع الناس محَبَّةً يبقى بها ذكرُ مناقبك» .

وقال أبو [العلاء أحمد بن عبد الله] بن سليمان :[٣]

اتبَعْ طريقًا للهُدَى لاحِبًا وخلِّ آثـارًا بملْحُوب[٤]
أفٍّ لدُنْيَا ىَ ، فإنِّى بها لم أخْلُ من هَمٍّ وتعذِيب[٥]
قلتُ لها : امضى غيرمَصْحُوبَةٍ فقالت : اذهَبْ غير مَصْحُوب

* * *

(١) قريتها : قدمت لها القــرى ، وهو ما يعجل للضيف ، والرجع : المطر بعد المطر ، وفى القرآن الكريم : «والسَّمَاءِ ذاتِ الرَّجْعِ» .

(٢) ربع على المكان : عطف عليه ، وانتظر فيه .

(٣) الأبيات فى اللزوميات ١/١١٧

(٤) اللاحب : الواضح ، وملحوب : وادى متالع ، ومتالع جبل لغنى بالحمى ، سمى - فيما قالوا - بملحوب بن لؤيم بن طسم .

(٥) فى اللزوميات (لَمْ أخْلُ من إثْمٍ ومِنْ حُوبٍ) وهو الصواب حتى يتم التزام ما لايلزم . والحُوب : الإثم ، فكأنه عطف تفسير على ما قبله ، وفى القرآن الكريم (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ إنَّه كانَ حُوبًا كَبِيرًا) والحوب أيضا : الهلاك .

[١٠٩ أ]

٩ ـ فصل فى ذكر المساكن والمحال والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

المساكن :

قال أبو العتاهية(١) :

جَمَعُوا فما أَكَلُوا الذى جمعوا ... وبَنَوْا مساكِنَهُمْ فما سكَنُوا

وكأَنَّهم كانوا بها ظَعَنًا ... لما استراحُوا ساعةً ظَعَنُوا(٢)

روى عن أَبِي الدَّرْداءِ ـ رضى الله عنه ـ أنه أشرفَ على أَهْلِ حِمْص فقال : «ألا تَسْتَحْيُون(٣)؟ تبْنُون مالا تسْكُنُون ، وتأْمُلُونَ مالا تُدْرِكُون ، وتَجْمَعُونَ مالا تأْكُلُون! أين الذين بنَوْا قبلكم تَشْيِيدا ، وجَمَّعُوا كثيرا ، وأَمَّلُوا بعيدا ، ؟! أَصبَحَتْ مساكِنُهُمْ قبورًا ، وآمالُهم غُرورا ، وجَمْعُهم بُورا » .

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرى(٤) :

سكَنْتُكِ يا دنيا برَغْمِيَ مُكْرَهًا ... وما كان لى فى ذاك صُنْعٌ ولا أَمْرُ

وجرَّبْتُ حتى قد قَتَلْتُكِ خِبْرَةً ... فأَنتِ وِعاءٌ حَشْوُهُ الهَمُّ والوِزْرُ

فإن أَرْتَحِلْ يوما أَدَعْكِ ذَمِيمَةً ... وما فيك من عُودى غِراسٌ ولا بَذْرُ

عن حاتمٍ الأَصَمّ ـ رحمه الله ـ أنه قال : ما من صَبَاحٍ إلا والشيطانُ يقول لى : ما تأْكُلُ ؟ وما تلبَسُ ؟ وأين تسكُنُ ؟ فأقولُ : آكُلُ المَوْتَ ، وأَلبَس الكَفَنَ ، وأَسكُنُ القبرَ .

---

(١) البيتان فى ديوانه/٢٧٣ ، وقد وردا فيه مفردين لا ثالث لهما .

(٢) رواية الديوان لهذا البيت هكذا :

فَكَأَنَّهُمْ ظَعَنٌ بها نَزَلُوا ... لما اسْتَرَاحُوا سَاعَةً ظَعَنُوا

الظعن : بضمتين جمع ظاعن وهو المرتحل المسافر ، وبفتحتين اسم جمع له .

(٣) يقال : استحيا من الشىء ، واستحاه ، واستحى منه ، اذا خجل منه .

(٤) درج المصنف على ذكر اسم المعرى مختصرا هكذا ، وقد أضفنا ما اختصره فى مواضعه بين حاصرتين ، والبيتان الواردان هنا لم أجدهما فى سقط الزند ، ولا فى اللزوميات .

وقال النابغة الذبيانى(1) :

لليْلَى بشَرْقِىّ النِّجادِ مساكِنُ ... قفارٌ تعَفَّتْها شمالٌ وداجِن (2)

تَوَهَّمْتُ منها معْهدًا ، فعرفْتُهُ ... لسبْعةِ أعوامٍ وذا العامُ ثامِنُ

أقامَتْ على رَيْبِ الزمانِ وأزعَجَت ... بليلى نوًى عن دارِ أهْلِك شاطِنُ (3)

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن(4) :

غَشِيتُ لليَلَى بالبُرُودِ مسَاكِنًا(5) ... تقادَمْنَ واسْتَنَّتْ(6) عليها الأعاصِرُ

وأوْحَشْنَ بعدالحىِّ إلا مساكِنًا(7) ... يُرَيْنَ حَدِيثاتٍ وهُنّ دَوَائِرُ

وكانت إذ أخْلَتْ(8) وأمْرَع رَبْعُها ... يكونُ عليها من صديقِك حاضِرُ

فقد خَفَّ منها الحىُّ بعد إقامَةٍ ... فما إن بها إلا الرياحُ العَوَائِرُ(9)

---

(1) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان النابغة (ط السعادة) والبيت الاول منها ورد مفردا فى ديوانه/111ط فى بيروت) وكذلك أورده ياقوت فى معجم البلدان رسم (شرع) وروايته فيهما :

لسُعْدَى بشَرْعٍ فالبِحَارُ مَسَاكِنُ ... قِفَارٌ تَعَفَّتْهَا شَمالٌ وداجِنُ

(2) الداجن : المطر المطبق ، والداجنة : المطرة الدائمة ، كالديمه .

(3) شاطن : بعيدة ، ويقال أيضا : شطن صاحبه شطنا ، اذا خالفه عن قصده ووجهته .

(4) البيتان 1 و 2 أوردهما ياقوت (معجم البلدان فى رسم برود) وهما فى ديوانه 1/87 من قصيدة مطلعها :

عَفَا رابغٌ من أهْلِهِ فالظَّوَاهِرُ ... فَأَكْنَافُ هَرْشَى قَدْ عَفَتْ فالأَصافِرُ

والبيتان 3 و 4 لم يردا فى القصيدة ، ولم نقف عليهما فى مصدر آخر .

(5) فى الديوان : « منازلا » والبرود : موضع قرب رابغ .

(6) فى الديوان (تقادمن اوسنت) وفى معجم البلدان : « تَقَادَمْنَ واسْتَنَّتْ بهنَّ الأَعَاصِرُ » والسن : السير الشديد ، والاستنان من معانيه النشاط .

(7) فى الديوان ومعجم البلدان « فَأَوْحَشْنَ بعدَ الحَىِّ إلا معالِمًا » .

(8) أخلت : كثر خلاها ، وهو الحشيش وكل نبت رطب .

(9) العوائر : المتفرقة المختلفة ، ومنه قول مالك بن زغبه الباهلى :

إذا انْتَسَئُوا فَوْتَ الرِّمَاحِ أَتَتْهُمْ ... عوائِرُ نَبلٍ كالجَرَادِ تُطِيرُها

او هى الرياح التى تتعاور المكان ، أى تتداوله فى هبوبها : فمرة تهب جنوبا ومرة شمالا ، ومرة قبولا ، ومرة دبورا ومنه قول الأعشى :

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تعاوَرَها الصَّيْـ ... ـفُ بريحَيْنِ من صَبًا وشَمالِ

المحـال : (١)

[١١٠ ا] قال العربى [؟] :

لَعَمْرِى لئِنْ أبكَتْكَ كلُّ مَحَلَّة — لشمَّاء أو طيفٌ متى تُمْسِ يَطْرُقِ
لَتَلْتَمِسَنْ عينًا سوى عَينِك التى — ذَهَبْتَ بجارِى دَمْعِها المُتَرَقْرِقِ

وقال البحترى(٢) :

أَسْقَى مَحَلَّتَكِ الغمامُ ، ولايزَلْ — نَوْءٌ بها خَضِلٌ ، ونَوْرٌ جاسِدُ (٣)
فلقد عهِدْتُ العيْشَ فى أفْيَائِهَا — فيْنانَ يحْمَدُ مُجْتَنَاهُ الرّائِدُ (٤)

وقال أيضا (٥) :

قُلْ للسحابِ إذا حَدَاهُ الشَّمْأَلُ — وَسرَى بليْلٍ رَكْبُه المُتَحمِّلُ
عرِّج على حلَبٍ فَسَقِّ(٦) مَحَلَّةً — مأنُوسَةً ، فيها لعلْوَةَ مَنْزِلُ
لغَريرةٍ أدْنُو وتَبْعُد فى الهوى — وأجُودُ بالوُدِّ المَصُونِ وتَبْخَلُ
أحْنُو عليكِ وفى فُؤادِى لَوْعَةٌ — وأصُدُّ عنْكِ ووجْهُ وُدِّى مُقْبِلُ
وأعِزُّ ثم أذِلُّ ذِلَّةَ عاشِقٍ — والحُبُّ فيه تَعَزُّزٌ وتَذَلُّلُ
[١١٠ ب] وإذا هَمَمْتُ بوصْلِ غيرِكِ رَدَّنى — ولَهٌ عليكِ وشافِعٌ لكِ أوّلُ

---

(١) المحال : مفرده محل ـ بفتـح الحاء ، والكسر لغة حكاها ابن القطاع ـ : موضع الحلول، والمحلة ـ بفتح الحاء ـ : المكان ينزله القوم .

(٢) البيتان فى ديوانه ١/١٤٢ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد مطلعها .

وَصْلٌ تُقَارِبُ مِنْهُ ثم تُباعِدُ — وَهَوًى تُخَالِفُ فيه ثمّ تُسَاعِدُ

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٥ و ٦)

(٣) الديوان (خضر) مكان (خضـل) ،والخضل · المبتل ، ويقال : خضل الزرع اذا نعم ، وخضر كذلك . والجاسد : اليابس .

(٤) الديوان (فى افنائها) .

(٥) الأبيات فى ديوانه ٢/١٥٦ من قصيدة يمدح بها المتوكل ، ويذكر وفد الروم . ويقابلها الابيات (١ ـ ٣ و ٧ و ٩ و ٨) .

(٦) فى الديوان « فحى محلة » .

وقال البحترى أيضا(1) :

أمحلَّتىْ سَلْمَى بكاظِمَةَ اسلما ... وتَعَلَّما أنَّ الهَوَى ما هِجْتُمَا(2)

هل تُرْوِيانِ من الأَحِبَّةِ حائِمًا (3) ... أو تُسْعِدانِ على الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا

أَبْكِيكُمَا دَمْعًا ، ولو أَنِّى على ... قَدْرِ الهَوَى(4) أبْكِى بكَيْتُكُمَا دَمَا

طَلَلًا أُكَفْكِفُ فيه دَمْعًا مُغْرِبًا ... بِجَرًى ، وأَقْرَأُ فيه خَطًّا أَعْجَمَا

تَأْبى رُبَاهُ أن تُجِيبَ ، ولم يَكُنْ ... مستَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حتى تَفْهَمَا

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سُلَيمان (5) :

مَحَلٌّ بأَرْضِ الشام يَطْرُدُ أَهْلَهُ ... ولكنَّهُمْ عما يَقُولُ نِيامُ (6)

وقد تَنْطِقُ الأَشْياءُ وهى صوامِتٌ ... وما كُلُّ نُطْقِ المُخْبِرِينَ كلامُ (7)

وقال مهيار (8) :

سُقِيتَ مَحَلًّا ، وأُحْيِتْ رُبا [م] كَ ، مدامِعُ كلِّ فَتَى تَهْمِلُ(9)

---

(1) الابيات فى ديوانه ٢٣٩/٢ من قصيدة يمدح بها ابنى المدبر احمد وابراهيم ، ويقابلها من القصيدة الأيات (١ و ٢ و ٣ و ٩ و ١٠) .

(2) الديوان « أنَّ الجَوَى ماهِجْتُما » والمصراع الاول يشبه قول جرير :

أَمَنْزِلَتَىْ سَلْمَى بِنَاظِرَةَ اسْلَمَا ... وما راجَعَ العِرْفَانَ إلَّا تَوَهُّمَا

(3) الديوان « هائما » والحائم : العطشان ، ويقال : هام فلان هياما ، اذا اشتد عطشه .

(4) « قدر الجوى » .

(5) البيتـــان فى سقط الزند ١٦٨/١ من قصيدة مطلعها :

لقَدْ آنَ أَنْ يُثْنِى الجَمُوحَ لِجَامُ ... وأَنْ يَمْلِكَ الصَّعْبَ الأَبِىَّ زِمامُ

(6) قال التبــــريزى فى شرحه : « يريد بالمحل موضعا كان فى أيدى الروم فأزيلوا عنــه بالقتل وشن الغارات ، فكأنه يطردهم ، ويعظهم بلسان حاله . »

(7) المعنى : قـــد يوجد النطق من الأشياء بلسان الحال ، وليس كل مخبر عن شىء يخبر بنطق وكلام ظاهر .

(8) الأبيات فى ديوانه ١٢٤/٣ من قصيدة يمدح بها الوزير ابا القاســـم الحسين بن على ويشكره على معروف ، ويهنئه بالمهـــرجان ، ومطلعها :

عَسَى مُعْرِضٌ وَجْهُهُ مُقْبِلُ ... فَيُوهَبُ للآخَرِ الأَوَّلُ .

(9) الديوان : « يقبل » مكان « تهمل » .

ولا بَرِحتْ تَضَعُ المُثْقَلا تُ من المُزْنِ فوقَكَ ما تَحمِلُ(١)

وقال الشَّريف المُرْتَضَى – رضى الله عنه (٢) – :

يا مَحَلاًّ أَبْلَتْهُ هُوجُ اللَّيالِي وغَرامِي بساكِنِيهِ قَشِيبُ
ما اطمأنَّتْ بكَ المَحاسِنُ حَتى شَرَّدَتْها عَنى وعَنْكَ الخُطوبُ(٣)
ساءَ عَهْدِى لقَاطِنِيكَ متى آ وَيْتُ دمْعًا فى مُقْلَةِ لايَصُوبُ
لستَ فَرْدًا فيما دَهَتْهُ اللَّيَالِي كلُّ شَىْءٍ بكَرِّهِنَّ سَلِيبُ

[١١١]

وقال البُحْتُرِى(٤) :

محَلٌّ من القَاطُولِ(٥) أَخْلَقَ عامِرُهْ(٦) وعادَتْ صُروفُ الدَّهْرِ جَيْشًا يُغَاوِرُهْ
كأنَّ الصَّبا تُوفِى نذورًا إذا(٧) سرتْ تُراوِحُه أذيالُه(٨) وتُبَاكِرُهْ
ورُبَّ زَمانٍ ناعِمٍ ثَمَّ عهْدُهُ تَرِقُّ حَوَاشِيهِ ويُورِقُ ناضِرُهْ
تَغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِىِّ(٩) وأُنْسُهُ وقُوِّضَ بادِى الجَعْفَرِىّ(٩) وحاضِرُهْ
تَحمَّلَ عنه ساكِنُوهُ فُجاءَةً فعادَتْ سواءٌ دُورُهُ ومَقَابِرُه

---

(١) المزن : السحاب الممطر .

(٢) البيتـان فى ديوانه ٤٢/١ من قصيدة كتب بها الى صديقه ابى سعد على بن محمد بن خلف عنـد قدومه من سـفر ، وهى من أوائل شعره ، ومطلعها :

حَلَّ ذاكَ الكِنَاسَ ظَبْىٌ رَبِيبُ عاصَتْ الصَّبْرَ فى هَواهُ القُلُوبُ

(٣) الديوان « واطمأنت بك المحاسن »

(٤) الابيات فى ديوانه ٢١٥/١ (ط هنديه) و ٤٤/١ (ط رشـيد عطية) من قصـيدته فى رثاء الخليفة المتوكل ، وهى من أولهـا على التوالى .

(٥) يروى « .. على القاطول » والقاطول : نهر بباب بغداد يأخذ من سـامرا . تحت نهر الخالص ، ويصل ماؤه الى باب بغداد . وهو نهر كلواذى ، كذا حدده ابن عبد الحق البغدادى فى المراصد ، وخطأ ما ذكره ياقوت فى تحديده .

(٦) فى الديوان . « داثره » وفى الـديوان ٤٤/١ (ط رشيد عطية) ورد محرفا « دائرة »

(٧) فى الديوان « اذا انبرت »

(٨) فى الديوان : « أذيالها » وهو أحسن

(٩) فى مراصد الاطلاع . الجعفرى : اسم قصر المتوكل الذى بناه قرب سرمن راى بموضع يقال له : الماحوزة واستحدث عنده مدينة انتقل اليها ، واقطع قواده بها قطائع فصارت أكبر من سر من راى ، وشق اليها نهرا من دجلة على عشرة فراسخ يسمى جبة دجلة .

إذا نَحْنُ زرْناه أَجَدَّ لنا الأَسى وقد كان قبل اليوم يبْهجُ زائِرُهْ
ولم أَنْسَ وَحْشَ القَصْرِ إذ رِيعَ سِرْبُهُ وإذ ذُعِرَتْ أَطْلاؤُهُ وَجآذِرُهُ[1]
وإذْ صِيحَ فيه بالرحِيلِ فهُتِّكَتْ على عَجَلٍ أسْتَارُهُ وسَتائِرُهْ
ووحْشَتَه حتى كأَنْ لَمْ يَكُنْ[2] بهِ أَنيسٌ، ولم تَحْسُنْ لعَيْنٍ مَنَاظِرُهْ

المعـاهد * :

[١١١ ب]

قال أَبو تَمّام[3] :

قِفُوا جدِّدُوا من عهدِكُم بالمعَاهِدِ وإن هي لم تَسْمَعْ لِنشْدانِ ناشِدِ[4]
لقد أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحِيلُ لفَقْدِهِم وبينِهِمُ إطْرَاقَ ثَكْلانَ فاقِدِ[5]
سقَتْهُ ذُعَافًا عادَةُ الدَّهْرِ فيهم وسمُّ اللَّيالِي فوق سمِّ الأَساوِدِ[6]
به غُلَّةٌ للبيْنِ صَمَّاءُ لم تُصِخْ لبُرْءٍ، ولم تُوجِبْ عيادَةَ عائِدِ

وقال البحترى[7] :

سُقِيَتْ معاهِدُكِ اللَّواتِى شُقْنَنِى ومَحَلُّ منزلِكِ الذى أَبْكَانِى
إمّا أَقَمْتُ فإنَّ لُبى ظاعِنٌ أَو سِرْتُ مُنْطَلِقًا فَقَلْبِى عانِ[8]

---

(١) السرب : القطيع ـ الأطلاء : أولاد الظباء ساعة توالد ، والجآذر : أولاد البقر الوحشية ، تشبه بها الحسان لجمال عيونها .

(٢) فى الديوان : « كأن لم يقم به » .

* المعاهد : جمع المعهد ، وهو الموضع كنت عهدته ، أو عهدت هوى لك فيه ، أو كنت تعهد به شيئا .. والمعهد أيضا : المنزل الذى لا يزال القوم اذا انتأوا عنه رجعو اليه ..

(٣) الأبيات فى ديوانه (٦٨/٢) من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانه ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيـات (١ و ٢ و ٤ و ٥) .

(٤) يقال : نشده ينشده ، نشدا ، ونشدانا : تذكره . وتقول نشدته بما عاهدنى عليه فنشد.

(٥) الاطـراق : ادامة النظـر الى الارض ، والكـــلام على الاستعارة ، اراد انه استوحش لفقدهم وعليه كآبة لذلك ، لان من شأن المهموم ان يطرق .

(٦) « الهاء » فى شقته للربع ، وعادة الدهر : فاعل ، والذعاف ، والزعاف : السم القاتل .

(٧) البيتان فى ديوانه (٣١١/٢) من قصدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ومطلعها

أَلَّا شَعَرْتَ بِرِحْلَةِ الأَظْعَانِ فَيَكُونَ شَأْنُهُمْ برامَةَ شَانِى

ويقابلهما من القصيدة البيتان (٨ و ٧) فى ترتيب الديوان .

(٨) عان : أسير مقيد .

وقال الشريف الرضي – رضي الله عنه[1] – :

أمَعاهِدَ الأحبابِ هل عودٌ إلى ... مغدًى يُبَلُّ[2] به الجوَى ومراحِ
يَكْفِيكِ من أنفاسِنا ودُمُوعِنا ... أن تُمْطَرِي من بَعْدِنا وتُراحِي
فسَقَى اللِّوَى صوبُ الغَمامِ ودَرُّهُ ... وسقَى النَّوازِلَ فيه صوبُ الرّاحِ[3]
فلرُبَّ عيْشٍ رَقَّ فيهِ نسيمُه ... كالماءِ رقَّ على جُنوب بِطاحِ

[۱۱۱۲أ] المعالم والأعلام : *

قال أبو الطيِّب المتنبي[4] :

أنا لائِمِي إن كنتُ وقتَ اللَّوائِمِ ... علمتُ بما بِي بين تلكَ المعالِمِ[5]
ولكنَّني مما ذَهِلْتُ مُتَيَّمٌ ... كسالٍ ، وقلبي بائِحٌ مثلُ كاتِمِ[6]

---

(۱) الابيات فى ديوانه ۱۱۳ من قصـيدة مطلعها :

بَعْضَ المَلامِ ، فَقَدْ غَضَضْتُ طِماحِي ... وكَفَفْتُ من نَفْسِ العَذُولِ اللّاحِي

(۲) فى الديوان (انيل) .

(۳) بين هذا البيت والذى يليه فى الديوان بيتان هما :

وتَعَزُّلٌ كصَبَا الأصائِلِ أيْقَظَتْ ... رَيّا خُزامَى باللِّوَى وَأَقاحِ
كَمْ فِيكَ مِنْ صاحِي الشَّمائِلِ مُنْتَشٍ ... بالدَّالِّ ، أو مَرْضَى العُيُونِ صِحاحِ

* فى اللسان : يقال لما يبنى فى جواد الطريق – من المنازل يستدل بها على الطريق – اعلام، واحدها علم . والمعلم : ما جعل علامة وعلما للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه .. وقيل : المعلم : الاثر ، والعلم : المنارة . قال ابن سيده . العلامة والعلم ، الفصل يكون بين الارضين . والعلامة والعلم : شيء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة ، والعلم : العلامة . والعلم ايضا : الجبل الطويل، وقال اللحيانى : العلم : الجبل ، فلم يخص الطويل ، قال جرير :

إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حَتَّى تَنَاهَيْنَ بِنَا إلى الحَكَمْ

والجمع اعلام ، وعلام (بكسر العين) ... ثم قال : ومعلم الطريق : دلالته .

(٤) الابيات فى ديوانه ۲/۳۷۰ من قصيدة يمدح بها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وهى من أولها على الترتيب .

(٥) انا لائمى : أنا لائم نفسى ، يقول : ان كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت ما بى، وما الذى دهانى فانا لائم نفسى فى قصور محبتى ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر .

(٦) فى الديوان (مما شدهت) وفى هامشه ويروى (مما ذهلت) .

وقَفْنَا كأنَّا كُلٌّ وَجْدِ قُلوبِنا تَمَكَّنَ من أَذْوادِنا فى القوائِمِ (١)
وَدُسْنا بأَخْفافِ المَطِىِّ ترابَهَا فلا زلتُ استَشْفِى بلَثْمِ المَناسِمِ (٢)

وقال الرئيس أبو على أبْزُون العُمَانِىّ :

تَحُلُّ عقودَ الصَّبْرِ منى المَعَالِمُ وتُبْدِى دُموعُ العينِ ما أنا كاتِمُ (٣)
وتَطْمِسُ آثارَ العزاءِ إذا بَدَتْ رسومُ ديارِ الحَىِّ وهى طواسِمُ
خَلَتْ من ظِباءِ الإنْسِ ثم تَبَدَّلَتْ ظباءً ، وقلبى بالمُبَدَّلِ هائِمُ
« يُديرُونَنى عن سالِمٍ وأُدِيرُه وجِلْدَةُ بينَ العينِ والأنفِ سالِمُ »

(مُضَمَّن) (٤) :

وقال جميل بن معمر العذرى (٥) :

أَهاجتْكَ المَعالِمُ والطُّلُولُ عفَوْنَ وخَفَّ (٦) منهُن الحُلُولُ
نَعمْ وذكَرْت دُنْيَا قد تولَّتْ وأىُّ نَعِيمِ دُنيا لا يَزُولُ ؟ !
أسائِلُ دارَ بثْنَةَ أين حلَّتْ كأَنَّ الدارَ تَفْهَمُ ما أقولُ !

[١١٢ب]

وقال جميل أيضا :

أَلا تلكُما أعلامُ بثْنَةَ قد بدت كأَن ذُراها عُمِّمَتْ بسَبِيبِ (٧)

---

(١) الأذواد : جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة الى العشرة من الابل ، والمعنى : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حـــل فى قوائم ابلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٢) يقول : لما وطئت الابل تراب المعالم جعلت أطلب شفاء ما بى من الوجد بتقبيل أخفافها ، لأنه علق بها ذلك التراب .

(٣) يقال : طمس الطريق وطسم : درس وامحى أثره .

(٤) يشير المصنف الى ان البيت الأخيـــر ليس للعمانى ، وانما ضمنه ، والبيت لعبد الله ابن عمر ، قاله فى ابنه سالم ، وروايته كما فى اللسان (سلم ، روغ) .

يُدِيرُونَنِى عن سالِمٍ وأُرِيغُهُ

ومعنى أريغه : أطلبه ، جعله لمحبته بمنـــزلة جلدة بين عينيه وأنفه

(٥) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه بتحقيق حسين نصار ، وكذلك لم اجدهــــا فى طبعة بيروت (نشر بشير يموت) .

وقد أوردها المصنف فى ص ٢٥ب ، ١٦٧ .

(٦) يقال : خف عن المكان ، اذا ارتحل عنـــه مسرعا .

(٧) السبيب : شعر الناصية والعـــرف والذنب ، والخصلة من الشعر ، والسبيبة : شقة من الثياب من أى نوع كان ، وقيــــل : هى من الكتان ، ويقال : فى وصف القفر وقت الهاجرة :

نَسَجَ السَّرَابُ به سِبائِبَ

طوامِسُ فيما دونَهُنّ عَداوَةٌ — لنا ، ووراء الطّامِساتِ حَبِيبُ[1]

بعيدٌ على من لَيْسَ يطلُبُ حاجَةً — وأمّا على ذِى حاجةٍ فَقَرِيبُ[2]

وقال آخر[3] :

خَلِيلَىّ لا واللهِ ما أَملِكُ البُكا — إذا عَلَمٌ من أَرْضِ لَيْلَى بدالِيَا[4]

خليلَىّ إلا تَبكِيا لِىَ أَسْتَعِنْ — خَليلًا إذا أَذْرَيْتُ دَمْعًا بكى لِيَا[5]

كأَنْ لم يَكُنْ بَيْنٌ إذا كان بعدَه — تَلاقٍ ، ولكن لا إخالُ تَلاقِيا[6]

وقال مُزاحِمٌ العُقَيلِىّ[7] :

أَفى كُلِّ يومٍ أنتَ من غُبَّرِ الهَوَى[8] — إلى الشُّم من أعلام مِيْلَاءَ ناظِرُ ؟!

بعَمْشَاءَ من طُولِ البكاءِ كأنّما — بها خَزَرٌ ، أو طَرْفُها مُتخازِرُ[9]

---

(١) طوامس ، دراسات

(٢) هـــذا البيت ، ورد فى ديوانه / ١٤ (ط بيروت) وقبله فيه بيتان هما :

بُثَيْنَةُ قالتْ يا جميلُ أَرَبْتَنِى — فقُلْتُ : كِلَانَا يا بُثَيْنُ مُرِيبُ

وأَرْيَبُنَا من لا يُؤَدِّى أَمانَةً — ولا يَحْفَظُ الأَسْرَارَ حين يغِيبُ

(٣) هذه الأبيـــات فى قصيدة منسوبة فى تزيين الأسواق (٧١ ــ ٧٣) الى المجنـــون ، ومطلعها :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى والسِّنِينَ الخَوالِيَا — وأَيّامَ لا أُعْدِى علَى الدَّهْرِ عادِيَا

والبيت الثانى وقع فى أبيات منســوبة فى الزهرة / ٣١٦ الى معاذ ليلى

(٤) هذا البيت ورد فى تزيين الأســـــواق هكذا :

خَلِيلَىّ لا واللهِ لا أَمْلِكُ الذى — قَضَى اللهُ فِى لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيَا

(٥) فى تزيين الاسواق :

« ... إلّا تَبْكِيَا لِىَ أَلْتَمِسْ. — خَليلاً إذا أَنْزَفْت دَمْعِى بَكَى لِيَا »

وفى الزهرة (إذا أَنْفَدتُ دَمْعِى)

(٦) لم يرد هذا البيت فى القصيدة .

(٧) الابيـــــات فى ديوان مزاحم (٢٧ ط ليـــــدن) وهى كـذلك فى نوادر ابى زيد ١٣ و١٤ وفى تزيين الأســـــواق / ٩٣ وردت الابيات منسوبة الى كعب بن مالك المعــــــروف بالمخبل القيسى ، فى صاحبته ميلاء .

(٨) فى الديوان « ... من لاعج الهـــوى » وفى تزيين الأسواق « .. من بارح الهوى » .

(٩) يقال : خزر نظره ، اذا صار كانه فى أحد شقى العين ، وخزر فلان : فتح عينه واغمضها ونظر كانه يرى بمؤخرها . وتخازر ، اذا ضيق عينيه ليحدد النظر ، او نظر بمؤخر عينيــــه ، أو أظهر الخزر وليس به . ورواية الديوان « بهارمد » وفى تزيين الاسواق :

« بِها حَرُّ نارٍ طَرْفُها مُتحادِرُ »

[١١٣ أ]

تَمَنَّى المُنَى ، حتى إذا نالَتْ المُنى ... بدا واكِفٌ من دمْعِها مُتبادِرُ[١]

كما ارفَضَّ هَلْكى[٢]ـ بعد ماضُمَّ ضَمَّةً ... بحَبل الفَتِيل ـ اللُّؤلُؤُ المُتَنَاثِرُ

وقال أبو عبد الله محمد بن عثمان المعروف بابن الحدّاد[٣] .

ألا إنَّها الأَعْلامُ من هضَباتِها ... فكيف تكُفُّ العينُ عن عَبراتِها

ذَرانى وإذْراءَ الدّموعِ لعلَّها ... تُسَكِّنُ ما قد هاجَ من ذِكْراتِها

عَهِدتُ بها أَصنامَ حُسْنٍ عَهِدْتُنى ... هوَى عَبْدِ عُزّاها ، وعبْدِ مَناتِها

أُهِلُّ بأَشواقِى إليها وأَتَّقِى ... شرائِعَها فى الحُبِّ حقَّ تُقَاتِها

وقال محمد بن هانئ المغربى[٤] :

ما للمَعَالِمِ والطُّلُولِ ، أَما كَفَى ... بالعاشِقِينَ مَعالِمًا وطُلُولاَ ؟!

فكأَنَّنا شَمْلُ الدموعِ تَفَرُّقًا ... وكأَنَّنا سِرُّ الوداعِ نُحولاَ

سأَرُوعُ من ضَمَّتْ حِجالُكُمُ ولو[٥] ... غَدَت الأَسِنَّةُ دون ذلك غِيلا[٦]

أَعْصِى رِماحَ الخَطِّ[٧] دُونَكِ شُرَّعًا ... وأُطِيعُ فيكِ صبَابةً وغَلِيلاَ

وقال أعرابى[٨] :

سقَى العَلَمَ[٩] الفَرْدَ الذى فى ظِلالِهِ ... غزالانِ مَكْحُولانِ مُؤتَلِفانِ

---

(١) فى الديوان « .. حتَّى إذا مَلَّتِ المُنَى » وفى تزيين الأَسواق « .. قَلَّت المُنَى » وأظنه محرفا .

(٢) ضبط فى الأصل بفتح الهاء مقصورا ، يريد متساقطا ، وفى ديوانه ضبط بضم الهاء وفى تزيين الأَسواق رواية : كما أَرْفَضَّ سِلْكٌ بعد ما ضُمَّ ضَمَّةً ... بخَيْطِ الفَتيل .. »

(٣) ترجم له ابن بسام فى الذخيرة (المجلد الثانى من القسم الأول / ٢٠٠–٢٢١) واسمه فيه محمد بن احمد بن الحداد وقد اورد ابن بسام له من هذه القصيدة ١٩ بيتا ليس فيها البيتان الأول والثانى هنا، ويبدو أنهما من أولها ، للتصريع الوارد فى البيت الاول .

(٤) القصيدة فى ديوانه ١٠٠ (ط الاميرية سنة ١٢٧٤) وهى من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويذكر عيـــد النحر ، ويقابلها من القصيدة باليمامة ، ومرفأ السفن بالبحرين ، اليه نسبت

أَتَظُنُّ راحًا فى الشّمالِ شَمُولاَ ... أَتَظُنُّها سَكْرَى تَجُرُّ ذُيُولاَ

(٥) فى الديوان « ومن » وما هنا احسن .

(٦) الخط بفتح الخـــاء ، وتكسر : موضع باليمامة ، ومرفأ السفن بالبحرين ، اليه نسبت الرماح ، لأنها تباع به .

(٧) الغيل : الاجمة ، والشجر الكثير الملتف .

(٨) البيتان فى معجم البلدان (علم) من انشاد ثعلب .

(٩) العلم الفرد : جبل فى شرقى الحاجر يقال له : أبان .

أَرْغَتُهُمَا(١) صيْدًا فلم أَسْتَطِعْهُمَا ورَمْيًا(٢) ففاتانِى وقد قَتَلانِى

[١٣ب] وقال ابنُ هانئ المغربى(٣) :

لا مَزارٌ مِنكُمُ يُدْنِى(٤) سوى أَن أَرى أَعْلامَ هَضْبٍ ونِجادِ
قد عَقَلْنا العِيسَ فى أَوطانِها وهى ما بين ذَمِيلٍ ووِخادِ(٥)
أَسُلُوًّا عنكمُ أَهْجُرُكُمْ(٦) قلَّما يسْلُو عن الماءِ الصَّوادِى
فعَلَى الأَيّامِ من بعدكم ما على الظَّلْماءِ من ثوبِ الحِدَادِ(٧)

العرصات * :

قال الرَّمّاحُ بن مَيّادة(٨) :

---

(١) ارغتهما : طلبتهما ، يقال : أراغ الشىء اذا اداره وطلبه ، ورواية معجم البلدان«طلبتهما»

(٢) فى معجم البلدان « وختلا .. »

(٣) الأبيات فى ديوانه ٣٩ (ط الأميرية ١٢٧٤ هـ) من قصيدة يمدح بها الأميرين طاهرا وابا عبد الله الحسين ابنى المنصور ، ومطلعها :

امْسَحُوا عنْ ناظِرِى كُحْلَ السُّهَادِ وانْفُضُوا عَنْ مَضْجَعِى شَوْكَ القَتَادِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٧ و ٨ و ٤ و ٦)

(٤) فى الديوان « يدنو » وهو أحسن

(٥) فى الديوان «وَهْىَ أَنْضاءُ ذَمِيلٍ ووِخادِ » والأَنضاء : جمع واحده نضو ، وهو المهزول المجهد ، والذميل : السير السريع اللين ، ووخاد ، من وخد البعير يخد . وخدا ، ووخدا ، ووخدانا ، اذا أسرع ووسع الخطو .

(٦) فى الديوان « من هجركم » .

(٧) فى الديوان « من لبس الحداد »

* عرصة الدار : وسطها ، وقيل : هو ما لا بناء فيه ، سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها ، أى لنشاطهم فيها ، والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، قال مالك بن الريب :

تَحَمَّلَ أَصْحابِى عِشاءً وغَادَرُوا أَخاثِقَةٍ فى عَرْصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا

وجمعها عِراصٌ . وعرَصَاتٌ .

(٨) البيت الأول من هذه الابيات ورد فى اللسان والتاج مادة (عذر) وهو من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وفيهما ورد معه الأبيات الثلاثة التالية :

لَعِبَتْ بها هُوجُ الرِّيَاحِ فَاصْبَحتْ قَفْرًا تَعَذَّرَ غَيْرَ أَوْرَقَ هامِدِ
... من كان أَخْطَأَهُ الرَّبِيعُ فإِنَّه نُصِرِ الحِجازُ بغَيْثِ عَبْدِ الواحِدِ
سَبَقَتْ أَوائِلَه أَواخِرُه بمُشْرَعٍ عَذْبٍ ، ونَبْت واعِدِ

ماهاجَ شوقَكَ من مَعارفِ عَرْصَةٍ[1] ـالبُرْق[2] بين أصالِفٍ وفَدافِدِ
ولقد رَدَدْتُ بها السؤالَ صَبابةً والدّارُ قَبْلِي ما تُبِينُ لناشِدِ
ولقد نظرْتُ فما رَأَيْتُ لناظِرٍ غير الصّفِيحِ وغيرَ أُسٍّ بائِدِ[3]

وقال الشريف المرتضى – رضى الله عنه[4] – :

عَرَصَاتٌ أَصْبَحْن وهى سَماءُ ثم أَمْسَيْنَ بالحوادِثِ أَرْضَا
وتَرَى يُنْبِتُ النَّعيمِ إذا أَنْ بَتَ تُرْبُ البِلادِ عُشْبًا وحَمْضَا[5]

وقال أبو محمد بن سِنان :

عَرَصاتٌ كأَنَّهُنَّ ليال فارقَتها عندَ الكمالِ البُدُورُ
تُخْبِرُ الغافِلِينَ كيف يَحُولُ الدَّهْ رُ عن حالِهِ وكيف يَجُورُ

وقال الفرزدق[6] :

أَلستم عائِجِينَ لنا لَعَنَّا نَرَى العرصاتِ أَوأَثَرَ الخِيامِ[7] ؟
فقالوا : إن عرَضْتَ[8] فأَغْنِ عنَّا دُموعًا غير راقِئَةِ السِّجامِ

---

(١) فى اللسان والتاج «ما هَاجَ قَلْبَكَ مِنْ مَعَارِفِ دِمْنَةٍ »
(٢) البرق : جمع برقة وهى حجارة ورمل ، وطين ، مختلطة ، والاصالف والفدافد : الاماكن الغليظة الصلبة .
(٣) الصفيح : الحجارة العريضة – والأس – معناه هنا – بقية الرماد .
(٤) البيتان فى ديوانه (٢/١٦٠) .
(٥) الحمض : كل ما ملح وأمر من النبات، وقد تقدما فى ابيــات اوردها المصنف له فى ص ٨٦ أ .
(٦) ديوانه / ١٣٨ (ط الأهلية ببيروت) من قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك ، وهمـا من أولها .
(٧) فى اللسـان (انن) نسبه الى جرير وروايته « ... لانا نرى العرصات .. » وفسره بلعل .
(٨) فى الديوان « .. فعلت . »

١٠ ـ فصل فى ذكر الارض

قالت وَجِيهةُ بنتُ أَوْس الضَّبِّيّة(١) :

وعاذِلَةٍ تَغْدُو عليَّ تَلُومُنى(٢)	على الشوقِ لم تَمْحُ الصَّبابةَ من قلبى
فما لِىَ إنْ أَحْبَبْتُ أَرضَ عَشيرتى	وأَبغَضْتُ طرفَاء القُصَيْبَةِ(٣) من ذَنْبِ
ولو أَنَّ رِيحًا بَلَّغَتْ وَحْىَ مُرْسِلٍ	حَفِىٍّ(٤) لناجَيْتُ الجَنُوبَ على النَّقْبِ
وقلتُ لها : أَدِّى إليهم رسالَتى(٥)	ولا تَخْلِطِيها ـ طالَ سَعْدُكِ ـ بالتُّرْبِ(٦)

وقالت عُلَيَّة بنت المهدى(٧) :

ومُغْتَرِبٍ بالمَرْجِ(٨) يَبْكِى لشَجْوِهِ	وقد بان عنه المُسْعِدُون على الحُبِّ

(١) الابيات فى حماسة أبى تمام (٣٣٨/٣ ط المكتبة التجارية بالقاهرة) وكذلك أوردها ياقوت فى معجم البلدان فى رسم « القصيبة » والبيتان ١ و ٢ فى الزهرة / ٣٢٥ والبيتان ٣ و ٤ فى الزهرة أيضا ٢٢١ .

(٢) فى معجم البلدان : «وعاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْل تَلُومُنِى » وما هنا يوافق الحماسة ، والزهرة .

(٣) القصيبة : اسم لعدة مواضع ، منهاواد بين المدينة وخيبر ، وهو المراد هنا .

(٤) كذا فى الأصل بالجر ، جعله صفة لمرسل ، ومثله فى الحماسة وفى معجم البلدان « خفيا » بالخاء المعجمة منصوبا صفة لوحى .

(٥) فى معجم البلدان « تحيتى » وما هنا يوافق الحماسة .

(٦) بعده فى الحماسة والزهرة ومعجم البلدان البيت التالى ، وهو من تتمة ابياتها :

فإنّى إذا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُها	هل ازْدادَ صَدّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ؟

(٧) البيتان نسبا اليها ايضا فى الاوراق (اشعار اولاد الخلفاء للصولى / ٦٠) واوردهما ياقوت فى رسم « مرج القلعة » وفى مطالع البدور ٢٩٦/٢ واوردهما الاصفهانى فى اخبار عليه بنت المهدى (الاغانى ١٨٣/١٠) وقدم لهما بالمناسبة التالية : قال : « لما خرج الرشيد الى الرى اخذ اخته عليه معه ، فلما صار بالمرج عملت شعرا ، وصاغت فيه لحنا فى طريقة الرمل ، وغنت به .... فلما سمع الصوت علم انها قد اشتاقت الى العراق واهلها به فردها »

(٨) المرج : الأرض الواسعة فيها نبات كثير ، وهى فى مواضع تذكر مضافة ، منها : مرج الصفر ، ومرجراهط .. والمراد هنا مرج القلعة : موضع بينه وبين حلوان منزل الى جهة همذان .

إذا ماأتاهُ[1] الركبُ من نحو أرْضِهِ تَنَفَّسَ[2]يَسْتَشْفِي برائحةِ القُرْبِ

وقال قَيْسُ بن ذَرِيح[3] :

وما أَحْبَبْتُ أَرضَكُمُ ولكن أُقَبِّلُ أثر من وَطِئَ التُّرَابَا[4]

لقد لاقَيْتُ من كَلَفِي بلُبْنَى بلاءً لا أُسِيغُ له[5] شَرَابَا [١١٤ ب]

إذا نادى المُنادِي باسم لُبْنَى عَيِيتُ ، فما أَرُدُّ له[6] جَوَابَا

وقال آخر :

سقى اللهُ أَرْضًا لو ظَفِرْتُ بتُرْبِهَا كحَلْتُ بها من شِدَّةِ الشَّوْقِ أجْفانِي

فهل بعد هذا للمُحِبِّينَ غايَةٌ وهل أحدٌ أشجانُه مثلُ أشْجَانِي ؟!

وقال الشريف المرتَضَى – رضى الله عنه[7] :–

ألا يا نَسِيمَ الريحِ من أرضِ بابِلٍ تحمَّلْ إلى أهْلِ الخِيامِ سَلامِي

وقل لحبيبٍ فيكَ بعضُ نَسِيمِهِ : أما آنَ أن تَسْطِيعَ رَجْعَ كلامِي[8] ؟!

وإني لأَهْوَى أن أكونَ بأرْضِكم على أنَّنِي منها استفَدْتُ سَقامِي

وقال آخر[9] :

---

(١) فى معجم البلدان : «إذا ما تراءى الرَّكبُ ..» وما هنا يوافق الأغانى ، والأوراق .

(٢) فى الأغانى والأوراق : «تَنَشَّقَ يَسْتَشْفِي ..» .

(٣) الأبيات فى ديوانه /٦٨ (جمع حسين نصار) وهى ايضا فى الاغانى ١١٥/٨

(٤) فى الأمالى ٧٨/٢ أن قومه حين لاموه فى تقبيله التراب قال :

فما حُبِّي لِطِيبِ تُرابِ أَرْضٍ ولكِن حُبّ مَنْ وَطِيءَ التُّرابَا

(٥) فى الأغانى والديوان : «مَا أُسِيغ به الشَّرابَا» .

(٦) فى ديوانه والأغانى «فما أُطِيقُ له الجَوَابَا» .

(٧) الأبيات فى ديوانه ٢٢٨/٣ من قصيدة له فى الغزل ، ويقابلها من القصيدة الأبيات ١و٢و٥ .

(٨) بين هذا البيت والذى يليه البيتان التاليان :

رَضِيتُ ، وَلَوْلَا ما عَلِمْتُمْ من الجَوَى لما كُنْتُ أَرْضَى ، مِنْكُمُ بلِمَامِ

وكيف أُطِيقُ الصَّبْرَ عَمَّنْ غَرامُه جَرَى فى عِظَامِي وهى غَيْرُ عِظَامِ ؟

(٩) الأبيات ١و٢و٤ فى الزهرة /٢٧١ من غير عزو

أرى كلَّ أرضٍ دَمَّنَتْهَا[1] وإن مَضَتْ ... لها حِجَجٌ يَزدادُ طِيبًا ترابُها

ألم تَعْلَمَنْ يا رَبِّ ، أن رُبَّ دعْوَةٍ ... دعوتُك فيها مُخْلِصًا لو أجابُها

فأُقْسِمُ لو أنِّي أرَى نَسَبًا لها ... ذئاب الفلا حُبَّتْ إليَّ ذئابُها

لعمرُ أبي لَيْلَى لئن هي أصبحت ... بوادِي[2] القُرَى ماضَرَّ غيرى اغترابُها

[115 أ]

وقال قَعْنَبُ ابن أمِّ صاحب :

قد كنتُ أقْصَرْتُ عن نَجْدٍ فهيَّجَنِي ... على تذكُّرِها الخَفَّانُ والحضَنُ[3]

لما وَرَدْتُ بِلادًا لستُ أعْرِفُها ... وشاقَنِي ذكْرُ أخرى هاجَ لى حَزَنُ

فقلتُ : قد حانَ من أرضٍ وُلدتُ بها ... أوْبٌ ،وقد حان من صَرْفِ النَّوى قَرَنُ[4]

علَّ النَّوى بك يوما أن تَرِيعَ[5] ،فقد ... تَدْنُو الغَرِيبَةُ حتى يدْنُوَ الوَطَنُ

وقال أبو نَصْر بن النَّحاس الحَلَبيُّ :

سقَى اللهُ أرضًا لبِسْنَا الشبا ... بَ بأرجائِها وخَلَعْنا الوَقارَا

ديارًا شَكَتْ فُرْقَةَ الظاعِنِ ... ينَ بألوانها فتحَلَّتْ بَهارًا[6]

زمانٌ صحِبْناه مُسْتَعْذَبًا ... فبانَ ، ولم يَبْقَ إلا ادِّكارًا[7]

---

(1) يقال : دمن القوم الموضع : سودوه وأثروا فيه بالدمن ــ بكسر الدال وسكون الميم ــ وهو آثار البعر وغيره .

(2) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة ، وهو كثير القرى .

(3) خفان : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج احيانا ، وهو مأسدة ، وقال السكرى : خفان وخفية : اجمتان قريبتان من مسجد سعد بن ابى وقاص بالكوفة وحضن ــ بفتحتين ــ : جبل بأعلى نجد ، وهو أول حدود نجد ، وفى المثل : « انجد من راى حضنا »

(4) الأوب : الرجوع ، والقرن : اراد به الجمع والاقتران .

(5) تريع : ترجع ، من قولهم : راع الشيء رواعا ، اذا رجع الى موضعه .

(6) البهار : جنس زهر من المركبات الانبوبية الزهر ، طيب الريح ينبت أيام الربيع ، ويقال له : العرار

(7) الادكار : التذكر ، وهو افتعال من ذكر

وقال آخر :

تَعوَّضت من دُودان[1] حملًا وأرضَها ... فما طاب لى شُرْبِى[2] ولاراق مشْرَبِى

فإن تلتَبِسْ حَلْىٌ[3] بدُودَان لا أَرِمْ ... لئن كنتُ ذا ذَنْبٍ ،وإن غيرُ مُذْنِبِ

ألا إنَّ قومَ المرء خيرُ تَفِيَّةٍ[4] ... من الأَبْعَدِ الأَقصى ، وإن لم تُقَرِّبِ

وقال مروانُ بنُ أَبى حَفْصَةَ من قصيدة فى معنِ بن زائِدةَ الشَّيْبَانِى : [١١٥ ب]

إنِّى إلى كُلِّ أرضٍ أنتَ ساكِنُها ... صَبٌّ ، وإن كنتُ عنها نازِحَ الوطَنِ

قلَّدْتَنى منك حَبْلًا فاعتصَمْتُ به ... أَسبابُه غيرُ رَثَّاتٍ ولا وُهُنِ[5]

تضِيقُ أعطانُ قومٍ إن هم سُئِلُوا ... وأنت بالخيرِ سهْلٌ واسِعُ العَطَنِ[6]

لو لم تكن للنَّدى جارًا فتُطْلِقه ... ما انفَكَّ والبُخْلُ مجموعَيْنِ فى قَرَنِ[7]

وقال أبو الفِتْيان محمدُ بن سُلْطان بن حَيُّوس الغَنَوى ، من قصيدة يرثى بها محمودَ بن نصرِ بنِ صالح ، ويعزِّى ولدَه نَصْرَ بنَ محمود ، ويمدحه[8] :

---

(١) دودان : موضع ورد فى شعر حميد بن ثور ، وقال البكرى اظنه دوران (براء قبل الألف) . ودوران ايضا قبيلة من بنى أسد .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل الأولى « عيشى » أو « نومى »

(٣) حلى ــ بفتح فسكون ــ : مدينة باليمن على ساحل البحر » ولينظر قوله فى البيت السابق « تعوضت من دوران حملا » وقوله هنا « فان تلتبس حلى بدودان » فالظاهر أن احد الموضعين (حملا ، أو حليا) محرف عن الآخر ، وحمل : اسم لعدة مواضع .

(٤) تفية : تفيئة من قولهم تفيات الشجرة وفيأت ، وفاءت : كثر فيــوُها ، وهو ظلها ، والمعنى على التشبيه ، يريد خير ما يستظل به من قولهم : تفيات بفيئك ، اى التجات اليك .

(٥) السبب : الحبل ، والمراد هنا طاقاته التى يفتل منها ، ورثاث : باليات ، ووهن : ضعيفات .

(٦) العطن : المناخ حول الورد ، ويقال ايضا للمراح والمأوى ، وقولهم :فلان واسع العطن ، مجاز يراد به انه رحب الذراع .

(٧) القرن : الحبل يقرن فيه بعيران .

(٨) القصيدة فى ديوانه ٢٤٣/١ و ٢٤٤ وفيه انه قالها فى عيد الفطر سنة ٤٦٧ هـ ومطلعها :

كَفَى الدِّين عِزًّا ما قَضَاهُ لكَ الدَّهْرُ ... فَمَنْ كانَ ذا نَذْرٍ فَقَدْ وجَبَ النَّذْرُ

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٩و١٠و٢١) .

فلله مَلْكٌ زيَّنَ الأرضَ[1] مُلْكُه وجادَ الحَيَا[2] مَلْكًا تضَمَّنَه القَبْرُ

وكنَّا نَظُنّ الأرْضَ تُظْلِمُ بعده فقُمْتَ مَقام البَدْرِ إذْ أَفَلَ البَدْرُ[3]

وكاد شِعار الخوفِ ينبَتُّ فى الورَى فنادَى شِعارُ الأمْنِ يا نَصْرُ يا نَصْرُ

وقال أعرابى :

سقى اللهُ أرْضًا يعلمُ الضَّبُّ أنها بعيدٌ من الأَدْواء طيِّبَةُ البَقْلِ

بنى بيتَهُ فى رأسِ نَشْزٍ وكُدْيَةٍ[4] وكُلُّ امرىءٍ فى حِرْفة العيش ذو عَقْلِ

---

(١) فى الديوان « . . زَيَّنَ الدَّسْتَ »

(٢) الحيا : المطر

(٣) فى الديوان «فتُمْتَ مقَام الشمسِ إذْ غُيِّبَ البدْرُ» .

(٤) النشز : ما ارتفع وظهر من الارض ،والكدية : الارض الغليظة او الصلبة لاتعمل فيها الفأس .

فصل آخر فى ذكر الارض

قال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان (١) :

تحمَّلْ عن الأَرضِ المَرِيضَةِ غادِيًا ... ولا تَرْضَ للدَّاء العَياء سوى الحَسْمِ
وما فتِئَتْ رُوحُ الفَتى فى نوائِبٍ ... تُمارِسُها حتى استَقَلَّتْ عن الجِسْمِ
إذا ما تَفرَّقْنَا خَلَصْنَا من الأَذَى ... ولم يَحْتَجِ الراعى المُسِيمُ إلى الوسْم (٢)

وقال الشَّنْفَرى(٣)

وفى الأَرْضِ مَنْأًى للكريم عن الأَذَى ... وفيها لمن رامَ القِلَى مُتَحَوَّلُ (٤)
لعمْرُكَ ما بالأَرضِ ضِيقٌ على امرئٍ ... سَرَى راغِبًا أَو راهِبًا وهو يَعْقِلُ
أُدِيمُ مِطالَ الجُوعِ حتى أُمِلَّهُ(٥) ... وأَضرِبُ عنه الذِّكر صفحًا فأُذْهَلُ
واسْتَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كيلا يَرَى له ... علىَّ من الطَّوْلِ امرُؤٌ مُتَطَوِّلُ (٦)

---

(١) هو ابو العلاء المعرى ، والابيــات فى اللزوميات ٢/٢٥١ .

(٢) الشطر الثانى فى اللزوميات «ولم يُخْرِجِ الرّاعِى المُسِيمُ إلى الوَسْمِ» والمسيم : اسم فاعل من اسام الراعى الماشية ، اذا جعلها ترعى حيث شاءت ، والوسم : العــلامة ومن عادة الرعاة فى السوم ان يجعل كل منهم لمـاشيته سمة حتى لا تختلط بماشية غيره. ويحتمل أن يكون مراده الوسمى ، وهو مطر الربيع الأول، وحذف الياء ، مكتفيا بالكسره قبلها ليســلم له الالتزام .

(٣) هو الشنفرى الأزدى ، والأبيات من قصيدته المعروفة بلامية العرب ، ومطلعها :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّى صُدُورَ مَطِيِّكُم ... فإِنِّى إلى قَوْمٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

وقد شرحها الزمخشرى فى كتابه المسمى أعجب العجب فى شرح لامية العرب (ط القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) وفى الطرائف الأدبية / ٣٩ ، وذكر تخريجها فيه ، وقال : انها تنسب الى غيره وقيل : انهــا لخلف ، وعدتها ٦٨ بيتــا ، وهى فى ذيل الأمالى /٢٠٨-٢١٢ ، وعدتهــا فيه ٦٧ والأبيات الواردة هنا يقابلهــــا من القصيدة الأبيات ٣ و ٤ و ٢٠ و ٢٤ .

(٤) فى أعجب العجب « .. لمَنْ خافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ ». والقلى : البغض والهجران ، قال ابن ولاد ــ فى المقصور والممدود / ٩٩ « والقِلَى : اذا كسرت أوله فهو مقصور ، واذا فتحت أوله مددت » .

(٥) فى أعجب العجب وذيل الأمالى « .. حتى أميته » والمعنى أجعله يمل ، والمطــــال والمماطلة : المدافعة .

(٦) استف الدقيق ونحوه : تناوله يابسا غير معجون .

ولولا اجتنابُ الذّامِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعاشُ به إلا لدىّ ومَأْكَلُ(1)

ولكنّ نفسًا مُرّةً لاتُقِيمُ بي على الضَّيمِ إلا رَيْثَما أتحوّلُ(2)

[116 ب] عن عبدِ الرّحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمر بنِ حَفْصِ بنِ عاصِمِ بنِ عُمَر بنِ الخَطّابِ ـ رضى الله عنه ـ أنّ رجلا من بنى كلاب يُكْنى أبا حبال نَزَلَ على عبدِ الله بنِ عمر بنِ حَفْص، ومعه ابنُه حِبالٌ، فمرِض ابنُه ثم مات، قال عبدُ الله: فأمَرَ أبى بكَفْنِه، فكفَنّاه، فلما فرغنا منه استَأْذَنَ أبوه أبى أن يَدْخُلَ عليهِ، فيسلّم عليه ويُوَدِّعَه، فأَذِن له، فدَخَل، فأَكَبّ عليه، فسمعناه يَقُول:

ولولا حِبالٌ لم تُنِخْ بى مَطِيّتى بـأَرْضٍ بها الحُمَّى بوِرْد وصالِب(3)

وقائِلةٍ أرداكَ واللهِ حبُّه بنَفْسِى حِبالٌ من خليلٍ وصاحِبِ

فجعل يُكَرِّر ذلك، ثم فَقَدْنا صوتَه، فقال لنا أبى: أظُنّه واللهِ قد مات، فدخَلْنا فوَجَدْناه مَيْتًا، فجهّزناهما، وحملناهما فَقَبَرْناهُما.

وقال آخر ـ وتروى لحاتم(4) ـ:

إن كنتَ تَزْعُمُ أن الأَرْضَ واسعةٌ فيها لغيرِكَ مُرْتادٌ(5) ومُرْتَحَلُ

فارْحَلْ فإنّ بلادَ الله ما خُلِقَتْ إلا لِيُسْكَنَ منها السّهْلُ والجَبَلُ

وابغِ المكاسِبَ من أرْضٍ مُطالِبها من حَيْثُ يجمُلُ حتى ينفَدَ الأَجَلُ

[117 أ] وقال آخر:

كيف المُقَامُ بـأَرْضٍ لا أُشُدّ بها نِضْوِى إذا ما اعْتَرتْنى سَوْرَةُ الغَضَبِ(6)؟

---

(1) الذام: العيب.

(2) فى ذيل الأمالى «ولكِنّ نَفْسًا حُرة...»

(3) الورد: من اسماء الحمى، أو يومها اذا أخذت صاحبها لوقت، والصالب: الحمى الشديدة الحرارة.

(4) لم أجد هذه الابيات فى ديوان حاتم الطائى.

(5) المرتاد: اسم المكان من الفعل ارتاد، يقال: ارتاد لأهله منزلا وكلا: تلمسه، وارتاد الشىء: طلبه

(6) النضو: البعير المهزول، وقيل: هوالمهزول من جميع الدواب، ونضو اللجام: حديدية من غير سير، وسورة الغضب: شدته وحدته وهياجه. ينكر على نفسه ان يقيم فى ارض يهان بها فيغضب ثم لايرحل عنها وهو كقول الأجدع الهمدانى:

لَحى اللهُ قَوْمًا يُقْسَرُونَ وعِنْدهُمْ جيادٌ ولَمْ يُغْضَبْ بـأَيْدِيهِمْ قِدُّ

وقال آخر :

واسَوْأتَا لامرىءٍ شَبِيبَتُه في عُنْفُوانٍ ، وماؤُه خَضِلُ[1]

وهو مُقِيمٌ بأرضِ مَضْيَعَة[2] يمنَعُه من طِلابِهِ الكَسَلُ

إلى متى تَخْدُمُ الرِّجالَ ولا تُخْدَمُ يَوْمًا ، لأُمِّكَ الهَبَلُ[3] ؟

وقال آخر :

ما أشْغَلَ الحَيَّ في الدنيا بحاجَتِهِ والمَيْتُ بالمَوْتِ مشغولٌ عن الحَيِّ

هوِّنْ عليكَ فأرْضُ الله واسعةٌ والشيْءُ يُغْنِيكَ في الدنيا عن الشَّيِّ

وقال البحتري[4] :

الأرْضُ أوسَعُ من دارٍ ألظُّ بها[5] والنَّاسُ أكْثَرُ من خِلٍّ أجاذِبُهُ

أعاتِبُ الخِلَّ[6] فيما ساءَ واحِدَةً ثم السَّلامُ عليهِ ، لا أُعاتِبُهُ

وقال أيضا[7] :

إنَّني ما حَلَلْتُ بالأرْضِ[8] إلَّا كُنْتُ في أهْلِها المُجَلَّ المُفَدَّى [١١٧ب]

---

(١) عنفوان الشباب : نشاطه وحدته ـ وخضل : وصف من خضل اذا ندى وابتل ، وهو كناية عن القوة والفتوة .

(٢) المضيعة : الاهمال ، وما يجلب الضياع والفساد ، ويقال للمفازة المنقطعة يضيع فيها الانسان وغيره مضيعة .

(٣) الهبل : الثكل ، يدعو عليه بالفقد .

(٤) البيتان في ديوانه ٣٩/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر ، ومطلعها :

عهْدِي بربْعِك مَأنُوسًا مَلَاعِبُهُ أشْبَاهُ آرامِه حُسْنًا كَواعِبُهُ

ويقابلهما من القصيدة البيتان (١١و١٢)

(٥) في الديوان (ألُظُّ بِها والنَّاسُ أوْسَعُ مِنْ خِلٍّ ..) ولظ بالمكان : لزمه ولم يفارقه ومثله لط بالمهملة .

(٦) الديوان : أُعاتِبُ المرْءَ فيما جاءَ واحِدَةً .. » .

(٧) البيتان في ديوانه ٢٠٧/١ من قصيدة يمدح بها ابن الفرات ومطلعها :

بتُّ أُبْدِي وجدًا وأكْتُمُ وجْدًا لخَيالٍ قَدْ باتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى

وهما البيتان (١٢و١٣) من القصيدة .

(٨) الديوان (في الأرض) .

وإذا القَوْمُ لم يُراحُوا لقُرْبِى كانَ لى عَنْهُمْ مَرَاحٌ وَمَغْدَى(1)

وقال أيضا(2) :

فلا تسْأَلَنْ عن مَضْجَعِىَ ونُبُوِّهِ بـأَرْضِى وعن نَوْمِى بها وامْتِناعِهِ
أَرانِىَ مُشْتَاقًا وأَهْلِى حُضَّرٌ على رأىِ(3) عَيْنَىْ نَاظِرٍ واسْتِماعِهِ
ومُغْتَرِبَ المثوى وسَرْجِى ساربٌ بـأَوْدِيَةِ السَّاجُورِ أو بِتلاعِهِ(4)
لفُرْقَةِ من خلَّيْتُ(5) دُنْيَاىَ غَضَّةً لديهِ ، وعِزِّى مُعْصِمًا فى يَفاعِهِ (6)
وما غَلَبَتْنِى نِيَّةُ الدارِ عِندَه على رِفْدِهِ فى ساحَتِى واصْطِناعِهِ (7)

وقال آخر :

فى سَعَةِ الأَرْضِ وفى عَرْضِهَا مُسْتَبْدَلٌ بالخِلِّ والجَارِ
فَمَنْ دنَا مِنْكَ فأَهْلًا به ومن تَنَاءَى فإلى النَّار

وقال آخر(8) :

إذا المَرْءُ لم يُحْبِبْكَ إلا تَكَرُّهًا فَدَعْهُ ، ولا يُعْجِزْكَ عنه التَّحَوُّلُ

---

(1) المعنى « اذا لم يجد قوم فى قربى منهم راحة ، فاننى اتحول عنهم »

(2) الأبيات فى ديوانه (2/92) من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى مطلعها :

يَبِيتُ لَهُ مِنْ شَوْقِهِ ونِزاعِهِ أَحَادِيثُ نَفْسٍ أوشَكَتْ من زَمَاعِهِ

وترتيبها من القصيدة فى الديوان من(10–14)

(3) الديوان : (على لحظ عينى)

(4) سارب : ذاهب على وجهه فى الأرض وعنى بسرجه حصانه . والساجور : نهر بمنبج

(5) (من خلقت)

(6) (فى بقاعه) .

(7) النية : الوجهة التى ينويها المسافر ، والرفد : العطاء والصلة والمعونة . واصطناعه : اختياره واصطفائه ، ويقال : اصطنع عند فلان صنيعة ، اذا أحسن اليه .

(8) المعنى الوارد فيهما مما تعاوره الشعراء وهو كقول الآخر ، وفيه كثير من لفظه :

إذا المَرْءُ لا يَرْعَاكَ إلا تَكَلُّفًا فَدَعْهُ ، ولا تُكْثِرْ عليه التَّأَسُّفَا
فَفِى النَّاسِ أَبْدالٌ وفى التَّرْكِ راحَةُ وفى القَلْبِ صبْرٌ للحبيبِ وَلَوْجَفَا

وفى الأرْضِ أكْفَاءٌ وفيها مُراغَمٌ(١) عريضٌ لمن خافَ الهَوَانَ ومَرْحَلُ

وقال آخر :

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلمْ أرَ لى بأَرْضٍ مُسْتَقَرّاً
أَطَعْتُ مطامِعِى فاسْتَعْبَدَتْنِى ولو أنّى قَنِعْتُ لعِشْتُ حُرّاً

وقال إياسُ بنُ قَبيصَة الطّائِى :

فما ولدَتْنِى حَاضِنٌ رَبَعِيَّةٌ لئِنْ أنا مالأْتُ(٢) الهَوَى لاتِّبَاعِهَا
أَلَمْ تَرَ أنَّ الأرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ فهل تُعْجِزَنّى بُقْعَةٌ من بِقَاعِها؟!

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان (٣) [المَعَرّىّ] :

أقولُ لصاحِبِى إذ هامَ وَجْدًا بِبَرْقٍ ليس يُثْبِتُه نُزُوحَا
متى نُصْبِحْ وقد قُتْنَا الرَّزايا(٥) نُقِمْ حتى تقولَ الشمسُ رُوحَا
بأَرْضٍ للحمامَةِ أن تُغَنِّىَ بها ولمن تأسَّفَ أن يَنُوحَا(٦)

وقال أحمد بن محمد بن الفضل الخازن :

سُقِيتِ لمَغْنىً حلَّ فيكِ أودُّه ولولاه لم أَسْمَحْ لتُرْبِكِ بالقَطْرِ

---

(١) مراغم : مذهب يذهب اليه اذا راى منكرا يلزمه ان يغضب منه ، واصله من راغمه اذا ساخطه وجاهده على ان يرغم أحدهما الآخر ، ثم استعير للمنازعة ، وفى القرآن الكريم : «وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسعةً» .

(٢) مالأته : شايعته وتابعته ، ينكر ان يكون لام ربعية يعتز بنسبها ، اذا هو فعل ذلك .

(٣) الابيات فى سقط الزند ٧٦/١ من قصيدة مطلعها

أَلاحَ ، وقَدْ رَأَى بَرْقًا مُلِيحا سَرى فَأَتَى الحِمى نِضْوًا طَلِيحَا

قالها يجيب بها الشريف ابا ابراهيم موسى بن اسحاق عن قصيدة اولها :

بِعادُكَ أَسْهَرَ الْجفْنَ القَرِيحَا ودارُك لاتَنِى إلا نُزُوحا

ويقابلها من القصيدة الأبيات (٤و٩ و١٠)

(٤) ليس يثبته : اى لايكاد يحققه لنزوح البرق ، وبعده عنه .

(٥) الديوان : (الأعادى) وقال شارحه : المعنى متى جاوزنا ارض الأعداء ، وامنا عاديتهم تركنا السرى بالليل ، واقمنا بالمنزل الى وقت طلوع الشمس ، فاذا طلعت ارتحلنا فى ضوء النهار ظاهرين .

(٦) المعنى : تقيم بأرض مهياة للاقامة . صالحة للطرب المسرور وللكئيب المحزون .

[١١٨ب]

فإنَّك أرضٌ ما وجَدْتُ بها رِضًى ... وحَرَّةُ سوءٍ ماتُضِيعُ سوى الحُرِّ

قداعتَلَّ فيها كلُّ شىءٍ سوى الصِّبَا ... ورقَّ سوى الأخلاقِ والماءِ والخَمْرِ

وقلتُ ، وأنا بمصر(١) :

وَدِّعْ أخا العَزْمِ مِصْرًا ، لا لَمِيسَ ، وخُضْ ... بالسابحاتِ غِمَارَ(٢) المَهْمَهِ البِيدِ

وسِرْ عن الأرْضِ تَنْبُو بالكِرَامِ فَقَدْ ... طالَ انتظارُ الجَنَى من يابِسِ العُودِ

وقلت(٣) :

تطامَنْ إذا أنْكَرْتَ دهْرَكَ إنما ... يفوزُ بخَفْضِ العيشِ من عاش فى خَفْضِ

وكن كالذُّبَاب إن رأى الرِّيحَ عاصِفًا ... تلاصَقَ من خَوْفِ الأَذِيَّةِ بالأَرْضِ

وقال البُسْتى(٤) :

إن تَرْمِكَ الغُرْبَةُ فى مَعْشَرٍ ... توافَقُوا(٥) فيكَ على بُغْضِهِمْ

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ فى دارِهِمْ ... وأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ فى أَرْضِهِمْ

---

(١) البيتان فى ديوان اسامة /٢٤٨

(٢) فى الديوان « بحار »

(٣) هذان البيتان لم يردا فى ديوان اسامةالمطبوع

(٤) لعل المراد أبو الفتح البستى ، فقد كان كثير التجنيس فى شعره ، وربما كان ذلك مما جعل اسامة ينسب هذين البيتين اليه ، وهما لابن فضالة المجاشعى القيروانى ، وقيل ابن شرف كذا نسبتهما فى معاهد التنصيص/٤٤١ .

(٥) رواية هذا البيت فى معاهد التنصيص هكذا :

إنْ تُلْقِكَ الغُرْبة فى مَعْشَر ... قَدْ أَجْمَعُوا فيكَ على بُغْضِهِمْ

١١ ـ فصل فى ذكر الاوطان

قال إبراهيمُ بنُ أدْهَم ـ رضى الله عنه ـ : « ما قاسَيْت فيما تَركْتُ من الدُّنيا أشدَّ علىَّ من مُفَارَقَةِ الأَوطان » .

قال الرِّياشي : أنشدنى أعرابى[(١)] :

سَلِّمْ على قَطَنٍ إن كنتَ تَألَفُه[(٢)]   سلامَ من كان يَهْوَى مَرَّةً قَطَنَا

(قَطَنَ) : جبل [(٣)] :

أُحِبُّه والذى أرْسَى قواعِدَه   حُبًّا إذا ظَهَرَتْ[(٤)] آياتُه بطَنَا

يا ليتَهُ لا نَرِيمُ الدهرَ ساحَتَهُ   وليْتَهُ ـ حَيْثُ سِرْنَا غُرْبَةً ـ مَعَنا[(٥)]

ما مِنْ غَرِيبٍ وإن أبْدَى تجلُّده   إلا سَيَذْكُرُ بعد الغُرْبَةِ الوَطَنَا

وقال القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر :

أهِيمُ بذِكْرِ الشَّرْقِ والغَرْبِ دائِمًا   وما لىَ لاشَرْقُ البلادِ ولاالغَرْبُ

ولكنَّ أوْطَانًا نأتْ وأحِبَّةً   فَقَدْتُ ، متى أذكُرْ عهودَهُمُ أصْبُ

وما أنْسَ من وَدَّعتُ بالشَّطِّ سُحْرَةً[(٧)]   وقد غَرَّدَ الحَادُونَ واستَعْجَلَ الرَّكْبُ

أليِفان : هذا سائرٌ نحو غُرْبَةٍ   وهذا مُقِيمٌ سار عن جِسْمِهِ القَلْبُ

---

(١) الابيات الثلاثة الاول فى الزهرة /٢٦٩ من غير عزو ، وهى فى معجم البلدان فى رسم (قطن) منسوبة الى بعض الأعراب من غير تعيين ، وكذلك أوردها ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير /٥١٩ مما استحسنه فى باب الالتزام .

(٢) فى معجم البلدان « .. ان كنت نازله » وفى الزهرة (لاقيه)

(٣) فى معجم البلدان: قطن : جبـــل مستدير ململم يجرى من راســـه عيون لبنى عبس بين الحاجر والمعدن ، وبه ماء يقال له : السليع

(٤) فى معجم البلدان « .. إذَا عَلَنَتْ » وما هنا يوافق الزهرة .

(٥) فى معجم البلدان والزهرة (ياليتنا لانريم) وفى معجم البلدان (وليتها حين سرنا) وفى الزهرة « أو كان أن نحن سرنا »

(٦) فى معجم البلدان « الا تذكر عنــد الغربة .... » واورد بيتين بعده .

(٧) الشط : قرية باليمامة

وقال آخر :

لاتَنْهرنَّ غريبًا طال غُرْبَتُه فالدهرُ يَضْرِبُه بالذُّلِّ والمِحَنِ

حَسْبُ الغريبِ من الدنيا ندامَتُه عَضُّ الأَنامِلِ منشوْقٍ إلى الوطنِ

وقال التِّهاميّ :

استَوْدِعُ اللهَ فى أَرضِ الحجازِ رَشا فى رَوْضَةِ القلبِ مأواه ومرتَعُه(1)

باللهِ يا شوقُ رِفْقًا بالفُؤادِ فما أُطِيقُ أكثرَ مما أنتَ تَصْنَعُه

وأَنْتَ يا وَصْلُ عُجْ فى رَبْعِ فُرْقَتِنا عساكَ تجمع شمْلًا عزَّ مَجْمَعُه

وسَقِّهِ من حَيا التَّقْرِيبِ سَارِيَةً فإنه داثرٌ قد مُحَّ موضِعُه(2)

عسى اللَّيالى بأَوطانِى التى سلَفَتْ تَرْجِعْنَ فيه رُجُوعًا لا نودِّعُه

عن ابنِ الكلبيِّ قال : كان رجل من طَيِّءٍ يقال له : زامِلُ بنُ عُفَيْر ، نازِلا فى أخواله من كلْبٍ فى الدهرِ الأَوّل ، وذلك قبل حربِ الفِجار ، فأَغار عليهم مِنْسرٌ(3) من بنى القَين ، فاستخفُّوا إبلَه ، فاستَنْصَرَ أخوالَه ، فأَبْطَئُوا عليه ، فَعَمَدَ إلى جملٍ سائِبٍ ، فاكْتَفَلَه(4) وتوجَّه نحو [120 ا] الشام ، فقيل له : أَتَرْكَبُ الحرامَ ؟ قال : «يركَبُ الحرامَ من لا حَلالَ له(5)» فلما قَرُبَ من الشام مرَّ بروضَةٍ غنَّاء وغُدران ، فقيّدَ بَعيرَه ، وأكل من نباتِ تلك الرّوضةِ ، واضطجع ، فبَيْنا هو كذلك ، إذ أَقبلَ فارسٌ إلى الرّوضة ، فنَزَل عن فرسِهِ ، وحطَّ سرجَه ، وقَيّد فرسَه ، وقعد

(1) الرشأ : ولد الظبية اذا قوى وتحرك ومشى مع امه . والعرب تشبه به المرأة لحسنها، وجمال عينيها ، والابيات لم أجدها فى ديوان ابى الحسن التهامى (ط الجوائب) وكانها من قصيدة يعارض بها قصيدة ابن زريق الكاتب التى مطلعها :

لا تَعْذُلِيه فإنَّ العذْلَ يُولِعُهُ قد قُلْتُ قَوْلًا ولكِنْ لَيْس يَسْمعُهُ

وفيها يقول :

اسْتَودِعُ الله فى بغْداد لِى قَمَرًا بالكَرْخِ من فَلَكِ الأَزْرارِ مطْلِعُهُ

(2) الحيا : الغيث ، والسارية : السحابة تسرى ليلا ، والمطرة بالليل ـ الداثر : البالى المتهدم ـ مح : درس وانمحى .

(3) المنسر : الجماعة من الخيل ، والقطعة من الجيش تتقدمه .

(4) يقال : اكتفل البعير ، اذا جعل عليه كفلا ، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب .

(5) فى مجمع الأمثال للميدانى بترتيب الكرمانى / 748 مثل يشبه الوارد هنا ، وهو : «يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَن لا ذَلُولَ لَه» وفسره بقوله : « أى يحمل المرء نفسه على الشدة اذا لم ينل طلبه بالهوينى ، يضرب فى القناعة بنيل بعض الحاجة » ولم يذكر له موردا .

قريبًا من مُضطَّجَع الطَّائِيّ فاستيقظ. الطائيّ بحرسه ، فاسْتَوَى قاعدًا ، فقال له الفارس : مَن الرّجلُ؟ فانتسب له ، وسأله عن شأنِه ، فقَصَّ عليه قِصَّتَه ، فقال له الفارسُ : يا هذا . هل عندك طعامٌ فإنى طاوٍ منذ أمس ؟ فقال له : أتطلُب الطعام وهذا اللحمُ معرَّضٌ[1] ؟ ثم وثب إلى سيفه ، فعَقَر بعيرَه ، ثم اجتبَّ سَنامَه ، وبَقَرَ عن كَبِدِهِ ، وذلك بعين الفارس ، ثم أَوْقَدَ نارًا عظيمة ، ثم اشْتَوَى ، وأقبل يُلْقِى إلى الفارس ، حتى انتهى ، فما لبث أن ثار العَجاجُ ، فإذا الخيلُ مُقْبِلَةٌ ، تَتَوَقَّص[2] بفُرْسَانِها ، حتى انتهَوْا إلى الفارِس ، فحَيَّوْهُ بتحيّة المُلْك ، فركب ، وقال : دُونَكُم الرَّجُلَ ، فأَرْدَفَه بعضُهم حتى أتى دارَ مُلْكِهِ ، فإذا هو/الحارثُ الأكبرُ الغَسّانِيّ ، [١٢٠ب] فأمر بَعْضَ غلمانه بإنزالِ[3] الطَّائِيّ ، وخافَ زامِلٌ أن يكون قد نسِيَهُ الملك ، فقال للغُلام : هل لك أن تولِيَنِى عارِفَةً ، وتبلِّغَ المَلِكَ ما أقولُ؟ قال : أفعلُ ، فأنشده :

أَبْلِغِ الحارثَ المُرَدَّدَ فى المجْـ ـدِ وفى المَكْرُماتِ جَدًّا فجَدّ
وابنَ أَرْبابِ واطِئِ السَّبْسَبِ الأَرْحَبِ والمالكينَ غَوْرًا ونَجْدا[4]
إنَّنِى ناظِرٌ إليك ودُونِى عائِقاتٌ فادَرْنَ قُرْبَىَ بُعْدَا
إن أكن نازِلًا بمَثْوى كريمٍ ناعمَ البالِ فى مَرَاحٍ ومَغْدَى
غير أنَّ الأَوْطَانَ يَجْتَذِبُ المَرْ ءَ إليها الهوى وإن عاش كَدًّا
وتَأْنِّ بالشآمِ مُفِيدِى حسراتٍ يَقْدُدْنَ قلبى قَدًّا
ليس يَسْتَعْذِبُ الغَرِيبُ مُقَامًا فى سوى أَرْضِه وإن نال جَدًّا[5]

فتسبَّبَ الغلامُ إلى أن أنشدَ الملكَ الأبيات ، فقال الملك : واسَوْأَتاه ، كَرُمَ ولَؤُمْنا ، إيذَنْ له ياغلام ، فلما دَخَلَ قال : واللهِ لا يَرْحَضُ[6] عارَها عنى إلا عطاؤُك حتى تَرْضَى ، ثم أَمرَ له

---

(١) هو من قولهم : عرضهم عراضــة . وعرضها لهم ، اذا اهداها ، أو اطعمهم اياها
(٢) قال الأصمعى : اذا نزا الفرس فى عدوه نزوا ، ووثب وهو يقــارب الخطــو ، فذلك التوقص ، وقال ابو عبيدة : التوقص ان يقصر عن الخبب ويزيد على العنق .
(٣) اراد بانزاله تهيئةالنزل له ، وهو الضيافة .
(٤) السبسب : الأرض المستوية البعيدة ، وقيل: الأرض القفر البعيدة ، وقيل : الأرض القفر البعيدة مستوية وغير مســتوية غليظة لا ماء بها ولا أنيس .
(٥) الجد : الحظ ، ومن معانيه أيضا : المكانة والمنزلة عند الناس .
(٦) يقال : رحض الثوب ، اذا غسله . يريد لا يزيل عارها .

[١٢١ ا] بجائزةٍ سَنِيَّة ، وقال له : يا زامِلُ . إن الأَوْطَانَ / جواذِبُ ، كما ذكرت ، فهل لكَ في المُقام في جُمْلَتِنا يفيءُ عليك ظِلُّنا ، وتَسِيلُ عليك صِلَتُنا ؟ فقال : أيها الملك . ما كنتُ لأُوثِرَ وطَني عليك ، ثم أقام بالشام في جوارِه .

وقال ابنُ الرّوميّ(١) :

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ ألاّ أبيعَه ... وألّا أرَى غيرى(٢) له الدهرَ مالِكَا

فقد ألِفَتْه النَّفْسُ حَتّى كأنَّه ... لها جَسَدٌ إن بان غودِرتُ(٣) هالِكَا

وحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآرِبُ قضَّاها الرجالُ هنالِكَا

إذا ذَكَرُوا أوطانَهم ذكَّرَتْهم ... عهودَ الصِّبَىَ فيها فحنُّوا لذلكَا

وقال الشّرِيفُ الرَّضِيّ – رضى الله عنه(٤) – :

لا يُذْكَرُ الرَّملُ إلا حَنّ مُغْتَرِبٌ ... له بِذِى الرَّمْلِ أوْطارٌ وأوطَانُ

يَهْفُو إلى البانِ من قَلْبِى نوازِعُه ... وما بِىَ البانُ ، بل من دارُه البَانُ(٥)

أَسُدُّ سَمْعِى إذا غَنَّى الحمامُ بها ... كيلا يبيِّنَ سِرَّ الوجْدِ إعْلانُ(٦)

ورُبَّ دارٍ أُوَلِّيها مجانَبَةً ... ولِى إلى الدّار أطْرابٌ وأشْجَانُ

إذا تلفَّتُّ فى أطلالِها ابْتَدَرَتْ ... للقَلْبِ والعينِ أمْوَاهٌ ونِيرانُ(٧)

[١٢١ب] / قيل لبعض الحكماء : ما اللذّةُ ؟ قال : الكِفَايَةُ مع لُزوم الأوطانِ ، ومحادثة الإخوان ، قيل : فما الذِّلّة ؟ قال : النُّزُوحُ عن الأوطان ، والتنقُّلُ فى البُلْدان .

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ٢٧٦/٢ ، ومطالع البدور ٢٩٥/٢ ، والبيتان ٣و٤ فى المختار من ديوانه (١٣/١ نشر كامل كيلانى) وفى أمالى المرتضى ١٥٢/٢ ومختارات البارودى ٢٥٤/٤ .

(٢) فى محاضرات الأدباء : « ولا أن أرى » وبين هذا البيت والذى يليه البيت التالى :

عهِدْتُ به شَرْخَ الشّبابِ ونَعْمَةً ... كَنَعْمَةِ قَوْمٍ أصْبحُوا فى ظِلالِكَا

(٣) فى المحاضرات « غُودَر هالِكا » .

(٤) الأبيات فى ديوانه ٥٢٤/ من قصيدة ومطلعها :

أَسِلْ بدَمْعِك وادِى الحَىِّ إذْ بانُوا ... إنَّ الدُّمُوع على الأَحْزَانِ أعْوانُ

والبيت الأول من شواهد ابن أبى الاصبع على تجنيس التصريف ، وانظر تحرير التحبير ١٠٧/ .

(٥) فى الديوان « تهفو » والبان : مواضع، منها : موضع بالبادية أسفل من صفينة ، وجبل فى ديار بنى كلاب

(٦) فى الديوان « ... ألّا يُبيِّن » .

(٧) فى الديوان « .. للعين والقلب .. » فيكون اللف والنشر عليه مرتبا

وقال أبو العَرَب مُصْعَبُ بن محمّد بن الفُرات :

أَهُمُّ ولى عزمان : عَزْمٌ مُشَرِّقٌ وآخرُ يُغْرِى هِمَّتِى بالمَغارِبِ
ولابدَّ لى أنْ أسْأَلَ العِيسَ حاجَةً تَشُقُّ على أخْفافِها والغَوارِبِ
علىَّ لآمالِى اضطِرَابُ مُؤَمِّلٍ ولكن على الأَقْدارِ نُجْحُ المَطَالِبِ
فيا نَفْسُ لا تَسْتَصْحِبِى الهُونَ إنَّه – وإن خَدَعَتْ أسبابُه – شَرُّ صاحِبِ
ويا وَطَنِى إن بِنْتَ عنى فإنَّنى سأُوطِنُ أكوارَ العِتاقِ النَّجائِبِ
إذا كانَ أصْلِىَ من تُرابٍ فكُلُّهَا بلادِى ، وكلُّ العالَمِينَ أقارِبِى

وقال آخر[1] :

يا بَعِيدَ[2] الدّارِ من وطَنِهِ مَفْرَدًا يَبْكِى على سَكَنِهْ[3]
كُلَّمَا جَدَّ النَّجاءُ بِهِ[4] جَدَّتِ[5] الأَسْقامُ فى بَدَنِهْ
ولقد زادَ الفُؤادَ شَجًى صَوْتُ قُمْرِىٍّ على فَنَنِهْ[6]
شفَّه ما شَفَّنِى فبَكَى كلُّ[7] مَنْ يَبكِى على شَجَنِهْ

[١٢٢ ا]

وقال آخر :

لا بُدّ للمُشْتَاقِ من ذِكْرِ الوَطَنْ واليأْسِ والسَّلْوَةِ من بَعْدِ الحَزَنْ

وقال عبدُ السّلام بن رَغْبانِ المعروف بدِيك الجِنِّ[8] :

أَما آنَ للطَّيْفِ أن يأْتِيَا وأن يَطْرُقَ الوَطَنَ الدانيا ؟
وإنى لأَحْسَبُ رَيْبَ الزَّما نِ يَتْرُكُنِى جَسَدًا باليَا

(١) فى هامش الأصل بخط مغاير « هو العباس بن الأحنف ، ولهذه الأبيات حكاية لطيفة نقلها الأصمعى عنه » ، وقد وجدت الأبيات ومعها خبرها فى ترجمة العباس بن الأحنف فى وفيات الأعيان ٢/٢٣٢ وهى مقطوعة من أربعة أبيات وردت فى ديـــوانه / ١٦٢ (ط الجوائب سنة ١٢٩٨)

(٢) فى الديوان « ياغريب الدار » . (٣) فى الديوان « شجنه »

(٤) فى الديوان « البكاء » والنجاء : السرعة فى السير

(٥) فى الديوان « دبت الاسقام »

(٦) فى الديوان « طائِرٌ يبْكِى علَى فَنَنِهْ » . (٧) فى الديوان « كُلُّنَا يَبْكِى على سكَنِهْ » .

(٨) الأبيات وردت فى ديوانه /١١٦ على نحو ماجاءت هنا فى ترتيبها وعددها

سأَنْشُر ذِكْرَكَ لا ناسِيًا جميلَ الصَّفاء ولا قاليا[1]
وقد كنتُ أَنشُرُه ضاحِكًا فقد صِرْتُ أَنشُرُه باكِيًا

وقال الشَّريْف المُرْتَضَى رضى الله عنه[2] :

هل لِلَيَالِيّ[3] بالمُنَقَّى رُجُوعُ مثلما كُنَّ لى ونَحْنُ جَمِيعُ
زَمَنٌ راعَنِى تَذَكَّرُهُ الثَّا وِى وإن كانَ ماضِيًا لا يَرِيعُ[4]
وطَنٌ طابَ جوُّهُ وثَرَاهُ فكأَنَّ المَصِيفَ فيه رَبِيعُ
حيْثُ لا تَهْتَدِى الخُطُوبُ ولا يخفِق من خَشْيَةِ[5] الحوادِثِ رُوعُ

[١٢١ب] وقال أَبو العَلاء [أَحمد بن عبد الله] بن سُلَيْمَان المَعَرِّى[6] :

وماءُ بلادِى كان أَنجَعَ مشرَبًا ولو أَنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهْبَاءُ جِرْيالُ[7]
فيا وَطَنى إن فاتَنِى بك سابِقٌ من الدَّهْرِ، فلْيَنْعَمْ لساكِنِكَ البالُ[8]
وإن استَطِعْ فى الحَشرِ آتِك زائِرًا وهَيْهاتَ، لى يوم القيامةِ أَشْغَالُ[9]

---

(١) رواية الديوان للشطر الأول من هـذا البيت :
«سأَشْكُرُ ذلك لا ناسِيًا» وما هنا انسب للمعنى، واكثر ملاءمة للبيت التالى له .
وقاليا : من القلى، وهو البغض والهجران .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٢/٢٠٠ من قصيدة قالها فى الفخر .
(٣) الديوان « هل ليالى » . والمنقى : طريق للعرب الى الشام كان فى الجاهليـة يسلكه اهل تهامة .، والمنقى أيضا بين المدينة وأحد .
(٤) يربع : يرجع ويعود (٥) فى الديوان «مِنْ خِيفَةِ الحَوادِثِ» .
(٦) الأبيات فى سقط الزنـد ٢/٦٤ من قصيدة قالها بمدينة السلام مطلعها :
مغَانِى اللِّوى مِنْ شَخْصِكَ اليَوْم أَطْلالُ وفى النَّوْمِ مَغْنَى من خَيالِكَ مِحْلالُ
(٧) التعليق على هذا البيت تقدم فى ص ١٦٤ .
(٨) البال : القلب، ويستعمل بمعنى الحال . يدعو لساكنى وطنه بأن ينعموا به قلبـا وحالا وان فوت عليه الدهر اقامته به .
(٩) المعنى : اذا حـال الدهر بينى وبين وطنى فى هذه الحياة الدنيا فان اسـتطع فى القيامة زيارته زرته قضاء لحقه، ثم رجـع فاستبعد ذلك جدا، اذ يكون «لِكُلِّ امْرِىءٍ يومئِذ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» .

وقال المُتَنَبِّى(١) :

بِمَ التَّعَلُّلُ ؟ لا أَهْلٌ ولا وطَنُ ولا نَدِيمٌ ولا كأْسٌ ولا سَكَنُ(٢)

أُرِيدُ من زَمَنِى ذا أن يُبَلِّغَنِى ماليس يبْلُغُه فى نَفْسِه الزَّمَنُ(٣)

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلا غيرَ مُكْتَرِثٍ مادام يَصْحَبُ فيه رُوحَك البَدَنُ(٤)

فما يَدُومُ سُرورٌ ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليكَ الفائِتَ الحَزَنُ

عن رجلٍ من أَهل خُراسان قال : رأَيتُ علىَّ بنَ الجَهْمِ بعد أنْ أُطلِقَ من مَحْبِسِهِ جالسًا فى المقابر ، فقلت : ما يُجْلِسُكَ هنا ؟ فقال(٥) :

يَشْتَاقُ كلُّ غَرِيبٍ عند غُرْبَتِهِ ويَذْكُرُ الأَهْلَ والجِيرانَ والسَّكَنَا

وليسَ لى وَطَنٌ أَمْسيْتُ أَذْكُرُه إلا المَقَابِرَ إذْ كانت(٦) لهم وَطَنَا

[١٢٣ أ]

قلت : لى أبيات تنظر إلى هذا المعنى ، وهى(٧) :

أَشْتَاقُ أَهْلِى وأَوطانِى وقد مُلِكَتْ دُونى وأَفْنى الرَّدَى أَهلِى وأَحْبابِى

فأَسْتَرِيحُ إلى رُؤْيَا القُبورِ ، ففى أَمثالِها حَلَّ إخوانى وأَترابِى

ولسْتُ أَحْيَا حياةً اسْتَلِذُّ بها من بعدِهم ولَحاقُ القومِ أَوْلَى بِى

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/٤٦٧) من قصيدة قالها وهو بمصر حين بلغه أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٢) التعلل : التلهى – والسكن : الصاحب وكل ما تسكن اليه النفس . والمعنى بأى شىء اعلل نفسى وأنا بعيد عن وطنى وأهلى ، وليس لى ما الهو به ، ولا احد أسكن اليه .

(٣) لشراح المتنبى فى معنى هذا البيت اقوال كثيرة اقربهـا : اننى أطلب من الزمان استقامة الحال ، والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه ربيع وصيف وشتاء وخريف .
ورواية الديوان (من نفسه) .

(٤) المعنى : ما دمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فانها تزول ، والذى لا عوض منه اذا فات انما هو الروح وحدها ، فهو كقول الآخر .

ورأْسُ مالِك وهو الرُّوحُ قد سَلِمَتْ لا تَأْسَفَنَّ لشَىْءٍ بَعْدَها ذَهَبَا

(٥) البيتان فى ديوانه /١٨٤ (ط المجمع العلمى بتحقيق خليل مردم) وهما مما أورده محققه فيما ينسب الى على بن الجهم ، وأشار فى هامشه الى هذا الخبر عن الأغانى ١١٥/٩ وهو فيه كروايته هنا .

(٦) فى الأغانى والديوان « اذ صارت » .

(٧) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أسامة المطبوع

وقال أبو بكر ، المعروف بابن اللَّبّانة ،فى نكبة آل عبّاد أرباب الأَنْدَلُس ـ وكان تَغَلَّب عليهم يوسفُ بن تاشفين ، ومَلَك بلادَهم ، وكانوا محسنين إلى أهل العلم وإلى هذا الشاعر ، وله فيهم أشعارٌ كثيرة يَبْكِيهم ويتأَسَّفُ على أيامهم ـ :

بكى آلَ عبّادٍ ولا كمحمّدٍ ... بأَبياتِهِ صَوْبُ السحابِ إذا هَمَى

حَبِيبٌ إلى قلبى حَبِيبٌ(1) لقوله : ... « عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهم ، ولَعَلَّمَا »

يقول فى هذا الشعر :

قصورٌ خَلَتْ من ساكِنيها فما بها ... سوى الأُدْمِ تَمشِى حولَ واقِفَةِ الدُّمَى(2)

يُجِيبُ بها البومُ الصَّدَى ، ولطالما ... أجاب القيانُ الطائرَ المترنِّما

[١٢٣ ب]

كأَن لم يكن فيها أنيسٌ ولا التقى ... بها الوَفْدُ جَمْعًا والخميسُ عرَمْرَما

مصابٌ هوَى بالنَّيِّراتِ من العُلى ... ولم يُبْقِ فى أرض المكارم مَعْلَمَا

حَكَيْتَ وقد فارقْتَ مُلْكَكَ مالِكًا ... ومن وَلَهِى أَحْكِى عليك مُتَمِّمَا(3)

بكَيْتُك حتى لم يُخَلِّ لى الأَسى ... دموعًا بها أبكِى عليك ولا دَمَا

وإنى على رَسْمِى مقيمٌ ، فإن أَمُتْ ... سأَتْرُكُ للباكينَ رَسْمِى موْسِما

وقال رجل من تميم :

حنَّت قَلُوصِى فى عَدَانٍ(4) إلى نَجْدِ ... ولم يُنْسِهَا أوطانَها قِدَمُ العهدِ

إذا شئتُ لاقيتُ القَلُوصَ ولا أرى ... لقومى أَشْباهًا فيأْلَفهم وُدِّى

---

(1) يعنى حبيب بن أوس، أبا تمام، والشطر الذى اورده له هو المصراع الأول من مطلع قصيدة مدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ، وهى فى ديوانه ٣/٢٣٢ والبيت بتمامه هو :

عسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ولَعَلَّما ... وإن تَعْتِب الأَيامُ فيهمْ فرُبَّمَا

(2) الأدم من الظباء البيض تعلوها جدد فيها غبرة ، وهى على الوان الجبال . والدمى جمع الدمية ، وهى الصورة الممثلة من العاج وغيره ، يضرب بها المثل فى الحسن .

(3) يريد مالك بن نويرة ومتمم هو أخوه . وكان متمم لاينفك يبكى أخاه مالكا ، وسيورد المصنف بعض مراثيه فى الفصل الذى عقده لبكاء الأهل والاخوان .

(4) عدان : بفتح العين ، وروى بكسرها : موضع فى ديار بنى تميم بسيف كاظمة . وقيل : ماء لسعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيل : هو ساحل البحر كله .

وقال آخر :

حنٌّ إلى أوطانهم مَعْشَرٌ لهم غَرَامٌ ولِىَ اثنانِ

إذا تشَكَّوْا شَجَنًا واحِدًا تكاثَرَتْ عِدَّةُ أشْجَانِى

وقال آخر [البُسْتِىّ][1] :

[١٢٤ أ]

لئن سلَّمَنى اللهُ (م) وبالحِفْظِ تولّانِى

وأَعْطَانِىَ أعْطَانِى وأوْطانِى أوْطَانِى[2]

وأخلى ذَرْعِىَ الآ نَ ، وخَلَّانى خُلَّانِى

فلا عُدْتُ إلى الغُرْ بَةِ ماكَرَّ الجديدانِ[3]

فإن عُدْتُ لها يَوْمًا فسجَّانِىَ سجَّانِى[4]

قال الجَهْمُ بن المُغَيْرَةِ : كنَّا عند حَيُّوسِ بنِ ثِمَالٍ القُرْمُطِىّ بضَرِيَّة[5] ، فمرت بنا جاريةٌ صفراء مَوَلَّدة ، فقال لى حَيُّوس : استفتح كلامها فإنها ظريفة ، فقلت : يا جارية أين نَشَأْتِ ؟ فقالت : بقَرْقَرَى[6] ، قلت : فأين شَعْبَعَبُ[7] ؟ فضحكت ،ثم قالت : بين الحَوْضِ والعَطَنِ ؛ قلت : فمن الذى يقول[8] :

(١) كذا فى الأصل بخط مغاير ، ولم أجده فيما اختاره صاحب اليتيمة من شعرالبستى فى (يتيمة الدهر ٤/٣٠٣ ــ ٣٣٤) ولا فى معاهد (٤٤١ ــ ٤٤٧)

(٢) أعطانى الأولى : الفعل أعطى ، والنون للوقاية والياء مفعول به ، وأعطانى الثانية : جمع عطن ، وهو المنــاخ حول الورد ، والمراح والمأوى يقال : الابل تحن الى أعطانها ، والرجال الى أوطانها .

(٣) الجديدان : الليل والنهار .

(٤) سجانى الأولى : غطانى من التسجية ، يريد التكفين ، وسجانى الثانية ، هو السجان الموكل بالسجن ، اضافه الى ياء المتكلم .

(٥) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة ، من نجد ، وضرية أيضا : بئر وقيل : هى ارض بنجد ، ينسب اليهــا حمى ضرية ، ينزلها حاج البصرة .

(٦) قرقرى : باليمامة ، ارض فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة عليها يمر قاصد اليمامة من البصرة

(٧) شعبعب : ماء لقشير بحائل من وراء النقر بيوم (نحو ٣٠ كم)

(٨) الأبيات فى معجم البلدان فى رســم شعبعب ، ونسبها الى الصمة بن عبــد الله القشيرى ، قالها وهو بالسند ، وهى مقطوعة من ستة أبيات ، وما هنا يقابله منها الأبيــات ١ و٢ و٥ و٦

يا صاحِبيَّ فَدَتْ نفسِي نفوسَكُما[1]   عُوجا عليَّ صدورَ الأَبْغُلِ السُّنَنِ[2]

ثم ارْفعا الصوْتَ نَنْظُرْ صُبْحِ خامِسَةٍ   بقَرْقَرَى ، ماعناءُ النَّفْسِ بالوَطَنِ![3]

يا ليت شِعْرِيَ ،والإنسانُ ذوأَمَلٍ[4]   والعينُ تَذْرِفُ أَحيانًا من الحَزَنِ

هل أَجْعَلَنّ يدى للخَدّ مِرْفَقَةً   على شَعْبَعَب بين الحَوْضِ والعَطَنِ؟!

فالتفتَتْ إلى حَيُّوس ، فقالت : خَبِّرْه بقائِلِها : فقال : ما أَعْرِفُهُ ، فقالت : بلى هذا يقولُه شاعِرُنا وظريفُ بلادِنا وغِزلُها ، قال : ويحكِ : ومن / ذاك ؟ فقالت : أَشهد إنْ كنت لاتعرفه [١٢٤ ب] وأَنتَ من أَهلِ هذا الوادِى إنها لسَوْأَةٌ ، ذاك يحيى بن طَالِبِ الحَنَفِيّ ، وأُقسِم بالله ما مَنَعَكَ من معرفتهِ إلا غِلَظُ الطَّبْعِ ، وجفاءُ الخُلُقِ ، فجعلَ حَيُّوس يَضْحكُ من قولِها .

ويحيى بن طالبٍ الحَنَفِىُّ من أَهل اليَمامة ، وكان أَديبًا كريمًا ، فابتاع من عامل السّلطانِ غَلَّةَ ضيْعَة مما تحتَ يدِه يريد بها الرِّبْحَ ، فأَصابَ الناسَ باليمامة قحطٌ ومَسْغَبَةٌ ، ففرَّقَ يحيى تلك الغَلَّةَ وأَطْعَمَهُمْ إيّاها ، وآن محلُّ الوفاءِ ، ولم يكنْ له شيءُ ، فهَرَبَ إلى الرَّيّ[5] ، وبها توفى .

وقد روى عن إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ ، قال : غَنَّيْتُ بين يدى الرَّشِيدِ[6] :

أَلا هل إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرَةٍ   إلى قَرْقَرَى قبلَ المماتِ سَبيلُ ؟!

فأَشْرَبَ من ماءِ الحُجَيْلاءِ شُرْبَةً[7]   يداوَى بها قبلَ المماتِ عَلِيلُ

فيا أَثَلاتِ القاعِ من بطنِ تُوضِحٍ   حنِينِى إلى إظْلالِكُنّ طَويلُ

---

(١) فى معجم البلدان : « يا صَاحِبَيَّ أَطَالَ اللهُ رُشْدَكُمَا ... » .

(٢) يقال : استن الفرس فى عدوه اذا مضى على وجهه ، والاسم منه السنن ، وقيل : السنن : الذى يلح فى عدوه واقباله وادباره .

(٣) رواية هذا البيت فى معجم البلدان – وهى احسن مما هنا – :

ثُمّ ارْفَعَا الطَّرْفَ ، هَلْ تَبْدُو لَنَا ظُعُنٌ   بحائِلٍ يا عَنَاءَ النَّفْسِ مِنْ ظَعَنِ

(٤) فى معجم البلدان : « والأقدار غالبة »

(٥) الرى : مدينة مشهورة من أمهات البلاد ، كثيرة الخيرات ، كانت قصبة بلاد الجبال على طريق السابلة . وانظر هذا الخبر ، معشىء من شعر يحيى بن طالب ونسبه فى معجم البلدان فى رسم (قرقرى) وقد أورده القالى فى الأمالى ١٢٣/١

(٦) هذه الأبيات فى معجم البلدان (قرقرى) مع اختلاف فى ترتيبها فالبيتان ١ و٢ هنا يقابلهما ٥و٤ فيه وبعضها فى الزهرة/٢٦٥ و ٢٦٦ .

(٧) الحجيلاء : بئر باليمامة ، وأورد ياقوت فى رسمه الأبيات ١ و٢ و٦ كروايتها هنا .

[١٢٥ أ]

ويا أثَلاتِ القاعِ قَلْبى مُوَكَّلٌ ... بكُنّ وَجَدْوَى نَيْلِكُنّ (١) قَلِيلُ

ويا أثلاتِ القاع قدملّ صُحْبَتى ... مُقامى (٢) ، فهل فى ظِلِّكُنّ مَقِيلُ

أُحَدِّثُ عنكِ النَّفسَ أن لستُ راجعًا ... إليكِ فَهَمِّى فى الفؤادِ دخيلُ

أُرِيدُ رُجُوعًا (٣) نحوكم فيصُدُّنى ... - إذا رُمْتُه - دَيْنٌ علىّ ثقيلُ

فطَرِب الرّشيدُ ، وسأل عن قائلِ هذا الشعر : من هو ؟ فقلت : هو يحيى بن طالبِ الحنفىّ ، شاعرٌ من أهل اليمامة ، وإنه لحىٌّ ، وهَرَبَ إلى الرَّىّ من دَيْنٍ غَلَبَه ، وقد ذكر ذلك فى شعره هذا ، فقال :

أُريد رُجُوعًا نحوكم فيصُدُّنى ... - إذا رُمْتُه دَيْنٌ علىَّ ثقيلُ

فأمر الرشيدُ أن يُكْتَبَ إلى عامِلِ الرَّىّ بقضاءِ دَيْنِهِ ، وإعطائه نفقةً ، وإنفاذِه على البريد ، فوَصَل الكتابُ إلى الرّىّ يوم مات يحيىَ بن طالب ، وقيل : مات قبلَ وصوله بشهر .

وقلت (٤) :

أين السُّلُوّ (٥) من المُرَوَّعِ بالنَّوَى ... أبَدًا ، فلا وطَنٌ ولا خُلّانُ

عيد البَرِيَّةِ مَوْسِمٌ لعويلِه ... وسُرورُهم فيه له أحْزانُ

وإذا رأى الشَّمْلَ الجميعَ تزاحَمَتْ ... فى قلبِه الأَمْوَاهُ والنِّيرانُ

[١٢٥ ب]

قال أبو الفَرَج الوأْ واءُ (٦) :

ها قد تبَدَّلْتُ أَوْطانًا بأَوْطَانِ ... عَمْدًا ، وفارَقْتُ إخوانًا لإخوانِ (٧)

فليَبْلُغ الشَّوْقُ بى أقصَى مراتِبِه ... إلى بُدورٍ على قُضْبانِ كُثْبَانِ (٨)

---

(١) فى الامالى ومعجم البلدان : « خيرُكن »

(٢) فى معجم البلدان « مسيرى »

(٣) فى معجم البلدان (اريد انحدارا نحوكم ... »

(٤) هذه الأبيات فى ديوان أسامة بن منقذ / ١٠٤ .

(٥) فى الديوان (السرور)

(٦) البيتان فى ديوانه / ١٢٢ من مقطوعةعدتها ثلاثة ابيات

(٧) فى الديوان « وفارقتُ خُلّانًا بِخُلّانِ »

(٨) فى الديوان « فكَمْ بُدُور علَى قُضْبانِ كُثْبانِ » وما هنا أنسب للمعنى ، وبعده فى الديوان :

فإنّنى باذِلٌ بالصَّبْر عِنْد فتًى ... « تَقْبيلُ راحَتِه والرُّكْنِ سِيانِ »

وكتب إلىّ القاضى المُهَذَّب[1] أبو محمد حسن بن على بن الزُّبَيْر قصيدةً أنفذَها من أسوان، وأنا بمصر، منها:

أأحْبابَنا مالى إذا ماذَكَرْتُكُمْ — وما أنا ناسٍ — غالَ صبْرِىَ غُولُ ؟
وإن شامَ برقَ الشّامِ طَرْفِى وشَمَّرَت — على البُعْدِ عنه للظَّلامِ ذُيولُ
تدارَكَ قلبى أن يَطِيرَ صَبَابَةً — بنانٌ كأُنْبُوبِ اليَرَاعِ[2] نَحيلُ
وخُيِّل لى أنَّ السيوفَ بجوِّه — سُلِلْنَ، وأنِّى بينَهُنّ قتيلُ
لئِنْ أقفَرَتْ منا الدّيَارُ ومنكُمُ — وأمْسَتْ مغانِيهِنّ وهى طُلولُ
فإنَّ لنا فى آلِ مُنْقِذَ أُسْوَةً — يهون لديها الخَطْبُ وهو جَلِيلُ
نَبَتْ بهمُ أوطانُهم فترحَّلُوا — وللمَجْدِ فى ذاكَ الرَّحِيلِ رحِيلُ
بلادٌ بها من عِزِّهِمْ وعطائِهِمْ — وُعُورٌ لمن يَنْتَابُها وسُهولُ
وللدهر من أيمانِهم ووُجُوهِهِمْ — بها غُرَرٌ ما تنقضِى وحُجُولُ[3]
خلَتْ، فالربيعُ الغَضُّ مَحْلٌ لفقدهم — بها والصباحُ المُسْتَنِيرُ أَصيلُ
وساروا على رَغْمِ العِدا، ودلِيلُهم — ثناءٌ لهم فى الخافِقَيْنِ[4] جميلُ
وما كنتُ أدرِى قبل أن يترحَّلُوا — بأن الجبالَ الرّاسِياتِ تزولُ
أذَلُّوا خُطُوبَ الدهرِ قهرًا فبينهم — قديمًا وبين الحادثاتِ ذُحولُ[5]

والقصيدة طويلة، والمقصود منها ذكر الأوطان

---

(١) ترجم له العماد فى خريدة القصر، قسم شعراء مصر (ج ١/ ٢٠٤–٢٢٥) وأورد مختارات جيدة من شعره. ولم أجد هذه القصيدة فيما اختاره، وله ولأخيه القاضى الرشيد أبى الحسين احمد بن على بن الزبير مطارحات مع اسامه بن منقذ تدل على صداقة وثيقة، وفى ديوان اسامه نماذج منها فى ص١٢١ و ١٤٢

(٢) الانبوب: ما بين العقدتين فى القصب ونحوه، واليراع: القصب.

(٣) الغرر: جمع غرة وهى هنا البياض الذى يكون فى جبهة الفرس، والحجول: بياض فى قوائم الفرس، كنى بذلك عن شهرتهم، والعرب تقول: يوم اغر محجل، اى مشهور.

(٤) الخافقان: الشرق والغرب

(٥) الدحول: جمع ذحل، ومن معانيه: الحقد والثأر.

[١٢٦ أ]

وقال أبو بكر بن اللَّبَّانة[1] :

قد طال بِى أقطعُ البَيْداءَ منفَرِدًا ... وليس يُسْفِرُ عن وَجْهِ المُنَى سفَرُ

كأنَّما الأَرضُ عنى غيرُ راضِيةٍ ... فليس لى وطنٌ فيها ولاوَطَرُ

قلت : لى أبيات تشابه هذا المعنى ، وهى[2] :

وقد أفرَدَتْنى الحادثاتُ فليس لى ... أَنِيسٌ ، ولا فى طارقِ الخَطْب أعوانُ

كأنِّىَ من غير التُّرابِ نَبَتُّ بى البِـ ... لادُ ، فما لى فى البَسِيطَةِ أَوْطانُ

أجولُ ، كما جالت قَذَاةٌ بمُقْلَةٍ ... وأَسْرِى ، وسارِى النجمِ فِى الأُفْقِ حَيْرانُ

إذا قُلْتُ : هذا حين أُلْقِى عَصَا السُّرَى ... دعانِى إلى التِّرحالِ ظُلْمٌ وعُدوانُ

وقال أبو الفِتْيَان بن حَيُّوس[3] :

وللحَمِيَّةِ لاعن زَلَّةٍ حكَمَتْ ... بالبُعْدِ فارَقْتُ إخْوانًا وأَوْطانَا[4]

تُخِيفُنى بلدَةٌ حتى أَمِيلَ إلى[5] ... أُخرَى ، كأنِّىَ عِمْرَانُ بنُ حِطَّانَا[6]

قلتُ : ربما وقفَ على هذين البَيْتَيْنِ من يتطَلَّعُ إلى معنى قول أبى الفتيان : « كأنى عِمرانُ ابنُ حِطَّان » فرأَيْتُ أن أذكر شيئًا من أخباره ، وإن لم يَقْتَضِ التأليفُ / ذلك .

[١٢٦ ب]

عن الهَيْثَمِ بنِ عَدِىّ قال : طلب الحجّاج عِمْرانَ بنَ حِطَّانَ السَّدُوسِى ، وكان من الخوارج ، وكتب فيه إلى عماله ، وإلى عبد الملك بن مَرْوان ، فهربَ ، فلم يزل يتنقَّلُ فى أحياءِ العرب ،

---

(١) هو الوزير ابو بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة له ترجمة فى المطرب من اشعار اهل المغرب/١٨٧ (ط الأميرية سنة ١٩٥٤) كان من شعراء المعتمد ابن عباد .

(٢) فى ديوانه /١٠٥ وهى مقطوعة أبياتها ثلاثة ، والبيت الرابع هنا لم يرد فى الديوان .

(٣) البيتان فى ديوان ابن حيوس ٢ /٦٥٣ من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود بن صالح ، ومطلعها :

ظَنّ الأَراكَ لَدى وادِيه أَظْعانا ... فَلَمْ يُطِقْ لرَسِيسِ الشَّوْقِ كِتْمانا

(٤) فى الديوان : « اخدانا وخلانا » .

(٥) فى الديوان « تُخِيفُنِى بلَدٌ حَتَّى أَعُودَ إِلَى » .

(٦) عمران بن حطان : كان من رءوس الخوارج وخطبائهم وشعرائهم ، طلبه الحجاج فهرب الى الشام ، فطلبه عبد الملك بن مروان فهرب الى عمان ، ولجأ الى قوم من الأزد ، فيقال : انه مات عندهم سنة ٨٤ هـ . وسيورد المصنف فيما يلى طرفا من اخباره .

وقال فى ذلك [1] :

حَلَلْنَا فى بنى كعْبِ بن عَمْرٍو   وفى عَكٍّ [2] وعامِرِ عَوْثَبَانِ
وفى جَرْمٍ ، وفى عمرِو بنِ مُرٍّ   وفى زَيْدٍ ، وحىٍّ بنى العِدَانِ [3]

ثم لحق بالشَّام ، فنزل برَوْحِ بن زِنْباع الجذامِىّ ، فقال له رَوْحٌ : من أنت ؟ فقال : من الأَزْدِ أَزْدِ السَّراةِ ، وكان رَوْحٌ يسمُرُ عند عبد الملك بن مَرْوان ، فقال لعبد الملك : إن فى أضيافِنا رَجُلًا ما سمعتُ منك حديثًا إلا حَدّثَنى به ، وزادَنى مالم يكُنْ عندِى . فقال : مِمَّن هوَ ؟ ، قال : من الأَزْدِ ، قال : إنى لأَسْمَعُك تصفُ عِمرانَ بنَ حِطَّان . اسمعك تصِفُ وتذكُر لغةً نِزاريّة ، قال رَوْحٌ : وما أنا وعِمْران بن حِطَّان ، ثم أَنشدَ عبد الملك [4] :

يا ضَرْبَةً من تَقِىٍّ [5] ما أرادَ بها   إلا ليَبْلُغَ من ذى العَرْشِ رِضْوَانَا
إنِّى لأَذكُرُه حِينًا فأَحسَبُهُ [6]   أَوْفَى البرِيَّةِ عند الله ميزانا

[١١٢٧] /ثم قال عبدُ الملِك : من يعلمُ منكم قائلَها ؟ فسكت القومُ جميعا ، وراح رَوْحُ بنُ زِنباع إلى أضيافِه ، فقال لهم : قد سأَلَنا عبدُ الملك عن قولِ الشاعر ، ومن هو ؟ .

يا ضربَةً من تَقِىٍّ ما أرادَ بها   إلا لِيَبْلُغَ من ذى العَرْشِ رِضوانَا

فلم يكن عند أحد منا عِلْم ، فقال له : هذا قول عِمْرانَ بنِ حِطَّان فى عبد الرحمن بن مُلْجِمٍ

---

(١) البيتان فى الاغانى ١٦ / ١٥٢ فى خبرهربه من الحجاج وتنقله فى احياء العـــرب ، وورد الخبر والشعر ايضا فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (المجلد الاول ص ٤٥١) وفى الكامل للمبرد ، ٥٣٢ ـ ٥٣٤ ط ليبزج وخزانة الادب ٢/٤٣٦ ـ ٤٣٩

(٢) فى الأغانى « وفى رعل » ورعل ـ بكسر الراء وسكون العين قبيلة من سليم ، وعك ـ بفتح العين وتشديد الكاف ، كما ضبطه المجد ـ هو ابن عدثان ـ بضم العين وبعد الـدال ثاء مثلثة ابن عبد الله بن الأزد .

(٣) فى الأغانى : « الفدان » وأراه صوابا .

(٤) البيتان التاليان فى الأغانى ١٦ / ١٥٣ والكامل ٥٣١ و٥٣٢ (ط أوروبا) وفى الاغانى اورد الخبر كروايته هنا ، وزاد أن عبد الملك سأل : فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه ؟ قال نعم :

لِله درُّ المُرَادِى الذى سفكَتْ   كفَّاهُ مُهْجَةَ شَرِّ الْخلْقِ إنْسَانَا
أَمْسَى عَشِيَّةَ غَشَاهُ بضَرْبتِه   مما جناهُ من الآثامِ عُرْيانَا

(٥) فى الأغانى « من كريم » .

(٦) فى الأغانى « إنى لأَفْكَرُ فيهِ ثُمَّ أَحْسَبُهُ » .

قاتِل عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فراح رَوْحٌ فأخبرَ عبد الملك ، فقال : من أخْبَرَك ؟ قال : ضَيْفِي ، قال : أظُنّه واللهِ عمرانَ بنَ حِطَّان ، فأَعْلِمْه أني قد أَمَرتُكَ أن تأتيَنِي به ، فقال : أفْعَلُ ، فراح روحٌ إلى أضيافِه ، فأقبلَ على عِمْرَانَ ، فقال له : إني ذَكرْتُك لعبدِ الملِكِ ، فأَمَرَني أن آتِيَهُ بك ، فقال : قد كنتُ أُحِبُّ ذاك ، وما منَعَني من ذكْرِه إلا الحياءُ ، وأنا مُتَّبِعُك ، فدَخَلَ روحٌ على عبدِ الملك ، فقال له : أين صاحبُك ؟ قال : قال لي : أنا مُتَّبِعُك فانْطَلِقْ ، فقال عبد الملك : أظُنّكَ والله سترجعُ فلا تجدُه ، فلما رجع روْحٌ إلى منزله ، فإذا عِمرانُ قد مضى ، وإذا هو قد خَلَّفَ رُقْعَةً في كُوَّةٍ[1] عند رأسِه ، وإذا فيها :

[١٢٧ب]

يا روحُ كم من أخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بهِ ... قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وغَسّانِ[2]
حتى إذا خِفْتُه زايَلْتُ[3] منزِلَه ... من بعدِ ما قيلَ : عِمرانُ بنُ حِطّانِ
قد كنتُ ضَيْفَكَ حَوْلًا لا يُرَوِّعُني ... فيه طوارِقُ[4] من إنْسٍ ومن جانِ
حتى أردتَ بي العُظْمَى فأوْحَشَني ... ما أوْحَشَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوانِ
فاعْذُرْ أخاكَ ابنَ زنباعٍ فإن له ... في الحادثاتِ هَنَاتٌ[5] ذاتُ ألوانِ
يوما يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لَقِيتُ مَعَدِّيًا فعَدْناني
لو كنتُ مُسْتَغْفِرًا يومًا لطاغِيةٍ ... كنتَ المُقَدَّمَ في سِرّي وإعلانِي
لكن أبَتْ لي آياتٌ مُطَهَّرَةٌ ... عند التّلاوَةِ من[6] طَه وعِمْرانِ

قال : ثم أتى عِمرانُ بنُ حِطّان الجَزِيرَةَ ، فنزَل بِزُفَرَ بنِ الحارثِ الكلابيِّ بقَرْقِيسيا[7]

---

(١) الكوة : الثقبة في الحائط .
(٢) هذا الخبر ومعه الأبيات مذكـور في الأغاني ١٦ / ١٥٣ (ط ولاق) وشرح نهج البلاغة ٤٥١/١ وما بعـدها وخزانة الادب ٤٣٦/٢ وما بعدها .
(٣) في الاغاني « فارقت » .
(٤) في الأغاني « لاتُرَوِّعُني .. فيهِ الطَّوارِقُ .. » .
(٥) هنات : جمع هنة ، يكنى بها عن الشيء يستقبح ذكره ، وفي الحديث : ستكون هنـات وهنات » : أي شرور ومفاسد .
(٦) في الأغاني « في طه .. » .
(٧) هي في معجم البلـدان قرقيسياء ـ ممدودة ـ : بلد على نهر الخابور قرب رحبـة مالك بن طوق على سته فراسخ ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي مثلث بين الخـابور والفرات .

فجعل شبابُ بنى عامرٍ يتعجّبُون من طولِ صَلاتِهِ ، وانتسب لزُفَرَ أَوْزاعِيًّا ، فقدِم على زُفَرَ رجلٌ من أهلِ الشام ، وكان قد رأىِ عمْران بن حِطَّان عند رَوْح بن زِنْباع ، فصافحه وسلَّم عليه ، فقال : زُفَرُ للرّجُلِ الشّامىّ : أتعرِفُه ؟ قال : نعم ، هذا الشيخ من الأَزْدِ ، فقال زُفَرُ : أَزْدِىٌّ مَرّةً ، وأوزَاعِىٌّ مرة ؟ إن كنت خائِفًا أَمَّنّاك ، وإن كنتَ عائِلًا أَغْنيناك ، فقال : إنَّ اللهَ هو المُغْنى ، وخرَجَ من عندِه وهو يقول : [١١٢٨]

إن التى أَصْبَحَتْ يَعيَا بها زُفَرُ ... أَعْيَا عَياها على رَوْحِ بن زِنْبَاعِ (١)

أَمْسَى يسائِلُنى حَوْلًا لأُخْبِرَهُ ... والناسُ من بين مَخْدوعٍ وخَدّاعِ

حتّى إذا انْجَذَمَتْ منى حبائِلُه ... كفَّ السؤالَ ، ولم يُولَع بإهْلاعِى (٢)

فاكْفُفْ كما كفَّ رَوْحٌ إننى رَجُلٌ ... إمّا صُوَيْحٌ وإما فِقْعَةُ القاعِ (٣)

أما الصّلاةُ فإنى غيرُ تارِكِها ... كلُّ امْرِئٍ بالذى يُعْنى له ساعِ

فاكْفُفْ شبابَك عن هَزْلِى ومَسْأَلَتِى ... ما ذا تُرِيدُ إلى شيخٍ لأَوْزاعِ ؟ ! (٤)

أكرِمْ برَوْحِ بنِ زِنْبَاعٍ وأُسْرَتِه ... قومٌ دعا أَوّلِيهِم للعُـلَى داعِ

جاوَرْتُهُمْ زمَنًا فيما دَعَوْتُ به ... عِرْضِى صَحِيحٌ ونَوْمِى غيرُ تَهْجاعِ (٥)

فاعْمَلْ فإنك مَنْعِىٌّ بحادثَةٍ ... حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيْبِ من ناعِ (٦)

---

(١) الأبيات فى الأغانى ١٦ / ١٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ١ / ١٥٢ وخزانة الأدب ٢ / ٤٣٦ وما بعدها .

ورواية الأغانى « يَعْنَى بها زُفَرٌ أَعْيَتْ عَناءً . . » وهو من عنى ، كتعب وزنا ومعنى .
والمعنى على رواية المصنف من عيى بالأمر (من باب تعب) اذا عجز عنه ، وأعيا عياها : اعجزت مشقتها وتعبها .

(٢) اهلاعى : يريد اخافتى ، وجعلى حزينا ، وقياسه أن يكون فعله أهلع ، اى احزن ، ولم اجد فى كتب اللغة الا « هلع » ثلاثيا غير معدى بالهمزة .

(٣) فى الأغانى « صريح » وهو أحسـن ، لأنه يعنى صراحة النسب ، وصويح كأنه تصغير صوح ، وهو الناحية ، أو أسفل الجبل ، ويطلق أيضا على الطلع حين يجف . والفقع ـ بفتح الفاء وتكسر ، والقاف ساكنة ـ : أردأ أنواع الكمأ ، والقاع ، ما انهبـط من الأرض ، وفى المثـل « فقع بقرقر » يضرب للذليل ، وكنى به هنـاعن ذلك .

(٤) فى الأَغَانى « فاكْفُفْ لِسانَكَ عنْ هُزْئِى وَمَسْأَلَتِى » وأراد نفسه بقوله :
« شيخ لأوزاع » لأنه انتسب ـ حين نزل على زفر ـ الى أوزاع ، وهم بطن من همدان .

(٥) الأغانى « جاورتهم سنة . . » والتهجاع النومة الخفيفة ، ومنه قول أبى قيس بن الأسلت :

قد حَصَّت البَيْضَةُ رَأْسِى فَما ... أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ

(٦) منعى : مخبر بموته ، من نعاه ينعاه .

ثم خرجَ فنزلَ بِعُمانَ بقوم يُكثِرُون ذكرَ أبي بلالٍ ، ويَبْكُون عليه ، ويذكرون مَقْتَلَه فأَظْهَرَ أمرَه عندهم ، فبلَغَ الحجّاجَ مَكانه[1] ، فطَلَبَهُ ، فهَرَب ، فنَزَلَ فيرُوذسْتان « طَسُوجًا[2] [١٢٨ب] من طَساسِيجِ السّوادِ ، إلي جانبِ الكُوفَة » فلم يَزَلْ به حتى مات ، وفي ذلك يقول[3] :

نزلتُ بحمدِ الله في خيرِ أُسْرَةٍ	أُسَرُّ بما فيهم من الخَيْرِ والخَفَرْ[4]
نزلتُ بقومٍ يجمَعُ الله شمْلَهُمْ	وليس لهم عُودٌ سوى المجدِ يُعْتَصَرْ[5]
من الأَزْدِ ، إنَّ الأَزْدَ أكرمُ أُسْرَةٍ	يمانِيَةٍ تَرْبو إذا انْتَسَبَ البَشَرْ[6]
فأَصبَحْتُ فيهم آمِنًا ، لاكمعشَرٍ	أَتَوْني فقالوا : مِن ربيعَةَ أو مُضَرْ؟!
أو الحيّ قَحْطَانٍ ، فتلكم[7] سَفَاهَةٌ	كما قال لِي رَوْحٌ وصاحِبُهُ زُفَرْ
وما فيهم إلا يُسِرُّ بِنِسْبَةٍ	تُقَرِّبُني منه ، وإن كانَ ذا نَفَرْ[8]
فنَحْنُ بَنُو الإِسلامِ واللهُ واحدٌ	وأَوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ

---

(١) في الكامل ٥٣٣ : « فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الازد ، فلم يزل فيهم حتى مات ، وفي نزوله فيهم يقول :

« نُزَّلْنا بِحَمْدِ اللهِ . . . » الأبيات .

(٢) الطسوج ــ بفتح الطاء وبعدها سين مشددة مضمومة ، كسفود ــ : الناحية ، وفيروذستان كذا في الأصل ، ولم أجده في كتب البلدان .

(٣) انظر الأغاني ١٦ / ١٥٤ وما بعدها ، وشرح نهج البلاغة (١ / ٤٥٢) وخزانة الادب ٢ / ٣٤٦ وما بعدها فقد ورد فيها هذا الخبر ومعه الشعر .

(٤) في الأغاني : « من الانس والخفر » وهي أحسن ، لأن مثله يفتقد الانس » وأراد بالخفر ، الأمان والطمانينة ، قال في الأغاني معلقا عليه : « قال اليزيدي : الانس بالكسر : « الاستئناس » .

(٥) في الأغاني « ومالهم عود .. » وهذا من المدح الشبيه بالذم .

(٦) في الأغاني : « يمانِيةٍ قَرْبُوا .. »

واورد الاصفهاني بعده قول الرياشي :« اراد : قربوا ، فخفف » يريد بالتخفيف اسكان الراء في قربوا .

(٧) في الأغاني : « وتلك سفاهة .. »

(٨) في الأغاني : « وما منهم .. تصيرني منهم .. » .

والمعنى : ان الذين نزل عليهم من الأزد اكرموا ضيافته ، وكفوه مئونة الادعاء الى القبائل ، ولم يكونوا كرو ح وزفر ، بل كانوا يسرون اليه بالنسب الذي يقربه منهم ، ولو انهم اعزة لا يزيدهم انتسابي اليهم شيئا .

هذا الذى أشار إليه أبو الفِتْيان بن حَيّوس .

قلت ــ وقد نَزَلْتُ بصُور[1] فى دار ابنِ أَبى عَقِيل ، وكتبتها على بعض الرُّخام[2] ــ :

دارٌ سكنتُ بها كُرْهًا وما سَكَنَتْ ... نفسِى إلى سَكَنٍ فيها ولا شجَنِ

والقبرُ أَرفقُ لِى منها وأَجْمَلُ بى ... إن صَدَّنى الدّهرُ عن عَوْدٍ إلى وَطَنِى

---

(١) صور : مدينة مشهورة كانت من ثغـور المسلمين ، مشرفة على البحر ، داخلة فيه شبه جزيرة ، وهى اليوم من مدن لبنان .

(٢) لم أجد هذين البيتين فى ديوان أسامة المطبوع .

فصل آخر فى ذكر الأوطان

قال البُحْتُرِى[١] :

إذا نِلْتَ فى أرض معاشًا وإنْ نَأَتْ ... فلا تُكْثِرَنْ فيها نزاعًا إلى الوَطَنِ

فما هى إلا بَلْدَةٌ مثل بَلْدَةٍ ... وخيرُهما ما كان عَوْنًا على الزَّمَنْ

وقال أيضا[٢] :

كم مَشْرِقٍ[٣] لي قد نَقَلْتُ نَوَالَه ... فجَعَلْتُهُ لى عُدَّةً للمَغْرِبِ

وأَحَبُّ أَوطانِ البلادِ إلى الفَتَى ... أَرضٌ يَنالُ بها كريمَ المَكْسَبِ[٤]

وقال آخر[٥] :

لايَصْرِفَنَّكَ عن عَزْمٍ تَهُمّ بهِ ... نُزُوعُ نفسٍ إلى أَهْلٍ وأَوْطَانِ

---

(١) لم نجد هـذين البيتين فى ديوان البحترى المطبوع ، وفى محاضرات الأدباء ٢ / ٢٧٣ نسبهما الى ابى نواس ، ولفظه : « قال ابو نواس : دخلت دار السلطان ، فرايت ابادلف الكرخى متعلقا ببعض ستائر الخاصة ، وهو يقول :

طَلَبُ المَعَاشِ مُفَرِّقٌ ... بَيْنَ الأَحِبّةِ والوَطَنْ ..

الأبيات ..

فقلت ايها الأمير ، لو صرت الى حجرتى لانشدتك بيتين يسليانك فجاء معى فاكل وشرب وقال : هات ما عندك ، فانشدته

إذا كُنْتَ فى أَرضٍ عَزِيزًا ، وإنْ نَأَتْ ... فلا تُكْثِرَنْ فيها نِزَاعًا إلى الوطَنِ .. الخ

(٢) البيتان فى ديوانه ١ / ٦٠ من قصيدة يمدح بها أبا صالح بن يزدان ، ومطلعها :

إِمّا أَلَمَّ فَبَعْدَ فَرْطِ تَجَنُّبِ ... أَوْ آبهُ همٌّ فَمِنْ مُتَأَوِّبِ

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان (١٢ و ١١)

(٣) فى الديوان (كم مشرِقٍ قد نَقَلْتُ) .

(٤) فى الديوان (كريم المطلب) .

(٥) البيتان لابراهيم بن العباس الصولى وهما فى ديوانه فى الطرائف الأدبية ١٥١ وروايته .

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ العَيْشِ فى دعَةٍ ..

وورد البيت الثانى هكذا :

تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ أَنْتَ نازِلُهَا ... دارًا بِدارٍ وجِيرانًا بِجِيرانِ

تَلْقَى بكُلِّ بلادٍ أنتَ ساكِنُهَا أرضًا بأرضٍ وإخوانا بإخوانِ

وقال آخر (١) :

قَلْقِلْ رِكابَكَ فى الفَلا ودَعِ الغَوانى فى القصُور

فمُحالِفُو(٢) أوطانِهم كشَبِيهِ(٣) سُكَّانِ القُبُورْ [١٢٩ب]

لولا التَّغرُّبُ ما ارتَقَى دُرّ البُحُورِ إلي النُّحورْ

وقال آخر :

لأَرْحَلَنَّ المَطَايا رِحْلَةً عَجَبًا يكونُ أدنى مداها الصينُ أو عَدَنُ

فكُلُّ خِلٍّ إذا صافَيْتَه سَكَنٌ وكلُّ أَرْضٍ إذا أَحْمَدْتَها وَطَنُ

وقال الشريف المُرْتَضىَ رحمه الله (٤) :

ومُلَوَّحِ الخَدَّيْنِ تَحْمِلُه أبدًا على أعناقِها السُّبُلُ

نابٍ عن الأَوْطَانِ فهو مَتَى ظَفِرَتْ به الأَوطانُ يَرْتَحِلُ(٥)

تَرَكَ البلادَ لمن أقام بها وتَقَطَّعَتْ عن عيسِه العُقُلُ(٦)

يَسْعَى إلى العَلْيَاءِ يُحْرِزُهَا سَعْيًا تَحامَى وقْعَهُ الزَّلَلُ

وإذا الفَتَى كُتِبَ النَّجاءُ له فالكَلْمُ يَعْفُو والأذى جَلَلُ

---

(١) هذه الابيات نسبت فى هامش الأصل (بخط مغاير) الى صردر ، وهى فى ديوانه / ٢١٠ (ط دار الكتب) وقد وردت هنا متفقة مع ما فى الديوان فى الرواية والترتيب وعدد الأبيات .

(٢) فى الاصل « فمخالفى » وما اثبتناه عن الديوان . وهو صواب الاعراب ، وفى هامش الديوان اشارة الى أن رواية الأصل المخطوط لنسخ الديوان (فمخالفى) .

(٣) فى الديوان « أمثال سكان القبور » .

(٤) الأبيات فى ديوانه (القسم الثالث /٥) من قصيدة يهنىء بها أباه بعيد النحر ، ومطلعها :

علَّ الهَوَى يَهْفُو به العَذَلُ ويَغُضُّ من جَمَحانِهِ المَلَلُ

ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات من(٥ ــ ٩) .

(٥) فى الديوان (مرتحل) مكان (يرتحل).

(٦) فى الديوان (عن عيشه) وهو تحريف،وقال محققه : (ولعلها عيسه) وهى رواية المصنف هنا .

وقال الشيخ أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرّى(1) :

يا لَهْفَ نَفْسِي على أَنّى رَجَعْتُ إلى ... أرضِ الشّآمِ ولم أَهْلِكْ ببغداذا

إذا رَأَيْتُ أُمُورا لا تُوافِقُني ... قلتُ : الإيابُ إلى الأَوْطانِ أَدّى ذا

[١٣٠ أ]

وقال جدي الأمير سديد الملك ذو المناقب أبو الحسن على بن مقلّد بن نصر بن منقذ ـ رحمه الله :

ولَسْتُ بِمِحْيَارِ(2) العَزِيمَةِ إن جَرَتْ ... عليهِ رِياحُ الخَطْبِ وهى زَعَازِعُ

يَكُرُّ إلى الأَوطانِ طَرْفًا مُوزَّعًا ... يَلِينُ لها طَوْرًا وطَوْرًا يُمَانِعُ

إذا سافَ(3) من تِلْقائِها الريحَ لم يزَلْ ... له نَفَسٌ فى إثْرِها مُتتابعُ

أبَى ذاكَ نَفْسٌ لا يُدَانِى عِقالَها ... ثَوَاءٌ ، ولا تَقْضِى عليها المَطَامِعُ

وقال أيضا :

لله ما طَيْفٌ أَلَمَّ بفِتْيَةٍ ... تَحْنُو رُءُوسُهُمْ على الأكْوارِ(4)

يطْوِى بهم عرضَ الفَلاةِ مُسَرْبَلٌ ... حُلَلَ الثَّنَاء مُمَزَّقُ الأَطْمارِ

لا تُلْفِتُ الأَوطانُ عَزْمَتَه ولا ... يُهْدِى الحَنِينَ إلى رُسُومِ الدّارِ

وقال آخر :

وقارعَتْنِى صُرُوفُ الدهرِ فانكشفَ ... طَخْياؤُها(5) عن كريمِ الأَصْلِ والغُصُنِ

عن ابنِ لَيْلٍ كَنَجْمِ الليلِ هِمَّتُه ... مُشَيَّعِ(6) القَلْبِ لا يَلْوِى على وَطَنِ

[١٣٠ ب]

وأى حُرٌّ إلى الأَوطانِ مُلْتَفِتٌ ... إذا أَلَحَّ عليه الدَّهْرُ بالمِحَنِ

---

(1) البيتان فى اللزوميات ١ / ٢٤٢ وهما اللزومية الرابعة فى قافية الذال وروايتهما هنا متفقة مع رواية اللزوميات .

(2) محيار : مبالغة من حار فى أمره ، اذا تردد فيه لا يدرى ما يصنع .

(3) ساف الريح سوفا ، واستافه : شمه .

(4) الأكوار : جمع كور ، وهو الرحل ، أو الرحل بأداته .

(5) الطخياء من الليالى : الشديدة الظلمة ، وصف بها صروف الدهر على التشبيه .

(6) المشيع : الشجاع الجرىء القلب

أينفعُ الظامىء الملهوفَ موقِفُه وقد فَنَى الماءُ بين الحَوْضِ والعَطَنِ[1]؟!
مُسَدَّدُ العَزْمِ إن نابَته نائِبَةٌ فما يُقِيمُ على رَبْعٍ ولا سَكَنِ

وقال آخر[2] :

قوِّض خِيامَك عن أرضٍ تُهان بها[3] وجانب الذُّلَّ إن الذلَّ يُجتَنبُ
وارحَلْ إذا كانتِ الأَوطانُ نابيةً[4] فالمَنْدَل[5] الرَّطبُ فى أوطانه حَطَبُ

وقلت ـ وأنا بمصر ـ :[6]

يا مِصْرُ ما دُرْتِ فى وَهْمِى ولا خَلَدِى ولا أَجالَتْكِ خَلْوَاتِي بأَفْكَارِى
ما أنتِ أوَّلُ أرضٍ مَسّ تربتَها جِلْدى[7] ولا فيك أوطانى وأوطارى
لكن إذا حُمَّت الأَقدارُ كان لها قُوًى تؤلِّفُ بين المـاء والنَّارِ

وقال آخر :

ترى الذى اتَّخذَ الدّنيا له وطَنا لم يَدْرِ أن المَنايا عنه تُزْعِجُه
من كان يعلمُ أن الموتَ مَدْرَجُه والقبرَ مَنْزِلُه ، والبَعْثَ مَخْرَجُهُ [131 ا]
وأنه بين جَنَّاتٍ ستُبْهِجُه يومَ القيامةِ ، أونارٍ ستُنْضِجُه
فكلُّ شىء سوى التقوِى به سَمِجٌ وما أقام عليه فهو أسْمَجُهُ

وقال آخر :

من الخَرابِ من الأَوطانِ أَوطَانِى وقد مضى لِى فى العُمْرانِ عُمرانِ

---

(1) العطن : مناخ الابل حول الورد والمراح والمأوى ، وفنى يفنى من باب فتح لغة حكاها كراع .

(2) هو شكر بن أبى الفتـــوح الســـليمانى المتوفى سنة 453 هـ كذا فى مآثر الانافة 1 / 246 ط الكويت بتحقيق عبد الستار فراج .

(3) فى مآثر الانافة « تضام .. ان الذل مجتنب .

(4) الرواية «إذا كانَ فى الأَوْطانِ مَنْقَصَةٌ »

(5) المندل : العود الطيب الرائحة ، وهذا الشطر ينظر الى قول الآخر :
والتِّبْرُ كالتُّرْب مُلْقًى فى أَمَاكِنِهِ والعُودُ فى أَرْضِهِ نَوْعٌ من الحَطَب

(6) هذه الأبيات فى ديوان اسامة / 75 .

(7) فى ديوانه « جسمى » .

قد لُمْتُ أوّلَ من يَثْنِى عِنانِىَ عن سُبْلِ الهَوَى وزجَرْتُ الشانِىَ الثّانى[1]

فى مجلسٍ تُبْهِجُ الرائِينَ رُؤْيتُه ولى قَرِينـان من حُلْوانَ حُلْوانِ

لا يحضُران امرءاً عندى بمنقَصَةٍ ولا إذا جادت الكَفّانِ كفّانى

لكن يُكدِّرُ عيشى بُعْدُ ذى هَيَفٍ إدْمانُه الخَطْرَ بالأَرْدانِ أَردانى

تقولُ ألحاظُه : أنظر ، فقد ضَمِنَتْ أشباهَ ما ضَمَّتْ الأجفانُ أجفانى

جفا ، وما كان يَجْفُونى وغادَرَنى ميْتًا ، ولو شاء فى الأحيانِ أحيانى

والحَيْنُ أبعدَ عن مأْوَاىَ مَسْكَنَه ولو تقارَبَت الدّارانِ دارانى

وحاسِدٍ غرَّهُ بُعْدِى فأسْخَطَنى ولو تجاوَرَت الأَرْضانِ أَرْضانى

كم قد وَرَى[2] من حَسُودٍ مايُعايِنُ مِنْ فضْلِى ، وكم قد شَجَى من شانِئٌ شانِى [١٣١ ب]

١ ـ التزم الشاعر فى هذه القصيدة بعض ألوان من التجنيس ، ولا سيما تجنيس التماثل الذى تتماثل فيه الكلمتان ـ سواء كانتا اسمين أم فعلين ـ فى اللفظ والخط ، وهو داخل فيما سماه التبريزى التجنيس المستوفى الذى تتشابه الكلمتان فيه لفظا وخطا واحداهما اسم والأخرى فعل ، وانظر تحرير التحبير لابن أبى الاصبع « ١٠٢/١ ـ ١١٠ »

٢ ـ يقال: ورى الله فلانا : أصابه بداء الورى، وهو قيح يكون فى الجوف ، أو قرح يقاء منه القيح والدم ، وورى فلان فلانا : أصاب رئته .

[١٣٢ أ]

١٢ ـ فصل فى ذكر المدن

عن سَهلِ بنِ عبدِ الله ـ رحمه الله ـ أنه كان يُنْفِقُ مالَه فى طاعة الله تعالى، فجاءت أُمُّه وإخوتُه إلى عبد الله بن المبارك ـ رضى الله عنه ـ يشكونَه، فقالوا: هذا لا يُمْسِك شيئا، ونَخْشَى عليه الفَقْرَ، فأراد عبدُ الله أن يُعِينَهُم عليه، فقال له سهل: يا عبدَ الله أرأيت لو أنَّ رجلا من أهل المدينةِ اشترى ضَيْعَةً برُسْتاق[1]، وهو يريد أن يتحوَّل عن المدينة إليها، أكان يُخَلِّفُ بالمدينةِ شيئًا وهو يَسْكُنُ الرُّسْتاق؟ فقال عبد الله ـ رحمه الله ـ: خَصَمَكُمْ، يعنى أنه إذا أراد أن يتحول إلى الرُّستاق لايترك بالمدينة شيئًا، فالذي يريد أن يتحوَّل إلى الآخرة كيف يترك فى الدّنيا شيئا؟!

قال أبو نُوَاس[2]:

أينَ مَنْ كانَ قبْلَنَا ... من ذَوى البَأْسِ والخَطَرْ

سائِلُوا عنهم المَدَا ... ئِنَ واسْتَخْبِرُوا الخَمَرْ[3]

[١٣٢ ب]

سَبَقُونا إلى الرَّحِيـ ... ـلِ، وإنّا لَبِالأَثَرْ[4]

مَنْ مَضَى عِبْرَةٌ لنا ... وغـدًا نحنُ مُعْتَبَرْ

---

(١) الرستاق: أرض السوادوالقرى، ويقال فيه أيضا: رزتاق، ورزداق، ورسداق الاخيران عن ابن السكيت، وعنده لا يقال فيه: رستاق وقال: هو فارسي معرب معناه: بيوت مجتمعة وانظر المعرب للجواليقى / ٧٥ و ١٥٨ والالفاظ الفارسية المعربة / ٧١.

(٢) الأبيات فى ديوانه / ٦١٢ من قصيدةمطلعها:

يا بَنى النَّقْصِ والعِبَرْ ... وبَنِى الضَّعْفِ والخَوَرْ

ويقابلها من القصيدة الأبيات من ٥ ـ ٨.

(٣) كذا فى الأصل، ومن معانيه: ما وارىالشىء من شجر أو بناء أو جبل، والشجر الملتف ويقال: جاء على خمر، اى فى سر وغفلة وخفية، ورواية الديوان: «واسْتَبْحِثُوا الخَبَرَ».

(٤) فى الديوان (وإنّا عَلَى الأَثَرْ).

وقال أبو تمّام [1] :

قد قلْتُ للزبّاء لما أَصْبَحَتْ ... فى حَدِّ نابِ للزمان ومِخْلَبِ [2]
لمدينة عَجْماءَ قد أمسى البِلَى ... فيها خَطِيبًا باللِّسانِ المُعْرِبِ [3]
فكأنّما سَكَنَ الفَنَاءُ فِنَاءَها ... أوصالَ فيها الدهرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ [4]

وقلت [5] :

سَلِ المدائِنَ عمّن كان يَمْلِكها ... هل آنَسَتْ [6] منهُم من بعدِهم خبَرَا
فلو أجابَتْكَ قالتْ — وهى عالمةٌ ... بسيرةِ الذّاهبِ الماضِى ومَن غَبَرَا :
أَرَتْهُمُ العِبرَ الدّنيا ، فما اعتَبَرُوا ... فصَيَّرَتْهُمْ لقومٍ بعدهم عِبَرَا

عن سُلَيْمَان بن عَيّاش قال [7] : قالَتْ أُنَيْسَة زوجة جَبْهاء الأَشجعىّ لجَبْهَاء : لو هاجَرْتَ [١٣٣ ا] إلى المدينة ، وبِعْتَ إبِلَكَ ، وافْتَرَضْتَ فى العَطَاء ، كان خَيْرًا لك ، قال : أفعل ، فأقبل غاديا بإبلِهِ ، حتى إذا كان بِحَرَّةِ واقِمٍ من شَرْقىّ المَدِينَةِ شَرَّعها بحوْضٍ واقمٍ يسْقِيها ، فَحَنَّتْ ناقَةٌ منها ، ثمّ نَزَعَتْ ، وتَبِعَتْهَا الإِبلُ ففاتَتْهُ [8] ، فقال جبهاءُ لزوجته : هذه الإبل لا تَعْقِل تَحِنُّ إلى أَوْطانِها ، ونحن أَوْلَى بالحنينِ منها ، أنت طالِقٌ إن لم تَرْجِعى [فقالت] : [9] فعَلَ اللهُ بكَ وفَعَلَ ، فردَّها ، وقال :

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١ / ١٠٢ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبى مطلعها :

أَحْسِنْ بأَيّامِ الْعَقِيقِ وَأَطْيِبِ ... والْعَيْشِ فى أَظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١١ و ١٢ و ١٣) .

(٢) الزباء : مدينة خربة على شط الفرات ، يقولون : انها كانت للزباء ملكة تدمر صاحبة جذيمة الأبرش .

(٣) عجماء : لا ينطق فيها ناطق ، يقول : على الرغم من انها لا تنطق فالبلى والتغير بين فيها ، معرب عن ذهابها ، وفيه طباق بين العجماء والمعرب .

(٤) فى الديوان « سَكَنَ الفَنَاءُ عِراصَها »

(٥) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان اسامة المطبوع .

(٦) آنست : علمت ، أحسست . كقوله تعالى : « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا » الآية .

(٧) هذا الخبر فى الأغانى (١٦ / ١٤٧ ط بولاق) وأورده أيضا ياقوت فى معجم البلدان (فى رسم قشام) عن ابن خالوية باسناده .

(٨) عبارة ياقوت فى هذا الموضع : « ونزعت الى وطنها ، وتبعتها الابل ، فطلبها ، ففاتته » .

(٩) زيادة من معجم البلدان .

قَالَتْ أُنَيْسَةُ : دَعْ[1] بِلادَكَ والتَمِسْ ‏ ‏ دارًا بطِيبَةَ رَبَّةِ الآطامِ[2]

تَكْتُبْ عيالَكَ فى العطاءِ ،وتَفْتَرِضْ[3] ‏ ‏ وكذاكَ يفعل حازِمُ الأقوامِ

فهَمَمْتُ ثم ذكَرْتُ ليلَ لِقاحِنا ‏ ‏ بلِوَى عُنَيْزَةَ أو بقُفِّ بَسَامِ[4]

إذ هُنَّ[5] عن حَسَبى مَذَاوِدُ كلَّما ‏ ‏ نَزَلَ الظَّلامُ بعُصْبَةٍ أغْيامِ[6]

إن المَدِينَةَ لا مَدِينَةَ فالزَمِى ‏ ‏ حِقْفَ السِّنَادِ ، وقُنَّةَ الاجَامِ[7]

وتُجَاوِرِى النَّفَرَ الذين بنَبْلِهِم ‏ ‏ أَرْمِى العدوَّ إذا تَهَضَّمَ رامِ[8]

الباذِلِين – إذا طَلَبْتُ – تلادَهم ‏ ‏ والمانِعِى ظَهْرِى من العُرّامِ[9]

[١٣٣ب]

قدم ابنُ المَوْلَى فى بعض سِنِيِّه العراقَ ، فأَخْفَقَ ، وطالَ مُقامه ، فاشتاقَ المدينَة ، وقال[10] :

---

(١) فى معجم البلدان : « بع تلادك » .

(٢) فى معجم البلدان : « دارا بيثرب .. » والآطام : جمع أطم ، وهو الحصن والقصر .

(٣) يقال : افترض الجنـد ، اذا أخـذوا أعطياتهم .

(٤) لم يرد هذا البيت فى ياقوت ، مع أنه الموجب لاختياره للاستشهاد به فى مادة قشام ، حيث قال : « وقشام : اسم جبل عن ابن خالويه » ثم أورد خبر جبهاء ، ورواية الشطر الثانى من البيت فى الأغانى «بِذُرَى غُبَيْرَةَ ،أو بقُفِّ بَشام »والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وبسام بالسين المهملة لم أجده فى رسمه من كتب البلدان ، وبشام بالشين المعجمة: جبل بين اليمامة واليمن . واللوى : منقطـع الرمل ، وعنيزة : اسم لعدة مواضع : موضع بين البصرة ومكة ، وبئر ببطن الرمة ، وواد باليمامة قرب سواج ، وقرى عنيزة بالبحرين .

(٥) الضمير عائد على اللقاح ، وهو جمـع لقحة ، وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٦) أعيام : من عام القوم ، اذا اشتهوا اللبن، أو قل لبنهم لهلاك ابلهم ، والرواية فى الأغانى ومعجم البـلدان « بعصبة أغتام » والأغتام جمع الأغتم ، وهو الذى لا يفصح لعجمة فى منطقه ، وحمل المعنى على ذلك لا يستقيم .

(٧) فى معجم البلدان « حِقْفَ السِّتَارِ ، وقُبَّةَ الأَرْحَامِ » والحقف : ما استطال واعوج من الرمل ، والسناد : لم أجده فى رسمه من كتب البلدان . أما الستار : فاسم لمواضع عدة منها : جبل بأجأ ، وناحية بالبحرين ذات قرى كثيرة ، وجبل بالعالية .. وبعد هذا البيت فى الأغانى ومعجم البلدان :

تَحْلُبْ لكِ اللَّبَنَ الغَرِيضَ ويُنْتَزَعْ ‏ ‏ بالعيش من يَمَنٍ إليك وشَامِ

(٨) فى الأغانى « اذا نهضت مرام » وفى معجم البلدان « اذا نهضـت أرامى » ويقال : تهضم فلانا : ظلمه وغصبه .

(٩) فى الأغانى : « الغـــرام » وفى معجم البلدان « الجــرام » والعـرام من قولهم عـرم فلان ، اذا شرس واشتد فى خصومته .

(١٠) هذا الخبر فى الأغانى ٣ / ٩١ (ط بولاق) وأورد معـه الأبيات ، ماعدا البيت الثانى

ذهَبَ الرجالُ فلا أُحِسُّ رِجالا وأرَى الإقامَةَ بالعِراقِ ضَلالَا

وأرى المُرَجِّى للعِراقِ وأهْلِه ظمْآنَ هاجِرَةٍ يُؤمِّلُ آلَا[1]

وطَرِبْتُ أنْ[2] ذَكَرَ المدينةَ ذاكِرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لى بَلْبالَا

وَجَعَلْتُ[3] أنْظرُ فى السماءِ كأنَّنى أبْغِى بناحيةِ السماءِ هِلالَا

طرَبًا إلى أهلِ الحجازِ وتارةً أبكى بدمعٍ مُسْبِلٍ[4] إسْبالَا

---

(١) الآل : السراب .

(٢) فى الأغانى « اذ ذكر » .

(٣) فى الأغانى « فظللت » .

(٤) مسبل : من أسبل ، وهو يأتى متعديا ولا زما . يقال : أسبلت العين ، اذا سال دمعها .

[١٣٤ ا]

١٣ - فصل فى ذكر البـــلاد *

عن عبدِ الله بن مَسْعُودٍ - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من بَلْدَةٍ تابَ فيها تائِبٌ إلا رَحِمَ الله تعالى أهلَ تلك البَلْدَةِ ، ورفعَ عنهم العذابَ » .

وقال ابن مسعود - رضى الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيُّمَا رَجُلٍ جلَبَ طَعَامًا إلى بَلَد من بلاد المسلمين ، فباعهُ بسِعْرِ يوْمِهِ مُحْتَسِبًا ، كان عند الله بمنزلة الشهيد ، ثم تلا : « وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فى الأَرْضِ يبْتَغونَ من فَضْلِ اللهِ[1] » .

قال أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب - رضوان الله عليه - : « من سعادةِ الرجلِ خَمْسٌ : أن تكون زوجتُه موافِقَة ، وأولادُه أبرارًا ، وإخوانه أتْقِيَاء ، وجِيرانُه صالِحِين ، ورِزْقُه فى بَلَدِه » .

عن الأصمعى قال : سمعت أعرابيًّا يقول : شرُّ المالِ مالا يُنْفَقُ ، وشرُّ الإخوانِ الخاذلُ فى الشَّدائِد ، وشر السلاطِين من يخافه البَرِىءُ ، وشرُّ البلادِ ما لَيْسَ فيه خِصْبٌ ولا أمْنٌ . [١٣٤ ب]

وقال أبو زِيادٍ الطائىُّ :

أَحَنًّا عِبادَ الله أن استُ ناسِيًا ... بلادِى ولا قَوْمى ولا ساكِنًا نَجْدَا ؟!

ولا ناظِرًا نحو الحِمَى اليوم نَظْرَةً ... أُسلِّ بها قلبى ، ولا مُحْدِثًا عَهْدا

بلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تمائِمِى[2] ... وكان بها عصْرُ الصِّبى نَضِرًا رَغْدًا

---

* البلدة والبلد كل موضع أو قطعـــة مستحيزة ، عامرة كانت او غير عامرة . والطائفة منه بلدة أيضا ، والبلد من الأرض : ما كان مأوى الحيـــوان ، وان لم يكن فيـــه بنـــاء ، وفى الحديث : « أعوذ بك من ساكن البلد » اراد به الجن ، لأنهم ســكان الأرض ، والجمـــع بلاد ، وبلدان ، والبلدان : اسم يقع على الكور ، وقال بعضهم : البلد : جنس المكن كالعراق والشام ، والبلدة : الجزء المخصص منه ، كالبصرة ودمشق .. والبلدة أيضا : الأرض ، والبلد أيضا : الدار يمانية . (عن اللسان / بلد)

(١) سورة المزمل / ٢٠ ولفظ الحديث كماأورده الطبرسى فى تفسير الآية (مجمع البيان ٥ - ٣٨٢) عن ابن مسعود ايما رجل جلب شيئاالى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء»

(٢) نيطت : علقت . والتمـائم : واحدها تميمة ، وهى ما يعلق فى العنق لدفع العـين . وهذا الشطر وقع فى شعر أورده ياقوت فى معجم البلدان ، والبكرى فى معجم ما استعجم فى رسم (منعج) والبيت بتمامه

بِلادٌ بها نِيطَتْ على تمائِمِى ... وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِى ترابُها

بلادٌ بها قَوْمِى ، وأرضٌ أُحِبُّها وإن لم أجِدْ من طُولِ هِجْرتِها بُدَّا

وقال صَدَقَةُ بن نافعٍ الغَنَوىّ :

ألاليتَ شِعرى هل أُسَيِّرُ ناقتى ببَيْضاء نَجدٍ حيثُ كان مَسِيرُها

بلاد بها أنْضَيْتُ راحِلَة الصِّبى ولانَتْ لنا أيامُها وشُهورُها

فَقَدْنا بِها الهَمَّ المُضِلَّ وشُربَه ودارَ عَلَينَا بالنَّعيم سُرُورها

حُكِى عن كاتبٍ لأمير الحاجِّ أنه قال : نزلنا مرة بظَاهِرِ الكُوفَةِ ، ونحنُ متوجِّهُونَ إلى الحجِّ ، فكنت كلَّ يومٍ أغْدو إلى الكوفَةِ لحَوائِجِى ، ويقابلنى رَجُلٌ زَمِنٌ (١) يَزْحَفُ . فكنت أظُنُّه يتعمَّد الحاج للسُّؤالِ ، فاتّفَقَ أن تبِعْتُه يومًا ، حتى كان بموضِعٍ يُشْرِفُ منه على أخْبِيَةِ الحاجِّ ، فسمعته يقول : [١٣٥ ا]

أعَلِمْتَ كيف تَصَبُّرِى عن رُؤْيَةِ البلدِ الحرامْ

والمَشْعَرَيْنِ ومسجدٍ بالخَيْفِ يُشْهَدُ كلَّ عامْ

وعن الْتِزَامِ المَشعَرَيْـ ـنِ وعن صَلاةٍ بالمَقَامْ

وعن الزِّيارةِ للنَّبـ ـىِّ المُصْطَفَى خيرِ الأنامْ

كتَصَبُّرِ المدْفوعِ بالـ أسْقَامِ عن طِيبِ المَنَامْ

قال : ثم ظعَنَّا عن الكوفة ليالِىَ وأيامًا ، ثم إنى سَمَرْت عند الأمير ليلةً ، فحدَّثتُه الحديثَ ، فأحْضَرَ نَجّابًا(٢) ، وثلاثةَ نُجُبٍ ، وقال لى : اذهب مع هذا النَّجَّابِ فأتِيَنِّى به ، فقلتُ : إن ذلك يَشقّ علىّ ، وأنا أدُلّ الرسولَ عليه ، قال : قد علمتُ أنَّك تدلُّ الرسولَ ، ولكنى أردت عقوبتَك ؛ لتأخيرك إخبارى عنه ، فمضَيْتُ فأتيتُ به .

---

(١) الزمن : وصف من الزمانة ، وهى المرض يدوم زمنا طويلا .
(٢) النجاب : ناقل البريد من بلد الى بلد على النجائب ، وهى من الابل : خيارها .

وقال أَشْجَعُ السُّلَمِىّ[1] :

وَمُغْتَرِبٍ يَنقضِى ليلُهُ فنونًا ومقلَتُهُ تَدْمَعُ
يُؤرِّقه نأيُه فى البلا دِ ، فما يَسْتَقِرُّ به مضْجَعُ
إذا الليلُ ألبَسه ثوبَه تقَلَّبَ فيه فتىً مُوجَعُ

[١٣٥ ب] وقال آخر[2]

ألا هلْ إلى نَصِّ النَّواعِجِ بالضُّحَى وشَم الخُزامَى بالغُوَيْرِ[3] سبيلُ[4] ؟ !
بلادٌ بها أهلُ الهَوَى غير أنَّنى أميلُ مع الأَقدارِ حيث تَميلُ[5]

وقال أبو عبد الله محمد بن عثمان المعروف بابن الحدّاد الأَندلسى يرثى صديقا له[6] :

تَيَقَّنَ أنَّ الله أكرَمَ جِيرَةً فأَزْمَعَ عن دارِ الفناءِ رَحِيلَا
فإن أَقْفَرَتْ منه العيونُ فإنَّه تعوَّضَ منها بالقُلوبِ بَدِيلَا

---

(١) ربما كانت هذه الابيات من قصيدته التى يمدح بها جعفر بن يحيى البرمكى والتى مطلعها :

أتَصْبِرُ للبَيْنِ أمْ تَجْزَعُ فإنَّ الديارَ غدًا بَلْقَعُ

وهى فى معاهد التنصيص / ٥٢٣ و ٥٢٤ والشعر والشعراء ٥٦٣ والأغانى ١٧/٣٦ و ٣٧
وله فى الأغانى ١٧ / ٤٣ قصيدة اخرى من البحر والروى مطلعها :

وسائِلَة لِىَ ما أَشْجَعُ فقُلْتُ : يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ

ولم اجد الأبياتَ فى القصيدتين .

(٢) البيتان فى الزهرة / ٢٨٣ منسوبان الى النميرى .

(٣) فى الزهرة (بالعشى)

(٤) النص : استحثاث الدابة على السير ، والنواعج ، والناعجات من الابل : البيض الكرام والخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة ، ليس فى الزهر أطيب ريحا منها ، والغوير : اسم لعدة مواضع منها ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة ، وموضع على الفرات .

(٥) فى الزهرة :

أمْسَى الهَوَى مَعَ المِقْدَارِ حَيْثُ يَمِيلُ

(٦) كتب المصنف - فى هامش الاصل - أمام هذه الأبيات « سهو ، كتب فى غير موضعه » يعنى انه ليس فيها ذكر لكلمة « البلد ، أو البلاد » يوجب ايرادها فى هذا الفصل جريا على صنيعه وقد ترجم ابن بسام فى الذخيرة (المجلد الثانى القسم الأول / ٢٠١ - ٢٣٦) لابن الحداد واسمه كما ذكره ابن بسام - محمد بن أحمد الحداد ، وانظر ما مر فى /١١٣ أ

ولم أَرَ أُنْسًا بعده صار وَحْشَةً ... وَبَرْدًا على الأكبادِ صار غَلِيلَا

ومَنْ كُنَّ أيامُ السرورِ قصيرةً ... به كان ليلُ الحُزْنِ فيه طويلَا

وقال عُيَيْنَةُ بنُ الحُبَاب بنِ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوح الأَنصاري :

أَراكُم بقَلْبِي من بلادٍ بعيدَةٍ ... تُراكم تَرَوْنِي بالقُلوبِ على بُعْدِي ؟

فُؤادِي وطَرْفِي يأسَفانِ عليكم ... وعندكمُ رُوحِي ، وذِكْرُكُم عِنْدِي

ولستُ أَلَذُّ العيشَ حتى أَراكمُ ... ولو كنت فى الفِرْدوسِ أوجنَّةِ الخُلْدِ

وقالت امرأة من العرب زوَّجها عمُّها رجلا شاميا ، فنقلها إلى الشام ، فاشتاقت بلادَها :

[١٣٦ ا]

أَلا يا خَليلَيَّ اللَّذَيْنِ أَراهُمَا ... ذَوَيْ ثِقَتِي من دون مَنْ كان حافِيَا

سقَى اللهُ ــ والسُّقْيا إليه ــ بلادَنا ... بحَزْمِ قَناوِين الذِّهابَ الغَوادِيا

بلادُ جميعٍ ، والعَظِيمِ أُحِبُّهُمْ ... وإن كنتُ قد أَيْقَنْت أَلَّا تَلاقِيا

أَلاليت لى عَمًّا بِعَمِّى ، وليت لى ... مكانَ بنيهِ من مَعَدٍّ مَوالِيا

أُناسًا إذا خافوا عليَّ ظُلامَةً ... وضَيْمًا أَحاطوا بالقَنا من ورائِيا

فلا باركَ الرّحمنُ فى وجه حُرّةٍ ... يمانيةٍ بَعْدِى تُحِبُّ شآمِيا

وقال موسى بن جابر الحَنَفِيّ[1] :

وجَــدْنا أبانا كان حلَّ ببلدة ... سِوًى بين قيسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[2]

(الفِزْر : لقب لسعدِ بن زيد مناةَ بن تميم ، وكان أَنهبَ معزاه بعُكاظ. ، ويقال لجماعة

---

(١) الأبيات فى حماسة أبى تمام / ١٦٠ (ط بون) ونسبها الى يحيى بن منصور الحنفى قال أبورياش وهذا غلط من أبى تمام ، وصح نسبتها الى موسى بن جابر الحنفى ، وهو موسى بن جابر بن أرقم بن سامة بن عبيد الحنفى اليمامى شاعر مكثر مخضرم نصرانى ، كان يلقب أزيرق اليمامة ويعرف بابن ليلى ، ويقال : بابن الفريقة، وهى أمه (سمط اللآلى ٣ / ٣٠)

(٢) الفزر : ضبطه فى الاصل بفتح الفاء ،وهو فى اللسان والقاموس (فزر) مضبوط بكسرها .

قوله : بعكاظ ، لم أجده والذى فى اللسان « وكان وافى الموسم بمعزى فانهبها هناك » فربما كان قول المؤلف بعكاظ تفسيرا للمراد بالموسم فى عبارة اللسان ، وعكاظ من أسواقهم . وجماعة الضأن التى يطلق عليها الفزر مختلف فى عدتها قيل : ما بين العشرة الى الأربعين ، وقيل : ما بين الثلاثة الى العشرين ، وسوى فى البيت صفة لبلدة ، أى حل ببلدة متوسطة بين قيس عيلان وسعد بن زيد .

المعزى : الفِزْر ، فسمى بذلك) :

فَلما نـأَتْ عنا العشيرةُ كلُّها أَنَخْنَا فحالَفْنا السيوفَ على الدَّهْرِ(١)

فما أَسلَمَتْنَا عند يوم ٍ كرِيهَةٍ ولا نحن أَغْضَيْنا الجُفونَ على وِتْرِ(٢)

وقال هِلال بنُ الأَشْعَرِ المازِنىّ(٣) :

[١٣٦ب]

أَقول وقد جاوَزْت نُعْمَى(٤) وناقَتِى تحِنُّ إلى جَنْبَىْ فُلَيْجٍ مع الفَجْرِ

سَقَى الله ياناقَ البلاد التى بها هواك ـ وإن عنَّا نَـأَتْ ـ سَبَلَ القَطْرِ

فما عن قِلًى منا لها خَفَّت النَّوَى بنا عن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ

ولكنَّ صَرْفَ الدهرِ فَرَّق بينَنَا وبين الأَدانِى والفَتَى غَرَضُ الدَّهْرِ

فَسَقْيًا لصحراءِ الإِهَالَةِ مَرْبَعًا وللوَقَبىَ من مَنْزِلٍ دَمِثٍ مُثْرِى(٥)

وسَقْيًا ورَعْيًا حيثُ حلَّتْ لمازِنٍ وأَيامِها الغرِّ المُحَجَّلَةِ الزُّهْرِ

---

(١) المعنى : لما خذلتنـــا عشيرتنا ـ وهم ربيعة ـ اكتفينا بأنفسنا ، واتخذنا الســـيوف حلفاء على الدهر .

(٢) الوتر : الحقد والثأر .

(٣) فى الاصل « الاشــعر » بالشــين والتصحيح من القاموس (سعر) وكذلك ورد اسمه فى أخباره ونسبه فى الأغانى (٣/٥٢ ـ ٧٢ ط دار الكتب) والابيات فى الأغانى ٣ / ٦٤ والبيتان : الأول والثـــانى أوردهما ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (فليج) والبيت الخامس اورده فى رسم (الاهالة) .

(٤) فى الأغـــانى ومعجم البلدان « نعمى » والذى فى كتب البلدان من المواضع « نعم » ونقمى ـ بضم النون وسكون القاف مقصورا ـ: واد ، ذكره ابو الحسن الخوارزمى ، والفليج ـ تصفير فلج ـ : موضع قريب من الأحفار .

(٥) صحراء الاهالة : قال ياقوت موضـــع فى شعر هلال بن الأشعر ، وأورد هذا البيت .

والوقبى ـ بفتح الواو والقاف مقصورا : ماء لبنى مالك بن مازن ، لهم به حصـــن ، وكانت لهم به وقائع مشهورة ، ودمث : سهل لين ، ومثر : خصب كثير الثرى .

وقال آخر[1] :

وارَحْمَتا للغَريبِ فى البَلَدِ النَّا ... زِحِ ماذا بِنَفْسِه صَنَعَا ؟ !
فارَقَ أحبابَه ، فما انْتَفَعُوا ... بالعَيْشِ من بعدِه ولا انْتَفعَا

وقال آخر : «قيل[2] قائلها بشر بن مروان ، وقيل : عبد العزيز بن مروان» :

كأنِّى وعَمْرًا لمَ نَسْر فى مَجاهِلِ ... ولم نَزْجُرِ الوَجْناءَ[3] فى البلد القَفْرِ
لَحَى اللهُ دُنْيَا تُدْخِلِ النارَ أَهْلَها ... وتَهْتِكُ ما بين الأقارب من سِترِ

هذان البيتان فى عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق حين قتلة عبد الملك بن مروان .

عن يحيى بن سعيد الأموى قال : كسا عبدُ الله بنُ الزبير ـ رحمه الله ـ قومَه بنى أسد جبّابًا ، [١٣٧ ا]
فقال أبو العبّاس الأعمَى[3] :

كسَتْ أسدٌ إخوانَها ولو أنَّنى ... ببلدةِ إخوانِى إذنْ لكُسِيتُ
فلم أر مثلَ الحيِّ حيًّا تحملوا ... إلى الشام مَظْلومِينَ منذ بُرِيت[4]
أعفَّ وأحْمَى عند مُخْتلف القَنا ... وأعْلَمَ بالمِسكينِ أينَ يَبِيتُ

فلما قدم عبد الملك بن مَرْوان حاجًّا سنةَ خمسٍ وسبعين دخَلَ عليه أبُو العبّاس الأعمَى الشاعر ، فلما رآه عبد الملك قال له : يا أبا العبّاس :

كسَتْ أسَدٌ إخوانَها ، ولو أنَّنى ... ببلدةِ إخوانِى إذنْ لكُسِيتُ

فقال : نَعم يا أميرَ المؤمنين أنا الذى أقولُ ذلك ، فالتفت عبدُ الملك إلى مَنْ عنده من بنى

---

(١) كتب فى هامش الاصل بخط مغاير :« هذان البيتان هما لعلى بن الجهم » وعقب عليه آخر بخط مغـــاير للسابق « ليس هما له ، بل للشريف الرضى » هـــذا والبيتان فى ديوان على ابن الجهم / ١٥٤ وانظر تخريج الشعر فيه ، وهما ايضا فى الزهرة /١٨٢ منسوبان لابن الجهم ولم اجدهما فى ديوان الشريف الرضى (ط نخبه الاخبار) واوردهما الراغب فى محاضرات الادباء ٣/٢٧٣ فى خبر ساقه هكذا : « روى انه رئى القاسم بن عبد الله فقيل له : ما خبرك ؟ فقال : « وارحمتاه للغريب .. الخ »

(٢) هذه الجملة فى الأصل بخط مغاير .

(٣) الوجناء من النوق : الغليظة الصلبة .

(٤) البيتان : الأول والثـــانى فى أخبار أبى العباس الأعمى فى الاغانى (١٦/٣٠٢ ط دار الكتب) .

(٥) بريت ، اراد برئت ، اى خلقت

أميّة ، فقال : عَزَمتُ على كُلِّ رجلٍ إلا كسا أبا العبّاس ، فكَسَوْه ثلاثين جُبَّةً . سوى غيرها من الثِّياب .

وقال وَجيهُ الدّولة بن حَمْدان وهو بالأهواز :

نـأَيْتُ بشَخْصٍ فى البلادِ مُشرِّقٍ وقلبٍ إليكم بالحنينِ مُغرِّبِ
لحىَ الله رَأْيًا زيَّن البُعْدَ عنكمُ وهِمَّةَ قَلْبٍ رخَّصَتْ فى التَّقَلُّبِ
يَطِيبُ خَبِيثُ الأَرضِ بالقُرْبِ منكم ويَخْبُثُ عندى بعدكُم كلُّ طيِّبِ

[١٣٧ ب]

وقال آخر(١) :

خليلَيَّ لاتَسْتسلِما وادْعُوَا الذى له كلُّ أمرٍ أن يَصُوبَ ربيعُ(٢)
حيًا لبلادٍ شتَّتَ المَحلُ أهلَها وَجَبْرًا لعَظْمٍ فى شظاهُ صُدوع(٣)
عسى أن يَحُلَّ الحىُّ جَرْعاءَ واصِلٍ(٤) وعلَّ النَّوى بالظاعِنِينَ تَرِيعُ
أَفِى كلِّ يومٍ زَفْرَةٌ مستَجَدَّةٌ تضمَّنَها منى حَشَىً وضُلُوعُ ؟!

وقال آخر :

ألامُ على لَيْلَى ، وأَحْسِبُ أنّنى كريمٌ على ليلى وغيرى كَرِيمُها
لئن آثَرَتْ بالوُدِّ أَهلَ بلادِها على نازحٍ عن أرضِها لا أَلومُها
وما يَسْتَوِى من لا يُرَى غيرلَمَّةٍ وآخرُ ثاوٍ عندَها لا يَرِيمُها

وقال آخر :

الحَيْنُ(٥) ساقَ إلى دِمَشْقَ ومَا كانتْ دِمَشْقُ لأَهْلِنَا بَلَدَا
قادَتْكَ نَفْسُكَ فاستَقَدْتَ لها وأَرَتْكَ أمرَ غَوَايةٍ رَشَدَا

---

(١) الأبيات فى الزهرة / ٢٠٣ من غير عزو
(٢) الربيع : المطر ، وصاب المطر : انصب
(٣) الحيـا : المطر ، والمحل : الجدب ، وفى الزهرة «طَيَّرَ المَحْلُ»
(٤) فى الزهرة « وابل »
(٥) الحين : الهلاك

وقلت – وأنا بمصر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة[1] :

هبْ أنَّ مِصرَ جِنانُ الخُلْدِ ما اشتهت النُّفُوسُ فيها من اللّذاتِ موجودُ

ماذا انتِفاعِي إذا كانت زَخارِفُها موجودةً ، وحبيبُ النفسِ مَفْقُودُ؟!

ما فيكِ لى سَلْوَةٌ يا مصرُ عن بلدٍ فى أهلِه الفَضْلُ والإقدامُ والجُودُ

وما الحياةُ لمن بانَتْ أَحِبَّتُه رِضًى ، ولا هُو فى الأَحياء مَعْدُودُ

(١) الأبيـــات فى ديوان أسامة / ٦٥ وهى مقطوعة من ثلاثـة أبيات والبيت الثالث هنا لم يرد فيها .

فصل اخر فى ذكـر البلاد

[١٣٨ ا]

عن الزُّبَير بن العَوّام -رضى الله عنه- قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «العِبادُ عبادُ الله ، والبِلادُ بلادُ الله ، فحيثُ وَجَدْتَ خيرًا فأَقِمْ ، واتَّقِ الله تعالى[١]» .

وقال بُزرجُمهر : «إنما يستَطِيعُ الرَّحِيلَ عن بَلَدٍ من استَطَاعَ المُقَامَ به» .

وقال عيسى بن على المَوْصِلىُّ :

ما ذَمَمْتُ المُقام فى بلَدٍ قَطُّ. (م) فعاتَبْتُه بغيرِ الرَّحِيلِ
إنْ تلَقَّانِىَ الزَّمَانُ بمكرو ه تَلَقَّيْتُه بصَبْرٍ جميلِ

وقال المُتَلَمِّس ، واسمه جرير بن عبد المسيح[٢] :

إن الهَوانَ حِمارُ البيتِ يَعْرِفُه والحُرُّ يُنكِرُه والرَّسْلَةُ الأُجُدُ[٣]

[الرَّسْلَة] : الناقة السهلة[٤]

وفى البلادِ إذا ما خِفْتَ نائرةً مشهورةً عن وُلاةِ السّوءِ مُنْتَفَدُ[٥]

[النائرة] : ما تنفر منه ، والنوار: النفور[٦].

---

(١) لفظه فى مسند الامام احمد بن حنبل) ٣/ ١٤ و ١٥) بسنده عن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيرا فأقم » .. وأصحاب الحديث يضعفون سنده وانظر أيضا الجامع الصغير (١/ ٣٢٢) ومثله فى الفتح الكبير (٢/ ٢٠).

(٢) الأبيات فى ديوانه (٤٧ و ٤٨ ط ليبزج) ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (١ و٨ و٤ و٥)

(٣) الأجد : الموثقة الخلق . وفى الديوان « حمار الحى »

(٤) هذا التفسير للمصنف ، وضبط الرسلة فى الاصل بكسر الراء ، والذى فى اللسان : ناقة رسله - بفتح الراء - سهلة السير ، ومثله فى شرح الديوان .

(٥) فى الديوان (مبتعد)

(٦) كذا فى الأصل ، وفى الديوان : النائرة : العداوة والشحناء ، ويقال : اطفأ نائرة الحرب .

إن الدَّنيَّة لا يَرْضَى بها أَحَدٌ   إلا الأذلّانِ : عَيْرُ السُّوء والوَتِدُ(١)

هذا على الخَسْفِ محبوسا(٢) بِرُمَّتِهِ   وذا يُشَجُّ وما يبكِي له أَحَدٌ(٣)

[١٣٨ ب]

وقال أيضا(٤) :

إن العِراقَ وأهلَه كانوا الهَوَى   فإذا نَبا(٥) بك وُدُّهُمْ فليبعُدِ

فلتَتْرُكَنَّهُمْ بليلٍ ناقتى   تَذَرُ السِّماكَ(٦) وتَهْتَدِى بالفَرْقَدِ

لبلادِ قَومٍ لا يُرَامُ هَدِيُّهُم   وهَدِيُّ قومٍ آخَرِين هو الرَّدِى

الهَدِىُّ : الجار(٧) ، يعرِّض بعمرو بن هند ، وطَرَفَة بنِ العَبْد .

وقال الحارِثُ (؟)

قالت سُلَيْمَى قد غَنِيتَ فَتَىً   فاليومَ لا تُصْمِى ولا تُنْمِى(٨)

المَوْتَ تَخْشَى أن توافِقَه   والموتُ يُدْرِكُ آبِدَ العُصْمِ(٩)

قَوِّضْ خِيامَكَ والتَمِسْ بلدًا   يَنْأَى عن الغَاشِيكَ بالظُّلْمِ

---

(١) رواية الديوان :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ   إلَّا الأذلان : عَيْرُ الأَهْلِ والوَتِدُ

وبروى ايضا : « عير الحى »

(٢) كذا فى الأصل ، ورواية الديوان بالرفع ، وهو اولى . والرمة : الحبل البالى

(٣) فى الديوان : « فما يرثى له أحد »

(٤) الأبيات فى ديوانه (٣٦ و ٣٧ ط ليبزج) . وفيه أنه قالها حين لحق بالشام هاربا من عمرو بن هند يحرض بنى قلابة رهطه ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات ٣ و٤ و٩ .

(٥) فى الديوان « نأى بك .. »

(٦) هما سماكان : الرامح والأعزل ، احدهما عن يمين الشرق والآخر عن يساره ، وسمى رامحا ، لأن بينه وبين الأعزل قدر رمح

(٧) هذا تفسير المصنف ، وفى الديوان :« الهدى » : الرجل الذى له حرمة على التشبيه بما يهدى للبيت الحرام

(٨) الاصماء : أن ترمى الصيد فتقتله مكانه قبل أن يغيب عنك ، والانماء : أن ترميه فيغيب عنك فيموت ولاتراه بل تجده ميتا ، أرادت أنه لم يعد يحسن شيئا .

(٩) الآبد : الوحش الذكر والأنثى آبدة ،والعصم يقال للوعول : عصم ، الذكر أعصم والانثى عصماء ، لبياض فى أيديها ، أو لانها تعتصم بأعالى الجبال ، فتمتنع على طالبها .

وقال آخر :

وكُلُّ البلادِ بلادُ الفَتى وما بينَهُ وبلادٍ نَسبْ
إذا بلدٌ بك يومًا نَبا فلا تَخْلُدَنَّ به واغترِبْ

[١٣٩ ا] وقال زِيادُ بن مُنْقِذ بن عمرو بن عبد الله[1] :

لا حبّذا أنتِ يا صَنْعاءُ من بَلَدٍ ولا شَعُوبُ هوًى مِنّا ولا نُقَمُ[2]
ولا أُحِبُّ بلادًا قد رأيتُ بها عَنْسًا ، ولا بلدًا حلَّتْ به قُدَمُ

« شَعُوب ، ونُقَم وعَنْس وقُدَم : قبائل من اليمن ، ومن عَنْس عَمّارُ بن ياسِر – رضى الله عنه – صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشهد أَحَدٌ من المسلمين بدرًا أبواه مؤمنان غيره ، ومنهم الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ الكَذّاب الذى ادّعى النُّبُوّة » .

إذا سَقَى اللهُ أرضًا صَوْبَ غادية فلا سَقَاهُنّ إلا النارَ تضطَّرِمُ
وحَبّذا حين تُمْسِى الريحُ بارِدَةً وادى أُشَيٍّ وفِتْيَانٌ به هُضُمُ[3]

« وادى أُشَيّ بالمدينة » .

المُوسِعُون إذا ما جَرَّ غِرُّهُم على العَشِيرةِ ، والكافون ماجرَمُوا[4]
والمُطْعِمُون إذا هَبَّتْ شآمِيَةٌ وباكَرَ الحىَّ من صُرّادِها صِرَمُ[5]

---

(١) هذه الأبيات أوردها ياقوت منسوبة اليه فى معجم البلدان فى رسم (صنعاء) وقدم لها بقوله : « قال أبو عبيد : كان زياد بن منقذ العدوى نزل بصنعاء فاستوبأها ، وكان منزله بنجد فى وادى أشي ، فقال يتشوق بلاده .. » وفى حماسة أبى تمام (٦٠٨ ط بون) نسبت اليه . ونسبت أيضا الى زياد بن حمل ، والأبيات ١ و ٤ و ٥ و ٩ وردت فى الزهرة/١٦٨ منسوبة الى زياد بن منقذ

(٢) هكذا ضبطه فى الأصل بفتح القاف ، وهو فى معجم البلدان بضمها . وفى القاموس : « نقم – بسكون القاف – : قرية باليمن » .

(٣) هضم : جمع هضوم ، وهو الجواد المتلف لماله ، والبيت من شواهد اللسان على هذا المعنى .

(٤) فى معجم البلدان والحماسة « الواسعون » وفيهما وفى الزهرة (غيرهم) والغر الذى لايفطن للشر ، والشاب الذى لاتجربة له ..

(٥) الصراد : جمع صارد ، وهو غيم رقيق لا ماء فيه . والصرم : جمع صرمه – بكسر فسكون – : القطعة من السحاب ، قال النابغة:

وهَبّتْ الرِّيحُ من تِلْقاء ذِى أُرُلٍ تُزْجِى مع اللَّيْلِ من صُرّادِها صِرَمَا

[١٣٩ ب]

هُمُ البُحورُ عَطَاءً حينَ تسْألُهم ... وفى اللِّقَاء إذا تَلْقَى بِهِم بُهَمُ[١]

وهم إذا الخيلُ جَالوا فى كواثِبِها ... فوارِسُ الخيل لامِيلٌ ولا قُزُمُ[٢]

لم أَلْقَ بعدَهُم حَيًّا[٣] فأَخْبُرَهُمْ ... إلا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إلَىَّ هُمُ

وقال المتنبى[٤] :

شَرُّ البلادِ بلادٌ لا صديقَ بها ... وشرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ مايَصِمُ[٥]

وشرُّ ما قَنَصَتْهُ راحَتِى قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ[٦]

وقال أيضا[٧] :

بلادٌ إذا زار الحِسانُ بغيرِها ... حَصى أَرْضِها ثَقَّبْنَهُ للمَخانِقِ[٨]

---

(١) بهم : جمع بهمه - بضم فسكون - وهو الشجاع ، أو الفارس الذى لايدرى مقاتله من اين يؤتى له من شدة بأسه ، وفى نوادر الأعراب : رجل بهمة : لايثنى عن شىء أراده قال متمم بن نويرة :

وللشِّرْبِ فابْكِى مالِكًا ولِبُهْمَةٍ ... شديد نواحِيهَا عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا

(٢) الكواثب : جمع كاثبة وهى من الفرس مجتمع كتفيه قدام السرج ، والميل : جمع أميل ، وهو الذى لايثبت على ظهور الخيل ، أى لايحسن الركوب والفروسية ، والقزم : رذال الناس وسفلتهم ، والبيت من شواهد اللسان على هذا المعنى ، وضبط فيه بفتح القاف والزاى .

(٣) فى الزهرة (قوما فأخبرهم)

(٤) البيتان فى ديوانه (٢/٢٦٥) وهما من قصيدته المشهورة التى يعاتب فيها سيف الدولة ومطلعها :

واحَرَّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُه شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمِى وَحَالِى عِنْدَه سَقَمُ

(٥) فى الديوان (شَرُّ البلادِ مَكَانٌ لا صَدِيقَ بهِ » . ومعنى يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لايوجد به من يستروح اليه ويؤنس بوده ، وشر ما كسبه الانسان ما عابه وأذله .

(٦) الشهب : جمع اشهب وهو مافيه بياض يصدعه سواد ، والرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . يقول : شر صيد صدته ما شاركتنى فيه اللئام ، يريد أن سيف الدولة يجريه فى رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء ، اى اذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له فأى فضل لى عليه ؟ .

(٧) البيتان فى ديوانه ٤٦٨/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ومطلعها :

تَذَكَّرْتُ مابينَ العُذَيْبِ وبارِقِ ... مَجَرَّ عوالِينا ومَجْرَى السَّوابِقِ

ويقابلهما منها فى ترتيب الديوان البيتان (٤ و ١١) .

(٨) فى الديوان (حَصى تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ للمخَانِقِ) وضبط الحسان فيه بالفتح ، وجعل فاعل زار هو الحصى ، وفسره بقوله : هذه البلاد اذا حمل حصاها الى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ ، وجعلنه قلائد لهن ، لحسنه ونفاسته .

وما بَلَدُ الإنسانِ غيرُ المُوافِقِ ... ولا أَهلُه الأَدْنَوْنَ غيرُ الأصادِقِ[1]

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرّى[2] :

تَذَكَّرْتُ من ماءِ العَوَاصِمِ شَرْبَةً ... وزُرْقُ العَوالى دونَ زُرْقِ جِمامِهِ[3]

وكم بين رِيفِ الشّامِ والكَرْخِ مَنْهَلٌ ... مَوارِدُه مَمْزُوجَة بسِمامِهِ[4]

يَمُرُّ بِهِ رأدُ الضُّحَى مُتَنَكِّرًا ... مخافَةَ أن يَغْتَالَه بقَتَامِهِ[5]

بلادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيها سَبِيلَهُ ... وَيَثْنِى دُجَاهَا طَيْفَهَا عنِ لِمامِهِ[6]

[١١٤٠] وقال المتنبّى[7] :

إذا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جانِبَهُ ... لم تُعْيِنِى فى فِراقِهِ الحِيَلُ[8]

فى سَعَةِ الخَافِقَيْنِ مُضطَّرَبٌ ... وفى بلادٍ من أُخْتِها بَدَلُ[9]

---

(١) المعنى : ليس بلد الانسان الا ما يوافقه ، ولا أقاربه الا اصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان وافقه ، وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه واصفوا له المحبة فهم رهطه الادنون .

(٢) الأبيات فى سقط الزند (١/١٤١) قصيدة قالها يجيب ابا القاسم على بن الحسن ابن جلبات عن قصيدة مدحه بها ، ومطلعها :

يَرُومُكَ والجَوْزاءُ دونَ مَرَامِهِ ... عَدُوٌّ يَعِيبُ البَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ

ويقابلها من القصيدة فىترتيب الديوانالأبيات (٣٨ و٤١ و٤٣ و٤٤)

(٣) فى سقط الزند (تذكرن) والضمير يعود على العيس فى الأبيات السابقة على هذا البيت ، والجمام جمع جمه ، وهى الماء الكثير ،وزرقتها كناية عن صفاء الماء

(٤) معنى موارده ممزوجة بسمامه : أنه لايمكن الوصول اليها لما فيها من كثرة الاهوال

(٥) راد الضحى : ارتفاعه . اى يمر ضوء النهار بهذا الموضع على وجل من أن يهلكه بكثرة غباره

(٦) يقول : انه لشدة الظلمة لا تعرف النجوم طريقها فى هذه المفاوز ، ولا يقدو الخيال فيها على الزيارة ، لأن ظلمتها تمنعه من الالمام .

(٧) البيتان فى ديوانه (٢ / ١٥٠) وهما من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، ومطلعها :

أَبْعَدُ نَأْىِ المليحَةِ البَخَلُ ... فى البُعْدِ ما لا تُكَلَّفُ الإبِلُ

وترتيبهما من القصيدة فى الديوان(٩ و ١٠) وروايتهما هنا متفقة مع ماورد فى الديوان

(٨) نكر الشىء ، وأنكره بمعنى — أعياه : أعجزه .

(٩) الخافقان : المشرق والمغرب ، والمضطرب : موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجىء ، ومعنى البيتين واضح .

وقال مهيار(1) :

فمالِيَ(2) أَقْمَحُ(3) مِلْحَ الميا ... هِ إذا كنتُ أَشْرَبُ من أدْمُعِى؟!

ويَرتاحُ وجهى لبَرْدِ النَّسِـــــيمِ ونارُ الخَصَاصَةِ فى أضْلُعِى(4)

وهل قابِلِي بلدٌ أن أَقِيمَ ... وقد خطَّ فى غيره مَضْجَعِى(5) ؟!

وقال أيضا(6) :

لله مَرٌّ الأَباءِ أَعْوَزَه ... من جانِبِ الذُّلِّ عِزَّةٌ فنَبَا

وما مُقامُ الكريمِ فى بَلَدٍ ... يُنْفِقُ فيه الحياءَ والأَدبا؟!

وقلت(7) :

سِرْ عن بلادِهِمُ فقد سَئِمتْ بها ... عِيسى مُحُولَ مُعرَّسِى(8) ومُناخِى

ودع الأَمانِى إنها غَرَّارةٌ ... ووُعودُها للرَّاغِبِينَ(9) أَواخِ

ما عِندها للواثِقِينَ بنَيْلِها ... إلا المِطال بموعدٍ متراخِ(10)

[١٤٠ب]

---

(1) الأبيـــات فى ديوانـــه (٢٤٤٢) من قصيدة كتب بها الى الوزير ذى السعادات ابى الفرج بن فسانجس وهو بالبصرة ، ومطلعها :

نَشَدْتُكِ يا بانَةَ «الأَجْرَعِ» ... مَتَى دَفَعَ الحَىُّ مِنْ «لَعْلَعِ» ؟

(2) رواية الديوان « ومالى »

(3) اقمح : ارفع رأسى استكراها للشراب .

(4) هذا البيت يسبق الذى قبله فى ترتيب الديوان ، وبينهما بيت آخر هو :

وما أنْتَ إلَّا وَمِيضُ السَّرابِ ... على صَفْحَةِ البَلَدِ البَلْقَعِ

(5) رواية الديوان لهذا البيت هى :

وَهَلْ قاتِلِي بَلَدٌ أن أُقِيمَ ... إذا خُطَّ فى غَيْرِه مَصْرَعِى ؟ !

(6) لم أجد هـذين البيتين فى ديوان مهيار (ط دار الكتب)

(7) الأبيات فى ديوانه /٢٣٢

(8) المعرس : المكان الذى ينزل فيه المسافر آخر الليل

(9) رواية الديوان (للطامعين) .

(10) رواية الديوان :

ما عِنْدَها للوارِدِينَ سَرَابُها ... غيرِ المِطالِ بمَوْعِدٍ مُتَراخِ

وقال البُسْتى[1] :

ذَرْنى أَسِرْ فى البلادِ مُبْتَغِيًا فضلَ ثَراءٍ إن لم يَفِرْ زَانَا
فَنَيْذَق[2] النَّطْعُ وهو أَحْقَرُ مافِيهِ إذا ساءَ صارَ فِرْزانَا[3]

وقال أعرابى :

رَمى الفقرُ بالفِتْيَانِ حتى كأنَّهم بأَطرافِ آفاقِ البلادِ نُجُومُ
وإن امرأً لم يُقْفِرِ العامَ بيتَه ولم يتَجَدّد لحمُه لَلئيمُ

وقلت من قصيدة[4] :

أَظَنَّ العِدَى أن ارتحالِىَ ضائرى ضلالًا لما ظَنُّوا ، وهل يَكْسُد التِّبْرُ ؟
وما زادنى بُعدِى سِوى بُعْدِ هِمَّةٍ كما زاد نُورا فى تباعُدِه البَدْرُ
وهل فى ارتحالِى عن بلادٍ تَنَكَّرَتْ لمثلى أو للسَّاكِنِينَ بها فَخْرٌ ؟ !
وإن بلادًا ضاق عنى فَضَاؤها لأَرْحَبُ من أكنافِها للعُلى فِتْرُ
وأَرضًا نَبَتْ بى وهى آهِلَةُ الرُّبى هى القَفْرُ ،لا ، بل دونَ وَحْشَتِهَا القَفْرُ
وهل يُنْكِرُ الأَعداءُ فَضلِى وإنه لأَشْيَرُ ذِكرًا أن يوارِيَه الكُفْرُ ؟[5]
أَلستُ الذى مازالَ كَهْلًا ويافِعًا له المَكْرُماتُ الغُرُّ ، والنَّائِلُ الغَمْرُ[6] ؟
وخائِضَ وَقْعاتٍ بوارِقُها الظُّبى ووابلِ هاتيكَ البُرُوقِ دَمٌ هَمْرُ[7] ؟
يهولُ الرَّدَى منى تَقَحُّمِىَ الرَّدَى ويعتادُه من جَأْشِىَ الرابطِ الذُّعْرُ

[١٤١]

---

(١) لعله يريد أبا الفتح على بن محمد الكاتب فهو أشهر البستيين ، ولم أجد البيتين فيما اختار له الثعالبى فى اليتيمة (٤/٣٠٢ ـ ٣٣٤) وقد اورد له ترجمة مطولة معها طائفة من نثره وشعره .

(٢) البندق : الرمح القصير ، فارسى معرب ، وكتبه الجواليقى فى المعرب / ٣٣٢ « النيزك » بالزاى والكاف ومثله فى الجمهرة ٣/١٦ ، وهو فى اللسان النيز: بالزاى والقاف وفى الألفاظ الفارسية / ١٥٢ : النيزك :تعريب نيزه ، والنيزق لغة فيه »

(٣) الفرزان ، ويقال له : الفرزين : الملك فى اصطلاح الشطرنج

(٤) الأبيات فى ديوان أسامه / ٢٠٠ ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٢ و٥ ــ ١١

(٥) الكفر : الستر والتغطية ، يريد الجحود والنكران

(٦) النائل النوال ، وهو العطاء . والغمر : الكثير .

(٧) الهمر : المنهمر .

وقال آخر :

بلادٌ جَفانى النَّاصِحُونَ ومَلَّنى صديقى . ولم يَخفِلْ بذلك عُوَّدِى
ولكن بِلادٌ لو مَرِضْتُ لعادَنى أوانِسُ يَكْحَلْنَ العيونَ بإِثْمِدِ[1]
أَوانِسُ يَشْفِينَ السقيمَ مَلاحةً وحُسْنَ حديثٍ كالجُمان المَنَضَّدِ
ولله قومٌ لم أفارِقْهُمْ قِلَّى كرامٌ أُولو عِزٍّ وفخرٍ وسُؤْدَدِ

قال أبو عبد الله ابراهيم نِفْطَويه : أنشدنا أحمد بن يحيى. النحوى لرجُلٍ من العرب كان أبوه يمنعه الاضطرابَ فى المعيشة شفقةً عليه :

أَلا خَلِّنِى أَذْهبْ لشَأْنِى ولا أكُنْ على الناس كَلاًّ ، إن ذَاك شَدِيدُ
أرى الضَّرْبَ فى البُلدانِ يُغْنى معاشرًا ولم أَر من أَجْدَى عليه قُعودُ[2]
أَتَمْنَعُنى خوفَ المنايا ولم أكُنْ لأَهْرَبَ مما ليس منه مَحِيدُ ؟ [١٤١ب]
فَدَعْنى أُجَوِّلْ فِى البلادِ لعلَّنى أُسَرُّ صديقًا أو يُسَاءُ حَسُودُ
فلو كنْتُ ذا مالٍ لقُرِّبَ مَجْلِسِى وقيل إذا أخطأْتُ : أنتَ سَدِيدُ

وقال آخر :

سُقِيَتْ أيافِثُ[3] من بلادٍ صَوْبَ الروائحِ والغَوَادِى
كم قد تَرَوَّتْ هامَتِى فيها وعُوِّلَ من وِسادِى
دَعْنى لسُبْلِ غَوَايَتِى والزَمْ سبيلَكَ للرَّشادِ

مَرَّت بى هذه الأبيات فى خبر أنا مورده لا ستغرابى إياه ، وإن لم يكن مما يقتضيه التأليف ، والعهدة فيه على من رواه ، وهو :

عن ابن الكلبى عن أبيه عن أشياخٍ من أهل ذِمار[4]—من أهل اليمن—أنه سمِعَهم يُخْبِرُون

---

(١) الأثمد : الكحل .
(٢) الضرب فى البلدان : التنقل والسفر
(٣) فى معجم ما استعجم / ٢١٤ : « أيافث : : موضع باليمن » وفى معجم البلدان « أثافت » وذكر أنها قرية باليمن ذات كروم كثيرة بينها وبين صنعاء يومان (نحو ٦٠ كم) ولم يذكر ياقوت (أيافث) فى رسمه .
(٤) ذمار : فى معجم ما استعجم بفتح أوله وثانيه ، وفى مراصد الاطلاع « بكسر أوله ويفتح » : مدينة ، او قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، وقيل ذمار : اسم لصنعاء .

عن رجلٍ من حِمْيَر من ذى الكُلاع – وكان رجلا جَلْدًا شجاعا يركب الأهوال ، وينفرد فى الأسفارِ يقال له :تحياوة بن عُمَيْر – قال : خرجت أُريد حَضْرَ مَوْتَ ، فبت فى بعض المَفاوِز بقُراب روضةٍ غنّاء فى ليلة مقمرة ، نمت أوّل الليل ، ثم أيقظنى /حسٌّ فانتبهت ، فإذا فِتيانٌ [١٤٢ أ] قَريبٌ منى قد جلسوا على شراب لهم ، فأنْكَرْتُ ذلك فى نفسى ، وقلت : والله ما يقرب من هذا الموضع قريةٌ ولا ماءٌ ولا حِلَّة ، فما هؤُلاء ؟ ثم نِمْتُ ، فأَقبل واحدٌ منهم ، فحرَّكَنى برِجْله ، فأَنْبَهنِى ، فقلتُ : ما تشاءُ ؟ فقال : إنك قد نزلت بنا ، ووَجَبَ علينا ذِمامُك ، فقم بنا تُصِبْ من طعامِنا وشَرابنا . فقلت : أَما الطَّعامُ فلا حاجةَ لى به ، قال : فقم إلى الشَّراب إذن ، فقمت فاستوثقت من عِقالِ جَمَلِي ، وأَخذتُ سيفِي ومضيْتُ معه . فإذا فتيانٌ تسعةٌ ، كأنَّهم الأقمار . فحيَّوْا فرحَّبُوا ، فإذا بين أَيديهم جَفْنَةٌ فيها شرابٌ كدَم الخِشْفِ[1] تسطَعُ منه رائحةُ المِسْك ، فتناول فتى منهم قَعْبًا[2] ، فاغْتَرَفَ من الجَفْنَةِ[3] ، فعَبَّ فيه حتى أَتى على آخره ، ثم قام ، فأَدارَ على القومِ حتى صار إلىَّ ، فناولَنى القَعْبَ ، فعَبَبْتُ فيه ، ثم رددتُ إليه بعضَه ، فقال : اشرب ، فشرِبْتُ حتى أَتَيْتُ على آخره ،ثم قالوا للذى سقاهم : تغَنَّ ياتُحَىّ ، فرفع عَقِيرَته وهو يقول :

أَلا يا وادِىَ الْعَلَجَانِ[4] أَبْشِرْ ببارِقَةٍ على وادى الغُمَيمِ[5]

لعلَّ مُصابَها يُدْنِى نَوَانا على عُدَوائِه[6] لنوى رُمَيْمِ

فَشَدَا – والله – شَدْوًا ما سمعتُ مثلَه حُسنا ولا صَوابا ، فقلت له : يا أَخى من يقول هذا الشعر ؟ فقال : أَنا والله قلته على لسان جُذيمةَ المُصطَلِق الذى منهم جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارث [١٤٢ب] زوج النبى صلى الله عليه وسلم . فاستوحَشْتُ من قوله .

---

(١) الخشف : ولد الظبية اول مايولد .

(٢) القعب : قدح ضخم غليظ .

(٣) الجفنة : القصعة

(٤) فى معجم البلدان : العلجان : موضع فى شعر ابى دؤاد الايادى

(٥) الغميم – على لفظ المصغر – : واد فى ديار حنظلة من بنى تميم ، قال شبيب بن البرصاء :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحَىَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ نَوًى بينَ صَحْراءِ الْغُمَيمِ لَجُوجُ؟

(٦) عدواء الشغل : موانعه ، والعدواء ايضا : ارض يابسة صلبة .

ثم قالوا لآخر : قم يا مِسْعَرُ ، فقام ، ففعل كفعلِ الأول، حتى سق القومَ ، ثم قالوا له : تَغَنَّ ، فقال :

تـألّقَ والدُّجَى مُلْقِى الجِرانِ بريقٌ بين صاحَةَ فالعِرانِ(١)

كأنَّ وَمِيضَه لَمَعَانُ كَفٍّ مخاطبةٍ - على هول - الجَنانِ

فكان غِناؤه كغِناءِ صاحبِه وأحسَن ، فقلت : من يقول هذا يا أخى ؟ فقال : أنا والله قلته على لسان عَلَس ذى جَدَن .

ثم قالوا لآخر : قُم يا مَقْرُوم ، فقام ، ففعل كفعلِ أصحابه ، ثم قالوا له : غَنِّنَا ، فقال :

أبرزَتْ من خَلَلِ(٢) البُرْ دِ بَنانًا كاللُّجَيْنِ

ورَنَتْ والعَيْنُ تُذْرِى كالئًا تَرنو بعَيْنِ

ثم قالت لفُتَيّ اتِ كآرامِ الرُّهَيْنِ(٣) :

إنما يُسْتَمْطَرُ الجو دُ بكفَّىْ ذِى رُعَيْنِ(٤)

فقلتُ له : من يقول هذا يا أخى ؟ قال : أنا والله قلته على لسان رَوْضَةَ قينةِ ذى رُعَيْن ، [١٤٣ ا] فقالوا له : زِدْنا ، وما استزادُوا غيره ، فقال :

سَفَرَتْ عن مثلِ قَرْ نِ الشَّمْسِ فى اللَّيلِ البَهِيمِ

فى جَوارٍ قد سَلَبْنَ اللَّحْ ظَ أطلاءَ الصَّرِيمِ(٥)

---

(١) الجران : باطن العنق من البعيرة وغيره ، ويقـــال : القى عليـــه جرانه ، أى ثقله ، وضرب الاسلام بجرانه ، أى ثبت واستقر .
وصاحة : هضاب حمر لباهلة ، بجنب عقيق المدينة ، وهى احد اوديتها ، والعران : موضع قرب اليمامة من ديار باهلة عند ذى طلوح

(٢) الخلل : منفرج مابين الشيئين .

(٣) الآرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض ، ويقال أيضا لولد الظبى ، والرهين : اسم موضع فيما يبدو ، ولم اجـده فى كتب البلدان .

(٤) ذورعين : من ملوك حمير .

(٥) الأطلاء : جمع الطلا ــ بفتح الطاء ــ :ولد الظبية ، والصريم : القطعـة من معظـم الرمل .

ثم قالوا لآخر : قم يا دَلْهَمُ ، ففعلَ كفِعْل أصحابِه ، ثم تَغَنَّى :

طَيْفٌ تأوَّبَ من سُعاد حتى اجْتَنَى ثمرَ الفؤاد
ولَبِئْسَمَا متبـــــدَّلٌ طيفُ السّهادِ من الرُّقاد

فقلتُ : من يَقُول هذا يا أخي ؟ قال : أنا والله قلتُه على لسانِ نِظام قَيْنةِ ياسِرِ المُنْعِمِ .

ثم قالوا : قُم يا مَلْدَمْ ، فقام فَفَعَل كفعل أصحابه ، ثم تَغَنَّى :

نَذَرَتْ حُمَاتُكِ يا أُما م دَمِي . . ودونَ مَرَامِه[1]
دَهْمٌ تُفَضُّ جماجِمُ الـ أقوامِ تحت قَتامِه[2]
إن يَحْجُبُوكِ تزرْهُ طَيْـ ـفُكِ طارِقاتُ مَنَامِه[3]

فاستَخَفَّهم الطربُ ، فقاموا يُصارِعُ بعضهم بعضا ، ثم عادوا إلى مَجَالِسِهم ، [١٤٣ب] /ثم قالوا : قم يا عِزْقالُ ، قال : فقام ، ففعل كفعلِ أصحابه . ثم تغنّى :

ضَنَّتْ برَجْعِ سلامها هِنْدُ أهُوَ الدلالُ بها أم الصَّدُّ ؟ !
إن لم يكن نَيْلٌ أعيشُ به فالوَعْدُ ، ليس يَئُودُكِ الوَعْدُ[4]

قال : فقام القوم ، فجعل الرجلُ منهم يثِبُ فيجعلُ قَدَميه على مَنْكِبَيْ صاحِبِه ، ويثب الثّاني على الآخر . هكذا حتى يَصِيرُوا كالنَّخْلَة السَّحُوقِ[5] ، ثم يسقطُ بعضُهم على بعض وهم يتضاحكون ، ثم قالوا : قم يا عُفَيْر ، فقام . ففعل كفعل أصحابِه ، ثم تغنّى :

سُقِيَتْ أيافثُ من بلادِ صَوْبَ الرّوائِحِ والغَوادِي

---

(١) اراد بقوله نذرت حماتك دمي : انهم وعدوه وأنذروه بالقتل .

(٢) الدهم : العدد الكثير . ويقال : جيش دهـم . أي كثير ، وكنى بفض الجمـاجم عن القتل ، والقتام : الغبار .

(٣) طارقات : نائب الفاعل لتزره . وعنى بطارقات المنام : الأحلام والرؤى .

(٤) يقال : آده الشيء ، اذا أثقله وأجهده .

(٥) السحوق : الطويلة ، وقال الأصمعي : اذا طالت النخلة ، مع انجراد فهي سحوق ، وقال شمر : هي الجرداء الطويلة التي لا كرب لها .

كمْ قَد تَرَوَّتْ هامَتى فيها وغُولَ من وسادِى[1]
دَعْنِى لسُبْلِ غَوَايَتِى والزَمْ سبيلَك للرّشادِ

ثم قالوا : قم يا مِعْتَر ، فقام ففعل كفعل أصحابه ، ثم تغنى :

إن المُدَامَةَ [2] غادَرَتْ ثَوْبَىّ قد ثَقُلا عَلَيّا
فأُصِبْ بمائِكَ قلْبَهَا وابْعَثْ بمهْجَتِها إليّا
واخْى اللّذاذَةَ بالمُدا م وشُرْبِها ما دُمْتَ حَيّا

ثم قالوا : عِمْ ظَلاَمًا[3] . فما رأينا إنسيًّا أَصْلَبَ قَلْبًا منك . وغابوا ، فنِمْتُ ، فما أيقَظَنِى إلا حَرُّ الشمس ، فقلت : والله لقد تلا عبت بى الجنّانُ[4] فى ليلتى هذه ، وآلَيْتُ على نفسى لا سِرْتُ بعدها مَسِيرًا إلا فى رُفْقَة .

---

(١) الهامة : الرأس ، وقيل : وسط الرأس ومعظمه ٠ ولم يتضح لى مراده فى الشطر الثانى

(٢) المدامة والمدام : الخمر

(٣) عم صباحا : كلمة تحية كانت تقال فى الجاهلية ، وتحية الجن فيما زعموا عم ظلاما ، ومنه قول شمر بن الحارث الضبى أو جذع بن سنان الغسانى ٠ وأنشده النحاة فى باب الحكاية :

أَتَوْا نارِى فقُلْتُ : مَنُون أَنْتُمْ فقالُوا الجِنُّ ، قُلْتُ : عِمُوا ظَلاَمَا

(٤) الجنان : جمع الجان من الجن ، مثل حائط وحيطان ، قال الخطفى (جد جرير) : يصف ابلا :

يَرْفَعْنَ باللَّيْلِ إذا ما أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وهامًا رُجَّفَا

وفى حديث زيد بن مقبل : « جنان الجبال » اى الذين يأمرون بالفساد من شياطين الانس او من الجن .

فصــل آخر فى ذكــر البـــلاد

عن الأَصْمَعِىّ ، قال : مررت بحِمَى الرَّبَذَةِ[(١)] ، وإذا صِبْيانٌ يتقامَسُون[(٢)] فى الماء ، وشابٌ مليحُ الوجه ، مُلَوَّح الجسمِ ، قاعِدٌ فسلَّمتُ عليه ، فردَّ السلامَ ، وقال : من أين وَضَحَ[(٣)] الراكبُ ؟ قلت : من الحِمَى ، قال : ومتى عَهْدُك بها ؟ قلت : رائحا ، قال : فأين كان مبيتُك منها ؟ فقلت : بأَدْنى هذه المشاقر[(٤)] (يعنى نبات العَرْفَج) ـ فألْقى نفسه على ظهرهِ ، وتنَفَّس الصُّعَداء ، فقلت : تَفَسَّأ (أى تشقق) حجابُ قلبه ، ثم أنشأ يقول :

سَقَى بلدًا أمست سُليْمَى تَحُلُّه ... من المُزْنِ ما يُرْوِى به ويُسِيمُ[(٥)]

وإن لم أكنْ من ساكِنِيهِ[(٦)] فإنّه ... يَحُلُّ به شخصٌ علىَّ كريمُ

ألا حبَّذا من ليْس يَعْدِل قُرْبَه ... لدىّ ـ وإن شطَّ المزارُ ـ نعيمُ

ومن لامَنى فيه حَمِيمٌ[(٧)] وصاحب ... فرُدَّ بيأس صاحبٌ وحَمِيمُ

---

(١) الربذة : من قرى المدينـــة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيدتريد مكة .

(٢) يقال : قمس فى الماء ، اذا انغط فيه ثم ارتفع ، وقد اورد الانطاكى هذا الخبر فى تزيين الأسواق ١ / ١١٢ وعبارته « يتغاطسون » وفى روايته بعض اختلاف ، وأورده كذلك القالى فى الأمالى ١/٣٨ بروايته عن الأصمعى .

(٣) يقال : وضح الراكب ، اذا بدا وطلع ، والمراد هنا من اين اقبلت .

(٤) فى الأصل المشـــافرة (بالفاء) وهو وهم ، والصـــواب بالقاف ، كما فى الامالى ، والقاموس واللسان (شقر) ولفظه : المشاقر : منابت العرفج واحدثها مشقرة ، قال بعض العرب لراكب ورد عليه : من اين وضح الراكب ؟ قال : من الحمى .. » وساق بعض هذا الخبر .

(٥) يقال سام الابل فى المراعى ، اذا خلاها ترعى ، يدعو لديارها بالسقيا حتى تكثر مرعاها فتلزمها السائمة .

ورواية الأمالى : (من المُزْنِ ما تُرْوِي به وتُسِيمُ)

والبيت الأول والثانى هنا أوردهما المصنف فى لباب الآداب / ٤١٤

(٦) فى تزيين الأسواق (قاطنية) .

(٧) فى تزيين الأسواق « حبيب » وما هنا يوافق رواية الامالى ، وهو أجود .

ثم سَكتَ سَكْتةً كالمُغْمَى عليه ، فصِحْت بالأَصْبِيَة[1] ، فأتَوْا بماء ، فصَبَبْتهُ على وجهه فأفاق ، وأنشأ يقول :

[١٤٤ب]

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُضوعِي وأنْفاسِي تَزَيَّنُ بالخُشوعِ

ولى عينٌ أضرَّ بها التفاتِي إلى الأَجراع[2] مُطْلقةُ الدُّموعِ

إلى الخَلَوَات تأْنَسُ فيكِ نَفْسِي[3] كما أَنِسَ الوحيدُ إلى الجَميعِ

فقلت له : أَلا أَنزل فأُساعِدَك ، أَو أَكُرُّ عوْدِي على بَدْئِي فى حاجة إن كانت لك ، أَو رسالة ؟ قال : جُزِيت خيرا ، وصَحِبَتك السلامةُ ، امض لطِيَّتِك[4] ، فلو علمت أنك تُغْنِي عنى شيئا لكنتَ موضعَ الرَّغْبَة ، وحقيقا بإسعافِ المسألةِ ، ولكنك أدركتنى فى صُبابَة[5] من الحياة قال : فانصرفت ، ولا أُراه أَمسى إلا مَيِّتًا .

وقال نَبْهانُ بن علىٍّ العَبْشَمِىّ :

يَقَرُّ بعينِيَ أن أرَى من بِلادِها ذرَى عُقَدَاتِ الأَبْرَقِ المُتقاوِد[6]

وأَن أَرِدَ الماءَ الذى وَرَدَتْ به سُلَيْمى وقد مَلّ السُّرَى كلُّ واخِدِ[7]

---

(١) كذا في الأصـل ومثله في الأمالى ، وهو قياس لم يسمع ، وفي اللسان (صبى) وجمع الصبى : أصبية ، وصبوة ، وصبية وصبية (بفتح فسكون) وصبوان (بضم الصاد) وصبيان . وفيه أيضا عن ابن سـيده ، والصبى : الغلام ، والجمع صبية (بكسر فسكون) وصبيان وهو من الواو ، ولم يقولوا : أصبية استغناء بصبية، كما لم يقولوا : أغلمة ، استغناء بغلمه (بكسر فسكون) .

(٢) فى تزيين الأسـواق « الأجزاع » وهو جمع جزع ، وهو منعطف الوادى ، وما هنـا يوافق رواية الأمالى (١/ ٣٩)

(٣) فى تزيين الأسواق

« يأْنَسُ فيك قلبي كما أنس الغريب .. »

وما هنا يوافق الأمالى

(٤) الطية : الجهة أو الناحية البعيدة ، والطية ايضا : الجهة والحاجة .

(٥) الصبابة : البقية القليـلة من الماء ، ونحوه ، استعمله مع الحياة مجازا .

(٦) الذرى ـ بضم الذال ـ جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعـلاه ، وبفتح الذال : ما استتر به من شجر ونحوه ، ويقال أيضا للظل وهو الأنسب هنا ، والعقدات : جمع عقده بفتح العين والقـاف ، وهى من الشجر ما اجتمع وثبت أصله ، والأبرق : حجارة ورمل مختلطة ، والمتقاود : المنقاد المستطيل على وجه الأرض .

(٧) الواخد : وصف من وخد البعير يخد ، اذا أسرع ووسع الخطو .

وألصِقَ أحشائِى ببَرْدِ تُرابِه ولو كانَ مَخلوطًا بسُمِّ الأَساوِدِ(١)

وقال آخر :

يَقَرُّ بَعَيْنِى أن أرى مِنْ بلادِها دِماجًا ، وأن تبدو لعينى الأَجادَعُ(٢)

[١٤٥ ا] بلادًا حماها الخوْفُ عنى والعِدى وحربُ ذوِى القُرْبَى ، فما أنا صانِعُ ؟!

وقال عبد الله بن الدُّمَيْنة الخثْعَمِى(٣) :

أفى كلِّ يوم أنت رامٍ بلادَها بعيْنَيْنِ إنْساناهُما غَرِقانِ ؟ !

إذا اغْرَوْرَقتْ(٤) عيناى قال صَحابتِى لقد أُولِعَتْ عيناك بالهَمَلانِ(٥)

عن حَفْصِ بن الأَزْوع قال : رأيتُ صَبِيَّةً فى بلادِ طيِّء ، فقلت لها : أىُّ البلادِ أَحَبُّ إليك ؟ فقالت(٦) :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ مابين مَنْعِجٍ إلَىَّ ، وسَلْمَى ، أن يَصُوبَ سَحابُها(٧)

---

(١) الاساود : جمع الأسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سواد .

(٢) فى معجم البلدان : الدماج – بكسر الدال وآخره جيم – قال العمرانى موضع ذكره الحطيئة ، فيه نظر . ودماح – بضم الدال وآخره حاء مهملة : موضع فى شعر جرير . والدماخ – بكسر الدال وآخره خاء معجمة جبل من جبال ضخام فى حمى ضرية – والأجارع : جمع الاجرع ، وهو الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة ، وقيل الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها .

(٣) البيت الأول فى الأغانى ١٥٧/٢٠ . وفى ذيل الأمالى : ١٦٠ وتزيين الأسواق ٧٤/١ من القصيدة المنسوبة الى عروة بن حزام صاحب عفراء ، والتى مطلعها :

خَلِيلَىَّ من عَلْيَا هِلالِ بنِ عَامِرٍ بِصَنْعَاء عُوجَا اليومَ وانْتَظِرانى

ولم يرد البيت الثانى فى القصيدة . وفى تزيين الأسواق ٩٤/١ ورد البيتان فى قصيدة منسوبة الى كعب بن مالك المعروف بالمخبل القيسى ، وانظر أيضا تعقيب الميمنى على هذه القصيدة فى سمط اللآلى (٧٣/٣ و ٧٤) وهما أيضا فى الزهرة / ٢٩٦ منسوبان الى ابن الدمينة

(٤) فى تزيين الأسواق « اذا ذرفت ... » وما هنا يوافق الزهرة

(٥) يقال : هملت العين هملا وهملانا وهمولا ، اذا سال دمعها ، وبعد هذا البيت فى الزهرة :

أَلَا فاحْمِلانى بارَكَ اللهُ فِيكُما إلَى ظاهِرِ الرَّوْحَاء ثُمَّ ذَرانى

(٦) البيتان فى معجم البلدان ومعجم ما استعجم (منعج) ، ونسبهما البكرى وياقوت فيهما لامرأة من طيىء ، ونسبهما الشريشى فى شرح المقامات ٢٢٩/١ لرفاعة بن عاصم القيسى ، وفى اللسان (عقق) من غير عزو ، وفى (نوط) نسب البيت الثانى الى رقاع بن قيس الأسدى .

(٧) منعج : بفتح الميم وسكون النون وكسر العين – وروى بفتحها – : واد يأخذ بين حفر أبى موسى والنباج ، ويدفع فى بطن فلج . وسلمى : أحد جبلى طيىء ، والثانى أجأ .

بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تَمائِمِي　　وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها[1]

وقال التِّهامى[2] :

إذا اشتدَّ شوقى قلت قولَ مُتيَّمٍ　　ليوم النَّوَى فى القلْبِ منه كُلُومُ :

فإن تكن الأيامُ فرَّقْن بيننا　　فَمَنْ ذا الذى من رَيْبِهِنَّ سَلِيمُ ؟

وأنشدت شِعْرًا قاله ذو صَبابَة　　كئيبٌ شجَتْه أرْبُعٌ ورُسومُ

« سَقَى بلدًا أمست سُلَيْمَى تحُلُّه　　من المُزْنِ ما يُرْوِى به ويُسِيمُ[3]

وإن لم أكن من ساكِنيهِ فإنَّه　　يَحُلّ بهِ شخْصٌ على كريمٌ »

[١٤٥ ب]

وقال قَيْسَ بن ذَرِيح[4] :

وما من حبيبٍ آمِنٍ[5] لحبيبه　　ولا ذِى هَوًى إلا له الدهرُ فاجِعُ

كأنَّ بلادَ اللهِ مالم تكنْ بها　　- وإن كان فيها الخلق - قفرٌ بلاقِعُ

وما كلُّ مامَنَّتْك نفسُك خاليًا　　تلاقِى ، ولا كلُّ الهوى أنت تابِعُ

ولولا رجاءُ القلبِ أن تُسْعِفَ النوى[6]　　لما حملتْهُ بينهنَّ الأضالِعُ[7]

أُقَضِّى نهارِى بالحَدِيث وبالمُنَى　　ويجمَعُنِى والهمَّ[8] والليلَ جامِعُ

---

(١) نيطت : علقت ، والتمائم : جمع تميمةوهى ما يعلق فى عنق الصبى لدفع العين .

(٢) لم أجد هذه الأبيات فى ديوان التهامى (ط الأهرام سنة ١٨٩٣ م)

(٣) هذا البيت والذى يليه ضمنهما التهامى ، وهما فى شعر تقدم خبره فى ص ١٤٤ !

(٤) الأبيات من قصيدة طويلة لقيس بن ذريح ، اورد الأغانى مختارات منها (ج ٨/ ١٣٠ - ١٣٢) وقد وردت فى الأمالى (٢/٣١٨-٣٢١) وأورد القصيدة جامع ديوانه / ١٠٠ - ١٠٩ ومطلعها :

عَفَا سَرِفٌ مِنْ أهْلِهِ فَسُرَاوِعُ　　فَجَنْبَا أرِيكٍ فالتِّلاعُ الدّوافِعُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الأمالىالأبيات (٧ و٤٩ و٤٥ و٣٦ و ٣٩)

(٥) فى الأمالى « وامق »

(٦) فى الأغانى « أن تسعر النوى » وفىالأمالى « أن تعطف النوى » ومثله فى الديوان

(٧) فى الأمالى « لما حملته » وفى الأغانى« لما حبسته »

(٨) كذا فى الأصل ، وفى الأمالى

« وَيَجْمَعُنِى بالليلِ والهَمَّ جامِعُ »

وفى معاهد التنصيص\٨٢ ورد هذاالبيت مع بيتين آخرين ، منسوبة الى ابن الدمينة ثم قال : « وهى من قصيدة طويلة ،يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى ؛ لأنها توافقها فى الوزن والقافية »

وقال القاضِي أبو الفرَجِ سَلامةُ بنُ بَحْرٍ ، وتروى للقاضى النعْمَانِ المِصْرِىّ :

نوْحُ حمامٍ بيَثْرِبٍ غَرِدِ   هيَّج شوْقِى ، وزادَ فى كَمَدِى

واكَبِدِى من فراقِهم ، وكذا   من ذاق ماذقْت صاح : واكَبِدِى !

فارَقْتُ إلْفِىَ فصار فى بلدٍ   بالرّغْمِ منى ، وصِرْتُ فى بلدِ

وقال آخر[1] :

وأنتِ التى حَبَّبْت شغْبًا[2] إلى بَدَا   إلىّ وأوطانِى بلادٌ سِواهُما

حلَلْتِ بهذا مرّةً ثم مَرَّةً[3]   بهذا ، فطابَ الوادِيانِ كلاهما

(١) اوردهما ياقوت فى معجم البلدان فى(بدا) من غير عزو ، والبيت الأولنسبه البكرى فى معجم ما استعجم فى رسم (بدا) الى كثير ، وفى معجم البلدان فى (شغبى) أورد ياقوت اربعة ابيات هذان البيتان يقابلان الأولوالرابع منها ، ونسبها الى كثير ، وهى فى ديوانه المجموع (ط الجزائر)

(٢) كذا فى الأصل ، ومثله فى معجم مااستعجم ومعجم البلدان فى (بدا) وفيه فى (شغبى) أورده مقصورا ، وشغب : موضعمختلف فى تحديده ، قيل : ضيعه خلف وادى القرى ، وقيل : منهل بين طريق مصر والشام .

وشغبى : موضع فى ديار بنى عذرة ، قيل : قرية بها منبر وسوق ، وبدا : واد قرب ايله على ساحل البحر ، وقيل بوادى القرى ،وقيل : بوادى عذره قرب الشام . وفى المقصور والممدود /١٦ « بدا : اسم موضع ،مقصور يكتب بالالف » ثم أورد البيت من غير عزو .

(٣) فى معجم البلدان « .. حلة ثم حلة.. »

١٤ ـ فصل في ذكر الدار

[١٤٦ أ]

روى عن يَزِيدَ بنِ الأَصَمّ أن الأنصار ـ رضى الله عنهم[١] ـ قالوا : «يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا منْ المهاجرين ـ رضى الله عنهم ـ الأرض نِصْفَيْنِ . قال صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكنكم تَكْفُونهم المَئونَةَ ، وتقاسِمُونهم الثَّمَرة ، والأَرْضُ أَرْضُكم ، قالوا : رضِينا ، فانزل الله ـ عز وجل ـ : « والَّذِينَ تَبوَّءُوا الدَّارَ والإيمانَ مِن قَبلِهِمْ يُحِبُّون من هَاجرَ إليْهِمْ ، ولا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِم حاجَةً مما أُوتوا ، ويُؤْثِرون على أَنْفسِهم ولوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[٢] » .

وقوله تبارك وتعالى : « لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ ربِّهِمْ[٣] » هى الجنَّة ، وفى تسميتها دارَ السَّلامِ وجهان :

أحدُهما : لأنها دارُ السَّلامةِ الدَّائمة من كل آفةٍ .

والثانى : السَّلامُ هو الله سبحانه ، والجَنَّة دارُه .

وفى قوله تعالى : عِنْدَ رَبِّهِمْ » وجهان :

أحدهما : يعنى أن دارَ السلام عند ربهم فى الآخرة / ؛ لأنها أخصُّ به .

[١٤٦ب]

والثانى : معناه أنَّ لهم عند ربهم أن يُنْزِلَهُمْ دارَ السلام .

---

* قال المجد : « الدار : المحل يجمع البناء والعرصة ، كالدارة ، وقد تذكر ، والجمع أدؤر ، أدور ، وآدر ، وديار ، وديارة ، وديران ، ودوران ، ودورات ، وديارات ، وادوار ، وادورة ، والدار أيضا : البلد » . وفى اللسان عن الأزهرى : « وأما الدار فاسم جامع للعرصة والبناء والمحلة ، وكل موضع حل به قوم فهو دارهم ، والدنيا دار الفناء ، والآخرة دار القرار .. » وفيه أيضا عن الجوهرى : « الدار مؤنثة ، وانما قال تعالى : « ولنِعْمَ دارُ المُتَّقِينَ » فذكر على معنى المثوى والموضع .. والدارة خص .. » .

(١) لفظه فى البخارى (٣/١٠٤) « قالت الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المئونة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا : سمعنا واطعنا » وانظر أيضا صحيح مسلم فى المساقاة ، والجهاد .

(٢) سورة الحشر /٩

(٣) سورة الأنعام /١٢٧

وكذلك جاء فى قوله تعالى : « واللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلام [1] » .

وقوله عز وجل : « ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ، ولنِعْمَ دارُ المُتَّقِينَ [2] » قيل فيه : إن الآخرة خيرٌ من الدّنيا ؛ لفناء الدنيا وبقاءِ الآخرةِ » .

(وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) قال الحسن - رضى الله عنه - : نعم دارُ المُتَّقِينَ الدّنْيا ، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثوابَ الآخرة ، ودخولَ الجنة .

وقوله تبارك وتعالى : إخبارًا عن قارون - : « فَخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الأَرْضَ [3] » قال ابنُ عبّاس - رضى الله عنه - : شكا مُوسى - عليه السّلام - إلى اللهِ - عزَّ وجَلَّ - قارون ، فأمر الله تعالى الأَرض أن تُطِيعَ موسى ، فلما أَقْبَل قارونُ وشيعتُه ، قال موسى : يا أَرْضُ خذِيهم ، فأَخذتْهم إلى أَعْقابِهم ، ثم قال : خُذِيهم ، فأَخذتْهم إلى أَوْساطِهم ، ثم قال : خذيهم ، فأَخَذَتْهم إلى أَعْناقِهِم ، ثم قال خذيهم ، فخُسِف بهم ، وبدارِ قارون وكنوزِه .

[١٤٧ أ] وروى يزيد الرَّقاشِيّ - رحمه الله - أن قارون لما أَخَذَتْهُ الأَرض إلى عُنُقِهِ أخذ موسى - عليه السلام - نعْلَيْه ، فخفقَ بهما وجْهَه ، فقال قارون : يا موسى ارْحَمْنى ، فقال الله تعالى : يا موسى ما أشدَّ قلْبك ! دعاك عبْدِى واسترحَمك فلم ترْحَمْه ، وعِزَّتِى لو دَعانِى لأَجَبْته [4] .

وروى سَمُرَة بنُ جُنْدَب [5] أنه يُخْسَف بقارونَ وقومِهِ فى كلِّ يومٍ قدرَ قامَةٍ ، لا يبلغ الأَرضَ السُّفْلَى إلى يومِ القيامة .

وقال مُقاتِل : لما أَمَرَ موسى عليه السلام الأَرض فابتلعتْ قارُون ، قال بنو إسرائيل : إنَّما أَهلَكَه لِيَرِثَ ماله ؛ لأنه كان ابن عمٍّ موسى أخى أَبيه ، فخسف الله تعالى بداره وجميع أموالِه بعد ثلاثة أيام .

---

(١) سورة يونس / ٢٥

(٢) سورة النحل / ٣٠

(٣) سورة القصص / ٨١

(٤) انظر مجمع البيان فى تفسير الآية فقد أورد الخبر خلوا من القول بأن موسى أخذ نعليه فخفق بهما وجه قارون

(٥) سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، من بنى شمخ بن فزاره ، صحابى ، استخلفه زياد بن معاوية على البصرة ، وكان قاسيا ، توفى سنة ٥٩ هـ وقيل سنة ٦٠

وقوله عزَّ وجلَّ : « الَّذِى أَحَلَّنا دارَ المُقامَةِ من فَضْلِهِ[1] » أى دار الإقامةِ ، وهى الجَنَّة ، وفى الفرق بين المُقامة بالضَّم والفتح وجهان :

أحدهما : أنها بالضمِّ : دار الإقامة ، وبالفتح : مَوْضِع الإقامة .

الثانى : أنها بالضم : المَجْلِس الذى يُجْتمَعُ فيه للطَّعام ، وبالفتح المجلس الذى يجتمع فيه للحديث .

وقوله تعالى : « والَّذِين تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإِيمانَ مِنْ قبْلِهِمْ[2] » هم الأَنصار رضى الله عنهم / الذين استوْطنوا المدينة قبل المُهاجرين إليها ، قيل : إنهم تبَوَّءُوا الدار من قبلهم ، [١٤٧ ب] والإيمان من بَعْدِهِم ، وقيل : تبوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قبلِ الهجرةِ إليهم . « يُحِبُّون من هاجَرَ إليهم » بمواساتهم بأموالِهِم ومساكِنِهِم .

« ولا يَجِدُون فى صُدورهم حاجَةً مما أُوتوا » أى حسدًا مما خصُّوا به من مال الفَىْءِ[3] .

« ويُؤثِرُون على أَنْفسِهِمْ ولو كان بهم خَصاصَةٌ » يعنى أنهم يفضِّلونهم ويقدِّمُونَهُمْ على أَنْفسِهم ولو كانت بهم فاقةٌ وحاجة ، وفى إيثارِهم قولان :

أحدهما : أنهم آثرُوهم على أَنْفُسِهم بما حصل من فىء وغنيمة حتى قُسِمَتْ فى المهاجرين دُونهم ، وروى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قسم للمهاجرين ما أَفاءَ الله تعالى من النَّضِير – وقيل من قُرَيْظَة – من أموالهم ، فقالت الأَنصارُ – رضى الله عنهم – : بل نقْسِمُ لهم من أموالِنا ، ونُؤثِرُهم بالفَىْءِ ، فأَنزل الله عز وجل هذه الآية [4].

القول الثانى : أَنَّهم آثروا المُهاجرين – رضى الله عنهم – بأَموالهم ، وواسُوهم بها ، روى

---

(١) سورة فاطر / ٣٥

(٢) سورة الحشر / ٩

(٣) الفىء : الغنيمة ، وفى مجمع البيان قال الطبرسى عند تفسير الآية « .. وما أفاء الله على رسوله منهم » : الفىء : رد ماكان للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ما شرط فيه يقال : فاء يفىء فيئا ، اذا رجع ، وافاته انا عليه ، أى رددته عليه »

(٤) هذا قول من اقوال فى سبب النزول ، وفى البخارى ١٤٨/٦ (ط بولاق) عن أبى هريرة : « اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اطعمنى فانى جائع .. الخ الحديث » واورد الطبرسى اقوالا اخرى فى سبب النزول فى (مجمع البيان ٢٦٠/٥)

[١٤٨ ا] ابن زيد أن النبي ـ صلى الله عليه / وسلم ـ قال للأنصار : إن إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ ، وخرجُوا إليكم ، فقالوا : أموالُنا بينهم قطائعُ ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أوَ غيْر ذلك ؟ فقالوا : وما ذاك يا رسولَ الله ؟ قال : هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونَهُم وتقاسِمُونَهم التَّمْرَ ؟ يعني مما صار لهم من نَخْلِ بني النَّضير ، فقالوا : نعم يا رسول الله .

« وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » قيل : الشُّحُّ[١] بما في أيدى الناس يُحِبّ أن يكون له ، وقيل : مَنْعُ الزَّكاةِ ، وقيل : هَوَى النفس ، وقيل : اكتِسابُ الحرام .

روى الأسودُ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه[٢] ـ أنَّ رجلًا أتاهُ ، فقال : إني أخاف أن أكون قد هَلَكْت ، قال : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله ـ عز وجل ـ يقول : « ومن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئِكَ هُم المُفْلِحُونَ » وأنا رجلٌ شحِيحٌ ، لا أكاد أُخرِجُ من يدى شَيْئًا ، فقال ابنُ مسعود ـ رحمه الله ـ ليس ذلك بالشُّحِّ الذى ذكره الله تعالى فى القرآن ، إنما الشُّحُّ الذى ذكره الله تعالى فى القرآن

[١٤٨ب] أنْ تأْكلَ مالَ أخيك ظلْمًا[٣] ، ولكنَّ ذلك البُخْل / وبِئْس الشيءُ البخل » .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ـ : « يا عَجَبًا كل العَجَبِ من المُصَدِّقِ بدارِ الخلودِ وهو يَعْمَل لدارِ الغُرُورِ » .

عن أبي الدَّرْداء ـ رضي الله عنه ـ قال : خَطَبَنَا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم جُمُعَة ، فقال :[٤] « أيُّهَا النَّاس توبُوا قبل أن تَمُوتوا ، وبادِرُوا الأعمالَ الصالحةَ قبلَ أن تُشْغَلوا ، وصِلوا الذى بينكم وبين ربِّكم تَسْعَدُوا ، وأَكثِرُوا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا ، وَأمُروا بالمعروفِ تُخْصِبُوا ، وانْهَوْا

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى مجمع البيان ـ فى تفسير الآية ـ « الشح والبخل واحد ، وقيل ان الشح بخل مع حرص » وفى اللسان : الشح : حرص النفس على ما ملكت ، وبخلها به ، وفيه أيضا عن ابن مسعود : الشح : منع الزكاة ، وادخال الحرام »

(٢) قال الطبرى فى تفسير هذه الآية : حدثنا المسعودى عن أشعث عن أبى الشعثاء عن أبيه قال : أتى رجل ابن مسعود فقال : انى أخاف ان اكون هلكت ... » وساق الحديث

(٣) فى اللسان عنه « أن تأكل مال أخيك بغير حقه » ومثله فى الطبرى فى تفسير الآية .

(٤) الحديث فى الفتح الكبير (٣٨٧/٣) مع اختلاف فى الرواية ، وانظر أيضا (ابن ماجة ـ اقامة / ٧٨)

عن المنكر تُنْصَرُوا ، أَيُّها الناس : إن أَكْيَسكم[1] أَكثرُكم للموتِ ذِكْرًا ، وأَحزمَكمْ أَكْثرُكم له استِعْدادًا ، أَلا وإن من علاماتِ العَقْلِ التَّجَافِى عن دارِ الغرورِ ، والإنابة إلى دار الخلودِ ، والتَّزَوُّدُ لسُكْنَى القبورِ ، والتَّأَهُّبُ ليوم النُّشور » .

[١٤٩ ا]

أنشد على بن محمد بن ثابت الكاتب :

الدَّارُ دارُ مَرازِئٍ ومصائِبِ ... وفجيعةٍ بأَحِبَّةٍ وحبائبِ[2]

ما يَنْقَضِى نَهَلٌ بفرْقَةِ صاحِبِ ... حتى أُعَلَّ بُفرْقَةٍ من صاحبِ[3]

وإذا مَضى الأُلَّاف عنكَ لطِيَّةٍ ... والمُؤْنِسُونَ ، فأَنتَ أَوَّلُ ذاهبِ[4]

خطب أميرُ المؤمنين علىُّ بنُ أَبى طالب - رضوان الله عليه - بالكوفَةِ ، فقال - فى كلامٍ له - : « سُبحانَك خالقًا مَعْبُودًا ، تُحْسِنُ بلاءَك فى خلقِك ، خلَقْتَ دارًا ، وجعلتَ مأْدُبَةً ومَطْعَمًا ومَشْرَبًا وأَزْواجًا وقصورا وخَدَمًا وعُيونًا وأَنهارًا ، ثم أَرسلت داعِيًا إلينا ، فلا الدَّاعِى أَجَبْنَا ، ولا فيما رغَّبْتَنا رَغِبْنا ، أَقْبَلْنا على جِيفَةٍ نأْكلُ منها ، قد زادَ بعضُنا على بعضٍ حِرْصًا عليها ، وافْتَضَحْنَا لما اصْطَلَحْنَا على حُبِّهَا ، عَمِيَتْ أَبصارُ صالِحِينا وفقَهائِنا فيها ولَهَا ، من فى قلبِه مَرَضٌ فهو يَنْظرُ بعينٍ غيرِ صَحِيحَةٍ ، ويسمع بأُذنٍ غير سميعة ، وقد ملكت الشَّهوات عَقْلَه ، وأَماتت الدنيا قلبَه ، وذَهَلَت عليها[5] نفسُه ، فهو عَبْدُها ، وعبدُ / من فى يديه منها شئٌ ، حيثُما زالَت [١٤٩ب] زالَ معها ، وحيثما أَقْبَلَتْ أقبلَ إليها ، ولا يعقِل ولا يسمَعُ ، ولا يَزْدَجِرُ من الله بزاجِرٍ ، ولا يتَّعِظ من الله بواعظ ، قد رأَى المأْخوذين على الغِرَّةِ ، حيث لا إقالَةَ[6] ولا رَجْعَة ، كيف فاجَأَتْهُمْ تلك الأُمورُ ، ونَزَلَ بهم ما كانوا يُوعَدُون ، وفارقوا الدُّورَ ، وصارُوا إلى القبور ، ولَقُوا دواهِىَ تلك الأُمور ، فإذا نَزَلَتْ بقلوبِهم حَسَرات أَنفسِهم اجتمعتْ عليهم خَصْلَتَان : حَسْرَةُ الفَوْتِ ،

---

(١) الاكيس : افعل التفضيل من الكيس ، وهو خلاف الحمق ، أى اعقلكم .

(٢) المرازىء : جمع مرزئة - بفتح الميم وكسر الزاى - وهى المصيبة .

(٣) النهل : الشرب الأول ، ويقال : اعله ، اذا سقاه ثانية ، أو تباعا .

(٤) الطية : الجهة أو الناحية البعيدة ، والنية ، والحاجة ، والمناسب هنا الأول .

(٥) كذا فى الأصل ، ولم اجد ذهل يتعدى بعلى ، وانما تعديته بعن .

(٦) اقالة البيع والعهد : فسخه ، واقالة العثرة والذنب : الصفح عنه والتجاوز .

وسَكْرَة الموْتِ ، تَفطَّرَتْ[1] لها قلوبُهم ، وتغَيَّرتْ ألوانُهم ، وتَرَدَّد فُواقُهم[2] ، وحَركوا لمَخْرَج أرواحِهم أَيْدِيَهُم وأَرجُلَهم ، فعرقت لذلك جباهُهم ، ثم ازداد الموت فيهم ، فحِيلَ بين أَحدِهم ومنطِقِه ، وإنه لبَيْنَ ظَهْرانَيْ[3] قومِهِ ، فَفَكَّرَ بعقلٍ بقِيَ له فيمَ فَنِيَ عمرُه؟ وفيم ذَهَبتْ أيامُه؟ .

عن الأَصمعي – رحمه الله – قال : حَجَجْت فنَزَلْت ضرِيةَ[4] في يوم الجمعة ، فإذا أعرابيٌّ قد كوَّرَ عمامَتَه ، وتنكَّبَ قوسَه ، فصَعَدَ المِنْبَر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على نَبيِّه / صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس . إن الدُّنيا دارُ مَمَرٍّ[5] ، والآخرة دارُ مَقَرٍّ ، فخذوا من دارِ[6] مَمَرِّكمْ لدارِ مَقَرِّكمْ ، ولا تهتِكوا أَستارَكمْ عند من لا تخفى عليه أَسرارُكم ، فإنه لن يستقبلَ أَحدٌ يومًا من عمره إلا بفِراقِ آخَرَ من أَجله ، وإنَّ أَمْسِ موعِظَةٌ ، واليومَ غنيمَةٌ ، وغدًا لايُدْرَى من أَهْله ، فاسْتَصْلِحُوا ما تُقْدِمُون عليه ، وأَفْنوا ما لا ترجعُون إليه ، واخْرُجُوا من الدنيا بقلوبِكم قبل أن تُخْرَج منها أَبدانُكم ، ففيها خُلِقْتم ، وإلى غيرها نُدِبْتُمْ ، وإنه لا قَوِيٌّ أَقْوَى من الخالق ، ولا ضعيف أَضعف من مَخْلوق ، ولا هَرَب من الله إلا إليه ، وكيف يهْربُ من يتقلَّبُ في يَدَىْ طالِبِه ؟ ! و « كلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموْتِ ، وإنما توَفَّوْنَ أُجُورَكمْ يومَ الْقِيامَةِ ، فَمَنْ زُحْزِحَ عن النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقد فازَ ، وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتاعُ الغُرورِ[7] » . [١٥٠ ا]

عن عيسى بن مريم صلى الله عليه ، أنه قال : « من ذَا الذى يَبْنِي على مَوْجِ البحرِ دارًا ؟ تلكمُ الدّنيا فلا تَتَّخِذوهَا قَرَارا » .

وعن وهب / بن مُنَبِّه – رحمه الله – قال : قال عيسى بن مرْيَم صلى الله عليه : يا دارُ تَخْرَبِين ، ويَفْنَى ساكِنُك ، ويا نفسُ اعملى تُرْزَقِى ، ويا جسدُ انْصَبْ تَسْتَرِحْ . [١٥٠ ب]

---

(١) تفطرت : تشققت وتصدعت

(٢) الفواق : بفتح الفاء وضمها – : مابين الحلبتين من الوقت ، كنى به عن تردد النفس عند الاحتضار

(٣) يقال : هو بين ظهريهم ، وظهرانيهم ، واظهرهم ، اى فى وسطهم

(٤) ضرية : قرية قديمة عامرة فى طريق مكة من البصرة من نجد ، وقد اورد ياقوت فى معجم البلدان هذا الخبر عن الأصمعى فى رسم (ضرية) مع اختلاف يسير ، ومثله فى الكامل (٧٨٢ ط ليبزج)

(٥) فى الكامل (ان الدنيا دار بلاغ) .

(٦) فى معجم البلدان « فخذوا من ممركم لمقركم » وفى الكامل « فخذوا من مفركم لمفركم »

(٧) سورة آل عمران / ١٨٥

قال رجلٌ للحَسَن البَصْرىّ ـ رضى الله عنه ـ يا أبا سعيد : إذا جُعْتُ ضَعُفْتُ ، وإذا شَبِعْتُ وَقَع علىّ البُهْرُ[1] ، فقال : يا ابن أخِى هذه الدارُ ليست توافِقُك ، فاطلبْ دارًا غيرَها .

عن صالحِ المُرِّى ـ رحمه الله ـ قال : لما غضب المَنصُور على المُوريانِىّ[2] ، وخَرَّبَ دارَه ، دخلت إليها يومًا أطوف فيها ، وأعتبِرُ ، فإذا أسْوَدُ قد خرج علىّ من بعض الحُجَرِ ، فقال لى : هذا سُخْط المَخْلوقِ ، فكيف بسُخْطِ الخالِقِ على المَخْلوقِ ؟ .

وعن الحَسَن البَصْرىّ ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : الدُّنْيَا دارُ عمل ، فمن صَحِبَها بالبُغْضِ لها ، والزَّهادةِ فيها ، والتَّهضُّم لها ، سعِدَ بها ، ونَفَعتْه صحبتُها ، ومن صحِبَها بالرَّغْبةِ فيها ، والمحبّة لها ، شَقِىَ بها ، وأجْحَفَتْ بحظِّه من الله تعالى ، ثم أسْلَمَتْه إلى مالا صبرَ له عليه من عذابِ الله وسخْطِه ، فأمْرُها صغير ، ومتاعُها قليل ، والفَنَاءُ عليها مكتوب ، واللهُ وَلِىّ / ميراثِها ، وأهلها [١٥١ ا] يتحوّلون إلى منازِلَ لا تَبْلَى ، ولا يُغَيِّرُها طول الزَّمن ، ولا العمرُ فيها يفنى فيَمُوتون ، ولا إن طالَ الثواءُ فيها يُخْرَجُون ، فاحذَرُوا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك المَوْطِن ، وأكثروا ذكر ذلك المُنْقَلَب .

نظر ابنُ مُطِيعٍ إلى دارِه ، فأعجبَه حُسنُها ، ثم بَكَى ، ثم قال : واللهِ لولا الموتُ لكنت بك مَسْرُورًا ، ولولا ما نصِيرُ إليهِ من ضيقِ القبورِ لقَرَّتْ بالدنيا أعْيُنُنا ، ثم بكى حتى ارتفع صوته .

روى الخطيبُ أبو بكر رحمه الله فى تاريخه بإسنادِه ، قال : قال يعقوبُ بن شَيْبَة : رأيتَ على باب دارٍ خَراب :

رُبتَ دارٍ بعْدَ عُمرانِها ... أضحَتْ خَرابًا ما بها آهلُ[3]
لم تَدْخُلِ البَهْجَةُ دارَ امرئٍ ... إلا وما يَهْدِمُها داخِلُ
ما يأْمَنُ الدنيا وأيامَها ... بعدى إلا أنْوَكٌ[4] جاهِلُ

---

(١) البهر : تتابع النفس من اعياء أو مرض .

(٢) هو ابو ايوب بن ابى سليمان بن ابىمجالد ، كان وزيرا للمنصور ، ثم قتله المنصور وخرب داره ،وهو منسوب الى موريان : قريةمن نواحى خوزستان .

(٣) الآهل : الأهل ، والساكن

(٤) الأنوك : الأحمق ، والعاجز ، والجاهل .

أما تَرَى العيشَ بها زائِلًا ؟ تبًّا لدُنْيَا عيشُها زائِلُ

والشعر لسَعِيدِ بن حميد الكاتب .

قال أبو زيد الرَّقِّيّ : قال أبو محمد الفُضَيْلُ بنُ عِياض – رضى الله عنه يا أبا يزيد اشترَيْت دارًا ؟ قلت : نعم ، قال : وأشهدْتَ شُهودًا ؟ قلتُ : نعم ، قال : فإنَّه واللهِ يأتيك من لا ينْظُرُ في كتابِك ، ولا يسألُ عن بيِّنَتِك ، فيُخْرِجك منها عُرْيانا مُجَرَّدًا / فانظر ألَّا تكونَ اشتريْتَ هذه الدار من غير مالك ، ووزَنْتَ فيها مالًا من غيرِ حِلِّه ، فإذًا أنت قد خَسِرْتَ الدنيا والآخرةِ .   [١٥١ ب]

عن مُعاويةَ بن أبي سُفيان رضى الله عنه أنه قال : سمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فى خطبة أَحَد العيدين – : « الدنيا دارُ بَلاء ، ومنزل قُلْعَة[٣] وعنَاء ، وقد نَزَعَتْ عنها نُفُوسُ السُّعَداء ، وانتُزِعَتْ بالكُرهِ من أيدى الأشْقِياء ، فأَسْعَدُ الناسِ بها أرغبُهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبُهم فيها ، هى الغَاشَّةُ لمن انتَصحها ، والمُغْوِيَةُ لِمَنْ أطاعَها ، والخاتِرةُ[٤] لمن انقاد لها ، فالفائزُ من أعْرضَ عنها ، والهالِكُ من هو راغب فيها ، طُوبَى لعبد اتَّقَى فيها ربه ، وناصحَ نفْسَه ، وقَدَّم توبتَه ، وأخَّر شهوتَه من قبل أن تَلفِظه الدنيا إلى الآخرة ، فيصبح فى بطنِ مُوحِشَة غَبْراء ، مُدْلَهِمَّةٍ ظلماء ، لا يستطيعُ أن يزيدَ فى حَسَنَةٍ ، ولا يَنْقُصَ من سيِّئةٍ ، ثم يُنْشَر فيُحْشَر ، إمّا إلى جنَّة يدومُ نعيمُها ، وإما إلى نار لا يَنْفَدُ عذابُها » .

[١٥٢ أ]   وعن ابن عمر – رضى الله عنه – أنه قال :[٥] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته :

/ « يا أيُّها الناسُ : إنَّ هذه الدارَ[٦] دارُ التِواء ، لا دارُ اسْتِواء ، ومنزلُ[٧] تَرَحٍ ، لا منزلُ

---

(١) هذا الحديث لم أجـــده فى الكتب الصحيحة ، وفى النهاية (قلع) : وفى حديث على : « احذروا الدنيا ، فانها منزل قلعة »

(٢) بلاء : امتحان واختبار

(٣) قلعة – بضم ففتح – بوزن همزة : أى تحول وارتحال ، وفى الحديث أيضا « بئس المال القلعة » فسر بالعارية ، لأنه غير ثابت فى يد المستعير ، ومنقلع الى مالكه ، كذا فى النهاية .

(٤) خاترة : غادرة خادعة .

(٥) هذا الحديث فى زهر الفردوس ، لابن حجر العسقلانى (ج٤ قسم ٢ ص٢٣٣ مصورة دار الكتب برقم ٢٠٩٩) اخرجه الديلمى ، ولفظه فيه : « عن ابن عمر ، رفعه : ياأيها الناس .. » وجملة « أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته » لم ترد فيه .

(٦) فى زهر الفردوس : « ان هذه الدنيا .. »

(٧) الترح : الحزن .

فَرح ، من[1] عرفها لم يَفْرحْ لرَخاء ، ولم يحْزَن لشقاء[2] ، ألا وإن الله عزَّ وجلَّ خلق الدنيا دارَ بَلْوى[3] ، والآخرة دار عُقْبى[4] ، فجعل بلْوَى الدنيا لِثَوابِ الآخرةِ سبباً[5] ، وثوابَ الآخرة من بَلْوَى الدنيا عِوَضًا ، فيأخذُ ليُعْطِيَ ، ويَبْتَلِي لِيجْزِيَ ، إنها لسريعةُ الذّهاب ، وشِيكَةُ[6] الانقلاب ، فاحْذَرُوا حلاوةَ رَضاعِها ، لمرارَةِ فِطامِها ، وانحزوا[7] لذيذ عَاجِلِها لكريهِ آجِلِها ، ولا تسْعَوْا فى عُمرانِ دارٍ قد قَضَى الله خَرَابَها ، ولا تُواصِلُوها وقد أَراد الله منكم اجْتِنَابها . فتكونوا لسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِين ، ولعُقُوبتِهِ مُسْتَوْجِبِين[8] » .

وقال الشاعر :

ألا إنَّما الدنيا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ	إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جفَّ جانِبُ[9]
فكم سَخِنَتْ بالأَمْسِ عينٌ قَرِيرَةٌ	وقرّتْ عيونٌ دمعُها أمسِ ساكِبُ[10]
هى الدّارُ ما الآمالُ إلا فجائعٌ	عليها وما اللّذاتُ إلا مَصائِبُ

وقال ابن المعتزّ[11] :

يا دارُ يا دارَ أطرابى وأَشْجَانِى	أَبْلَى جَدِيدَ مغانِيكِ الجديدانِ[12]

[١٥٢ب]

---

(١) فى زهر الفردوس : « فمن عرفها ».

(٢) فى زهر الفردوس « لسوء » .

(٣) بلوى : ابتلاء واختبار .

(٤) عقبى : عاقبه وجزاء ، وعقبى كل شىء : آخرته وخاتمته .

(٥) قوله : « سببا » لم ترد فى رواية الديلمى فى زهر الفردوس .

(٦) قوله « انها لسريعة الذهاب وشيكه الانقلاب » لم يرد فى رواية الحديث كما فى زهر الفردوس .

(٧) لم يتضح فى الأصل ، وفى زهر الفردوس رسم هكذا (اسحجروا) من غير اعجام ، ولم يظهر لنا المراد ، ولعله تحريف « واحتجزوا » وبه يستقيم المعنى والله أعلم .

(٨) فى الأصل كتب فوقه « مستحقين » وعليها علامة الصحة ، وهو لفظ روايته فى زهر الفردوس

(٩) يقال : غضر النبات غضارة : نعم وصار رطبا طريا ، والايكة : الشجر الكثير الملتف .

(١٠) سخنت العين : لم تقر ، ويقال : اسخن الله عينه ، اذا انزل به ما يبكيه .

(١١) الابيات فى ديوان ابن المعتز ١ / ٥٣ (ط القاهرة) وهى من اول القصيدة على الترتيب .

(١٢) الجديدان : الليل والنهار .

لئِنْ تَعَطَّلْتِ[1] من لَهْوِى ومن سَكَنِى ... لقد تأهَّلْتِ من بَثِّى وأشجانِى[2]
جادَتْكِ رائحةٌ فى إثْرِ غادِيَةٍ ... تروى ثَرَى منكِ أمْسَى غيرَ رَيّانِ[3]
حتى أرى النَّوْرَ فى مغناكِ مُبْتَسِماً ... كأنَّهُ حَدَقٌ فى غيرِ أجْفانِ

وقال محمود الورّاق :

فما أهلُ الحياةِ لنا بأهلٍ ... ولا دارُ الحياةِ لنا بدارِ
وما أولادُنا والأهلُ فيها ... ولا أموالُنا إلا عوارِى
وأنفُسُنا إلى أجَلٍ قريبٍ ... سَيأْخذها المُعيرُ من المُعَارِ

عن محمد بن الحسن بن عُبَيْدِ الله الكوفىّ ـ رحمه الله ـ قال : كتب إلىّ داود الفارسى ـ رحمه الله ، وكان عالما ناسكا ـ بهذه الألفاظ : يا أخى الدّنيا دارُ زَلَلٍ وزوال ، وتغيُّرِ حال بعد حَال ، ثم كتب آخر كتابه هذه الآبيات :

أفْرَطتَ فى العيشِ وتأميلِه ... وللمَنايا شِيَمٌ نُكُدُ
وإنما عيش الفتى ساعةٌ ... لا قبلَها منها ولا بَعْدُ
ما أوسَعَ الدّنيا على أهلِها ... لو لم يكن آخرَها اللَّحْدُ

وقال سابِقٌ البَرْبَرِىّ[4] :

[١٥٣ أ]

وللموتِ تَغْذو الوالداتُ سِخالَها ... كما لخرابِ الدور تُبنى المساكِنُ[5]
عَجِبْت من الدنيا وذَمِّى نعيمَها ... وحُبِّى لها فى مُضْمَرِ القلبِ باطِنُ
وقولى : أعِذْنِى ربِّ من كلِّ فِتْنَةٍ ... وأكْلَفُ منها بالذى هو فاتِنُ[6]

---

(١) فى الديوان (تخليت) مكان (تعطلت)
(٢) الديوان : « همى واحزانى » . والبث اشد الحزن ، لا يطيق صاحبه كتمانه فيبثه وينشره ، والأشجان : جمع شحن ، ومن معانيه الهم والحزن .
(٣) الديوان : « جاءتْكِ رائحَةٌ فى إثرِ باكِرَةٍ » وما هنا اجود ، وجادتك : امطرتك جودا ، وهو المطر الغزير ، والرائحة : مطرة العشى ، وتقابلها الغادية : مطرة الصباح .
(٤) لسابق فى شرح مقامات الحريرى للشريشى (١٧٦/١) ابيات من هذا البحر والروى
(٥) السخلة : الصغير من ولد الضأن والمعز ساعة يولد .
(٦) يقال : كلف الشىء ، وكلف به : احبه واولع به .

وقال البحترى[1] :

أَرُسومُ دارٍ أم سُطورُ كتابِ ... دَرَست بشاشَتُها مع الأَحْقابِ ؟

يَجْتاز زائرُها بغير لُبانَةٍ ... ويُرَد سائِلُها بغير جَواب

ولرُبّما كان الزّمان مُحَبَّبًا ... فينا بمن فيها من الأَحبابِ

وقال الكُمَيْت[2] :

مالىَ فى الدار بعدَ ساكنِها ... وإن[3] تذَكّرْتُ أهلَها أَرَبُ

لَا الدَّارُ ردَّت جوابَ سائِلِها ... ولا بكت أهلَها إذ[4] اغتربوا

وقال عدىّ بن الرّقاع العامِلى :

لمن الدارُ كأَنْضَاء الكِتابِ ... هاجَت الشوقَ وعيَّتْ بالجَوَابِ[5]

لم تَزِدْكَ الدارُ إلا طَرَبًا ... والصِّبى غيرُ شبيهٍ بالتّصابى

وبما قد كانَ فيها ساكِنٌ ... أهلُ أنعامٍ وخَيْلٍ وقِبابِ[6]

[١٥٣ب]

وقال أبو دُواد الإيادىّ[7] (واسمه جارية بن الحجاج) :

---

(١) هذه الأبيات تقدمت فى ص (١١٠٠)وسبق التعليق عليها ، وهى فى ديوان البحترى ١٦/١ (ط هندية) .

(٢) البيتان فى هاشميات الكميت /٧٤(ط لندن) من قصيدة مطلعها

أَنّى ومِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ ... مِنْ حَيْثُ لا صَبْوَةٌ ولا رِيَبُ

ويقابلهما من القصيدة البيتان ١٤ و ١٥ .

(٣) فى الهاشميات (ولو تذكرت)

(٤) فى الديوان (اذا اغتربوا) وفسر بقوله: « المعنى ولا اذا رحل عنها اهلها بكتهم ، كما يفعل المفارق ، يريد ان الوقوف على الديار باطل .

(٥) انضاء : الواحد نضو ، وهو من قولهم :ثوب نضو ، اى خلق على التشبيه .

(٦) الأنعام : جمع النعم ــ بفتح النـــون والعين ــ : قيل مختص بالابل ، أو تقال : للابل والغنم والبقر ، ولا يقال لها انعام حتى يكــون فى جملتها الابل ، والقباب : جمع قبه ، وهى من الخيام بيت صغير مستـــدير ، ومن البنـــاءمعروفة ، كنى بذلك عن غناهم وشرفهم .

(٧) لم اعثر على هذه الأبيات ، واوردالبكرى البيت الأول منها فى معجم ما استعجم فى رسم « خفاف » وضبط (تحل) بضم فكسر ، اى لم يات عليها حول .

قد عَرَفْتُ الدار قَفْرًا لم تُحَلّ ... بين أجيادِ خُفافٍ فالرِّحلْ(١)

ظَعنَ الحيُّ الأُلى كانوا بها ... وعفا رسْمٌ وأضحَى كالخِلَلْ

هيَّج الشوقَ الذى كان صَحا ... حَبْسُك اليومَ على ذاك الطَّلَلْ

وقال جَرير بن عطية(٢) :

أدارَ الجميعِ الصّالحين بذِى السِّدْرِ(٣) ... أبينِى لنا إنَّ التَّحيَّةَ عن عُفْرِ

لقد طَرَفَتْ فى الدارِ عينى دِمْنَةٌ ... تعاوَرها الأزمانُ بالرِّيحِ والقَطْرِ(٤)

فقلت لأدْنى صاحِبَىَّ وإننى ... لأكْتمُ وجْدًا فى الجوانِحِ كالجَمْرِ

بعُمْرِكُما لا تُعجلانِىَ موْقِفًا(٥) ... على الدّارِ فيه القَتْلُ أو راحةُ الدَّهْرِ

وقال أيضا(٦) :

ألا حَىِّ رَهْبَى ثم حىِّ المطاليا ... فقد كان مأنوسًا فأصْبحَ خاليا(٧)

---

(١) فى معجم ما استعجم «بَيْنَ أجْمادِ خُفافٍ فالرِّجَلْ» واجماد موضعان : أجماد دعاجة ،وهى دون المدينة وردت فى شعر ابن مقبل ، واجمادٌ(غير مضافة) ارض بناحية البصرة . والرجل : جمع رجلة ، وهى ثلاث : رجلة التيس ، ورجلة أحجاء ، ورجلة ابلى . وعلى روايه المصنف هنا ـ اجياد ـ : موضع من بطحاء مكة من منازل قريش ،وخفاف : من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية ، والرحل (بالحاء المهملة) لم اجده فى مظانه .

(٢) الابيات فى ديوانه / ٢٧٦ وهى من اول القصيدة كروايتها فى الديوان

(٣) ذو سدر ، ويقال : ذو سدير : قاع بين البصرة والكوفة ، كذا فى شرح القاموس ولم يحدده ياقوت فى معجم البلدان ، واورد فيه شعرا لأبى ذؤيب .

(٤) فى الديوان « طرقت » وما هنا احسن ، من قولهم : طرف عينه الحزن ، ويقال أيضا :طرف الشىء ، اذا نظره ـ وتعاورها الريح والقطر يعنى تداولتها الرياح والأمطار حتى طمست معالمها .

(٥) فى الديوان « لعَمْرُكُما لا تَعْجَلا ، إنَّ مَوْقِفًا » وهو من عجل ، وعلى رواية المصنف يكون من اعجله ، اذا استحثه على الاسراع ،والمعنى اما ان اموت او اسلو ؛ فهو راحة الدهر

(٦) الأبيات فى النقائض ١/٥٩ (ط مصر)واوردها ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (رهبا) وهى فى ديوانه /٦٠١ من قصيدة قالها للفرزدق ، وعاتب فيها جده الخطفى .

(٧) رهبى ـ كذا رسمه بالياء فى معجم ما استعجم ، وفى الأصل ومعجم البلدان رسمت بالألف ، ونظر له القاموس بسكرى ـ : موضع فى ديار بنى تميم ، وقال عمارة بن عقيل : هى خبراء فى أعالى الصمان ، والمطالى : جمع مطلاة وهى ما اتسع من الأرض وانخفض ، ويقال أيضا للمواضع التى تطلى فيها الابل الجربى بالقطران .

فلا عهْدَ إلا أن تُذَكَّرَ أو تَرى ... ثُماماً حوالَىْ مَنْصِبِ الخَيْمِ بالِيَا[1]

[١٥٤ ا] فيا لَيْتَ أنَّ الحىَّ لم يتفرَّقوا ... وأَمْسَوْا[2] جميعًا جِيرَةً مُتدانِيا

فقد خِفْتُ أَلَّا تَجْمَعَ الدارُ بيننَا ... ولا الدَّهرُ إلا أن نُجِدَّ الأَمانِيا

وقال أَبو حيَّةَ النُّمَيْرِىّ :

يا دارُ غيَّرها التقادُمُ والبِلَى ... بين السَّلِيلِ ومأْزِمَىْ أَكْبادِ[3]

لا زِلْتِ فى خَفْضٍ عليك تهافَتَتْ ... دِيَمٌ عليك طَوِيلَةُ الإِرْعادِ

وأَنارَ وادِيكَ الربيعُ ، فرُبما ... نَغْنَى به ونَراهُ أَبْهَجَ وادِ[4]

وأَرَى به الأُنَسَ الذين تحِبُّهم ... عَيْنِى، ويأْلَفُ من تحبُّ فؤادِى[5]

وقال حَفْصٌ الأُموِى :

يا دارُ أَقْوَتْ من بَعْدِ حاضِرِها ... لم يبْقَ فيها سِوى أَوَاصِرِها[6]

أَلْقَتْ عليها الرياحُ أَرْدِيَةً ... تَنْشُرُها من كُسَى أَعاصِرِها

حُيِّيتِ من دِمْنَةٍ بما خلَفَتْ ... عَيْنٌ عَطوفٌ على جآذِرِها

يا رُبَّمَا راقَنِى بساحتِها ... طِيبُ هواها ، ولَهْوُ سامِرِها

أيام لا خَوْفَ من شَتاتِ نوًى ... تُخْشَى ، ولا روْعَ من تطايُرِها

[١٥٤ ب] كنَّا بها حِقْبَةً فأَزْعَجَنا ... خطْبٌ نفَى الخَفْضَ عن مُجاوِرِها[7]

---

(١) الثمام : نبت ضعيف يسمو الى مائة وخمسين سنتيمترا ، وهو من الفصيلة النجيليه ومنه تتخذ الحصر ، وكان يلقى على أعواد الخيمة على هيئة الظلة ، فاذا ارتحل القوم نزعوا أعواد الخيمة وتركوا الثمام فى مكانها .

(٢) فى الديوان « وامسى » وما هنا انسب

(٣) السليل : موضع قيل : هو العرصة التى بعقيق المدينة ــ والمازمان : تثنية مازم ، وهو شعب ضيق بين جبلين يفضى آخره الى بطن عرنة ــ واكباد : جبل متصل بلية ، ولية واد لثقيف قرب الطائف ، وقيل : اكباد : أرض فى شعر ابن مقبل .

(٤) انار : هو من قولهم : انارت الشجرة ، اذا اطلعت نورها ، وهو زهرها ، والربيع : المطر ، دعاله بالسقيا حتى يمرع ويزهر ، ومعنى نغنى به : نحل فيه ونقيم

(٥) الأنس : من معانيه : الحى المقيمون ، والجماعة الكثيرة من الناس .

(٦) الأواصر : جمع الآصرة وهى هنا عود يعرض فى الحائط ونحوه ، يدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة تشد اليه الدابة .

(٧) الخفض : الدعة وسعه العيش .

شَتَّتَ بَيْنَ الخليطِ فارتَحَلوا عنها وأبْدَى خرابَ عامِرِها[1]

فالدّارُ لو زرْتَهَا رأيتَ بها آيًا تهيجُ الأسى لزائِرِها[2]

تلك المَغَانى فإن مرَرْتَ بها يومًا فسَلِّم على دوائِرِها[3]

وانظر إليها ؛ ألم تَصِرْ دِمَنًا تهفو السّوافِى على دَعاثِرِها[4] ؟!

قال ابن المعتز[5] :

وسُكّانِ دارٍ لا تَوَاصُلَ بينهم على قُرْبِ بعضٍ فى التَّجَاوُرِ من بَعْضِ[6]

كأنَّ خواتِيمًا من الطِّينِ فَوْقَهُم فليسَ لها حَتَى القيامَةِ من فَضِّ[7]

وقال أبو العَتاهِيةَ[8] :

ألا يا نفسُ ما أرجُو بدارٍ أرَى مَنْ حَلَّها قَلِقَ القَرارِ ؟

بدارٍ إنّمَا الشهواتُ[9] فيها مُعَلَّقَةٌ بأيامٍ قِصارِ

نَرَى[10] الأَمْوَالَ أرباباً عَلَيْنَا وما هى بينَنَا إلا عَوَارِى[11]

---

(١) البين هنا : الاجتماع والوصل ، ومنه قيل : ذات البين ، لما بين القوم من القرابة والمودة ، ويصلح المعنى ايضا على جعله ظرفا ــ والخليط : المخالط (للواحد والجميع) ويطلق ايضا على الشريك والصاحب ، والجار المصافى (٢) الآى : جمع الآية بمعنى العلامة والأثر

(٣) الدوائر : جمع دائر وصف من دثر المنزل ، اذا بلى وتهدم ٠

(٤) الدعاثر ، والدعاثير : جمع دعثور ، وهو الحوض أو المنزل المتهدم ، ويقال أيضا للحفرة

(٥) البيتان فى ديوانه ١٣٩/٢ ، وفى شرح المقامات للشريشى ١٧٧/١ ، والرواية فيهما متفقة مع رواية المصنف هنا ٠

(٦) فى شرح المقامات « لا تزاور بينهم »

(٧) الخواتيم : جمع خاتام ، وهو مايختم به ، ومنه الطين او الشمع يختم به على الشىء

(٨) الابيات فى ديوانه /١٠٦ ، وعنوانها : (وقال يحث نفسه على الباقى دون الفانى) ٠

(٩) رواية الديوان (اللذات)

(١٠) فى الديوان (ترى) مبنيا للمجهول

(١١) بعد هذا البيت فى الديوان بيتان آخران هما :

كَأنِّى قَدْ أَخَذْتُ من المَنَايَا أمانًا فى رَوَاحِى وابْتِكارِى

إذا ما المَرْءُ لَمْ يَقْنَعْ بعَيْشٍ تَقَنَّعَ بالمَذَلَّةِ والصَّغارِ

وَنَذْكُرُ أَنْ نَدِبَّ لها ونَنْسَى   دبيبَ الليلِ فينا والنَّهارِ[1]

[١٥٥ ا]

وقال آخر : (هذه الأبيات من قصيدة تنسب إلى أكثم بن صَيْفِيّ[2]) :

أيسالُ رسمَ الدارِ ، والدار قلبُه   وأنّى لها ما قد حوَاهُ من الوجْدِ ؟
ويَسْخَطُ أفعالَ السّحابِ بتُرْبِها   إذا مَعْهَدٌ منها تغيَّرَ عن عَهْدِ ؟
وما مُتعَةُ الأحبابِ إلا تَعِلَّةٌ   تُلِمّ لتشتِيتٍ وتَقَرُّبُ عن بُعْدِ[3]

روى أن قوما تشاجروا بين يدى أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ - رضى الله عنه - فى أشعر الناس ، فقال عمر : سأُرْسِل إلى سَيد الناس فأسأله ، فقال الناس : قد تشاجَرْنا فى سيِّدِ الشعراء فنريد الآن أن ننظر إلى سيد الناس ، فأرسل إلى عبد الله بن العَبّاس - رضوان الله عليهما - فجاءه ، فقال له : يا أبا العباس أنشِدْنا ما تسْتَحْسِنُ من الشعر ، فقال : سأُنشِدُكم لسيِّد الشعراء ، فانشدهم لزهيرِ بن أبى سُلْمَى[4] :

هل فى تَذكُّرِ أيامِ الصِّبَى فَنَدُ   أم هَل لما فات من أيامِه رَدَدُ[5] ؟
أمْ هَلْ يُلامَنّ باكٍ هاجَ عبْرَتَه   بالحِجْرِ إذ شفه الوَجْدُ الذى يجدُ[6] ؟
أوفى على شرَفٍ نَشْزٍ فأزْعَجَه   قلبٌ إلى آل سلمى تائِقٌ كمِدُ[7]

---

(١) لم يرد هذا البيت فى رواية الديوان .

(٢) كذا فى الأصل بخط مغاير ، ولم اجده فى مظانه .

(٣) المتعة : ما يتمتع به ، او هو مصـــــدر بمعنى التمتع ، والتعلة : ما يتعلـل ويتلهى به وتلم : من قولهم الم بالمكان أو القوم اذا نزل بهم أوزارهم زيارة غير طويلة .

(٤) فى جمهرة اشعار العرب / ٣٢ وردهذا الخبر بعبارة اخرى ، وفيه أن ابن عبـــاس انشده لزهير قصيدته فى هرم بن سنان التى فيها :

« لَوْ كانَ يَقْعُدُ فوْقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ   قوْمٌ بأَوَّلِهِمْ أو مَجْدِهِمْ قَعَدُوا .. » .

وما هنا يوافق ما جاء فى مقدمة القصيدة فى شرح ديوان زهير لثعلب /٢٧٩ (ط دار الكتب) مع اختلاف يسير فى العبارة ، وهـو متفـــق مع ما جاء (فى الديوان ايضا ٢٧٨ حاشية/٤) عن احمد بن ابى هاشم .

(٥) الفند : الخطا فى القول والرأى .

(٦) الوجد : الحب الشديد ، وشفه : براه وهزله وأسقمه وأوهنه .

(٧) الشرف : المكان العالى ، والنشز : المرتفع

[١٥٥ب]

مَتى أرَى دارَ حَيٍّ عَهْدُنا بهم ... حيثُ الْتقى الغوْرُ من نَعْمانَ والنَّجَدُ[١] ؟
لهم هَوًى من هَوانا ما يُقرِّبُنا ... ماتَت على قُربِه الأحشاءُ والكبِد
إنى لما اسْتَوْدَعَتنى يومَ ذِى عُذُمٍ[٢] ... راعٍ إذا طال بالمُسْتَوْدَعِ الامَدُ
إن تُمْسِ دارُهم منا مُباعَدَةً ... فما الأحِبَّةَ إلا هم وإن بَعُدُوا

وقال جَمِيلُ بن مَعْمَر[٣] :

على الدار التى لَبِسَتْ بلاها ... قفا يا صاحِبىَّ فسائِلاها
وما يُبْكِيكَ من عَرَصاتِ دارٍ ... تقادَم عهدُها وبَدَا بِلاها ؟ !

عن محمد بن يَزْداد[٤] ، قال : دخلت على المأمونِ يوما فرأيتُه وبيدِه رُقْعَةٌ ، فقال لى : يا محمد ، قَرَأتَ ما فيها ؟ قلت : هى فى يَدِ أمير المؤمنينَ ، فرمى بها إلىّ ، فإذا فيها مكتوب :

إنك فى دارٍ لها مُدّةٌ ... يُقْبَلُ فيها عَمَلُ العامِلِ
أما تَرى الموتَ مُحِيطًا بنا ... يَقْطَعُ فيها أمَلَ الآمِلِ
تُعجِّلُ الذنْبَ لما تشتهى ... وتأمُل التوْبَةَ من قابِلِ
والمَوْتُ يأتى بعد ذا بَغْتَةً ... ما ذا[٥] بفِعلِ الحازم العاقلِ

---

(١) النجد : ضبط فى الأصل بفتح النون والجيم ، ولم يرد فى كتب اللغة بهذا الضبط الا بمعنى العرق ، وفعله نجد (من باب فرح) والذى فى ديوانه النجد (بضم النون والجيم) جمع نجد عن ابن الأعرابى ، وفى اللسان « نجد بضم الأول والثانى — لغة هذيل خاصة ، يريدون نجدا — بفتح فسكون — » والنجد ما أشرف من الأرض وارتفع ، وهو خلاف الغور ، والغور : ما انهبط من الأرض ، وفى الصحاح :« الغور : تهامة ، وكل ما ارتفع من تهامة الى أرض العراق فهو نجد ·

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ديوانه (غذم) بالغين والذال المعجمتين المضمومتين ، وقال فى تفسيره : موضع من نواحى المدينة ، وفى المراصد (عدم) بالعين والدال المهملتين المفتوحتين — : واد باليمن ، وورد ايضا بهذا الضبط والتفسير نفسه فى عذم بالذال المعجمة

(٣) لم اجد هذين البيتين فى شعر جميل (جمع وتحقيق حسين نصار) ·

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد ، وزر للمأمون ، وكان آخر وزرائه ، واصل اسرته من خراسان ، كانوا مجوســا ثم اسلموا ، وانظر فى خبر وزارته الفخرى فى الآداب السلطانية /١٦٩ وما بعدها ·

(٥) ماذا : مانافيه ، اى ماهذا ·

فلما قَرَأتُها قال لى المأمون : هذا من أَحْكَمِ شِعْر قرأته .

وقال المُساوِرُ بن هِنْد بن قَيْسِ بن زُهَيْر العَبْسِى :

[١٥٦ ا]

وَدارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُمْ مهانةً ... بها نِيبُكُمْ ، والضيفُ غيرُ مهانِ [١]

إذا سُئِلوا ما ليس بالحقِّ فيهم ... أَبَى كلُّ مجنىٍّ عليه وجانِ

وقالت رَيْطَةُ بنت عاصمٍ [٢] :

وقفتُ فابكَتْنِى بدارِ عَشِيرتى ... على رُزْئِهِنَّ الباكياتُ الحوَاسِرُ

غدَوْا كسيوفِ الهِنْدِ وُرَّادَ حَوْمَةٍ ... من الموْتِ أَعْيَا وِرْدَهُنّ المصادِرُ

فوارِسُ حامُوا عن حَرِيمِى وحافَظوا ... بدارِ المَنايَا ، والقَنا مُتشاجِرُ [٤]

ولو أن سَلْمَى نالَها مثلُ رُزْئِنا ... لهُدَّتْ ، ولكن تحمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ [٥]

وقال البُحْتُرِىّ [٦] :

يا دارُ لا زالت رُباكِ مَجُودَةً ... من كلِّ سارِيَةٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ [٧]

أَذْكَرْتِنا دُوَلَ الزمانِ وصَرْفَه ... وأَرَيْتِنَا كيف الخطوبُ النُّزَّلُ [٨]

---

(١) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢) الأبيات فى شرح الحماسة للتبريزى / ٤٩٢ ، والعقد الفريد (٣/٧٣ و٧٤) ورياض الأدب فى مراثى شواعر العرب (٦/٨٩ و٩٠) وشاعرات العرب / ٤٧ (جمع بشير يموت / ط الأهلية ببيروت)

(٣) وراد جمع وارد ، والحومة : موضع القتال ، وارادت بأعيا وردهن المصادر انهم لم يرجعوا من ساحة القتال ، وفى شاعرات العرب: (مضوا بسيوف الهند)

(٤) دار المنايا : ساحة القتال . الحريم : الموضع الذى تلزم حمايته . متشاجر : متداخل متشابك

(٥) سلمى : احد جبلى طيىء ، هدت :كسرت ، عامر تريد قبيلتها ، وتعنى انها اقوى واصبر ، لانها اشد من الجبل .

(٦) الأبيات فى ديوانه (٢/١٥٦) منقصيدة يمدح بها المتوكل مطلعها :

لَوْلَا تَعَنُّفُنِى لَقُلْتُ المَنْزِلُ ... مغْنًى تُبَيِّنُه ومَغْنًى مُشْكِلُ

ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات ـ

(٧) مجودة : ممطرة ـ ورواية الديوان(من كل غادية) وهى السحابة تمطر غدوة ، والسارية : التى تمطر ليلا .

(٨) فى الديوان (فهمتنا دول الزمان)

أَصَبابَةٌ بِرُسومٍ رامَةَ بعدَما عرَفَتْ معارِفَها الصَّبا والشَّمْأَلُ[١]
وسأَلْتَ من لايَسْتَجِيب فكنْتَ فى اسْتِخْـ ـبارِهِ كمُجِيبِ من لايسْأَلُ

[١٥٦ب] وقال البحترى أيضا[٢] :

هبِ الدارَ ردَّتْ رَجْعَ ما أنا قائِلُهْ[٣] وأبدى الجوابَ الربْعُ عما تسائِلُهْ
أَفِى ذاكَ بُرْءٌ من جَوًى ألهبَ الحَشَى تَوقُّدُهُ ، واستَغْزَرَ الدَّمع جائِلُهْ
هو الدمعُ مَوْقوفًا على كلِّ دِمْنَةٍ نعَرِّجُ فيها أو خَلِيطٍ نُزايِلُهْ[٤]
تَرَادفَهُمْ خَفْضُ الزمَانِ ولِينُهُ وجادَهُمُ طَلُّ الربيعِ ووابِلُهْ[٥]

وقال آخر :

يا دارُ أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بها إلا الظباءُ ، وإلا الناشِطُ الفَرِدُ[٦]
أين الذين إذا ما زُرْتُهُمْ جَذِلوا فطار عن قلبي التَّشْواقُ والكَمَدُ[٧] ؟

وقال حسان بن ثابت الأنصارى - رحمه الله - :[٨]

لِمن الدارُ أَقْفَرَتْ بمَعانٍ بين شَطِّ اليَرْمُوكِ فالصَّمّانِ[٩]

---

(١) فى الديوان (برسوم دامة) ولعلـــه تحريف ، وفيه (عرفت معالمها) .
(٢) الأبيات فى ديــوانه (٢/١٦٢) من قصيدة مدح بها المتوكل ، وهى من اولها عـلى الترتيب
(٣) الديوان : « ما انت قائله »
(٤) الديوان « موقوف » بالرفع و «تعرج» ومعنى نزايله : نفارقه .
(٥) الديوان « خفض النعيم » وما هنـــا أجود ، لأن معنى الخفض : الدعة وسعة العيش كالنعيم ، فيكون كأنه أضاف الشيء الى نفسه .
(٦) الناشط : الثور الوحشى - الفرد : المنفـــــرد عن القطيع ، وضبطه فى المخصص (٤٠/٨) بفتح الفاء والراء ، وفى اللســـــان (فرد) : « وثور فرد - بضمتين - وفـــارد ، وفرد - بفتحتين - وفرد - بفتح فكسر - كله بمعنى منفرد .
(٧) جذلوا : فرحوا - التشواق : مصـــدر كالشوق .
(٨) الأبيات فى ديوانه / ٥٥ (ط ليدن) و ٤١٥ (ط البرقوقى) من قصيدة يمدح بها جبلة بن الأيهم ، واوردها ياقوت فى معجــــم البلدان (رسم سكاء)
(٩) فى معجم البلدان (بَيْنَ شاطِى اليَرْمُوكِ فالصَّمّانِ) وفى الديوان : «أعلى اليرموك فالخمان » والخمان : من نواحى البثنيــــة من ارض الشام ، يرد كثيرا فى شعر حســـــان ، والصمان : قال ياقوت : بعد أن أورد أقوالا فى تحديده - : « والصمان ايضا فيما احسب من نواحى الشام بارض البلقاء » ثم انشد بيــت حسان .

لِمَنِ الدِّيارُ اقْفَرَتْ بمَعانٍ بَيْنَ شاطِى اليَرْمُوكِ فالصَّمّانِ

واليرموك : واد بناحية الشام فى طرف الغـــوريصب فى نهر الأردن .

فالقُرَيّاتِ(١) من بلاس فدَارَيَّا(٢) فسَكًّا إلى(٣) الرُّسُوم الدوانى

فقَفَا جاسِمٍ(٤) ، فأودِيةِ الصُّفَّـ رِ مغْنَى قبائِلٍ وهِجانِ

ذاكَ مَغْنًى(٥) لآل جَفْنَةَ فى الدهـ رِ وحقًّا(٦) تصَرُّفُ الأزمانِ

ثَكِلَتْ(٧) أمُّهم ــ وقد ثَكِلَتْهُمْ ــ يوم حَلُّوا بحارِثِ الجوْلانِ(٨)

وقال آخر : [١٥٧ ب]

عجَبًا لى ولاغْتِرارِى بدارٍ لسْتُ أبقَى لها ولا تَبْقَى لِى

ما تَصَافَى قومٌ على غيرِ ذاتِ اللهِ إلا تَفَرقوا عن تَقالِى(٩)

وقال آخر :

يا مُشِيدَ الحِصْنِ يبْغِى نَفْعَهُ قَلَّما تُغْنِى من المَوْتِ الحُصُون

تطلبُ التخْلِيدَ فى دارِ الفَنا خابَ من يَطْلُبُ شيئًا لايكون

سائِلِ الأيامَ عن أمْلاكِها أى دَرٌّ قطَعَتْ عنها اللَّبُون(١٠)

كم بها من راكِضٍ أيامَه وله من رَكْضِهَا يومٌ حَرُون(١١)

---

(١) القريات : قرى صغيرة قريبة من دمشق منها دومة ، وسكاكة ، وسكاء ، كما يفهم من معجم البلدان .

(٢) داريا : من قرى دمشق بالغوطه .

(٣) فى الديوان : « فسَكَّاءَ فالقُصُورِ الدَّوانِى »

(٤) أورده ياقوت فى رسم جاسم ، وقال :جاسم : قرية على يمين الطريق الأعظم الى طبرية ، بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ (نحو ٤٤ كم)

(٥) فى الديوان « من آل جفنة » وما هنا يوافق رواية ياقوت فى رسم « سكاء »

(٦) فى الديوان « وحق » وفى معجم البلدان / سكاء (.. لآل .. وحقا تعاقب الازمان)

(٧) فى الديوان (هَبِلَت أمُّهم وقد هَبِلَتْهمْ) ومثله فى معجم البلدان فى رسم (الجولان) وما هنا يوافق معجم البلدان فى رسم (الحارث) والمعنى واحد .

(٨) الحارث : قرية من قرى حوران من نواحى دمشق وقال ابن دريد : يقال للجبل حارث الجولان ، وقال الجوهرى : الجولان : جبل بالشام ، وحارث : قلة من قلله ، كذا فى معجم البلدان فى رسم / الحارث .

(٩) التقالى : التباغض .

(١٠) الدر ــ بفتح الدال ــ : اللبن ، واللبون : ذات اللبن

(١١) يقال : ركض الفرس ، اذا استحثه ليعدو ، والحرون من الخيل : الذى لا ينقاد ، واذا اشتد به الجرى وقف

وقال آخر :

نَعْمُرُ الدُّنْيَا وما الدُّنْـ ... يَا لنا دار إقامهْ

إنّما الغِبْطَةُ والحَسْـ ... رة فى يوم ِ القِيَامَة

روى أن فاطمةَ بنتَ الحَسَن ـ رضوان الله عليه ـ نظرت إلى دار زوجها الحسن بنِ الحُسَيْن ـ رضى الله عنهما ـ فغطّت وجهها ، وقالت :

وكانوا رَجَاءً ثم صارُوا رَزِيَّةً ... لقد عَظُمَتْ تلك الرّزايَا وجلّتِ(١)

[١٥٧ ب] ثم ضَرَبَتْ على قبره فُسْطاطًا أقامت فيه سنةً ، فلما استكملتها أمَرَتْ بالفُسطاط فقلِع ، ودخَلَتْ المدينة ، فسمعت قائلا يقول ـ من جانب البقيع ـ : هل وجدوا ما فَقَدُوا ؟ وقائلا من الجانب الآخر يقول : بل يَئِسوا فانْقَلَبُوا .

قال وهبُ بن مُنَبِّه ـ رحمه الله ـ : نحن بنو آدم من نسل الجنة ، سبانا إبليسُ إلى الدنيا بخَطِيَّةِ أبينا ، فليس لنا إلا البكاءُ حتى نعودَ إلى الدّارِ التى سبانا منها .

روى أن عبدَ الله بنَ عبيد الله بن عُتْبة بن عبد الله بن مسعود ـ رحمه الله ـ باع دراً بثمانين ألف درهم ، فقيل له : لو اتخَذْتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا فقال : أنا أجعل هذا المال ذُخْرًا لى عند الله تعالى ، وأجعل الله سبحانه ذُخْرًا لوَلدِى ، ثم تصدق بالمال .

كتب رجل إلى صالح بن عبد القُدُّوس :(٣)

الموت بابٌ وكلُّ النأسِ داخِلُه ... فلَيْتَ شِعْرِىَ بعد البَابِ ما الدّارُ ؟

فكتب إليه صالح :

---

(١) هذا البيت من أبيات ستة أوردها ياقوت فى رسم (الطف) ونسبها الى أبى دهبل الجمحى وأولها :

مَرَرْتُ على أبْيَاتِ آل مُحَمَّد ... فلَمْ أرَها أمْثالَها يومَ حُلَّتِ

وفى حماسة ابى تمام (١٣/٣ و١٤ بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) ورد البيت فى ابيات اربعة نسبت الى سليمان بن قتة المحاربى ، وروايته ، « وكانُوا غِياثًا ثم أَضْحَوْا رَزِيَّةً »

(٢) هذا الخبر فى مشكاة المصابيح /١٤٤ ولفظه : « وعن البخارى تعليقا قال : لما مات الحسن بن الحسن بن على ضربت امرأته القبة على قبره سنة ، ثم رفعت ، فسمعت صائحا يقول : الا هل وجدوا ما فقدوا ؟ فاجابه آخر : بل يئسوا فانقلبوا » .

(٣) هذا الخبر فى ادب الدنيا والدين /١١٥ (ط الميمنية سنة ١٣٠٧ هـ)

[١٥٨ ا]

الدَّارُ جَنَّةُ عَدْنٍ إن عَمِلْتَ بما ... يُرْضِي الإلَهَ وإن فَرَّطْتَ فالنَّارُ[١]

هُما مَحَلَّانِ ما للنَّاسِ غيرُهما ... فانْظُرْ لنفسِك ماذا أنت مُخْتَارُ

وقال آخر:

دَرَجَ الليلُ والنَّهارُ على فَهْ ... مِ بن عَمْرٍو فأَصْبَحُوا كالصَّرِيمِ[٢]

وخَلَتْ دارُهم فأَضْحَت يَبَابًا ... بعدِ عِزٍّ وثروة ونَعيمِ[٣]

وكذاكَ الزَّمانُ يذهَبُ بالنَّا ... سِ، وتبقى ديارُهم كالرُّسومِ[٤]

وقال أبو العَتَاهِيَة[٥]:

ما رأَيتُ العيشَ يصفُو لأَحدْ ... دونَ كَدٍّ وعناءٍ ونَكَدْ

نحنُ فى دارِ فناءٍ وبِلًى ... تَنْقُل الناس إلى دارِ الأَبَدْ[٦]

كُن لما قَدَّمْتَهُ مُغْتَنِمًا ... لا تُؤخِّرْ عَملَ اليوْمِ لِغَدْ

وقال أبو تمام[٧]:

ما إنَّ هذا مَوْقِفُ الجازِعِ ... أَقْوَى، وسُؤْرُ الزمنِ الفَاجِعِ[٨]

دارٌ سقاها بعدَ سُكَّانها ... صرْفُ النَّوى من سمِّهِ النَّاقِعِ[٩]

فلا تَلُومَنْ ذا الهوى إنَّها ... ليست بِبِدْعٍ حَنَّةُ النازعِ[١٠]

[١٥٨ ب]

---

(١) فى ادب الدنيا والدين: «جنات عدن... وان خالفت...»

(٢) الصريم. من معانيه القطعة المنعزلة من الرمل، والمعنى على التشبيه أراد قلتهم بعد كثرة.

(٣) اليباب: الخراب، والخالى الذى لا شيء فيه، ويقال: دار خراب يباب.

(٤) السابق الى هذا المعنى – وفيه اكثر الفاظه – هو لبيد، بقوله:

وكذاك الزمانُ يَذْهبُ بالنا ... سِ وتَبْقَى الرُّسُومُ والآثارُ

وقد أخذه عنه الأحوص بلفظه، وانظر ما تقدم فى ص ١٠٦ ب و ١٠٧ أ

(٥) الابيات فى ديوانه /٧٣ من قصيدة قالها فى تلاقى الموت، وهى من أولها على الترتيب

(٦) سقط هذا البيت من الديوان.

(٧) الأبيات فى ديوانه (٣٥١/٢) من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو، ويستعطفه لأخيه حُوَيِّ بن عَمْرو، وهى من أولها على الترتيب.

(٨) رواية الديوان (ها ان هذا) وسؤرالشيء: بقيته، يريد ان هذا الربع سؤر الزمن، أى قد اهلك معظمه وابقى منه بقية.

(٩) الناقع: الثابت فيه

(١٠) فى الديوان «وَلَا تَلُومًا» والحنة: مصدر حن يحن، والنازع الذى ينزع إلى وطنه

وقال أيضا (١) :

قِرى دارِهم مِنّى الدموعُ السوافِكُ ... وإن عادَ صُبْحِى بعدَهم وهو حالِكُ (٢)

سقَتْ ربْعَهم، لا ، بل سقت مُنْتَواهُم ... من الأرضِ أخلافُ السحابِ الحواشِكُ (٣)

وألْبَسهُمْ عَصْبَ الربيع ووشْيَه ... ويَمْنته نَبْتُ النَّدى المتلاحِكُ (٤)

وقال أبو نُوَاس (٥) :

يا دارُ ما فعلَتْ بكِ الأيَّامُ ... لم تُبْقِ فيك بشاشةً تُسْتامُ (٦)

عَرِم الزمانُ على الذين عَهِدْتُهم ... بك قاطِنِين وللزمان عُرامُ (٧)

أيامَ لا أغشَى لأهلِك منزِلًا ... إلا مُراقبةً ، علىَّ ظلامُ (٨)

ولقد نهَزْت مع الغُواةِ بدَلْوِهم ... وأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهوِ حيث أساموا (٩)

وبلغْتُ ما بلغ امرُؤٌ بشبابه ... فإذا غضارَةُ كلِّ ذاك أثامُ (١٠)

---

(١) هذه الابيات فى ديوانه (٢/٤٥٦) وهى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٣ و ٤) .

(٢) هذا المعنى تعاوره الشعراء فى القديم والمولد يجعلون الموضع الذى ينزلون به كالمضيف لهم يأتيهم بالقرى ، ويجعلون انفسهم كالمضيفين اذا نزل بهم هم أو خطب . والمعنى : قرى دارهم منى دموعى وان عظموا الاساءة الى بفراقهم فعاد صبحى بعدهم وهو حالك .

(٣) المنتوى : الموضع الذى ينوون الرحيل اليه ، والأخلاف جمع خلف ـ بكسر فسكون ـ وهو ثدى الناقة ، والحواشك : الممتلئات ، من قولهم : حشك الخلف والضرع : امتلأ باللبن .

(٤) هكذا فى الديوان أيضا ، قال المرزبانى ، وكان حقه أن يقول و (البسه) على معنى الربع ، لأن العادة ان يدعى للديار بسقى الغمام ، ليكثر فيها النبات والزهر ، والمتلاحك : الذى يتصل بعضه ببعض .

(٥) الأبيات فى ديوانه / ٤٠٧ وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٦) رواية الديوان للشطر الثانى (ضَامَتْكِ والأيَّامُ لَيْسَ تُضامُ) وفى هامشه إشارة إلى أن رواية الصولى : (لم تُبْقِ فيكِ بَشاشَةً تُسْتامُ)

(٧) عرام الزمان : حدته وشراسته وأذاه .

(٨) لا أغشى : لا آتى ولا أزور ، على ظلام : أى فى الظلام كقول بشار .

إذا نَكرَتْنِى بَلْدَةٌ أَوْ نَكَرْتُها ... خَرَجْتُ مع البَازِى علىَّ سَوادُ

(٩) نهز فى البئر بالدلو : ضرب بها فى الماء لتمتلىء ، والسرح : المال السائم ، وأسامه ارعاه .

(١٠) يروى « عصارة » بدلا من « غضارة »

وقال الشيخ أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّيّ(١) :

هل تُسمعُ القولَ دارٌ غيرُ ناطِقةٍ ... وفقدُها السمعَ مقرونٌ إلى الخَرَسِ؟!(٢)

لأُنْسَيَنَّكَ إن طال الزمان بنا ... كم من(٣) حبيبٍ تمادَى عهدُه فَنُسِي ؟! [١٥٩ أ]

وقال النابغة الجَعْديّ ، وهو قيس بن عبد الله (٤) :

وهاجت لك الأَحزانَ دارٌ كأَنها ... بذى بَقَرٍ أو بالعُنابَةِ مُذْهَبُ (٥)

أواريُّ خَيْلٍ قد عَفَت ومنازلٌ ... أَراح بها حىٌّ كِرامٌ وأَعْزَبُوا(٦)

تحَمَّلَ منها أهلُها فتفرَّقوا ... فريقين منهم مُصْعِدٌ ومُصَوِّب (٧)

وقال الرَّبِيعُ بن أَبى الحُقَيْق :

دور عَفَتْ بِقُرَى الخابور غيَّرها ... بعد الأَنيسِ سوا فى الرِّيح والمطرُ(٨)

إن تُمس دارُك ممن كان يسكنها ... وحْشًا فذلك صرف الدهر والقَدرُ

وقد تحُلُّ بها بيضٌ ترائبها ... كأَنها بين كُثبان النَّقا البَقَرُ(٩)

وقال ابنُ المولى ، وهو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المَوْلَى ، مولى الأَنصار - رضى الله عنهم - من بنى عمرو بن عوف(١٠) :

---

(١) البيتان فى سقط الزند ١٩٨/١ من قصيدة مطلعها :

لَوْلَا تَحِيَّةُ بعْضِ الأَرْبُعِ الدُّرُسِ ... ما هَابَ حَدّ لسانِى حادِث الحبس

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديـــوان البيتان (٢ و ٣)

(٢) يمهد عذره فى ترك التحية ، يقول : ان حييت هذه الدار فهل تسمع قولى ؟ انها دار لا تنطق ولا تسمع ما يقال .

(٣) فى سقط الزند « وكم حبيب .. » يخاطب الدار فيقول : لابد ان انساك اذا تطاول الزمن ، وطال بك العهد ، وهكذا حال الأحباب ، فانه متى تطاول العهد بالحبيب نسى .

(٤) البيتان ١ و ٣ فى شعر الجعدى /٦ - ١٠ (ط المكتب الاسلامى بدمشق) .

(٥) فى شعر الجعدى / ١٠ « . بالعنانة» وفى الأصل ما بعد العين غير منقوط والعناب ، والعنابة : من المواضع الواردة . وذو بقر . واد بين أخيلة الحمى ، حمى الربذة .

(٦) اوارى : جمـــع آرية ، وهى معلف الدابة - واعزبوا : بعدوا

(٧) فى شعر الجعدى٦ «تَحَمَّلَ مَنْ أَمْسَى بِهَا فَتَفَرَّقُوا...» ومثله فِى اللسان .

(٧) فى شعر الجعدى / ٦ « تحمـــل من أمسى بها فتفرقوا .. » ومثله فى اللســـان (شعب) والمصوب خلاف المصعد ، يعنى المنحدر ، يريد : منهم من انجد ، ومنهم من غور .. "

(٨) الخابور من أعمال الموصـــل فى شرقى دجلة ، وهو نهر كبير يخرج من الجبال عليه عمل واسع وقرى فى شمال الموصل ، يصب فى دجلة ومنبعه من ارض الزوزان .

(٩) البقر : يريد بقر الوحش : والعـــرب تشبه المراة بالبقرة الوحشـــية فى جمـــال العينين .

(١٠) الأبيات من قصيدة مدح بها المهدى ، وهى فى الاغـــانى ٣/ ٢٨٦ - ٢٨٩ (ط دار الكتب) ويقابلها من القصيدة بترتيب الاغانى الابيات ١ و ٢ و من ٩ - ١٦ .

سَلا دارَ ليلى هل تُبينُ فَتَنْطِقُ … وكيف تَردُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ[1] ؟
وأنَّى يردُّ القولَ دارٌ كأنَّها … لطولِ بلاها والتَّقادُمِ مُهْرَقُ[2]
فلا تَجْزَعَن للبَيْنِ ، كلُّ جماعةٍ … وَجَدِّكَ مكتوبٌ عليها التفرُّق
وخذ بالتَّعزِّى ؛كلُّ ما أَنْتَ لابِسٌ … جديدًا على الأيامِ يَبْلَى ويُخْلِقُ
فصبرُ الفتى عما: تَوَلَّى ففاته … من الأَمْرِ أَولى بالسدادِ وأوفَقُ[3]
وإنك بالإشفاقِ لا تدفعُ الرَّدى … ولا الخيرُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ[4]
كأَنْ لم يرُعْكَ الدهرُ ، أَوأَنتَ آمِنٌ … لأَحداثه[5] فيما يُغَادِى ويَطْرُقُ
وقالَ خَليلِى ـ والبُكالِيَ غالبٌ ـ : … أَقاضٍ على هذا الأَسى والتَّشَوقُ ؟[6]
وقد طال تَوْقافِى أُكفكفُ عَبرةً … على دِمْنةٍ كادت بها النفسُ تَزْهَقُ[7]
وإنسان عينى فى دوائِر لجَّةٍ … من الماءِ يبدو تارةً ثم يغْرَقُ

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرى[8] :

الزم ذَراك إذا لَقِيتَ خصَاصةً … فاللَّيْثُ يستُر حالَه الإخْدارُ[9]
هذى الجُسوم من التُّرابِ كوائِن … والمرءُ لولا أن يُحِسَّ جِدارُ[10]
ويقول : دارِى من يقول ، وأَعْبُدِى … مهْ ، فالعبيدُ لربِّنا والدارُ[11]

[١٥٩ب]

---

(١) فى الاغانى « وانى ترد .. » والبيداء:الصحراء ، والسملق : الارض المستوية ، وقيل : القفر الذى لا نبات فيه .
(٢) المهرق : الصحيفة البيضاء يكتب فيها(فارسى معرب)
(٣) فى الأَغانى «فإنه .. من الأَمر » وبعده ،ويروى : « أَدْنَى لِلَّذِى هو أَوْفَقُ » .
(٤) رواية الاغانى : « ولا الحين مجلوب ». والحين : الهلاك .
(٥) فى الأَغانى : « أَقاضٍ عَلَيْكَ ذا الأَسَى ... »
(٦) هذا البيت واللذان بعده أوردها المصنف فى ص ٩٥ ب فى (فصل الدمن) وانظر التعليق عليها ثمة .
(٧) فى الأغانى (كادت لها)
(٨) الأبيات فى اللزوميات ٢٦٧/١ وهى من اللزومية الثامنة والخمسين من قافية الراء .
(٩) الاخدار مصدرا خدر اذا لزم الخدر ،يقال: اخدرت المرأة ، وأخدر الاسد .
(١٠) فى الازوميات ١ الشخوص) مكان(الجسوم)
(١١) مه : اسم فعل بمعنى اكفف

أترومُ من زَمَنٍ وفاءً مُرْضِيًا ؟ إنَّ الزمانَ كأهلِه غَدَّارُ
يَقِفُون والفَلَكُ المُسَخَّرُ دائرٌ ويُقَدِّرُونَ فيضْحَكُ المِقدارُ[1]

[١٦٠ أ]

مر رجلٌ من مُراد بأُوَيْسٍ القرْنِيّ[2] ـ رحمه الله ـ فقال: كيف أصبحتَ يا أُوَيْس ؟ قال: أصبحت أحمدُ الله ـ قال : كيف الزَّمان عليك ؟ قال : يا أخا مراد . إن الموت وذِكْرُهُ لم يدعْ فى الأرض لمومنٍ فَرحًا ، وإن علمه بكتابِ الله لن يدع فى ماله فِضَّةً ولا ذهَبًا ، وإن قيامَه بالحق لم يَدعْ له صَدِيقًا ، قال : حدِّثنى بحديثٍ سمعتَهُ من رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يا أخا مراد ما شهِدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأُحدِّثَك عنه . ولكن افعلوا كما قال لكم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حاسِبُوا نفوسكم قبل أن تُحاسبُوا ، فهو أيسرُ لحسابِكم غدًا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن ، فهو أثقلُ اوزَنِكم ، ولا تُخْرِبُوا دورَكم من الآخرة بعُمْرانِ دُورِكم فى الدُّنيا ؛ فإن الله تبارك وتعالى جعل الدنيا قنطرةً للآخرة فاعْبُروها » .

وقال مهيار[3] :

يا دارُ ليس اليوم عَهْدك أمْسِ لى ظهرت مفارقةٌ وبان خِلافُ[4]
وتغيَّرتْ فيك الصَّباعن خُلْقِها ولَيانِها ، فنَسِيمُها إعصافُ

[١٦٠ب]

وقال آخر :

لن يُقْنِعَ النفسَ إذكانت مُصرَّفةً إلا التَّنقُّلُ من حالٍ إلى حالِ

---

(١) فى اللزوميات «تَقِفُون .. وتُقَدِّرُونَ فَتَضْحَكُ الأَقْدَارُ» .

(٢) اويس القرنى : هو أويس بن عامر ،من مراد ثم من قرن ، وهو من التابعين ، بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ، ففى صحيح مسلم ان أهل الكوفة وفدوا على عمر ـ رضى الله عنه ـ وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس ، فقال عمر رضي الله عنه ـ : هل ههنا احد من قرن ؟ فجاء ذلك الرجل ، فقال عمر : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له : أو يس ، لايدعو باليمن غير أم له ، وقد كان به بياض فدعا الله فاذهبه الله عنه ، الا موضع الدينار أو الدرهم ، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم »
وانظر طرفا من اخباره فى شرح المقامات للشريشى ٢/٢١٧ ، وتنقيح المقال ١/١٥٦

(٣) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٧٧) من قصيدة يمدح بها الوزير « ابن زعيم الدين » ويهنئه بالنيروز ، ويذكر غرضا له ، ومطلعها :

سَأَلَ اللِّوَى وسُؤالُه إلْحَافُ لو كانَ من أَهْلِ اللِّوَى إسْعَافُ

(٤) رواية الديوان لهذا البيت :

يا دارُ لسْتِ اليَوْمَ مِثْلَكِ أَمْسِ لى ظَهَرَتْ مُفارَقَةٌ ، وبانَ خِلافُ

وبين هذا البيت والذى قبله البيت التالى :

ذَوَت الغُصونُ الناضِراتُ وَهُيِّلَتْ بعْدَ الوَثارَةِ فَوْقَكِ الأَحْقافُ

لأظْعَنَنَّ إلى دارٍ خُلقتُ لها وخيرُ زادِى فيها خيرُ أعمالِى

وقال آخر :

انصرفَ الناسُ إلى دُورِهِمْ وغُودِرَ الميِّتُ فى رَمْسِهِ
مُرْتَهَنُ النفسِ بأعمالِهِ لا يرْتَجِى الإطلاقَ من حَبْسِهِ
لنفْسِه صالحُ أعمالِه وما سواهُ فعلَى نفْسِهِ

وقال أبو نُوَاس[1] :

طوَى الموتُ ما بينى وبين محمدٍ وليس لما تَطْوِى المنيّةُ ناشِرُ[2]
وكنتُ عليهِ أحذرُ الموتَ وحدَه فلم يبقَ لى شىءٌ عليه أُحاذِرُ
لئن عَمرَتْ دَورٌ بمن لا أُحِبُّه[3] لقد عَمَرَتْ ممن أُحِبُّ المقابرُ

وقال المُرْتَضَى – رضى الله عنه[4] :–

[١٦١ ا]

قالوا نراك بلا سُقْمٍ ، فقلتُ لهم : السُّقْمُ فى القلبِ ليس السُّقْمُ فى البَدَنِ[5]
يا عاذلى خَلِّ عن قلبٍ تملَّكه من قبل عَذْلِك طولُ الهمِّ والحَزَنِ[6]
لا يعرفُ الدار إلا قام يَنْدُبُها ولا يسائِلُها إلا عن السُّكَنِ[7]

---

(١) الأبيات فى ديوانه / ٥٨١ وهى من مقطوعة أبياتها أربعة ، وما أورده المصنف هنا هو الأبيات (١ و ٣ و ٤) .

(٢) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان :

فلا وَصْلَ إلَّا عَبْرَةٌ تَسْتَدِيمُها أحَادِيثُ نَفْسٍ مالَها الدَّهْرُ ذاكِرُ

(٤) الديوان (بمَنْ لا أَوَدُّه .. فقد ..) .

(٤) الأبيات فى ديوانه (القسم الثالث ص٣٢٦) من قصيدة يمدح بها فخر الملك ويهنئه بالعيد ومطلعها :

يا حادِى العِيسِ عَرِّجْ بى على الدِّمَنِ فكَمْ لنَا عِنْدَهُنَّ اليومَ من شَجَنِ

(٥) فى الديوان « .. السقم فى الجسم » وما هنا أقوم للمعنى .

(٦) لم يرد هذه البيت فى القصيدة برواية الديوان .

(٧) يقال : ندب الميت : اذا عدد محاسنه ، والمعنى من ذلك على التشبيه ، والسكن بسكون الكاف : اهل الدار وسكانها ، وبفتح الكاف من معانيه المسكن ، والزوجة ، وكل ما سكنت اليه واستأنست به .

عن الأَصْمَعِيّ قال : دخلتُ على الرَّشِيد وهو يقرأُ كتابًا ودموعُه تتحَدَّرُ ، فلما أَبْصَرَنى قال : أرأَيتَ ما كان مِنِى ؟ قلت : نعم يا أَمير المؤْمنين ، فقال : أَمَا إِنَّه لو كان لأَمرِ الدنيا ما رأَيتَ هذا ، وَرَمَى بالقِرْطَاسِ ، فإذا فيه شِعْرٌ لأَبى العَتاهِيَة (١) :

هل أَنت مُعْتَبِرٌ بمن خَرِبَتْ ... منه غَداةَ مضى دساكِرُهُ (٢)

وبمن أَذَلَّ الدهرُ مَصْرَعَه ... وتبرَّأَتْ منه عساكِرُهُ (٣)

وبمَنْ خَلَتْ منه أَسِرَّتُه ... وبمنْ خَلَتْ منه منابِرُهُ

أَين الملوكُ ؟ وأَينَ عِزُّهُم ؟ (٤) ... صارُوا مصِيرًا أَنتَ صائِرُهُ

يا مُؤْثِرَ الدّنيَا لِلَذَّتِه (٥) ... والمُسْتَعِدُّ لمن يُفَاخِرُهُ

نِلْ ما بدَا لك أَن تَنَالَ من الدُّ [م] نْيا فَإِنَ الموتَ آخِرُهُ

فقال الرشيد : والله لكأَنِّى أُخاطَبُ بهذا دونَ سائِرِ النَّاسِ، فلم يلْبَثْ بعد ذلك إلا قليلا [١٦١ ب] حتى مات .

وقال الشاعر :

إلى متى أنا فى حِلٌ وتَرْحَالِ ... وَهَمٌ عيْش بإدبارٍ وإقْبَالِ

---

(١) هذه الأبيات فى ديوانه (١٢٢ و ١٢٣) من قصيدة مطلعها

الْخَلْقُ مُخْتَلِفٌ جَوَاهِرُهُ ... ولقَلَّمَا تَزْكُو سَرَائِرُهُ

وترتيبها هنا يخالف ما وردت عليه فى الديوان ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات : (١٢ و ١٤ و ١٣ و ٧ و ١٩ و ٢٠) وهى أيضا فى مروج الذهب للمسعودى (٢/٢٢٢ ط بولاق سنة ١٢٨٠ هـ)

(٢) علق جامع الديوان على هذا البيت بالقصة الواردة هنا فى رواية الاصمعى مع اختلاف يسير .

(٣) فى مروج الذهب « عشائره »

وفى الديوان : «وَتَفَرَّقَتْ مِنْهُ عَسَاكِرُهُ » والبيت كما جاء هنا ملفق من بيتين هما فى الديوان هكذا :

وبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ مَدَائِنُهُ ... وَتَفَرَّقَتْ مِنْهُ عَسَاكِرُهُ

وبِمَنْ أَذَلَّ الدَّهْرُ مَصْرَعَهُ ... فَتَبَرَّأَتْ مِنْهُ عَشَائِرُهُ

(٤) فى الديوان (واين جنودهم) وأشار فى هامشه الى الرواية الواردة هنا .

(٥) فى الديوان «وطالبها» وأشار فى هامشه إلى رواية أُخرى هى : «يا جَامِعَ الدُّنْيَا للذَّتِهِ» .

ونازِحُ الدار لا أنفكُّ مُغْترِبًا ناءٍ عن الأهلِ لا يَدْرُونَ ما حالى
بَمشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثم مَغْرِبِها لا يخْطُرُ الموتُ من همٍّ على بالِ
ولو قَعَدْتُ أتانِى الرِّزْقُ فى دَعَةٍ إن القُنُوعَ الغِنى لا كَثْرَةَ المالِ

عن الأصمعى – رحمه الله – قال: جاءَنى رسول الرشيد – رضى الله عنه – ليلةً ، وقد ذهب من الليل شَطْرٌ ، فقال : أجِبْ أميرَ المؤْمنين ، فَفَزِعْتُ من ذلك، وقلتُ : حَدَثَ أَمْرٌ يَكْرهُ ، فمضيتُ معه ، فإذا هو قاعِدٌ فى أقصى مجلِسِه ، وبين يديهِ دواةٌ وقِرطاسٌ ، وهو يبكى ، فقلت : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين . فقال : وعليك السلامُ يا ابن قُرَيْب ، اجلِسْ ، فجلست ، فقال : أبكانى هذا البيتُ وأسهَر ليلتى ، فقلتُ : لا أبكى اللهُ عينَك يا أميرَ المؤمنين ، وأىُّ بيتٍ هو ؟ قال : بيتُ ابن ذى سَلَم عند موته :

لم تَحْتَقِبْ[1] غيرَ أثوابٍ يُمَزِّقُها ريبُ الزمانِ وطولُ العهدِ والقِدمِ

فقلت : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لقد صَدَق ، وهذه سبيل الناسِ جميعا ، فطوبَى للمُتَّقِين ، [١٦٢ ا] فقال : ويحك يا أصْمَعِىّ ذهب . جُلَساءُ الخير ، ومجالِسُ الفضلِ ، أين من كان إذا جالسهم المُسْرِفون على أنفسِهم وعَظَتْهُمْ صورته ، وذكَّرَتهُمْ هيئتُه ، وبلغت بهم كلَّ المبالغ مَقالتُه ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين . لقد أسعد الله دولتَك بجماعةٍ من أهلِ الفضل ، ثم قلت : إن أمرت أن أحَدِّثَك بحديثٍ وشعرٍ قُرِئَ على بعض القبور ، فقال : هاتِه ، فقلت : حَدَّثنى من أثق به قال : غزوْنا فى البحرِ ، فمالت بنا السفينةُ إلى جزيرةٍ ، فإذا نحن بقصرٍ شاهِقٍ ، وإلى جانبه قبْرٌ ، وعلى القصرِ بابان ، وبين القصرِ والقبر فَسِيلُ نَخْلٍ لم أر شيئا أحسنَ منه ، فإذا على القصر مكتوب :

يُؤَمِّلُ دُنيا لتبقَى له فماتَ المُؤَمِّلُ قبل الأَمَلْ
وبات يُرَوِّى أصول الفَسِيلِ فعاش الفسِيلُ ومات الرجلْ

وعلى وجه القصر مكتوب :

وفتىً كأَنَّ جَبِينَهُ بدرُ الدجَى قامت عليه نوائِحٌ وروامِسُ

---

(١) احتقب الشيء : ادخره وجمعه واحتمله، والاحتقاب أيضا : شد الحقيبة من خلف ، وكذلك ما حمل من شيء من خلف ، ومراده أنه لم يصحب معه من الدنيا سوى كفنه الذى هو ثياب يبليها الزمن .

[١٦٢ ب]

غَرَسَ الفَسِيلَ مُؤَمِّلًا لبقائِهِ فَحَيا الفسيلُ ومات عنه الغارِسُ

وعلى أحدِ بابي القصر مكتوب :

تلك المدَائنُ فى الآفاقِ خاويةٌ أمست خلاءً وذاقَ الموتَ بانِيها

وعلى الباب الآخر مكتوب :

أين القُرونُ التى عن حظِّها غفلتْ حتى سقاها بكأْسِ الموتِ ساقِيها

قال الرجل : فبَقِيتُ متعجّبًا أنظر إلى الشِّعرِ والقصرِ ، والفسيلِ والقبرِ ، ثم تمثَّلْت :

نادِ ربَّ الدارِ والحصنِ الذى جمعَ الدّنيا بحِرْصٍ مافعَلْ ؟ !

كان فى دارٍ سواها دارُه علَّلَتْهُ بالمنى ، ثم انتقلْ

قال : فلم يزلِ الرشيدُ يبكِي ويصرخُ حتى أصبحَ ، فلما أصبحَ أمرَ أن يُخْرَجَ مالٌ جليلٌ فيُتَصَدَّقَ به على الفقراءِ والمساكين ، وأن يُدْفَعَ إلىّ منه عشرة آلاف درهم .

وقال أبو العَتاهِيَة [١] :

هى الدارُ ، دارُ الأذى والقذى ودارُ الفناء ، ودارُ الغِيَرْ

[١٦٣ ا]

فلو نلتَها بحذافيرِها لمتّ ولم تقضِ منها الوطَرْ [٢]

وقال الرَاضِى يزيدُ بن محمد بن عبّادٍ ، من ملوك الأندلس .

هى الدارُ غادرةٌ بالرِّجال وقاطعةٌ لحبالِ الوِصال

نُفجَّع فيها بغيرِ اللَّذيـ ـذِ ونَشْرَقُ منها بغيرِ الزُّلال

ونزداد مع ذاك عِشْقًا لها ألا إنما سَعْيُنا فى ضلال

---

(١) البيتان فى أدب الدنيا والدين / ١٠٠ (حاشية على الكشكول ط الميمنية سنة ١٣٠٥) وهما ايضا فى ديوان أبى العتاهية / ١١٠ من قصيدة طويلة مطلعها :

أَلارُبَّ ذِى أَجَلٍ قد حَضَرْ كَثِيرِ التَّمَنِّى قَلِيلِ الحَذَرْ

ويقابلهما من القصيدة البيتان ١٨ و ١٩ .

(٢) فى الديوان « وطر » وفى هامشه اشارة الى أن (الوطر) روايه واردة .

لِمَعْشُوقَةٍ وُدُّها لا يَدو مُ ، وعاشِقُها أبدًا غيرُ سالِ [1]

وقال الأَحْوَص :

هل هَيَّجَتْكَ مغانِي الحيِّ والدُّورُ فاشْتَقْتَ إنَّ البَعِيدَ الدَّارِ معذورُ

وقد يَحُلُّ بها إذ عيشُنا أَنِقٌ بيضٌ أوانِسُ أمثالُ الدُّمَى حُورُ

وقال مَهيار [2] :

سائِلِ الدارَ إن سَأَلْتَ خَبِيرَا واستَجِرْ بالدُّمُوعِ تدعُ مُجيرَا [3]

أَفْهَمَتْنِى على نُحولِ رُباها فكأنِّي قرأتُ منها سُطُورَا

يقال : شحَطت الدار ، إذا بَعُدَت ، ونزحَتْ ، وشَسَعَت [4] .

[١٦٣ ب] ودارٌ شَطُونٌ ، وبَيْنٌ شطُونٌ ، وإلْيَةٌ شطُون : فيه عِوَجٌ .

ودارٌ غَرْبَةٌ قَذَفٌ ، أى بعيدة .

ويقال : أَسْقبَت الدارُ ، إذا قَرُبت وأسعفت .

والوَلْىُ - بتخفيف اللام - : القُرْب .

قال ساعدة بن جُؤَيَّة [5] :

هَجَرَتْ جَنُوبُ وحَبَّ من يَتجَنَّبُ وَعَدَت عوادٍ دون وَلْيكَ تشْعَبُ

والكَثَبُ : القُرْبُ ، يقال : رماه من كثبٍ ، أى من قُرْبٍ .

---

(١) فى الأصل بيتان منسوبان للربيع بن أبى الحقيق كتبا فى الهامش أمام ابيات الراضى ، وكتب عليهما (مكرر) والبيتان تقدما فى ص١٥٠ ا ومعهما بيت ثالث .

(٢) الأبيات فى ديوانه (٢/١١١) من قصيدة قالها يمدح بها الوزير ابا الفضل محمد بن على ابن الطيب ، والبيت الأول هنا هو مطلع القصيدة .

(٣) رواية الديوان للشطر الثاني «واسْتَجِرْ بالدُّمُوعِ تَلْقَ مُجيِرَا» .

(٤) فى اللسان : الشاسع : المكان البعيد ، وشسعت داره شسوعا ، اذا بعدت وفى حديث ابن أم مكتوم : (انى رجل شاسع الدار) أى بعيدها

(٥) كذا فى الأصل ، والذى فى اللســـان (شطن) « والية شطون ، اذا كانت مائلة فى شق » .

وقد استطرد المؤلف بايـــراد هـــذه التفسيرات اللغوية لكثرة مجيء هذه الألفاظ فى شكوى البعد والنأى ، وقد ورد الولى فى بيت ساعدة بن جؤية التالى

(٦) البيت مطلع قصيدة لساعدة بن جؤيه ، وقوله حب من يتجنب : معنـــاه حب بها الى متجنبة والبيت من شواهد اللسان (حبب) على هذا الاستعمال ، وعدت عواد : اى صرفت عنه صوارف . والولى : المداناة من ولى يلى وليا ، ووليك : قربك ، وتشعب : تخالف وتفرق ويروى تشغب : أى تجور ولا تجيء على القصد (ديوان الهذليين ١/١٦٧ ط دار الكتب) .

قال يحيي بن مُعاذ ـ رضى الله عنه ـ : الدنيا دارٌ خرابٌ ، وأخربُ منها قلبُ من يَشتَهِى عِمارَتَها ، والآخرةُ دار عُمْران ، وأعمرُ منها قلبُ مَن يطلبُها .

وقال مَهيار[1] :

ما أنتِ بعد البينِ من أوطانِى دارَ الهوى ، والدارُ بالجيرانِ
كنتِ المُنَى من قبلِ طارقةِ النَّوَى والشَّملُ شَملِى والزَّمانُ زمانى
ولئِنْ خلوْتِ فليس أول حادِث خلت الكِناس[2] له من الغِزْلانِ
طَرِبَ الحمامُ[3] بطبعهن وإنما اسـتَمْلَيْن فيكِ النَّوْح من أحزانى

***

ابيات فى هذا المعنى من شعر جدى ، ووالدى ، وعمى ، واخى ـ رضى الله عنهم ـ وشعرى

[١٦٤ ا]

قال جدى سَديد الملك ذو المناقب أبو الحسن على بن مُقلَّد بن نصر بن مُنْقِذ[4] ـ رضى الله ـ

لله ما طَيفٌ ألمّ بفِتْيَةٍ تحْنُو رؤوسُهمُ على الأكوارِ
كيف اهتديتَ لراحِلِين تروّدوا ما شاء قومُك من دُجًى ونهَارِ
لَفَظَتْهُمْ دارُ الإقامةِ فيكم فَنضَوْا عِقال مَطِيَّةِ الأسْفارِ[5]
ورَنَوْا إلى الحيِّ المُقيمِ بأعيُنٍ يَنْهَلْنَ[6] من ماءِ الدموعِ الجارِى

وقال عمى عز الدولة أبو المُرْهَف ، نصر بن على ـ رحمه الله ـ[7] :

لهْفِى لدارٍ عفاها كلُّ مُنْهَمِرٍ جَوْنٍ مُلِثٌّ عليها رائحٍ سارى
وما عفا ذكرُ أحبابى الذين لهم حُزْنى مقيمٌ ودمعى إثرَهم جارى

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٤/٥٠) من قصيدة كتب بها الى أبى القاسم سعد بن احمد الضبى وهى من أولها على الترتيب

(٢) الكناس : مولج فى الشجر يأوى اليه الظبى ليستتر .

(٣) رواية الديوان برفع طرب على الابتداء ، والحمام مضاف اليه وهو أجود .

(٤) له ترجمة ومختارات من شعره فى خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام (ج ١/٥٥٢ ـ ٥٥٧) ولم ترد هذه الأبيات فيما اختاره العماد من شعره ، وأول هذه الأبيات تقدم فى ص (١٣٠ ا)

(٥) يقال : لفظت البلاد أهلها : أخرجتهم ، نضا العقال : نزعه وألقاه ، كنى بذلك عن الاقامة

(٦) النهل : الشرب ، جعل العيون تشرب من الدموع الجارية حين ينظر الى الحى .

(٧) له ترجمة فى الخريدة (قسم شعراء الشام ١/٥٦٨ ـ ٥٧٠) ومعها مختارات من شعره لم يرد فيها هذان البيتان .

وقال والدى مجد الدين أبو سَلامة مُرْشِدُ بن علىّ بن مُقلِّد ـ رحمه الله [1] ـ :

أيا دارَ التِّصابِى والتَّصافِى وخِصْبِ العيشِ فى السنةِ الجَمَادِ [2]

لقد جارتْ عليكِ صُروفُ دهرٍ رمَتْك بكُلِّ داهيةٍ نآدِ [3]

[١٦٤ ب]

فكمْ لى فيكِ من إخوانِ صِدْقٍ تملَّك صَفوُ وُدِّهِمُ قيادِى

قضتْ بفِراقِهِمْ نُوَبُ اللَّيالِى فميعادُ التلاقِى فى المَعادِ [4]

وقال أخى عز الدولة أبو الحسن علىّ بن مرشد بن على [5] ـ رحمه الله ـ :

أصبحتْ دورُ آلِ مُرْشِد قفْرًا بعد عزٍّ وهيْبَةٍ وجلالِ

عِظة للعيونِ فيها اعتبارٌ ونذيرٌ من حادثاتِ اللَّيالى

تُخْبِرُ الغافلين أنّ اقْتِناء الخَـ ـلْقِ فانٍ معرّضٌ للزَّوالِ

فعليها السلامُ بعد بِلاها من حَزِينٍ ما حزنُه الدهرَ بالِ

وقال أيضا :

يا حَيْرَةَ النفسِ أنَّى وجْهةٍ سَلكُوا وَمن همُ فى سوادِ القلبِ حُلَّالُ

لا أوحَشَ اللهُ دارًا كنتُ أعهدها مَغْنًى بكم ، وهى بعدالبَيْنِ أطلالُ

وقال أيضا :

كفى حسرةً فى النفس بُعْدُ أحِبّةٍ وقربُ أعادٍ يشتهون حِمامى

لعَمْرُك ما دارُ الفتى حين لايَرَى أحِبَّته فيها بدارِ مُقامِ [6]

[١٦٥ ا]

وقلت [7] :

يا دارُ غيَّرَكِ البِلَى وتحكَّمَتْ فيك الخُطوبُ ومَحَّت [8] الآثارُ

---

(١) له ترجمة فى الخريدة (قسم شعراء الشام ـ ١/٥٥٨ـ٥٦٣) ومعها مختارات من شعره لم ترد فيها هذه الأبيات (٢) الجماد : الجدب والقحط

(٣) يقال : رماه بداهية نآد ، أى بداهية دهياء شديدة .

(٤) الميعاد : الموعد ، والمعاد : الحياة الآخرة

(٥) ترجم له العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام ١/٥٤٨ ـ ٥٥١) واورد طائفة من شعره لم أجد فيها هذه الأبيات .

(٦) المقام : الاقامة .

(٧) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة المطبوع

(٨) يقالُ : محّ الثوب ، اذا بلى .

أَصبحتِ تعرفُكِ القلوبُ توهُّمًا ... ويصُدُّ عنكِ الأَعينَ الإنكارُ
لم يُبْقِ منكِ الدهرُ رَسْمًا ماثِلا ... يُنْبِى بأَنَّ هناك كانت دارُ
لهْفِى على الزمنِ القصيرِ قطعْتُه ... بلكِ ، إنَّ أَيامَ السرورِ قِصار
لم يَبْقَ منه سوى جَوًى متسعِّرٌ ... فى القلبِ يُذْكِى ناره التَّذْكارُ (1)

وقلت (2) :

سَقَى دارَهُم هامِى الغَمامِ وهامِلُهْ ... ونوّرَ ذاوِى الرّوضِ فيها وذابِلُهْ
وعادَ بها طيبُ الليالِى التى خَلَتْ ... وغِبْطةُ عيشٍ قد تَقَضَّتْ غياطِلُهْ (3)
مُنًى يتمنّاها على بُعْدِ نَيْلِهَا ... كذوبُ الأَمانِى ذاهبُ القلبِ ذاهِلُهْ
وبعضُ الأَمانِى ضِلَّةٌ(4) ، وإذا انقَضَتْ ... أَواخِرُ دهْرٍ ، كيف تُثْنَى أَوائِلُه ؟ !
ديارٌ بها صاحَبتُ شَرْخَ شبيبَتِى ... أَجادِدُه طورا ، وطورا أهازِلُه (5)
أَروحُ إلى لَهْوِ الصِّبى ونعيمِه ... وأَغدو على لَيْثٍ كمِىٍّ أُنازِلُهْ
عهدتُ بها عِينَ المَها دون حُجْبِها ... أَسودُ الشَّرى يَلْقَى الرّدى من تُصَاوِلُهْ (6)
وسِربِ ظِباءٍ تُحْجَبُ الشمسُ دونه ... وتُحْجَبُ عن طيفِ الخيالِ عقائِلُهْ (7)
وكل أَخى بأْسٍ كريمٍ تخالُه ... إذا ما انتضَى سيفًا جَلَتْه صَياقِلُهْ (8)
فلم يَبقَ مما كان إلا إدّكارُه ... وحسرةُ قَلبٍ لاتَقَرُّ بلابِلُهْ
وكنت أَرى ما سرّنى غيرَ زائلٍ ... ويُخْطِئُ نَهْجَ الحزم من هو جاهِلُهْ

[١٦٥ ب]

---

(1) التذكار : مصدر كالذكر والذكرى ، وهو خلاف النسيان

(2) لم أجد هذه الأبيات فى ديوان أسامه المطبوع ، وقد ألم بهذا المعنى فى قصيدة أخرى فى ديوانه / ٢٠٤ مطلعها

حَيًّا رُبُوعَكِ مِنْ رُبًى ومَنَازِلِ ... سارى الغَمامِ بِكُلِّ هامٍ هامِلِ

(3) الغياطل : جمع غيطلة ، ومن معانيها : النعيم ، والفرح بالأمن ، والمال المطغى .

(4) الضلة : الحيرة

(5) لم يسمع جاده بمعنى بادله الجد ، خلاف الهزل ، والمعاجم ذكرت جاده فى الأمر حاقه وخاصمه ، وايراد أسامه له بهذا المعنى غريب

(6) المها : الظباء ، الشرى : مكان كثير الأسود ، تصاوله : تغالبه وتنافسه فى الصول والسيطرة .

(7) العقائل جمع عقيلة ، ومن معانيها :السيدة المخدرة ، والزوجة الكريمة .

(8) الصياقل : واحده صيقل ، وهو الذى يصقل السيف ويجلوه ويشحذه .

فما كان إلا الطيفُ يُحْسَبُ فى الكرى ... يَقِينًا ، فإن بانَ الكَرَى بانَ باطِلُهْ

وقلت [1] :

يقول صِحابِى : قد أطلْتَ وقوفَنا ... على الدارِ مسلوبَ الأَسَى والتَّماسُكِ

أفى كلِّ دارٍ قد عَفتْ أنت واقِفٌ ... تُرَوِّى ثَراها بالدَّموعِ السوافكِ

كأنك فى رَسْمِ الديارِ «مُتمِّمٌ» ... وفيما عفا من ربْعِها «قبرُ مالكٍ» [2]

فقلت : نعم هذى ديارٌ عهِدْتها ... بها مَعْشرِى مثل النجومِ الشوابِكِ

أصابهمُ ريْبُ الزمانِ فأَصْبَحتْ ... قِفارًا ، وهم مابين ناءٍ وهالكِ

وقلت [3] :

[١٦٦ ا]

يقولون : قد أعْوَلْتَ فى الدار ما كفا [4] ... وليس على ربْعٍ عفا بِمُعَوَّلِ

وكمْ قدْر ماتبَقى الدموعُ إذا جرتْ ... على كلِّ ربْعٍ ، أوعلى كلِّ منزِلِ؟!

فقلت : نعم . هذى ديارٌ عَهِدْتُها ... عرينَ أُسودِى فى الخطوبِ ومعْقِلِى [5]

فقد أَصبحتْ قفْرًا ، وفرّق شملَهُمْ ... حوادِثُ دهرٍ بالفِراقِ مُوَكَّلِ

سأَبكِيهِمُ أو يَمْزِجُ الدَّمُ أدْمُعِى ... فينهلُّ سِمْطًا كالجُمانِ المُفصَّلِ [6]

وقلت [7] :

يا دارُ أنتِ التى كان الجميعُ بها ... وكان فى رَبْعِك الوُلْدَانُ والحَشَمُ

وكنتِ للضَّيْفِ والعافِينَ مُرْتَبَعًا ... يقتادُهُم نحوَك الإكرامُ والكرَمُ

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة المطبوع ، وهو فى هذه الأبيات يعارض آبيات متمم بن نويره فى رثاء أخيه مالك ، ومطلعها :

لَقَدْ لَامَنِى عِنْدَ القُبُورِ على البُكا ... رَفِيقِى لِتَذْرافِ الدُّمُوعِ السَّوافِكِ

(٢) يشير فى هذا البيت الى قول متمم فى قصيدته :

وقالتْ : أتَبْكِى كلَّ قبرٍ لَقِيتَهُ ... لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فالدَّكادِكِ ؟

فقلتُ لَها : إن الأَسَى يبعثُ الأَسَى ... دَعِينِى فهذا كُلّه قبرُ مالِكِ

(٣) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان اسامه المطبوع .

(٤) يريد « أما كفى » ورسمه فى الأصل بالألف وحقه الياء .

(٥) المعقل : الملجأ والحصن .

(٦) الجمان : اللؤلؤ ، وحب يصاغ من الفضة على شكله ، والمفصل : الذى جعل بين حباته حبات أخرى مغايرة

(٧) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة المطبوع .

أَصْبحتِ قفرًا ، وأَضحى أَهْلُكِ افترقوا أَيدى سبَا ، وانْثنَتْ عن قَصْدِكِ الهِمَمُ[1]

ما أَعْجَبَ الدهرَ ! عيشُ الناسِ أَجمعِهم - إن سرَّهُم صَرْفُه أَو ساءهم - حُلُمُ

وقلت[2] :

دارٌ على قُلَلِ الجبالِ تفجَّرَتْ فيها بحارُ فضائلٍ ومَكارِمِ[3]

فيها النَّدى والجودُ حقًّا لاالذى كنَّا نَحدَّث عن سَماحَةِ حاتِمِ

وفوارِسٌ جمَعُوا المَكارِمَ والعُلَى لينُ التَّواضعِ فى قلوبِ ضراغِمِ[4]

[١٦٦ ب]

أَفْناهُمُ ريبُ المنونِ فلم يَدَعْ منهُمْ سِوَى ذِكْرٍ لحُلْمِ الحالِمِ

وقلت :

يا دارُ لو رَوَّتْ مُحولَكِ أَدْمُعِى لسَفَحْتُها بكِ ، أَو يمازِجُها الدَّمُ[5]

لكنَّ دَمْعَ الحُزْنِ يُحْسَبُ قطْرُه ماءً بَرُودًا ، وهو جَمْرٌ مُضْرَمُ

وإذا رأَيْتُكِ قفْرةً من معْشَرِى وبَنِى أَبى ، وهم لعمْرُكِ ماهُمُ ؟ !

فكأَنَّنى عايَنْتُ حُفْرَةَ مالِكٍ وكأَنَّنِى - وَجْدًا عليه - مُتمِّمُ[6]

وقلت[7] :

وَاوَحْشَتِى فى الدارِ لما أَصْبَحتْ مُوحِشةً من الظِّباءِ العِينِ[8]

---

(١) صدر البيت مغير من قول النابغة :

أَضحَتْ خَلاءً وَأَضحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الذى أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

وايدى سبا ، ويقال ايضا : ايادى سبا : مثل يضرب فى تفرق الشمل ، شبههم بأهل سبأ لما مزقهم الله كل ممزق .

(٢) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامه المطبوع .

(٣) قلل : جمع قلة ، وهى من الجبل أعلاه .

(٤) الضراغم : واحده ضرغامة وضرغم : الأسد الضارى الشديد .

(٥) المحول : احتباس المطر - سفح الدمع : صبه .

(٦) حفرة مالك : يريد قبر مالك بن نويرة ، ومتمم هو اخوه ، وقد بكاه بشعر يعد من أحسن ما قيل فى الرثاء . وقد أورد المصنف هذا المعنى قبل ذلك (ص ١٦٥ ب) فقال :

كأَنَّكَ فى رَسْمِ الدِّيَارِ «مُتَمِّمٌ» وفِيما عَفَا من رَبْعِها «قَبْرُ مالِكِ»

(٧) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة .

(٨) العين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العينين ، استعاره للنساء ، والعرب تشبه المرأة بالظبية فى جمال العينين .

كانَتْ عرِينًا ، وكِناسًا فاغْتَدتْ　　مُقفِرةَ الكِناسِ والعرينِ[1]

تقارن الأُسدَ بها عِينُ المَها　　والدهرُ قطّاع قوَى القرِينِ

فأصْبَحتْ كما ترى ليْس بها　　إلا دواعِي الوَجْدِ والحنِينِ

وقلت[2]

[١١٦٧]

نَظَرْتُ إلى دارِ الأَحِبَّةِ قَفْرَةً　　وقد كان فيها العِزُّ والكرمُ المَحْضُ

فلما رأى صَحْبِي عليها تَلَدُّدِي　　ودمعِي بكى بعضٌ وعنَّفَنِي بعضُ[3]

وقالوا : أَفِقْ ، للأَرْضِ تبكِيّ؟ فقلت :لا ٠　　ولكننى أبكى لمن وارَت الأَرضُ

وقلت[4] :

يا دارُ إن بَخِلَتْ على　　مغْناكِ سارِيةُ العِهادِ[5]

فلأُمْطِرَنَّكِ من دمو　　عى ما يَنُوبُ عن الغَوَادِى[6]

حتى تعودَ رُباكِ حا　　لِيَةً مُفوَّفَةَ الوِهادِ[7]

كم حلّ رَبعَك من غَضِـ　　ـيضِ الطَّرْفِ ممنوعِ الودادِ

يستوقِفُ الأَبْصَارَ فهْـ　　ـيَ عليه حائمةٌ صوادِى[8]

فرَمَتْ جموعَهم الليـ　　الى بالتَّشَتُّتِ والبِعادِ

وصروفُ هذا الدهر تَطْـ　　ـرُق بالحوادِثِ أو تُغادِى[9]

عاداتُها ردُّ الأمو　　رِ من الصّلاحِ إلى الفسادِ

---

(١) العرين : بيت الاسد ، والكناس : مأوى الظباء ونحوها فى الشجر ، عنى ان هذه الدار كانت موطن الشجعان من الرجال ، والحسان من النساء .

(٢) هذان البيتان لم يردا فى ديوان أسامة .

(٣) التلدد : التلفت يمينا وشمالا تحيرا ، ويقال ايضا : تلدد ، اذا تلبث وتلبد .

(٤) ديوانه / ٦٠ والبيتان : الثالث والثامن لم يردا فى القصيدة ٠

(٥) السارية من السحاب : التى تجىء ليلا ، والعهاد : مطر أول السنة ، أو أمطار الربيع بعد الوسمى ، الواحدة عهدة ٠

(٦) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تمطر غدوة .

(٧) حالية : ذات حلى ، اراد متزينة ، المفوف : المخطط الموشى ٠

(٨) حائمة : ظمآنه عطشى ٠ والصوادى : جمع صادية ، وهى الظمآنة ايضا ٠

(٩) تطرف : تجىء ليلا ، وتغادى : تباكر فى الصباح ٠

يُخْشِينَ لا عَمْدًا ويأ تِينَ الإساءَةَ باعْتِمادِ[1]

وقلت [2] : [١٦٧ ب]

ما أنتَ أولُ من تَنَاءَتْ دارُهُ فعلامَ قلبُك ليس تَخْبُو نارُهُ [3] ؟
إمّا السُّلُوُّ أو الحِمامُ ، وما سِوَى هذينِ قسمٌ ثالثٌ تختارُهُ
ما بعدَ يومِكَ من لقاءٍ يُرْتَجَى أوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى ونهارُهُ
هذا وُقُوفُك للوَداعِ وهذه أظعانُ من تَهْوَى وتلك ديارُه [4]
فاستَبْقِ دمعَك فهو أولُ خاذلٍ بعد الفِراقِ ، وإن طَما تيّارُه [5]
مَدَدُ الدموعِ يَقِلُّ عن أمدِ النَّوَى إن لم تكُنْ من لُجَّةٍ تَمْتَارُه [6]

وقلت[7] ـ وكتبت بها إلى أخي عز الدولة أبي الحسن على بن مُرْشِد بن على بن مُقَلَّد ـ رحمه الله ـ وأنا بالعسكر الأتابكي بإرْبِل [8] :

---

(١) اعتماد : قصد .
(٢) الأبيات فى ديوانه / ٧٠ وهى من اول القصيدة على الترتيب ، وقد ورد بعضها فى الخريدة (قسم شعراء الشام ١ / ٥١٠) .
(٣) تخبو : تخمد وتفتر .
(٤) الظعائن : جمع الظعينة ، وهى الراحلة يرتحل عليها .
(٥) طما التيار : ارتفع وملأ النهر .
(٦) تمتاره : تطلبه وتستمده
(٧) البيتان فى ديوانه / ١٥١ وهما فيما يبدو ـ رد على أبيات كتب اليه بها اخوه وهو فى الموصل ، واوردها العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام ١ / ٥٥٠) وهى :

أَلا هَلْ لمحزونٍ تَذَكَّرَ إلْفَهُ فَحَنَّ وأَبْدَى وَجْدَه مَنْ يُعِينُهُ ؟
وعَيْشًا مضَى بالرَّغْمِ إذنَحْنُ جيرَةٌ تَرِفُّ على رَوْضِ الوِصَالِ غُصُونُهُ
لَدَى مَنْزِلٍ كان السُّرورُ قَرِينَكُمْ بهِ فتَوَلَّى إذْ تَوَلَّى قَرِينُهُ
فَلَوْ أعْشَبَتْ مِنْ فَيْضِ دَمْعِي مُحولُه لما رَضِيَتْ عَنْ دَمْعِ عَيْنِي جُفُونُه

(٨) اربل ـ بكسر أوله وثالثه وسكون ثانيه ـ : كانت من اعمال الموصل ، بينهما مسيرة يومين (نحو ٦٠ كم) وهى قلعة حصينه ، ومدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع ، وأكثر أهلها من الأكراد .

وإنَّ امْرَأً أَضْحَتْ بإِرْبِلَ دارُه	وفى شَيْزَرٍ إخوانُهُ وشُجُونُه[1]

لغيرُ مَلُومٍ فى الحنينِ إليهمُ	وَمَعْذُورةٌ أن تَسْتَهِلَّ جُفونُه[2]

وقال أخى عز الدولةِ أبو الحسن على – رحمه الله – :

فيا أيُّها الدارُ التى شَطَّ أهلُها	وبالرَّغْمِ منى أنَّ سكَّانَها شَطُّوا[3]

رَضِيتُ بحُكْمِ الدهرِ فيكِ وإنما	رِضَى من نـأتْ أحبابُه بالنَّوَى سُخْطُ.

بهم كانت الدنيا التى غَدَرَتْ بهم	كأنَّهم فيها الحَيا ، والوَرَى قَحْطُ.[4]

تزيدُ بهم هذى البَسِيطةُ بسْطَةً	ومِنْ مِثلِهم يُسْتحسَن القَبْضُ والبَسْطُ.[5]

أعارتهم الأيامُ وارتَجَعَتْهُمُ	وكلٌّ بخيل فى مواهِبِه ضَبْطُ.

---

(١) شيزر : وطن الشاعر ، وامارة أهله بنى منقذ ، وهى حصن منبع قريب من حماة بينهما مسيرة يوم (نحو ٣٠ كم) فى وسطها نهر الأرند، ولا تزال شيزر معروفة الى اليوم بهذا الاسم .

(٢) فى هامش الديوان اشارة الى رواية «شئونه» فى احدى نسخه ، والشئون : مجارى الدمع فى العين .

(٣) شطوا : بعدوا .

(٤) الحيا : المطر ، والقحط : احتباس المطر

(٥) البسيطة : الأرض ، والبسطة : الزيادة والسعة فى العيش .

فصل آخر في ذكر الدار

قالت مخْبُوبةُ الهُذَلِيَّة [١] :

بان الخَلِيطُ. وخفَّ حاضِرُهُ ... لما دعا بالبَيْنِ طائِرُهُ [٢]

يا أُنْسَنَا من قُرْبِ دارِهِمُ ... قبل الذى كنَّا نُحاذِرُهُ

وتخلَّفَتْ من بعد فُرْقَتِهم ... أَوْصالُ صَبٍّ سار سائِره [٣]

يا للرِّجَالِ لأَسْرِ مُرْتَهَنٍ ... جلَبَ البلاءَ عليه ناظِرُه

لم يُغْنِ عنه عِزُّ أُسْرَتِهِ ... شيئًا ، ولم تَنْفَعْ مَعاشِرُه

هذى موارِدُ ما بُلِيتُ به ... والله أَعلم ما مَصَادِرُه [٤]

وقال آخر :

يقولُ خليلى يومَ أَكْثِبَةِ النَّقا ... وعَيْناىَ من فَرْطِ. الهوى تَكِفَانِ [٦]

أَمِنْ أَجْلِ دارٍ بين لَوْذانِ [٧] والنَّقا ... غداة اللِّوَى عيناك تَبْتَدِرانِ؟! [٨]

فقلت له : لا ، بل قَذَيْتُ ، وإنما ... قَذَى العينِ مما هَيَّج الطَّلَلانِ [٩]

---

(١) لم ترد في شرح اشعار الهذليين ، ولا فى ديوان الهذليين

(٢) الخليط : المخالط ، ويطلق ايضا على الشريك والصاحب والزوج ، وخف عن المكان : ارتحل مسرعا

(٣) الأوصال : واحدها وصل ، وهو المفصل أو مجتمع العظام ، وسائره : باقيه .

(٤) مورد الماء : مكان وروده ، ويقابله المصدر ، وهو مكان الرجوع والانصراف عنه ، والمراد هنا : هذا منشــأ بلائى والله يعلم عواقبــه ومصائره .

(٥) الأبيات فى (شرح المختار من شعر بشار ٢٦٢) ونسبها التجيبى فيه الى بعض لصـوص العرب الاسلاميين ، وفى الامالى ٢/٣٥ من انشاد ثعلب ، والأبيات منسوبة الى ابن الدمينة وهى فى ديوانه / ١٦٨ وقد نسبها المصنف فيما تقدم الى بشر بن الهذيل (وانظر ص ٦٦ ب)

(٦) الأكثبة : جمـع كثيب ، وهو الرمل المستطيل المحدودب ، والنقا : الكثيب من الرمل والذى يبدو انه هنا موضع بعينه ، ولم اجده فى كتب البلدان ـ تكفـان : من وكف الدمع ، اذا سال وقطر .

(٧) لوذان : موضع .

(٨) ابتدرت العينان : سالت دموعهما .

(٩) يقال : قذى فلان ، اذا سقط فى عينـه القذى ، وهو ما يتكون فيهـا من رمص وغمص ونحوهما وبعد هذا البيت فى الأمالى :

فيا طَلْحَتَىْ لَوْذَانَ لازَالَ فيكما ... لمَنْ يَبْتَغِى ظِلَّيْكُمَا فَنَنَانِ

وإن كنتما هَيَّجْتما لاعجِ الهَوَى ... ودَانَيْتُمَا مالَيْسَ بالمُتَدَانِى

[١٦٨ ب]

فؤادٌ إذا ما قُلتُ يَصْحُو جَلَبْتُما ... عليه الهَوَى والشوقَ كلَّ أوانِ

وقال الراجز [(١)] :

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذِي القُور [(٢)] ... قد دَرَسَتْ غيرَ رمادٍ مَكْفُورْ [(٣)]

مكتئبِ اللَّوْنِ مُراحٍ [(٤)] مَمْطُور ... أزْمانَ عيناءُ سُرورُ المَسْرُور [(٥)]

* عيناءُ حَوْراءُ من العِينِ الحور *

وقال آخر :

يا دارُ ما للرَّكْبِ حين وَقَفْتُهم ... ما إن سَقاكِ من الدُّموعِ لَمَاظُ.

تَرَكَ الغرامُ عقولَهم مَشْدُوهَةً [(٧)] ... فتخالُهم رقَدُوا وهم أيقاظُ.

عهدى بظلِّكِ والشبابُ نزيلُه ... أيامَ ربعُكِ للحسان عُكاظُ. [(٨)]

وقال الشَّريفُ الرَّضِيّ - رضي الله عنه [(٩)] - :

أَمِنْ أجْلِ دارٍ بالمُصَلَّى إلى مِنًى ... تُعادُ كما عِيدَ السَّلِيمُ المؤرَّقُ [(١٠)] ؟!

---

(١) الراجز هو منظور بن مرثد الأسدى ،كذا نسبها اليه صاحب اللسان فى مادة (ق و ر) وأورد هذه الأبيات فيها . وفى مادة (ك ف ر)أورد بعضها ولم يعزه لقائل

(٢) أراد بقوله : (بأعلى ذى القور) : أعلى المكان الذى بالقور ، والقور جمع القارة ، وهى أرض ذات حجارة سود .

(٣) أى درست معالم الدار الا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التـــراب فغطاه وكفره ، أى سترة .

(٤) رواية اللسان (مروح) اى اصابته الريح - ومكتئباللون : يريد انه يضرب الى السواد كما يكون وجه الكئيب

(٥) عيناء مبتدأ ، وسرور المسرور ، خبره ،والجملة فى موضع خفض باضافة أزمان اليها ، والمعنى : هل تعرف الدار فى الزمان الذى كانت فيه عيناء سرور من رآها واحبها ؟

(٦) اللماظ : يقال : شرب الماء لماظا ، اذا ذاقه بطرف لسانه ، ومالنا لماظ ، أى ماتذوقه .

(٧) مشدوهة . متحيرة .

(٨) عكاظ : سوق كانت للعرب فى الجـاهليـة ، يجتمعون فيها فيتفــاخرون ، وكان يحضرها الشعراء فيتناشدون ما احــدثوا من الشعر ، والمعنى هنا على التشبيه

(٩) الأبيات فى ديوانه / ٣٢٢

(١٠) فى الديوان «أمن ذكر دار» . والمصلى : موضـــع صـــلاة النبى فى الأعيـــاد خارج المدينة بالعقيق . ومنى : فى درج الوادى الذى ينزله الحاج ، ويرمى فيه الجمار من الحرم ، سمى بذلك لما يمنى فيه من الدماء ، أى يراق ، تعاد : تزار ، والسليم : الملدوغ .

حنِينًا إليها والْتِواءً من الجَوَى كأَنكَ فى الحىِّ الوَلُودُ المُطَرِّقُ (١)
أُجِلُّ تُرابَ الأَرْضِ كانوا حُلُولَها وأجزعُ من مَرِّى عليها وأُشْفِقُ (٢)
ولم يَبْقَ عندِى للهَوَى غير أَنَّنى إذا الركْبُ مروا بى على الدارِ أَشْهَقُ (٣)

[١٦٩ أ]

وقال أبو جُوثَة بن زياد :

خليلىَّ مِنْ عَمْرو عفا اللهُ عنكما ولقَّاكُما من كلِّ أَمرِكُما يُسْرَا
أَلِمَّا على دارٍ لعَبْلَةَ قد عَفَتْ كأَنَّ لمَطْلُولِ الخُزامَى بها نَشْرَا (٤)
نظرتُ بأَرْمامٍ (٥) ، وأيَّةَ ساعَة نظرْتُ إلى أَعْلامِها نظرًا شَزْرَا (٦)
وأَغيدَ من طُولِ الكلالِ يُميلُه كَلالُ السُّرَى حتى كأَنَّ به سُكْرَا
سَرَيْنَا به من أَجْلِ عَبْلة بعدما تجَلَّلَت الآفاقُ أَرْدِيَةً خُضْرَا

وقال أبو تمام (٧) :

أَهْدَى الدموعَ إلى دارٍ وماصِحِها فللمنازِلِ سَهْمٌ من سَوافِحِهَا (٨)
دارٍ أُجِلُّ الهوى عن أَنْ أُلِمَّ بها فى الركبِ إلا وعَيْنِى من مَنَائِحِها (٩)

---

(١) فى الديوان « والثواء » والولود : الوالدة ، والمطرق : التى عسر خروج ولدها .

(٢) فى الديوان « أَصُونُ تُرابَ الأَرْضِ ... وَأَحْذَرُ مِنْ مَرِّى ... »

(٣) فى الديوان « شهقوا » وما هنا أجود .

(٤) المطلول : الذى أصابه الطل ، وهو المطر الخفيف ، والخزامى : عشبة طويلة العيدان ذات زهر أحمر ، ليس فى الزهر اطيب ريحا منها . النشر : الريح الطيبة .

(٥) ارمام : ضبطه ياقوت بفتح الهمزة وقال : جبل فى ديار باهلة ، وقيل : واد يصب فى الثلبوت وضبطه البكرى بكسر الهمزة ـ وقال :كانه مصدر ارم ارماما ـ : موضع فى ديار طيىء أو ما يليها .

(٦) الأعلام : الجبال ، والنظر الشزر : النظر بمؤخر العين كما ينظر الغاضب أو المستهين بالشىء

(٧) البيتان فى ديوانه ٣٤٦/١ وهما من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح بن عبد الملك، ويقابلهما منها فى ترتيب الديوان البيتان (١ و ٥)

(٨) فى الديوان : « اهد » على انه فعل امر ، وفى هامشه ، ويروى « أهدى » ماضيا ، ويروى (أهدى) مضارعا ، والماصح : الغائب الذاهب ، يقال مصح الشىء ، اذا ذهب وانقطع ، أو الماصح : الدارس الخلق ، من قولهم مصح الثوب : اذا أخلق ودرس . وفى الديوان « فى سوافحها » .

(٩) فى الديوان ضبط « دار » بالرفع ، وجره هنا على انه بدل من دار فى البيت السابق .

وقال أيضا (١) :

يا دارُ دَرَّ عليكِ أَرْهامُ النَّدَى واهتزَّ رَوْضُكِ فى الثرى فترَأدا

سَقْيًا لِمَعْهَدِك الذى لو لم يَكُنْ ما كان قلبى للصَّبَابَةِ مَعْهَدَا

وقال المتنبى (٤) :

[١٦٩ب]

أَهْلًا بدارِ سَباكَ أَغْيَدُها أَبْعَدُ ما بانَ عنك خُرَّدُها (٥)

ظَلْتَ بها تنْطَوِى على كَبِدٍ نضِيجَةٍ فوق خِلْبِها يَدُها (٦)

قِفا قليلًا بها علىَّ فلا أَقلَّ من نظْرَةٍ أُزَوَّدُها (٧)

فى فؤادِ المُحِبِّ نارُ هَوًى أَحرُّ نارِ الجَحِيمِ أَبرَدُها (٨)

وقال البُحْتُرِىّ (٩) :

يا خليلَىَّ ساعةً لا تَرِيمَا وعلى ذى صَبابَةٍ فأَقِيمَا

ما مرَرْنا بدارِ زيْنبَ إلا فضحَ الدمعُ سِرَّك المكتُوما

---

(١) البيتــان فى ديوانه (٢/١٠١) من قصيدة يمدح بها احمد بن عبد الكريم الطائى الحمصى ، ويقابلهمــــا منها بترتيب الديوانالبيتان (١ و٥)

(٢) الرهام : من الرهمة ــ بكسر الراء وسكون الهاء ــ وهى المطرة الصـــغيرة القطر ، ومعنى ترأد : كثر حتى يأتيه الرائد وهو طالب المرعى .

(٣) يدعو لهذه الديار بالسقيا ، ويقول : انها لو لم توجد لما عرفت الصبابة قلبه واتخذته مسكنا لها

(٤) الأبيات فى ديوانه ١/١٩٥ من قصيدة قالها فى صباه يمدح بها محمد بن عبيـــد الله العلوى ويقابلها منهـــا بترتيب الديـــوانالأبيات (١ و٢ و٤ و٥)

(٥) سباه : أسره بحبه ــ الأغيد : النـــاعم المتثنى لينا ، والمراد الحبيبة ، والخرد : جمـع الخريدة وهى البكر التى لم تمسس ، أو الحيية .

(٦) خلب الكبد : غشاؤها ، يقول : لقـــد ظللت بتلك الدار تثنى على كبدك التى انضجها الوجد ، واضعا يدك فوقها . وهو كقول الحماسى :

وأَذْكُرُ أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ انْثَنِى على كَبِدِى من خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

(٧) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان البيت

يا حَادِيَىْ عِيرِها ــ وَاحْسَبُنِى أُوجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ افقِدُها

(٨) فى الديوان (نارجوى) وعنى بالجحيم النار العظيمة الشديدة التوقد ، يقول : ان ما يحسه من نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم .

(٩) هذه الأبيات لم نجدها فى ديوانه المطبوع ، وقد رجعنا الى طبعاته الثلاث (الجوائب ، وهنديه ، والأدبية ببيروت) فلم نعثر عليها .

ذكَّرتني الهوَى وهُنَّ رَمِيمٌ كيف لو لم يكُنَّ كُنّ رَمِيما ؟ (1)

وقال أبو تمام (2) :

أدارَ البُؤسِ حسَّنكِ التَّصابِي إلىَّ فصِرْتِ جنَّاتِ النَّعِيمِ
لئن أصبحْتِ مَيْدَان السّوافي لقد أَصْبَحْتِ ميدانَ الهُمُومِ (3)
وممّا ضرَّمَ الأَحشاءَ أنّي شكوتُ ، فما شكوتُ إلى رَحِيمِ
أظُنُّ الدمعَ فى خدّى سَيُبْقِى رُسومًا من بكائِى فى الرُّسُومِ

[170 ا]

وقال النّابغةُ الذُّبْيَانِيّ ، وهو زيادُ بنُ مُعاوِيَة (4) :

عُوجُوا فحيُّوا لنُعْمٍ دِمْنَةَ الدّارِ ما ذا تُحَيُّون من نُؤْيٍ (5) وأَحْجارِ ؟!
فاستعْجَمَتْ (6) دارُ نُعْمٍ ماتُكلِّمُنا والدارُ لو كلَّمَتْنا ذاتُ أَخْبارِ (7)
فما عَرَفْتُ بها شيئًا أُعِيجُ بهِ إلا الثُّمَامَ (8) ، وإلا مَوْقَدَ النَّارِ
وقد أرانِى ونُعْمًا لاهِيَيْنِ بها فى الدّهرِ والعيشُ لم يَهْمُمْ بإمْرَارِ (9)

---

(1) الرميم : البالى من كل شيء .

(2) الابيات فى ديوانه (3/160) من قصيدة يمدح بها بنى عبد الكريم الطائيين ومطلعها :

أَرَامَةُ كنت مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لو اسْتَمْتَعْت بالأُنَسِ القَدِيمِ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات 2ـ5 ، وهى هنا متفقة مع رواية الديوان.

(3) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسفى التراب ، أى تذروه .

(4) هذه الأبيات مقدمة قصيدة النابغة المعدودة فى المجمهرات ، وقد ذكرها أبو زيد فى جمهرة اشعار العرب /77 ، وعدها معلقته ، والرواة على خلاف ذلك . وهى فى ديوانه / 109 (ط القاهرة) ويقابلها فى ترتيب الديوان الابيات : (1 و 5 ـ 8) وفى ترتيب الجمهرة (1 و 4 ـ 7) .

(5) النؤى : ما يحفر حول الخباء ليمنع المطر .

(6) استعجمت : سكتت وعيت عن الجواب.

(7) فى الجمهرة بفتح الهمزة على انه جمع خبر ، وفى الديوان بكسرها على انه مصدر اخبر .

(8) فى الديوان ، والجمهرة : « فما وَجَدْتُ بها شَيْئًا أَلُوذُ بِهِ » ومعنى عاج بالشئ ، اعتمد عليه . والثمام : نبت ضعيف تتخذ منه الحصر ، وكانوا يلقونه على اعواد الخيمة يستظلون تحته فاذا ارتحلوا تركوه فى موضع الخيمة فصار اثرا .

(9) امرار : يقال : أمر العيش امرارا ، اذا صار مرا .

أيامَ تُعْجِبُنِى[1] نُعْمٌ ، وأُخبرُها ما أَكْتُمُ الناسَ من حاجِى[2] وأَسْرارِى

وقال الحُطَيْئة[3] :

يا دارَ هِنْدٍ عَفَتْ إلا أَثافِيها بين الطَّوِىِّ فصَاراتٍ فوادِيها[4]

قد غيَّر الدهرُ بَعْدِى من معارِفِها والريحُ ، فادَّفَنَتْ فيها مغانِيها

جَرَّتْ عليها بأَذْيَالٍ لها عُصُفٍ فأَصْبَحَتْ مثلَ سُحْقِ[5] البُرْدِ عافِيها

كأَنَّنِى ساوَرَتْنِى يومَ أَسأَلُها عَوْدٌ من الرُّقْشِ لا تَصْغَى لراقِيها[6]

وقال أيضا[7] .

أَدارُ سُلَيْمَى بالرّواتِكِ والعُرْفِ أَقامت على الأَرْواحِ والدِّيَمِ الوُطْفِ[8]

وقفْتُ بها ، فاستوْقَفَتْ ماءَ عَبْرَتِى بها العَيْنُ ، إلا ما كففْتُ به طَرْفِى[9]

[١٧٠ ب]

فِراقُ حِبابٍ[10] ، وانتهاءُ من الهَوَى فلا تَعْذُلِينِى ، قد بدَا لك ما أُخفِى

يقولون[11] : نسْتَغْنِى ، وواللهِ ما الغِنى من المالِ إلا ما يُعِفُّ وما يَكْفِى[12]

---

(١) فى الديوان : تخبرنى ، وكذلك الرواية فى الجمهرة .

(٢) الحاج : جمع الحاجة .

(٣) الأبيات فى ديوانه (١١١ ط القاهرة) ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و٣ و٤ و٥)

(٤) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان :

أَرَّى عَلَيْهَا وَلِىٌّ ما يُغَيِّرُها ودِيمَةٌ حُلِّلَتْ فيها عَزَالِيهَا

(٥) السحق : الثوب البالى .

(٦) عود من الرقش : قال السكرى : ارادحية قديمة لاتصغى للرقاة .

(٧) الأبيات من مقدمة قصيدة فى ديوانه (٦٤ ط القاهرة) قالها فى ابنى هشام بن المغيرة : الحارث وأبى العاص ، وهى من أول القصيدة على الترتيب ، وتتفق فى روايتها مع الديوان .

(٨) الرواتك : يفهم من البيت أنه موضع ، ولم أجده فى معجم البلدان ولا فى المراصد ، ولا فى معجم ما استعجم ، ورواية الديوان « بالدوانك » والدوانك : موضع ورد ايضا فى شعر متمم بن نويرة ، وفى شعر كثير ، والعرف : من مخاليف اليمن ، وقيل موضع فى ديار كلاب .

والديم : واحده ديمة ، المطر يمكث اليوم واليومين لينا على نحو واحد ، والوطف : السحب تدنو من الأرض ، يقال ديمه وطفاء ، اذا كانت كذلك .

(٩) فى الديوان « فاستنزفت » وهو أنسب للمعنى

(١٠) حباب : قال السكرى : جمع حبيب ، كأحباب ، وأحباء .

(١١) فى الديوان « يَقُولُ »

(١٢) بعد هذا البيت فى الديوان :

لعَمْرِى لَشَدَّتْ حاجَةٌ قد عَلِمْتها أَمامِى وأُخْرَى قد رَبَعْتُ لها خَلْفِى

وقال النَّابِغةُ الذُّبْيانيّ[1] :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاء فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطَالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ[2]

وقفتُ فيها أُصَيْلانًا[3] أسائِلُها ... أعْيَتْ جوابًا ، وما بالرَّبْعِ من أَحَدِ

أَضْحَتْ قِفارًا وأَضْحَى أَهلُها احتملوا ... أَخْنَى عليها الذى أَخْنَى على لُبَدِ[4]

وقال قَيْسُ بن ذريح[5] :

بكَتْ دارُهُم من نأْيِهِمْ فتهَلَّلَتْ ... دُمُوعِى ، فأَىُّ الجازِعَيْنِ أَلُومُ[6]

أَمُسْتعْبِرًا تبْكِى من الشَّوْقِ والجوَى ... أَم آخرَ يَبْكِى شَجْوَه ويَهِيمُ[7]

« كذا كان فى أصل الشعر ، والصحيح : « أمستعبرا يبكى من الهون والبلى[8] » .

تهَيَّضَنِى من حُبِّ لُبْنَى علائِقٌ ... وأَصْنافُ حُبٍّ هَوْلُهُنَّ عَظِيمُ[9]

ومن يَتعَلَّقْ حُبَّ لُبْنَى فؤادُه ... يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو سَقِيمُ[10]

---

(١) فى ديوانه ٣٣ (ط القاهرة) وهى مقدمة قصيدة له يمدح بها النعمان، ويعتذر اليه من وشاية بنى قريع للنعمان حين رمــوا النابغة بالمتجردة زوج النعمان ، ويقابلها من القصــيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و ٢ و ٦)

(٢) السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ، او هو هنا موضع بعينه ، قيل : انه ماء معروف لبنى سعد . واقوت الدار : خلت من اهلها ، والسالف : الماضى ، والأبد : الدهر جميعه

(٣) أصيلانا : عند الصرفيين تصغير أصيل على غير قياس ، أو تصغير أصلان جمع أصيل ، وفى ديوانه اشارة الى رواية أخرى هى « أصيلالا » ورواية ثالثة « أُصِيلًا كَىْ أُسَائِلَهَا » .

(٤) فى الديوان : « أَمْسَتْ خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا .. »

وأشار فى هامشه الى رواية المصنف هنا ، وأخنى : أفسد ، ولبد : النسر السابع من نسور لقمان بن عاد ، وكان – فيما زعموا – قد أعطى عمر سبعة نسور كلما هالك واحد خاف بعده نسر آخر ، وكان سابعها « لبد » أطوالها عمرا ، وبه ضرب المثل « طَالَ الأَبَدُ على لُبَدَ » .

(٥) الأبيات من قصيدة فى ديوانه (١٤٥) ويقابلها من القصــيدة الأبيــات ٣ – ٦ ، ٨ والبيتان : الأول والثانى هنا ، أوردهما الطبرسى (فى مجمع البيان المجلد الخامس ٦٥) ونسبهما الى مزاحم العقيلى .

(٦) الجازعان . يريد دارهم وعينيه . ورواية مجمع البيان « من أجلهم » ..

(٧) عنى بالمستعبر نفسه ، وهو من قواهم : استعبر اذا جرت دمعته .

(٨) هذا التعليق بخط المصنف فى هامش الأصل .

(٩) تهيضه الغرام : عاوده وعلائق الهوى : أسبابه ، والعلاقة أيضا : الحب اللازم للقلب .

(١٠) فى ديوانه « وهو كليم » .

وإن زمانًا شتّت الشملَ بيننا   وبينَكُمُ فيه العِدَى لَذَمِيمُ (1)

[171 ا] وقال جَمِيلُ بن مَعْمَر (2) :

أَلَمْ تسألِ الدارَ القديمةَ هل لها   بأُمِّ حُسَيْنٍ(3) بعد عَهْدِك من عَهْدِ؟

سلِ الركبَ هل عُجْنا بمَغْناكِ مرّةً   صدورَ المَطايا وهى مُوقَرَةٌ تخْدِى ؟(4)

وهل فاضت العينُ الشَّرُوقُ بمائِها   من أجلِك حتى اخضلّ من دمعِها بُرْدِى؟(5)

أبَى القلبُ إلا حُبَّ بَثْنَةَ لم يُرِدْ   سواها ، وحُبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِى

وكلُّ مُحِبٍّ لم يزِدْ فوق جُهْدِه   وقد زِدْتُها فى الحُبِّ مِنّى على الجُهْدِ

وقال ذُو الرُّمّةِ ، غَيْلَان بن عُقْبَة بن مَسْعُود (6) :

لك الخيرُ ، هلّا عُجْتَ إذْ أنا واقفٌ   أُغِيضُ البُكا فى دار مَيٍّ وأَزْفِرُ (7)

فتنْظُرَ إنْ مالتْ بصَبْرِى صَبَابَتِى   إلى جَزَعِى ، أم كيف إن كنتُ أَصْبِرُ ؟

إذا شِئْتُ أبكانِى بجَرْعاءِ مالِكٍ   إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدًى لِمَيٍّ ومَحْضَرُ (8)

---

(1) فى الديوان « لمشوم »

(2) الابيات فى ديوانه (بتحقيق حسين نصار) مع مخالفة فى الترتيب .

(3) فى الديوان « بأم جسير » ولعله تحريف

(4) فى الديوان « سلى .. لمغناك .. »

يقال : عاج بعيره بالزمام : ثناه وأماله ، يريد وقفنا ، وموقرة : محملة — وتخدى : تسرع وتوسع الخطو .

(5) شرقت العين بالدمع : امتلات به ، واخضل : ابتل .

(6) الأبيات فى ديوانه ٢٢٣ من قصيدة مطلعها :

خَلِيلَىَّ لارَبْعٌ بَوَهْبِيْنِ مُخْبِرُ   ولا ذُو حِجًى يَسْتَنْطِقُ الدارَ يُعْذَرُ

ويقابلها من القصيدة الأبيات : ٤ — ٧ و ٩ — ١٣ .

(7) عجت : يريد عطفت ولم تستعجلنى — أغيض البكا . أسفح الدمع من عينى .

(8) الدحل : هوة فى الأرض يضيق رأسها ويتسع أسفلها تجتمع فيها السيول .

مستبدى : موضع خروجهم الى البادية فى الربيع . محضر : محتضر فى الصيف ، او مكان مياههم التى يحضرونها فى الصيف ، يقال للجماعة : اذا نزلت فى القفر فقد بدت ، واذا نزلت على الماء فقد حضرت .

وبالزُّرْقِ أطْلالٌ لِمَيَّةَ أقْفَرَتْ ثلاثةَ أعْوَامٍ (١) تُراحُ وتُمْطَرُ

إذا اعْتَرَضتْ حُزْوَى وأعرض حارِكٌ من الرّمل تمشِى حوله العِينُ أعْفَرُ (٢)

(الحارك) : المشرف من الرمل .

وجَدْتُ فؤادِى كادَ أن يستَخِفَّه رسيسُ الهَوَى من بعضِ ما يَتذكَّرُ (٣)

عَدَتْنِى العَوادِى عنكِ يامَىُّ بُرْهَةً وقد يُلْتَوَى دون الحبيبِ فيُهْجَرُ (٤) [١٧١ ب]

على أننى فى كلِّ سَيْرٍ أسيرُه وفى نظرِى من نحو أرْضِك أصْوَرُ (٥)

فإن تُحْدِثِ الأيامُ يامَىُّ بيننا فَلاَنَاسياً عهْدًا ولا مُتغيِّرُ (٦)

وقال غَيْلان أيضا (٧) :

أداراً بحُزْوَى هِجْتِ للعينِ عَبْرَةً فماءُ الهوى يَرْفَضُّ (٨) أو يترقْرَقُ

وقَفْنا فسَلّمْنا فكادَتْ بِمَشْرِفٍ لِعِرْفانِ صَوْتى دِمْنةُ الدارِ تنْطِقُ

تَجِيشُ إلَىَّ النفسُ فى كل مَنزلٍ لمىٍّ ويَرتاحُ (٩) الفؤادُ المُشوَّقُ

ألا ظعَنتْ مَىٌّ فهاتيك دارُها بها السُّحْمُ (١٠) ترْدِى والحَمَامُ المُطَوَّقُ

---

(١) فى الديوان (ثلاثة أحوال) والزرق : أكثبة بالدهناء ، تراح وتمطر : تتعاوزها الرياح والأمطار ، وبعد هذا البيت فى الديوان :

يَهِيجُ البُكَا ألَّا تَرِيمَ وأنَّها مَمَرٌّ لأصْحَابِى مِرارًا ومَنْظَرُ

(٢) الديوان (اذا ما بدت) وحزوى : موضع . حارك : سنام من الرمل مرتفع ، العين : البقر . والأعفر : ما لونه يميل الى الحمرة .

(٣) رواية الديوان :

وجَدْتُ فُؤادِى كادَ أنْ يَسْتَفِزَّه رَجِيعُ الهَوَى مِنْ بعدِ ما يَتَذَكَّرُ

ورجيع الهوى : ما رجع اليه بعد ذهابه عنه ، ورسيس الهوى : بقيته وأثره .

(٤) عدتنى العوادى : صرفتنى الصوارف ـ برهة : زمانا . وقد يلتوى دون الحبيب : من قولهم : التوى دونى فى الحاجة ، اذا لم يستقم ويروى ينتوى ، أى يطلب نية بعيدة عنه .

(٥) فى الديوان (من نحو دارك) واصور : مائل ، وقيل الأصور : المائل المشتاق .

(٦) فى الديوان : (فَلا ناشِرًا سِرًّا » .

(٧) الأبيات فى ديوانه /٣٨٩ ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات (١ و٣ و٤ و٧ و ١٦ و١٧ و٩ و١٠)

(٨) يرفض : يسيل ـ يترقرق : يذهب ويجىء .

(٩) الديوان (ويرتاع) وتجيش : تفور وتثور ، وفى هامشه اشارالى الرواية الواردة هنا

(١٠) السحم : السود يعنى الغربان . تردى : تذهب ، ويروى (فوضى) مكان (تردى) أى متفرقة . والحمام المطوق : مثل الدباسى والقمارى وما أشبهها .

لها جيدُ أُمِّ الخِشْفِ رِيعَتْ فأَتْلَعَتْ ... ووجهٌ كقَرْنِ الشمس ريّانُ مُشْرِقُ[1]

وعينٌ كعَيْنِ الرِّئمِ فيها مَلاحَةٌ ... هى السِّحْرُ أو أدْهَى التِبَاسًا وأَعْلَقُ[2]

لعَمْرُكَ إنى يوم جَرْعاء مالكٍ ... لذو عَبْرَةٍ كُلٌّ تَفيض وتَخْنَقُ[3]

وإنسانُ عينى يَحْسُرُ الماءَ تارةً ... فيَبْدُو ، وتاراتٍ يَجِمُّ فيَغْرَقُ[4]

وقال عبد الله بن الدُّمَيْنة[5] :

[١٧٢ أ]

سَلِى البانَةَ الغَنّاء بالأَجْرَعِ الذى ... به البانُ ، هل حَيَّيْتُ أطلالَ دارِكِ ؟

وهل قمت فى أطْلَالِهِنّ عَشِيَّةً ... مَقامَ أخِى الضراء واخترتُ ذلِكِ[6]

لِيَهْنِكِ إمساكِى بكَفِّى على الحَشَا ... ورَقراقُ دَمْعِى خِيفَةً من زِيالِكِ[7]

فلو قلتِ : طَأْ فى النار أعلمُ أنه ... رضىً[8] لكِ أو مُدْنٍ لنا فى وِصالِكِ[9]

لقدَّمْتُ رِجْلِى نحوَها فوطِئْتُها ... هُدًى منكِ لى ، أوضَلَّةً من ضَلالِك[10]

---

(١) الجيد : العنق ، وأم الخشف : الظبية ، والخشف : ولدها ــ ريعت : فزعت ــ أتلعت : مدت عنقها تنظر ، وقيل : أتلعت : علت تلعة ، وهى المكان المرتفع ، والمكان المنخفض أيضا . وقرن الشمس : جانبها .

(٢) الرئم : الظبى الأبيض ــ ادهى : انكر ــ اعلق : اثبت . .

(٣) تخنق : تأخذ الحلق ، ورواية الديوان (كلا) بالنصب ، وأشار الى أن الرفع هو رواية الاصمعى . والجرعاء : الرمل فى الأرض ــ وجرعاء مالك : اسم رمل بعينه .

(٤) أراد : وانسان عينى يحسر الماء عن نفسه فيظهر ، ومعنى يجم : يكثر فيه الماء .

(٥) الأبيات منسوبة اليه فى الأمالى ٢/٣٥ ومعاهدة التنصيص / ٧٨) وكذلك ورد بعضها فى أمالى المرتضى ١/٤٩٥ مع تقديم وتأخير .

وفى الزهرة ٤١ البيتان ٤ و ٥ فى أبيات منسوبة الى خليفة بن روح الاسدى .

(٦) فى الأمالى ومعاهد التنصيص «مَقامَ أخِى البَأْسَاءِ» وفى أمالى المرتضى : «مقام سقيم القلب»

(٧) فى أمالى القــــالى ، وامالى المرتضى« ليهنئك » ورقراق عينى . .» والزيال : مصدر زايلة ، إذا فارقه وفى المعاهد : «ورقْراق دَمْعِى رَهْبَةً مِنْ مِطالِكِ» .

(٨) فى الامالى ، وأمالى المرتضى « .. انه هوى لك » . وما هنا يوافق معاهد التنصيص

(٩) فى امالى القالى « من نــــوالك » وفى المعاهد ، وامالى المرتضى « من وصالك ».

(١٠) فى امالى المرتضى (١/٤٩٥) وفى الحاشية أشار محققه الى أنه روى :

* سُرُورًا ، لأَنِّى قَدْ خَطَرْتُ بِبَالِكِ *

وفى الزهرة : « أو هفوة من ضلالك » .

وقال آخر [1] :

وقفتُ كأنِّى من وراءِ زُجَاجَة ... إلى الدارِ من فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

فعَيْناى طَوْرًا تَغْرقان من البُكا ... فأَعْشَى ، وطَوْرًا يَحسِران [2] فأُبْصِرُ

وقال البحترى [3] :

بنا أَنْتِ من مَجْفُوَّةٍ لم تُعَتَّبِ ... ومعذورَةٍ فى هجرِها لم تُؤَنَّبِ

ونازحَةٍ والدارُ منها قَرِيبةٌ ... وما قربُ ثاوٍ فى الترابِ مُغَيَّبِ ؟!

قَضَتْ عُقَبُ الأَيامِ فينا بهجرةٍ ... متى ما تُغالَبْ بالتَّجَلُّدِ تَغْلِبِ [4]

أَلا لا تُذَكِّرْهُ [5] الحِمَى إن ذِكْرَه ... جَوًى باطِنٌ للمُستهامِ المُعَذَّبِ

ولما تَزَايَلْنَا من الجَزْعِ وانتَأَى ... مُشَرِّقُ ركْبٍ مُصْعِدٍ عن مُغَرِّبِ [6]

تَبَيَّنْت أن لا دارَ من بعد عالِجٍ ... تَسُرُّ ، وأن لا خُلَّةً بعد زَيْنَبِ [7]

[١٧٢ ب]

وقال أيضا [8] :

أَبكاءٌ فى الدارِ بعد الدّارِ؟ ... وسُلُوًّا بزَيْنَبٍ عن نَوَارِ ؟!

لا هَناكَ الشُّغْلُ الجديدُ بحُزْوَى ... عن رُسومٍ برامَتَيْنِ قِفارِ [9]

---

(١) البيتان فى الزهرة / ٢٩٥ من غير عزو، وأشار الاصفهـــانى فيه الى ان المعنى مأخوذ من قول ذى الرمة :

وإنْسَانُ عَيْنِى يَحْسُرُ الماءَ تارَةً ... فَيَبْدُو ، وتاراتٍ يَجِمُّ فيَغْرَقُ

(٢) يحسران : ينكشـفان ، يريد ينحسر عنهما ما يملؤهما من الدمع .

(٣) الأبيات فى ديوانه (١/٤٩) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات : (١ و٢ و٣ و٥ و ١١ و ١٢)

وبين هذا البيت والذى بعده فى الديوان البيت .

فإن أَبْكِ لاأَشْفِى الغَلِيلَ ، وإنْ أَدَعْ ... أَدَعْ لَوْعَةً فى الصَّدْرِ ذاتَ تَلَهُّبِ

(٤) عقب الأيام ، جمع عقبة ، وهى الليـــل والنهار ، أو يريد تعاقبها .

(٥) فى الديوان « لاتذكرنى »

(٦) تزايلنا : افترقنا ، انتأى : ابتعد من النأى وهو البعد .

(٧) الخلة : الصديق ، للمذكر والمؤنث ، وخلة الرجل زوجتـه ، وعالج : رمال بين فيـد والقريات متصلة بالثعلبية .

(٨) الأبيات فى ديوانه (٢/٢٤) من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاما وهى من أول القصيدة على الترتيب .

(٩) هناك : اراد هنأك ، فخفف ، يقال هنأه الشىء ، اذا سره ، وحزوى .. موضع بنجد فى ديار تميم ، ورامتان : تثنيه رامة ، منزل فى طريق البصرة الى مكه ، وبعده بمرحلـــة آخر ديار تميم .

ما ظَنَنْتُ الأَهَواءَ قبْلك(١) تُمْحَى ‏ ‏ ‏ في صُدورِ العُشّاقِ مَحْوَ الدّيارِ

وقال الأَحْوَص :

خَلِيلَيَّ من غَيظِ بنِ مُرّةَ(٢) بلِّغا ‏ ‏ ‏ رسائِلَ مني ، لا أَزِيدُ كما وِقْرَا (٣)

أَلا ليت شِعْرِى هل إلى أُم جُحْدَرٍ ‏ ‏ ‏ سبيلٌ ، فأَمّا الصبرُ عنها فلاصَبْرَا

وإنى لأَسْتَثْنِي الحديثَ لأَجْلِها ‏ ‏ ‏ لأَسْمَعَ منها - وهي نازحةٌ - ذِكْرا

وأَعجبُ دارٍ دارُها غير أَنَّنى ‏ ‏ ‏ إذا ما أَتَيْتُ الدارَ تَرْجِعُنى صِفْرَا (٤)

عشِيَّةَ أَلوِى بالرداءِ على الحَشا ‏ ‏ ‏ كأَنَّ الحشَا من دونه مُشْعَرٌ جَمْرا (٥)

وقال عمر بنُ أَبى ربيعةَ المَخْزومىّ (٦) :

أَأَلحَقُّ(٧) إن دارُ الرَّبابِ تباعَدَتْ ‏ ‏ ‏ أَو انبتَّ حَبْلٌ أَنَّ لُبَّك طائر (٨)

[١ ١٧٣]

أَفِقْ ، قد أَفاق العاشِقونَ وجانَبُوا(٩) ال. ‏ ‏ ‏ هَوَى واستَمَرَّتْ بالرِّجَالِ المرائرُ (١٠)

زَعِ النَّفْسَ ، واستَقْنِ الحياءَ فإنما ‏ ‏ ‏ يُباعِدُ أَو يُدْنِى الرَّبابَ المقادِرُ (١١)

---

(١) فى الديوان (قتلك) وهو تحريف

(٢) غيظ بن مرة : أبو حى من قيس عيلان ، وهو : غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان .

(٣) الوقر : الحمل الثقيل .

(٤) الصفر : مثلثة الصاد ، الشىء الخالى .

(٥) الوى : اثنى واعطف واعتمد ، مشعر :مخالط ، أو هو من قولهم : اشعرالهم فؤاده ، اذا لزق به

(٦) الأبيات فى ديوانه (٩٨ ط بيروت) من قصيدة مطلعها :

يَقُولُ عَتِيقٌ إذْ شَكَوْتُ صَبابَتى ‏ ‏ ‏ وَبَيَّنَ داءٌ من فُؤادِى مُخَامِرُ

ويقابلها فى ترتيب الديوان الأبيات (٢ و٣ و ٤ و ٦ و ٥ و ٧ و ٩) .

(٧) فى الديوان : « أَحَقَّالَئِنْ دارُ الرّبابِ » .

والبيت برواية المصنف من شواهد النحاة وانظر جامع الشواهد .

(٧) فى الديوان : « أحقا لئن دار الرباب »

(٨) فى الديوان « قلبك » .

(٩) فى الديوان « وفارقوا » .

(١٠) يقال : استمر بالشىء : اذا قوى على حمله ، استمرت مرائره ، اذا استحكم عزمه .

(١١) زع : أمر من وزع ، أى كفها وامنعها ؛ واستقن الحياء : الزمه ، ورواية الديوان للبيت

زَعِ القَلْبَ واسْتَبْقِ الحَيَاءَ فَإِنَّمَا ‏ ‏ ‏ تُباعِدأَو تُدْنِى الرَّبابَ المقَادِرُ

أمِتْ حُبَّها ، واجعلْ مكانَ[1] وِصالِها ورؤيتِها أمثالَ من لا تُجاوِرُ

فكالنَّاسِ[2] عُلِّقْتَ الربابَ فلاتَكُنْ أحاديثَ من يَبْدُو[3] ومن هو حاضِرُ

وهَبْها كشىءٍ لم يكن ، أو كنازِحٍ به الدَّارُ ، أو مَن غَيَّبَتْهُ المقابِرُ[4]

فنَفْسَكَ ، لِمْ جِئْتَ الذى جئتَ طائعًا وحالَفْتَ أمرَ الغَيِّ إذ أنتَ سادِرُ ؟[5]

كان المَنْصُورُ أنزَلَ أبا دُلامَة فى دارٍ بالقرب من قَصْرِه ، ثم دَعَتْهُ الحاجةُ إليها ، فأمرَ بإضافتها إلى قصرِه ، فدخلَ عليه أبو دُلامَةَ فأنشده[6] :

يا ابنَ عَمِّ الرَّسُولِ[7] دَعْوَةَ شيخٍ قد دَنا هدْمُ دارِهِ ودَمَارُهْ

فهو كالماخِضِ[8] التى اعْتادَها الطَّلْـ ـقُ ، فَقَرَّتْ ، وما يَقَرُّ قَرارُهْ

إنْ يَحُرْ[9] عُسْرُهُ بكَفَّيْكَ يَوْمًا فَبِكَفَّيْكَ عُسْرُه ويَسَارُه

أو تَدَعْه إلى البَوَارِ[10] فأنَّى ؟ ولماذا ـ وأنت حَيٌّ ـ بَوَارُه ؟

---

(١) رواية الديوان :

أمِتْ حُبَّها واجْعَلْ قَدِيمَ وصالِها وعِشْرَتِها أمْثَالَ مَنْ لا تُعَاشِرُ

(٢) فى الديوان : « فإنْ كُنْتَ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تَكُنْ » .

(٣) يقال : بدأ فلان بدوا وبداوة : خرج الى البادية ، أو أقام بالبادية ، فهو باد ، والحاضر : نقيضه .

(٤) الأبيات (١ و ٢ و ٦) فى ديوانه (طليبزج) وردت فى المنسوب اليه .

(٥) رواية الديوان لهذا البيت :

فلا تَفْتَضِحْ عَيْنًا ، أتَيْتَ الذى تَرَى وطاوَعْتَ هَذا القَلْبَ إذْ أنْتَ سادِرُ

(٦) الخبر والشعر فى الأغانى (١٠/٢٦٠) (ط دار الكتب) .

(٧) فى الأغانى « يا ابْنَ عَمِّ النَّبِىِّ » .

(٨) الماخض : التى دنا ولادها وأخذها الطلق

(٩) فى الأغانى « ان تحز عسرة .. » وما هنا أصح فى المعنى ، وهو من حار يحور ، اذا رجع ، وفسر الراغب فى المفردات الحور بالبعث فى قوله تعالى : « إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ » والمعنى من ذلك ، جعل عسره كأنه قد مات حين أعطاه المنصور هذه الدار ، وهو بأخذها يحيى العسر ويبعثه من جديد .

(١٠) فى الأغانى : « أوْ تَدَعْهُ فَلِلْبَوارِ ، وأنَّى ... » .

والبوار : غاية الكساد والخسران ، ويراد به الهلاك أيضا .

[١٧٣ب]

هل يَخافُ الهَلاكَ شاعِرُ قوم ۔ قَدُمَت فى مَدِيحِهِمْ أشعارُهْ ؟
لكمُ الأرضُ كلُّها ، فأعِيرُوا ۔ شيْخَكُم ما احتوى[1] عليه جِدارُهْ
فكأنْ قد قَضَى[2] وخَلَّفَ فِيكمْ ۔ ما أعَرْتُمْ ، وأقْفَرَتْ منه دارُهْ

فاستعْبَرَ المنصورُ ، وأمر بتعويضِه [داراً][3] خيرًا منها ، ووَصَلَه .

عن عبد الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المُعْتَز ، وهو يبنى دارَه ويُبَيِّضها ، فقلت له : ما هذه الغَرَامَة؟ فقال : إنَّ السَّيْل الذى جاء منذ ليالٍ أحدَثَ فى دارِى ما أحْوَجَ إلى الغَرَامَة والكُلْفَةِ ، فقُلْت؟ [4] :

ألا مَنْ لنَفْسٍ وأحزانِها ۔ ودارٍ تداعَتْ[5] بحيطانِها
أظَلُّ نهارِىَ فى شَمسِها ۔ شَقيًّا مُعَنًّى[6] ببُنْيَانِها[7]
أسَوِّدُ وَجْهِى بتَبْيِيضِها ۔ وأهْدِمُ كِيسِى بعُمْرانِها[8]

وقال آخر :

ومن يَنْأَ عن دارِ الهَوَى يُكْثِرِ البُكَا ۔ وقولَ لَعَلَّ أو عَسَى سَيَكونُ

---

(١) فى الاصل « ماحوى » والمثبت رواية الأغانى ، لأنها أجود

(٢) فى الاغانى « مضى » والمعنى واحد . (٣) زيادة من الأغانى .

(٤) الخبر والشعر فى الأغانى (١٠/٢٨٣ ط دار الكتب) وكذلك ورد فى ديوانه ٢/٩٣ وهى من مقطوعه عدتها أربعه أبيت ، وفى أشعار أولاد الخلفاء ١١٦ ، ويقابلهـا منهـا الأبيات (١ و ٢ و ٤) وفى الجزء الرابع من شعر ابن المعتز (١٢٢ ط استانبول) وردت الأبيات متفقة فى الرواية مع الوارد هنا .

(٥) فى الأغانى « تداعى » اى تتداعى

(٦) فى أشعار أولاد الخلفاء ، والديوان ط. استانبول « شَقِيًّا لَقِيًّا ببُنْيَانِهَا » .

(٧) بين هذا البيت والذى بعده فى الديوان :

ولا أحَدٌ مِنْ ذَوِى قُرْبَتِى ۔ يُسَاعِدُنى عِنْدَ إتْيَانِهَا

ولعل أسامة أسقطه لما فيه من ركاكة ، ولم يرد فى شعر ابن المعتز (٤/١٢٢ ط استانبول)

(٨) فى الديوان « لتبييضها » و « لعمرانها » والكيس : ما تحفظ فيه الدراهم والدنانير ، وهو هنا يعنى ماله ومدخره .

وفى أشعار أولاد الخلفه « تسود » مكان « اسود » ورواية الشطر الثانى فيه :

« وتُخْرِبُ مالِى بِعُمرانِها »

وفى الديوان ط. استانبول « وأهْدِمُ مَالِى بعُمْرَانِهَا » .

وماالخترتُ نأىَ الدَّارِ عَنْكم لِسَلْوةٍ ولكن مقادِيرٌ لهن شجُون

[١٧٤ أ]

وقال أبو عبد الله بن حَجّاج(١) :

أخلّاىَ ما اسْتَوْحَشْتُمُ عند غَيْبَتى لِبَيْنِىَ ، ولا اسْتَأْنَسْتُمُ بالأَسَى بَعْدِى

أَلَمْ تعلمُوا أَنّى أَحِنُّ إليكم كما حَنَّت النِّيبُ(٢) العِطاشُ إلى الوِرْدِ

فلا مَرْحَبًا بالدارِ لا تَسْكُنونَهَا ولو أَنّها الفِرْدَوْسُ ، أو جَنَّةُ الخُلْدِ

وقال آخر :

وما زِلْتُ مُذْ شَطَّتْ بِىَ الدارُ باكيا أُؤَمِّلُ عَطْفًا منك حينَ أَؤوبُ(٣)

فأَضْعَفْتَ(٤) مابِى حين أُبْتُ وزِدْتَنى عذابًا وإعراضًا وأَنتَ قريبُ

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ أَرضٌ تَحُلُّها إلىّ ودَارٌ تَحْتَوِيكَ رُبُوعُها

لَحَى(٥) اللهُ قَلْبًا لا يَهِيمُ صَبَابَةً إليكَ وعَيْنًا لا تَفِيضُ دُمُوعُها

وقال الحسين بن على بن أبي طالب - رضوان الله عليهما - :

لعمْرُكَ إنّنِى لأُحِبُّ دارًا تَحُلُّ بها سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

أُحِبُّهُما وأَبْذُلُ بعدُ مالى وليسَ للائِمِى فيها عِتابُ

[١٧٤ ب]

ولستُ لهُمْ وإن عَتَبُوا مُطِيعًا حياتِى ، أو يُغَيِّبَنِى التُّرابُ

(سُكَيْنَةُ : بنتُه ، والرَّباب : أُمُّها ، وهى بنتُ امرئُ القَيْسِ بن عَدِىّ بن أَوْسِ بن جابِرِ ابن كَعْبِ بن عُليم) .

أورد أبو جعفر محمّدُ بنُ جَريرٍ الطَّبَرِىّ - رحمه الله - فى كتابه «نسب الصحابة» رضى الله

---

(١) له ترجمة مطولة فى يتيمة الدهر (٣/ ٣٠ - ٩٨) ولم أجد هذه الأبيات فيما اختاره الثعالبى من شعره على كثرته .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٣) شطت الدار : بعدت

(٤) أضعف الشىء : زاده مثل ضعفه وضاعفه وضعفه بالتشديد .

(٥) لحاه الله : قبحه ولعنه .

عنهم ، أن أبا أحمد بنَ[1] جَحْشِ بن رِياب ، واسمُه عَبْد ، وأمُّه أُمَيْمَةُ بنتُ عبدِ المطلب بن هاشِم بن عبد مناف ، أسلم هو وأخواه عبدُ الله وعُبَيْدُ الله – رحمهما الله – قبل مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دارَ الأَرْقَمِ يَدْعُو فيها ، وهاجَر أبو أَحْمَدَ مع أخيه عبدالله وقومِه إلى المدينة ، فنزلوا على مُبَشِّر بن عُبَيْد ، فعمَدَ أبو سُفْيان بن حَرْبٍ إلى دار أبي أحمَدَ ، فباعَها من ابنِ عَلْقَمَةَ العامِرىّ بأربعمائةِ دينارٍ ، فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ عامَ الفتح ، وفَرَغَ من خطبته ، قام أبو أحمد على باب المسجد على جملٍ له ، فجعل يَصيح : أَنْشُدُ[2] اللهَ يا بنى عبد مناف حِلْفِى ، أَنشُدُ الله يا بنى عبد مناف دارِى ، فدعا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – عُثْمانَ بنَ عفان – رضوان الله عليه – فسارّه بشىء ، فذَهَبَ عثمانُ إلى أبى أحمَدَ فسَارَّه ، فنزَل أبو أحمَدَ عن بَعيرِه ، وجلَس مع القوم ، فما سُمِع ذاكِرَها ، حتى لَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فقال آلُ أبي أحمد : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : لكَ بها دارٌ فى الجَنَّة .

[١١٧٥]

وقد كان أبو أحمَدَ – رحمه الله – قال فى بيع دارِه لأبى سُفيان – رحمه الله – :

أَقَطَعْتَ عهدَك بينَنا ... والحازِياتُ[3] إلى ندامَهْ

أَلَّا ذكرتَ ليالِىَ العيشِ التى فيها القَسامَهْ[4]

عَقْدِى وعَقْدُك قائمٌ ... أن لا عُقُوقَ ولا أثامَهْ[5]

دارُ ابنِ عَمِّك بِعْتَها ... تَشْرِى بها عنكَ النَّدامَهْ

اذْهَبْ بها أذهب بها ... طُوِّقْتَها[6] طوقَ الحَمَامَهْ

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة ٣/٣٣٤ ، واخوه عبد الله ابو محمد ، واختهما زينب بنت جحش – رضى الله عنها – زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) انشد كذا : اطلبه واسأل عنه ، واذكر به ، ويقال : انشدك الله ، وبه .

(٣) الحازيات – كذا رسمه بالحاء المهملة –وهو جمع حازيه من الحزو ، ضرب من الكهانة والعرافة واذا قرىء الجازيات – بالجيم – فهوجمع جازية بمعنى الجزاء : مصدر بوزن فاعله ، وجمعه خالد بن زهير على الجوازى فقال :

فإنْ كُنْتَ تَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ مَخَافَةً ... فَتِلْكَ الجَوَازِى عَقْبُهَا ونُصُورُهَا

(٤) الا : يريد هلا للحث والتخصيص ، والقسامة هنا معناها التحالف والتعاهد .

(٥) الأثامة : عقوبة الاثم وجزاؤه ، وقيل :هو الاثم .

(٦) طوقتها : أى جعلت كالطوق فى عنقك يوم القيامة ، كقوله تعالى : «سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » وفيه إشارة إلى الحديث«من غَصَبَ جارَهُ شِبْرًا من الأَرْضِ طُوِّقَهُ من سَبْعِ أَرَضِين »

وجُزيتَ فيه إلى العُقُو وقِ وأسْوإ الخُلُقِ الرّغامَهْ[1]

قد كنتُ آوِى فى ذَرَى فيه المقامة والسّلامَهْ[2]

ما كانَ عَقْدُك مِثْلَ ما عقدَ ابن عمرو لا بن مَامَهْ

وكان أبو أحمد هذا ـ رحمه الله ـ ضريرا ، وله أشعار كثيرة .

عن أبي عبد الله العَبْدِىّ قال : كان الفَرَزْدَقُ مُسْتَخْفِيًا فى بنى شَيْبَان من عبيد الله بن زياد ، ثم تحوّل عنهم وقال :[3]

تَصَرّمَ عنى وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ وما خِلْتُ عنى وَدَّهُم يَتَصَرّمُ[4]

قوارِصُ[5] تأتِينى ويَحْتَقِرُونها[6] وقد يَملأُ القطرُ الإناء فيُفْعَمُ[7]

فقالَ رجل من بَكْرِ بنِ وائل يجيبه :

لعَمْرِى لئِنْ كان الفرَزْدَقُ قد نَأى وأحْدَثَ صَرْمًا للفَرَزْدَقُ أظْلَمُ

لقد وسَّطَتْكَ الدارَ بكرُ بنَ وائلٍ وضمّتْ لك الإحسانَ إذْ أنتَ مُجْرِمُ

فإن تَنْأَ عنها لا تَضِرْها ، وإنتَعُدْ تَجِدْها على العَهْدِ الذى كنتَ تَعْلَمُ

---

(١) الرغامة : كانه مصدر رغم كالرغم بمعنى الهوان والذل .

(٢) الذرى ـ بفتح الذال ـ كل ما استترت ، به ولجأت اليه ، والظل ، ويقال : هو فى ذرى فلان ، اى فى كنفه وستره ودفئه .

(٣) فى ديوانه ـ الذى أملاه محمد بن حبيب عن ابن الاعرابى (١/ ٦٠ ط باريس) ـ لهذين البيتين مقدمة بهذه العبـــارة ، وفيهـــا بعض اختلاف عما جاء هنا :

« وكان الفرزدق لما هرب من زياد ابن أبيه نزل بالروحاء على بكر بن وائل ، ثم انتقل عنهم إلى المدينة ، فقال : « تَصَرَّمَ عَنِّى وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ ... » .

(٤) رواية الديوان : « وما كادَ عَنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ » .

(٥) القوارص : جمع قارصة ، وهى الكلمة المؤذية ، وفى اللسان ورد البيت شـــاهدا على ذلك .

(٦) رواية الديوان (فيحتقرونها) .

(٧) رواية الديوان : « وَقَدْ يَمْلَأُ القَطْرُ الآتِيَّ فَيُفْعَمُ » والقطر هو الفاعل ، والآتى ـ وهو السيل يأتى من بعيد ـ المفعول . وما هنـــا يتفق مع رواية اللسان مادة (قرص) .

[١٧٥ب] أنشد ابنُ خالوَيْه لبعض العرب [1] :

أَلم تعلمى يا دارَ بَلْجاء [2] أَنَّنى ... إذا أَخْصَبَتْ أَو كان جَدْبًا جَنَابُها
أَحَبُّ بلادِ اللهِ مابين مَنْعِجٍ ... إلىَّ وسَلْمَى أَن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تمائِمِى ... وأَوّلُ أَرْضٍ مسَّ جِلْدِى تُرَابُها

أَورد الشيخُ الإمام أَبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزَّالِىّ ـ رضى الله عنه ـ فى فضائل مالك بن أَنس ـ رضوان الله عليه ـ أَنَّ الرّشيدَ سأَل مالِكًا : هل لك من دارٍ ؟ قال : لا ، فأَعطاه ثلاثةَ آلافِ دينارٍ ، وقال : اشترِ بها دارًا ، فأَخذها مالك ، ولم يُنْفِقْها ، فلما أَراد الرشيدُ الشُّخُوصَ من المدينة ، قال لمالك : ينبغِى أَن تَخْرُجَ معنا ، فإِنِّى عَزَمتُ أَن أَحْمِلَ الناس على المُوَطَّأ ، كما حمل عُثْمانُ ـ رضوان الله عليه ـ النّاسَ على القُرآن [3] ، فقال له مالكٌ : أَمّا حملُك النّاسَ على المُوَطَّأ فليس إلى ذلك سبيل ؛ لأَن أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم افْتَرَقُوا بعده فى الأَمصار ، فحدّثوا ـ رضى الله عنهم ـ فعند كلِّ أَهل مِصْرٍ عِلْمٌ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتِلافُ أُمَّتى رَحْمَة [4] » وأَما خروجى معك فليس إليه سَبِيلٌ ، قال صلى الله عليه وسلم : « المدِينَةُ خيرٌ لهم لو كانُوا يَعْلَمُون » [5] وقال صلى الله عليه وسلم : « المدِينَةُ تَنْفِى خَبَثَها كما يَنْفِى الكيرُ خَبَثَ الحديدِ [6] » وهذه دنانِيرُكُم ، كما هى ، إنْ شِئْتم خُذُوها ، وإن شئتم دَعُوها .

أَراد أَنك تكَلِّفنَى مفارقة المدينة لما اصْطَنَعْتَ إلىَّ ، ولا أُوثِرُ الدنيا على مدينةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البيتان ٢و٣ تقدما فى ص (١٤٥ آ) واشرنا فى هامشها الى الخلاف فيمن نسبت اليه هذه الأبيات ، فلينظر ثمة .

(٢) فى معجم البلدان (منعج) « يادارَ مَلْحَاء أَنّه ... إذا أَجْدَبَتْ أَوْ كانَ خِصْبًا جَنابُها وما هنا يوافق شرح المقامات للشريشى ١/٢٢٩ .

(٣) يريد « على المصحف الامام » (٤) الحديث فى الفتح الكبير ١/٥٦ .

(٥) الحديث فى مبارق الازهار لابن الملك ،وهو شرح مشارف الأنوار للصاغانى (٢/١١٤)

(٦) الحديث فى صحيح البخارى (كتاب الاحكام ـ باب بيعة الاعراب) وفى صحيح مسلم (كتاب الحج ـ باب المدينة تنفى شرارها) والنهاية لابن الاثير (المواد : بضع ، خبث ، نصع) والفائق (كير) ولفظه فيه « المَدِينَةُ كالكِير ، تَنْفِى خَبَثَها ، وتُبْضِعُ طِيبَها » وفى مارق الأَزهار (١/٢٠٠) ولفظه فيه « إنَّمَا المَدِينَة كالكِير .. الخ» وفى اللسان (خَبث) خبث الحديد والفضة ونحوها ما نفاه الكير اذا اذيبا ، وهو مالا خير فيه .

وقال المَهْدِىّ يومًا لمالِكٍ : هل لك فى دارٍ ؟ قال : لا ، ولكِنِّى أُحَدِّثُك : سمعتُ رَبيعَةَ بن عبد الرحمن يقول : «نَسَبُ المرءِ دارُه» .

وقال ربيعةُ بن مَقْرُوم الضَّبِّىّ :

يا دارَ أسماءَ بالأَمْثَالِ فالرِّجَلِ ... حُيِّيتِ من دِمْنَةٍ قَفْرٍ ومن طَلَلِ (١)

كأَنَّهَا بعد عَهْدِ العاهِدِينَ بها ... مَهَارِقُ العُجْمِ أَو مَوْشِيَّةُ الحُلَلِ (٢)

دارٌ غَنِينَا بها حِينًا ، وأَىُّ غِنًى ... عَنْ أَهْلِهِ ـ يا ابنةَ الضَّبِّىِّ ـ لم يَحُلِ (٣) ؟!

وقال نُصَيْب :

أَلا تسأَلُ الدارَ التى لَعِبَ البِلَى ... بجِدَّتِها ، فَلَمْ تَكَد تَسْتَبِينُها ؟!

متى بانَ منها أَهْلُها ؟ أَم هل البُكا ... ـ إنِ العيْنُ بالدَّمْعِ استَهَلَّ شُئُونها (٤) ـ

[١٧٦ ب]

يُرِيحُ هَوَى نَفْسٍ عَصَتْكَ وأَصْبَحَتْ ... تُنازِعُ شَتَّى لا جَمِيعًا شُجُونُها

إذا غَشِيَتْ رَبْعًا لزَيْنَبَ راجعَتْ ... به الشَّوقَ ، حتى يُسْتبانَ دَفِينُها

فلا حَدَثُ الأَيَّامِ أَنْسَاكَ ذِكْرَها ... ولا غُرْبَةُ الدارِ الشديدِ شُطُونُها (٥)

وقال آخر (يُنْسَبُ إلى المَجْنُون قيس بن المُلَوح) (٦) :

---

(١) الأمثال : أرضون ذات جبال ، من البصرة على ليلتين (نحو ٦٠ كم) ، سميت بذلك لأنه يشبه بعضها بعضا ، والرجل جمع رجلة : مسيل ينبت البقل وهى ثلاث رحل ذكرها البكرى : رجلة التيس فى بلاد طىء ، ورجلة أحجاء ، ورجله بلى ـ بوزن قمرى ـ و كلها وردت فى شعر الراعى

(٢) اراد بالعهد : ما كان يعهده ويعرفه ، اوالمعهود ، أو المنزل او الزمان ، والعاهدين : الساكنين ، ولم تذكره المعاجم ومهارق : جمع مهرق ـ بضم فسكون ففتح ـ : وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها (معرب ، فارسيته مهر كرد) ومثله قول حسان :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْوَالِ ... لآلِ أَسْمَاءَ مِثْلَ المُهْرَقِ البالى

(٣) يقال : غنى بالمكان : اقام به ، ومعنى لم يحل : لم يتغير .

(٤) شئون : جمع شأن ، وهو هنا مجرى الدمع فى العين .

(٥) اراد بحدث الايام : ما جد منها بعد عهده بها . والشطون : البعد .

(٦) كذا ورد ما بين القوسين فى الأصل بخط المؤلف ، وهو منسوب اليه أيضا فى تزيين الأسواق ٦٥ ، و الزهرة ٣٠٥ وكذلك وردت فى شعر مجنون ليلى (١٤٩ جمع وتحقيق عبد الستار فراج) وتخريجها فيه .

يا دار لَيْلَى بِسِقْطِ الخَلِّ[1] قد درَسَت   إلا الثُّمَامَ ، وإلا مَوْقِدَ النار

أَبْلَى عِظَامِيَ - بَعْدَ الحُب - دارِسُها   كما تتبَّع عُود الشَّوْحَطِ الباري[2]

ما تَبْرَحُ الدَّهرَ من ليلى تموتُ جَفًا   فى مَوْقِف وَقَفْتَهُ أَو على دَار ؟!

وقال المرار الفَقْعسيّ[3] :

خليلَىَّ إنّ الدارَ غَفْرٌ لذى الهوَى   كما يُنْكَسُ المَحْمُومُ أو صاحِبُ الكلْمِ

أَبى مَنْزِلٌ بالبُرْقِ إلّا يُهيجُنِى   ودارٌ لها بين الأَجارِعِ والرَّضْمِ[4]

(الغَفْر : النَّكْسُ والتغطية ، وشعر الساق غَفْرٌ[5]) .

وقال الغَطَمَّش الضَّبِّى[6] :

[177 ا] أَقول لجَوّابٍ وقيسِ بن عازِبٍ   وقد بلّ جفنَ العينِ ماءٌ مَسِيلُها

---

(1) فى شعر مجنون ليلى « بسقط الحى » والخل - بفتح اوله - : موضع قبل سلع ، وسلع : جبل متصل بالمدينة ، والخل أيضا علم لمواضع أخرى ، وانظر معجم البلدان فى رسمه .

(2) الشوحط : شجر النبع الذى تسوى منه السهام : النبع : ما ينبت منه فى الجبل ، والشوحط : ما ينبت منه فى السهل : وفى المصدر السابق :

أَبْلَى عِظَامَكَ بعدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَهَا   كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ البارِى

(3) البيت الأول أورده الجوهرى فى الصحاح (غفر) من غير عزو ، وروايته :

لَعَمْرُكَ إنَّ الدَّارَ غَفْرٌ ..   كما يُغْفَرَ المَحْمُومُ .. »

ونسبته للمرار حكاها صاحب اللسان عن ابن برى ، وصحح روايته : خليلى ان الدار . » بدلالة قوله بعده :

قِفَا فَاسْأَلَا مِنْ مَنْزِلِ الحَىِّ دِمْنَةً   وبالأَبْرَقِ البادِى أَلِمَّا على رَسْمِ

(4) الاجراع : واحدها أجرع ، وهو الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة ، والرضم : أصله فى اللغة حجارة عظام تجمع فيرضم بعضها على بعض فى البناء ، وهو هنا موضع على ستة أميال من زبالة ، بينها وبين الشقوق .

(5) كذا فسره المصنف ، وفى اللسان : غفر المريض والجريح (من باب ضرب) وغفر (على صيغة مالم يسم فاعله) معناه نكس ، وكذلك العاشق اذا عاده عيده بعد السلوة .

(6) البيت الثانى من بيتى الغطمش فى حماسة أبى تمام (٦٢٣ ط بون) وهو فيها من غير عزو ، واورد بعده البيت التالى :

وإنْ لَمْ يَكُنْ إلّا مُعَرَّج سَاعَةٍ   قَلِيلا فإنِّى نافِعٌ لى قَلِيلُها

وقال التبريزى : قال ابورياش : البيت الثانى لذى الرمة فى قصيدته التى أولها « أَخَرْقَاءُ لِلبَيْنِ اسْتَقَلَّتْ حُمُولُها » .

قفا حَيِّيا الدارَ التى لو وجَدْتُما   بها أهْلَها ما كان نَحْسًا مَقِيلُها[1]

وقال طَلْحَة بن رفاعة :

سقى اللهُ دارًا بين أمواهِ بارق   وذى نَخِبٍ لم يَبْقَ إلا صَعيدُها[2]

بها كانَ عهدُ المالِكيَّةِ فانقضى   كذاك الغَواني لاتدومُ عُهودُها

وكانت تُمَنِّينَا وتزعُم أنّه   يجيءُ على بعضِ الأمانىِّ جُودُها

فما زادَها أن أيْسَرَتْ[3] لدُيُونِنا   قضاءً ، ولكن كان بُخْلًا يزيدُها

رُوى أن إبراهيمَ بن حُذَيْفَةَ - رحمه الله - باع دارَه ، فلما أراد المشترى أن يُشْهِدَ عليه قال : لستُ أُشْهِدُ عليها ولا أسلِّمُها حتى تَشْتَرُوا منى جوارَ سعيدِ بنِ العاصِى ، وتَزيدوا فى الثمن ، قالوا : وهل رأيتَ أحدًا اشترى جوارًا أو باعه ؟ قال : ألا تَشْتَرُونَ جوارَ من إنْ أسأْتُ إليه أحْسنَ ، وإن جَهِلْتُ عليه حَلُمَ ، وإن أعْسرْتُ وهبَ ؟ لاحاجة لى فى بَيْعِكُمْ ، رُدُّوا علىَّ دارى ، فبلغ ذلك سَعِيدَ بن العاصِى ، فبعَثَ إليه بمائةِ ألف درهم .

[١٧٧ب] وروى المدائنىّ قال : باع جارٌ لفَيْرُوز دارَهُ بأربعة آلاف درهم ، فجىء بها ، فقال البائعُ : هذا ثمنُ دارِى ، فأين ثمنُ جارِى؟ قال : ولجارك ثمن؟ قال : لا أنْقُصُه والله من أربعة آلاف ، فبلغ ذلك فَيْرُوزَ ، فأرسلَ إليه بثمانيةِ آلاف درهم ، وقال : هذا ثمن دارك وجارك ، والْزَم دارَك لا تبيعُها .

وقال أبو تمام[4] :

إن بكاءً فى الدارِ من أرَبِهْ   فشايِعا مُغْرَمًا على طَرَبِهْ[5]

---

(١) المقيل : يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى القول على نحو ما فسر به فى الآية « واحسن مقيلا » او يكون موضع القيلولة او زمانها .

(٢) بارق : اسم لعدة مواضع منها - ولعله المراد هنا - : ماء بالعرق وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من اعمال الكوفة ، قال ياقوت : وقد ذكره الشعراء فاكثروا . ونخب - بفتح فكسر - : واد بالطائف ، والصعيد : من معانيه المرتفع من الأرض ، والموضع الواسع .

(٣) ايسرت : سهلت

(٤) الابيات فى ديوانه (١/٢٦٩) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى ، ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (١ و٣ و ٤)

(٥) المعنى : من اربى ان ابكى فى ديار الأحبة فتابعانى على ذلك .

جِيدَتْ بِدانِي الأَكْنافِ ساحَتُها نائِي المَدَى دانِي الحَيَا سربِهْ(1)

مُزْنٌ إذا ما اسْتَطارَ بارِقُه أَعْطَى البلادَ الأَمانَ من كَذِبِهْ(2)

وقال أيضا (3) :

قد مَرَرْنَا بالدارِ وهي خَلاءٌ وَبَكَيْنا طُلُولَها والرُسوما

وسأَلْنا رُبُوعَها ، وانْصَرَفْنا(4) بَسِقامٍ وما سَأَلْنا حَكِيما

وقال أبو العَلاء [أحمد بن عبد الله] (5) بن سليمان [المعرّيّ] (6) :

أَنا مَنْ أَقامَ الحَرْفَ وهْيَ كأَنَّها نُونٌ بِدارِكِ والمَعالِمُ أَسْطُرُ(7)

[178] بالسَّعْدِ جادَتْكِ السماءُ لتَسْعَدِي والغَفْرِ ، علَّ ذنوبَ أهلِكِ تُغْفَرُ(8)

---

(1) فى الديوان : « نائِي المَدَى واكِفِ الجَدَى سَرِبه » ويروى « وَاهِي الدَّلَى واكِفِ الجدى سَرِبِهْ »
ومعنى جيدت : مطرت جودا ، وهو أعظم المطر ، والأكناف : النواحى .

(2) المزن : السحاب يقول : سحاب اذا لمع برقه ، فبرقه صادق غير كاذب كالبرق الخلب .

(3) البيتان فى ديوانه (222/3) من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف ، ومطلعها :

إنَّ عهْدًا لو تَعْلَمانِ ذَمِيمَا أَنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِى أَوْ تُنِيمَا

ويقابلهما من القصيدة فى ترتيب الديوان البيتان (3 و 4)

(4) فى الديوان « فانصرفنا »

(5) يورد المصنف اسم المعرى مختصرا « ابو العلاء بن سليمان » وتمامه أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، أبو العلاء المعرى ، وقد درجنا على اضافة النقص

(6) البيتان فى سقط الزند 41/2 من قصيدة مطلعها :

النارُ فى طَرَفَىْ تَبَالَةَ أَنْوُرُ رَقَدَتْ فَأَيْقَظَهَا لخَوْلَةَ معْشَرُ

ويقابلها من القصيدة البيتان (9 و 10)

(7) الحرف : الناقة الضامرة ـ المعالم : جمع معلم ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، شبه الناقة بحرف النون فى صورته لضمورها وهزالها ، ولما سمى الناقة حرفا ناسب فى تشبيهها بالنون ، وجعل معالم الدار سطورا ابهاما والغازا .

(8) فى شرح سقط الزند : سعد السعود ، والغفر : منزلان من منازل القمر ، والعرب تنسب المطر الى الأنواء ، وتقول : مطرنا بنوء كذا ، والنوء : طلوع منزل من منازل القمر الثمانية والعشرين ، وسقوط منزل منها يقابله فى افق المغرب . والمعنى انه دعا لدار الحبيبة ان تسقى بهذين النوءين ، وتفاءل لها من السعود بالسعادة ، ومن الغفر بأن تغفر ذنوب أهلها .

وقال أيضا[1] :

إذا ذَنَّ أنفُ البَرْدِ سِرْتُ فلَيْتَهُ   عَقِيبَ التَّنائِى كان عُوقِبَ بالجَدْعِ[2]

وما أَوْرقَتْ أوتادُ دارِكِ باللِّوَى   ودارَةَ حتى أُسْقِيَتْ سَبَلَ الدَّمْعِ[3]

وقال البُحْتُرِىّ[4] :

ولقد مَنَعْتُ الدارَ إعلانَ الهَوى   وطَوَيْتُ عنها سِرَّكِ المَكْتُومَا

أتَغِيضُ[5] من حَذَرِ الوُشَاةِ مدامعى   فإذا خَلَوْتُ تُفِيضُهُنَّ سُجُوما ؟

وقال آخر :

ولو كنتُ فى الدَّارِ التى مَسْقط الصَّفا[6]   مرِضْتُ ، ولكن غاب عنى مُعَلِّلِي

هنالِكَ لو أَنِّى مِرِضْتُ لعادَنى   عوائِدُ من لم يـأتِ منهُنَّ يُرْسِل

وقال آخر :

لا تَطْلُبَنَّ دُنُوَّ دا   ر من خَليلٍ أو مُعَاشِرْ

أبْقَى لأسْبَاب المَوَدَّ [م] ةِ أن تَزُورَ ولا تُجَاوِرْ

---

(١) البيتان فى سقط الزند (٢/٩٩) من قصيدة قالها يودع بغداد ، مطلعها :

نَبِىٌّ مِنَ الغِرْبَانِ لَيْسَ على شَرْعِ   يُخَبِّرُنا أَنَّ الشُّعُوبَ إلى الصَّدْعِ

(٢) ذن الأنف ذنينا : سالت منه الرطوبة ، وانف البرد أوله ، وذنينه : مطره ، يصف الحبيب وقومه بأن لهم فى كل شتاء رحلة هى سبب التنائى والفرقة ، ويدعو على الشتاء الذى هو سبب الفرقة ، ويتمنى أن يعاقب بجدع الأنف .

(٣) اللوى ، ودارة : موضعان ، وسبل الدمع : مطره ، يقول : لم تورق أوتاد دارك الا بعد أن سقيتها مطرا من الدمع .

(٤) البيتان فى ديوانه (٢/٢٤٣) من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن الحسن بن سهل ومطلعها :

أَحْرَى الخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيمَا   قولُ الجَهُولِ أَلا تَكُونَ حَلِيمَا ؟!

ويقابلهما فى ترتيب الديوان البيتان (٧ و ١١) .

(٥) الديوان «وتَغِيضُ من حَذَرِ الوُشاةِ .. أفضْتُهُنَّ سُجومَا»

(٦) الصفا : مكان مرتفع من جبل ابى قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى الذى هو طريق وسوق ، ومسقطه : منتهاه .

[١٧٨ب] قال أحمدُ بنُ اسماعيلَ بن الخَصِيب : شكا إلىَّ مَيْمُونُ بنُ هارونَ بُعْدَ دارِهِ إذا أراد زيارتى ، فقلتُ : من هذا المنزل أقصِدُك إذا زُرْتُك ، ثم كتبت إليه :

لا تَجْعلَنْ بُعْد دارِى مُخَسِّسًا لنَصِيبِى
فرُبَّ شَخْصٍ بعيدٍ إلى الفؤادِ قريبِ
ورُبَّ شخْصٍ قريبٍ إليهِ غير حبيبِ
ما البُعْدُ والقُرْبُ إلا ما كان بين القُلوبِ

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى المأمون من خُراسان : «بَعُدَتْ دارى عن ظِلِّ أمير المؤمنين ، وإن كنت حيث تصرفت لا أنفيًّأ إلا به ، وقد اشتدَّ إلى أمير المُؤمِنِينَ شوقى ؛ لأرى مجلِسَه ، وأتشرَّفَ بخطابِه ، وأتجملَ بخِدْمَتِه ، وأُنَقِّحَ عقلى من حُسْنِ أدبِهِ ، فلا شيء آثر عندى من قُرْبِه ، وإن كنتُ فى سَعة من عيش وهبَها اللهُ به ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لى فى المصِيرِ إليه ، لأُحْدِثَ عهدًا بالمُنْعِمِ على ، وأتَهَنَّأ بالنعمة التى آثرَها لدىَّ ، فعلَ مُحْسِنًا إن شاء الله» .

فوقَّع المأمونُ فى كتابه :

[١٧٩ ا] «قُرْبُك يا أبا العَبَّاس إلىَّ حبيب ، وأنتَ منى حيثُ كنتَ قريب ، وإنما بَعُدَتْ دارُك نظرًا لك ورَغْبَةً فيك وَسُموًّا ، واتبع قولَ الشَّاعر :

رأيتُ دُنُوَّ الدارِ ليس بنافعٍ إذا لم يكن بين القُلوبِ قَريبُ

ويروى : «إذَا كانَ ما بين القلوب بَعِيدُ»[١] :

وقال الشاعر[٢] :

وأنزلَنِى طولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ إذا شِئْتُ لاقيْتُ امرأً لا أُشاكِلُهْ[٣]
أُحامِقُه حتى يُقال : سَجِيةٌ ولو كان ذا عَقْلٍ لكُنْتُ أُعاقِلُهْ[٤]

---

(١) هذه الرواية فى هامش الأصل بخط المؤلف .

(٢) الأبيات منسوبة الى الامام الشافعى فى معجم الأدباء (١٧/ ٣١٠) وكذلك هى فى شرح المقامات للشريشى (٢/١٣٩) .

(٣) الشطر الثانى فى شرح المقامات : «يُجَاوِرُنِى مَنْ لَيْسَ مِثْلِى يُشَاكِلُهُ» وما هنا يوافق رواية معجم الأدباء .

(٤) أحامقه : اجاريه فى حمقه

وقال أبو الحسن عليّ بن ثَرْوان الكِنْدِيّ :

دُرَّتْ عليكِ غَوادِي المُزْنِ يا دارُ ولا عَفَتْ منك آياتٌ وآثارُ

دعاءُ من لَعِبَتْ أيدى الغرامِ به وساعَدَتْها صَباباتٌ وأذْكارُ

وقال ذو الرُّمَّة (١) :

أسْتَحْدَثَ الركبُ عن أشياعِهم خَبَرًا أم رَاجعَ القلبَ من أطْرابِهِ طَرَبُ (٢)

أمْ دِمْنَةٌ نَسَفَتَ عنها الصَّبا سُفُعًا كما تُنَشَّرُ بعد الطَّيَّةِ الكُتُبُ (٣)

لا ، بَلْ هو الشوقُ من دارٍ تخَوَّنَها مَرٌّ سحابٌ ومَرٌّ بارِحٌ تَرِبُ (٤)

يَبْدُو لعَيْنَيْكَ منها وهى مُزْمِنَةٌ نُؤىٌ ومُسْتَوْقَد بالٍ ومُحْتَطَبُ (٥) [١٧٩ب]

ديارُ مَيَّةَ إذ مىٌّ تُساعِفُنا ولا يُرَى مثلَها عُجْمٌ ولا عرَبُ (٦)

غرّاءُ تزْدادُ إبْهاجًا إذا سفَرَتْ وتَحْرَجُ العينُ فيها حين تَنْتَقِبُ (٧)

براقةُ الجيدِ ، واللَّبّاتُ واضِحةٌ كأنَّها ظَبْيةٌ أفْضَى بها لَبَبُ (٨)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ص/١ من قصيدة مطلعها :

ما بالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الماءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الأبيات (٣ و٤ و٦ و٧ و١٠ و ١٨ و١١ و٢٠ و١٩)

(٢) الركب : اصحاب الابل ، ام راجــــع القلب .. معناه : أم عاود القلب طرب من دمنة شأنها كذا وكذا ..

(٣) الديوان (من دمنة) نسفت : كشفت ــ السفع : الطرائق من الرمل سود وحمــر ــ الطى : ضد النشر

(٤) الديوان (مَرًّا سَحَابٌ وَمرًّا بارِحٌ تَرِبُ) ومعنى تخونها : نقض عهدها ــ ترب : فيه تراب كثير . والمعنى ليس بكائى من اجل استحـــداث خبر جديد من الركب ، ولا من طرب لحقنى . ولا من الدمنة ، بل من اجل شوق الى دار فيها مية

(٥) مزمنة : اتى عليها زمان ــ النؤى : الحاجز حول الخيمة يمنع المطر ــ المستوقد : موضع الوقود ، المحتطب : موضع الحطب .

(٦) المساعفة : المساعدة والمواتاة والقــرب فى حسن مصافاة .

(٧) الديوان (تَزْدَادُ للعَيْنِ إبْهَاجًا إذا سَفَرَتْ) ــ تحرج العين : تحار ، والبيت من شواهد اللسان عليه ، وقيل معناه : لا تنصرف ولا تطرف من شدة النظر .

(٨) الجيد : العنق ــ اللبات : جمع اللبة : موضع القلادة ــ افضى بها : صار بها الى الفضاء وهو الخـــالى من الارض ــ اللبب : ضرب من الرمل ، أو هو منقطع الرمل .

نَجْلاءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى دَعَجٍ كأنَّها فِضّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ(١)
لَمْياءُ فى شَفَتَيْها حُوّةٌ لَعَسٌ وفى اللِّثاةِ وفى أنيابِها شَنَبُ(٢)

وقال البُحْتُرِىّ(٣) :

وما فى سُؤالِ الدارِ إدراكُ حاجَةٍ إذا اسْتَعْجَمَتْ آياتُها أن تَكَلَّما(٤)
وتيمّنى أنَّ الجَوَى غيرُ مُقْصِرٍ وأن الحِمَى وصْفٌ لمن حَلَّ بالحِمَى

قيل : كان يونس بن المُختار فى أعلى مَرْتَبَة فى دار المأمون ، وكان يجلِسُ دونَها ، فقال له الحاجب : يا أبا العبّاس مَرْتَبَتَك ، فقال : قد رَفَعَنى إليها أميرُ المؤمنين وليس لى عملٌ يَفِى بها ، فأنَا أكرِمُها عن القُعودِ فيها إلى أن يتهيّأ الشكرُ عليها ، فبلغ ذلك المأمونَ ، فقال : هذا والله هو الشكر ، وبه تدومُ النِّعمْ .

[١٨٠ ا] وقال قيس بن ذريح(٥) :

---

(١) الديوان (كَحْلاءُ فى بَرَجٍ) ويروى (بَيْضَاءُ فى دَعَجٍ) .
وأورد فى هامشه روايات أخرى للبيت .
البرج : سعة فى بياض العين — والنعج: البياض الخالص — والتى تراها مكحولة وان لم تكحل .

(٢) اللمى : السمرة فى الشفة تضرب الى الخضرة ، والحوة : حمرة فى الشفه الى السواد والشنب : برودة عذوبة فى الفم ورقة فى الأسنان ، واللعس : سواد فى حمرة ، والبيت من شواهد اللسان عليه

(٣) البيتان فى ديوانه ٢٤٧/٢ من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، ومطلعها :

هَوَيْنَاكَ من لَوْمٍ على حُبٍّ تُكْتَمَا وقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرْ رُبُوعًا وَأَرْسُمَا

ويروى شطره الاول فى (ط بيروت سنة ١٩١١ ج ٣٥٥/١)

«هَوَيْنَاكَ مِنْ لَوْمٍ بحُبٍّ تَكَتَّمَا»

(٤) بين هذا البيت والذى يليه فى الديوان البيت التالى :

نَصَرْتُ لها الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ تَلاحَقْنَ فى أعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا

(٥) الأبيات فى ديوانه (قيس ولبنى ١١٣ و ١١٤ جمع وتحقيق حسين نصار) وقد شكك جامعه فى نسبتها اليه ، وذكر — عن مصادره — أن الرواة يرددون نسبتها بينه وبين آخرين منهم المجنون ، وعمرو بن حكيم ، والضحاك بن عمارة ، أو ابن عقيل الخفاجى ، وطهمان بن عمرو الكلابى .

قلت : وأورد ابن الشجرى فى حماسته ١٥٧ و ١٥٨ بعض هذه الأبيات منسوبة الى قيس بن ذريح ، ووقع بعضها فى الأغانى (١٢٤/٨ ط دار الكتب) منسوبا الى جميل بن معمر .

سقَى طَلَلَ الدار التى أنتمُ بها ... حَنَاتِمُ وَبْل ، صيِّفٌ وربيعُ[1]

وخَيْماتك اللَّاتِى بمُنْعَرَجِ اللِّوى ... بَلِينَ بلًى لم تَبْلَهُنّ ربوع[2]

مضَى زَمَنٌ والناس يَسْتَشْفِعُونَ بِى ... فهل لى إلى لُبْنَى الغداةَ شَفِيعُ ؟ !

إذا أمَرَتْنِى العاذِلاتُ بَهجْرِها ... هَفَتْ كبدٌ عما يَقُلْنَ صَدِيعُ[3]

وكيف أُطيع العاذلاتِ وَحُبُّها[4] ... يُؤرِّقُنِى والعاذِلاتُ هُجُوعُ

وقال جَميل بن مَعْمَر[5] :

هاجَتْ فؤادَك للحبيبةِ دارُ ... أقْوَت وغيَّر آيَها الأمْطارُ[6]

وعفَا الربيعُ رسومَها فكأنَّها ... لم يَغْنَ قبلُ بربْعها دَيَّارُ[7]

لما وقفتُ بها القَلوصَ تبادَرَتْ ... مِنِّى الدُّموعُ وهاجَنِى اسْتِعْبَارُ[8]

ولقد عَلِمْتُ على التَّكالِفِ أنه ... تَشْقَى القلوبُ وتَغْلِبُ الأقدارُ[9]

وإذا حَلَلْتِ بذِى الأراكِ ودوننا ... علَم المُريبِ وجَوْنَةٌ وتِعارُ[10]

---

(١) فىالأغانى : « حيا ثم وبل » ومثله فىالديوان ، وهو تحريف صوابه ما هنا ، والحناتم سحائب سود ، وانشد عليه فى اللسان قول ابىذؤيب :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَنَاتِمُ سُحْمٌ ماؤهُنَّ شجيج

(٢) هذا البيت تقدم فى ص (٥٣ آ) من أبيات لذى الرمة ، وهى فى ديوانه ٣٥٢ ، ولم يورده صاحب الأغانى فى روايته لهذه الأبيات(ج ٩/٢١٤ ط دار الكتب)

(٣) رواية الديوان لهذا البيت :

إذا مالَحَانِى العاذِلاتُ بِحُبِّهَا ... هَفَتْ كَبِدٌ مِمَّا أُجِنّ صَدِيع

وما هنا يوافق رواية الأغانى ، وفيه « آبت كبد » وهو أحسن لمقابلته بأمر .

(٤) فى الأغانى « وذكرها » يريد وذكرى اياها .

(٥) القصيدة التى منها الأبيات فى ديوانه (٨٥ جميل بثينة جمع وتحقيق حسين نصار) .

(٦) أقوت : خلت واقفرت ، والآى : جمع آية ، وهى العلامه والأثر .

(٧) الربيع : المطر ، وغنى بالمكان : اقام به . والديار : ساكن الدار .

(٨) تبادرت : سالت مسرعة ــ والاستعبار مصدر استعبر ، اذا جرت دمعته .

(٩) التكالف : قال ابن سيده : يجوز أن يكون من الجمع الذى لا واحد له ، ويجوز أن يكون جمع تكلفة ، أى مشقة ، ورواه ابن جنى فى قول الآخر : «وهُنَّ يَطْوِينَ عَلَى التَّكالُفِ» بضم اللام .

(١٠) ذى الأراك : وادى الأراك قرب مكة ــ وجونه : قرية بين مكة والطائف ، وتعار ــ (ضبط فى القاموس ومعجم البلدان بكسر التاء ، وهومضبوط فى الأصل بفتحها) : جبـــل فى بلاد قيس .

فهُناكَ حين تَريثُ عنكِ رَسائِلِي   وهناك تُقطَعُ عنكمُ الأخبارُ[1]

فسَقَى دِيارَكِ حيثُ كُنْتِ منَ النَّوَى   غيثٌ أجَشُّ ودِيمَةٌ مِدْرارُ[2]

[١٨٠ ب] وقال ذو الرُّمَّةِ[3] :

خَلِيلَيَّ عُوجَا اليومَ — حتى تُسَلِّما   على دارمِيٍّ — من صدورِ الرَّكائِبِ[4]

تكُنْ عَوْجَةً يَجْزِيكُما اللهُ عندهُ   بِها الأجْرَ ، أوتُقْضَى ذِمامَةُ صاحبِ[5]

وقَفْنَا فَسلَّمْنا فَرَدَّتْ تحيَّةً   علينا ، ولم تَرْجِعْ جوابَ المُخَاطِبِ

عصَتْنِي بِها نَفْسٌ تَرِيعُ إلى الهَوَى   إذا مَادَعاها دَعْوَةً لم تُغالِبِ[6]

وقال أيضا[7] :

يا دارَ مَيَّةَ بالخَلْصاءِ فالجُرُدِ   سَقْيًا ،وإن هِجْتِ أدْنَى الشَّوقِ للكَمَدِ[8]

من كُلِّ ذى لَجَبٍ باتت بَوَارِقُه   تَجْلُو أغَرَّ الأعالى[9] حالِكَ النَّضَدِ

[حالك النضد] : متراكب السحاب .

مُجَلْجِلَ الرَّعْدِ عَرَّاصًا إذا ارتَجَسَتْ   نوءُ الثّريا به ، أو نَثْرَةُ الأسدِ[10]

---

(١) تريث : تبطىء .

(٢) اجش : وصف من جش الصوت اذا اشتد ، اراد ما يصحبه من رعد ذى صوت شديد

(٣) الابيات فى ديوانه ٥٤ ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الابيات (١ و ٤ و ٥ و ٦) .

(٤) الديوان (خلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللهُ فِيكُمَا) وفى هامشه أشارة إلى الرواية التى أوردها المصنف

(٥) الذمام : الحق والحرمة ، والذى يستذم منه .

(٦) بها : يريد الدار ، ومعنى تريع : ترجع وتستجيب ، يقال : وعظته فابى ان يريع ، ويقال : صاح الراعى بالابل فراعت اليه ..

(٧) الابيات فى ديوانه /١٤٣ وهى من اول القصيدة على الترتيب

(٨) ادنى الشوق : اقربه — والخلصاء والجرد : موضعان ، وفى الديوان ضبط الجرد بفتحتين ، وكذلك ضبطه ياقوت فى معجم البلدان .

(٩) الديوان (تجلو اغر المعالى) اللجب : الصوت المختلط يعنى صوت الرعد ، اراد سحابا لرعده هذا الصوت . واغر : ابيض — حالك : اسود — النضد : ما تراكب الاعالى من السحاب والمتاع وغيره .

(١٠) مجلجل : عظيم الصوت — عراص :كثير البرق لايفتر لمعه — الارتجاس : دوى الرعد ، ونثرة الأسد : نجم من نجوم كوكبة الأسد ، ينزلها القمر ، وقيل : هى أنف الأسد ومنخراه ، وهى ثلاثة كواكب خفية .

أَسْقَى الإِلهُ به حُزْوَى ، فجادَ به ... ما قابَلَ الزُّرْقَ من سَهْلٍ ومن جَلَدِ[1]

أَرْضًا مَعانًا من الحَيِّ اللذين هُمُ ... أَهلُ الجيادِ وأَهلُ المجْدِ والعَدَدِ[2]

كانَتْ تَحُلُّ بها مَيٌّ ، فقد قَذَفَتْ ... عنّا بها نِيَّةٌ من طِيَّةٍ قِدَدِ[3]

[١٨١ أ]

وقال مُرَقِّش[4] :

هل تعرفُ الدارَ عفا رَسْمُهَا ... إلا الأثافِيُّ ومَبْنَى الخِيَمْ[5]

أعرِفُها دارًا لأسماءَ فالدَّمْـ ... ـعُ على السِّربالِ فَيْضٌ سَجَمْ[6]

أَمْسَتْ خلاءً بعد سُكّانها ... مُقْفِرَةً ما إنْ بها من إرَمْ[7]

بعد جَميعٍ قد أراهُمْ بها ... لهم قِبابٌ وعليهم نِعَمْ[8]

وقال آخر[9] :

هل الريحُ أو بَرْقُ الغَمَامَةِ مُخْبِرٌ ... ضمايِرَ حاجٍ[10] لا أُطيقُ لها ذِكْرَا

---

(١) جادبه ، أى بالمطر ، يقال : جدنا فنحن مجودون ، وغثنا فنحن مغيثون . الجلد : الأرض الصلبة

(٢) المعان : المباءة والمنزل ، وفى الديوان (وأهل العدو والعدد) وأشار الى الرواية الواردة هنا ، والجياد : الخيل .

(٣) فى الديوان (به) فى الموضعين ، و (شعبة) مكان (نية)
والشعبة : الفرقة ـ والنية والطية :الوجه الذى يتوجهون اليه بقصد ـ وقدد : مختلفة متفرقة .

(٤) هو المرقش الاكبر ، والأبيات من قصيدة له فى المفضليات ٢/٢٩ و ٣٠ ويقابلها من القصيدة الأبيات من ١ـ ٣ و٥

(٥) الاثافى : جمع أثفية ـ بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء ـ وهى ثلاثة أحجار تنصب موقدا . والخيم : جمع الخيمة ، وهى بيت يبنى من عيدان الشجر ، فاذا كان من صوف أو شعر فهو بيت ، وقيل : الخيمة تطلق على جميع ذلك .

(٦) فى الأصل « دار » بالرفع ، وما هنا أولى ، لأنه تمييز للضمير فى أعرفها . واسماء محبوبته وهى ابنة عمه عوف بن ضبيعة ، ورواية المفضليات «على الخَدَّيْنِ سَحٌّ سَجِمْ» والسجم ـ بفتح الجيم ـ : السائل .

(٧) من ارم : من احد ، وبين هذا البيت والذى يليه البيت التالى :

إِلَّا مِنَ العِينِ تَرَعَّى بِهَا ... كالفَارِسِيِّينَ مَشَوْا فِى الكُمَمْ

(٨) كذا ضبط فى الأصل بكسر النون ، وضبط فى المفضليات بفتح النون ، وفسره فى هامشه بقوله : « اى تروح عليهم النعم » وهى الابل .

(٩) الأبيات فى الزهرة/٢٢٦ من غير عزو

(١٠) الحاج : جمع حاجة ، يعنى حاجات مضمرة .

سُلَيْمَى سقاهَا الله حيثُ تَصَرَّفتْ ... بِها غُرباتُ الدار عن دارِنا قَطْرا (١)

إذا دَرَجَتْ ريحُ الصَّبا أو تَنَسَّمَتْ ... تعرفتُ من نَجْد وساكِنِه نَشْرا (٢)

فقَرَّفَ قَرْحَ القَلْبِ بعد انْدِمالِهِ ... وهيَّجَ دَمْعًا لا جُمُوداً ولا نَزْرَا (٣)

وقال البُحْتُرِيّ (٤) :

أأطلالَ دارِ العامِرِيَّةِ باللِّوَى ... ـ سقَتْ رَبْعَكِ الأَنواءُ ـ ما فَعَلَتْ هند ؟

أدارَ الهَوَى بين الصَّرِيمَةِ واللِّوى ... أما لِلْهَوى إلا رَسِيس الجَوى قَصْدُ ؟ (٥)

[١٨١ ب] وقال أيضا (٦) :

قِف العِيسَ قد أدْنَى خُطاهَا كَلالُها ... وسَلْ دارَ سُعْدَى إن شَفَاكَ سُؤالُها

وما أعْرِفُ الأَطلالَ من بَطْنِ تُوضِحٍ ... لطُولِ تَعَفِّيها ، ولكن إخالُها (٧)

إذا قلتُ : أنْسَى وصْلَ سُعْدَى على النَّوَى ... تصوَّرَ في أقصى الضَّمِير خَيالُها (٨)

وقد كنتُ أرجو وَصْلَها عند هَجْرِها ... فقد بانَ مني هَجْرُها ووِصالُها

---

(١) غربات : جمع غربة ، وفي اللسان يقال : دارهم غربة ، أي نائية .

(٢) النشر : طيب الرائحة

(٣) قرف القرح : قشره ، ورواية الزهرة « تقرف قرح » ... ، واندمل القرح : قارب الشفاء ، والجمود : القليل ، من قولهم : جمدت عينه ، اذا قل دمعها ، والنزر : القليل ايضا

(٤) البيتان في ديوانه (١/١٨٥) من قصيدته التي يصف فيها الذئب حين لقيه ، ومطلعها :

سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا وَفاءُ ولا عَهْدُ ... أَمَا لَكُمْ مِنْ هَجْرِ أَحْبَابِكُمْ بُدُّ ؟!

وهما البيتان الثالث والرابع منها بترتيب الديوان .

(٥) في الديوان :

أَدَارَ اللِّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فالحِمَى ... أَمَا للنَّوَى إلا رَسِيس الهَوَى قَصْدُ ؟

ورسيس الهوى : بقيته وأثره .

(٦) الابيات في ديوانه (٢/١٧٩) من قصيدة يمدح بها المتوكل ، والأبيات من أولها على الترتيب ، كما ورد في الديوان .

(٧) اخالها : أظنها وأتوهمها .

(٨) رواية الديوان لهذا البيت هكذا :

إذا قُلْتُ أَنْسَى دارَ لَيْلَى علَى النَّوَى ... تَصَوَّرَ في أَقْصى ضَمِيرِى مِثالُها

وقال أيضا[١] :

مِيلُوا إلى الدارِ من لَيْلَى نُحَيِّيها   نَعَمْ ونَسْأَلُها عن بعضِ أَهْلِيهَا

يا دِمْنَةً جاذَبَتْهَا الريحُ بَهْجَتَها   تَبِيتُ تَنْشُرُها طَوْرًا وتَطْوِيهَا

لا زِلْتِ فى حُلَلٍ للغَيْثِ ضافِيَة   يُنِيرُها البرقُ أَحْيَانًا ويُسْدِيها[٢]

تَروحُ بالوابِلِ الدانِى رَوائِحُها   على رُبوعِكِ أو تَغْدُو غوادِيها

وقال ذو الرُّمَّةِ[٣] :

أَلا يا اسْلَمِى يا دار مَىَّ على البِلَى   ولا زالَ مُنْهَلًّا بجَرْعائِكِ القَطْرُ[٤]

وإن لم تكُونِى غير شامٍ بقَفْرَةٍ   تجُرُّ بها الأَذْيَالَ صيفيَّةٌ كُدْرُ[٥]

[١٨٢ ا]

أَقامتْ به حتى ذَوَى العُودُ فى الثَّرَى   ولفَّ الثُّريا فى مُلَاءَتِه الفَجْرُ[٦]

فواللهِ ما أَدْرِى أَجَوْلانُ عبْرَةٍ   تجودُ بها العَيْنَانِ أَحْجَى أَم الصَّبْرُ[٧]

وفى هَمَلانِ العيْنِ من غُصَّةِ الشَّجَا   شفاءٌ ،وفى الصَّبْرِ الجلادَةُ والأَجْرُ[٨]

---

(١) الأبيات فى ديوانه (٢/٣١٨) من قصيدته المشهورة التيىمدح بها المتوكل،ويصف البركة التى أتخذها ، والأبيات من أول القصيدة بترتيبها الوارد فى الديوان • وروايتها هنا متفقة مع رواية الديوان •

(٢) ينيرها من قولك انار الثوب ، اذا جعل له نيرا ، اى صورا او خطوطا ، ويقال أسدى الثوب اذا مد سداه ، والسدى - بفتح السين - مايمد طولا فى النسيج ، وهو خلاف اللحمة ويقال : هو يسدى الأمور وينيرها ، اى يحكمها • جعل البرق ينسج لها من الغيث حللا ضافية ، محكمة ، فيكسوها بالمطر ، لا يدع منها شيئا عاريا •

(٣) الأبيات فى ديوانه /٢٠٦ر٢٠٧ ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٢ و ٣ و ١٣ و ١٤)

(٤) الجرعاء من الرمل : المنبسط ، ولازال ٠٠٠الخ : دعاء للدار •

(٥) الديوان (فان لم) والشام : جمع شامة وهى بقعة من الأرض تخالف لون الأرض حولها • والأذيال : ماجرته الريح كجر المرأة ذيلها ، والصيفية :عنىبها رياح الصيف ،والكدر جمع أكدر ، وهو الذى فى لونه غبرة •

(٦) الديوان (أَقَامَتْ بِها .. وسَاق الثُّرَيَّا)
وذوى العود : جف ويبس - وأراد بملاءة الفجر : بياض الصبح على التشبيه •

(٧) يقول : ماأبكى أم اصبر ، لا أدرى أيهماأجمل بحالى ، وفى الديوان اشارة الى رواية أخرى هى (أحرى أم الصبر) •

(٨) الديوان «فَفِى ... مِنْ غُصَّةِ الهَوَى)

وقال أيضا (١) :

يا دارَ مَيَّةَ لم يَترُكْ لها عَلَمَا   تقادُمُ العَهْدِ والهُوجُ المراوِيدُ (٢)

سُقيًا لأَهْلِكِ من حَيٍّ تَقَسَّمَهُمْ   رَيْبُ المنونِ وطِيّاتٌ عَبادِيدُ (٣)

وقال أيضا (٤) :

دَنا البَيْنُ من مَيٍّ ورُدَّتْ جِمالُها   وهاجَ الهَوَى تَقْوِيضُها واحْتِمَالُها (٥)

عَرَفْتُ لها دارًا ، فأَبْصَرَ صاحِبِي   صحيفةَ وجْهِي قد تَغَيَّر حالُها (٦)

وقلتُ لنَفْسِي فى حياءٍ رَدَدْتُه   إليها وقَدْ بلَّ الجفونَ بِلالُها (٧)

أَمِنْ أجلِ دارٍ طَيَّرَ البينُ أَهْلَها   أَيادِي سَبَا بعدِي وطالَ احْتِبالُها (٨)

فؤادُك مبثوثٌ عليكَ شُجُونُه   وعَيْنُك تَعْصِي عاذِلِيك انْهِمالُها (٩)

لقد عَلِقَتْ ميٌّ بنفسى علاقَةً   بطِيئًا على مرِّ اللَّيالى انحِلالُها (١٠)

---

(١) البيتان فى ديوانه / ١٣٢ وهمــا من أول القصيدة على الترتيب ٠

(٢) الديوان (لم يترك لنا) الهـــوج : الرياح الشديدة الهبوب ـ والمراويد : التى تجىء وتذهب ٠ ويروى (تقادم الدهر) ٠

(٣) الديوان (تقسمهم) بضم التاء وكسر السين ٠
تقسمهم : تفرقهم ـ المنون : الموت ، والدهر ـ الطيات : واحدها طية وهى النيــة والوجه يقصدونه ٠ وعباديد : متفرقات يقال : جاءت الخيل عبــاديد ، واباديد ، وشــماطيط بمعنى متفرقات ٠

(٤) الأبيات فى ديوانه / ٥٢٢ ويقابلها من القصيدة الأبيات (١ و ٤ و ٥ و ٦ و ٩ و ١٢)

(٥) الديوان (فردت ٠٠٠ فهاج)

(٦) الديوان (صــفيحة) وفسره بقوله ، صفيحة الوجه : جلده ـ وفى هامشــه قال : صحيفته وصفيحته سواء ٠

(٧) الديوان (من حياء)

(٨) الديوان (صير البين ٠٠٠ احتيالها) ٠

(٩) فى الديوان (انهلالها) وفى هامشــه أشار الى أنه يروى (تغضى) مكان (تعصى) ـ والانهمال والانهلال : السيلان ، والشجون : الاحزان ٠

(١٠) الديوان (بقلبى علاقة) وفى هامشه اشارة الى ورود (بنفسى) و (الشهور) مكان (الليالى) ٠

وقال ذو الرُّمَّة أيضا[١] :

أَلا ظَعَنَتْ مَىٌّ فهاتيكَ دارُها ... بها السُّحْمُ تَرْدِى والحَمامُ المُوَشَّمُ[٢]

كأنَّ أُنوفَ الطيرِ فى عَرَصاتِها ... خَراطِيمُ أقلامٍ تَخُطُّ وتَعْجُمُ

ألا لا أَرَى مِثْلِى يَحِنُّ من الهوى ... ولا مِثْلَ هذا الشَّوْقِ لا يَتَصَرَّمُ

ولا مثلَ ما أَلْقَى إذ الحَىُّ جيرَةٌ ... على أَثَرِ الأَظْعانِ يلقاه مُسْلِمُ[٣]

كفى حَزَّةً فى النَّفْسِ يا مَىُّ أنَّنى ... وإياكِ فى الأَحْياءِ لا نَتَكَلَّمُ[٤]

أَدورُ حَوالَيْكِ البُيوتَ كأنَّنى ... -إذا جِئْتُ- عن إتيانِ بَيْتِك مُحْرِمُ

وقال تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر[٥] :

نأَتْكَ بلَيْلَى دارُها لا تَزُورُها ... وشَطَّتْ نَواها واسْتَمَرَّ مَرِيرُها[٦]

يَقُولُ أُناسٌ : لا يَضُرُّكَ نَأْيُها ... بلى ، كلُّ ما شَفَّ النُّفوسَ يَضِيرُها[٧]

أليس يضيرُ العَيْنَ أن تُدْمِنَ البُكا[٨] ... ويُمْنَعَ منها نَوْمُها وسُرورُها ؟!

وقال مِهْيار[٩] :

بَكَرَ العارِضُ[١٠] تَحْدُوه النُّعامَى[١١] ... وَسقاكِ الرِّىَّ يا دارَ أُماما

---

(١) الأبيات فى ديوانه / ٥٦٣ وهى من اول القصيدة على الترتيب .

(٢) تردى : تثب اذا مشت ، يعنى الغربان ، وهى السحم أى السود ، والموشم : المنقش .

(٣) الديوان (إذ الحَىُّ فارَقُوا .. ولا أَثَرا لأَظْعانِ ..) .

(٤) الديوان (كَفَى حزَنًا فى الصَّدْرِ يامَىُّ ..)

(٥) الأبيات فى الأغانى (١٠/٦٧ ط بولاق) ويقابلها من القصيدة الأبيات ١ و٣ و٤ ، وفى الشعر والشعراء ٢٩٦ قطعة من القصيدة فيها البيتان ١ و٢ والبيتان ٢ و ٣ فى الأمالى ١/٨٨ وفى شرح الحماسة ٥٩٤ (ط بون) والقصيدة بتمامها فى تزيين الأسواق ١٠١ و ١٠٢ (ط البهية)

(٦) يقال : استمر مريره ، أى استحكم عزمه .

(٧) فى الشعر والشعراء والأمالى «يَقُولُ رجَالٌ لايَضِيرُكَ» .

وفى تزيين الأسواق .. «يَقُولُ رِجالٌ لا يَضُرُّكَ نَأْيُها» ومعنى شف هنا من قولهم شفه الهم والحب ، اذا ضمره وأرقه ، واستعماله للجسم فاستعاده للنفس .

(٨) رواية الأمالى : «بَلَى قَدْ يَضِيرُ العَيْنَ أَنْ تُكْثِرَ البُكا ..) وما هنا يوافق رواية تزين الأسواق مع تغيير « تدمن ، بتكثر » ومعنى تدمن البكا : تلازمه وتديمه .

(٩) الأبيات فى ديوانه (٣/٢٢٧) من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالنيروز ، وهى من اولها على الترتيب (١٠) العارض : السحاب المعترض

(١١) النعامى : ريح الجنوب ، وهى ابل الرياح وارطبها .

[١٨٣ ا] ونمَّشتْ فيكِ أرْواحُ الصَّبَا يتأرَّجْن بأنفاسِ الخُزَامى (١)
وإذا مَغْنى (٢) خَلَى من زائرٍ بعد ما فُورقَ (٣) أو زِير لمامًا
فقَضَى حُكْمُ الهَوى أن تُصْبِحِي للمُحِبِّين مُناخًا ومُقامًا (٤)

أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَرى - رحمه الله - فى كتاب « نَسَب الصَّحابة » رضوان الله عليهم عن عُثْمَانَ بنِ الأرْقَمِ ، أنه كان يقول : أنا ابنُ سُبْعِ (٥) الإسلام ، أسلم أبى سابِعَ سبْعَةٍ ، وكانت دارُه بمكَّةَ على الصَّفَا ، وهى الدار التى كان النَّبى صلى الله عليه وسلم ، يكون فيها فى أوَّلِ الإسلام ، وفيها دعا النَّاسَ إلى الإسلامِ ، فأَسْلَمَ فيها قومٌ كثيرٌ ، وقال ليلة الاثنين فيها : « اللَّهُم أعِزَّ الاسلام بأحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إليك : عُمرَ بن الخطاب ، أو عمْرِو بن هشامٍ (٦) » فجاء عُمَرُ - رضوان الله عليه - من الغدِ بُكْرةً ، فأَسْلَمَ فى دارِ الأرْقَمِ ، وخَرجُوا منها ، فكَثُروا وطافُوا بالبيت ظاهِرِين ، ودُعِيَتْ دارُ الأرقم دارَ الإسلامِ ، وتصدَّقَ بها الأرقمُ على ولده ، فقرأتُ نسخَةَ صدَقةِ (٧) الأرقمِ بدارِهِ :

[١٨٣ب] « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما قَضَى الأرقمُ فى رَبْعِهِ ما حازَ الصَّفا ، أنها / صدَقَة بمكانِها من الحَرمِ لا تُباعُ ولا تُورث ، شهِدَ هشامُ بن العاص ، وفُلان مولى هِشَامِ بن العاص » .

قال : فلم تَزَلْ هذه الدارُ صَدَقَةً قائمةً ، بها وُلْدُه يسكُنونَها ويُؤاجِرون عليها ، حتى كان زَمنُ أبى جعفر المَنْصُورِ ، قال يحيى بنُ عِمْرَان بن عُثْمَان بن الأرْقَم : إنى لأعلمُ اليومَ الذى وقَعَتْ فى نفسِ أبى جَعْفَر ، وذاك أنَّهُ كان يَسْعَى بين الصَّفَا والمرْوَةِ فى حجَّة حَجَّها ، ونحنُ على ظهرِ الدار فى فُسْطَاطٍ ، فيَمُر تحتَنَا ، ولو أشاءُ أن آخُذَ قَلَنْسُوة عليها (٨) لأخَذْتُها ، وإنه ليَنْظُر إلينا من

---

(١) يقال : تارج الطيب : فاح وانتشر عبيره .
(٢) المغنى : الربع .
(٣) رواية الديوان : « بعد مافارق » وماهنا انسب .
(٤) رواية الديوان : « فَقَضَى حِفْظُ الهَوَى » .
والمناخ : مبرك الابل ، ويقال ايضا لمحل الاقامة : مناخ ، والمقام : محل الاقامة .
(٥) السبع : بضم السين والباء : جزء من سبعة اجزاء .
(٦) الحديث ورد فى مسند ابن حنبل (٣/٦٥) وفى الترمذى (مناقب) وفى ابن ماجة ١١ (مقدمة) .
(٧) المراد بالصدقة ما يعرف باسم الوقف فى اصطلاح الفقهاء ، وهو حبس العين على ملك الموقوف له بشرط الواقف .
(٨) كذا فى الأصل ، والسياق يقتضى « عليه » .

حين يَهْبِطُ. بطنَ الوادِي حتى يصْعَدَ إلى الصَّفا ، فلما خرج محمد بن عبد الله بن حسن – رضى الله عنه – بالمدينة ، كان عبدُ اللهِ بن عثمان بن الأرْقَم ممن بايَعه ، ولم يخرجْ معه ، فتعلَّق عليه أبوجعفر بذلك ، فكتب إلى عامِلِه بالمدينة أن يحبِسَهُ ويطرحَه فى حديدٍ ، ثم بَعَثَ رجُلًا من أهل الكُوفَةِ يقال له : شهابُ بنُ عبد ربٍّ ، وكتب معه إلى عامله بالمدينة أن يَفْعلَ ما يأمُرُه به ، فدخل شهابٌ على عبدِ الله بن عثمان بن الأرْقمِ الحَبْسَ ، وهو شيخٌ كبير ابنُ بِضْعٍ وثمانين سنَةً/ وقدضَجِربالحديدِ [١٨٤] والحبْسِ ، فقال له : هل لك أن أُخلِّصَك مما أنت فيه وتَبيعَنى دارَ الأرْقم ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يريدُها ، وعسى إن بِعْتَه إيّاها أن أُكَلِّمَه فيك ، فيَعْفُوَ عنك ؟ قال : فإنها صدَقةٌ ، ولكن حقى منها له ، ومعى فيها شركاء ، إخوتِى وغيرُهم ، فقال : إنما عليك نَفْسك ، فأعْطِنا حقَّك ، وبرِئْتَ ، فأشهد له ، وكتب عليه كتاب شِرًى[1] على سبعةَ عشرَ ألف دِينار ، ثم تتبَّعَ إخوتَه ، فَفَتَنَهُمْ بكثرةِ المال ، فباعُوه ، فصارَتْ لأبى جعفر ولمن أقْطَعها ، ثم صيّرها المهدىُّ للخَيْزُران أمِّ مُوسَى وهارُونَ ، فعُرِفَتْ بها ، ثم لجَعْفَر بن مُوسى الهادِى ، ثم اشْتَرَى عامّتَها وأكثرَها غسانُ ابن عُبادَة ، من ولد جَعْفَر بن مُوسَى .

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سُليمان [المَعَرِّىّ][2] .

فيا بَرْقُ ليس الكَرْخُ دارِى وإنَّما ... رمانِى إليه الدَّهْرُ منذُ ليالِ[3]

فهلْ فِيكَ من ماء المَعَرَّةِ قَطْرَةٌ ... تُرَوِّى[4] بها ظمآنَ ليس بِسَالِ

فليت سَنِيرًا بانَ منه لصُحْبَتِى ... بروْقَىْ غَزالٍ مثلُ قَرْنِ غزالِ[5]

---

(١) شرى الشىء شرى : باعه ، وفى القرآن الكريم «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِم معْدُودَة »

(٢) الأبيات فى سقط الزند ٥٩/٢ (ط السعادة) من قصيدة مطلعها

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البارِقِ المُتَعَالِى ... بِبَغْدادَ وَهْنًا ، مالَهُنَّ ومالِي؟!

والبيت الثالث هنا متقدم فيه على البيتين اللذين قبله

(٣) الكرخ : يريد كرخ بغداد ، وهو السوق الذى بناه المنصور للتجار بين الصراة ونهر عيسى ليكونوا بمعزل عن مقر الخلافة ، ثم أصبح محلة عامرة .

(٤) فى سقط الزند « تغيث بها »

(٥) بان : ظهر ، سنير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق – وعلى شاطىء الفرات موضع يعرف بقرنى غزال ، وروق الغزال قرنه .
يتمنى أن يبدو لأصحابه – وهم بقرن غزال بالعراق – من جبل سنير القريب من وطنه بالمعرة مقدار يسير ، ولو قدر قرن غزال ، ليكون مؤذنا لهم بقرب الوصول الى الوطن .

[١٨٤ ب] وقال أيضا[1] :

متى ينزلُ الحىُّ الكِلابِىُّ بالِسّا يُحَيِّيك عنّا ظاعِنُونَ وقُفّالُ[2]
تحيةَ وُدٍّ ما الفراتُ وماؤُه بأعْذَبَ منها وهو أزْرَقُ سَلْسَالُ
فيا دارَها بالحَزْنِ إن مزارَها قريبٌ ، ولكن دونَ ذلك أهْوالُ[3]

وقال أحمد بن أبي خَيْثَمَة :

ولكنّ قربَ الدارِ ممن تُحِبُّه على البُعْدِ من قَلْبِ الحبيبِ شديدُ
وليس تنائِى الدارِ للصَّبِّ ضائِرًا إذا لم يكن بين القُلوبِ بعيدُ

وقال أبو حكيمة راشِدُ بن إسحاق[4] :

ومُسْتَوْحِشٍ لم يُمْسِ فى دارِ غُرْبَةٍ ولكنّه ممن يُحبُّ غريبُ
طواهُ الهَوَى واستَشْعَرَ الهجرَ إلفُهُ وشَطَّتْ نواهُ والمَزارُ قَرِيبُ

وقال آخر :

هذا هو الصَّبْرُ ، لا الصبْرُ الذى سَلَفا لما دَنَتْ دارُ من يَهْوَى ومن ألِفَا
قد كان فى البُعْدِ إذْهالٌ لذى كَلَفٍ لكنَّ فى القُرْبِ ما أغْرَى به الكَلَفَا

وقال سعيدُ بن حُمَيد :

[١٨٥ ا] إذا نائِلٌ شَطَّتْ بها الدارُ مَرَّةً فلستُ على شىءٍ من الدَّهْرِ أشْفِقُ
ولم يُبْقِ منى حُبُّها غيرَ مُهْجَةٍ تذوبُ ، وقلبٍ خَشْيَةَ الهَجْرِ يخفِقُ

---

(١) الأبيات من قصيدة فى سقط الزند ٦٧/٢ مطلعها :

مَغَانى اللِّوَى من شَخْصِكِ اليَوْمَ أطْلالُ وفى النَّوْمِ مَغْنًى من خيالِكِ مِحْلالُ

(٢) بالس : بلدة بين حلب والرقة قريبة من شاطىء الفرات تحت صفين . ورواية الديوان « يحييك عنى » اراد بالظاعن : المسافر ، والقفال : جمع قافل : الراجع من سفره .

(٣) المزار : الزيارة ، وهو ايضا موضع الزيارة ، اى مسافة الزيارة الى دارها قريبة ، وعنى بقوله : « دون ذلك اهوال » انها منيعة فى قومها لا يوصل اليها .

(٤) له ترجمة فى طبقات ابن المعتز ٣٨٩ ــ ٣٩١ ، وفى معجم الأدباء ضبط بالقلم ابو حليمة وانظر فى طبقات ابن المعتز /٥٢٣ فقد ذكر محققه مراجع لترجمة ابى حكيمة .

وقال أبو الفتح الحسنُ بن عبد الله بن عبد الجبّار بن أبي حَصِينَة السُّلَمِيّ[1] :

لو أنْ دارًا أخْبَرَتْ عن ناسِها لسألْتُ رامَةَ عن ظِباء كِناسِها
بل كيفَ تسألُ دِمْنَةٌ ما عندها عِلمٌ بوحْشَتِهَا ولا إيناسِها
مَمْحُوَّةَ العَرَصاتِ يشغَلُها البِلى عن ساحِباتِ الرَّيْطِ. فوق دَهاسِها[2]
بِيضٌ إذا انْصاع[3] النَّسيمُ من الصَّبا خِلْناه ماينْصَاعُ من أنفاسِها
يا صاحِبَيَّ سقَى مَنازِلَ جِلَّقٍ غيثٌ يُرَوِّى مُمْحِلاتِ طِساسِها[4]
فَرُواقَ جامِعِها فبابَ بريدِها فمسارِبَ القَنَواتِ من باناسِها[5]
فلقد قَطَعْتُ بها زمانًا للصِّبَى واللَّهوُ مُخْضَرٌ كخُضْرَةِ آسِهَا[6]
مَنْ لى بَرَدُّ شبيبَةٍ قضَّيْتُها فيها وفى حِمْصٍ وفى مِيماسِها[7]
وزمانِ لَهْوٍ بالمعَرَّةِ مُونِقٍ بسِياثِها ، وبجانِبَىْ هِرماسِها[8]

---

(١) القصيدة فى شرح ديوانه ١/٣٥٤ ، وتخرجها فيه ، وانظر أيضا اعلام النبلاء (٤/١٨٨) ومعجم الأدباء (١٠/١١٤-١١٧) وفوات الوفيات (١/١٥٧) .

(٢) الدهاس : المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا ، والريط . الملاءة كلها نسيج واحد ، وقطعة واحدة ، وكل ثوب لين رقيق .

(٣) انصاع النسيم :مر مسرعا . ورواية الديوان « انضاع ، وينضاع » فى الموضعين .

(٤) جلق : دمشق ، او غوطتها ، والطساس . جمع طسوج — بفتح الطاء ، وضم السين المشددة — : الناحية .

(٥) عنى برواق جامعها ، رواق الجامع الاموى بدمشق ، وباب البريد : اسم لأحد أبواب جامع دمشق ، قال ياقوت : وهو من انزه المواضع، وقد أكثر الشعراء من ذكره ووصفه ، وباناس من أنهار دمشق ، يدخل الى وسط المدينة ،فيكون منه بعض مياه قنواتها وينفصل باقيه ، فيسقى زروعها من جهة الباب الصغير والشرقى، وقد أورد ياقوت هذا البيت والذى قبله فى رسم (باناس) ونسبهما الى ابن أبى حصينة ،ورواية الديوان « فمشارب القنوات »

(٦) الآس : شجر دائم الخضرة أبيض الزهر أو ورديه ، عطرى ، ثماره لبية سود ، تؤكل غضة وتجفف فتكون من التوابل ، وفى الديوان بين هذا البيت والذى يليه هنا البيت :

قَبْلَ النَّوىَ وسِهامُه مَشْغُولَةُ ال أفْواقِ لم تَبْلُغْ إلى برْجاسِها

(٧) حمص : من مدن سورية بين دمشق وحلب ، فى نصف الطريق — وميماس : نهر الرستن الذى يسمى العاصى ، وهذا البيت أورده ياقوت فى رسم « هرماس » وروايته فيه « .. وفى حِمْصٍ وفى عِرْناسِها »

(٨) المعرة : هما معرتان : معره مصرين : بليدة وكوره بنواحى حلب بينهما خمسة فراسخ ، ومعرة النعمان — تنسب الى النعمان بن بشير الصحابى ، وسياث : بليدة بظاهر معرة النعمان ،والهرماس : نهر نصيبين ، وقد أورد ياقوت فى رسم (هرماس) الأبيات ٥و٨و٩

أيامَ قلتُ لذى المَوَدَّةِ : سقِّنِى ... من خَنْدَرِيسِ حُناكِها أوحاسِها (1)

[185ب] حمراء تُغْنِينا بساطعِ نُورِها ... فى الليلةِ الظَّلْمَاء عن نِبْراسِها (2)

رَقَّت فما أدرى أكأسُ زُجاجِها ... فى جِسْمِها أم جسمُها فى كاسِها (3)

كان هذا الشّاعر ابن أبى حَصِينة مَدّاحا للأمِير تاج الأُمَرَاء مُعِزّ الدّولة أبى العُلْوان شِمالِ بن أسَدِ الدّولة صالِح بن مِرْداس ، فامتَدَحَه بقصيدة شكا فيها كَثْرَةَ أولاده ، وكان له أربعةَ عشر ولدا ، أولها (4) :

سرَى طَيْفُ هِند والمطِىُّ بنا يَسْرِى ... فأخْفَى دُجَى ليلٍ ، وأبدَى سَنا فَجْرِ

يقول فيها :

جَنَيْتُ على نفسِى بنفسى جِنايَةً ... فأثْقَلْتُ ظهرى بالذى شَبَّ من ظَهْرِى (5)

عِدادُ الثُّرَيّا مثلُ نصفِ عِدادِهِم ... ومَنْ نسلُه ضِعْفُ الثُّرَيّا متى يُثْرِى ؟!

وأخشى اللَّيالِى الغَادِرَاتِ عليهمُ ... لأنَّ الليالِى غيرُ مأمونةِ الغَدْرِ

ولى منكَ إقطاعٌ قديمٌ وحادِثٌ ... تقلَّبْتُ منه تحتَ ظِلِّكَ من عُمْرِى

وما أنا بالممنوعِ منه ، ولا الذى ... أخافُ عليه منكَ حادثَةً تَجْرِى

ولكنَّنِى أبْغِيه مُلْكًا مخَلَّدًا ... خلودَ القوافِى الباقِياتِ على الدَّهْرِ

[186 ا] / والقصيدة طويلة ما اقتضَى التأليف ذكرها بأسرها ، فلما سمعها مُعِزُّ الدولة أمر بإحضار

---

(1) حناك – بضم الحاء – : حصن كان بالمعرة ، والمقصود هنا مكان فى موضعه ، لان الحصن خربه عبدالله بن طاهر بعد المائتين ، قبل زمن الشاعر بكثير – وحاس : موضع بالمعرة . وهذا البيت والذى قبله أوردهما ياقوت فى رسم « حاس » .

(2) فى الديوان بين هذا البيت والذى يليه هنا البيت التالى :

وكأنَّما حبَبُ المِزاجِ إذا طَفا ... دُرٌّ تَرَصَّع فى جَوَانِبِ طاسِهَا

(3) يسمى البديعيون هذا الأسلوب بالتجاهل ، ومثله – وهو فى معناه – قول الآخر :

لَسْتُ أدْرِى من رِقَّةٍ وصفاءٍ ... هِىَ فى كأسِها أم الكَأْسُ فِيها ؟!

(4) الديوان ، وتخريجها فيه ، وأورد ياقوت بعضها فى معجم الأدباء (10/114 و 115) وابن العديم فى بدة الحلب (1/271) وابن شاكر فى فوات الوفيات (1/157) .

(5) الديوان « جَنَيْتُ على رُوحِى ... بالذِى خَف مِنْ ظَهْرِى » وما هنا يوافق زبدة الحلب مثله فى فوات الوفيات 1/157

شهودٍ أشْهَدَهم بتمليكهِ أبا الفتح الحَسَنَ بنَ عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حَصِيْنة ضيْعَتَيْنِ من أعمال حَلَب ومَنْبِج ، فأثْرَى ، وحسنت حاله ، وعَمَر[1] بحلب دارًا عند حمّام الواسانيّ ، وكتب على إزارِ روْشَنِها[2] :

دارٌ عَمَرْناها ، وعِشنا بها في نِعْمَةٍ من آلِ مِرْدَاسِ[3]
قومٌ مَحَوْا بؤسِي ولم يَتْرُكوا عليَّ للأيَّام من باسِ[4]
قُلْ لبنِي الدنيا : ألا هكذا فليَفْعلِ الناسُ مع الناسِ[5]

وقال ابنُ نُباتة :

يادارُ بينَ الرَّقَّتيْن[6] وبابِلٍ[7] شُقَّت عليكِ من السحابِ جُيوبُ[8]
وأطاعَ تُربَكِ وابلٌ مُتعمِّد من أن تزعزعه صَبًا وجَنُوبُ
يا حَبّذا ماءُ الفراتِ لو أنَّه يَشْفِي غَلِيلَ الشاربِ المشروبُ

[١٨٦ ب]

وقال آخر :

سَقَى الله دارًا لى ، وأرضًا تركتُها إلى جَنْبِ دارَىْ مَعْقِلٍ ويَسَارِ
أبو مالكٍ جارٌ لها ، وابنُ بُرْثُنٍ «فيالَكِ جارَىْ ذِلَّة وصَغارِ[9]» !

---

(١) هذا الخبر نقله ياقوت فى معجم الادباء (١٠/٩٥ وما بعدها) وعلق عليه نقلا عن أسامة بن منقذ وفيه أنه ملك ابن أبى حصينة ضيعة من ضياعه لها ارتفاق كبير ، والعبارة الواردة هنا توافق زبدة الحلب ١/٢٧٢ وانظر أيضا فوات الوفيات ١/١٥٧ وفى معاهد التنصيص ٣١٣ ورد هذا الخبر مغيرا وعزى الشعر والمناسبة فيه لابن حيوس . هذا والأبيات فى ديوان ابن أبى حصينة ١/٣٦٠ .

(٢) ازار الحائط : مايلصق به بأسفله للتقوية والصيانة أو للزينة ، والروشن : الرف كذا فى التاج ، وفى الوسيط هو الرف والشرفة .

(٣) فى معجم الادباء (بنيناها) مكان (عمرناها) ، (فى دعه) مكان فى نعمة

(٤) فى معجم الادباء (على فى الايام) وما هنا يوافق ما فى زبدة الحلب .

(٥) فى معجم الأدباء «فَلْيُحْسِنِ الناسُ إلى النَّاسِ» وما هنا يوافق رواية زبدة الحلب .

(٦) الرقتان : هما الرقة والرافقة ، والرقة : البستان المقابل لدار الخلافة ببغداد ، والرافقة بلدة متصلة البناء بالرقه ، وهما على ضفه الفرات ، وبينهما ثلاثمائه ذراع .

(٧) بابل : قال ياقوت اسم ناحية منها الكوفة والحلة ، وقال صاحب مراصد الاطلاع : المشهور بهذا الاسم المدينة الخراب بقرب الحلة والى جانبها قريه تسمى الآن (٧٣٩ هـ) بابل عامرة .

(٨) استعار شق جيوب السحاب لنزول المطر .

وقال آخر :

إنَّ جارَ السُّوءِ حِمْلٌ فادِحٌ   فاسْتعِذْ باللهِ من سُوءِ الجوارِ
ما لجارِ السوءِ عندى حِيلةٌ   فى جَمِيعِ الأَرضِ إلا بيعُ دارِى

وقال عيسى بن القاشِى فى دار إسماعيل بن بُلْبُل[1] :

أيا دارًا تفيضُ بكلِّ خيْرٍ   وفيها كُلُّ شهْوَاتِ المَرِيضِ
ترقّىْ فى السّماءِ ولا تَمَلِّى   فكم أبصرتُ مثلَكِ فى الحضيضِ
وكُونِى كيف شئتِ ،فأنتِ عندِى   وعند الناسِ من دُورِ القُبوضِ[2]

وقال آخر :

إنا رأينا حِجابًا منك أغْرَضَنا   فلا يكُنْ ذُلُّنا فيهِ لك الغرَضا[3]
اسمَعْ مقالى ، ولاتَغضَبْ علىَّ ، فما   أبغى بنُصْحِكَ لا مالًا ولا عَرَضا[4]
فىْ هذه الدارِ ، فى هذا المكانِ على   هذا السَّرِيرِ رأيتُ العِزَّ فانْقَرَضا

[187 أ]

وقال على بن بسّام فى أبيه ، وقد عمر له دارًا :

شِدْتَ دارًا خِلْتَها مَكرُمَةً   سلَّطَ اللهُ عليها الغرَقا
وأرانِيكَ صَرِيعًا وَسْطها   وأرانِيها صَعِيدًا زَلَقَا[5]

وقال أبو الهِنْدىّ :

ولو أن لى دارًا يحِلُّ دُخُولُها   لمتّعْتُكم بالعَزْفِ فيها وبالخمْرِ
ولكننى فِى دارِ سَوْءٍ كأنّها   بقِيّةُ ناوُوسٍ[6] على ساحِلِ البَحْرِ

---

(١) اسماعيل بن بلبل ، وكنيته ابو الصقر ،وزر غير مرة للمعتمد على الله ابى العباس احمد ابن المتوكل ، وأنظر فى خبر وزارته الفخرى (١٨٦ ـ ١٨٨) .

(٢) القبوض : جمع القبض ، ومن معانيه تحويلك المتاع الى حيزك ، يريد انها ستقبض منه ، وتزول عنه .

(٣) اغرضنا : اضجرنا واقلقنا ـ والغرض : القصد .

(٤) العرض : متاع الدنيا قل أو كثر .

(٥) صعيدا زلقا ، اى أرضا ملساء ، ليس بها شىء .

(٦) الناووس : القبر ، كذا فى شفاء الغليل ٢٣١ وفى المصباح المنير : الناووس (فاعول) مقبرة النصارى .

أُوْدَى إلى من عَجَّل اللهُ موتَه لأدفِنَه فيها ثلاثين فى الشهرِ

وقال آخر :

جمالُ الدارِ بالإطعا مِ ، لا بالفرْشِ[1] والنقشِ

وما للدّارِ من فضلٍ ولو شِيدت إلى العَرْشِ[2]

وقال مُعاويةُ بن قُرّة المِنقَرِىّ :

إذا خِفْتَ من أمرٍ فواتًا فَوَلِّهِ سواكَ وعن دارِ الأذَى فتحوَّلِ

فما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه فنى صالحِ الأعمالِ نفسَك فاجْعَلِ [١٨٧ب]

وقال ابنُ سارة المَغْرِبِىّ :

مُقامُ حُرٍّ بدارِ هُونٍ عجزٌ لعمرى من المُقيمِ

ارْحَلْ فإن لم تجِدْ كريمًا فمن لئيمٍ إلى لئيم

قال بعضهم : اجتزت بباب دار ، وإذا لها حُشٌّ[3] مفتوحٌ ، وفيه كسَّاح[4] ، وهو يترنَّم :

وإياكَ والسُّكْنَى بدارِ مذَلَّةٍ تُعَدّ مُسيئًا فيه إن كنت مُحْسنا

ونفسَك فاكرمها فإن ضاقَ مَسْكَنٌ عليكَ بها فاطْلُبْ لنفسِك مَسْكَنَا

قال : فاطَّلعتُ عليه ، وقلت : وهل فوق ما أنت عليه منزلةٌ للهَوَان ؟ فقال : نعم مسألة سِفْلَةِ الناسِ أَهْوَنُ مما أنا فيه ، وأنا أغنى الناس ، قال : فأَفْحَمَنى وأعجبنى .

وقال آخر :

إذا قلَّ إنصافُ الفتَى لصَدِيقِهِ على غيرِ مَعْرُوفٍ فلا لَوْمَ فى الهجرِ

وما الناسُ إلا مُنصِفٌ فى مودّةٍ وإلا مُعينٌ للصديقِ على الدهرِ

وإنّ مُقام الحُرِّ فى دارِ ذِلَّةٍ لِيُصْرَفَ عنهُ الفقرُ شَرٌّ من الفَقْرِ

---

(١) الفرش : فرش البيت وهو فراشه .

(٢) العرش : من معانيه : سرير الملك ، وأربعة كواكب صغار أسفل من العواء ، ويقال لها أيضا : عرش السماك ، ولعل الثانى هو المراد هنا.

(٣) الحش : مجتمع العذرة ، جمعه حشوش ، وفى اللسان : يكنى بالحشوش عن مواضع الغائط يعنى الكنف

(٤) يقال : كسح البيت والبئر ، اذا كنسه ،والكساح الذى يفعل ذلك ، والمراد به هنا من يكسح الكنف ، أى ينضح ما فيها .

[١٨٨ ا] وقال ابنُ المُعْتَزِّ(١) :

إنّى غَريبٌ بدارٍ لا كِرامَ بِها ... كغُرْبَةِ الشَّعرةِ السّوداءِ فى الشَّمَطِ.(٢)

ما أُطْلِقُ العينَ فى شىءٍ تُسَرُّ بهِ(٣) ... ولستُ أُبْدِى الرِّضَى إلاعلى سخَطِ.(٤)

وقال بعضُ العربِ فى امرأته :

سَقَى اللهُ دارًا فرّق اللهُ بينَنَا ... وبينَكَ فيها وابِلًا سَبَلَ القَطْرِ(٥)

ولا ذكرَ الرحمنُ يومًا وليلةً ... ملكْناكِ فيها لم تكن ليلةَ القَدْرِ

وقال آخر :

صَبْرُ الأديبِ على الهَوانِ مَذَلَّةٌ ... ماللأَديبِ يُرى بدارِ هَوَانِ

أرضُ الإلَهِ لخَلْقِهِ مَبْسُوطَةٌ ... والرزقُ مقسومٌ بكلِّ مكانِ

وقال آخر :

ومِثْلِى إذا ما الدّارُ يومًا نَبَتْ بهِ ... تحوَّلَ عنها واستَمَرّت مرائِرُهْ(٦)

إذا أنتَ لم تُغْبَطْ(٧) بدارٍ سكَنْتَها ... فبِعْها بأُخْرى أو بجارٍ تجاوِرُهْ

وقال آخر :

[١٨٨ ب] لا أُوطِنُ الدارَ إيطانَ البَعيرِ إذا ... كانت حوادِثُ فيها لا تُواتِينِى(٨)

أَكُلَّما أَخْطأَتْ يوما يدى قدمى(٩) ... هَوَيْتُ عندكِ فى زَوْراءَ تُرْدِينِى؟!(١٠)

---

(١) البيتان فى ديوانه ١٥/٢ ، وقد وردا مفردين على نحو ما رواهما المصنف هنا .

(٢) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده ، وانما عنى البياض ، وأصله من قولهم : هو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود .

(٣) فى الديوان « أسر » (٤) الديوان « على السخط »

(٥) السبل : المطر الهاطل

(٦) يقال : استمر مريره ، اى استحكم عزمه

(٧) يقال : غبطه ، اذا تمنى مثل ماله من النعمة من غير ان يريد زوالها عنه .

(٨) يقال : اوطنت الارض ، ووطنتها (بالتضعيف) واستوطنتها ، اى اتخذتها وطنا

(٩) (يدى قدمى) لم يتضح فى الأصل والمثبت أقرب القراءات المحتملة .

(١٠) يقال : بئر زوراء ، بعيدة القعر ، وهوعلى التشبيه ، ويقال : كلمة زوراء : معوجة عن الحق ـ تردينى : تهلكنى .

وقال آخر[1] :

وليس اقْتنائِى[2] سَمَرْقَنْدَ مَحَلَّةً ... ودارَ مُقامٍ لاختيارٍ ولا رِضَى

ولكنّ قلبى حَلَّ فيها فعاقَنِى ... وأَقْعَدَنِى بالصُّغر[3] عن فسْحَة الفَضَا[4]

وإنِّى مِمَّنْ يَرْقُبُ الدهرَ راضِيًا[5] ... بيومِ سُرورٍ غيرَ مُغْرًى بما مَضَى

وقال آخر :

أُحِبُّ الدارَ تسكُنُها سُلَيْمَى ... وإن كانت تُوارِيها الجُدوبُ

وما دَهْرِى بِحُبِّ تُرابِ أَرْضٍ ... ولكن من يَحُلُّ بها حَبِيبُ[6]

وقال عنترة بن شدّاد العَبْسِىّ[7] :

هل غادَرَ الشعراءُ من متردَّمِ ... أم هل عَرَفْتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ

(ردّمت الشىء ، إذا أصلحتَه ، يقول : ما ترك الشعراءُ من معنى إلا وقد سبَقوا إليه)[8] :

يا دار عَبْلَةَ بالجِواءِ تكَلَّمِى ... وعِمِى صباحًا دارَ عبلةَ واسْلَمِى[9]

---

(١) فى معجم البلدان وردت هذه الأبيات فى رسم (سمرقند) وقدم لها ياقوت بقوله : « ووجد بخط بعض ظرفاء العراق مكتوبا على حائط سمرقند » ثم أوردها .

(٢) فى معجم البلدان « اختيارى » وسمرقند ــ بفتح أوله وثانيه وسكون الراء (وقد سكن الشاعر الميم وفتح الراء ضرورة) ــ :مدينة عظيمة ، وهى قصبة بلاد الصغد

(٣) كذا فى الأصل ، ومثله فى معجم البلدان ، ولعل صوابه بالصغد (بضم فسكون) ، وهو صغد سمرقند ، وهى قرى متصله خلال الأشجار والبساتين من سمرقند الى قريب من بخارى ، وكان معدودا فى عجائب الدنيا .

(٤) فى معجم البلدان (القضا) وما هناأنسب للمعنى .

(٥) فى معجم البلدان (وإنِّى لمِمنْ يَرْقُبُ الدَّهْرَ راجِيًا .. ليومٍ ..» .

(٦) هذا المعنى ورد فى شعر ينسب للمجنون وهو :

أَمُرُّ على الدّيارِ دِيارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الجِدارَ وذَا الجِدَارَا

وما حُبُّ الدّيارِ شَغَفْنَ قلْبِى ... ولكن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدّيارَا

(٧) الأبيات فى ديوانه (١٤٢) وهى من مقدمةمعلقته ، وانظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ١٧٢/ وما بعدها .

(٨) ضبطه الزوزنى (متردم) بكسر الدال ،وقال فى تفسيره : « المتردم : الموضع الذى يستصلح ويسترفع لما اعتراه من الوهن ،والتردم أيضا مثل الترنم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين » وقال : « هذا استفهام يتضمن معنى الانكار ، أى لم يترك الشعراء شيئا يصاغ فيه شعر الا وقد صاغوه .

(٩) الجواء : موضع مختلف فى تحديدهعلىاقوال ، اقربها للمراد هنا انه واد فى ديار بنى عبس .

[١٨٩ ا]

ولقد حَبَسْتُ بها طَوِيلاً ناقتِى ... أشكو إلى سُفْعٍ رواكدَ جُثَّمِ (١)

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تقادَم عهدُه ... أقْوَى وأقْفَرَ بعد أمِّ الهَيْثَمِ

وقال جَرِيرُ بن عَطِيَّة(٢) :

لِمَنْ رَسْمُ دارٍ هَمَّ أن يَتَغَيَّرا ... تُراوِحُهُ الأرْوَاحُ والقَطْرُ أعْصُرا(٣)

وكنا عَهِدْنا الدّارَ والدّارُ مَرَّةً ... هى الدارُ إذ حَلّت بها أمُّ يَعْمُرَا

ذكرتُ بها عَهْدًا على الهجرِ والقِلَى ... ولابُدَّ للمحزونِ أن يتذكَّرا (٤)

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى(٥) :

أفى رَسْمِ دارٍ دارسٍ أنتَ واقفُ ... بقاعٍ تُعَفِّيهِ الرِّياحُ العَوَاصِفُ

وقفتُ بها ، لا من أُسائِلُ ناطِقٌ ... ولا أنا إذ لم تنطق الدارُ صادِفُ(٦)

ولا أنا عمّن يـألفُ الدارَ ذاهل(٧) ... ولاالتَّبْلُ(٨) مَرْدُودٌ ولاالقلبُ عازِف

وقال حارِثَةُ بنُ بَدْرٍ الغُدانِى(٩) :

سَلِّمْ على الدّارِ أقْوَتْ بعد آبادِ ... قفرًا بطارِفِ أعلى ذاتِ إمْهادِ(١٠)

---

(١) هذا البيت والذى بعـده لم يردا فى المعلقة

ومعنى حبست ناقتى : وقفتها ومنعتها من السير ، وعنى بالسفع الرواكد الجثم : الأثافى وهى ثلاثة أحجار تنصب موقدا

(٢) الأبيات فى ديوانه (٢٤٠ ط الصاوى) والنقائض (٩٩ ط أوربا) وهى من أولهـا على الترتيب .

(٣) فى النقائض : « لمن ربع دار » وما هنا يوافق الديوان . ومعنى تراوحه من قولك : رواح بين العملين ، اذ تناول هذا مرة وهذا مرة ، يريد ان الرياح تتداولها بينها .

(٤) فى الديوان « على الهجر والبلى » وفيه « المشعوف » مكان المحزون .
والمشعوف : من شعفه الحب ، اى أحرق قلبه ، وعجز البيت تذييل جرى مجرى المثـل .

(٥) الأبيات فى ديوانه ١٧٨ (ط بيروت) والبيت الأول هو مطلع القصـيدة ، والبيتان الآخران يقابلهما فى ترتيب الديوان البيتان (٤و٥) .

(٦) رواية الديوان للشطر الثانى : «وَلَا أنَا إنْ لَمْ يَنْطِقِ الرَّسْمُ صارِفُ» والصادف : المعرض

(٧) فى الديوان « الربع » (٨) يقال : تبله الحب : اذا أسقمه وذهب بعقله .

(٩) انظر ترجمته فى مختار الأغانى (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٨٦) وله فيه (ص ٤٨٥) أبيات من البحر والروى قالها حين أشرف على الموت ، وربما كانت مكملة لما هنا .

(١٠) ضبطه فى معجم البلدان (أمهاد) بفتح الهمزة وقال : يوم أمهاد من أيام العرب ، ويقال لها : أمهاد عامر ، كأنه من مهـدت الشىء ، اذا بسطته . والآباد : جمع الأبد ، وهو الدهر ، اراد بعد أزمان متطاولة .

الدار لم يبقَ منها ربّما لَقِيَتْ إلا مضاربَ أطْنَابٍ وأوْتادِ [1]

كأنّها بالفَيافِي يومَ مَطْلِعِهَا من بَطْنِ ذاتِ السُّنا أخلاقُ أبْرادِ [2] [١٨٩ب]

فما تبيّنْتُها حتى وقَفْتُ بها وطالَ بالطَّرْفِ إفْراعِي وإصْعَادِي [3]

فانهَلَّتِ العينُ من عِرْفَانِهَا سَكَبًا نَضْحَ السُّقاةِ لجمٍّ ماء أعْدَادِ [4]

فظَلْتُ كالشَّارِبِ النَّشْوانِ محتَبِسًا يومًا طويلًا على عَنْسٍ وأقْتادِ [5]

أُراسِلُ الطَّرْفَ وَهْنًا ثم أعطِفُه فى مُتَشتًّى ومُصطافٍ ومُرْتادِ [6]

إذ لاالنَّوَى بين أهْلِينا مفرِّقَةٌ ولا المُكتَّمُ من أسرارِنا بادِ

وقال آخر :

دارٌ علا دورَ الملوكِ بهاؤُها كعُلُوِّ صاحِبِها على الأَملاكِ

فكأنّها من حُسْنِها وعُلُوِّها بُنِيَتْ قواعِدُها على الأَفْلاكِ [7]

---

(١) فى الأصل (أطياب) ولم يتضح المرادعليه ، وقد رجحنا اطناب ، جمع طنب ، وهو الحبل تشد به الخيمة .

(٢) الفيافى : واحدها فيفاء : الصحراءالواسعة المستوية ، والمكان تضطرب فيه الرياح واخلاق : جمع خلق ــ بفتح أوله وثانيه ــ وهوالبالى ، والأبراد : واحدها برد ، وهو كساء مخطط يلتحف به .

(٣) فى الأساس (صعد) «وطَالَ فى الأَرْضِ تَصْوِيبِى وتَصْعِيدِى» وأصعد فى الأرض : ذهب مستقبل أرض ارفع من الأخرى ، وفيه(فرع) أفرعت فى الوادى ، وفرعت : انحدرت استعاره فى المعنيين للنظر

(٤) السكب ــ بفتح فسكون ــ : الصب (حرك الكاف للوزن) ، ويقال ماء سكب ، ودمع سكب ، وصف بالمصدر ، والسكب أيضا : السريع ، والجم : الكثير ، والاعداد : واحدها عد ــ بكسر أوله وتضعيف ثانيه ــ : وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين والبئر .

(٥) العنس من معانيها : الناقة القوية ،والاقتاد : جمع قتد ، وهو خشب الرجل .

(٦) أراسل الطرف : أتابعه، المتشتى : مكان الاقامة فى الشتاء ، ويقال أيضا : تشتى المكان ، اذا رعاه فى الشتاء ، ومثله المصطاف ، والمرتاد : موضع طلب الكلأ من قولهم : بعثنا رائدا يرود لنا الكلأ ويرتاده .

(٧) الافلاك : جمع فلك ، وهو مدار النجم والكواكب .

وقال رجلٌ من عَبْسٍ – مَن أهل الكوفة تحوّل إلى أخواله جُعْف[1] – :

لمّا نبتْ داري نَبَوْتُ بها فتركتُها ونَزَلْتُ في جُعْفِ

فحَلَلْتُ في عِزٍّ وتكْرِمَةٍ[2] بمَحَلٍّ بينَ العَيْنِ والأنفِ

هذا من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : «عمّار جلدة ما بين عيني وأنفي» يعني عمّار ابن ياسرٍ رحمه الله[3] .

---

(1) جعف : حي من اليمن

(2) التكرمة : الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير مما يعد لاكرامه .

(3) كذا فسره المصنف ، ولم أجد هذا الحديث بعينه ، وفي اللسان (روغ ، سلم) قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم

يُدِيرُونَنِي عَنْ سالِمٍ وأُرِيغُهُ وجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ والأَنْفِ سالِمُ

قال الجوهري : يقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم . قال ابن بري وهذا وهم قبيح من الجوهري انما سالم « ابن عبد الله بن عمر » جعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وانفه .

١٥ ـ فصل فى ذكر البيت[1]

[١٩٠أ*]

قال اللهُ تَبارَكَ وتعالى : « إن أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكًا ، وهُدًى للعَالَمِينَ[2] » قال مُجَاهِدٌ ـ رحمه الله ـ : تَفاخَرَ المسلمون واليهودُ ، فقالت اليَهُودُ : بيتُ المَقْدِسِ أفضلُ[3] ، وقال المسلمون : بل الكعبةُ أفْضَلُ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ولا اختلاف بين أهلِ السِّيَرِ أنه أولُ بيت وُضِعَ للناس ، واختلفوا : هل كان أولَ بيتٍ وُضع بغَيْرِها على قولين :

أحدهما : أنه قد كان قبله بُيُوتٌ كثيرة ، وهو قولُ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ رضوان الله عليه ، والحَسَن رضى الله عنه .

والثاني : أنه لم يُوضَعْ قبله بيت ، وهو قول مُجاهِدٍ وقَتادَة[4] .

وروى عن أبي ذَرٍّ ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ بيتٍ وُضِعَ في الأرض أوَّلَ ؟ قال : المسجدُ الحرام . قلت : ثم أيُّ بيت ؟ قال : بيتُ المقْدِسِ قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربَعُون سنةً .

[١٩٠ب]

وقال الله تبارك وتعالى : «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ»[5] .

أولُ من دَلَّهُ الله ـ عز وجلَّ ـ على مكان البيت ـ بعد آدم ـ إبراهيمُ عليهما السلام ،

(*) سقطت هذه الصفحة من مصورة الكتاب التى نشرها معهد الشعوب الآسيوية بموسكو وورد فى مكانها خطأ ص (١٠٩ أ) وبالرجوع الى الاصل الخطى المحفوظ بلينينجراد أمكن تصويرها، واثباتها فى موضعها .

(١) فى القاموس : « البيت من الشعر والمدر معروف ، جمعه أبيات وبيوت » وفى اللسان ما ملخصه « البيت من الشعر : ما زاد على طريقة واحدة ، يقع على الصغير والكبير ، وقد يقال لما كان من غير الأبنية ـ كالأخبية ـ بيت ، والخباء : بيت صغير من صوف أو شعر ، فاذا كان أكبر من الخباء فهو بيت ، ثم مظلة اذا كبرت عن البيت .. وفى التهذيب : بيت الرجل : داره ، وبيته : قصره .. وقال ابن سيده : « بيت الله تعالى : الكعبة »... وبيت العرب : شرفها ، والبيت من بيوتات العرب : الذى يضم شرف القبيلة .

(٢) سورة آل عمران / ٩٦

(٣) زاد فى مجمع البيان (٤/٤٧٧) عنه « .. وأعظم من الكعبة ، لانه مهاجر الانبياء ، والارض المقدسة » .

(٤) انظر تفصيل هذا القول فى مجمع البيان للطبرسى (٤/٤٧٧) عند تفسير الآية .

(٥) سورة البقرة / ١٢٧

وهو أولُ من بناه مع إسماعيلَ عليه السلام ، وأوّلُ من حَجَّه ، وإنما كانوا قبله يُصَلُّون نحوه ، ولا يعرفون مكانه .

واختلفُوا فى سببِ بنائه عند ابتداء الخَلْقِ على قولين[1] :

أحدهما : ما رواهُ محمد بنُ عليٍّ عن أبيه[2] ـ رضوان الله عليهما ـ أن الله تعالى وضَعَ تحت العَرْشِ بيتًا على أربع أساطِينَ ، وسمّاه الضُّرَاح[3] ، وهو البيتُ المعمور ، وقال تعالى للملائكة ـ عليهم السلام ـ : طُوفُوا به ، ثم بعثَ ملائكتَه ـ عليهم السلام ـ فقال : ابنُوا لى بَيْتًا فى الأَرضِ بمثالِه وقَدْرِه ، وأمرَ من فى الأرضِ من خلْقِه أن يطوفُوا به[4] .

والثانى : ما روى عن ابن عباس ـ رضوانُ الله عليهما ـ قال : لما أُهْبِطَ آدمُ عليه السلام ـ من الجنّة إلى الأَرضِ قال له تعالى : « يا آدمُ اذهَبْ ، فابنِ لى بيْتًا ، فطُفْ به ، واذكرنى حوله ، كما رأيت الملائكة يصْنعُون حول عرشِى ، فأَقبَل آدم ـ عليه السلام ـ يتخطَّى ، فطُوِيَتْ له الأَرض ، وقُبِضَتْ له المفاوزُ[5] ، فلم يقع قدمُه على شىء إلا / صار عُمْرَانًا ، حتى انتهى إلى موضِعِ البيتِ الحرام ، وأن جبْرِيلَ ـ عليه السلام ـ ضرَبَ بجَناحِهِ الأَرض ، فأبرز عن أُسٍّ ثابتٍ على الأَرضِ السابعةِ السُّفْلَى[6] ، وقَذَفتْ إليه الملائكةُ بالصَّخرِ ، فما يُطيقُ الصخرةَ ثلاثون رجلًا ، وأنه

[١١٩١]

(١) هذان القولان أوردهما الأزرقى فى أخبار مكة (٤ـ٧ ط ليبزج) وحكاهما عنه النويرى نهاية الأرب ١/٢٩٩ ـ ٣٠٢) ويفهم من سياقه أنهما طوران من الأطوار التى مر بها بناء الكعبة والقول الأول هنا عنوانه فى أخبار مكة ، ونهاية الأرب (ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم ، وذكر زيارة الملائكة البيت الحرام) والقول الثانى هنا عنوانه فيهما : (ذكر هبوط آدم الى الأرض ، وبنائه الكعبة ، وحجه وطوافه بالبيت)وروايتهما أكثر تفصيلا

(٢) فى المصدرين السابقين « محمد بن على بن الحسين »

(٣) فى الأصل (الصراح) بالصاد المهملة ،وفى هامشه (بخط مغاير) الضراح بالضاد المعجمة ، وهو فى السماء ، وفى القاموس (ضرح) أنه فى السماء الرابعة .

(٤) فى أخبار مكة/٥ ونهاية الأرب ١/٣٠٠ (أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور) .

(٥) فى المصدرين السابقين زيادة فى هذا الموضع : « فصارت كل مفازة يمر بها خطوة ، وقبض له ما كان فيها من مخاض أو بحر فجعله خطوة ، ولم يقع قدمه على شىء من الأرض الا صار عمرانا .. »

(٦) فى المصدرين السابقين « فابرز عن أس ثابت فى الأرض السفلى »

بناه من خمسة أَجْبُلٍ : من لُبْنان ، وطُورِ[1] زَيْتا ، وطُورِسينا[2] ، والجُودِىّ[3] ، وحرى[4] ، فكان آدمُ عليه السلام أولَ من أَسّس البيتَ ، وصَلّى فيه ، وطافَ به ، ولم يَزَلْ كذلك حتى بعثَ اللهُ تعالى الطُّوفانَ ، فَدَرَس موضِعُ البيتِ ، فبعثَ اللهُ - عز وجلَّ - إبراهيمَ وإسماعيل عليهما السلام ، فوضعا قواعدَ البيتِ وأعلامَه ، ثم بنته قُريش بعد ذلك ، وهو على حَد البيتِ المعمور ، لو سَقَطَ ما سقطَ إلا عليْه .

ثم روى علىُّ بنُ أبى طالبٍ[5] - رضوان الله عليه - : أن الله تعالى لما أمر إبراهيمَ عليه السلام بعمارةِ البيت ، خرجَ من الشام ومعه ابنُه إسماعيل ، وأُمُّه هاجَر ، وبعثَ معه السكِينَةَ لها لسانٌ تتكلّم به[6] ، يَغْدُو إبراهيم معها إذا غَدَتْ ، ويَرُوح معها إذا راحَتْ ، حتى انتهت به إلى مكّة ، فقالت لإبراهيم : ابنِ على[7] موضِعى الأساس ، فرفع البيت هو / وإسماعيل عليهما السلام ، [١٩١ب] حتى انتهى إلى موضع الرُّكْنِ ، فقال لابنه : يا بنىَّ ابغِنى حَجَرًا أجعلْه عليها عَلَمًا للنّاس ،

(١) طورزيتا : جبل بقرب راس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتـــون يسقيه المطر ، ولذلك سمى طورزيتا (معجم البلدان) .

(٢) طورسينا : اسم جبل بقرب أيله .

(٣) الجودى : جبل مطل على جـزيرة ابن‌عمر ، فى الجانب الشرقى من دجلة .

(٤) كذا فى الأصل، وفى أخبار مكة ، والروض الأنف ١/١٢٩ (حراء) وفى نهاية الأرب « حراء » وذكره فى هامشـــه أنه فى اصـله « حبرى » وقال مصححه : (حراء) كذا عن حاشية الجمل على الجلالين ، وفيها أثر ابن عباس المروى هنا .

(٥) أورد الأزرقى (أخبار مكة ٢٧ - ٢٩) الرواية عن على رضى الله عنه ، وفيها تفاصيل واختلاف عما ورد هنا ، كذلك اورد خبر هـذا البناء بروايات أخرى من طرق متعددة عن على وانظر أيضا نهاية الأرب (١/٣٠٧) والروض الأنف (١/١٢٧) فقد أورد السـهيلى خلاصـــة الآثار المروية فى بناء الكعبة .

(٦) لفظه فى أخبار مكة /٢٧ فى روايته عن حـــارثة بن مضرب عن على « ثم نزلت السكينة كأنها غمامة أو ضبابة فى وسطها كهيئة الراس يتكلم » . وفى ص ٢٨ رواية عنه من طريق خالد بن غرغرة « .. فأرسل الله تعالى السكينة وهى ريح خجوج لها راس حتى تطوقت مثل الحجفة فبنى عليها » وفى روايته من طريق سفيان بن عيينة عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن على « اقبل ابراهيم من ارمينية معه السكينة تدله حتى تبـــوأ البيت كما تبوأت العنكبوت بيتها » ..

(٧) فى المصدر السابق /٢٩ « فقـــالت السكينة : ابن على ، فلذلك لايدخله اعرابى نافر ولا جبار الا رايت عليه السكينة »

فجاءَهُ بحَجَرٍ فلم يَرْضَه ، فقال : ابْغِنِى غيرَه ، فذهب يَلْتَمِسُ[1] ، فجاءه وقد أُتِىَ بالرُّكْنِ ، فوضَعَهُ موضِعَه ، فقال : يا أَبَةِ[2] من جاءكَ بهذا الحَجَرِ؟ قال : من لم يَكِلْنِى إليك يا بُنَىَّ ، فلما رفع إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام القواعدَ من البيتِ جاءت سَحابةٌ مُرَبَّعة ، فيها رأْس ، فنادت : أَنْ ارْفَعا على تَرْبِيعِى .

قال القاضى المَاوَرْدِىّ ـ رحمه الله ـ : فهذا ما جاءت به الآثارُ فى البَيْتِ قبل الطُّوفانِ وبعده .

وقال ابنُ إسحاق ـ رحمه الله ـ : لما بَلَغَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمسًا وعشرين[3] سنة ، اجتمعت قريش لبُنْيَانِ الكعبةِ ، وكانُوا يَهُمُّون بذلك ليَسْقُفوها ، ويهابُون هدمَها ، وإنما كانت رَضْمًا[4] فوقَ القامةِ[5] ، فأَرادُوا رفعَها وتَسْقِيفَها ، وذلك أَن نَفَرًا سرقوا كنْزَ الكعبةِ[6] ، وكان يكون فى بئر فى جوفِ الكَعْبَةِ ، وكان الذى وُجِد عنده الكنز «دُوَيْكًا» ـ مولى لبنى مُلَيْح ابن عَمْرٍو ، من خُزَاعَةَ ـ فقطعت قريش يدَه ، وقيل : إن الذين سَرَقُوه وضعُوه عند دُوَيْك / وكان [١٩٢ أ]

(١) عبارة الأزرقى « .. فذهب اسماعيل يطوف فى الجبال ، وجاء جبريل بالحجر الأسود ، وجاء اسماعيل ، فقال : من أين لك هذا الحجر ؟ قال : من عند من لم يتكل على بنائى وبنائك .. » وفى موضع آخر منه برواية أخرى « أتانى به من لم يكلنى على حجرك » .

(٢) فى اللسان (أبو) عن الجوهرى « وقولهم يا أبة افعل يجعلون علامة التأنيث عوضا من ياء الاضافة »

(٣) فى سيرة ابن هشام / ١٢٧١ (ط الجمالية بمصر سنة ١٩١٤) لفظ ابن هشام عنه « .. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة .. الخ » وفى تعليق السهيلى عليه ما يؤيده ، فقد قال : « كان بناؤها ـ يعنى الكعبة ـ فى الدهر خمس مرات : الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها ابراهيم على القواعد ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام ، والرابعة : حين احترقت فى عهد ابن الزبير ، والخامسة :فى زمن عبد الملك بن مروان »

(٤) فى اللسان : « رضم الحجارة رضما :جعل بعضها على بعض » وقال السهيلى فى الروض الأنف (١٢٧/١) : الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط

(٥) فى المرجع السابق : قال السهيلى : قوله : « فوق القامة » كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها اذ ذاك ، قال : وذكر غيره انها كانت تسع أذرع من عهد اسماعيل ، فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسع أذرع فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد اليها الا فى درج أو سلم »

(٦) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام « كنزا للكعبة » وعبارة الأزرقى (فى أخبار مكة/١٠٦) وكان فى بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب يكون فيه ما يهدى الى الكعبة من مال وحلية، كهيئة الخزانة .. فعدا على ذلك الجب قوم من جرهم، فسرقوا مالها وحليتها مرة بعد مرة .. »

البحرُ رمى سَفِينةً إلى جُدَّة لتاجرٍ من الرّوم ، فتحطَّمت ، فأَخذوا خَشَبَها ، فأَعدُّوه لتسقيفها ، وكان بمكة نجّارٌ قِبْطِيٌّ ، فتهيأً لهم بعضُ ما يُصْلِحُها . وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة ، فتتشَرَّقُ[1] على جدار الكعبة ، فكانوا يَهابُونها ، فبَعَثَ اللهُ تعالى إليها طائرا ، فاخْتَطَفَهَا ، فَذَهبَ بها[2] ، فقالت قريش : إنا [لـ][3] نرجو أن يكون اللهُ تعالى قد رَضِيَ ما أَرَدْنا ، فلما أَجمعوا أمرَهُم فى هدْمِهَا وبنائِها قام أَبو وَهْب بنُ عمرو بن عائِذ بنِ عَبْدِ بنِ عِمْرَان بن مَخزوم ، فتناول من الكعبة حَجَرًا ، فوثَبَ من يده حتى رَجَعَ إلى موضِعِه ، فقال : يا معشرَ قريش لا تُدْخِلُوا فى بنائها من كَسْبِكم إلا طيِّبا ، لا يَدْخُل فيه مَهْرُ بَغِيٍّ ، ولا بيعُ رِبًا ، ولا مَظْلمَة أحدٍ من الناس . وقد نُحِلَ هذا الكلام إلى الوليدِ بن المُغِيرة[4] ، والأَولُ أَثبَت ، وأبو وَهْبٍ خالُ[5] رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شَرِيفًا ، وله يقول شاعر من العرب :

[و][6] لو بأَبى وهبٍ أنختُ مَطِيَّتِى ... غدَتْ من نداهُ رحلُها غيرُ خائبِ

بأَبيضَ من فَرْعَىْ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ... إذا حُصِّلَتْ أنسابُها فى الذَّوائبِ

أبِيّ لأَخْذِ الضَّيْمِ يرتاحُ للنَّدى ... توسَّطَ جدّاه فروعَ الأَطايبِ[7] [١٩٢ب]

ثم إن قريشًا تجزَّأَت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبنى عبدِ مناف وزُهْرةَ[8] ، وكان ما بين

---

(١) فى الأصل (فتشرق) والتصحيح من ابن هشام ، والمعنى تجلس فى الموضع الذى تشرق عليه الشمس

(٢) أورد الأزرقى فى أخبار مكة (١٠٥ - ١١٠) هذا الخبر مع زيادات فيه .

(٣) زيادة من ابن هشام والأزرقى

(٤) الذى نسبه الى الوليد بن المغيرة هو الأزرقى بسنده . وانظر أخبار مكة ١٠٨/١ ، والذى هنا يوافق رواية ابن هشام عن ابن اسحاق، وانظر الرض الانف للسهيلى (١/١٢٧ - ١٣٠)

(٥) فى ابن هشام عنه « خال ابى رسول الله صلى الله عليه سلم » والصواب ما ذكره المصنف ، وانظر الروض الانف ١/١٣٠ .

(٦) زيادة من المرجع السابق .

(٧) الأبيات اوردها ابن هشام عن ابن اسحاق من غير عزو . وزاد بيتا رابعا وهو :

عَظِيمِ رَمادِ القِدْرِ يَمْلَا جفانَه ... من الخُبْزِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبائِبِ

(٨) فى الأصل (.. عبد مناف بن زهرة)والتصحيح من ابن هشام عن ابن اسحاق ، وفى الأزرقى ١٠٧/١ (.. فطار قدح بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب ، وهو الشرقى ..)

الركن الأَسْوَدِ، والركن اليَمانيِّ لبنى مَخْزوم وقبائلَ من قريشٍ انضمّوا إليهم، وكان ظاهر الكعبةِ لبنى جُمَحَ وسَهْم، ابنى عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَيٍّ، وكان شِقّ الحِجْرِ لبنى عَبدِ الدّار ابن قصَيّ، ولبنى أَسدِ بن عبدِ العُزّى بن قصَيّ، ولبنى عَدِيّ بن لُؤَيّ، وهو الحَطِيمُ موضعُ الصَّنم (١). ثم إنَّ الناسَ هابُوا هَدْمَها، وفَرِقوا منه، فقال الوليدُ بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمِها(٢)، فأخذَ المِعْوَلَ، ثم قامَ عليها وهو يقول: اللَّهمَّ لم تُرَعْ (٣)، فإنَّا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثم هَدَمَ من ناحية الرُّكْنين، فتربّصَ الناسُ تلك الليلة، وقالوا: نَنْظُر، إن أُصيبَ لم نَهْدِم شيئًا، ورَدَدْناها كما كانت، وإن لم يُصِبْه شيءٌ فقد رضي اللهُ بما صَنَعْنا فهَدَمنا، فأَصبح الوليدُ(٤) غاديًا على عمله، وهَدَم وهدمَ الناسُ، حتى انتهى الهدمُ بهم إلى أساسِ إبراهيم عليه السلام، فأَفضَوْا إلى حجارةٍ خضْرٍ كالأَسِنَّة(٥) / أخذ بعضها ببعض، [...] (٦) [١٩٣ أ]

قال ابنُ إسحاق: ثم إن القبائلَ من قرَيْشٍ جمَعَتْ الحجارةَ لِبنائِها، كل قبيلة تجمع على حِدَةٍ، ثم بَنَوْها، حتى بلغ البُنْيَان موضِعَ الرُّكْنِ، فاختصمُوا فيه، كلُّ قَبيلَةٍ تريدُ أن ترفعَه إلى موضعه دون الأُخرى، حتى تحاوَرُوا وتحالَفوا، وأَعَدُّوا للقتال، فقرَّبَتْ بنو عبدِ الدارِ

---

(١) قوله: « موضع الصنم » لم يرد فى رواية ابن هشام عن ابن اسحاق.

(٢) زاد فى أخبار مكة ١٠٨/١ « أنا شيخ كبير، فان أصابنى أمر كان قد دنا أجلى، وان كان غير ذلك لم يرزانى »

(٣) فى الأصل (لاترع) والمثبت من ابن هشام عنه، ومثله فى الروض الأنف ١٣١/١ قال السهيلى: « وهى كلمة تقال عند تسكين الروع والتانيس، واظهار اللين والبر فى القول ولا روع فى هذا الموطن فينفى، ولكن الكلمة تقتضى اظهار قصد البر، فلذلك تكلموا بها ..» وقال ابن هشام: « ويقال: لم نزغ » يعنى بالزاى والغين المعجمتين.

(٤) فى سيرة ابن هشام (فأصبح الوليدمن ليلته غاديا على عمله)

(٥) رواية ابن هشام عنه (.. كالأسنمة، آخذ بعضها بعضا) وأشار السهيلى (فى الروض الأنف/١٣٢) الى رواية البخارى عن يزيد بن رومان: « فنظرت اليها فاذا هى كأسنمة الابل » قال السهيلى « وتشبيهها بالأسنة لايشبه الا فى الزرقة وتشبيهها بأسنمة الابل أولى، لعظمها » وفى اخبار مكة ١٠٩/١ « فأبصروا حجارة كانهاالابل الخلف، لايطيق الحجر منها ثلاثون رجلا، يحرك الحجر منها فترتج جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض .. » ومعنى الخلف فى كلامه، من قولهم: بعير اخلف، اذا كان مائلا على شق.

(٦) مابين المعقوفتين زدناه اشارةالى اختصار كلام ابن اسحاق، والرواية عنه، كما أوردها ابن هشام تضمنت أخبارا زائدة فى هذا الموضع من كلامه.

جَفْنَةً مملوءَةً دمًا ، وتعاقَدُوا هم وبنو عبد الله [1] بن كَعْبِ بن لُؤَيّ على الموت ، وغَمَسُوا أيديَهم فى ذلك الدّمِ [2] ، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدّم ، فمكَثَتْ قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أوخمسًا ، ثم إنهم اجتمعُوا فى المسجدِ ، فتشاوَرُوا وتناصَفوا ، فرُوِيَ أنّ أبا أُمَيَّةَ بنَ المُغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مَخْزوم – وكان أسنَّ قريشٍ كلّها عامئذٍ – قال : يا معشرَ قريش ، اجْعَلوا بينكم فيما تختَلِفون فيه أوّلَ من يدخلُ من بابِ هذا المسجدِ ، يَقْضِي بينكم فيه ، ففعلوا ،[3] فكان أوّلَ داخلٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوْهُ قالوا : هذا الأمينُ ، رضِينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم ، وأخبروه ، قال صلى الله عليه وسلم : هلمّ إليَّ ثوْبًا ، فأُتِيَ به ، فأخذَ الركنَ ، فوضَعَه فيه بيده ، ثم قال : « لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ / بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا [به] [4] موضِعَه وضَعه هو بيده ، وبَنَى عليه [5] » .

[١٩٣ ب]

قال أحمدُ بن يحيى [6] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين وضع الحَجَرَ فى الثّوب – : ليأْتِ من كلِّ رُبعٍ من أرباعِ قرَيْشٍ رجلٌ ، فرفعُوه ، ثم وضعَه – صلى الله عليه وسلم – فى موضعه ، فلما وضَعَ الحجرَ احتاجَ إلى حَجَرٍ يَسْنده به ، فذهب رجلٌ من أهل نَجْدٍ ليأْتيَه [به] ، فقال : لا ، وأمر العبّاس – رضوان الله عليه – فأتاه بحجرٍ فأَسْنَدَه ، فغَضِبَ النَّجْدِيُّ ، وقال : عَمَدْتُمْ إلى أصغرِكم سِنًّا ، وأقلِّكمْ مالًا ، فولَّيْتُمُوه هذه المَكْرُمة ! فكان يُقال : إنه إبليس لعنه الله – فقال أبو طالب – فى وَضْعِ الرّكن – :

---

(١) كذا فى الأصل ، والذى أورده ابن هشام عن ابن اسحاق هو « ... وبنو عدى بن كعب بن لؤى » وهذا هو الصواب ، فقد تقدم ذكر هؤلاء ، وأنه كان لهم شق الحجر مع بنى عبد الدار بن قصى ، وبنى اسد بن عبد العزى .

(٢) عبارته فى ابن هشام « فادخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الحفنة .. الخ »

(٣) حكى الأزرقى فى اخبار مكة ١٠٩/ كلام أبى أمية بن المغيرة فقال : « يا قوم انما اردنا البر ، ولم نرد الشر ، فلا تحاسدوا ولا تنافسوا ، فانكم اذا اختلفتم تشتتت أموركم ، وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكموا بينكم اول من يطلع عليكم من هذا الفج ، قالوا : رضينا وسلمنا ، فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذا الأمين ، قد رضينا به . فحكموه .. الخ » .

(٤) زيادة من ابن هشام (الروض الأنف ١٣٢/١) وعبارة الأزرقى فى هذا الموضع : فرفع القوم الركن ، وقام النبى على الجدر ، ثم وضعه بيده .

(٥) هذا آخر كلام ابن اسحاق فى هذا الموضع .

(٦) أورد الأزرقى هذا الخبر فى اخبار مكة (١١٠) ، مع اختلاف يسير ، واشار اليه السهيلى فى الروض الأنف (١/ ١٣١ و١٣٢) .

إنَّ لنا أوّلَه وآخِرَهْ في الحُكْمِ ، والحقَّ الذى لن ننكِرَهْ

وقد عمَرْنا خيرَه وأكثَرَه لما وضَعْنَا - إذ تمارَوْا - حَجَرَهْ

وكانت[1] قريش تُسمِّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[2] .

وقال الله تبارك وتعالى : «وإذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً للناسِ وأَمْنًا ...»[3] الآية ، يعنى بالمَثَابَةِ أنَّهم يُثابون على حجِّه ، وقيل : مَجْمَعًا / ، لاجتماعِ النَّاس عليه فى الحَجِّ والعُمْرَة ، وقيل : مَرْجِعًا ، من قولهم : ثابَت العِلَّةُ ، إذا رجعت . [١٩٤ أ]

وقال الله تبارك وتعالى : «واتَّخِذوا من مَقامِ إبْراهِيمَ مُصَلًّى[4] »

في سبب مقامه على الحجر قولان :

أحدهما : أنه لما ارتفعَ بُنْيَانُ البيتِ ، وضَعُفَ إبراهيمُ عليه السلام عن رفعِ الحِجارة ، قام على هذا الحجر ، فهو مَقامُ[5] إبراهيم .

والثاني : أنه حجرٌ وضعَتْه زوجة إسماعيل عليه السلام - تحت قدم إبراهيم - عليه السلام حين غَسَلَتْ رأسَه ، فوضَع قدمَه عليه ، فغابَتْ قدمُه فيه .

و « انا مورد سبب غسل ابراهيم - صلى الله عليه - رأسه ، مختصرا ما اورده اصحاب السير فى ذلك »

لما ولدت هاجَرُ إسماعيل - عليه السلام - أمر الله سبحانه إبراهيم - عليه السلام - أن يسكنهما مكة ، فحملهما إليها ، فلما أرادَ الرجوعَ قالت له هاجَرُ : يا إبراهِيمُ ، من أمرك أن تَضَعَنى بأَرضٍ لا زَرْعَ فيها ولا ضَرْع ، ولا أنيسَ ولا ماء ولا زادَ ؟ قال : رَبِّى أمَرَنِي ، قالت : فإنه لن يُضَيِّعَنا ، فلما مضى إبراهيمُ قال : «رَبَّنا إنَّكَ تَعلَمُ / ما نُخْفِى وما نُعْلِن[6] » يعنى من

---

(١) عود الى كلام ابن اسحاق ، بعد ما اعترضه من حديث احمد بن يحيى .

(٢) آخر ما نقله عن ابن اسحاق .

(٣) سورة البقرة /١٢٥

(٤) انظر مجمع البيان للطبرسى فى تفسير الآية ، فقد أورد خلاصة لما يروى من اقوال فى هذا الموضع .

(٥) يعنى موضع قيامه

(٦) سورة ابراهيم /٣٨

الحَزْنِ ، فلما ظَمِىءَ إسماعيل جَعَلَ يَدْحَصُ(١) الأرض بعَقِبَيْه ، فذهبت هاجَرُ حتى عَلَت الصَّفا ، والوادِي يومئذ عَميق ، فأشْرَفَتْ ، فلم تر شيئا ، فانحدَرت في الوادي ، فسَعَت فيه حتى خَرَجَتْ منه ، فأتَتْ المَرْوَةَ ، فصَعَدَت واسْتَشْرَفَت ، فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سَبْعَ مَرّات ، ثم جاءت من المروةِ إلي إسماعيل ، وهو يَدْحَصُ الأرضَ بعقِبه ، وقد نَبَعَت العين – وهي زَمْزَمُ – فجعَلَتْ تفحَصُ الأرضَ بيدِها عن الماء ، فكلّما اجتمع ماءٌ أخَذَتْهُ بقَدَحِها ، وأفرَغَتْه في سِقائِها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحمها الله ، لو تَرَكَتْها لكانت عَيْنًا سائِحَةً تجري إلى يوم القيامةِ » وكانتْ « جُرْهُم » يومئذٍ بوادٍ قريب من مكة ، ولَزِمت الطير الوادي حين رأت الماء ، فلما رأت « جُرْهُمُ » الطيرَ قد لزِمَت الوادي قالوا : ما لَزِمَتْه إلا وفيه ماءٌ ، فجاءوا إلى « هاجَرَ » ، فقالوا : لو شِئْتِ لكنّا معاكِ وآنَسْنَاكِ ، والماءُ ماؤُك ، قالت : نعم(٢) ، فكانوا معها ، حتى شبّ اسماعيلُ – عليه السلام – وماتت « هاجَرُ » ، فتزوج امرأةً(٣) من « جُرْهُم » ، فاستَأْذَن إبراهيمُ – عليه السلام – سارة أن يأْتِيَ « هاجَرَ » فأَذِنَتْ له ، وشَرَطَتْ عليه ألا يَنْزِلَ ، فقدِم إبراهيمُ (عليه السلام) وقد ماتَتْ هاجَرُ ، فذهبَ إلى بيتِ إسماعيلَ ، فقال لامرأته : أينَ صاحِبُك ؟ فقالت : ذَهَب يتصيّد ، فقال : هل عندك ضِيافَة ؟ فقالت : ما عندي طَعامٌ ولا شرابٌ . فقال إبراهيم – عليه السلام – : إذا رَجَعَ زوجُك فأقرِئِيه السّلامَ ، وقولي له : فليُغَيِّر عتَبَةَ باب(٤) دارِه ، وذَهَب إبراهيمُ ، وجاء إسماعيلُ ، فوجَدَ ريحَ أبيهِ ، فقال لامرأتِهِ : هل جاءكِ أحدٌ ؟ فقالت : جاءني شيخٌ [صفته](٥) كذا

[١٩٥ أ]

---

(١) دحض الأرض برجله : فحصها

(٢) هذا يوافق ما ورد في أخبار مكة /٢٤ وفي مجمع البيان ٢٠٨/١ « فقالوا لها : أتأذنين أن نكون بالقرب منكم ؟ فقالت : حتى اسأل ابراهيم ، قال : فزارها يوم الثالث ، فقالت له هاجر : ياخليل الله ان ههنا قوما من جرهم يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا ، افتأذن لهم في ذلك ؟ فقال ابراهيم : نعم ، فأذنت هاجر لجرهم ، فنزلوا بالقرب منهم ، وضربوا خيامهم ، وانست هاجر واسماعيل بهم . . . « وفي القصة تفصيلات أخرى »

(٣) في أخبار مكة(٢٤ و٢٥) ذكر الأزرقي بسنده عن ابن اسحاق ان امرأة اسماعيل التي تزوجها من جرهم حين شب وبلغ ، اسمها« عمارة بنت سعيد بن أسامه » وقد وردت فيه القصة مع اختلاف يسير في بعض اللفظ ، وانظر أيضا تفسير الطبرسي (مجمع البيان ٢٠٣/١ –٢٠٨)

(٤) كذا في الأصل . وفي أخبار مكة /٢٥: « قولي له غير عتبة بيتك ، فاني لم أرضها لك» وفي مجمع البيان : « قولي له فليغير عتبة بابه»

(٥) زيادة عن الطبرسي (مجمع البيان ١ /٢٠٤) والعبار واردة فيه .

وكذا ، كالمُسْتَخِفَّةِ بِشَأْنِهِ . قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لى : أقرئى زوجَك السلام ، وقولى له : فليُغَيِّرَ عتبَةَ بابِه ، فَطَلَّقَها ، وتزوّجَ أُخرى ، فلبِثَ إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ ما شاء الله ، ثم استأْذَنَ سارة فى أن يأتى إسماعيلَ ، فأَذِنَتْ له ، واشترطت عليه ألّا ينزلَ ، فجاء إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ إسماعيلَ [عليهما السلام] ، فقال لامرأته : أين صاحبُك ؟ فقالت : ذهب يتَصَيَّدُ ، وهو يَجيءُ الآنَ إن شاء الله ، فانزل ـ رَحِمَك الله ـ فقال : هل عندِك ضِيافَة[1] ؟ فقالت : نعم ، فقال : هل عندك خبزٌ ، أو بُرٌّ ، أو شَعِير ، أو تَمْر ؟ فجاءت باللَّبَنِ واللَّحمِ ، فدعا لهما بالبركة ، فلوجاءت يومئذ بخبز ، أو بُرّ ، أو / شعيرٍ ، أو تمرٍ ، لكانت مكّةُ أكثَرَ أرضِ الله بُرًّا وشعيرًا وتَمْرًا[2] ، ثم قالت له ـ وقد رأته أشعثَ الرأسِ ـ : انزل ـ يرحمك الله ـ حتى أَغْسِلَ رأسَك ، فلم يَنْزِلْ ، واعتَذَرَ ، فجاءتْهُ بالمَقام ، فوضَعَتْهُ تحتَ شِقِّه الأيمن ، فوضَعَ قدمه عليهِ ، فبقى أثرُ قدمِه عليه ، ثم غَسَلَتْ شِقَّ رأسِه الأيمن ، ثم حَوَّلَت المَقَامَ إلى شِقِّ رأسِهِ الأيْسَرِ ، فغسلته ، كما فعلت بالجانبِ الأيمن ، فقال لها : إذا جاء زوجُك فأَقرئيه السَّلامَ ، وقولِي له : قد استَقَامَت عتَبَةُ بابِك ، فلما جاء إسماعيل وجد ريحَ أبيه ـ عليهما السلام ـ فقال لا مرأته : هل جاءَكِ أحدٌ ؟ قالت : نعم ، شيخٌ أحسنُ الناسِ وَجْهًا ، وأطيبُهم ريحا ، قال لي : كذا ، وقلت له : كذا ، وغَسَلْت رأسَه ، وهذا موضِعُ قدمِه ، وقال لى : قولِي لزوجِك إذا جاء : قد استقامت عتبةُ بابِك ، فقال : ذاكَ أبى إبْراهيمُ خليلُ الرّحمنِ عزَّ وجَلَّ .

[١٩٥ب]

إنما أوردت هذا الخبر مختصرا ؛ لئلَّا يقفَ على ذِكْر غسل إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ رَأْسَه مَن لايكون عَرَفَ كيفَ كان ذلك ، فيتطَلَّع إلى معرفتِه[1] .

---

(١) الضيافة : مصدر ضافه ، اذا نزل عنده ضيفا ، وفى المصباح : أضفته وضيفته اذا انزلته وقريته ، والاسم الضيافة » وحقه ان يفسر هنا بما يقدم للضيف .

(٢) عبارة الأزرقى (أخبار مكة ٢٥) فى هذا الموضع : « قال ابن عباس : ثم لبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ، ثم رجع ابراهيم ، فوجد اسماعيل غائبا ، ووجد امراته الآخرة ، فوقف فسلم ، فردت عليه السلام واستنزلته ، وعرضت عليه الطعام والشراب ، فقال : ماطعامكم وشرابكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : هل من حب او غيره ؟ قالت : لا ، قال : بارك الله لكم فى اللحم والماء ، قال ابن عباس : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه ، فكانت ارضا ذات زرع . »

وقال تبارك وتعالى : « وَعَهِدْنا إلى إبراهِيمَ وإسْمَاعِيلَ أن طَهِّرَا بَيْتِيَ[1] .. » فيه خمسة أوجه[2] : [١٩٦ /]

أحدُها : من الأَصنام ، والثانى : من الكفَّار ، والثالث : من الأَنجاس[3] ، والرابع : من الآفات والرِّيَبِ ، والخامس : أنه لمن حَجه وطاف به .

فإن قيل : فلم يكن على عهدِ إبراهيم – عليه السلام ، قبل بناءِ البيت – بيتٌ مُطَهَّرٌ ؟ فعن هذا جوابان :

أحدهما : أن ابْنِيا بيتى مُطهّرًا[4] .

والثانى : أن طَهِّرا مكانَ بيتِى للطائِفين .

وقال تبارك وتعالى : « ومن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِرًا إلى الله ورَسُولِه ، ثمّ يُدْرِكْهُ الموت ، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُه على الله ... »[5] الآية . فيه وجهان :

أحدهما : أنه مَن خَرَج للهِجْرَةِ من مكَّة ، فماتَ فى طريقه قبل وصوله المدينَةَ ، فقد استحَقّ ثوابَ عمله ، وجزاءَ هِجْرتِه .

والثانى : فيمن خرج غازيًا ، فماتَ قبل الوَقْعَةِ ، فله ثوابُ جهادِه[6] .

واخْتُلِفَ فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقيل : إنها نزلت فى أبى أُمَيَّةَ ضَمْرَةَ بن جُنْدَب الخزَاعِىّ خرج من مكة مهاجرا ، فمات بالشِّعْبِ[7] .

---

(١) سورة البقرة / ١٢٥

(٢) يعنى فى المراد تطهيره منه .

(٣) لفظ الطبرسى فيه وحكاه عن الجبائى : « طهراه من الفرث والدم الذى كان يطرحه المشركون عند البيت قبل أن يصير فى يد ابراهيم واسماعيل » .

(٤) فى المصدر السابق فسر ذلك بقوله : « طهراه بنيانا بكماله على الطهارة ، كما قال سبحانه « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ خَيْرٌ ، أم مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ على شَفَا جُرُفٍ هارٍ ، فانْهارَ بِهِ فى نارِ جَهَنَّمَ .. » الاية (التوبة ١٠٩) .

(٥) سورة النساء / ١٠٠

(٦) حمل عليه بعض الفقهاء من خرج للحج فمات فى طريقه اليه قبل أن يتمه .

(٧) فى مجمع البيان (٣/ ١٠٠) « ورد اسمه جندع ، أو جندب بن ضمرة » ، ونسب اليه القصة التالية المنسوبة هنا الى حبيب بن ضمرة . والشعب – بكسر الشين وسكون العين – : الطريق فى الجبل وهو هنا اسم لماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة على ثلاثة أميال (نحو ٦ كم) .

[١٩٦ب] وقيل : نزلت فى خالِدِ بن حِزام[١] / أخى حكيم بنِ حِزام[١] ، خرج مُهاجِرًا ، فمات فى الطريق .

وقال ابنُ عباس – رضوان الله عليه – فى رواية عَطاء : كان عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – يُخْبِر أهلَ مكة بما ينزل من القرآن ، فكتب إليهم بقوله – عز وجل – : « إن الذين تَوَفَّاهُمُ الملائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِم ، قالوا : فيمَ كُنْتُمْ ، قالوا : كنَّا مُسْتَضْعَفِين فى الأَرْض ، قالوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً ، فتهاجرُوا فِيها ، فأُولئِكَ مأواهم جَهَنَّمُ ، وساءَتْ مَصِيرًا »[٢] قال حبيبُ[٣] بنُ ضَمْرَة اللَّيْثِىّ – لما قرأها ، وكان شيخا كبيرا – : احمِلونى ، فإنى لست من المُسْتَضْعَفِينَ ، وإنى لأَهْتَدِى إلى الطريقِ ، فحمَلوه على سرير ، متوجِّهًا إلى المدينة ، فلما بلغ التَّنْعِيمَ[٤] أشرَفَ على الموت ، فصَفَقَ[٥] بيمينه على شِماله ، وقال : اللَّهُمَّ هذه لك ، وهذه لرسولك ، أُبايِعك على ما بايعتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومات ، فبلغَ خبرُه أصحابَ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : لو كان وافَى المدينة لكان أَتَمَّ أَجْرًا ، فأَنزل الله – عز وجل – [١٩٧ ا] « ومَنْ يَخْرُجْ من بيته مُهاجِرًا إلى الله ورسوله ، ثمّ يُدْرِكْه الموت ، فقَدْ وَقَعَ / أَجْرُه على الله ... »[٦] الآية .

---

(١) فى الأصل (حرام) بالراء فى الموضعين ، والتصحيح من القاموس (ح ز م) وتنقيح المقال فى أحوال الرجال ١/٣٨٩ وقال فى ترجمته « خالد بن حزام أخى خديجة أم المؤمنين ، أسلم قديما وهاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ، فنهشته حية ، فمات فى الطريق قبل أن يدخل الى أرض الحبشة . وفى اخبار العامة انه نزل فيه قوله تعالى « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِرًا إلى اللهِ وَرَسُولِه .. » الآية .

(٢) سورة النساء/٩٧ .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم اجد فى الصحابة من اسمه حبيب بن ضمرة الليثى ، وفى تنقيح المقال ذكر صحابيا مجهولا اسمه حبيب أبو ضمر ، والصواب فى المذكور هنا : « جندب ابن ضمرة الليثى » وهو الذى عده فى الصحابة ابن عبد البر وابن منده وابو نعيم ، وقالوا : هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مهاجرًا إلى اللهِ ورَسُولِه . » الآية وكذلك ورد اسمه فى مجمع البيان عند تفسير الاية .

(٤) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، وقيل على أربعة .

(٥) يقال : صفق البيع : أمضاه ، وكانت العرب اذا أرادوا انفاذ البيع ضرب أحدهما يده على يد صاحبه فقالوا : صفق يده ، أو على يده بالبيع ، فوصفوا به البيع .

(٦) النساء/١٠٠

وقال الله تبارك وتعالى : «إنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ، ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا[1]» قال عَطاءُ بنُ أبي رباح – رحمه الله – : حدثَني من سَمِع أمَّ سَلَمَة – رضى الله عنها – تذكر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان فى بيتِها ، فأتَتْهُ فاطمة – عليها السلام – بِبُرْمَةٍ[2] فيها خزيرة[3] ، فدخَلَتْ عليه بها ، فقال – صلى الله عليه وسلم – : ادْعَىْ لى زوجَكِ وابْنَيْكِ ، قالت : فجاء علىٌّ ، والحسَنُ ، والحُسيْنُ – رضوان الله عليهم – فدَخَلوا عليه ، فجَلَسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو على منامَة له على دُكَّان[4] تحته كِساءٌ خَيْبَرىّ ، قالت : وأنا فى الحجرةِ أُصَلِّى ، فأنزل الله – عز وجلَّ – : «إنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِب عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ، ويُطَهِّرَكم تَطْهِيرًا[1]» فأخذ النبى – صلى الله عليه وسلم – فَضْلَ الكساء ، فَغَشَّاهُم به ، ثم أخَذَ بيديه فألْوَى بهما إلى السَّماء ، ثم قال : اللهُم هؤلاءِ أهْل بيتى وحامَّتى ، فأذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ أهل البيت[5] ، وطَهِّرْهُم تَطْهِيرًا ، قالت : فأدْخَلْت رأسِى البَيْتَ ، وقلت : وأنا معكم يا رسول الله[6] ، فقال : إنَّكِ إلى خير ، إنكِ إلى خير[7] » .

/ وقال الله تبارك وتعالى : «يا أيُّهَا الذين آمَنوا لا تَدْخُلوا بُيُوتَ النبيِّ إلا أنْ يُؤْذَنَ لَكمْ إلى [١٩٧ ب]

---

(١) سورة الاحزاب/٣٣ .

(٢) البرمة : القدر من الحجارة .

(٣) الخزيرة ، والخزير : اللحم يقطع قطعا صغارا ، ويصب عليه ماء كثير ، فاذا نضج ذرعليه الدقيق ، فان لم يكن فيه لحم فهى عصيدة ، وقيل : هى حساء من دقيق ودسم ، وقيل : اذا كان من دقيق فهى حريرة ، واذا كان من نخالة فهى خزيرة ، كذا فسره ابن الأثير فى النهاية .

(٤) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها ، كذا فى النهاية .

(٥) اورد الطبرسى (مجمع البيان) فى تفسير الآية هذا الحديث من طريقين عن أم سلمة ، ولم ترد فيه جملة « أهل البيت » فى هذا الموضع ، ولفظه فى أحدهما « فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى وعترتى ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وفى الآخر : « اللهم هؤلاء اهل بيتى وحامتى ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » والحديث فى مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار٢/٣٥٦ والنهاية (حمم) وحامة الرجل : خاصته من أهله وولده وذى قرابته .

(٦) فى مجمع البيان (الموضع نفسه) اورد فى بعض روايات الحديث « .. قلت : يا رسول الله أنا من أهلك ، قال : تنحى فانك الى خير » .

(٧) قال الطبرسى (مجمع البيان ٨/٣٥٧) والروايات فى هذا الحديث كثيرة من طريق العامة والخاصة » ثم قال : واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (يعنى: النبى وعليا ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) وأورد وجوه استدلالهم بها على ذلك .

طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ ، ولكِنْ إذا دُعِيتُمْ فادْخَلوا ، فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ... »[1]. الآية .

قال أكثر المفسِّرين : لما بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزَيْنَبَ بِنتِ جَحْشٍ ، رضى الله عنها ، أَوْلَمَ[2] عليها بتَمْرٍ وسوِيقٍ ، وذبحَ شاةً ، قال أَنَسُ بنُ مالك - رحمه الله - وبعَثَتْ إليه أُمّى أُمُّ سُلَيْمٍ بحَيْسٍ فى تَوْرٍ[3] من حِجارة ، فأَمرنى النبى - صلى الله عليه وسلم - أن أَدْعُوَ أصحابَه - رضى الله عنهم - إلى الطعامِ ، فجَعَلَ القومُ يجيئُون ، فيَأْكلونَ ، ويخْرُجُونَ ، فقلت : يا رسول الله قد دَعَوْتُ حتى لا أَجِد أَحَدًا أَدْعُوه ، قال : ارْفَعُوا طعامَكم ، فرَفَعُوا ، وخرجَ القومُ ، وبقِىَ ثَلاثةُ نَفَرٍ يتحَدَّثونَ فى البيتِ ، فأَطالوا المُكْثَ ، وتأَذَّى بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان شديدَ الحياءِ ، فأَنْزَلَ الله - عز وجل - هذه الآية .

وقوله - عزَّ وجَلّ ، حكاية عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم - : « رَبِّ إِنِّى أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ[4] » .

« ذريته » : إسماعيل ، وأُمّه هاجَر .

[١٩٨ أ] « بواد غير ذى زَرْعٍ » يعنى / مكة ، أَسكَنَها[5] بأَبْطَحِها[6] ، ولم يكن بها ساكنٌ ، ثِقَةً بالله تعالى ، وتَوَكُّلًا عليه .

« عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ » : أضافَ البيتَ إليه سُبحانَه ؛ لأَنه لا يملكُه غيره ، والمُحَرَّم ؛ لأَنَّه يَحْرُم فيه ما يَحِلُّ فى غيره من جماعٍ واسْتِبْذالٍ .

وقوله - عزَّ وجَلَّ - : « والبيْتِ المَعْمُورِ[7] » فيه أربعة أوجُه :

---

(١) الأحزاب/٥٣ ، وانظر فى تفسيرها مجمع البيان (المجلد الرابع ص ٣٦٥ وما بعدها)

(٢) أولم : صنع الوليمة ، وهى طعام العرس ، أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها (القاموس) والأول هو المراد هنا .

(٣) فى (النهاية / تور) : قال ابن الأثير : فى حديث أم سليم « انها صنعت حيسا فى تور » التور : هو اناء من صفر أو حجارة » والمراد الثانى . والحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعل عوض الاقط الدقيق أو الفتيت .

(٤) سورة ابراهيم/٣٧ .

(٥) أراد أسكنهما ، أو أعاد الضمير الى هاجر ، لأنها أقرب المذكور ، وعناها وابنها .

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى ، يضاف الى مكة والى منى ، لأن مسافته منهما واحدة ، وهو المحصب ، وهو خيف بنى كنانة .

(٧) سورة الطور/٤ وانظر فى تفسير الآية مجمع البيان للطبرسى (المجلد ١٦٢/٥ وما بعدها)

أحدها : ما رواه قَتَادةُ عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رحمه الله ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «أُتِيَ بي إلى السماءِ السابعةِ ، فرُفِعَ لنا البيتُ المَعْمُور ، فإذا هو حيال الكَعْبَة ، لو خَرَّ خَرَّ عليها ، يدخُلُه كلَّ يوم سبعون ألف ملَكٍ ، فإذا خرجُوا منه لم يعودُوا فيه» .

والثاني : أنَّ البيتَ المَعْمُورَ هو بيتٌ في ست سموات ودون السّابعة يُدعَى الضُّراح ، يُصَلِّي فيه كلَّ يوم سبعون ألفَ مَلَك من قبيلة إبليس[1] ، لا يَعُودُونَ إليه أبدا ، وهو بحِذاء البيتِ العتيق[2] .

والثالث : ما قاله الرَّبيع بن أنس أنه كان في الأَرض البيت المَعْمُور ، في موضِعِ الكعبة ، في زمان آدم ـ عليه السلام ـ حتى كان زمانُ نوح ـ عليه السلام ـ فأَمَرَهم نوحٌ أن يَحُجُّوه ، فأَبَوْا عليه ، وعَصَوْه ، فلما طَغَى الماءُ رُفِع ، فجُعِل بحذائِه من سماء الدنيا ، فيعبُرُه كلَّ يوم سبعون / ألفَ مَلَكٍ[3] ، ثمّ لا يرجِعُون إليه ، حتى يُنْفَخَ في الصُّور ، قال : فبوَّأَ الله تعالى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ الكعبةَ البَيْتَ الحرام ، حيث يقول سبحانه : « وإِذْ بَوَّأْنا لإِبْراهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ... »[4] الآية . [١٩٨ب]

والرابع : ما قاله الحَسن ـ رضي الله عنه ـ أنَّ البيتَ المعمورَ هو البيتُ الحرامُ ، والمعمور : قيل : إنه معمورٌ بالقَصْدِ إليه ، وقيل : بالمقَام عليه .

وقال تبارك وتعالى : « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ، وَيُذْكَرَ فيها ٱسْمُهُ »[5] قيل : هي المساجد ، وقيل : إنها سائِرُ البُيوتِ .

«أَذِنَ الله أن تُرْفَعَ» أي تُبْنَى ، كقوله تعالى : «وإِذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ من البَيْتِ»[6] أي يَبْنِي ، وقيل : تُرْفَع فيها الحوائجُ إلى الله عَزَّ وجَلّ .

---

(١) قوله : « من قبيلة ابليس » لم أجده فيما أورده الطبرسي من نقول في تفسير « البيت المعمور » .

(٢) هذا الخبر يرد في حديث المعراج ، وانظر الفتح الكبير (١/٣٧ ـ ٣٩) .

(٣) لفظ الحديث في الفتح الكبير (٢/٢٠) « البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف مالك ، ثم لايعودون اليه حتى تقوم الساعة » .

(٤) سورة الحج/٢٦ .

(٥) سورة النور/٣٦ .

(٦) سورة البقرة/١٢٧ .

وقال تبارك وتعالى : « يا أَيُّهَا الذينَ آمَنوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غيرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا ، وتُسَلِّمُوا على أَهْلِهَا .... »[1] الآية .

روى عن عَدِيّ بن ثابتٍ قال : جاءت امرأةٌ من الأَنصارِ ، فقالت : يا رسولَ الله إنِّى أكونُ فى بيْتِى على حالٍ لا أُحِبُّ أنْ يَرانِى عليها أَحدٌ ، لا والدٌ ولا ولَدٌ ، فيأْتِى الأَبُ ، فيدخل علىَّ ، وإنه لا يزالُ يَدْخُلُ رجلٌ من أَهلى ، وأَنا على تلك الحالِ / فكيف أَصْنَعُ ؟ فأَنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال أبو بكر الصِّدِّيقُ – رضوان الله عليه – : يا رسولَ الله أفرأَيتَ الخاناتِ[2] والمساكنَ فى طرُقِ الشام ، ليس فيها ساكنٌ ؟ فأَنزل الله تعالى : « لَيْس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيوتًا غيرَ مَسْكونَةٍ[3] ... » الآية .

[١٩٩ ا]

وفى قوله تعالى : « يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلوا بُيُوتًا غيرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا على أَهْلِهَا »[1] ثلاثةُ أَوجه :

قيل : حتى تسْتَأْذِنوا .

وقيل : حتى تُؤْنِسُوا أَهلَ البيت بالتَّنَحْنُح ، فيعلموا بالدخولِ عليهم .

وقيل : « حتى تسْتَأْنِسُوا ، أى تَعْلَمُوا هل فيها أَحدٌ تَسْتَأْذِنُوهُ[4] ، فتسلِّمُوا[4] عليه ، ومنه قوله تعالى : « فإن آنَسْتُمْ منهم رُشْدًا[5] » ، أى علمتم .

والإذْنُ : يكون بالقولِ ، والإشارة ، عن أبى هريرة – رحمه الله – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « رسولُ الرَّجُلِ إذْنُه » .

فإن استَأْذَن ثلاثا ، فلم يُؤْذَنْ له ولَّى ولمْ يُرَاجِـعْ ، روى عن الحَسَن البَصْرِيّ عن الأَشعرىّ : أنه استأْذَنَ على عمرَ بن الخطَّاب – رضوان الله عليه – ثلاثًا ، فلم يُؤْذَنْ له ، فرَجَعَ ، فأَرسل إليه عُمر ، فقال : ما رَدَّك ؟ فقال : قال / رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « من اسْتأْذَنَ ثلاثًا ، فلم يُؤْذَنْ له ، فَلْيَرْجِـعْ » فقال عمر – رضوان الله عليه – : « لتَجِيئَنِّنِى ببَيِّنَة ، وإلا جَعلْتُكَ نَكالًا »

[١٩٩ب]

---

(١) سورة النور/٢٧ .

(٢) الخانات : جمع الخان ، ومن معانيه : الفندق ، والحانوت ، والمتجر ، والاول هو المراد .

(٣) سورة النور/٢٦ .

(٤) هكذا ورد فى الآصل ، والكثير الشائع فى لغه العرب رفع الافعال الخمسه بثبوت النون ، وهى لغة القرآن ، وبعض العرب يحذف نون الافعال الخمسة فى حالة الرفع ، وجعلوا منه احديث الشريف « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤ منوا حتى تحابوا » والحديث الآخر « كما تكونوا يولى عليكم » .

(٥) سورة النساء/٦ .

فأتى طَلْحَةَ - رحمه الله - فشهد له [1] . قال الحسن - رحمه الله - : الأُولَةُ [2] : إذن ، والثانِيَةُ : مُؤامَرَةٌ [3] ، والثالثة : عَزْمَةٌ إن شاءوا إذِنوا ، وإن شاءوا ردُّوا ، ولا يستأْذِنُ وهو مستقبلُ البابِ إن كان البابُ مفتوحا ، وإذا أُذِن لأَوَّلِ القومِ ، فقد أُذِنَ لآخرهم ، ولا يَقْعُدُ على الباب بعد الردِّ ؛ فإن للنَّاسِ حاجاتٍ .

ثم قال تعالى : «وتُسلِّمُوا على أَهْلِها» والسَّلام نَدْبٌ ، والاستئذان حَتْمٌ ، وفى السلام قولان :

[الأَول] [4] : أَنهُ مَسْنُون بعد الإذن على ما تضَمَّنَتْه الآيَة من تقديمِ الإذْنِ عليه ؛ ولأَنَّ السلام من تحيّاتِ اللِّقاء ، واللِّقاءُ يكون بعد الإذْنِ .

والثّانى : أنه مَسْنُونٌ قبل الإذنِ ، وأنه وإن تأَخَّر فى التلاوةِ [5] فهو مُقَدَّم فى الحُكْمِ ، وتقدير الكلام : حتّى تسلِّمُوا ، وتستَأْذِنُوا ؛ لما روى محمد بن سيرين - رحمه الله - أن رَجُلًا استأْذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أأَدْخُلُ ؟ فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لرجلٍ عنده : «قُمْ فعلِّمْه كيف يَسْتَأْذِنُ ، فإنه / لمْ يُحْسِن» فسمعها الرجل ، فسلَّم واسْتَأْذَن [6] » .

[٢٠٠ ا]

---

(١) الحديث فى الموطأ (كتاب الاستئذان /٩٦٣) وفيه أن الذى شهد لأبى موسى الأشعرى عند عمر هو أبو سعيد الخدرى ، وزاد فيه « .. فقال عمر بن الخطاب لأبى موسى أما انى لم اتهمك ، ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » . وهو أيضا فى سنن أبى داود (٢/٢٢٠) وانظر الفتح الكبير « ٢/٥٠٦) والرواية فيه عن أبى موسى وأبى سعيد ، وورد كذلك فى مشكاة المصابيح /٣٩٢ وقال : متفق عليه .

(٢) كذا ورد ، وحكى ثعلب هى الأولات دخولا والآخرات خروجا واحدتها الأولة ، والآخرة وقياسه الأولى ، ولم أقف على تأنيثه بالتاء لغير ثعلب ، وفى اللسان (وأل) جاء قول الشاعر : « جهامٌ تَحُثُّ الوائِلاتِ أواخِرُهُ » قال الأزهرى : رواه أبو الدقيش .

« جَهامٌ تَحُثُّ الأَوَّلاتِ أَواخِرُه »

(٣) المؤامرة : المشاورة .

(٤) زيادة للتوضيح .

(٥) يريد فى ذكره فى نسق الآية .

(٦) لفظه فى سنن أبى داود (٢/٢١٩) بسنده عن أبى بكر بن أبى شيبة عن الأحوص عن منصور عن ربعى عن رجل من بنى عامر استأذن على النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو فى بيت ، فقال : ألج ؟ فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لخادمه : « اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان ، فقال له : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن له النبى ، فدخل . » ثم أورده بروايات مختلفة من طرق أخرى ، وفى الفتح الكبير (١/٥٨) « ... اخرجى اليه فانه لايحسن الاستئذان ، فقولى له : السلام عليكم ، أأدخل ؟ » وانظر الطبرسى (مجمع البيان ٤/١٣٦) .

وقد قيل : إن وَقَعَت العينُ على العينِ قبل الاستِئْذان ، فالأَوْلى تقديمُ السلام على الاسْتِئْذانِ ، وإن لم تقع العينُ على العين قبل الإذن ، فالأَولى تقديمُ الاستِئْذان على السلام (١) .

فأَما الاسْتِئْذانُ على منازِلِ الأَهْل : فإن كانوا غير ذوى مَحْرَمٍ لزِم الاستِئْذانُ عليهم ، كالأَجانب .

وإن كانوا ذوِى محارِم ، وكان المنزلُ مُشْتَركًا ، هو فيه ، وهم ساكنون ، لزمه قبل دخوله إنذارُهُم ، إما بوطءٍ أو بنَحْنَحَةٍ مُفْهِمَة ، إلا الزَّوْجَة ، فلا يلزمُ ذلك فى حقِّها ؛ لارتفاع العَوْرَةِ بينهما . وإن لم يكن المنزل مشتركًا ، ففى الاستِئْذانِ عليهم وجهان :

أَحدهما : النَّحْنَحَةُ والحركةُ .

والثانى : بالقولِ ، كَالأَجانب .

وقد روى عطاءُ بن يَسارٍ ـ رحمه الله ـ أَنَّ رجلًا قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أَستَأْذِنُ على أُمِّى؟ قال : نعم ، قال : فإنى أَخْدُمُهَا ، قال : استأْذِنْ عليها ، فعاوده ثلاثا ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أَتُحِبُّ أَن تراها عُريانة؟ قال : لا ، قال : فاستأْذن عليها (٢) » .

[٢٠٠ب] « فإن لَمْ تَجِدُوا فيها / أَحَدًا » يعنى يأْذن لكم « فلا تَدْخُلُوها حتى يُؤْذَنَ لَكُمْ » . ولا يجوز أَن يتطلَّع إلى المنزل ؛ ليرى من فيه فيسْتَأْذِنَه إذا كان الباب مُغْلَقًا ؛ لقول النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنما جُعِلَ الاسْتِئْذانُ لأَهْلِ البَصَر »(٣) إلا أَن يكون البابُ مفتوحا ؛ فيجوزُ أَن ينظُرَ إذا كان خارِجًا منه ؛ لأَن صاحِبَه بالفتحِ قد أَباح النَّظَر .

---

(١) فى الفتح الكبير (١/١٠٧) « اذا دخل البصر فلا اذن » .

(٢) هذا الحديث رواه مالك مرسلا ، ولفظه فى الموطأ (كتاب الاستئذان /٩٦٣) « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله رجل فقال : يا رسول الله أستأذن على أمى ؟ قال : نعم ، قال : انى معها فى البيت فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : استأذن عليها ، فقال الرجل : انى خادمها ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : استأذن عليها ، أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا ، قال : فاستأذن عليها » وهو فى مشكاة المصابيح /٣٩٣ وأنظر ايضا مجمع البيان (١٣٥/٤) فقد ورد فيه الحديث برواية أخرى .

(٣) روى هذا لحديث عن سهل بن سعد قال : « اطلع رجل فى حجرة من حجر رسول الله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه مدرى يحك بها رأسه ، لو أعلم انك تنظر لطعنت به فى عينيك ، انما الاستئذان من النظر » (مجمع البيان المجلد ١٣٥/٤) وانظر ايضا سنن أبى داود (٢١٩/٢) ولفظه « .. فانما الاستئذان من النظر » وفى الفتح الكبير (٤٣٧/١) ولفظه فيه « انما جعل الاستئذان من أجل البصر »

« فإنْ قِيلَ لكم : ارْجِعُوا ، فارجِعوا ، هو أزْكَى لَكُمْ » وهذا إن كانَ بعدالدخولِ عن إذن ، لزم الانصرافُ وحَرُم اللَّبْث ، فإن كان قبلَ الدخولِ ، فهو رَدٌّ للإذْنِ ، ومنعٌ من الدخولِ ، ولا يلزمُه إلا الانصراف عن موقفه .

وقال تبارك وتعالى : « لَيْسَ عليكُمْ جُناحٌ أن تَدْخُلُوا بُيوتًا غيرَ مَسْكُونَةٍ »(1) قيل : الخَاناتُ المشتركة ذواتُ البيوتِ المسكونة ، وقيل : حوانِيتُ التُّجّارِ ، وقيل : منازِلُ الأَسفار ، ومناخات الرِّحال التى يَرْتَفِقُون بها مارَّةُ(2) الطريقِ فى أسفارِهم ، وقيل : الخَراباتُ المُعَطَّلَةُ ، وقيل : هى بيوتُ مكة « فيها مَتاعٌ لَكُمْ » فلا يلزم الاستئذانُ فى هذه المنازل .

[٢٠١ أ]

وقال تبارك وتعالى / : « كما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ »(3) .

قيل : كما أخرجكَ ربُّك من مكةَ إلى المدينةِ بالحقّ مع كراهةِ فريقٍ من المؤمنين ، كذلك يُنْجِزُ وعدَك بنصرِك على أعدائِكَ .

وقيل : فى قوله تعالى : « بالحَقِّ » : قولان :

أحدهما : أنك خرجْتَ ومعك الحقُّ ، والثانى : أنه أخرجك بالحَق الذى وجب عليك .

وقال تبارك وتعالى : حكاية عن المشركين - : « [وقالُو](4) لَنْ نُؤمِنَ لكَ حَتى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا [أَوْ تكون لك جَنَّةٌ من نَخيلٍ وعِنَبٍ فتُفَجِّرَ الانهارَ خلالَهَا تَفْجيرًا . أو تُسْقِطَ السماءَ - كما زَعَمْتَ - عَلَيْنا كِسَفًا ، أَو تأْتىَ باللهِ والملائكةِ قبيلًا(5)] أَو يَكُونَ لكَ بيتٌ من زُخْرُفٍ(6) » .

قيل : الزُّخْرُف : المنْقُوش ، وقيل : الذَّهبُ .

قال مجاهد : لم أَكن أَدرِى ما الزُّخْرُفُ ، حتى سمعنا فى قراءة ابن مَسْعود - رضى الله عنه -

---

(1) سورة النور/٢٩ .

(2) اجراه على لغة بعض طيىء وازدشنوءة، وحقه « يرتفق بها مارة الطريق » أو تجعل مارة بدلا من ضمير الجماعة فى يرتفقون ، أو تكون الواو علامة الجمع ومارة هى الفاعل ، كذا تأوله النحاة ، وهذه الأقوال حكاها الطبرسى فى تفسير الآية (مجمع البيان ٤/١٣٦) .

(3) سورة الأنفال /٥

(4) لم ترد فى الأصل فزدناها ، لأنها أول الآية .

(5) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وزدناه تتمة للآية الكريمة .

(6) سورة الاسراء/ ٩٠ - ٩٣ .

« بيتٌ من زُخْرُف » وأصله من الزَّخْرَفَةِ ، وهو تحسين الصُّورةِ ، ومنه قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ :
« حتى إذا أَخَذَت الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ[1] » .

والذين قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا القول نَفَرٌ من قريش ، قال ابن عبّاس ـ رضى الله عنه ـ : وهم عُتْبَةُ بن رَبِيعَة / وشَيْبَةُ بن ربيعه ، وأبو سفيان ، والأَسْود بن المُطَّلِب بن أَسَد ، وزَمْعَة بن الأَسْود ، والوليد بن المُغِيرةِ ، وأبو جَهْل بن هِشَام ، وعبد الله بن أَبي أُمَيَّة ، والعاص بن وائل ، وأُميَّة بن خَلَف ، ونَبِيهٌ ، ومنبِّهٌ ابنا الحجَّاج[2] . [٢٠١ب]

---

(١) « يونس/٢٤ » .

(٢) زاد الطبرسى فى تفسير الآية فى مجمع البيان (المجلد ٣/٤٣٩) على هؤلاء ، ـ وحكاه عن ابن عباس أيضا ـ : « النضر بن الحارث ، وابو البخترى بن هشام » وتتمة الخبر فيه ان هؤلاء النفر « اجتمعوا عند الكعبة ، وقال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه ، فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ، فبادر ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهم ظنا منه انهم بدا لهم فى امره ، وكان حريصا على رشدهم ، فجلس اليهم .. فقالوا : يامحمد ، انا دعوناك لنعذر اليك ، فلا نعلم احدا ادخل على قومه ما ادخلت على قومك .. شتمت الالهة وعبت الدين وسفهت الاحلام ، وفرقت الجماعة ، فان كنت جئت بهذا لتطلب مالا اعطيناك ، وان كنت تطلب الشرف سودناك علينا ، وان كانت عله غلبت عليك طلبنا لك الأطباء .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس شىء من ذلك ، بل بعثنى الله اليكم رسولا ، وأنزل كتابا فان قبلتم ما جئت به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا » .

قالوا : فاذن ليس احد اضيق بلدا منا ، فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجرى لنا انهارا كانهار الشام والعراق ، وان يبعث لنا من مضى ، وليكن فيهم قصى فانه شيخ صدوق ، لنسألهم عما تقول : أحق أم باطل .

فقال صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت . قالوا : فان لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ، ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب .

فقال : ما بهذا بعثت ، وقد جئتكم بما بعثنى الله به فان قبلتم ، والا فهو يحكم بينى وبينكم .

قالوا : فاسقط علينا السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك . فقال : ذاك الى الله ان شاء فعل .

وقال قائل منهم : لا نؤمن حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا .

فقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقام معه عبد الله بن ابى أمية المخزومى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يامحمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ، ثم سألوك لانفسهم امورا فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل ، فوالله لا أومن بك ابدا حتى تتخذ سلما الى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر ، ويأتى معك نفر من الملائكة يشهدون لك ، وكتاب يشهد لك ... فانصرف رسول الله حزينا ، فنزلت الآيات .

وقال تبارك وتعالى : «قل : لو كُنْتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِب عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ»

فيه قولان :

(الأول) : لو تخلَّفْتُمْ لبرزَ الذينَ كُتِب عليهم القَتْلُ ، ولم يُنْجِهم قُعودُهم .

والثانى : لو تخلَّفْتُم لخرجَ منكم المؤمنون ، ولم يتخلَّفُوا بتخلُّفِكُم ، ويكونُ معنى قول الله عز وجلَّ : « الذين كُتِب عليهم القَتْلُ » أى فُرِضَ عليهم القتال ، فعبَّر عنه بالقتل ؛ لأنه يئول إليه ، إما بالظَّفَرِ ، أو بالشَّهادة .

وقال الله تبارك وتعالى : « ويستَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهم النَّبِيَّ ، يَقُولُونَ : إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ[1] » .

قال السُّدِّىُّ : الذى استأذنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم رجلان من الأنصار : أبو عرابة ابن أوس ، وأوس بن قَيْظِىٍّ[2] ، ورجع ثمانون رجلا بغير إذن .

« يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ » أى قاصِيَةٌ من المدينة ، نخاف على عورة النساء / والصِّبْيَانِ من السَّبى . [٢٠٢ ا]

وقيل : أى خاليةٌ ، ليس فيها إلا العورةُ من النساء .

وقيل : مكشوفَةُ الحيطانِ يُخاف عليها السَّرَقُ والطَّلَبُ ، والعربُ تقول : أَعْوَرَ مَنْزِلُك ، إذا ذهب سِتْرُه ، أو سقَط جدارُه ، وكل ما كُرِه انكشافُه عندهم فهو عورةٌ .

« وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ من أَقْطَارِهَا[3] » أى لو دُخِلَ على المنافقين من أقطارِ المدينة ونواحيها ، « ثم سُئِلُوا الفتنَةَ لآتَوْها[3] » قيل : سئلوا القتال فى العصبيّة ؛ لأسرعوا إليه .

---

(١) سورة آل عمران / ١٤٥ . (٢) سورة الأحزاب/١٣ .

(٣) عرابة بن أوس القيظى ، كذا فى القاموس ، ونسبته فى تنقيح المقال الأوسى : من الصحابة الأجواد ، استصغره النبى يوم احد فرده ، وابوه ابو عرابة هذا كان من كبار المنافقين ، وفى تنقيح المقال انه من الذين نزلت فيهم هذه الآيه ، وذكر فيه فيمن اسمه أوس ـ : « أوس بن قيظى بن عمرو الأنصارى الحارثى ممن شهد أحدا ، وفى مجمع البيان (المجلد ٤/٣٤٧) ان الذين استاذنوه هم بنو حارثة وبنو سلمة ، وذكر أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه فى القائلين : «يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لكم فارْجِعُوا » ولفظه : « واذ قالت طائفة منهم » يعنى عبد الله بن ابى واصحابه ، عن السدى ، وقيل : ان القائل ذلك أوس بن قيظى ومن وافقه وقيل : ان القائل ذلك أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه ، كذا عن يزيد بن رومان .

(٤) سورة الأحزاب / ١٤ .

وقيل : لو سُئِلُوا الشِّرْكَ لأجابُوا إليه مسرعين ، « وما تلبَّثُوا [بها][1] » عن الإجابة إلى الفتنة « إلا يسيرا » وقيل : ما لبثوا فى المدينة إلا قليلًا حتى يُعَذَّبُوا .

وقال الله تبارك وتعالى : « يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِى المُؤْمِنِين[2] » .

قيل : بأيديهم ؛ لنقضِ المُوادعَة ، وأيدى المُسْلِمِينَ بالمُقَاتَلَةِ .

وقيل : بأيديهم فى تَرْكِهَا ، وبأيدى المؤمنين بإجلائِهم عنها .

[٢٠٢ب] / وقيل : بأيديهم فى خرابِ دَواخِلِها وما فيها ؛ لئَلَّا يأخذَه المسلمون ، وأيدِى المؤمنين فى خرابِ ظواهرها ، ليصِلُوا بذلك إليهم .

وقيل : كانت منازِلُهم مزخرفةً ، فحَسدُوا المسلمين أن يسكُنُوها ، فَخَرَّبوها من داخِلٍ ، وخَرَّبها المسلمون من خارجٍ .

وقيل : إنهم كانوا كُلَّما هَدَم عليهم المسلمون من حُصونِهم شيْئًا نَقَضُوا من بيوتِهم مايَعْمُرون به ما خَرِبَ من حُصونِهم .

وقيل : تخريبُهم لبيوتِهم أنَّهم لما صُولِحُوا على حَمْلِ ما أَقَلَّتْه إبلُهم ، جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم ، حتى الأَوتاد ، ليحمِلُوها على إبلِهم .

وقال الله تبارك وتعالى : « واللهُ جَعَلَ لكُمْ من بُيُوتِكُمْ سَكَنًا[3] » قال مجاهد : موضعا تسكنون فيه « و [جعَلَ لكُمْ][4] من جُلودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا[2] » وهى الخيام « تَسْتَخِفُّونها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ، ويَوْمَ إقامَتِكُمْ[3] » فذكر تعالى لهم النِّعمَةَ عليهم فيما جعلَه لهم من بُيوتِ الأَوطان الثابتة ، وبيوت الأَسْفَارِ المُنَقَّلَةِ ؛ لتعُمَّهم النعمةُ فى إقامتهم وأسفارِهم .

وقال الله ـ تبارك وتعالى : حكايةً عن نوح عليه السلام ـ : « رَبِّ اغْفِرْلِى ، ولِوالِدَىَّ ولِمَنْ دَخَلَ بيتِىَ مُؤْمِنًا[5] » قيل : أراد أباه لمَكًا ، وأُمه منْخِيل[6] ، وكانا مؤمنَيْن ، وقيل : أراد

---

(٢) سقط من الأصل وهو من الاية .
(١) سورة الحشر / ٢ وضبط (يخربون) فى الأصل بتشديد الراء وهى قراءة أبى عمرو .
(٣) سورة النحل/ ٨٠
(٤) سقط من الأصل ، وهو من الآية الكريمة (٥) سورة نوح/ ٢٨ .
(٦) ذكر الطبرسى فى مجمع البيان (المجلد ٥/ ٣٦٥) أن اسم ابيه لمك بن متوشلخ . وامه سمحاء بنت أنوش » وزاد عما هنا « وقيل : يريد آدم وحواء » .

أَباه وَجدّه . « ولمن دَخَل / بَيْتِيَ مُؤمِنًا » قيل : صديق الداخل إلى منزلى ، وقيل : من دخَلَ مَسْجِدى ، وقيل : من دخل فى دِينى . [٢٠٣ ا]

وقال الله تبارك وتعالى : « ليس [على الأَعْمَى حَرَجٌ ولا على الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، ولا على المريض حَرَجٌ ، ولا على أَنفُسِكُمْ](١) أن تأْكُلوا من بُيوتِكُمْ ، أوبُيُوتِ آبَائِكُمُ ، أَو بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ ، أَو بُيوتِ إِخْوانِكُمْ ، أَو بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ ، أَو بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ ، أَو بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ ، أَو بُيُوت أَخْوالِكُمْ ، أَو بُيُوتِ خالاتِكُمْ(٢) » .

أَباحَ سبحانه الأَكلَ فى بُيوتِ هؤلاءِ لمكان النَّسَبِ من غير استئذانِهم فى الأَكل إذا كان الطَّعامُ مَبْذُولًا ، فإن كان مُحْرَزًا دونهم لم يكن لهم هَتْكُ حِرْزِه ، ولا يجوز أَن يتجاوزَ الأَكلَ إلى الادخار ، [أو] إلى ماليس بمأْكُولٍ ، وإن كان غير مُحْرَز عنهم إلَّا بإِذنٍ منهم .

وقال الله تبارك وتعالى : « وأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لقومِكُما بمصرَ بُيوتًا(٣) » أى مساكن يسكنونها ، وقيل : [فى] قوله « مصر » إنها الإسكندرية ، وقيل : بل هى مِصْر ، وقيل : اتَّخِذُوا قُصورًا ، وقيل : مساجدَ « واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً(٣) » قيل : مقابلٌ بعضُها بعضًا ، وقيل : اجْعلُوا مساجدكم قِبَلَ الكعبةِ .

وقال / الله تبارك وتعالى : « وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَن اتَّخِذِى من الجِبَالِ بُيوتًا ، ومن الشَّجَرِ ومما يَعْرِشُونَ(٤) » . [٢٠٣ ب]

فى « أوحَى » ثلاثة أقوال :

أحدها : أَلْهَمَهَا . والآخر : سَخَّرها . والثالث : أنه سبحانه جعَلَ ذلك فى غرائزِها مما يَخْفَى مثلُه على غيرِها(٥) .

---

(١) ما بين الحاصرتين تصحيح للآية الكريمة ، وقد اخطأ المصنف فى ايرادها ، فجاءت فى الأصل مغيرة الى « ليس عليكم جناح أن تأكلوا ... » وهذه فى تتمة الاية كما سيأتى .

(٢) سورة النور/٦١ وتتمة الاية : « .. أَوْ ما مَلَكْتُم مفَاتِحَهُ أَو صَدِيقِكُم ، لَيْسَ عَلَيْكُم جُناحٌ أَنْ تَأْكُلوا جَمِيعًا أَو أَشْتاتًا ، فإِذَا دخَلْتُمْ بُيُوتًا فسَلِّمُوا عَلَىَ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ الله مُبارَكَةً طَيِّبَةً ، كذلك يُبَيِّنُ الله لكُمْ الآياتِ لَعلَّكُم تَعْقِلُونَ » .

(٣) سورة يونس/٨٧ . (٤) سورة النحل/٦٨ .

(٥) القول الأول حكاه الطبرسى فى مجمع البيان (المجلد ٣/٣٧١) عن الحسن، وابن عباس ومجاهد ، والثالث عن الحسن .. ولم يذكر فيما سرده من أقوال تفسير الوحى بالتسخير وقال : أصل الوحى عند العرب أن يلقى الانسان الى صاحبه شيئا ، بالاستتار والاخفاء .

« أن اتَّخِذِى من الجبالِ بُيُوتًا » ذكر الله تعالى بيوتَها لما أَلْهَمَهَا وأَوْدَعَه غرائِزَها من صحةِ القِسْمَةِ ، وحسن الصَّنْعَةِ .

وقال الله تبارك وتعالى : « مَثَلُ الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء ، كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لو كانُوا يَعْلَمُون[1] » .

يعنى سبحانه آلهةً من أصنامٍ وأوثانٍ عَبدُوهَا ، « كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا » يعنى أنهم عَبَدُوا مالا يُغْنى عنهم شيئًا ، كبيتِ الْعَنْكَبُوتِ لا يَسْتُرُ الأبصارَ ، ولا يدفَعُ الأَيدِى .

وعن عطاء عن ابن عباس – رضى الله عنه – ذكر آلهة المشركين فقال سبحانه « وإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ[2] مِنْهُ » وذكر كيدَ الآلهةِ ، فجعله كبيتِ العنكبوتِ ، فقالوا : – حيث ذكر الله الذبابَ والعنكبوتَ فيما أَنزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم – : / أىُّ شىءٍ يصنَعُ بهذا ؟ فأنزل الله – عز وجلَّ – : « إِنَّ اللهَ لايَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[3] ... » الاية . [٢٠٤ ا]

قال القاضى الماوَرْدِىّ – رحمه الله – : البَعُوضَةُ من صِغار البَقّ[4] ، سُمِّيت بذلك لأنها كبعض البَقَّةِ فى صِغَرِهَا .

وقيل : نسَجت العنكبوت مرَّتَيْنِ : مرَّةً على داود عليه السلام ، ومَرَّةً على النبى صلى الله عليه وسلم ، وجمع عَنْكَبُوت عَناكِب ، وتصغيره عُنَيكِب[5] .

---

(١) سورة العنكبوت / ٤١ .

(٢) سورة الحج / ٧٣ وقد وردت فى الاصل (لا يستنقذونه) ، ولم أجده فى وجوه القراءات وأجاز النحاة رفع الجزاء فى مثل هذه الحاله ، وعدوه وجها ضعيفا وحملوا عليه قراءة «أَيْنَما تكونُوا يُدْرِكُكُمُ الموتُ» برفع يدرككم وقول جرير بن عبد الله البجلى أو غيره .

يا أَقْرعُ بْنَ حابِسٍ يا أَقْرعُ إِنَّك إِنْ يُصْرَعْ أَخُوك تُصْرعُ

(٣) سورة البقرة / ٢٦ وتتمة الآية « .. فَأَمَّا الذين آمنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ ربِّهِمْ ، وأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيقُولُونَ : ماذَا أَرادَ اللهُ بِهَذَا مثَلاً ، يُضِلُّ بهِ كَثِيرًا ويَهْدِى بهِ كَثِيرًا وما يُضِلُّ بهِ إِلاَّ الفاسِقِينَ » .

(٤) البعوضة فى علم الأحياء : جنس حشرات مضرة من رتبة ذوات الجناحين ، ويسميها العامة الناموس .

(٥) العنكبوت : دويبه تنسج من لعابها فى الهواء وعلى راس البئر نسجا رقيقا مهلهلا تصيد به غذءها. مؤنثة وربما ذكرت فىالشعر ، والجمع عنكبوتات وعناكب وعناكيب ، وتصغيرها عنيكب وعنيكيب .

وقد ذكر عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ العنكبوتَ فى كلامٍ له ، روى أنَّ رجلًا أتى عليًّا ـ رضوان الله عليه ـ فقال : يا أميرَ المؤمنين إنه قُضِيَتْ عليَّ قضيةٌ ذهبَ فيها مالى وأهْلِى ، فخرجَ إلى الرَّحْبَةِ ، فاجتمع عليه الناس ، فقال ـ رضوان الله عليه ـ : ذِمَّتى بما أقولُ رهينَةٌ ، وأنا به زَعِيمٌ ، إنَّ من صرَّحتْ له العِبَرُ عما بين يديه من المَثُلاتِ[1] حجزَه التقوى عن تَقَحُّمِ الشُّبُهاتِ[2] ، وإن أشقى الناسِ رجلٌ قَمَشَ[3] عِلْمًا فى أوباشِ[4] النَّاسِ بغير علمٍ ولا دليلٍ ، فاستكْثَرَ مما قلَّ منه خيرٌ ، فأكثَرَ ، حتى إذا ارتوَى من آجِنٍ[5] آسِنٍ[6] غير / طائلٍ جلَسَ للناس مُفْتيا ؛ ليُخَلِّصَ ما الْتَبَسَ على غيره ، فهو فى قِطَعٍ من الشُّبُهاتِ ، فى مثل نَسْجِ العَنْكَبُوتِ ، لايدرى أصابَ أم أخطأَ ، خَبَّاط عَشَواتٍ[7] ، ركَّابُ جَهالاتٍ ، لم يعَضَّ على العِلْمِ بضِرْسٍ قاطعٍ فيَغْنَمَ ، ولم يَسْكُتْ فيسلم ، تصرُخُ منه[8] الدِّماءُ ، وتبكى منه المواريثُ ، وتُسْتَحَلُّ بقضائه الفُرُجُ الحرام ، أولئك الذين حلَّتْ عليهم النياحَةُ[9] فى أيام حياتِهم . (أوجب إيراد هذا الحديث ما فيه من ذكر العنكبوت) . [٢٠٤ب]

عن أنس بن مالك ـ رحمه الله ـ قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما من بَيْتٍ إلا ومَلَكُ الموت يقفُ على بابه فى كل يومٍ خمسَ مرّاتٍ ، فإذا وجد إنسانًا قد نَفِدَ أجلُه ، وانقطع عملُه ، ألقى عليه غمَّ الموتِ ، فغَشِيَتْه كُرُباتُه ، وغَمَرَتْه غَمَرَاتُه ، وجَهَرت الباكيةُ بشَجْوِها ، والصّارخةُ بوَيْلِها ، فيقول مَلَك الموت ـ عليه السلام ـ : ويْلَكُمْ ، وفيم الفَزَعُ ؟ وفيم الجَزَعُ ؟ ما أذْهَبْتُ لواحد منكم رِزْقًا ، ولا قَرَّبْتُ له أجَلًا ، ولا أتيتُه حتى أُمِرْتُ ،

---

(١) المثلات : واحدها مثلة ـ بفتح فضم ـ وهى العقوبة والنكال .

(٢) الشبهات : واحدها شبهة ، وهى اسم من الاشتباه ، واشتباه الأمر : اختلاطه ، اراد ما ألبس .

(٣) القمش : جمع الشيء من ههنا وههنا ، والقمش أيضا : الرديء من كل شيء .

(٤) الأوباش من الناس : الأخلاط ، وقال ابن سيده : الضروب المتفرقون .

(٥) الآجن من الماء : المتغير الا انه يشرب كذا فى المصباح .

(٦) الآسن : الذى تغير طعمه وريحه وفسد فلا يشربه احد من نتنه . كذا فسره الهروى فى شرحه لفصيح ثعلب (الطرف الادبية/١٩) وقال الراغب في المفردات : « هو الذى تغير ريحه تغيرا منكرا » .

(٧) فسره فى اللسان (عشو) بقوله : « أى يخبط فى الظلام والأمر الملتبس فيتحير » .

(٨) يريد من قضائه بغير علم .

(٩) النياحة مصدر كالنوح ، وهى البكاء على الميت بصراخ وعويل .

[٢٠٥ ا] ولا قَبَضْتُ روحَه حتى استَأْمَرْتُ[١] ، وإنَّ لى فيكم عَوْدَةً ، ثم عَوْدَةً ، ثم / عَوْدَةً ، حتى لا أُبْقِى منكم أحدًا . قال النبى صلى الله عليه وسلم - : فوالذى نَفْسِى بيدِه ، لو يَرَوْنَ مكانَه ، أو يسمعون كلامَه ، لذَهَلُوا عن مَيِّتِهم ، ولبَكَوْا على أنفسِهم ، حتى إذا حُمِلَ الميِّتُ على نَعْشِهِ ، رَفْرَفَت الرُّوحُ فوقَ النَّعْشِ ، فهو ينادى : يا أَهْلِى ، ويا وَلَدِى . لا تَلْعَبَنَّ بكم الدنيا ، كما لَعِبَتْ بى ، جمعتُ المالَ من حِلِّه ومن غيرِ حِلِّه ، ثم خلَّفْتُه لغيرى ، فالهَنَاءَةُ له ، والتَّبِعَةُ علىَّ ، فاحْذَرُوا ما حلَّ بى[٢] .

عن أبى موسى الأشعرى - رحمه الله - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثل بيْتٍ يَذكَرُ الله تعالى فيه ، وبَيْتٍ لا يُذْكَرُ اللهُ فيه ، مثل الحَىِّ والمَيِّتِ[٣] » .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « نوِّرُوا بيوتَكُمْ بتِلاوَةِ القُرآنِ يفرّ منها الشَّيْطَانُ[٤] » .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « نُزُولُ الضَّيْفِ فى البَيْتِ بَرَكَةٌ[٥] » .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا تَدْخُلُ الخيانَةُ بيتًا إلا خَرِبَ[٥] » .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا تَدْخُلُ السرِقَةُ بيتًا إلا أَوْرَثَتْهُم الذُّلَّ[٥] » .

[٢٠٥ب] وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ما من أحدٍ يَخْرُجُ من بيتِهِ يَطْلُبُ العِلْمَ إلا وَضَعَتْ / له الملائِكَةُ أَجْنِحتَهَا رِضًى بما يَصْنَعُ »[٦] .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ما من أَحَدٍ يخرُجُ من بيتِه مُجاهِدًا فى سبيلِ / الله تَعالى إلا لم تَزَلْ الملائِكَةُ تَسْتَغْفِر له حتى يَرْجِعَ[٧] » .

---

(١) استأمرت : شاورت .

(٢) لم اقف على هذا الحديث فى مظـــانه .

(٣) فى صحيح مسلم (١/ ٥٣) بسـنده عن ابى موسى عن النبى - صلى الله عليــه وسلم - قال : « مثَلُ البيْتِ الذِى يُذْكَرُ اللهُ فيهِ ، والبَيْتُ الذى لا يُذْكَرُ اللهُ فيهِ مثَل الحَىِّ والَميِّتِ » .

وانظر آيضا الفتح الكبير ١٢٨/٣ .

(٤) لفظه فى الفتح الكبير (٢٦٥/٣) « نَوِّرُوا مَنازِلَكُمْ بالصَّلاةِ وقِراءَةِ القُرْآنِ » .

(٥) هذه الأحاديث الثلاثة لم اقف عليها ، ولعل لفظها وقع مغيرا هنا .

(٦) انظر مشكاة المصـــابيح/٢٥ و٢٦ والفتح الكبير (١١٠/٣) و (١٩٩/٣) .

(٧) لم أجده بلفظه فى الكتب الصحيحة .

وقال الوزيرُ الكامل أبو القاسِم(١) بن المَغْرِبِيّ ، وقد حَجّ :

أَستارُ بيتِكَ أَمْنُ الخوفِ منكَ وقَدْ … عِلقْتُهَا مُسْتَجِيرًا منكَ ياباري

وما أظنُّكَ لما أنْ عَلِقْت بها … خوفًا من النارِ تُدْنِيني من النَّارِ

وها أنَا جارُ بيتٍ أَنْتَ قلتَ لنَا : … حُجُّوا إليه ، وقد أَوْصيْتَ بالجارِ

قرئ على حائط قصرٍ بأعلى الحجاز ، قد خَرِب ، وبادَ أَهْلُه :

باللهِ رَبِّك كم بَيْتٍ مررتَ به … قد كان يُعْمَرُ باللَّذاتِ والطَّربِ

طارتْ عُقابُ المنايا فى سَقَائِفِهِ … فصارَ من بعدِهِمْ للوَيْلِ والحَرَب(٢)

(هذان البيتان لإبراهيم بن المهدى) .

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المعرِّىّ(٣) :

كلُّ بَيْتٍ للْهَدْمِ ، ما تَبْتَنِى الوَرْ … قاءُ ، والسيِّدُ الرفيعُ العِمادِ(٤)

واللَّبيبُ اللَّبيبُ من ليس يَغْتَ … رُّ بكَوْنٍ مصيرُه لفَسَادِ(٥)

[٢٠٦ ا]

وقال أبو العَتاهِيَة(٦) :

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين .. ينتهى نسبه الى يزدجرد بن بهرام جور ، كان من الدهاة العارفين ، ولى الوزارة فى مصر للحاكم بأمر الله ثم للأمير أبى نصر بن مروان صاحب ميا فارقين ، وتوفى فى رمضان سنة ٤١٨ هـ بميا فارقين ، وحمل الى الكوفة بوصية منه ودفن بتربة مجاورة لتربة الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ وكان ممدحا يقصده الشعراء وللتهامى فيه مدائح كثيرة (انظر مختارات البارودى ٢/٢٦٢ و٢٦٧) .

(٢) السقائف : واحدها سقيفة وهى العريش يستظل به ، وكل حجر عريض يستطاع أن يسقف به حفرة ، والويل : حلول الشر ، ومن معانيه أيضا : القبح ، والحرب : الهلاك والويل .

(٣) البيتان فى سقط الزند ١/٢٨٢ وهما من مرثيته المشهورة التى مطلعها :

غَيْرُ مُجْدٍ فى مِلَّتِى واعْتِقادى … نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادِ

(٤) الورقاء : الحمامة (يريد ان بيتها ضعيف واه لا احكام له ، وقابل به ما يبنيه السيد الذى يرفع بناءه ويحكم قواعده ، فكلاهما الى زوال) .

(٥) فى سقط الزند (للفساد) يريد به الفناء .

(٦) هذان البيتان فى اللسان (قصر) من غير غرو ، والرواية « بيْنا غِنَى بيْت وبهْجتِهِ » ولم يردا فى ديوان أبى العتاهية ، وله من هذا الروى فى بحر السريع قصيدة تتردد فيها هذه المعانى فى ص ٥٤ من ديوانه ، ومطلعها :

آمَنْتُ باللهِ وَأَيْقَنْتُ … والله حسْبِى حيْثما كُنْتُ

وبيتان آخران وردا مستقلين فى الصفحة نفسها تضمنا المعنى الوارد فى النص التالى :

عِشْ ما بدا لك قَصْرُك الموتُ   لا مَعْقِلٌ منه ولا فَوْتُ[1]

بينَا غِنَى بيتٍ وساكِنِه   زال الغِنى ، وتقوّضَ البَيْتُ[2]

وقال آخر أظنه أبا العتاهية[3] :

قد آن أن يُسْمِعَكَ الصوْتُ   أنائمٌ قلبُكَ أم مَيْتُ ؟!

يا بانى البَيْتِ على غِرَّةٍ   أمامك المنزلُ والبَيْتُ

وإنما الدُّنيا على طُولِها   ثَنِيَّةٌ مَطْلَعُها المَوْتُ[4]

وقال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان من قصيدة يرثى بها والده[5] :

هنيئًا لك البيتُ الجديدُ موسَّدا   يمينَك فيه بالسعادة واليُمْنِ[6]

مجاورَ سكْنٍ من ديارٍ بعيدة   من الحىِّ سَقْيًا للديارِ وللسكْنِ[7]

أمرُّ بربْعٍ كنتَ فيه كأنَّمَا   أمرُّ من الإجلال بالحِجْرِ والرُّكْنِ[8]

وإجلالُ مَغْنَاكَ اجتهادُ مُقَصِّرٍ   إذا النَّصْلُ أوْدَى فالعَفاءُ على الجَفْنِ[9]

وقال آخر[10] :

---

(١) قصرك : غايتك . والمعقل : الملجأ والحصن ، والفوت : يريد لا مهرب .

(٢) غنى : مصدر غنى المكان ، اذا عمر — وتقوض : تهدم .

(٣) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه وفى ص٥٤ منه بيتان ألم فيهما بهذا المعنى ، وهما :

اسْمعْ فقَدْ أذَنكَ الصَّوتُ   إنْ لَمْ تُبادِرْ فهو الموْتُ

خُذْ كُلَّ ما شِئْتَ ، وعِشْ آمِنًا   آخِرُ هذَا كُلِّهِ الموْتُ

(٤) الثنية : العقبة فى الجبل .

(٥) الأبيات فى شرح سقط الزند ١/٢٥٩ .

(٦) أراد بالبيت الجديد القبر ، وجعل اضجاعه على شقه الأيمن كأنه وسد يمينه .

(٧) السكن : أهل الدار ، واحده ساكن .

(٨) اراد بالركن ركن الكعبة ، والحجر : ما حول الحطيم .

(٩) النصل : السيف ، والعفاء : الهلاك . يقول : اذا فقد السيف فأى فائدة يفيد اكرام غمده ؟

(١٠) هو كثير بن الصلت السهمى ، كذا نسبها اليه ياقوت فى معجم البلدان ، فى رسم (الحصاب) واورد البيتين (٥ و٦) فى (صفى السباب) وبينهما البيت :

سكَنُوا الجزْعَ مِنْ بيْتِ أبِي مُو   سى إلى النَّخْلِ من صفيِّ السِّبابِ

وأورد الأصفهانى الشعر ومعه خبره فى الأغانى (٨/٣٤٣ و ١/٣٢١ و٣٢٢ ط دار الكتب) مما غنته سلامه ، ولم ينسبه الى قائل ، ورواه السراج فى مصارع العشاق/٧٥ كرواية الأغانى .

[٢٠٦ب]

أسعِدَانى بعَبْرَةٍ أسرابِ ... من دُموعٍ[1] كثيرةِ التَّسْكابِ

إنَّ أهل الحِصابِ قد تركُونِى ... مُوزَعًا مُولَعًا بأهلِ الحِصابِ[2]

أهل بيتٍ تتابَعُوا للمنايا ... ما على الدهرِ بعدَهُم من عِتَابِ

فارَقُونى ، وقد عَلِمْتُ يَقِينًا ... ما لمن ذاق ميتةً من إيابِ

كم بذاك الحُجونِ من[حَىٍّ صِدْقٍ][3] ... وكُهُولٍ أعِفَّةٍ وشبابِ

فلِى الويلُ بعدَهُمْ وعليهم ... صِرْتُ فَرْدًا ، ومَلَّنِى أصْحابِى

عن حَمادٍ الرّاوية[4] قال : حدَّثَنَا ابنُ أختٍ لنا من مُرادٍ قال : وُلِّيتُ صدقَاتِ قومٍ من العرَبِ ، فبينَا أنا أقْسِمُهَا فى أهلِها ، إذ قال لى رجلٌ منهم : ألا أريكَ عَجَبًا ؟ قلت : بلى ، فأدْخَلَنى فى شِعْبٍ من جبَلٍ ، فإذا أنا بسَهْمٍ من سِهام عادِبن قَنَا[5] قد نَشِب فى ذِرْوةٍ من الجبل مكتوبٍ عليه :

ألا هَلْ إلى أبياتِ شَمْخٍ إلى اللّوى ... لِوى الرَّمْلِ يومًا للنُّفُوسِ مَعادُ؟![6]

بلادٌ بها كُنَّا ، وكُنَّا مِنَ اهْلِهَا[7] ... إذ النَّاسُ ناسٌ ، والبِلادُ بِلادُ

[٢٠٧ ا] / ثم أخْرجنى إلى ساحلِ البحر ، فإذا أنا بحَجر يعلوه الماءُ طَوْرًا ، ويظهر طورا ، عليه مكتوب : يا ابنَ آدم ، يا عبدَ ربِّه ، اتَّقِ الله ، ولا تعجَلْ فى أمرِك[8] ؛ فإنَّك لن تسبِقَ رزقَك ، ولا تُرْزَقَ

---

(١) فى معجم البلدان « من جفون » .

(٢) الحصاب : موضع رمى الجمار بمنى .

(٣) ما بين الحاصرتين لم يتضح بالأصل ، والمثبت من الأغانى ومعجم البلدان فى (صفى السباب) والحجون : موضع بأعلى مكة عنده مقبرة أهلها .

(٤) هذا الخبر أورده ابن منظور فى مختار الأغانى ٤٤٩/٢ فى ترجمة حماد الراوية ، وذكره أيضا ياقوت فى معجم البلدان (شمخ) ومعه البيتان ، وعبارته متفقة مع الوارد هنا .

(٥) فى معجم البلدان « من قنا » وضبط بكسر القاف ، وحقه الفتح ، ليكون اسم جنس جمعى للقنـــاة – وهى الرمح – والمعروف فى نسب عاد أنه عاد بن ارم ، وهم قوم هود .

(٦) شمخ : اسم موضع فى بلاد عاد ، ورواية معجم البلدان :

. . . . بذِى اللِّوَى ... لِوَى الرَّمْلِ مِنْ قَبْلِ المماتِ مَعادُ

(٧) فى معجم البلدان :

. . . كُنَّا نُحِبُّها ... إذ الأَهْلُ أهلٌ . . . . . »

وفى مختار الأغانى : بلادٌ بها كانُوا وكنّا من اهْلِها

(٨) فى معجم البلدان « فى رزقك » .

ما ليس لك . ومن البَصْرةِ[1] إلى دُبَيْلٍ[2] ستمائة فرسخ ، فمن لم يُصَدِّق ، فلْيمْشِ على الطريق على الساحل حتى يتحققَه ، فمن لم يقدرْ على ذلك فلينطَحْ برأسِه هذا الحَجَر » .

وقال أبو بكر محمد بن عيسى الدّانى – من شعراءِ الأندلس – يَنْدُبُ المعتمِد على الله أبا القاسم محمد بن المُعْتَضِد بالله أبي عمرو عبَّادِ بنِ محمد بن عَبّاد ، حين تغلَّبَ على بلادهِ يوسفُ بنُ تاشفين المُلَثَّم ، وانتزعه من ملكه ، وكان أديبا جوادا محسنا إلى أهل الأدب[3] :

يا ضيفُ أقفرَ بيتُ المَكْرُماتِ فَخُذ	فى ضَمِّ رحْلِك واجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ
ويا مؤَمِّلَ واديِهم ليسْكُنَه	خَفَّ القطينُ ، وجَفَّ الزرعُ بالوادِى
ضَلَلْتَ سُبْلَ النَّدى ياابنَ السبيلِ فسِرْ	بغيرِ قصْدٍ ، فما يهديك من هادِ
إن يُخْلَعُوا فبنُو العبّاس قدخُلِعُوا	وقد خَلَتْ قبلَ حِمْصٍ أرضُ بغدادِ
سارتْ سفائِنُهم والنَّوْحُ يَتْبعُهَا	كأنها إبِلٌ يَحْدُو بها حادِ

[٢٠٧ب]

وأول هذا الشعر :

تبكى السماءُ بدمْعٍ رائحٍ غادِ	على البَهاليلِ من أبْناء عبّادِ[4]
عِرِّيسةٌ دَخَلَتْها الحادِثَاتُ على	أساوِدٍ منهم فيها وآسادِ[5]
وكَعْبةٌ كانت الآمالُ تَعْمُرُها	فاليومَ لا عاكِفٌ فيها ولا بادِ[6]

---

(١) البصرة : هما بصرتان : احداهما بالعراق وهى المشهورة ، والأخرى بالمغرب فى اقصاه قرب السوس .

(٢) كذا ضبطه فى الأصل مصغرا ، و ضبطه فى المراصد كامير وقال فى تحديده : موضع يتاخم أعراض اليمامه ، وقيل : رمل بين اليمامة واليمن ، وقيل أيضا : مدينة ارمينية تتاخم اران . ودبيل أيضا : من قرى الرملة .

(٣) القصيدة التى منها هذه الأبيات مشهورة وهى من أجود ما رثيت به اشبيلية، ودولة المعتمد بن عباد ، وانظر المعتمد بن عباد لعلى أدهم (٢٨٥ و ٢٨٦) (سلسلة أعلام العرب)

(٤) البهاليل : الواحد بلهول : وهو السيد لشريف فى قومه .

(٥) العريسة : الشجر الملتف يكون مأوى الأسد ، والأساود : جمع الأسود ، وهو العظيم من الحيات يكون فيه سواد .

(٦) العاكف : المقيم الملازم للمكان ، والباد : أصله من بدا يبدو ، اذا ظهر ، والبدو خلاف الحضر .. سمى بذلك لظهوره ، والمراد به هنا الطارىء ، وهو اقتباس من قوله تعالى :

« .. والمسْجدِ الحَرام ِالذِى جعلْناهُ للنَّاسِ سواءً العاكِفُ فيهِ والبادِ .. » .

كم من دَرارِى سُعُودٍ قدهَوَتْ وزَهَتْ   منهم ، ومن دُرر للمجْدِ أَفْرادِ[1]

(وبعده الشعر المقدم).

وقال الشَّمرْدَلُ بن شَرِيكٍ المِنْقَرِى[2] يرثى أخاه وائِلًا :

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ منَّا لمُولَعٌ   بمَنْ كانَ يُرْجَى نفعُه وفَواضِلُهْ[3]

وما البُعْدُ إلا أننا بعد صِحَّةٍ   كأنْ لم نُبايِتْ وائِلًا ونُقايِلُه[4]

فأَصْبَحَ بيتُ الهجر قد حالَ دونَه   وغالَ امْرأً ما كان تُخْشَى غوائِلُهْ

سَقَى الصَّفِراتِ الغَيْثُ مادَامَ ثاوِيًا   بهِن ، وجادَتْ أَهلَ شَوْلٍ[5] مخايِلُه

وما بى حُبُّ الأَرضِ إلا جوارُها   صَداهُ ، وقولٌ ظَنَّ أَنِّى قائِلُهْ

عن عُمَيْر الرماح قال : رأيت مُهَنَّأَةَ بنتَ الذَّيَّالِ اليشْكُرِيّة ، وقد أفسدت الدموعُ خدَّيها ، [٢٠٨ ا] لكثرة بكائها ، فقلت لها : إلى كم هذه العَبْرَة ، وشَرَقُ الحَسْرَة؟ قالت : إلى أن يَضُمَّنى ما ضم مَسْعُودًا ، تعنى القبرَ ، ومسعودُ بن عبد الله بن عوف زوجها ، قتله بنو جَعْفر من كلاب يوم الحاصَّة ، فقالت لناعِيه : هل قال شيئا ، وهو يجودُ بنفسِه؟ قال : نعم قال :

أَتُرَى التى خَلَّفْتُها فى بيتِها   وضَمَمْتُ ساعِدَها إلى نَحْرِى

ثَبَتَتْ على العهدِ الذى عاهَدْتُها   أم أَخْلَفَتْهُ وأَغْفَلَتْ أَمْرِى

فصاحت وقالت : يا مسعودُ إن أَغْفَلْتُه فأَغْفَلَنى اللهُ من رَحْمَتِه .

وقال آخر :

للهِ أبياتٌ إذا أُوطِنْتُها   غَنِىَ الفقيرُ بها ، وعزَّ الجانِى

---

(١) الدرارى : واحدها درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلالىء ، والدرر : اللآلىء العظيمة الكبار ، افراد : متفردة لا نظير لها .

(٢) ويقال له أيضا : اليربوعى ، والابيات من قصيدة له فى الاغانى ١٢/١١٩ وبعضها فى حماسة ابن الشجرى /٨٣ .

(٣) الاغانى (ونوافله) .

(٤) فى الأغانى « تبايت وائلا وتقاتله » وما هنا أجود .

(٥) فى الأغانى (الصفرات) بالقاف ، و « شوك » بالكاف ، ولم أجد فى معجم البلدان موضعا اسمه « شول » وفيه شوك بضم الشين : ناحية نجدية قريبة من الحجاز ، وفيه أيضا « شولاء : موضع » .

قومٌ إذا نَزَلَ الغَريبُ بدارِهم مَنَحُوهُ سَلْوَتَه عن الأَوْطَانِ

عن ابن جُرَيْج قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله تعالَى لَيُحِبُّ البَيْتَ الخَصِيبَ » يعنى الكثير الخير .

[۲۰۸ ب] حضرت جَلِيلَةُ[١] بنتُ مُرَّة بن ذُهْلِ بن شَيْبَانَ أُختُ جَسّاسِ بن مُرَّة – قاتِلِ كُلَيْبٍ ، وهى امرأةُ كُلَيْبِ بن ربيعة – مأتَمَ زَوجِها كُلَيْب ، فأَخرجَتْها أُختُه ، وقالت لها : اخرجِى يا هذه عن مَأْتَمِنا ، فأَنتِ أُختُ واتِرِنا ، وشقِيقَتُه[٢] ، فلما خرجت لَقِيَها أَبُوها مُرَّة ، فقال : ما وراءك يا جَلِيلة؟ قالت : ثُكْلُ الأَبَدِ[٣] ، وقِلَّةُ العَدَد ، وفَقْدُ حَلِيلٍ ، وقتلُ أَخٍ عن قَلِيلٍ ، وبين ذَيْن[٤] غَرْسُ الأَحْقاد ، وتَفَتُّتُ الأَكباد . فقال لها : أَوَيَكُفُّ ذلك كَرَمُ الصفح ، وإغلاءُ الدِّياتِ؟ فقالت : أُمْنِيَةُ مَخْدُوعٍ وربِّ الكَعْبَة ، أَبالبُدْنِ تدَعُ لك تَغْلِبُ[٥] دمَ ربِّها[٦] ؟! ثم قالت جَلِيلَةُ فى ذلك :

يا ابْنَةَ الأَقْوامِ إنْ شِئْتِ فلا تَعْجَلِى بِاللَّوم حتى تَسْأَلِى
فإذا أَنْتِ تَبَيَّنْتِ الذى يُوجِبُ اللَّوْمَ فلُومِى واعْذِلِى
إن تَكُنْ أُخْتُ امْرِئٍ لِيمَتْ على شَفَقٍ[٧] منها عليه فافْعَلِى

---

(١) هذا الخبر أورده الأصفهانى فى الأغانى (٥/٦٣ ط دار الكتب) والنويرى فى نهاية الأرب (٥/٢١٧ ط دار الكتب) فى باب ما قيل من شواذ المراثى .

(٢) فى المصدرين السابقين : « وشقيقة قاتلنا » .

(٣) فيهما : « ثكل العدد ، وحزن الأبد » .

(٤) فى نهاية الأرب « وبين ذلك » وما هنا يوافق الأغانى .

(٥) فى نهاية الأرب « وائل » وما هنا يوافق رواية الأغانى .

(٦) من تتمة الخبر فى المصدرين السابقين قبل ايراد الشعر ما يلى :
لما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ، ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة ، فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ أسعد الله جد أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ ثم أنشأت تقول :
يا ابنة الأقوام ..

(٧) كذا فى الأصل ، ومثله فى الأغانى ، وفى نهاية الأرب (جزع) .

جَلَّ عندِي فِعْلُ جَسّاسٍ فَيا حَسْرتَا[1]عما انجَلَتْ أوتَنْجَلِي[2]

يا قَتِيلًا قَوَّضَ الدّهْرُ به سَقْفَ بَيْتَىَّ جميعًا من عَلِ

هَدَمَ البيتَ الذى اسْتَحْدَثْتُه وانْثَنَى فى هَدْمِ بيْتِى الأوّلِ[3]

خَصَّنِى يومُ[4] كليبٍ بلظًى من ورائِى ، ولَظًى مُسْتَقْبِلِى

ليس من يَبْكِي ليَوْمَيْه[5] كمن إنما يبكى لِيَوْمٍ قد خَلِى[6]

يَشْتَفِى المُدْرِكُ بالثّأْرِ وفى دركِى ثَأْرِىَ ثُكْلٌ مُثْكِلِى[7]

إننى قاتلةٌ مقتولة فلعل اللهَ أن يرتاحَ لِى[8]

عن اسماعيلَ بنِ محمد بنِ أبى مُحَمد[9] ، قال : قلتُ لأبى العَتَاهِيَةِ : يا أبا إسْحاق . كلُّ شِعْرِكَ حَسنٌ عجِيبٌ ، وقد مرَّت بى منذ أيّام لك أبياتٌ استحسنتها جدا ، وقال : إنها معادة من أنصافِ

---

(١) كذا فى الأصل ومثله فى نهاية الأرب ، وفى الأغانى (حسرتى) وهما وجهان فى نداء المضاف الى ياء المتكلم .

(٢) اسقط المصنف بين هذا البيت والذى يليه ثلاثة أبيات ، وهى ـ كما فى الأغانى :

فِعْلُ جَسّاسٍ على وَجْدِى بهِ قاطِعٌ ظَهْرِي ومُدْنٍ أجَلِي

لَوْ بِعَيْنٍ فُقِئَتْ عَيْنٌ سِوَى أخْتِهَا ، فانْفَقَأَتْ لم أحْفِلِ

تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كما تَحْمِلُ الأُمُّ أذَي ما تَفْتَلِى

(٣) تريد بالبيت الذى استحدثته بيت زوجها ، وبالبيت الأول بيت أبيها ، ورواية نهاية الأرب (وبدا فى هدم) وما هنا يوافق ما فى الأغانى ، والكامل لابن الأثير (٣٨٩/١ ط ليبزج) وفيهما بين هـذا البيت والذى يليه هنـا ـ البيتان :

ورَمَانِي قَتْلُه مِن كَثَبٍ رَمْيَةَ المُصْمِى بهِ المُسْتَأْصِلِ

يا نِسائِى دُونَكُنَّ اليومَ قَدْ خَصَّنِى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ

(٤) فى الأغانى : (قتل كليب) وفى نهاية الأرب (مسنى فقد كليب) .

(٥) فيهما (ليومين) وفى هامش الأغـانى ان رواية الأصل (ليوميه) .

(٦) فيهما (ليوم ينجلى) . (٧) فيهما (ثكل المثكل) .

(٨) يقـال : ارتاح الله له : انقـذه من بليته .

(٩) هذه الأبيات فى ديوانه/٥٧ ، وقد قدم لها جامعه بالقصة الواردة هنا نقلا عن الاغانى وبين روايته فى الأغانى (٨٢/٤ ط دار الكتب) والرواية الواردة هنا اختلاف يسير ، وهى فيه كما يلى :

« حدث اليزيدى عن عمه اسماعيل بن محمد بن ابى محمد قال : قلت لابى العتاهيـة ـ وقد جاءنا ـ : يا ابا اسـحاق شعرك كله حسن عجيب ، ولقد مرت بى منذ ايام ابيات لك استحسنتها جدا ، وذلك أنها مقلوبة أيضا ، فأواخرها كأنها راسهـا ، لو كتبها الانسان الى صديق له كتابا ، والله لقد كان حسـنا ، وهى أرفع ما يكون شعرا .. قال : وما هى ؟ قلت : « وانشد الأبيات » .

أوائلِها على أواخِرِها ، كأنَّها رسالةٌ ، لو كتبها إنسان إلى صديق له كان حسنا . فدع ما يكون من شعر ، فقال : وما هى ؟ فأنشدته :

المرءُ فى مآخيرِ مُدَّتِه(1) كالثَّوْبِ يُخْلِقُ بعد جِدَّتِه(2)
وحياتُه نَفَسٌ يُعَدُّ له ووفاتُه استكمالُ عِدَّتِه
ومصيرُه من بعد أُنْسَتِه بالنَّاسِ ، ظُلْمَةُ بيتٍ وِحْدتِه(3)
من ماتَ مالَ ذَوُو موَدَّتِه عَنْهُ ، وحالُوا عن موَدَّتِهِ
عَجَبًا لمُحْتَجِبٍ يُضَيِّعُ ما يحْتَاجُ فيه ليوم رَقْدَتِهِ(4)
أَزِفَ الرَّحِيلُ ونحنُ فى لَعِبٍ لا نستعِدُّ له بعُدَّتِهِ(5)
ولقَلَّما تُبْقِى الخطوب على أَشَرِ الشَّبابِ وحَرِّ وَقْدَتِه(6)

[209 ب]

عن هشامِ بن عُرْوَةَ قال : قال ابنُ عمرَ بنِ الخَطَّاب لعُمَرَ رضى الله عنهما : اخطُبْ علىَّ ابْنَةَ نُعيْمٍ النَّحَّام – رحمه الله – فقال : ليس بفاعلٍ ؛ إنَّ له ابنَ أخٍ يتيم(7) فى حِجْره ، وإنه لن يَعْدُوَه بها ، فقال ابنُ عمرَ لأَبيهِ : إيذَنْ لى فى ذلك ، فأنا أُكَلِّمُه ، قال : فَخَرَجَ حتى كلَّمَه ، فقال : يا ابنَ أخِى والله لأَبُوكَ خيرٌ من أبِيها ، وأنتَ خيرٌ منها ، ولكن لى ابنُ أخٍ يتيمٌ فى حِجْرى ؛

(1) رواية الديوان « المرء فى تأخير لذته » وما هنا أنسب للمعنى ، وفى الأغانى (تأخيـر مدته) .
(2) كذا فى الديوان ، وأشار فى هامشه اشار الى انه يروى « يبلى » مكان « يخلق » .
(3) رواية الديوان لهذا البيت :

ومَصِيرُه من بَعْدِ مُدَّتِهِ بَلْيًا ، وذَا مِنْ بَعْدِ وِحْدَتِه

وفى الأغانى : « ... من بعـد مدته لبلى .. »
(4) هذا البيت ترتيبه الأخير فى الأغانى ، وروايته فيه : « عجبا لمنتبه .. »
(5) أزف الرحيل : قرب ودنا ، وعنى بالرحيل : الموت .
(6) اشر الشباب : مرحه ونشاطه .
(7) هو نعيم بن عبد الله لقب بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم فيه « دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ نَحْمَةً مِنْ نُعَيْمٍ » أى سعلة ، وقيل لقبـه النحام ، كغراب ، كذا فى القاموس (نحم) .
(8) كذا فى الأصل ، وحقه النصب صفة لابن ، الا ان يجعله صفة للاخ وهو بعيـد فى المعنى ، لأن المتحدث عنه هو الابن ، وبقية الخبر يؤيده ، أو يكون جره على المجـاورة ، أو التوهم .

قد زوَّجتُه إيّاها ، وأَصْدقْتُها عنه من مالِى عشرةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، ولَسْتُ بالذى أَنْفُضُ لحُومَ الناسِ وأَترُكُ لحمِى تَرِبًا ، ثم تَمثَّلَ بشعرٍ قاله خالدُ بن واثِلَة اللّيْثِىّ :

ولستُ ببانٍ لامرئٍ سَمْكَ بَيْتِه   وأَتْرُكُ بيتِى خاليًا بخِمالِى [1]

جعَلْتُ بناتِى فى مَوالِىَّ قَصْرَةً   وما راعَنِى ذو سَوْرَةٍ وجَمَالِ [2]

رأَيتُ الأُلَى يأْتُونَ للنَّصْرِ دَعْوتِى   موالِىَّ والأَقْصيْنَ غيرَ مَوالِ [3]

---

(١) السمك : القامة من كل شيء ، قال فى اللسان : « ويجيء فى مواضع بمعنى السقف » وهو هنا من ذلك . والخمال : واحدها خملة ، وهى العباءة ، وشبه الشملة يلتف بها .

(٢) قصرة : يريد مقصورات عليهم دون غيرهم من الناس ــ والسورة : الرفعة والشرف والمنزلة .

(٣) الموالى : الواحد مولى ، وهو لفظ مشترك أحد معانيه ــ وهو المراد هنا ــ : ألقريب من العصبة كالعم وابن العم ونحوهما .

فصل آخر في ذكر البيت

مما ينسب إلى المجنونِ قَيْسِ بن الملوّح[١] :

أَلا أَيُّها البيتُ الذى لا أَزُورُه ... وهِجْرَانُه منى إليه ذُنوبُ[٢]

هَجَرْتُكَ إشفاقًا ، وزُرْتُك خائِفًا ... وفيكَ علىَّ الدهرَ مِنْكَ رَقِيب[٣]

أَرَى أَهْلَكَ الأَدْنَيْن صارُوالناعِدَى ... وأَنت لنا سِلْمٌ وفيك حبيبُ

سأَسْتَعْتِبُ الأَيامَ فيكَ لعَلَّها ... بيومِ سُرورٍ فى الزمان تثُوبُ[٤]

فكم من بعيدِ الدار ساعَفَه الهَوى ... ومُنْقَطِعِ الأَسبابِ وهو قَرِيبُ !

ومما يُنْسَب إليه أيضا[٥] :

لعمْرُك إن البيتَ بالظَّاهِرِ[٦] الَّذِى ... مَرَرْتُ فلم أُلْمِمْ به لىَ شائِقُ

وإِنَّ مُرُورِى لا أُكَلِّمُ أَهْلَهُ ... أَشدُّ من المَوْتِ الذى أنا ذائِقُ[٧]

وبالجَزْعِ من أَعْلَى الجُنَيْنَةِ منزِلٌ ... فسِيحٌ شَجَا صَدْرِى به مُتَضَايِقُ[٨]

وما ذا عَسى الواشُونَ أَن يَتَحَدَّثُوا ... سِوَى أَن يقولوا : إِنَّنى لكِ عاشِقُ

---

(١) فى ديوانه /٥٢ والبيتان ٣ و ٥ لم يردا فى القصيدة .

(٢) فى ديوانه /٥٢ و ٥٥ « منى اليك »

(٣) كذا رواية الديوان /٥٢ وفيه ص ٥٥ ورد هكذا :

هجَرْتُكَ مُشْتَاقًا وزُرْتُكَ خائِفًا ... ومنِّى عَلَيْكَ الدّهرَ فيكَ رَقِيبُ

(٤) فى ديوانه ص-٥١ من قطعة أُخري وروايته «سَأَسْتَعْطِفُ ... فى هواكَ تَثُوبُ» .

(٥) فى ديوانه /٢٠٢ وقال محققه فى تخريجها : انها تنسب ايضا الى قيس بن معاذ ، وتوبة بن الحمير ، وابن ميادة ، وجميل بن معمر ، وفيها ما ينسب الى نصيب .

(٦) فى الديوان «بالقَبَلِ الذى ... ولَمْ أُلْمِمْ عليه لشائِقُ»

(٧) لم يرد فى الديوان .

(٨) الشطر الثانى فى الديوان «شَجَا حَزَنٍ صَدْرِي بهِ مُتَضَايِقُ» . وفى معجم البلدان : الجنينة : يقال : إنها روضة نجدية بين ضرية وبنى يربوع .

[٢١٠ ب]

أَجَلْ صَدَقَ الواشونَ أَنْتِ حبيبَةٌ ... إليَّ ،وإن لم تَصِفُ منكِ الخَلائقُ(١)

كأَنَّ على أنيابِها الخَمْرَ شابَها ... بماءِ النَّدَى من آخِرِ الليلِ غابِقُ(٢)

وما ذُقْتُه إلا بعيْنِى تَفرُّسًا ... كما شِيمَ من أعلى السحابَةِ بارِقُ(٣)

وقال آخر :

ألا أَيُّها البَيْتَانِ بالأَجْرَعِ الذى ... بأَسْفَلِ مفْضَاهُ غَضًى وكَثِيبُ(٤)

هجَرْتُكُما هَجْرَ الْبَغِيضِ ، وفيكما ... من الناس إنسانٌ إلىَّ حَبِيبُ

وقال آخر

وإنى على هِجْرانِ بَيْتِكِ كالذى ... رأى نَهَلاً رِيًّا وليس بناهِلِ(٥)

رأى بَرْدَ ماءٍ ذِيدَ عنهُ ورَوْضَةً ... برودَ الضُّحَى فينانةً(٦) بالأَصائلِ

وقال قيس بن ذَرِيح(٧) :

أَرى بيتَ لُبْنَى أَصْبح اليومَ يُهْجَرُ ... وهِجرانُ لُبْنَى -يالَكَ الخَيْرُ- مُنْكَرُ

فإن تَكُن الدُّنْيَا بلُبْنَى تقَلَّبت ... فلِلدَّهْرِ(٨) والدنيا بُطونٌ وأَظْهُرُ

أَتبكِى على لُبْنَى وأنتَ تركتَها ... وأَنتَ عليْها بالمَلا كنتَ تَقْدِرُ ؟!

---

(١) فى ديوانه « نعم صدق الواشون .. »

(٢) فى الديوان (... شَجَّها بماءِ سَحَابٍ آخِرَ اللَّيْلِ غابِقُ) والغابق : ساقى الشراب بالعشى

(٣) فى الاغانى (٢/٣٢ ط دار الكتب) «وما شمته» وفى هامشه (وما ذقته) رواية أحد الأصول ، ورواية الاغانى ايضا (فى أعـــلى السحابة) ومعنى شام السحاب والبرق شيما : نظر اليه أين يقصد ، وأين يمطر » ، وقال الأصفهانى - بعد ايرادها - ومن الناس من يروى هذه الأبيات (يعنى البيتين الأخيرين ومعهمـا بيت ثالث) لنصيب .

(٤) مفضاه : منتهاه وما يفضى اليه ، والغضى : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفىء .

(٥) النهل : أول الشرب ، والرى ، والناهل : الشارب ، أو الذى شرب حتى روى .

(٦) الفينانة ، الكثيرة الافنان ، يريد ناضرة ممرعة .

(٧) الأبيـات فى ديوانه (قيس ولبنى/٨٦ جمع وتحقيق حسين نصار) وتخريجها فيه ، ويقابلها من القصيدة الأبيات ١و٣و٢

(٨) فى الديوان « على فللدنيا .. »

[٢١١ ا] وقال كُثَيِّرٌ[1] :

ما بالُ ذا البيتِ الذى كنتَ آلِفًا أَنَارَكَ فيه بعد إِلْفِكَ نائِرُ[2]؟
تزورُ بُيُوتًا حولَه ما تُحِبُّها وتهْجُرُه ؟! سُقْيا لمن انتَ هاجِرُ

قال بعضهم[3] : حرجت [أنا[4]] والأحوصُ بنُ محمد الأنصارى مع عبدِ الله بن الحَسَن[5] إلى الحجّ ، فقلنا لعبدِ الله : لو أرسلتَ إلى سُلَيْمان بن أبى دُبَاكِل ، فأَنْشَدَنا من شعره؟ فأَرسل إليه ، فأَتانا ، فاستَنْشَدناه ، فأَنشَدَنا قصيدته التى أولها[6] :

يا بَيْتَ خَنْساءَ الذى أَتجَنَّبُ[7] ذهب الشبابُ[8] وحُبُّهَا لا يَذْهَبُ
أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصّدودَ وإنَّنى قَسَمًا إلَيْكَ مع الصّدودِ لأَجْنَبُ[9]
مالى أَحِنُّ إذا جمالُكِ قُرِّبت وأَصُدُّ عنْكِ وأَنتِ مِنِّىَ أَقْرَبُ[10]؟!
وأَرَى البعِيدَ[11] يُحِبُّكُمْ فأُحِبُّه إن كان يُنْسَبُ منكِ أَو يَتَنَسَّبُ[12]

---

(١) لم أجد هذين البيتين فى ديوان كثير ،والمعنى الذى تضمناه مما الم به كثير فى غير موضع من شعره ·

(٢) انارك : نفرك ، يقال : نار الظبية ، وانارها ، اذا نفرها .

(٣) هو عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر، والخبر والشعر وردا فى الأغانى (١٨/١٩٥ ط· بولاق) وخزانة الأدب (٢/٤٥ ط السلفية)

(٤) زيادة عن المصدرين السابقين ·

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه

(٦) هذه القصيدة أوردها السكرى فى شرح أشعار الهذليين (٢٠٥) منسوبة الى أبى ذؤيب ، وقال : « لم يعرفها الاصمعى ، قال خالد ، هى لرجل من خزاعة ، وقال زبير : هى لابن أبى دباكل » وبين مارواه السكرى والذى هنا اختلاف فى ترتيب الابيات ، وفى رواية بعضها ، والابيات ١و٣و٥ فى الزهرة /٥٧ من غير عزو .

(٧) فى شرح اشعار الهذليين : « يابيت دهماء » وما هنا يوافق الزهرة ·

(٨) فى خزانة الأدب والزهرة « الزمان » ·

(٩) لم يرد هذا البيت فى شرح أشعار الهذليين ·

(١٠) قال السكرى فى شرحه : « اكره ان يقول الناس فى وفيك وانت قريبة منى » .

(١١) فى الأغانى وشرح أشعار الهذليين « وأرى العدو يودكم » قال الميمنى : وأراه الصواب وفى الخزانة « وأرى الصديق يودكم · »

(١٢) فى الأغانى وشرح الهذليين (أو لاينسب) وما هنا يوافق روايه الخزانة ·

[٢١١ ب]

لِلَّهِ دَرُّكِ ؟ هل لديْكِ مُعَوَّلٌ ... لمُتَيَّمٍ (١) ، أَم هل لوُدِّكِ مَطْلَبُ

تبكي الحمامَةُ شَجْوَها فتَهِيجُني ... ويَرُوحُ عازِبُ هَمِّيَ المُتَأَوِّبُ (٢)

وتَهُبُّ جارِيَةُ الرياحِ من ارْضِكُم ... فأَرى البِلادَ لها تُطَلُّ وتُخْصِبُ (٣)

وأَرَى السَّمِيَّةَ باسْمِكُم فيَزِيدُني ... شَوْقًا إِليكِ سَمِيُّكِ المتنسِّبُ (٤)

وأُخَالِقُ (٥) الواشِينَ مِنْكِ تَجَمُّلًا ... وهُمُ عليَّ ذَوُو ضَغائِنَ دُرَّبُ (٦)

ثم اتَّخَذْتِهِم عليَّ ولِيجَةً ... حتى غَضِبْتِ ، ومثلُ ذلك يُغْضِبُ (٧)

قال : فلما كان من قابِلٍ حَجَّ أَبو بكرِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوان ، فقدِم المدينةَ ، فدخَلَ عليه الأَحْوَصُ ، فاستَصْحَبَه ، أَي طلب منه أَن يَصْحَبَه إِلى دِمشق ، فوعده أَبو بكر بذلك ، فلما خرَجَ الأَحوصُ قال له بعض جُلَسائِه : تَقْدَمُ بالأَحوصِ الشام ، وفيه من يُناسِبُك من بني أَبيك (٨) ، وهو من السَّفَهِ على ما قد عَلِمْتَ ؟ ، فلما أَراد أَبو بكر الرُّجُوعَ من الحجِّ ، دخلَ عليه الأَحوصُ مستنْجِزًا لما وعده من الصَّحابة ، فدعا له بمائةِ دينار ، وأَثواب ، وقال : ياخال إِني نَظَرْتُ فيما سأَلْتَني (٩) ، فكرِهْتُ أَن أَهْجُمَ بك على أَمير المؤمنين من غيرِ إِذْنٍ ، فَيَحْجُبَك ، فيَشْمَتَ بي

---

(١) في الهذليين « لمكلف » ومثله في الزهرة .

(٢) في الهذليين « تدعو الحمامه ... عازب شوقي » ، قال السكري : شجوها : حزنها ، وعازب شوقي : ما كان عزب فغاب : ويروح علي : يرجع ، والمتاوب : الذي يرجع بالليل .

(٣) في الخزانة « وتَهُبُّ سارِيَةُ ... فأَرَى البلادَ بها يُطَلُّ ويُجْنَبُ »
وما هنا يوافق الأغاني ، وفي اشعار الهذليين :

وأَرَى البلادَ إِذا سَكَنْتِ بغَيْرِها ... جَدْبًا وإِنْ كَانَتْ تُطَلُّ وتُخْصِبُ

وتَهِيجُ سارِيَةُ الرِّياحِ مِنِ ارْضِكُمْ ... فأَرَى الجَنابَ لها يُحَلُّ ويُجْنَبُ

وأرى البيت الذى هنا ملفقا منهما . ومعنى تطل : يصيبها الطل ، وهو المطر الخفيف ، والجناب ، ناحية القوم ، ويحل : ينزل ، ويجنب : يصيبه ريح الجنوب ، وهي أطيب الرياح بالحجاز .

(٤) في الخزانه « سميك المتغرب »

(٥) في الهذليين (وأصانع) وما هنا يوافق الاغاني والخزانة .

(٦) كذا في الأصل ، وفي الأغاني والخزانة والهذليين (دوب) وفسره السكرى فقال : اى بدأبون على ذلك .

(٧) لم يرد هذا البيت في شرح الهذليين ، ووليجه الرجل . بطانته ودخلاؤه وخاصته .

(٨) في الخزانة : « وفيها من ينفسك من بني ابيك » وهو يناسب قوله بعد : فيشمت بي عدوى من اهل بيتي »

(٩) في المصدر السابق « فيما ضمنت لك من الصحابة »

عَدُوِّى من أَهل بيتى ، ولكن خُذْ هذه الدنانيرَ والثيابَ ، وأنا استأْذِنُ لك أميرَ المؤمنين ، فإذا أذِنَ لك كَتَبْتُ إليكَ / فَقَدِمْتَ ، قال: لا ، ولكنِّى قد سُبِعْتُ[1] عندك ، ولا حاجةَ لى بعَطِيتِك ، [٢١٢ ا] ثم خرج من عنده ، وبلغَ ذلك أخاه عُمَرَ بنَ عبدِ العزيزِ ـ رضى الله عنه ـ وهو يَوْمئذٍ أميرُ المدينة فأَرسَلَ إلى الأَحْوَصِ ، فأتاه ، فلما دخَل عليه أعطاهُ مائةَ دينار ، وكساهُ ثيابًا فأخذ ذلك منه ، ثم قال له : يا خال هَبْ لى عِرْضَ أخى أبى بكر[2] ، قال : هو لك ، ثم خرج الأَحوصُ ، فقال فى عِراضِ قصيدةِ سُلَيْمَانَ بنِ أبى دُباكِل قصيدةً مدحَ بها عُمَرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، أوّلها[3] :

يا بيتَ عاتِكَةَ التى أتعَزَّلُ حَذَرَ العِدَى[4] ، وبه الفؤادُ مُوكَّلُ[5]
إنى لأَمْنَحُكَ الصدودَ وإنَّنى قَسَمًا إليكَ مع الصُّدُودِ لأَمْيَلُ[6]
هل عيشُنا بكَ فى زمانِك راجعٌ فلَقَدْ تفاحَشَ بعدَك المُتَعلِّلُ[7]
وتجنُّبِى بيتَ الحبيبِ أَوَدُّه أُرْضِى البغيضَ به حديثٌ مُعْضِلُ

---

(١) يقال : سبعة (من باب فتح) اذا طعن عليه وعابه وشتمه ، ووقع فيه بالقول القبيح

(٢) يسأله الا يقدم على هجوه ، والوارد هنا يوافق لفظ الخزانة ، وفى الاغانى « يا اخى هب لى عرض ابى بكر » قال الميمنى فى الخزانة : وهو الظاهر .

قلت : وليس كذلك ، لان عمر كان يدعوه خاله ، وفى ذلك يقول الاحوص ـ حين سيره الوليد بن عبد الملك الى دهلك ـ يخاطب عمر بن عبد العزيز :

وكَيْفَ تَرَى للنوْمِ طَعْمًا ولَذَّةً وخالُك أمْسَى مُوثَقًا فى الحَبائِلِ

(٣) القصيدة فى الأغانى (١٨/١٩٦ و١٩٧ط بولاق) وفى الخزانة (٢/٤٢ـ٤٧ ط السلفية) قطعة منها ، وفى الزهرة (١١٨ و ١١٩) خمسة أبيات منها

(٤) قال ابن ولاد فى المقصور والممدود/٨٢ :« العدى ـ بكسر أوله ونقصه ـ : الاعداء ، يقال: قوم عدى ، وعدى بالكسر والضم لغتان ، أى اعداء ، ويكتب بالياء لمكان الكسرة التى فى أوله».

(٥) فى الخزانة ان عاتكة المذكورة فى البيت، هى زوجة عبد الملك بن مروان ، وكان شديد المحبة لها ، وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ،واستبعد الميمنى (الخزانه ٢/٤٣ حاشية /١ ط السلفية) ان يجرؤ الاحوص على التشبيب بزوج الخليفة ، قال : فى اللآلى /٦٣ انها عاتكة بنت عبد الله بن معاوية بن ابى سفيان ، وكانت عند يزيد بن عبد الملك ، وأم يزيد هذا هى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، واراه الصواب ، غير أن عبدالله بن معاوية لم يعقب ، كما ورد فى المعارف (١٠٥ ط المانيا) فالصواب كما فى الأغانى (١٨/١٩٧) أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . وانظر أيضا أمالى المرتضى ١/١٣٥ حاشية (٢)

(٦) فى أمالى المرتضى ١/١٣٥ عن ابن شبة قال : حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار للمجوس ـ بعد ان اسلم ـ فلمحه وتمثل : يابيت عاتكة ٠٠ » وأورد البيتين : الأول والثانى من القصيدة ، ورواية الزهرة « أصبحت أمنحك ٠٠ »

(٧) فى الأغانى والخزانة والزهرة « فلقد تفحش ٠٠ » وهو من فحش الشىء فحشا ، مثل قبح زنا ومعنى ، والمتعلل : المتلهى بالشىء ٠

ولئن صَدَدْتُ لأنْتَ - لولا رِقْبَتى - أهْوَى من اللائِى أزورُ وأدْخُلُ[1]

أين الشبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذى كُنَّا به زَمَنًا نُسَرُّ ونَجْذَلُ[2]

ذهَبَتْ بشاشَتُه وأصبح ذِكْرُه حَزَنًا يُعَلُّ به الفُؤادُ ويُنْهَلُ[3]

إلا تَذَكُّرَ ما مضَى وصَبَابَةً مُنِيَتْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ لا يَذْهَلُ

[٢١٢ب]

أودَى الشبابُ وأخْلَفَتْ أيامُه وأنا الحزينُ على الشبابِ المُعْوِلُ

والقصيدةُ طويلةٌ ، ثم خرج فيها إلى مدحِ عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - وشكرِه ، ثم ختمها بقوله :

وأراك تفعَلُ ماتقُولُ ، وبعضُهم مَذِقُ اللِّسانِ[4] يقولُ مالا يَفْعَلُ

وأرى المَدِينَةَ حين صِرْتَ أميرَها أَمِنَ البرىءُ بها ، ونامَ الأَعْزَلُ[5]

فلما أنشدها قال عُمَر - رضى الله عنه - : ما أراكَ أعْفَيْتَنِى مما استَعْفَيْتُك منه ؛ ذلك أنه مدح عُمَر ، وعرَّض[6] بأخيهِ أبى بكر .

وقال الأَحْوَصُ ، وهو عبد الله بنُ مُحمد بنِ عبدِ الله بنِ عاصِمِ بنِ ثابتِ بن أبى الأَقْلَح[7] :

---

(١) لولا رقبتى : هو من المراقبة بمعنى الخوف ، وفى الخزانة « أشهى من اللائى » وهو أحسن .

(٢) اللذ : اللذيذ ، وصف بالمصدر ، ونجذل : من جذل كفرح وزنا ومعنى .

(٣) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، يقال : شرب عللا بعد نهل ، استعاره للحزن .

(٤) فى الأغانى والخزانة « مذق الحديث » وفى اللسان : رجل مذاق : كذوب ، ورجل مذق (بوزن كتف) ملول ، وفى الصحاح غير مخلص .

(٥) الأعزل من الناس : من لاسلاح معه .

(٦) يشير الى قوله فى القصيدة ، وهو واضح فى التعريض بأبى بكر :

وَوَعَدْتَنِى فى حاجَتِى فَصَدقْتَنِى وَوَفَيْتَ إذْ كَذَبُوا الْحَدِيثَ وَبَدَّلُوا

ولقَدْ بَدَأْتُ أُرِيدُ وُد مَعَاشِرٍ وعَدُوا مَوَاعِدَ أُخْلِفَتْ إذْ حَصَّلُوا

حتى إذا رَجَعَ اليَقِينُ مَطَامِعِى يَأْسًا ، وأَخْلَفَنِى الذينَ أُؤَمِّلُ

زايَلْتُ ما صَنَعُوا إلَيْكَ بِرِحْلَةٍ عَجْلَى ، وعِنْدَكَ منهُمُ المُتَحَوَّلُ .

(٧) تتمة نسبه ، كما فى الأغانى (٤/٢٢٤ ط دارا لكتب) « .. واسم أبى الاقلح قيس بن عصيمة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس » .

أدورُ ، ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ بأبْياتِكم مادُرْتُ حيثُ أدورُ[1]

وما كنتُ زوّارًا ، ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لابد أنْ سيزُورُ[2]

أزورُ على أن لَيْسَ ينفَكُّ [3] ـ كُلَّما أتيتُ ـ عدُوٌّ بالبنانِ يُشِيرُ

فقد أنكرَتْ بعد اعترافِ زيارتِي وقد وَغِرتْ فيها علَيَّ صُدورُ[4]

[٢١٣ ا] وقال أيضا[5] :

وإنّى لآتِي البيْتَ ما إن أُحِبُّه وأُكثِرُ هَجْر البيتِ وهو حبِيبُ

وأُغضِي على أشياء منك[6] تَسُوءُنِي وأُدْعى إلى ما سرَّكُم فأُجِيبُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومىّ[7] :

ولهُنَّ بالبيتِ العتِيق لُبانَةٌ والرُّكْنُ يعرِفُهُن او يتَكلَّمُ

---

(١) البيتان : ١و٢ أوردهما الاصفهـــانى فى الاغانى (٤/٢٤٧) منسوبين الى الاحوص وفى (الجزء ٦/٢٥٤) ذكر أخبار الأحوص مع أم جعفر ، وأورد الأبيات الأربعة ، وزاد عليها بيتين هما :

لقَدْ مَنعَتْ مَعْرُوفَهَا أمُّ جَعْفَرٍ وإنّي إلى مَعْرُوفِها لَفَقِيرُ

أزُورُ البُيوتَ اللَّاصِقَاتِ بِبَيْتِهَا وقَلْبِى إلىِ الْبَيْتِ الذى لا أزُورُ

قال الاصفهانى : وأم جعفر هذه امرأة من الانصار من بنى خطمــة ، وهى أم جعفـــر بنت عبد الله بن عرفطة بن قتادة من الأوس ، وللأحوص فيها أشعار كثيرة .

(٢) وهذا البيت ترتيبه فى الأغانى بعد الذى يليه هنا .

(٣) فى الأغانى : عَلَى أنْ لَسْتُ أنْفكُّ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَدُوًّا .

(٤) يقال : وغر صدره على فلان ، اذا تسعر عليه حنقا ، ووغر فلان : امتلأ غيظا وحقدا .

(٥) البيتان فى الأغانى (٦/٢٥٦ ط دار الكتب) من قصيدة أوردها الأصفانى فى اخبار الأحوص مع أم جعفر ، ويقابلهما من القصيدة البيتان ٢ و ٣ .

(٦) فى الأغانى (منكم) ومعنى اغضى : اسكت واصبر .

(٧) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان عمر ، وله فى ديوانه /٣٤٨ (ط بيروت من هذا الروى فى بحر الكامل قصيدة واحدة مطلعها :

يا صاحِ قُلْ للرَّبْعِ هَلْ يَتَكَلَّمُ فيُبِينُ عَمَّا سِيلَ أو يَسْتَعْجِمُ

وفى الموشح (٢١١ و ٢١٢ ط السلفيه) وذيل الأمالى /١٢٦ (ط بولاق) وردت هــذه الأبيات منسوبه لعروة بن اذينة وهى ثمانيـــة أولها :

وَلَقَد وَقَفْتُ على الدّيَار لَعَلَّهَا بِجَوَابِ رَجْعِ تَحِيَّةٍ تَتكلَّمُ

والوارد هنا يقابله فى ترتيب القصيدة برواية ذيل الأمالى الأبيات (٥و٦و٢و٣و٧) .

لو كان حَيًّا قبلهُن ظعائِناً (١) حيًّا الحطيمُ وجوهَهُن وزَمْزَمُ

لبثُوا ثلاثَ مِنى بأنْعَمِ عيشَةٍ وهُمُ على سفرٍ لعَمْرُكَ ماهُمُ (٢)

مُتَجاوِرِين بغيرِ دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ رحيلُهم لم ينْدمُوا

وكأنَّهُنَّ وقد حَسَرْنَ لَوَاغِبًا بيضٌ بأَكْنافِ الحَطِيمِ مُرَكَّمُ (٣)

وقال يزيد بن الطَّثَرِيَّة (٤) :

ألا أيُّهَا البيتُ الذى أنا هاجِرُهْ وإنى بتِلْماحٍ من الطَّرْفِ ناظِرُهْ (٥)

لَهِنَّكَ من بَيْت إلى لَمُونِقٌ وآنَقُ فى عيْنِي من البيتِ عامِرُهْ (٦)

أَصُدُّ حَيَاءً أن يلِجَّ بِى الهَوَى وأنتَ المُنَى لولا عدُوٌّ أحاذِرُهْ

وفيكَ حبيبُ النفسِ لونَسْتَطِيعُه لماتَ الهوى والشوقُ حين نُجاوِرُه [٢١٣ب]

فإن يكن الأعْداءُ أحْمَوْا كلامه علَيْنا ، فلما تُحْمَ عنَّا مَناظِرُهْ (٧)

أتَهْجُرُ بيتًا بالحِجازِ تَلَعَّبت به الحربُ ،والأعداءُ ،أم أنتَ زائِرُهْ ؟(٨)

---

(١) فى الأصل « ضعائنا » والمثبت من المصدر السابق ، والظعائن : النساء فى الهوادج .

(٢) رواية البيت فى المصدر السابق هى :

لَبِثُوا ثَلَاثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وهُمُ عَلَى عَمَلٍ لعَمْرُكَ ما هُمُ !

(٣) فى الموشح / ٢١٢ (برزن كواعبا) ورواية ذيل الامالى :

« وكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ بَرَزْنَ لَوَاغِبًا بَيْضٌ بِأَفْنِيَةِ المُقامِ مُرَكَّمُ

واللواغب : جمع اللاغبة : المعيية أشد الاعياء . والمركم : الملقى بعضه فوق بعض .

(٤) انظر فى نسبه وأخباره الاغانى (٨/٥٥ ١ــ١٨٥ ط دار الكتب) وهو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير والبيتان (٨ و ٩) منسوبان اليه فى الزهرة/٣٠٨ .

(٥) أورد الأصفهانى فى الأغانى ٨/١٨٤ ليزيد بن الطثرية أبياتا من هذا البحر والروى وأولها :

بنَفْسِيَ مَنْ لابدَّ أنِّيَ هاجِرُهْ وَمَنْ أنا فى المَيْسُورِ والعُسْرِ ذاكِرُهْ

وتلماح : تفعال من اللمح ، وهو مــد البصر ، وتصويبه الى الشيء .

(٦) فى اللسان (لهن) قال الجوهرى : لهنك : كلمة تستعمل فى التوكيد ، وأصله لأنك ، فأبدلت الهمزة هاء ، وفيه عن الكسائى فى مثله : أراد الله انك فحــذف اللام الأولى من الله والألف من أنك .

(٧) أحموا كلامه : منعوه (٨) تلعبت به : لعبت به مرة بعد أخرى .

فإن آتِهِ لا أنجُ إلا بظِنَّةٍ وإن يأتِه غيرى تُنَطْ بى جَرائِرُه(١)
ومستَخْبِرٍ عنها ، ليعْلَم ماالَّذِى لها فى فؤادِى ، ودَّ أنى أحاوِرُهْ(٢)
تَرَكْتُ على عمياءِ ظَنٍّ ولم أكُنْ إذا ما وشَى واشٍ بليْلَى أُناظِرُهْ(٣)

وقال آخر :

أمُرُّ مُجَنَّبًا عن بيتِ لَيْلَى ولم أُلمِمْ به وبى الغَليلُ(٤)
أمُرُّ مُجَنَّبًا وهوايَ فيه وطَرْفى عنه مُنْكسِرٌ كَليلُ
وقلْبِى فيه مُرْتَهَنٌ فهل لى إلى قلبى ومالكِه سبيلُ؟!(٥)
فآمُلُ أنْ أُعلَّ بشُربِ لَيْلَى ولم أنْهَلْ فكيفَ لى العُلولُ؟(٦)

وقال آخر :

وإنى وإن لم آتِ أبْياتَ بَحْدَلٍ إلى أمِّ يَحْيى مِنْ مَدى العيْنِ ناظِرُ
بنَفْسِيَ مَجْرَى الطَّوْقِ منها وحبَّذَا إلينا غِشاشًا طَرْفُها المُتَشازِرُ(٧)

[٢١٤ أ] وقال أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيّ ، واسمه خُوَيْلِدُ بنُ [خالد بن] مُحرِّث(٨) :

---

(١) الظنة . التهمة ، ويقال : نيط به الشيء: وصل به ، اراد تنسب الى ، جرائره : واحدها جريرة ، وهى الجناية والذنب .
(٢) احاوره : اجاوبه ، والمحاورة : رد الجواب
(٣) على عمياء ظن : يريد تركته على جهالته ،ومعنى أناظره : أراه نظيرا لى ، أو أحاجه وأباحثه والشطر الأول في الزهرة (وَرَدْتُ بهِ عَمْيَاءَ مِنْهَا وَلَمْ أكُنْ) .
(٤) مرتهن : محتبس . (٥) مجنبا : مبتعدا
(٦) العلل : الشرب بعد الشرب ، والنهل : الشرب الأول .
(٧) الغشاش (بكسر الغين وتفتح) أول الظلمة وآخرها ، والوقت عند الغروب ومن معانيه أيضا العجلة ، والمتشازر ، من الشزر وهو نظر فيه اعراض ، أو نظر الغضبان بمؤخر عينه .
(٨) انظر فى ترجمته وأخباره الأغانى ٦/٦٣ (ط بولاق) ومعاهد التنصيص ٢٥٦ وما بعدها (ط بولاق) والمفضليات ٢/٢١٩ (ط المعارف٩٤٢) وسمط اللآلى /٤٤٩ ، وفى المفضليات ان اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم وقد اورد المصنف اسمه صحيحا فى ص ٢٢٤ أ ، وهو احد المخضرمين ، ادرك الاسلام فحسن أسلامه ، وقد وردت هذه الابيات فى شرح ديوان الهذليين ١/١٤٠ وما بعدها ، وهى من قصيدة له مطلعها .

أَسَاءَلْتَ رَسْمَ الدّارِ أَمْ لَمْ تُسائِلِ عَنِ السَّكْنِ أَمْ عَنْ عَهْدِهِ بالأَوَائِلِ ؟!
ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات : (٩و٥و٢٢و٢١)

لعمرى لأَنتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهلَه   وأَقْعُدُ فى أَفْيائِهِ بالأَصائِلِ[1]

وإنَّ حدِيثًا منكِ لو تَبْذُلِينَه   جَنَى النَّحْلِ فى أَلْبانِ عُوذ مطَافِلِ[2]

فتلكَ التى لا يُذْهِبُ الدهرُ حُبَّها   ولا ذِكْرَها ما أَرْزَمَتْ أُمٌّ حائِلِ[3]

ولو أن ما عند ابنِ بُجْرةَ عندَها   من الخَمْرِ لم تَبْلُلْ لَهَاتِى بناطِلِ[4]

وقال آخر :

ألا يابيتُ بالعَلْياء بيْتُ   ولولَا حُبُّ أَهْلِكَ ما أَتيْتُ[5]

ألا يا بيْتُ أهلُك أَوْعَدُونِى   كأَنِّى كلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

وقال أبو العَلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّىّ[6] :

أَيا جارةَ البيتِ المُمَنَّعِ جارُه   رَحَلتُ ومَنْ لى عندَكُم بمَقِيلِ[7]؟!

نسيتِ مكانَ العِقْدِ من دَهَشِ النَّوَى   وعَلَّقْتِه فى وَجْنَةٍ ومسيلِ[8]

وأرسلتِ طَيْفًا خانَ لما بَعثْتِه   فلا تَثِقِى من بعدِه برَسُولِ

---

(١) الأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها ، والأفياء جمع فىء وهو الظل .

(٢) العوذ : الحديثات النتاج الواحدة عائذ، والمطافل : الصغار الأطفال الواحدة مطفل يريد ان لبن الابكار أطيب .

(٣) فى شرح الهذليين «فتِلْكَ التى لايَبْرَحُ الْقَلْبَ حُبُّهَا» وأَرزمت : حنت وصوتت ، والحائل : ولدها ، يقال لولد الناقة أول ما تضعه ان كان أنثى حائل ، وان كان ذكرا سقب .

(٤) ابن بجرة : خمار كان بالطائف ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق – والناطل : مكيال صغير ، أو كوب يكال به الخمر ، وقيل : الناطل الشىء ، وقيل : الجرعة من اللبن أو الماء أو النبيذ .

(٥) أنشده فى اللسان (بيت) عن أبى العميثل ، استشهد به على أن كلمة « بيت » الثانية كناية عن الزوجة ، وفسره بقوله « أراد لى بالعلياء بيت » والعرب تكنى عن المرأة بالبيت .

(٦) الأبيات فى سقط الزند (٢/١٩) من قصيدة مطلعها :

أَسَالَتْ أَتِىَّ الدَّمْعِ فوقَ أَسِيلِ   ومالتْ لِظِلٍّ بالعِراق ظَلِيلِ

(٧) فى سقط الزند (غدوت ومن لى ..) وجارة البيت : امرأته المجاورة فى بيته ، والمقيل: مصدر كالقيلولة بمعنى النوم عند الظهيرة

(٨) سقط الزند (فعلقته .. بمسيل) وتفسيره : أن الدموع المسفوحة على الخد تشبه باللآلىء ، ولما رأى تقاطر دموعها على خدها على نسق وولاء شبهها بالعقد المنظوم ، وقال : لعلها من دهش الفراق نسيت ان موضع العقد هو الجيد فعلقت العقد حيث تجرى الدموع من وجنتيها .

أسرتِ أخانَا بالخِداع وإنَّه يُعَدُّ إذا اشتدَّ الوَغَى بِقَبِيلِ[1]
فإن تُطْلِقِيهِ تَرْتَجِي شُكْرَ قَوْمِه وإن تَقْتُلِيهِ تُؤْخَذِي بقَتِيلِ[2]
وإنْ عاشَ لاقَى ذِلَّةً ، واختيارُه وفاةُ عَزِيزٍ ، لاحياةُ ذَلِيلِ[3]

[٢١٤ب] وقال أبو نُواس[4] :

أجارةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غَيُورُ ومَيْسُورُ مايُرْجَى لديكِ عَسِيرُ[5]
فإن كُنْتِ لاخِلْمًا ولا أنت زَوْجَةٌ فلا برِحَتْ دُونى عليكِ سُتُورُ[6]
وجاوَرْتُ قومًا لا تَجاوُرَ بينَهُمْ ولا وَصْلَ إلا أن يَكُونَ نُشُورُ[7]

يقول فيها[8] :

تقول التى من بيتها خَفَّ مَرْكَبِى عزيزٌ علينا أن نَراكَ تَسيرُ
أما دُونَ مِصْرٍ للغِنى مُتَطَلَّبٌ؟! بلَى إنَّ أسبابَ الغِنَى لكَثِيرُ
فقلتُ لها - واستَعْجَلَتْها بوادِرٌ جَرَتْ فجرَى فى جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ - :
ذَرِينى أُكَثِّرْ حاسِدِيكِ برِحْلَةٍ إلى بَلَدٍ فيه الخَصِيبُ أميرُ
إذا لم تَزُرْ أرضَ الخَصِيبِ رِكابُنا فأَىُّ فتى بعد الخَصِيبِ تزُورُ؟!
فَتى يَشْتَرِى حُسْنَ الثَّناءِ بمالِه ويَعْلَمُ أنَّ الدّائِراتِ تَدُورُ

---

(١) اخانا : يعنى نفسه ، والقبيل : الجماعة من قوم شتى ، وقال الراغب : القبيل : جمع قبيلة ، وهى الجماعه المجتمعه .

(٢) فى سقط الزند « تملكى شكر قومه »

(٣) المعنى : أن لم تطلقيه ولم تقتليه عاش ذليلا ، وهو يختار الموت فى العز ، على الحياة فى الذل .

(٤) الأبيات فى ديوانه / ٤٨٠ وهى مقدمة قصيدته التى يمدح بها الخصيب وهى من اولها على الترتيب .

(٥) الميسور : ما يسر ، وقال سيبويه : هو من المصادر التى جاءت على مفعول ، ونظيره المعسور .

(٦) الخلم : الصديق .

(٧) يدعو على نفسه بالموت اذا كان بهذه المثابة والمشهور فى الرواية « لا تزاور بينهم » .

(٨) الأبيات التالية ترتيبها من القصيدة برواية الديوان من ١٠-١٥ على التوالى . والرواية هنا متفقة مع ما ورد فى الديوان .

[٢١٥ ا] روى الفَرَزْدَقُ[1] قال : أَبَقَ غلامان لرجل منّا ، فخرج فى طلبهما ، فلما صار فى ماءٍ لبنى حنيفة ارتَفَعتْ له حِلَّةٌ ، قال : [2]فعَدَلْتُ إلى بعضِ ديارهم ، وسألْتُ القِرَى[3] ، فأجابُوا ، فدخَلْتُ الدارَ ، وأَنَخْتُ النَّاقةَ ، وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جريدِ النَّخلِ ، وفى الدار جاريةٌ سوداء ، إذ دخلت جاريةٌ ، كأنَّها سبيكةُ فِضَّة ، فقالت للسوداء : لمن هذه الناقةُ؟ قالت : لضيفِكم ، فعدَلَتْ إلىَّ ، فسلَّمَتْ ، فردَدْتُ السلامَ ، وقالت : مَن الرَّجُلُ ؟ قلت : رجلٌ من بنى حَنْظَلَةَ ، قالت : من أيِّهم ؟ قلت : من بنى نَهْشَل ، فتبسَّمَت ، ثم قالت : أنت إذن ممن عناه الفَرَزْدَق بقوله[4] :

إنَّ الذى رَفَعَ السماءَ بنى لنا ... بَيْتًا دعائِمُه أعزُّ وأطْوَلُ[5]

بيتًا زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائِه ... ومُجاشِعٌ ، وأبو الفوارِسِ نَهْشَلُ[6]

فَضَحِكْتُ[7] ، فقالت : فإنَّ ابنَ المراغَة[8] قد نَقَض عليكم بيتَكُم هذا حَيْثُ يقول :

أخزَى الذى رَفَع السماءَ[9] مُجاشِعًا ... وبَنَى بناءَك بالحَضِيضِ الأَسْفَلِ

بَيْتًا يُتَمِّمُ[10] قَيْنُكُمْ بفِنائِه ... دنِسٌ مَقاعِدُه خَبِيثُ المَآكِلِ

---

(١) الخبر والشعر وردا فى معاهد التنصيص /٥٠ والزهرة (النصف الأول/١٦١) وروايته فيهما : « قال أبو مالك الرواية : انه سمع الفرزدق يقول ابق غلامان لرجل منا ... » وأورده صاحب مصارع العشاق/٧٧ بسنده يرفعه عن الفرزدق وفى عبارته اختلاف عن الوارد هنا ، ولفظه : « قال : أبق غلام لرجل من نهشل فخرجت فى طلبه أريد اليمامة وانا على ناقة لى عيساء ، فلما صرت على ماء لبنى حنيفة ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها، فعدلت الى بعض ديارهم ، فسألتهم القرى ... الخ » .

(٢) الحله : منزل القوم ، وجماعة البيوت .

(٣) القرى : ما يقدم للضيف ، والمراد هنا الضيافة .

(٤) البيتان من قصيدة للفرزدق ـ وهى احدى نقائضه مع جرير ـ النقائض / ١٨٢ (ط ليدن)

(٥) رواية النقائض (.. سمك السماء) ومعناهما واحد .

(٦) محتب : اسم فاعل من احتبى بثوبه ، اذا اشتمل به .

(٧) فى مصارع العشاق فى هذا الموضع (قلت : نعم ، قال : فضحكت)

(٨) تغنى جريرا ، وهذه كنيته ، والبيتان من النقيضة التى أجاب جرير بها ، وهى فى النقائض /٢١٣

(٩) فى النقائض (أخزى الذى سمك السماء) والحضيض : أسفل الجبل .

(١٠) كذا فى الأصل والذى فى النقائض والزهرة (يحمم) ومعناه يدخن فيه فيسوده ، والقين من معانيه : الحداد .

قال : فوَجَمْتُ ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت : لا عليك ، فإن الناس يقولون ويُقال لهم ، ثم قالت : أين تَوُمُّ ؟ قلت : اليمامة ، فَتَنَفَّست الصُّعَداءَ ، ثم قالت : [٢١٥ ب]

تذَكَّرُنى بِلادًا خيرُ أَهْلِى ... بها أَهْلُ المُرُوءَةِ والكَرَامَهْ

ألا فسَقى الإلهُ أَجَشَّ صَوْب ... يَسُحُّ بِدَرِّهِ بلدَ اليمامَهْ (١)

وحَيّا بالسّلامِ أبا نُجيْدٍ ... وقَلَّ له التَّحِيَّةُ والسلامَهْ

قال : فأَنِسْتُ بها ، وقلت : أخالِيَةٌ أم ذاتُ بعْلٍ ؟ فقالت (٢) :

إذا رَقَدَ النِّيامُ فإنَّ عَمْرًا ... تُؤرِّقه الهمومُ إلى الصباحِ

تُقَطِّعُ قلبَه الذِّكْرَى وقَلْبِى ... فلا هو بالخَلِيِّ ولا بِصاحِ

سقَى اللهُ اليَمَامَةَ دار قومٍ ... بها عَمْرٌو يحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : ومن عمرو؟ فأنشأَت تقول :

سأَلتَ ، ولو عَلِمْتَ بحالِ عمْرٍو ... ومَنْ لكَ بالجوابِ سوى الخَبِيرِ؟!

فإن تَكُ ما عَلِمْتَ ، فإنَّ عَمْرًا ... لكالقَمرِ المُضِىءِ المُسْتَنِيرِ

وما لِى بالتَّبَعُّلِ مُسْتراحٌ ... ولو رَدَّ التبعُّلُ لى أَسِيرِى (٣)

ثم سكتَتْ سكتةً ، كأنها تَسمَّعُ إلى كلام ، ثم تَهافَتَتْ ، وقالَتْ :

تُخَيَّلُ لى هَيا عَمْرُو بنُ كَعْبٍ ... كأنَّكَ قد حُمِلْتَ على السَّرير (٤)

---

(١) فى مصارع العشاق :

أَلا فَسَقَى المَلِيكُ أَجَشَّ جَوْبًا ... يَجُودُ بِسَحِّه تلك اليَمامَهْ

وفى الزهرة « يدر بسحه » وما هنا يوافق روايته فى معاهد التنصيص . الصوب : المطر ، والاجش : المصوت صوتا شديدا ، قال الاصمعى : السحاب الأجش : الشديد الصوت صوت الرعد والدرة فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضا ، وللسحاب درة ، أى صب واندفاق ، واليمامة : بلاد الجو وهى بلاد بنى حنيفة اكثر نخيلا من سائر الحجاز ، وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى دون المدينة فى وسط الشرق عن مكة على ستة عشر مرحلة من البصرة ، وتبعد عن الكوفة نحوها .

(٢) الأبيات الثلاثة التالية لم ترد فى الخبر فى مصارع العشاق ، وهى واردة فى معاهد التنصيص والزهرة كروايتها هنا .

(٣) تبعلت المرأة : اذا أطاعت زوجها واذا تزينت له واحسنت مصاحبته فى الزوجية

(٤) السرير معناه هنا : النعش .

[٢١٦ أ]

فإنْ تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنِّى مُبَكِّرَةٌ عليكَ إلى القُبورِ

ثم شَهَقَتْ شَهْقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً ، فقلتُ : من هذه؟ قالوا : هذه عقيلةُ بنتُ الضَّحَّاكِ (١) ابنِ عَمْرِو بنِ مُحَرِّقِ بن النُّعمانِ بنِ المُنْذِرِ بن ماءِ السماءِ ، فقلتُ لهم : ومن عمرُو هذا ؟ قالوا :ابنُ عمِّها ، عمرُو بنُ كعب [بن عمرو] بن محرِّق ، قال : فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت اليمامة ، سألت عن عمرو، فإذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت .

قال مَهيار (٢) .

اسْتَوْدِعُ اللهَ فى أَبياتِكُمْ قَمَرًا تراه بالشَّوْقِ عَيْنِى ، وهو مَحْجُوبُ

أَرْضَاهُ (٣) أَسْخَطَ. أَو أَرضَى تَلَوُّنُه وكُلّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ (٤)

وقال البحترى (٥)

مقام الفَتَى فى الحىِّ حيًّا مُسَلِّما معافىً مقامُ ذِلَّةٍ بالفتى يُزْرِى

[٢١٦ ب]

متى ماتَنَمْ فى ظل بيتِك عاجزا تُصِبْكَ خطوبُ الدهر بالنابِ والظفرِ (٦)

وقال أَبو العلاءِ [أَحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّى :

لَزِمْتُ بيتًا بَناه الجَدُّ من مَدَرٍ (٧) كأَنَّه بيتُ شِعْرٍ ليس يتَّزِنُ

---

(١) فى مصارع العشاق« بنت النجاد بن النعمان بن المنذر » ويبعد أن يكون هذا نسبها ، لأنها تكون جاهلية ، والفرزدق أموى ، وما هنا يوافق معاهد التنصيص ، وهو أولى بالقبول .

(٢) البيتان فى ديوانه ١/ ٢٤ من قصيدة كتب بها الى أبى الحسن الهمانى فى عيد النحر، ومطلعها :

اسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ فِيكُمْ وهو مغْلُوبُ وأَسْأَلُ النَّوْمَ عَنْكُمْ وهو مَسْلُوبُ

(٣) فى الديوان « أرضى وأسخط » (٤) أورد المصنف بعد بيتى مهيار البيتين « لله أبيات اذا أوطنتها ... » وكتب أمامهما كلمة « مكرر » وقد تقدم ايراد البيتين / ٢٠٨ أ

(٥) البيتان فى ديوانه/ ١٠٨١ (ط دار المعارف بتحقيق الصيرفى) من قصيدة له فى الفخر ، مطلعها

لَدُنْ هَجرَتْهُ زَحْزَحَتْهُ عَنِ الصَّبْرِ سَوَاءٌ عليهِ المَوْتُ أَو لَوْعَةُ الهَجْرِ

(٦) الديوان :

وَمَهْمَا تَنَمْ فى ظِلِّ بَيْتِكَ عاجزًا تُصِبْكَ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لاتَدْرِى

وأَشار محققه إلى رواية بعض الأُصول (تُصِبْكَ خُطُوبُ الدّهرِ بالنّابِ والظُّفْرِ) .

(٧) المدر : الطين اللزج المتماسك

إذا شَتَوْتُ فمن تَوْكافِه عَنَتِى — وبالحَرُورِ إذا ما صِفْتُ يقْتَرِنُ [1]
عُدْمٌ فحَسْبِى ، وعينٌ غيرُ مُبْصِرَةٍ — وشِقْوَةٌ وحَلِيفُ الشِّقْوةِ اليَفَنُ [2]
لولا القَناعةُ جَاءتْنِى بِمَمْلكَةٍ — لَهُتِّكَتْ دونَى الأَسْتَارُ والْجُنَنُ [3]

وقال آخر :

وليلةٍ واكفٍ لا نومَ فيها — سَهِرتُ بها إلى الصبحِ الفَتِيقِ
تَرِقُّ قلوبُ جيرتِنا علينا — إذا نَظَرُوا إلى الغَيْمِ الرقيقِ
حمانِى [4] النومَ فيه سَقْفُ بيت — كأَنَّ سماءه عَيْنُ المَشُوقِ
تواصَلَت السحائِبُ وهو بيتٌ — وصَدَّتْ وهو قارعَةُ الطَّرِيقِ

وقال آخر :

وبيتٍ تساوَى والغَمام وإنَّه — لأَغزَرُ منها دَمْعَةً حين تَنْزِفُ
إذا السُّحْبُ عنه أقْلَعَتْ فلوكَفْهِ — سحابٌ هَتُونٌ ماؤها ليس يَنْزِفُ [5]
فثَوْبِىَ من تَوْكافِ أسودِ سقْفِهِ — وتُرْبَتِه الحمراء بُرْدٌ مُفَوَّفُ [6]
فدَعْهُ ، ونَمْ تحتَ السَّحابِ فإنهُ — سحابٌ ولكن صيِّبُ الجو أنْظَفُ [7]

وقال آخر :

بيتى سُتورُ العنْكَبُوتِ سُتُورُه — ومطارِحُ الغَبْرَاءِ فيه مَطَارِحِى [8]
وإذا أَصابتْهُ السماءُ بطَلِّها — فسماؤُه تَهْمِى بوَكْفٍ سافِحِ [9]

---

(١) توكافه : مصدر وكف البيت ، اذاهطل وقطر ، والعنت · المشقة ، والحرور من معانيه : الحر الدائم ، والنار ، ولعله أراد الثانى لقصد المبالغة

(٢) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .

(٣) الجنن ، واحدة جنة ، وهو السترة . وكل ما وقى من سلاح وغيره .

(٤) حمانى : منعنى

(٥) الهتون : الكثير القطر ، ينزف : ينفد وينقطع .

(٦) البرد : كساء يلتحف به ، المفوف : الرقيق المخطط .

(٧) الصيب : المطر ، وقيل هو السحاب .

(٨) المطارح : الواحد مطرح ، ومن معانيه المجلس والمسكن ونحوهما .

(٩) الطل : المطر الخفيف ، تهمى : تصب ، والسافح : المنصب

[١٢١٧]

وكأنّنى من ضيقهِ وظلامِه ميْتٌ دفينٌ فى ثرًى وصفائحِ (١)

وقال آخر :

العنكبوتُ بَنَتْ بَيْتًا على وهنٍ تأْوِى إليهِ ومالى مِثلها وَطَنُ (٢)

والخُنْفُساءُ لها من حُشِّها سَكَنٌ وليْسَ لى مثلها إلْفٌ ولا سَكَنُ (٣)

وقال آخر :

إذا نحنُ جئْنَا للسلامِ ورُفِّعتْ سُتُورُكَ ، فانْظُرْ ما به أناخَارِجُ

فسيّان بَيْتُ العَنْكَبُوت وجَوْسَقٌ (٤) على الشطِّ مالم تُقْضَ فيه الحَوائِجُ

[٢١٧ب]

وقال أبو القاسم أسعد بن إبراهيم ، وتروى لابن الشقّاق :

رأيْتُ لِيُوسُفَ فى بيتِه - فَخَرَّبَهُ اللهُ بينَ البُيُوتْ -

حصِيرَ صَلاة علاه الغُبا ر ، وقد نَسَجَتْ فوقَه العنْكَبُوتْ

فقلتُ له : كم لهذا الحصـ ـيرِ ، وكم لك لم تَقْرِ فيهِ القُنُوتْ ؟ (٥)

فقال : هُنالِك أَلْفَيْتُه وثَمَّ يَدُومُ إلى أنْ أَمُوتْ

وقال آخر :

لما رَأيْتُ الزمَانَ نِكْسا وليس فى أهلِه انتفاعُ (٦)

لزِمْتُ بيتى وصُنْتُ نفسَا لها عن الذِّلَّةِ امْتِنَاعُ

أَشْرَبُ مما اقْتَنَيْتُ راحًا لها على راحتِى شُعاعُ (٧)

---

(١) الصفائح : الحجارة العريضة ، كنى بذلك عن القبر .

(٢) الوهن : الضعف (٣) الحش ، معناه هنا : الكنيف .

(٤) الجوسق (فارسى معرب أصله كوشك) : القصر ، ومن معانيه أيضا الخص .

(٥) لم تقر : اراد لم تقرأ ، فخفف ، والقنوت : أصله لزوم الطاعة والخضوع ، والاشتغال بالعبادة ، والدعاء فى الصلاة ، وهو المراد هنا .

(٦) النكس معناه هنا المقصر عن الكرم والنجدة .

(٧) الراح : الخمر ، والراحة : باطن الكف ، وكنت احفظ صدر هذا البيت :

« أَشْرَبُ مِمّا اقتنيت كَأْسًا » وهو بشعر الحريرى أشبه .

لى من قَوارِيرِها نَدامَى ومن قواقِيزِها سماعُ [1]
وأَجْتنِى من ثِمَارِ قَوْمٍ قد أُوحِشَتْ منهم الرِّباعُ

قال الأحنف بن قيس : جِزْيَةُ المُسلمِ كِرَى [2] بَيْتِه ، وذُلّ رَقَبَتِه ، وعذابُ الرجلِ سوءُ خُلُقِ امْرَأَتِه .

[٢١٨ ا] وقال آخر :

وبيتٍ خلا من كُلِّ خيرٍ عَلِمْتُه وضاقَ علينا وهو رَحْبُ المَسَاكِنِ
كأَنّا مع الجُدْرَانِ فى جَنَبَاتِه دُمًى ، فى انقطاعِ الرزْقِ لافى المحاسِنِ

وقال ابن المِرْعِزّى النَّصْرانى :

نزلتُ فى آلِ مكْحُولٍ ، وضَيْفُهُم كنازِلٍ بينَ سَمْعِ الأَرْضِ والبصرِ
لا تَسْتَضِىءُ بضوءٍ فى بُيوتِهِمْ إن لم يَكُنْ لكَ تَطْفِيلٌ على القَمَرِ

وقال آخر :

يريدُ إهالُ النَّحْضَ ، والنَّحْضُ مُعْوِزٌ وليس لنا نَابٌ يُكَبُّ ولا بَكْرُ [3]
ولا ضَأْنَ يُغْنِينَا ، ولا ماعِزٌ لنا ويَقْبُحُ أن يُشْكَى إلى جارِنا الفَقْرُ
ونحن أناسٌ مُنْفِضُون بمَعْزِلٍ عن الخيرِ ، لابُرٌّ لدينا ، ولاتَمْرُ [4]

---

(١) القوارير واحدها قارورة : وعاء من زجاج تحفظ فيه السوائل كالخمر ونحوها ، والقواقيز جمع قاقوزة ، وهى أوان يشرب بها الخمر ، قال الأقيشر .

أَفْنَى تِلادِى ، وما جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرْعُ القَوَاقِيزِ أَفْوَاهُ الأَبارِيقِ

(٢) كذا فى الأصل ، والذى فى كتب اللغة الكراء ، وهو أجر المستاجر ، والمصدر من اكرى اكراء ، وفى المقصور والممدود/١٠٨ الكـراء : مصدر كارينه .

(٣) النحض : اللحم ، والقطعة الضـخمة منه تسمى نحضة ، والناب : الناقة المسنة ، يكب يعقر ، يقال : كب فلان البعير ، اذا عقره ومنه :

يَكُبُّونَ البِشَارَ لمَنْ أَتاهُمُ إذا لم تُسْكِتِ المائةُ الوَلِيدا

والبكر : ولد الناقة ، أو الفتى منها .

(٤) منفضون : فنى زادهم ، ويقال : انفض القوم ، اذا نفد طعامهم

ولو كان فى الأَرضِ العريضةِ نابِتٌ (١) رَعَيْنا ، ولكن لانَباتٌ ولا قَطْرُ
فدونَكِ هذا البَيْتَ فاشْتَرِي به وأَسْتَرُ منه - إن رضِيتِ به - القَبْرُ

روى أن رَجُلًا تعاهد هو وامرأتُه : أَيُّهما مات لا يَتَزَوَجُ الآخرُ بعده ، فمات الرجل ، [٢١٨ب]
فلما أَوْفَت الإِمْرَأَة (٢) العِدَّة ، خُطِبَتْ ، فامْتَنَعَتْ ، فما زِلْنَ (٣) بها النساءُ يسهِّلْنَ عليها الأَمر ، ويُبشِرْن عليها بالزواج ، حتى أَجابَتْ ، وحُمِلَ إليها الصداقُ ، فرأَت قبل دخولها بليلة كأَنَّ زوجَها قد وقَفَ ببابها ، ومد يَدَيْهِ ، فأَخَذَ عِضَادَتَي (٤) الباب ، وقال :

حَيَّيْتُ ساكنَ هذا البَيْتِ كُلَّهم إلا الرَّبابَ ، فإِنِّي لا أُحَيِّيها
اسْتَبْدَلَتْ بدَلًا مني ، فَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ القبورَ تُوارِي من ثَوَى فِيها

فاستَيْقَظَتْ مرعُوبةً ، وقد حَفِظَت الأَبياتَ ، فردَّتْ ما قُدِّمَ لها ، وقالت : والله لا ضَمَّنِى وبعْلًا بيتٌ أَبدًا .

وقال مَهْيار (٥) :

نعم سقى الله بيوتا بالحمى مُسْدلةً على الدُّمى أَستارُها (٦)
وأَوْجُهًا يَشِفُّ من أَثْوابِها عُنْصُرُها الكريمُ [أَ] ونِجارُها (٧)

وقال الفرزدق (٨) :

عَزَفْتَ بأَعْشَاشٍ وماكِدْتَ تَعْزِفُ وأَنكَرْتَ من حَدْراءَ ماكنتَ تَعْرِفُ (٩)

---

(١) النابت من كـــل شيء : الطرى حين ينبت .
(٢) الامرأة : لغة فى المرأة حكاها أبو على .
(٣) كذا فى الأصل، وهى لغة بعض طيئ، وأزدشنوءة . والافصح : فما زال بها النساء .
(٤) عضادتا البيت : الخشبتان المنصوبتان المثبتتان فى الحائط على جانبيه .
(٥) الأبيات فى ديوانه (٨٨/٢) من قصيدة كتب بها الى وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعيد ابن عبد الرحيم وهو مقيم بسر من رأى يستوحش لبعده ، ويهنئه بالنيروز ، ومطلعها :

«أَوْلَى لَها أَنْ يَرْعَوِى نِفَارُها وأَنْ يَقَرَّ بِالهَوَى قَرَارُها»

(٦) الدمى : جمع الدمية ، وهى الصـــورة الممثلة من العاج ونحوه تشبه بها المرأة فى الحسن، اراد نسوة يشبهن الدمى .
(٧) فى الأصل « ونجارها » والتصويب من الديوان ، والنجار : الأصل الكريم .
(٨) البيتـــان فى ديوانه وفى النقائض / ٥٧٧ (ط أوربا) وجمهرة أشعار العرب/٣٣٦ والاغـــانى (٣٣٦/٩ ط دار الكتب) وتجريد الأغانى /١٠٨١ (ط كتاب التحرير)
(٩) عزفت : انصرفت ، وأعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة .

ولَجَّ بكَ الهجْرانُ حتى كأنّما ترى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تَيْلَف(١)

[١ ٢١٩] وقال جَمِيلُ بنُ معْمَرٍ العُذْرِى(٢) :

ثلاثَةُ أبياتٍ : فَبَيْتٌ أُحِبُّه وبَيْتانِ ليْسَا من هوَاىَ ولا شَكْلِى

ألا أيُّها البَيْتُ الذى حِيلَ دُونَه بنا أنْتَ من بيتٍ ، وأهلُك من أهْلِ

بنا أنْتَ من بَيتٍ دُخولُكَ لَذَّةٌ وظِلُّك لو يُسْطاعُ بالبارِدِ السَّهْلِ

وقال آخر :

ألا هَلْ إلى الأبياتِ بالحبْلِ ذى الغَضَى نَرَاهُن أو أطْلالِهِن سَبيلُ(٣)

بنَفْسِىَ من قد حِيلَ دُونَ لقائِهِ وَمن حُبّه حُبٌّ علىَّ ثقيلُ

وقال إبراهيمُ بن خَفاجَة- فى الحَمَّام- :

أهْلًا بِبَيْتِ النارِ من مَنْزِلٍ شِيدَ لأبرارٍ وفُجّارِ

نَقْصِدُه مُلْتَمِسِى لَذَّةٍ فَنَدْخُلُ الجَنَّةَ فى النّارِ

نَزَلَ حمادُ عَجْرَد على مُحَمد بن طَلْحَةَ ، فأبْطَأ عليه بالطَّعام ، واشتَدَّ جُوعُ حَمّاد ، فقال(٤) :

زُرْنا امْرَأً فى بَيْتِهِ مَرَّةً له حَياءٌ وله خِيرُ(٥)

يَكْرَه أن يُتْخِمَ أضيافَه إنَّ أذَى التُّخْمَةِ مَحْذُورُ(٦)

---

(١) كذا فى الأصل ، ومثله فى النقائض ،وهى لغة تميم ، وفى الأغانى (تالف)

(٢) القصيدة التى منها الأبيات فى الأغانى (٨/١٣٩-١٤٤) ومطلعها :

لَقَدْ فَرِحَ الواشُونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلِى بُثَيْنَةُ أو أبْدَتْ لنا جانِبَ البُخْلِ

والبيت الثانى هنا ترتيبه قبل الاول فى الاغانى ، ولم يرد البيت الثالث فيما أورده الاصفهانى منها ، وأورد القالى فى الأمالى ٢/٢٢٦ الابيات الثلاثة كروايتها هنا من غير نسبة الى جميل ، وانظر ايضا سمط اللالئ /٨٤٢ .

(٣) الحبل : الرمل المستطيل - الذرا : كل ما تذريب به من شجرة او حائط او ما اشبهه .

(٤) فى طبقات ابن المعتز /٧١ ورد هذا الخبر مختصرا وعبارته : « ومما يستحسن من شعر حماد كلمته التى يهجو بها بعض الامويين » وأورد الابيات . والخبر والشعر وردا فى مختار الاغانى (٥٣٢/٢ و٥٣٣) كروايتهما هنا .

(٥) فى الطبقات « زرت امرأ .. »

(٦) التخمة - فى اللسان بفتح الخاء ، وفى المصباح بسكونها - وهى ما يصيب الانسان من اكل الطعام الوخيم ، أو من امتلاء المعدة .

ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده   بالصَّوْمِ ، والصَّائِمُ مأْجُورُ   [٢١٩ب]

فقال له محمد: عليكَ لَعْنَةُ الله ، ما حَمَلَكَ على هَذا ؟ قال : الجُوعُ وحَياتِك ، وإن زِدْتَ فى الإبطاء زِدْتُ فى القولِ ، فبادر بإحضارِ المائِدة .

وقال صخْرُ بنُ الجَعْد :

مررْتُ على أبياتِ كاسٍ فأَسْبَلَتْ   مدامعُ عَيْنى ، والرِّياحُ تُمِيلُها

وفى دارِهِم قومٌ سِواهُم فأَسْبلَتْ   دموعٌ من الأَجْفَانِ باقٍ مَثِيلُها

كذاكَ اللَّيالِى ، ليس فيها بسالِمٍ   صدِيقٌ ، ولا يَبْقَى عليها خَلِيلُها

[٢٢٠ ا]

١٦ ـ فصل فى بكاء الأهل والاخوان

قلتُ : هذا الفصلُ كان موضِعه صَدْر الكتابِ ، إذ كانت المنازِلُ والديارُ إنما تُبْكَى لسكّانِها من الأَهلِ والإِخْوانِ والأَحبابِ ، لكنى أخَّرْتُه ، لأَخْتِمَ به الكتابَ .

روى عن أَميرِ المؤمنين على بن أَبى طالب[١] ـ رضوان الله عليه ـ أنه كان كثيرًا ما يتمثّل بهذا الشعر[٢] :

أَلا قد أَرَى واللهِ أَنْ لَسْتُ منكُمُ	ولا أَنْتُمُ مِنِّى ، وإن كُنْتُمُ أَهْلِى
وإِنِّى ثَوِىٌّ قد أَحَمَّ انْطِلَاقُه	يُحَيِّيهِ من حَيَّاهُ وهو على رِجْلِ[٣]
ومُنْطَلِقٌ منكم بِغَيْرِ صَحَابَةٍ	وتابعُ إخوانِى الذين مَضَوْا قَبْلِى
أَلم أَكُ قد صاحَبْتُ عَمْرًا ومالكًا	وأَدْهَمَ يغْدُو فى فوارِسَ أَو رَجْلِ ؟ ![٤]
وصاحبْتُ شَيْبَانًا وصاحبْتُ ضَابِئًا	وصاحَبنِى الشُّمُّ الطِّوالُ بنوشِبْلِ
أُولئك إِخْوَانى مَضَوْا لسبيلِهِمْ	يَكادُ يُنَسِّينى تَذَكُّرُهُمْ عَقْلِى
يقولُ أُناسٌ أَخْلِياءُ : تناسَهُمْ	وليس بناسٍ مثلَهُمْ أبدا مِثْلِى[٥]
أُولاكَ أَخِلَّائِى إذا ما ذكَرْتُهُمْ	بكيتُ بعينٍ ماءُ عَبْرَتِها كُحْلِى
وكانُوا إذا ما القُرُّ هَبَّتْ رِياحُه	وضَمَّ سوادُ اللَّيْلِ رَحْلًا إلى رَحْلِ[٦]

[٢٢٠ب]

---

(١) الخبر والشعر أوردهما المصنف فى لباب الآداب (٤٠٥) مع اتفـــاق فى الرواية والترتيب .

(٢) فى لباب الآداب « كان كثيرا ما ينشد هذا الشعر » .

(٣) الثوى : الضيف ـ أحم انطلاقة : دنا ، قال الفراء: ويقال: أجم. وقال الاصمعى: ماكان معناه قد حان وقوعه فهو اجم بالجيم ، واذا قلت : أحم فهو «قدر» والرجل ـ بكسر الراء وسكون الجيم ـ من معانيها : الخوف والفزع من فوت الشىء ، وفى اللسان : يقال : أنا من أمرى على رجل ، أى على خوف من فوته .

(٤) الرجل ـ بفتح فسكون ـ : اسم جمـع لراجل ، خلاف الفارس .

(٥) أخلياء : واحده خلى ، وهو الفارغ من الهم ، خلاف الشجى ، وفى المثل : ويل للشجى من الخلى ، وانظر الفاخر / ٢٤٨ .

(٦) القر : البرد ، أو هو البـــرد فى الشتاء خاصة .

يُدِرُّونَ بالسَّيْفِ الوَرِيدَيْنِ والنَّسا إذا لم يَقُمْ راعِي أناسٍ إلى رِسْلِ[1]

إذا ما لَقُوا أقرانَهُمْ قَتَلُوهُم وإن قُتِلُوا لم يَقْشَعِرُّوا من القَتْلِ[2]

فكم من أسيرٍ قد فَكَكْتُمْ قُيُودَه وسَجْلِ دَمٍ أهْرَقْتُمُوهُ على سَجْلِ[3]

وقال يزيدُ بن ضَبةَّ بن مِقْسَم[4] :

لم يَنْسَ سَلْمَى فؤادُك السَّدِكُ وكيف تَصْبُو وأنتَ محتَنِكُ؟[5]

لو كان ما واحداً هَوَاكَ لَقَدْ أقْصرتُ ، لكن هَواكَ مُشْتَرَكُ

تقولُ سَلْمَى ـ واسْتَنْكَرَتْ ـ :عَجَبًا مابالُ أشياءَ منكَ تُنْتَهَكُ

فقلتُ : من تَرْحَةٍ ،ومن أسَفٍ أبناءُ عوفٍ ومالكٍ هَلَكُوا

خلَّوْا فِجاجًا عليّ فانْخَرَقَتْ لم يَسْتَطِعْ سَدَّهُنَّ من تَرَكُوا[6]

وقال وُعَيْلٌ العبسيُّ :

ألَمْ تَرَنِي بعدَ الذين تَتَابَعُوا ـ وكانوا الأُلَى أُعْطِي بهم وأُمانِعُ ـ

كَذِي وَقَراتٍ كِدْنَ يَكْسِرْنَ عَظْمَهُ ولَنْ تُلْبِثَ العظمَ الصَّحِيحَ القَوارِعُ[6]

فإنِّي وتَأْمِيلِي الحَياةَ ، وقد مَضَوْا كمُخْتَبِسٍ عن مَطْلَعٍ ، وهو طَالِعُ

[٢٢١ ا]

(١) يدرون أى يحتلبون دم السوريدين ،وهما عرقان بين الأوداج وبين اللبتين ، و هما من البعيز الودجان . والنسا : عرق مستبطن الفخد ، اراد ما كان يصنع فى الجاهلية من فصد عرق البعير واخذ دمه ثم يشوى فيؤكل أو يطعمه الضيف فى الازمة ، وانظر اللسان / فصد والرسل : الناقة السهلة .

(٢) اقشعر : أصابته رعـدة ، كنى بهءن الخوف والاحجام .

(٣) السجل ـضبط فى الأصـل بكسرالسين ، والذى فى اللسان والقاموس بفتحها وهى الدلو العظيمة المملوءة .

(٤) الابيات أوردها المصنف فى لبـاب الآداب / ٤٠٧ مع اتفـاق فى الرواية والترتيب ، وهى من نادر الشعر فى الرثاء المبـدوء بالغزل .

(٥) السـدك : المولع بالشيء ، قال فى اللسان : هى لغة طائية ، والمحتنك : المجرب .

(٦) الفج : الطريق الواسع بين جبلين ،وهو أوسع من الشعب .

(٧) الوقـرات : الواحـدة وقرة وهىالهزيمة والثلمة، ويقال فى الصبر على المصيبة: كانت وقرة فى صخرة ، وانشد ابن الاعرابى :

حَيَاءٌ لنفسِي أنْ أُرَى مُتَخَضِّعًا لوَقْرَةِ دَهْرٍ يَشْتكِينُ وَقِيرُهَا

والقوارع : واحدها قارعة ، وهى هنا المصيبة .

وقال مَقّاس[1] بن شَرِيك بن عمرو ، حليف لبنى شيبان :

بَكَيْتُ شريكا فى الغِوارِ ، وأَسْوَدَا وذُو العَلَقِ حتى ما بِعَيْنَيَّ من بَلَلْ[2]

رجالًا لهم رِبْعِيَّةُ المَجْدِ لم يَخَفْ مُجاوِرُهم رَيْبَ الحوادِثِ والزَّلَلْ[3]

وكُنَّا بهم نَرْعَى الجميعَ ، ونأكُلُ الر [م] بيعَ ، ونَكْفِى حامِلَ الغُرْمِ ماحَمَلْ[4]

وقال ابن المعتز[5] :

للهِ أقوامٌ فَقَدْتُهُم سَكَنُوا بُطُونَ الأَرضِ والحُفَرا

مَرَدَ الزَّمانُ علىَّ بَعْدَهم وعَرَفْتُ طولَ الهَمِّ والسَّهَرَا[6]

وقال نَهارُ بن تَوْسِعَةَ ، يرثى أخاه عُتْبان[7] :

عُتْبَانُ قد كنتُ امْرَأً لى جانِبٌ حتى رُزِئْتُكَ ، والجُدودُ تَضَعْضَعُ[8]

---

(١) ضبط فى الأصل « مقاس » بكسر الميم ، وفى المفضليات ٢/١٠٥و١٠٦ مقاس العائذى واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعه بن تيم بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمة .. وعداده فى بنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، حليف لهم ، وهو شاعر جاهلى كما نص عليه ابن دريد ، وذكر المرزبانى انه مخضرم ، وورد له شعر فى الخزانة ٣ /٨٤ ، وصوب محققا المفضليات ضبط مقاس — بفتح الميم وتشديد القاف — فعال من مقس ، وله مدائح فى بنى شيبان .

(٢) الغوار : مصدر غاور ، وفى حديث قيس بن عاصم : كنت اغاورهم فى الجاهلية اغير عليهم ويغيرون على .

(٣) ربعية المجد : أوله ، والربعية أيضا الغزوة فى الربيع ومنه قول النابغة :

وكانَتْ لَهُمْ رِبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَهَا إذا خَضْخَضَتْ ماءَ السَّماءِ القَنَابِلُ

(٤) الربيع من معانيه ما تعتلفه الدواب من الخضر ، والمطر الذى يكون فى الربيع ، أراد النبت الذى ينشأ عنه ، والغرم : ماينوب الانسان فى ماله من ضرر بغير جناية أو خيانة .

(٥) البيتان أوردهما المصنف أيضا فى لباب الآداب/٤٠٩ وهما فى ديوان ابن المعتز ٤/١٤٢ (ط استانبول) من قصيدة قالها يرثى أهله مطلعها :

أَنْحَى عَلَيْكَ الدَّهْرُ مُقْتَدِرًا والدَّهْرُ الأَمُّ غالِبٍ ظَفِرَا

ويقابلهما البيتان (٤و٧) من القصيدة بترتيب الديوان .

(٦) فى الديوان « طول الليل » وما هنا يوافق رواية لباب الآداب .

(٧) هو نهار بن توسعة بن أبى عتبان من بكر بن وائل ، من بنى حنتم ، وكان أشعر بكر ابن وائل بخراسان ، وانظر ترجمته فى الشعر والشعراء لابن قتيبة /٣٤٢ و٣٤٣ (ط ليدن). وفى حماسة أبى تمام ٣/٧ (نشر محيى الدين عبد الحميد) وورد اسمه فيه نهار بن توسعه ، ابن تميم بن عرفجة بن عمرو بن عدى بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة .

(٨) الضعضعة : الخضوع والتذلل .

قد كنتُ أَشْوَسَ فى المَقَادَةِ سادِرًا فَنَظَرْتَ قصدِى واستقامَ الأَخْدَعُ[1]

وفَقَدْتُ إخوانِى الذين بعيْشِهِمْ قد كنتُ أُعْطِى ما أشاءُ وأَمْنَعُ[2]

فلِمَنْ أَقُول ، إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ أَرنِى بِرَأْيِكَ ، أو إلى من أَفزَعُ؟![3]

[٢٢١ب]

وقال البَرَّاءُ بن رِبْعِى[4] :

أَبَعْدَ بنى أُمِّى الذين تتابَعُوا أُرَجِّى[5] حياةً ، أو من الموتِ أَجْزَعُ؟!

ثمانيةٌ كانوا ذؤابَةَ قومهم بهم كنت أُعطى ما أشاءُ وأمنع

وكانوا كنبل المرتَمِى فى كِنانَةِ فأَضحت وما فيها من النَّبلِ أهزع[6]

وقال أَبو كَبِيرٍ الهذلى[7] :

ولرُبَّ من طأطأتُه فى حُفْرَةٍ من كلِّ مُقْتَبلِ الشَّباب مُحبِّرِ[8]

---

(١) فى الحماسة (المقامة) بدلا من (المقادة) . يقال : رجل شديد الاخدع ، أى ممتنع أبى ، ويقال فى ضده لين الأخدع .

(٢) أراد أعطى ما أشاء اعطاءه ، وأمنع ما أشاء منعه ، فحذف من الثانى لدلالة الأول عليه.

(٣) فى الحماسة « أم الى من أفزع » قال التبريزى : حذف المفعول الثانى لقوله « ارنى » والمراد : ارنى الصواب ، أو ارنى وجه الأمر برايك ، ويقال فزع اليه ، اذا التجأ اليه .

(٤) هو ابو حبال البراء بن ربعى الفقعسى، والأبيات فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى (٣٨٩ و٣٩٠ ط بون) .

(٥) فى شرح الحماسة « أرجى الحياة » .

(٦) هذا البيت لم يرد فيما ورد من القصيدة فى الحماسة وبعد البيت الثانى فيها

أُولئِكَ إِخْوانُ الصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ وما الكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ

لعَمْرُكَ إِنِّى بالخَلِيلِ الذى لَهُ عَلَيَّ دَلالٌ واجبٌ لَمُفَجَّعُ

وإِنِّىَ بالمَوْلَى الذي لَيْسَ نَافِعِى ولا ضائِرِى فِقْدانُهُ لَمُمَتَّعُ

(٧) البيتان فى ديوان الهذليين ١٠٢/٢ (ط الدار) وهما من قصيدة له مطلعها .

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَقْصَرِ أَم لاسَبِيلَ إِلى الشَّبابِ المُدْبِرِ؟!

ويقابلهمـــا من القصيدة بترتيب الديوان البيتان (٩و١٠)

(٨) رواية الديوان « ولَرُبَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ لحَفِيرَةٍ كالسَّيفِ ... »

ومقتبل الشباب : مستـــأنفة ــ ومحبر : محسن مزين .

ثُمَّ انْثَنَيْتُ ، فَلاَ أَبُثُّكَ خَيْبَتِى　رَعِشَ القِيامَ أَمِيسُ مَيْسَ الأَصْوَرِ

وقال آخر :

أَصْبَحْتُ بعد مُضَرِّسٍ ومُغَلِّسٍ　غَرَضًا بصَرْدَحَةٍ لمن رَامانى[2]

فلأَرْمِيَنَّهُمُ - برَغْمِ أنوفِهم -　أبدًا على عَدَمٍ من الفِتْيَانِ

أنشد أبو زيد عن المفضّل :

أَخٌ لا أخا لى غيره ، غير أننى　كرَاعِى الخيالِ يَسْتَطِيفُ بلا فِكْرِ[3]

فإنَّ حَرامًا أن أرَى الدهرَ باكيا　على إلْفِهِ إلا بكَيْتُ على عَمْرو

وقال هُذَيْلَةُ بن سَمَاعَةَ بن أَشْوَلَ[4] :　[١٢٢٢]

وعاذلةٍ باتتْ بليلٍ تلومُنى　فبتُّ كأنَّ الهَمَّ قِرْنٌ أُجاذِبُهْ[5]

ذكرت بنى سَهْلٍ وبينى وبينَهم　شِراجُ الحِمَى أركانُه ومناكِبُهْ[6]

أَجَدَّىَ لن أَلْقَى زِيادًا ، ولا أرَى　قَنانًا يقودُ الخيلَ شُعْثًا ذَوائِبُهْ[7]

ولا مِثْلَ فِتْيَانٍ تَوَلَّوْا بمَنْعِجٍ　عَجالَى إذا ما الخَوْفُ أَوْضَع رَاكِبُهْ[8]

---

(١) روايه الديوان :

ثُمَ أَنْصَرَفْتُ ولا أَبثّك حِيَبتِى　رَعِشَ الجَنانِ أَطِيشُ فِعْلَ الأَصْوَرِ

وفسر الحيبة - بالحاء المهملة - بســوء الحال ، ويقال : فلان بحيبه سوء، والاصور الذى فيه صور ، أى ميل الى أحد شقيه ، يصيبه ذلك اذا اتشنجت أخادعه .

(٢) الغرض : الهدف الذى يرمى اليه . والصردحة : الصحراء التى لا تنبت ، وهى غلظ من الارض مستو .

(٣) يستطيف : يطلب زورة الطيف ، ولم يرد فى المعاجم

(٤) الأبيات أوردها المصنف فى لباب الآداب /٤٠٦ كروايتها هنا، والبيت الخامس أورده ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (قنا) ونسبه الى مسلمة بن هذيلة .

(٥) القرن للانسان · مثله فى الشجــاعة والشدة ، أو فى العلم والقتال وغير ذلك ·

(٦) الشراج : جمع شرج بفتح فسكون - وهو مسيل الماء من الحرة الى السهل ، ويبدو أنه هنا موضع بعينه ، ولم أجده .

(٧) الشعث : جمع اشعث وشعثاء ، وهو من الشعر المتغبر المتلبد ، والذوائب : واحدها ذؤابة وهى شعر مقدم الراس ·

(٨) تولوا : ماتوا ، منعج : واد ياخذ بين حفر أبى موسى والنباح ، ويدفع فى بطن فلج ، ويوم منعج من أيام العرب لبنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ··· على بنى كلاب ، وأوضع الراكب : أتى الموضع ، ويقال : من أين اوضع الراكب ؛ ومن أين اوضع ، أى من اين انشأ ، والايضاع : سير مثل الخبب ، يقال : أوضع البعير ، واوضعه راكبه ، اذا حمله على سرعة السير

رجالًا لو انَّ الصُّمَّ من جانِبَىْ قَنا ... هَوَتْ مِثْلهم منه لزَلَّتْ جوانِبُهْ[1]

وقال الفَرَزْدَقُ ، همّامُ بن غالب ، يرثى هَمّامَ بن ناشِرَةَ ، أَحَدَ بَنى عامِرٍ[2] :

وَقَفْتُ فأَبْكَتْنِى بدارِ عَشِيرتِى ... على رُزْئِهِنَّ الباكياتُ الحواسِرُ[3]

غَدَوْا كسُيوفِ الهِنْدِ وُرّادَ حَوْمَةٍ ... من الموتِ أَعْيَا وِرْدَهُن المصادِرُ

مُحَامِينَ حامُوا عن حَرِيمٍ ، وحافَظُوا ... بدارِ المَنَايَا ، والقَنَا مُتشاجِرُ[4]

كأَنَّهُمُ تَحْتَ الخَوَافِقِ إِذْ غَدَوْا ... إلى المَوْتِ أُسْدُ الغَابتَيْنِ الهَوَاصِرُ[5]

ولو أَنَّ سَلْمَى نالَها مثلُ رُزْئِنا ... لَهُدَّتْ ، ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ[6]

عن الشَّعبي قال: كنتُ عند عبدِ اللهِ بن جَعْفَر بن أَبي طالِبٍ - رضوان الله عليهما - / فأَنْشَدْتُه [٢٢٢ب] قولَ حارِثَةَ بنِ بدرٍ الغُدَانيِّ[7] :

وكان لَنَا نَبْعٌ تَقِينَا فُروعُه ... فقَدْ بلَغَتْ إلا قَلِيلًا عُروقُها[8]

وشَيَّبَ رَأْسِى واسْتَخَفَّ حُلُومَنا ... رُعُودُ المَنَايَا حوْلَنا وبُروقُها[9]

---

(١) قنا : جبل لبنى مرة من فزارة ، و هذا البيت أورده ياقوت فى رسم « قنــا » وروايته : « هوى مثلها منه .. » .

(٢) الأبيات فى ديوانه (٣/١٦٣ ط باريس) وفيه أنها فى رثاء عبد الله بن ناشرة أحد بنى عامر بن زيد مناة ، وهم فى بنى مجاشع ، وقد اوردها المصنف ص (١٥٦أ) منسبوبة الى ريطة بنت عاصم وهى منسوبة اليها أيضا فى حماسة أبى تمام (٣/١١٦ و١١٧) والرواية هنا متفقة مع رواية الحماسة ، وديوان الفرزدق فى عدد الأبيات وترتيبها .

(٣) الحواسر : جمع حاسر، يقال امرأة حاسر ، اذا حسرت ، أى كشفت درعهـــا ، علامة الحزن . قال أبو ذؤيب :

و «قامَ بَنَاتى بالنِّعالِ حَوَاسِرًا ... فأَلْصَقْنَ وَقْعَ السِّبْتِ تَحْتَ القَلَائِدِ »

(٤) رواية الديوان : «فَوَارِسَ حامُوا عَنْ حَرِيمٍ ، وحافَظُوا »

(٥) الهصور : الاسد الشديد الذى يفترس ويكسر ، ويجمع على هواصر ، وهــواصير وفى حديث عمرو بن مرة «وَدَارَتْ رَحَاهَا باللُّيُوثِ الهَوَاصِرِ » .

(٦) سلمى : حى من دارم (اللسان « س ل م») وسلمى من جبال طيىء ، وهو المعنى هنا

(٧) الأبيـــات فى أمالى المرتضى ١/٣٨٢ ،

(٨) رواية المرتضى : «لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُها » والنبع : شجر ينبت فى قلة الجبل تتخذ منه القسى ، قال المرتضى : وهو مثل ضربه ، وانما اراد أهل بيته .

(٩) فى أمالى المرتضى

«وشَيَّبَ رأْسِى قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ ... رُعُودُ المَنَايَا بَيْنَنَا وبرُوقُها»

وإنّا لتَسْتَحْلِي المنايا نُفوسَنَا وتَتْرُكُ أُخرَى مُرّةً ما تَذُوقُها[1]
رأَيْتُ المنايَا بادِيَاتٍ وعُوَّدًا إلى دارِنَا ، سَهْلًا إلينا طَرِيقُها[2]
وقد قُسِمتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : مِنهُمَا فَرِيقٌ مع الموْتَى ، وعِنْدِي فَرِيقُها[3]

فقال لى ابن جعفر – رضي الله عنهما : نحن كُنّا أحَقَّ بهذا الشعر ، وجاءه غلام بِدَراهِمَ فى مِنْدِيل ، فقال : هذه غَلّةُ أَرضِكَ بمكانِ كَذا وكذا ، فقال : أَلْقِها فى حِجْرِ الشَّعْبِيِّ ، فرَمَى بها إلىَّ .

وَقَالَ أبو دُوَاد الإيادِي[4] :

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْمًا ولكن فَقْدُ من قد رُزِئْتُه الإعْدامُ[5]
مِن رجالٍ من الأَقارِب فادُوا من خِذَامٍ ، هم الرُّءُوسُ العِظامُ[6]

[فادوا] يريد ماتُوا [خذام] : قبيلة .

مِن رجال أَبوهُم وأبو عَمْرٍو وكَعْ بٌ بيضُ الوُجُوهِ وِسامُ[7]

---

(١) (نفوسنا) ضـبط فى أمالى المرتضى بالضم جعله فاعلا لتستحلى ، وفى الأصل ضبطه بالنصب ، وهو أجود لمقابلته فى الشطر الثانى بقوله وتترك أخرى .. » أى أنها تجد نفوسنا حلوة فتفتك بنا ، وتترك النفوس الأخرى لأنها مرة .
وفى هامش الأمالى وجه رفع النفوس على أن المعنى كقول السموءل :

يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فتَطُولُ

ووجه النصب على أن المعنى كقول طرفة:

أَرَي المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

(٢) قال المرتضى فى الأمالى – بعد أن أورد الأبيات الثلاثة المتقـدمة – « وقد روى هـذه الأبيات الأخفش عن أبى العبـاس ثعلب ، وزاد فيها : « رأيت المنايا باديات .. »
(٣) زاد بعده فى الأمالى برواية الأخفش :

وَبَيْنَا تُرَجِّى النَّفْسُ ما هُوَ نازِحٌ مِنَ الأَمْرِ لاقَتْ دُونَها مايَعُوقُها

(٤) القصيدة التى منها الأبيـــات فى الأصمعيات / ٦٨ و٦٩ ومطلعها

مَنَعَ النَّوْمَ ماوِىَ التهْمَامُ وَجَدِيرٌ بالهَمِّ مَنْ لايَنَامُ

وما أورده المصنف هنا يقابله من القصـيدة فى ترتيب الأصمعيات الأبيات (١٥ و ١٦ و١٩ – ٢١ و ١٧ و ١٨ و ٢٢ – ٢٤)
(٥) الاقتار : الفقر وضيق العيش .
(٦) فى الأصمعيات « من حذاق هم الرءوس ... »
(٧) فى الأَصمعيات « ورِجَالٌ أَبُوهُمُ ... بِيضُ الوجُوهِ جسامٌ » .
ووسام : جمع وسيم ، وهو الجميل الوجه.

وشَباب كأنَّهُمْ أُسْدُ غِيلٍ حالفَتْ فَرْطَ حَدِّها الأَحلامُ[١]

(حالفت ... الخ) يريد خالط. حدتهم حلم

وكُهولٍ بنى لهم أَوَّلُوهُم مَأثُرات يهابُها الأَقْوامُ[٢]

فيهمُ للمُلايِنِينَ أَناةٌ وعُرامٌ إِذا يُرادُ العُرامُ[٣]

وسَماحٌ لدى السِّنين إذا ما قَحطَ القَرُّ ، واستَقَلَّ الغَمَامُ[٤]

(استقلَّ) ارتفع .

سُلِّطَ الموتُ والمنونُ عليهم فلهم فى صَدَى المقابِرِ هَامُ[٥]

وكَذاكُمْ يَصِيرُ كلُّ أُناسٍ سوفَ - حَقًّا - تُبْلِيهِمُ الأَيَّامُ

فعلى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِى حَسَرَاتٍ ، وذِكْرُهُم لى سَقَامُ[٦]

وقال الشريف الرّضى - رضى الله عنه[٧] - :

(١) فى الأَصمعيات : « حالَفَتْ فَرْدَ حَدِّهم أَحْلامُ » .
(٢) مأثرات : جمع مأثرة ، وهى المكرمة المتوارثة
(٣) فى الاصمعيات « فهم للملاينين .. » والاناة : الحلم ، والعرام بضم العين من عرام الجيش : وهو كثرته وشدته ، وبكسر العين مصدر عارمه اذا خاصمه .
وقد وقع هذا المعنى وأكثر ألفاظه - فى شعر قيس بن الخطيم حيث يقول (فى حماسة البحترى - ١٦٣)

فِيهِمُ للمُلاينِينَ أَناةٌ وطِماحٌ إذا يُرادُ الطِّماحُ

(٤) سماح : بكسر السين كرام ، وبفتحها :الجود والكرم ، والسنون جمع السنة ، وهى هنا : الجدب والقحط ، وفى الأصمعيات « قحط القطر » وهو أجود ، ومعناه احتبس ، والقر : البرد عامة ،وقيل : برد الشتاء خاصة.
(٥) الهام : جمع هامة ، ومن معانيه : طائر صغير من طير الليل يألف المقابر ، والبومة ، وطائر خرافى يزعم العرب أنه يخرج من هامة القتيل (أى من رأسه) ويقول : اسقونى اسقونى ، يظل هكذا حتى يؤخذ بثأره ، ويقال له : الصدى .
(٦) السقام - بفتح السين - : اسم مصدر للسقم بمعنى المرض ، وبكسرها جمع سقم .
(٧) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه، وهى فى مختارات البارودى ٣/٣٧٧ من قصيدة قالها يرثى قوما من أهل بيته ، وذلك فى المحرم سنة ٣٨٧ هـ ومطلعها :

قِفْ مَوْقِفَ الشَّكِّ لايَأْسٌ ولاطَمَعُ وغالِطِ العَيْشَ لاصَبْرٌ ولاجَزَعُ

بنى أُبِى ، قد رَمَى فيكم بشِكَّتِه — ونالَ ما شاء هذَا الأزْلَمُ الجَذَعُ[1]

كُنْتُم نُجومًا لدى الدَّهْناءِ زَاهِرَةً — تضِيىءُ منها الدَّيَاجِى السُّودُ والدُّرَعُ[2]

إنْ تَخْبُ أنْوَارُكُمْ من بعد ماصَدعَتْ — ثوبَ الدُّجَى ، فلِضَوْءِ الصُّبْحِ مُنْقَطَعُ

أرْسَى النَّسِيمُ بنادِيكُمْ ، ولا بَرِحَتْ — حوامِلُ المُزْنِ فى أجْدَاثِكُم تَضَعُ[3]

وقال زَبّان بنُ مَنْظُورِ بن سَيَّار :

[٢٢٣ ب]

لئن فُجِّعْتُ بالقُرَناءِ يوْمًا — لقد مُتِّعْتُ بالأملِ البَعِيدِ

وما تَجِدُ المنِيةُ فوقَ نَفْسِى — ولا نَفْسِ الأحِبَّةِ من مَزِيدِ

ألَسْنَا أنْفُسًا ، وبَنِى نُفُوسِ — ولسْنَا بالسِّلامِ ولا الحَدِيدِ[4]

قال الأصْمعِيُّ : أنشدنى المَذْحِجِيُّ لأُمِّ مَعْدانَ الأنصارِيَّةِ[5] :

لا يُبْعِدِ اللهُ فِتْيانًا رُزِئْتُهُمُ — بانُوا لوَقْتِ منَايَاهُم فَقَدْ بَعُدُوا

أضْحَتْ قُبُورُهُم شَتَى ، وتَجْمَعُهُم — زَوُّ[6] المَنونِ ، ولم يَجْمَعْهُمُ بَلَدُ

الزَّو[6] : الهلاك واختلاف المنية .

---

(١) فى المختارات « قد نكى فيكم .. » وهو من قولهم : نكى العدو ، وفيه اذا أوقع به . والشكة : ما يحمل أو يلبس من السلاح ، والأزلم الجذع : الدهر ، وقيل : الدهرالشديد وقيل : هو المتعلق به البلايا والمنايا ، قال ابن السكيت : سمى بذلك لأن المنايا منوطة به تابعة له ، قال الأخطل :

يبِشْرُ لَوْ لَمْ أكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ — ألْقَى عَلَىَّ يَدَيْهِ الأزْلَمُ الجَذَعُ

(٢) الليالى الدرع : هى – فى قول أبىعبيدة – الليالى السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر ، والبيض الصدور السود الأعجاز من أول الشهر ، والرواية فى المختارات « لدى الدهماء » . وهو أحسن .

(٣) المزن : السحاب ، وعنى بالحوامل منه المليئة بالمطر على طريق الاستعارة . وجعل اسقاطها المطر بمنزلة وضع الحامل ، من باب الترشيح .

(٤) السلام – بكسر السين – : الحجارة الصلبة ، واحدتها سلمة بفتح فكسر .

(٥) أوردها القالى فى الامالى ٦٧/٢ عن ابن أخى الاصمعى ، عن عمه ، كروايتهما هنا .

والأبيات من (٣ – ٦) فى حماسة البحترى ٤٣١ منسوبة الى سلمى بنت الأجحم ترثى اخوتها .

(٦) فى الأصل الرو – بالراء المهملة – فى الموضعين ، وهو بهذا الرسم والضبط لا معنى له الا الخصب ، كذا فى اللسان (روى) والمثبت بالزاى من الأمالى ، واللسان (زوى) ويقال فيه أيضا : زوء بالهمز ، وفيه عن الأصمعى : هو ما يحدث من هلاك المنية ، وقال ثعلب : زو المنية : أحداثها ، ونقل الجوهرى عن ابن الاعرابى : الزو : القدر .

مَيْتٌ بِمِصْر ، ومَيْتٌ بالعِراقِ ومَيْـ [م] ـتٌ بالحِجَاز ، منَايا بيْنَهُمْ بِدَدُ[1]

رعَوْا من المجدِ أكْنَافًا إلى أَجَلٍ حتى إذا بَلَغَتْ أظماؤُهم ورَدُوا[2]

كانَتْ لهم هِمَمٌ فرَّقْنَ بينَهُم إذا القَعادِيدُ عن أمثالِهَا قَعَدُوا[3]

فِعْلُ الجَمِيلِ، وتَفْرِيجُ الجَلِيلِ وإِعْطَاءُ الجزِيلِ إذا لم يُعْطِهِ أَحَدُ

قلت : لى أبيات تُشْبِه معنى هذه الأبياتِ ، وهى شرحُ حالٍ صحيحة ، لا على مذاهِبِ الشُّعراء وذلك أنَّنى مرَّ بى قولُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّم : «من زارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ ، أو أحدِهما فى كُلِّ جُمُعةٍ غُفِرَ له ، وكُتِبَ بَرًّا» فآسفنى/ما حرمته من زيارتهما ، وشَتاتِ شَمْلِنا أحياءً وأمْوَاتًا ، [٢٢٤ ا] فقُلْتُ [4] :

نافَسَتْنِى صُروفُ دَهْرِى فى الفَوْ زِ بِبِرِّ الآباءِ فى الرَّجَمِ [5]

لو كنتُ أَسْطِيعُ أن أَزُورَهُما مشْيًا على الرأسِ لاعلى القَدَمِ

بادَرْتُ أمشى إلى ثَرَى جَدَثَىْ أعزِّ أَهْلِى علىَّ ، كالقَلَمِ [6]

لكنْ بمِصْرَ قبرٌ ، وفى شَيْـ زَرَ قَبْرٌ ودارى بمُنْتَأَى العَجَمِ [7]

والظلمُ فى الأَرض ما نِعِى كُلْـ [م] ـلَ ما أَبْغِيهِ حتى زيارَةَ الرِّمَمِ [8]

---

(١) بدد : حصص ، ويقـال فى الدعاء احصهم عددا واقتلهم بددا ، أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه ، والمعنى من ذلك

(٢) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب ، والأظماء : جمع ظمء (بكسر فسكون) ، وهو ما بين الشربتين والوردين .

(٣) القعاديد : الوحد قعدد – بضم القاف وسكون العين وضم الدال وتفتح – وهو الجبان، والخامل القاعد عن المكارم .

(٤) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان أسامة المطبوع .

(٥) الرجم – بفتح الراء والجيم – الحجارة توضع على القبر ، ويقال للقبر نفسه ، وهو المراد هنا ، وجمعه رجام وارجام .

(٦) شبه مشيه على الرأس فى البيت السابق ، بحركة القلم عند الكتابة .

(٧) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة نحو ٣٠ كم ، وكانت مقر ملك أسرته بنى منقذ ، وانظر فى صفتها ما سبق فى المقدمة ، والمنتأى : موضع النأى ، ويقال أيضا للموضع البعيد ، وكان الشاعر حينذاك بأرض فارس بعيدا عن وطنه .

(٨) الرمم : جمع الرمة – بكسر الراء ، وتضم – العظام البالية ، اراد من ماتوا من أهله .

وما ظَنَنْتُ الذى لَقِيتُ من الدُّ [م] نيا تَراهُ عيناىَ فى الحُلُمِ (١)

وقال آخر :

وكانُوا - بنى كِنٍّ - كثيرًا فأَصْبَحُوا بنى الأَرْضِ ، قد وارَتْهُم غيرَ واحِدِ
وقد خُطَّ للباقى المخَلَّفِ أَنَّه لما وَرَدُوا منْ حَوْمَةِ المَوْتِ واردُ (٢)

وقال أَبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِىُّ ، واسمه خُوَيْلِدُ بنُ خالدٍ ، وهلَكَ له بَنُون خَمْسَة فى عامٍ واحد أَصابَتْهُمْ الطَّاعُونُ ، وكَانُوا توجَّهُوا إلى مِصْر (٣) :

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليسَ بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ (٤) ؟!
قالَتْ أُمَيْمَةُ : ما لجِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ ابْتَدَلْت ومثلُ مالِكَ يَنْفَعُ (٥)
أَمْ مالجَنْبِك لا يُلائِمُ مَضْجَعًا إلا أَقَضَّ عليكَ ذَاكَ المَضْجَعُ (٦)

[٢٢٤ ب]

---

(١) هذا المعنى أخذه من قول ابن دريد فى مقصورته :

لَوْ كَانَتِ الأَحْلامُ ناجَتْنِى بِمَا أَلْقَاهُ يقظانَ لاصْمَانِى الرَّدَى

وقد تمثل المصنف بهذا البيت فى المقدمة .

(٢) كذا فى الأصل وفيه اقواء

(٣) القصيدة التى منها هـذه الابيات فى شرح أشـعار الهذليين ص (٤-٤١) وديوان الهذليين ٣/١ وما بعـدها (ط دار الكتب) والمفضليات ٢١٩/٢ وما بعدها ، وجمهرة اشعار العرب ٢٦٤ ، ومعاهد التنصيص ٢٥٦ (طبولاق) والقصيدة من عيون الشعر العـربى ، والرواة متفقون على المناسبة التى قيلت فيها، وفى الجمهرة أن أولاده الذين رثاهم بها كانوا ثمانية ، وانهم ماتوا بالطـاعون ، وفى سـمط اللآلى /٤٤٩ (حاشية ٥) نقلا عن التيجان ٢٥١ : انه لما مات تأبط شرا قام ابن أخته الهجال بن امرىءالقيس للثأرله من قاتليه من هذيل ومعه بنو أسد وقد قتلوا من ابنـاء أبى ذؤيب عشرة ، فجمع أبو ذؤيب أشراف العرب ، ونصب بنيه على شرف ، ووقف عليهم وانشد القصـيدة : « أمن المنون وريبها ... » ثم قتل من بنى أسد مقتلة عظيمة والأبيات الواردة من أولها على الترتيب .

(٤) من روى « وريبها » فسر المنون بالمنية، ومن روى « وريبه » فسر المنون بالدهر ، قال الأخفش : المنون مؤنثة، وهى جماعة لا واحد لها، وقال الأصمعى: المنون واحد لا جماعة، ورواية المفضليات والمعاهد ، والجمهرة والديـوان « وريبها » ورواية سمط اللآلى « وريبه » .

(٥) فى شرح أشعار الهذليين /٥ (منذ ابتذلت) أى منذ وليت العمل وامتهنت نفسك فيه ، وفى المفضليات والجمهرة « ابتذلت » بالبناء للمجهول وفسره شارحه بقوله : منـذ ابتذلت نفسك، ومات من كان يكفيك ضيعتك من بنيك، وفى معـاهد التنصيص « ا بتدلت » بالدال كالرواية هنا ، وربما كان من قولهـم بدل - كفرح - اذا اشتكى وجع مفاصله ، أو شـكا بأدلته ، وهى ما بين العنق والترقوة . وفى السمط « منذ ابتليت » وفى هامشه اشـارة الى رواية أخرى فى احدى نسخ الأصـل هى « منذ اكتهلت »

(٦) أى صار تحت جنبك مثل قضيض الحجارة ، وهى الحجارة الصغيرة .

فأَجَبْتُها أنْ مالِجِسْمِيَ أنَّه ... أَوْدَى بَنِيَّ من البلادِ فوَدَّعُوا(1)

أَوْدَى بَنِيَّ وأَعْقَبُونِى حَسْرَةً ... بعدَ الرُّقَادِ ، وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ(2)

سبقُوا هَوَىَّ ، وأَعْنَقُوا لِهَواهُمُ ... فَفَقَدْتُهُمْ ، ولكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ(3)

ولَبِثْتُ بعدَهُمُ بعَيْشٍ ناصِبٍ ... وإِخالُ أنِّىَ لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ(4)

ولقد حرِصْتُ بأَنْ أُدافِعَ عنهُمُ ... وإذا المنِيَّةُ أَقبَلَتْ لا تُدْفَعُ

وإذا المنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ(5)

فالعَيْنُ بَعْدَهُم كأَنَّ حِداقَها ... كُحِلَتْ بشَوْكٍ فهى عُورٌ تَدْمَعُ(6)

حَتى كأَنِّى للحوادِثِ مَرْوَةٌ ... بصَفَا المُشَقَّرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ(7)

---

(1) أودى : هلك . ان ما لجسمى : أصلها أن لجسمى ، وما زائدة : أى أن الذى لجسمى هو ايداء بنى ، وروى الرياشى عن الأصمعى : أن ما لجسمى ، فى موضع الذى ، ان الذى بجسمى غمى لذهاب ولدى .

(2) فى المفضليات « واعقبونى غصة » وما هنا يوافق المعاهد ، والجمهرة ، والعبرة : الدمعة ، وتقلع من قولك : أقلعت السحابة ، و أقلع المطر : اذا انقطع نزوله .

(3) فى المراجع السابقة « فتخرموا » ومعنى اعنقوا : أسرعوا ، وجعلهم كأنهم هووا الذهاب . ومعنى تخرموا : اخذوا واحدا واحدا . وفى اللسان : يقال : اخترمهم الدهر وتخرمهم ، اى اقتطعهم .

(4) الرواية « ففبرت » والمعنى بقيت ، و ناصب : ذو نصب ، يقال : نصب الرجل : اذا اشتد عليه أمره .

(5) البيت من شواهد البلاغة فى الاستعارة المكنية حيث شبه المنية بالسبع فى اغتياله النفوس فأثبت لها الاظفار التى هى من لوازم المشبه به ، واثبات الاظفار لها استعارة تخيلية . وهذا البيت مما تمثل به عبد الله بن عباس حين دخل على معاوية يعوده من مرض موته ، فتكلف معاوية القعود وتمثل بقول أبى ذؤيب : وتجلدى للشامتين أريهم .. البيت » وسمعه ابن عباس ينشده فتمثل هو أيضا بقول ابى ذؤيب : واذا المنية أنشبت أظفارها .. البيت » (معاهد التنصيص / ٢٥٧)

(6) فى المفضليات والجمهرة « سملت » و « الحداق » جمع حدقه ، ومعنى سملت : فقئت ، وقيل : السمل : الخياطة .

(7) ما هنا يوافق الجمهرة ، والمشقر : حصن لعبد القيس بالبحرين ، وفى المفضليات « المشرق » وفسره بالمصلى ، وذكر أنه انما خصه لكثرة مرور الناس به ، يقول : انا من كثرة المصائب كمروة يقرعها مرور الناس عليها ، والمروة واحدة المرو ، وهى حجارة بيض يقتدح بها ، وهو من قولهم : قرعت مروة فلان ، اذا أصابته مصيبة ، وربما كان المعنى : أن توالى المصائب وتتابعها على نفسه تقرعها كل حين يشبه متابعة ضرب الحجرين : الصفاة والمروة لاقتداح النار من بينهما ، وهذا انسب للحسرة والحزن المتقد .

وتَجَلُّدِى للشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنِّى لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

وقال أَبو ذُؤَيْبٍ أَيضا[1] :

فإِنَّكَ ـ حَقًّا ـ أَىَّ نَظْرَةِ ناظِرٍ ... نَظَرْتَ ، و «قُفٌّ» دونها و «وقِيرُ»[2]

[٢٢٥ ا]

ديارُ الّتى قالت ـ غَدَاةَ لَقِيتُها ـ : ... صبَوْتَ أَبا ذِيبٍ وأَنتَ كَبِيرُ[3]

تغَيَّرْتَ بَعْدِى[4] أَو أَصابكَ حَادِثٌ ... من الدَّهْرِ ، أَم مَرَّتْ عليك مُرُورُ[5]

فقلتُ لها : فقْدُ الأَحِبَّةِ ، إِنَّنى ... حديثٌ[6] بأَرْزاءِ الكرامِ جَدِيرُ

فراقٌ كنَغْضِ السِّنِّ ، فالصَّبْرَ ، إِنَّه ... لكلِّ أُناسٍ عَثْرَةٌ وجُبُورُ[7]

«نغض السنّ : تحريكها ، قال الله تعالى : «فَسَيُنْغِضُونَ إليكَ رُءُوسَهُمْ[8]» أَى يحركونها ، ويروى «كقَيْضِ السنِّ» وقيضها : انشقاقها .

فأَصْبَحْتُ أَمْشِى فى ديار كأَنَّها ... ـ خِلافَ دِيارِ الكاهِلِيَّةِ ـ عُورُ[9]

---

(١) الأبيات فى ديوان الهذليين ١٣٧/١ و شرح أشعار الهذليين /٦٥ من قصيدة مطلعها:

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بالضَّجُوعِ وأَهْلِنا ... بنَعْفٍ قُوَىً والصُّفَيَّةِ عِيرُ

ويقابلها من القصيدة بترتيب الديوان الابيات (٣ ـ ٩) .

(٢) رواية الديوان : فانك «عمرى» وأشار فى هامشه الى هذه الرواية عن بعض نسخ الأصل ، وفيه رواية (عاشق) مكان (ناظر) و « قدس » مكان (قف) وقدس ، ووقير : بلدان ، وفى هامشه أن قدس : جبل عظيم بنجد .

(٣) صبوت : أتيت أمر الصبا ، تريد ألمت بك نزوات وأنت كبير .

(٤) فى الديوان « أم » مكان (أو)

(٥) مرت عليك مرور : أى مزت بك حال بعد حال ، فصيرتك كما أرى .

(٦) كذا بالديوان ، وفسره بقوله أى» خليق « وفى هامشه اشارة الى رواية احدى النسخ « حرى » وهى رواية السكرى فى شرح الهذليين /٦٦ والمعنى : فقد الأحبة غيرنى ، ثم استأنف القول بعده : اننى حديث .. الخ

(٧) ٥ ـ فى الديوان : (كقيص السن) يقال : انقاصت سنه اذا انشقت بالطول ، ويقال انقاصت البئر ، اذا انشق طيها ، والنغص من قولهم : نغضت أسنانه ـ كنصر ـ اذا قلقت وتحركت ، ويقال : نغض الشىء ، اذا تحرك واضطرب ، وهذه رواية أبى عمرو ، كما فى شرح الهذليين .

(٨) سورة الاسراء /٥١

(٩) الكاهلية : نسبة الى بنى كاهل ، يقول : تلك الديار عور ، منه قولهم : خلف أعور اى فاسد ، وهو مثل ، يضرب فى كل ما لا يرتضى بديلا من الشىء الذاهب .

«يقال : خَلَفٌ أعورَ ، إذا كان فاسدا ، يقول : هذه الدارُ خَلَفٌ أعورُ من هاتِيك[1] »

أنادِى إذا أُوفِى من الدَّهْرِ مَربَئًا لأىِّ سَمِيعٍ ، لو أجاب بَصِيرُ[2]

وقال ابراهيم بن هَرْمة[3] :

تفانَوْا ، ولم يَبْقوا ، وكلُّ قَبِيلَة سريعٌ إلى وِرْدِ الفَنَاء كِرامُها

وكيفَ وقد صَارُوا عِظامًا وأَقْبُرًا يصِيحُ صداها بالعشِىِّ وَهامُها ؟!

وقال أبو العِيصِ بنُ حِزَام[4] :

وكم من صاحب قد ناءَ عَنى رُمِيتُ بفَقْدِه وهو الحبِيبُ[5]

فَلَم أُبْدِ الذى تُخفِى ضُلُوعِى عليه وإننى لأنا الكَئِيبُ[6]

[٢٢٥ب]

مخافةَ أن يرانى مُسْتَكِينًا عَدُوٌّ ، أو يُساءَ به قَرِيبُ

فيَشْمتَ كاشِحٌ ، ويَظُنَّ أنِّى جَزُوعٌ عند نائِبةٍ تَنُوبُ[7]

فبَعْدَكَ مدَّت الأعداءُ طَرْفًا إلىَّ ورَابَنِى دَهْرٌ مُرِيبُ[8]

وأَنْكَرْتُ الزَّمَانَ ، وكلَّ أَهْلِى وَهَرَّتْنِى لغَيْبَتِكَ الكَلِيبُ[9]

---

(١) هذا التفسير مما أورده السكرى عن الأصمعى فى شرح أشعار الهذليين /٦٧ .

(٢) فى الديوان « مرقبا » وفى شرح الهذليين مربئا والمرقب : المكان المرتفع الذى يقوم فيه الربيئة ، فهما بمعنى وفيه (وانى) مكان (لأى) ومعنى اذا أوفى : اذا أعلومرتفعا ، وانى سميع : أى اسمع اذا أجبت ، ولكنى لم أجب

(٣) هو ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، وانظر فى نسبه وأخباره / الاغانى (٣٦٧/٤ – ٣٩٧) و (٢٦٠/٥ – ٢٦٤ ط دار الكتب) وله ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة /٤٧٣ .

(٤) هو أبو العيص بن حرام – كذا بالراء المهملة فى امالى المرتضى – بن عبد الله بن قتادة ابن جابر بن ربيعة .. المازنى ، والابيات الواردة هنا مما استجاده الشريف المرتضى له فى الامالى (٢٢٢/٢) وأوردها المصنف ايضا فى لباب الآداب /٢٠٧ .

(٥) ناء : نأى وبعد ، وفى أمالى المرتضى « قد بان عنى » .

(٦) فى أمالى المرتضى : « تحنو ضلوعى » والكئيب : الحزين

(٧) الكاشح : العدو المبغض ، والنائبة : النازلة .

(٨) فى أمالى المرتضى : « شدت الأعداء » وفسره المرتضى بقوله : « أى نظرت الى نظرا شديدا ، فظهر الغضب فى عيونها » .

(٩) هرتنى : نبحتنى ، والكليب : جمع كلب ، مثل عبد وعبيد .

وكُنْتُ تَقَطَّعُ الأَبصارُ دونى ... وإن وَغِرَتْ من الغيظِ القُلُوبُ (١)

ويَمْنَعُنِى من الأَعداءِ أَنِّى ... - وإن رَغِمُوا - لمَخْشِىٌّ مَهِيبُ

فلم أَرَ مثلَ يومِكَ كان يومًا ... بَدَتْ فيه النُّجُومُ ، فماتَغِيبُ

وليلٍ ما أَنامُ به ، طَوِيل ... كأَنِّى للنُّجُومِ به رقِيبُ

وما يك جائيًا لابُدَّ منه ... إليكَ فسَوْفَ تجْلِبُه الجُلُوبُ (٢)

وقال كُثَيِّرُ بن عبد الله ، وهو ابن الغُرَيْرَة ، وهى أُمُّه (٣) :

أَلا من لشَوْقٍ آخرَ الليلِ شائِقِ ... وقلبٍ كمكسورِ الجَنَاحَيْنِ خافِقِ

وصبٍّ حَزِينٍ كلما جَنَّ ليلهُ ... تذَكَّرَ ذِكْرَى من حَبِيبٍ مُفارِقِ

[٢٢٦]

فلا تَعْذُلِينِى يا ابنَةَ الخيرِ إنَّما ... تَخَرَّمَت الأَيامُ منى أَصادِقى (٤)

فأَصْبَحْتُ رَهْنًا بعدَهم فى ديارِهم ... كمُسْتوثَقٍ منه ، وليس بآبِقِ (٥)

وقال الحارثُ بنُ عوفٍ الجُشَمِىُّ (٦) :

فإن تكن الحوادِثُ غَيَّرَتْنِى (٧) ... فلم أَرَ هالِكًا كابْنَىْ زيادِ

(١) وغرت : امتلأت غيظا وحقدا .

(٢) جائيا : اسم الفاعل من جاء ، أى آتيا .

(٣) هو ابن الفريرة التميمى ، أحد بنى نهشل ، مخضرم ادرك الجاهلية أورد الأصفهانى فى (الاغانى ١٠/٩٧و٩٨ ط بولاق) طرفا من اخباره وشعرا رثى به قتلى المسلمين يوم الطالقان ، وكان ممن شهده ، وهو الذى يقول فيه الهذيل بن هبيرة :

أَلِكْنِى - وَفِرْ لابْنِ الغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ - ... إلى خالِدٍ مِنْ آلِ سَلْمَى بنِ جَنْدَلِ

(٤) يقال : اختـرمهم الدهر ، اذا اهلكهم بجوائحه . والأصادق : جمع صديق .

(٥) يقال : استوثق منه ، اى اخذ منه وثيقة ، اراد انه مرهون ، والآبق : الهارب ، يريد انه لن يهرب من مصيره الذى ينتظره ، وهو الموت .

(٦) الأبيات فى حماسة ابى تمام / ٧٠٦ (ط بون) وهى فيها من غير عزو ، وقال التبريزى فى شرحها حكى أبو محمد الاعرابى نسبتها الى الحارث بن عوف - أخى بنى حرام - قالها فى رثاء الربيع وعمارة ابنى زياد الجشميين ، وكانت نهد قتلتهما . وروى القالى فى الأمالى (٢/٣ ط بولاق) عن أبى بكر نسبتها الى رجل من طيىء قالها فى ابنى زياد العبسيين.

(٧) فى الحماسة «حرقتنى» مكان «غيرتنى» وفسره بقوله : اصابتنى واخذت منى ، قال ويروى (حرفتنى) اى ذهبت بمالى .

هما رُمْحانِ خَطِّيَّانِ كانا ... من السُّمْرِ المُثَقَّفَةِ الجِلادِ (١)

تُهالُ الأرْضُ أنْ يَطَآ عليها ... بمثلهما تُسالِمُ أو تُعَادِى (٢)

وقال تَمِيمُ بن أُبَىٍّ بن مُقْبِل العجْلانى (٣) :

تَذَكَّرْتُ إخوانى الذين عَهِدْتُهُمْ ... كأن لم يَكُنْ شَكْلِى لهم مَرَّةً شَكْلَا (٤)

هَجَرْتُهُمْ من غير بُغْضٍ ولاقِلًى ... ولكنَّ مَرَّ الدَّهْرِ كان لهم شُغْلَا (٥)

وقال محمد بن خالد بن الوليد بن عُقْبة (٦) :

هل فى الخُلودِ إلى القِيامَةِ مَطْمَعُ ... أم للمَنُونِ عن ابنِ آدَمَ مَدْفَعُ ؟!

هَيْهاتَ ما لِلنَّفْسِ من مُتَأَخَّرٍ ... عَنْ وَقْتِها ، لو أنَّ عِلْمَكَ ينفَعُ (٧)

أينَ الملوكُ ، وعَيْشُهُمْ فيما مَضَى ... وزَمانُهُمْ (٨) فِيهِمْ وماقد جَمَّعُوا ؟!

ذَهَبُوا ، ونحن على طريقةِ مَنْ مَضَى ... منهم ، فمفْجُوعٌ به ، ومُفَجَّعُ

[٢٢٦ ب]

عَثُرَ (٩) الزمانُ بنا ، فأَوْهَى عَظْمَنا ... إن الزمانَ بما كَرِهتُ لمولَعُ

وقال ابراهيمُ بن كَنَف (١٠) :

تعزَّ فإنَّ الصبْرَ بالحُرِّ أجْمَلُ ... وليس على رَيْبِ الزَّمان مُعَوَّلُ (١١)

---

(١) الرمح الخطى : المنسوب الى الخط ، قرية بالبحرين ، ورواية الحماسة والامالى . « المثقفة الصعاد » وتثقيف الرمح : تسويته وا قامة اعوجاجه . والصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة تنبت مستوية .

(٢) يريد أنهما أهل الصلاح والفساد ، والصداقة والعداوة .

(٣) البيتان فى ديوان ابن مقبل / ٢٠٢

(٤) الشكل : الشبه والمثل .

(٥) القلى : البغض والهجران .

(٦) الابيات فى معجم الشعراء للمرزبانى / ٣٤٥ من قصيدة قالها يرثى عمر بن عبدالعزيز .

(٧) فى معجم الشعراء : «لو ان علما ينفع»

(٨) فى معجم الشعراء « وزمانهم فيه » وهو احسن .

(٩) كذا ضبط فى الأصل (بضم الثاء ــ من باب كرم) وفى اللسان بضبط القلم من بابى ضرب ونصر ، وحكاه اللحيانى من بابى فرح ، وكرم ، ومعنى عثر الزمان بنا : اخنى علينا ، وفى معجم الشعراء « بماكرهنا مولع »

(١٠) فى الأصل : « ابن كنف » والأبيات فى شرح حماسة أبى تمام (١٢٥ ط بون) واسمه فيه « ابراهيم بن كنيف » قال التبريزى: يجوز أن يكون تصغير « الكنف » .

(١١) التعزى : التصبر ، يخاطب نفسه على سبيل التسلية ــ والمعول : المتكل .

فلو كانَ يُغْنِى أن يُرَى المرءُ جازِعًا لحادِثَة أَو كان يُغْنِى التَّذَلُّلُ

لكان التَّعَزِّى عند كُلِّ مُصِيبَةٍ ونائِبَةٍ بالحُرِّ أَوْلَى وأَجْمَلُ(١)

فكيفَ ، وكلٌّ ليس يَعْدُوحِمامَهُ وما لِامْرِىءٍ عما قَضَى اللهُ مَزْحَلُ(٢)

فإن تكن الأَيامُ فينا تبدَّلَتْ ببُؤْسَى ونُعْمَى - والحوادِثُ تَفْعلُ -

فما لَيَّنَتْ منا قناةً صَلِيبَةً ولا ذلَّلَتْنا للتى ليس تَجْمُلُ(٣)

ولكن رَحَلناها نفوسا أَبيَّةً تُحَمَّلُ مالا تستطيع فَتَحْمِلُ(٤)

وقال أَبو الحسن على بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أَبى طالب - رضى الله عنهم - :

هَبْنِى بَقِيتُ على الأَيام والأَبَدِ ونِلْتُ ما شِئْتُ من مال ومن وَلَدِ

مَنْ لى برُؤْيةِ من قد كنتُ آلَفُهُمْ وبالزَّمانِ الذى وَلَّى فلم يَعُدِ؟!

[٢٢٧ أ] لافارَقَ الحُزْنُ قَلبِى بعدَهُم أَبدًا حتى يُفَرِّقَ بين الرُّوحِ والجَسَدِ

وقال آخر :

صَبَرْتُ ابتغاءَ الأَجْرِ بعدَ خُوَيْلِد وبعد رِزام والنُّفوسُ تَوَالِفُ(٥)

---

(١) المعنى : لو كان فى الجزع منفعة، لما كان يحسن ، وكان الصبر أحسن منه ، **فكيف** وليس فيه منفعة ؟! ومنه أخذ ابن الرومى قوله :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعَنْهُ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذا ما لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَهْرَبُ ؟

هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ والصَّبْرُ واجِبُ وما كَانَ مِنْهُ كالضَّرُورَةِ أَوْجَبُ

هُوَ المَهْرَبُ المُنْجِى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بهِ نَوَائِبُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ مَهْرَبُ

(٢) يعدو : يجاوز - الحمام : الموت - مزحل: مبعد ومهرب .

(٣) جملة « والحوادث تفعل » اعتراض بين فعل الشرط وهو « تكن » والجواب وهو « فما لينت .. » والعرب تضرب المثل بالقناة ، فيقولون : قناة بنى فلان صلبة ، أى هم أعزاء أشداء وقناتهم خوارة ، أى هم ضعاف أذلة . يقول : ان الدهر بتصرفه علينا لم يذلنا .

(٤) قال التبريزى - فى شرح هذا البيت - : يجوز أن يكون معنى رحلناها رحلنا لها ، والضمير للحوادث ، ويكون نفوسا مفعولا لرحلنا ، ويجوز أن يكون الضمير للنفوس على أن يكون مفعولا أتى به قبل الذكر ، ثم جعل نفوسا بدلا منه على طرق التبيين ، والمعنى : رحلنا أنفسنا الكريمة ثقل الدهر ، من قولك : رحلت البعير ، اذا وضعت عليه الرحل .

(٥) **توالف : جمع تالفة ، أى هالكة .**

وبعْدَ الفَتَى فَجْر ولَيْثٍ تَتَابَعَا فلم يَبْقَ بعد الإِلْفِ إلا المَعَارفُ[1]
فقد جَعلَتْ نَفْسِى تَلَذُّ اتِّبَاعَهُمْ كما لذَّ بَرْدَ الماءِ حرَّانٌ صائفُ[2]

غاب شَبِيبُ بنُ البَرْصاءِ عن أَهْلِهِ غَيْبَةً ، ثم عادَ بعدَ مدةٍ ، وقد مات جماعة من أهله ، وبنى عَمِّه ، فقال [3] :

تخرَّم الدهرُ إخوانِى وغادَرَنى كما يُغادَرُ ثورُ الطاردِ الفَرَدُ[4]
إنى لباق قليلًا ثم لاحِقُهم ووارِدٌ مَنْهَلَ الحَوْضِ الذى وَرَدُوا[5]

وقال العُتْبى[6] :

ينامُ المُسْعِدُونَ ومَنْ يَلُومُ وتُوقِظُنِى وأُوقِظُها الهُمُومُ
صحِيحٌ بالنَّهارِ لِمَنْ يَرانِى ولَيْلِى لا يَنَامُ ولا يُنِيمُ
كأَنَّ الليلَ مَحْبُوسٌ دُجاهُ وأولُه وآخِرُه مُقِيمُ[7]
لَمَهْلِكِ فِتْيَةٍ تركُوا أَباهُم وأَصْغَرُ ما بِهِ منهم عَظِيمُ[8]
يذكِّرُنيهِمُ ماكنتُ فيه فسيَّانِ المساءةُ والنَّعيمُ
وبالخَدَّيْنِ [9] من دَمْعِى نُدوبٌ وبالأَحْشاءِ من وَجْدِى كُلُومُ[10]

[٢٢٧ ب]

---

(١) أراد بالالف : المعاشرة ، وبالمعارف : الذكريات .
(٢) لذ الشيء : صار شهيا ، ولذ الشيءوبه : وجده لذيذا - والصائف : المقيم فى الصيف ، ويقال : صيف صائف على التوكيد ، كما يقال : همج هامج .
(٣) الأبيات والخبر فى الأغانى (١٢/٢٧٧ ، ط دار الكتب) .
(٤) الفرد - بفتح أوله وثانيه ، وبضمهما، وبفتح الأول وكسر الثانى ، ويقال ايضا فارد ، ومفرد - : المنفرد وصف لثور الوحش ، الطارد : الصائد ، وفى الأغانى « الطارد الفئد » وما هنا أجود .
(٥) فى الأَغانى : « ثُمَّ تابعُهُمْ ... مَنْهَلَ القَوْمِ » .
(٦) الأبيات فى أمالى القالى ٢/٣٢٧ ، وهى متفقة مع ما ورد هنا فى عدة الأبيات وترتيبها
(٧) فى الأمالى : « فأوله .. » وهو أجود .
(٨) لمهلك ، أى لهلاك ، مصدر ميمى .
(٩) فى الأمالى « فبالخدين » .
(١٠) الندوب : آثار الجروح يعنى أن الدمع من سيلانه أثر فى خديه مثل الندوب ، والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح .

فإنْ يهلِكْ بَنِيَّ فليسَ شيءٌ   من الدُّنيا على أحَدٍ مُقِيمُ[1]

وقال أبو زُبيد الطائى[2] :

من رَأى[3] العِيرَ لابنِ أرْوَى على ظَهْـ   ـرِ المَرَوْرَى حُداتُهُن عِجَالُ

مُصْعِداتٍ ، والبيتُ بيتُ أبى وَهْـ   ـبٍ خلاءٌ تَهُبُّ[4] فيه الشَّمالُ

يعرفُ الجاهلُ المُضَلَّلُ أنَّ الدَّ [م] هْرَ   فيه النَّكْرَاء والزِّلْزَالُ

ليتَ شِعْرِى! كذَاكُم العَهْدُ أَمْ كا   نُوا أُناساً كمن يَزُولُ فزَالُوا

بعد ما تَعْلمِين يا أُمَّ زَيْدٍ   كانَ فيهم عِزٌّ لنا وجَمَالُ

من وُجوه[5] بُودِّنا مُشْرقاتٍ   ونوالٍ إذا أُريدَ النَّوالُ

وقال البُرَيْقُ بن عِياض الهُذَلى[6] :

ما إنْ أبو زَيْدٍ بِرَثٌّ سلاحُه   جبانٍ وما إنْ وَجْهُهُ بدَمِيمِ[7]

[۲۲۸ ا] وكنتُ إذا الأيامُ أحْدَثْن نَكْبَةً   أقُول : شَوًى ، مالم يُصِبْنَ صَمِيمِى[1]

يقال : رمى فأصْمَى ، إذا أصاب مَقْتَلًا ، ورمى فأشْوَى ، إذا لم يُصِبْ مقتَلا .

---

(١) الشطر الثانى فى الأمالى «عَلَى شيءٍ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ» .

(٢) الأبيات فى الأغانى ٤/١٨٢ ط بولاق . وقدم لها الأصفهانى بقوله : (كان أبو زبيد نديما للوليد بن عقبة أيام ولايته بالكوفة ، فلما شهد عليه بالسكر من الخمر ، وخرج من الكوفة قال أبو زبيد : . . » ثم أورد القصيدة ، والأبيات من أولها على الترتيب .

(٣) فى الاغانى (من يرى) . المرورى : جمع مروراة ، وهى الصحراء ، موضع بعينه كان فيه يوم المروراة ظفرت فيه ذبيان ببنى عامر ، وابن أروى هو الوليد بن عقبة . وأروى هى أمه ، وأم عثمان بن عفان .

(٤) فى الأغانى (تحن)

(٥) فى الأغانى (ووجوه . . . يراد النوال) .

(٦) الابيات فى شرح الهذليين / ٧٤٤ وفى ديوان الهذليين ٣/٦٠ ، أن اسمه عياض بن خويلد الخناعى ، والابيات فى ديوانه من قصيدة يرثى بها اخاه ، وهى من أولها على الترتيب .

(٧) الدميم : القبيح ، ورواية الديوان « وما ان جسمه » وأشار فى هامشه الى انه يروى « وما أن وجهه » وهو أجود ، لان وصف الوجه بالدمامة معروف .

(٨) فى الديوان « أحدثن هالكا » فسره بقوله : كنت اذا هلك هالك ، قال : وشوى ، أى هين ، وصميمى اى تقع بى ، والصميم : الخالص . وتفسير المصنف أتسب ، وقد أورد اللسان البيت شاهدا على هذا المعنى فى مادة (شوى)

أَصِبْنَ أبا زَيْدٍ ، ولا حىَّ مِثلُه ... وكان أَبُو زَيْدٍ أَخِى وحَمِيمِى[1]

فأَصْبَحْتُ لاأَدْعُو من النَّاسِ واحِدًا ... سِوَى وِلْدَةٍ فى الدارِ غيرَ حكِيمِ[2]

(يقول : لم يُبْقِ الموتُ إلا الأَطفال) .

كأَنَّ عَجُوزِى لَم تلِدْ غيرَ واحِدٍ ... وماتَتْ بذاتِ الشَّرْىِ غيرَ عَقِيمِ[3]

(الشرى : الحنظل ، [وذات الشرى] : موضع) .

يقول : كانت كثِيرةَ الولَدِ ، فماتوا ، وبقيتُ أنا وَحْدِى ، فكأَنَّها لم تلِدْ غيرى .

وقال وَضَّاحُ اليَمِنِ ، واسمه عبد الرحمن بن إسْماعيل بن عبد كلال [4] :

كأَنِّى إذْ أُكَفْكِفُ دمعَ عينِى ... وأَنْهاها ، أَقولُ لها : هَرِيقِى[5]

سأَصْبِرُ للقضاء ، فكُلُّ حىٍّ ... سيَلْقَى سَكْرَةَ الموتِ المَذُوقِ

فما الدنيا بقائِمةٍ وفيها ... من الأَحياءِ من عَيْنٍ رَمُوقِ[6]

فأَغْناهُم كأَعْدَمِهم إذا ما ... تقضَّتْ[7] مُدَّةُ العَيْش الرَّقِيقِ

كذلك يُبْعَثُون وهم فُرادَى ... ليوم فيهِ تَوْفِيةُ الحُقُوقِ

---

(١) فى الديوان « ونديمى »

(٢) فى الديوان : « إلْدَةٍ فى الدّارِ غير مُقيمِ » وفى شرح أشعار الهذليين – ٧٤٥ كروايته هنا

(٣) اراد بعجوزه : أمه ، اى كأن أمى لم تلد غيرى ، اذ مات اخوتى وتتابعوا

وذات الشرى موضع معروف به ، ورواية الديوان بذات الشث ، والشث : شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به ، وذكر ياقوت أن الشث موضع بالحجاز .

وفى شرح أشعارالهذليين، « وهى عقيم» قال السكرى : « وغير مقيم » أجود ، يعنى لسلامته من الأقواء .

(٤) أوردها الاصفهانى فى اخبار وضاح اليمن (الأغانى ٢٢٨/٦ ط دار الكتب) وقدم لها بقوله : « كان وضاح مقيما عند أم البنين ، فورد عليه نعى أبيه واخيه ، فقال يرثيهما » وذكر القصيدة التى منها هذه الأبيات ومطلعها :

أَرَاعَكَ طائِرٌ بَعدَ الخُفُوقِ ... بِفَاجِعَةٍ مُشَنَّعَةِ الطُّرُوقِ

(٥) هريقى ، اى اريقى ، يقال : أراق الماء وهراقه بمعنى .

(٦) الأغانى « ذو عين رموق » .

(٧) تقضت : انقضت وانتهت .

وقال أُبو سعيد ، مولى قايد[1] :

[٢٢٨ ب]

أثَّر الدهرُ فى رِجالى فقلُّوا بعد جَمْعٍ ، فراحَ عظْمِى مَهِيضا[2]
ما تَذَكَّرْتُهُمُ فتملِك عيْنى فيضَ دَمْعِى ، وحُقَّ لى أن تَفِيضَا[3]

وقال أيضا :[4]

أُولئِكَ قَوْمى بعد عِزٍّ وثَرْوَة تفانَوْا ، فإلاتَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ[5]
أَرى أُسْرتِى فى كلِّ يومٍ ولَيْلَةٍ يَرُوح بِهم رَيْبُ المنونِ ويَغْتَدِى
كأنَّهُم لاناسَ للموْتِ غيرهم وإنْ كانَ فيهم مُنْصِفٌ[6] غيرُ مُعْتَدِ

وقال نُصَيْبٌ ، يرثى عبدَ العزيزِ بن مَرْوان[7] :

عَرَفْتُ ، وجرَّبْتُ الأُمورَ فما أَرَى كماضٍ تَلاهُ الغابِرُ المُتَأَخِّرُ
ولكنَّ أَهلَ الفَضْلِ ، من أَهلِ نِعْمَتى يمُرُّونَ أَرْسالًا[8] أَمامى وأَغْبُرُ
فإن أَبْكِهِم أُعْذَرْ ، وإن أَغْلِبِ الأَسَى بِصبْرٍ فمِثْلى عِنْدَما اشْتَدَّ يَصْبِرُ

دخل نُصَيْبٌ على عبدِ الملِك بن مَرْوان ، فاستَنْشَدَه ما قال فى أَخيه عبدِ العزيز ، فلما أنشده هذه الأَبيات ، قَالَ : أَنَا كنتُ أَوْلَى منكَ بِهذا القَوْل .

---

(١) كذا فى الأصـــل بالقاف ، والذى فى الأغانى (٤/ ٣٣٠ – ٣٤٢ ط الدار) مولى فائد (بالفاء) وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان ، قال ابن خرداذبة : « واسم أبى سعيد ابراهيم ، ويعرف فى الشعراء بابن أبى سنة مولى بنى أمية » .

والبيتان فى الأغانى (٤/ ٩٦ و٩٧ ط بو لاق) .

(٢) يقال : هاض العظم ، اذ كسره بعد ما كاد ينجبر

(٣) فى الأغانى : « فيض غرب » والغرب · الدلو العظيمة .

(٤) أورد الأصفهانى البيتين الأول والثالث من هذه الابيات فى (الاغانى ٤/ ٩٧ ط بولاق)

(٥) الأغانى « بعد عز ومنعة . » والكمد : هم وحزن لا يستطاع امضاؤه .

(٦) فى الأغانى « منصفا » كأنه أراد « كان الموت منصفا فيهم » ولا يستقيم المعنى ، لأنه يبكيهم ويتحسر عليهم ، الا أن يعنى التســليم بالقدر دينا ، وما هنا أجود والمعنى عليه عدا عليهم الموت والحال أن كلا منهم منصف غير معتد ، كأن جزعه عليهـــم جعله ينكر أن يكون هذا مصيرهم .

(٧) الابيات فى الاغانى (١/ ١٤٤ ط بولاق) ومعها الخبر الذى أورده المصنف بعدها .

(٨) فى الأغـــانى « أسلافا » والأسلاف : الذين تقدموك من الآباء وذوى القـرابة ، ومنه قول طفيل الغنوى يرثى قومه :

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدَ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ وصَرْفُ المنايَا بالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

والأرسال : الجمـــاعات ، وأغبر : أبقى بعدهم .

وقال عُصَيْمةُ التَّيْمِي – [من] تَيْمِ الله بن ثَعْلَبَةَ – :

ولو أنَّ قومى مثلُ قَوْمِ عُباعِبٍ   وإخْوَتِهِمْ ما اسْتِيقَ ظُلْمًا رَكَائِبِى

ولكِنْ أصابَتْهُمْ خُطُوبٌ، وَأَخْطَأَتْ   رِجَالًا أَرُونِى بالنَّهَارِ كَوَاكِبِى[1]

[٢٢٩ ا]

وقال أبو عبد الله القَزَّاز، وهو محمدُ بن جَعْفَر النَّحْوِى من أبيات :

واحسْرتا، ماتَ إخوانِى وأَقْرانى   وشَتَّت الدهرُ خُلَّانِى وأعْوانى

وغَيَّرتْ غِيَرُ الأيام خَالِصَتِى   والمُصْطَفَى الحُرَّ من أهلى وجيرَانِى[2]

وصارَ من كُنْتُ فى السرَّاءِ أذكُرُه   – بل لَسْتُ أنساهُ فى الضَّراءِ – يَنْسَانى

وقال الفقيه أبو طاهرٍ ابراهيمُ بن خَفاجةَ المغربى :

أإخْوانى، ولا إخوانَ صِدْقٍ   أُصافِى بعدَكُم إلا الصِّفاحُ[3]

لحُسْنِ الصَّبْرِ دونكُمُ حِرانٌ   وللعَبَراتِ بعدكُمُ جِماحُ[4]

فديتُكُم بِنَفْسِى من كِرَامٍ   يهُزُّ بهم معاطِفَهُ السَّماحُ[5]

أرى بهم النُّجُوم ولا ظَلامٌ   وأَوْضَاحُ النَّهارِ ولا صباحُ

لهم هِمَمٌ كما شَمَخَتْ جِبالٌ   وأخلاق كما دَمِثَتْ بِطاحُ[6]

قِيل إن الرشيد أحضر بعض جوارى البرامكة – بعد نكبتهم – وقال لها : غنى، فغنَّت :

أَبْكَى فراقُهُمْ عَيْنِى وأَرَّقَها   إن التفرُّقَ للأَحْبَابِ بَكَّاءُ[7]

مازَالَ يَعْدُو عَلَيْهِم رَيْبُ دَهْرِهِمُ   حتى تَفَانَوْا، ورَيْبُ الدَّهْر عَدَّاءُ

[٢٢٩ ب]

---

(١) أروه بالنهار الكواكب : كناية عن ظلمهم اياه، وقسوتهم عليه، وهى من الكنايات الجارية على ألسنة العامة الى اليوم .

(٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة، وخالصة المرء : من يصطفيه من بين الأصدقاء .

(٣) الصفاح : السيوف .

(٤) الحران : إمتناع الدابة عن السير، استعاره للصبر، والعبرات : الدموع، والجماح هنا : الاسراع والغلبة .

(٥) السماح : الكرم، وكنى بهزه معاطفه بهم، عن تيهه وفخره بهم .

(٦) شمخت : علت وارتفعت، ودمثت : لانت وسهلت

(٧) فى هامش الأصل بخط مغاير ورد قبله هذا البيت :

لَهْفِى علَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ   فَمَا يُصِيبُهُمُ إلا بِمَا شَاءُوا

وبعض كلماته مطموس .

فَظَلْتُ أبكيهِمُ طَوْرًا وأَنْدُبُهُم   حتى انْثَنَيْتُ ، وما فى مُقْلَتِى ماءُ

وقال آخر :

مَضَوْا بَدَدًا عَنى وَحَلَّقَ بعدَهُم   بما سرَّنى فى العَيْشِ قادِمَتا نَسْرِ [1]

فما أُغمِضُ الأجفانَ إلا على قَذًى   ولا أُقلِبُ الجنْبَيْنِ إلا على جَمْرِ

وأَصْبَحْتُ أَعْفُو عن ذُنوب كثيرةٍ   وأَحْمِلُ زَلَّاتِ الصديقِ على الدَّهْرِ

واعذُرُ قومًا لو أُحَاكِمُ بعْضَهُم   إلى نفسِه أَغْضَى حياءً من العَذْرِ

وقال آخر :

نَقَّبُوا فى البلادِ من حَذَرِ المو   تِ ، وجالُوا فى الأَرضِ كل مَجالِ [2]

ثم صارُوا إلى التى خُلِقُوا مِنْ   ها ، وكلٌّ مَصِيرُه لزَوالِ [3]

وقال آخر [4] :

ثَوَى بين الحُرَيْشِ وتَلِّ مَحْرَى   فوارسُ من نُمَارَةَ غيرُ مِيلِ [5]

فلا فَرِحِينَ إن نَعْمَاءُ واتَتْ   ولا جَزِعِين للخَطْبِ الجَلِيلِ [6]

---

(١) بددا : متفرقين ، وقادمة الطائر : أربع ريشات فى مقدمة الجناح ، اراد ان سروره ذهب بعدهم ، كانما طار به نسر .

(٢) نقبوا فى البلاد : ذهبوا فيها كل مذهب ، وفى قوله تعالى : «فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ» : خرقوا البلاد فساروا فيها طلبا المهرب .

(٣) التى خلقوا منها : يعنى الأرض .

(٤) البيتان فى معجم البلدان أوردهما ياقوت فى رسم « تل محرى » ونسبهما الى رجل من الروم أصله من اياد ، وله قصه مع خالدبن عمير بن بن عبد الحباب السلمى فى غـــزو القسطنطينية .

(٥) فى معجم البلدن الجريش ، بالجيم ، وفى الاصل بالحاء ، وهى قرية من كورة الفرج من اعمال الموصل ، وتل محرى ، ويقـــال تل بحرى : بليده بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقة ، ونحارة : اسم قبيلة ، والميل : الواحد أميل وهو الذى يميل على السرج فى جانب ، وقيل : هو الذى لاسيف معه ، وقيـــل : هو الجبان .

(٦) فى معجم البلدان :

فلا جَزِعُونَ إنْ ضَرّاءُ نَابَتْ   ولا فَرِحُونَ بالخَيْرِ القَلِيل

وما هنا أجود

وقال ابن الرومى :

قد كنتُ أبكِي على منْ ماتَ مِن سَلَفِي[1] وأهْلُ وُدِّى جَمِيعٌ غيرُ أشْتاتِ

فاليومَ - إذْ فَرَّقَتْ بينى وبينَهم نَوًى - بكيتُ على أهْلِ المودّاتِ

وما حياةُ امرئٍ أضْحتْ مدامِعُه مقسومَةً بين أحْياءٍ وأمْواتِ؟!

وقالت عِنانُ جارية النَّطّاف[2] :

نَفْسِى على حَسَراتِها مَوْقُوفَةٌ فودِدْتُ لو خَلَصَتْ من الحَسَراتِ

لو فى يَدَىَّ حِسابُ أيامى إذَنْ خَطْرَفْتُهُن تعجُّلًا لوفَاتى[3]

لا خَيْرَ بعدَكَ فى الحياةِ وإنما أبْكِى مَخَافَةَ أن تَطُولَ حَياتى

وقال الحُسَيْنُ بن الضَّحّاك[4] :

تخوَّنَ الدهرُ منَّا إذ تَخَوَّنَهُم مالا يَعُود علَيْنَا آخِرَ الأبَدِ

ياليتَ شِعْرِى إذا مابَرْمَكٌ دَرَجَتْ[5] وأصبحَ الفَرِحُ المسرورُ ذاكَمَدِ

هل يَسْتَقِلُّ[6] كيَحْيَى بعدَه بَشَرٌ أمْ هل يَجُودُ كجودِ الفِضْلِ من أحَدِ؟

---

(١) سلف الانسان : الذين تقدموه من ذوى قرابته الذين هم فوقه فى السن والفضل الواحد سالف .

(٢) كذا فى الأصل ، والمعروف « الناطفى » وذكرته عنان فى بعض شعرها باسم النطاف ، وهو قولها ترثيه :

يا مَوْتُ أفْنَيْتَ القُرُونَ ولَمْ تَزَلْ حَتَّى سَقَيْتَ بِكأسِكَ النَّطّافَا

وانظر فى ترجمتها : نهاية الارب ٥/٧٨ - ٨٢ ، والورقة / ٣٩ - ٤٢ وطبقات ابن المعتز / ٤٢١

(٣) يقال : تخطرف الشىء ، اذا جاوزه وتعداه

(٤) لم ترد الأبيات فيما أورده الأصفهانى من أخبار الحسين وأشعاره فى الأغانى (٧/١٤٦ - ٢٢٦ ط دار الكتب) وليست كذلك فى ديوانه « شعر الخليع » بتحقيق عبد الستار فراج (ط بيروت سنة ١٩٦٢) ولم نعثر عليها فى اى مصدر آخر .

(٥) يقال : درج فلان ، اذا مات ، وفى المثل : « اكذب من دب ودرج » أى اكذب الأحياء والأموات .

(٦) استقل هنا بمعنى نهض ، وأصله من قولهم : استقل الطائر فى طيرانه ، اذا نهض للطيران وارتفع فى الهواء ، ويقال ايضا : استقل فلان ، اذا انفرد بتدبير أمر نفسه .

وقال شُقْران :

[٢٣٠ب] ذَكَرْتُ أَبا أَرْوَى فبِتُّ كأَنَّنى بردِّ الأُمور الماضياتِ وكِيل

[ويروى : أَبا] أَوفى .

وإن افتِقادِى واحدًا بعد واحدٍ دَلِيلٌ على أَن لا يَدُومَ خليلُ(١)

لكلِّ اجتماع من خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وكلُّ الذى دون الفِراقِ قليلُ

وقال أَبو العَتَاهِيَة(٢) .

كم من أَخٍ لى لايُرى مُتَصَرِّفًا فيمن تراهُ

أَمْسَى قريبَ الدّارِ فى الْ أَجْدَاثِ قد شَحطَتْ نَواه

قد كان مُغْتَرًّا بيَوْ مِ وفاتِه حتى أَتاه

النَّاسُ فى غَفَلاتِهم والموتُ دائرةٌ رَحاه

فالحمدُ للهِ الذى يبْقَى ويَهْلَكُ من سِواه

وقال آخر :

أَخِلَّاى من أَهلِ القُبورِ : عليكم السـلامُ ، أَما من دَعْوَةٍ تسمَعُونَها ؟

ولا مِنْ كلامٍ تَرْجِعُون جوابَه إلينا ، ولا من حاجةٍ تَطْلُبُونَها

سكنْتُمْ ظهورَ الأَرضِ فى الدهر بُرْهَةً فلم تَلْبَثُوا حتى سكَنْتُمْ بُطُونَها

وقد كان فى الدّنيا قرونٌ كثيرة ولكنّ رَيْبَ الدهرِ أَفْنى قُرُونَها(٥)

---

(١) افتقد الشيء : فقده ، ويقال أيضا : افتقده : طلبه فى حال غيبته

(٢) الأبيات فى ديوانه / ٢٨٥ من قصيدة مطلعها :

المرْءُ تَخْدَعُه مُناهْ والدَّهْرُ يُسْرِعُ فِي بَلاهْ

وقد جاءت هنا بترتيب الديوان ، وهى تقابل الأبيات من (٤ - ٨) من القصيدة

(٣) فى الديوان « ويهلك ما سواه »

(٤) شحطت : بعدت .

(٥) القرون واحدها قرن ، وهو هنا الأمة تأتى بعد الأمة ، وقيل : القرن : أهل كل زمان ، مأخوذ من الاقتران ، فكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم .

وقال أَصْرَمُ بن حُمَيْد ـ وقيل : هى لمَفَضَّل العَمِّى[1] :

عاداتُ قومِي من بنِي أَسَدٍ رىُّ القَنا ، وخِضابُ كلِّ حُسامِ[2]

لَهْفِى على قَتْلَى النِّباجِ فإنهم[3] كانُوا الذُّرَى ورَوابِىَ الأَعْلامِ

كانُوا على الأَعْداءِ جَمْرًا مُحْرِقًا ولقَوْمِهم حَرَمًا من الأَحْرامِ[4]

لا تَهْلَكِى أَسَفًا ، فإِنِى واثِقٌ بِرِماحِنا وعَوَاقِبِ الأَيّامِ

[١٢٣١]

وصف أعرابى قومه فقال : كانوا والله ليوثَ حَرْبٍ ، وغيوثَ جَدْبٍ ؛ إن قاتلوا أَبْلَوْا ، وإن أَعْطَوْا أَغْنَوْا ، ثم عجَّل لهم الدهرُ ما أَخَّرَ لغيرهم .

قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ لعَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ الزَّبِيدىِّ : صف لى قومك ، فقال : نعم القومُ عند السَّيْفِ المَسْلُولِ ، والخيرِ المَسْئُولِ ، والطَّعَامِ المأكولِ .

وقال آخر[5] :

أَبَعْدَ بنى بَكْرٍ أُؤَمِّلُ مُقْبِلًا من الدهر أو آسَى على فَقْدِ مُدْبِرِ ؟![6]

---

(١) العمى : من بنى العم ، وهم قوم نزلوا ببنى تميم بالبصرة فى أيام عمر بن الخطاب ، فأسلموا وغزوا مع المسلمين ، فقال الناس لهم : أنتم ـ وان لم تكونوا من العرب ـ اخواننا وأهلنا ، وانتم الانصار والاخوان . وبنو العم ، فلقبوا بذلك ، وصاروا فى جملة العرب ، ذكر ذلك الاصفهانى فى أخبار عكاشة العمى منهم (وانظر الاغانى ٣/٢٥٧)

(٢) الخضاب : ما يخضب به من حناء وغيره ، استعاره للدم يعلق بالسيف ، أراد مدحهم بالشجاعة .

(٣) النباج ـ ضبط فى الاصل بضم النون ، والمثبت من معجم البلدان ، وفى القاموس نظر له بكتاب ، وهو موضع مختلف فى تحديده ، قال ياقوت : قال السكونى : النباج من البصرة على عشرة مراحل ، وقال أبو منصور : فى بلاد العرب نباجان ، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بنى عامر ، والآخر : نباج بنى سعد بالقريتين . قلت : ولعل الأول هو المراد .

(٤) حرم الرجل وحريمه : ما يقاتل عنه ويحميه ، وجمعه أحرام .

(٥) البيتان لمسافع بن حذيفة العبسى ، كذا فى حماسة أبى تمام (٣/٣٣ نشر محيى الدين عبد الحميد) .

(٦) فى الحماسة « أَبَعْدَ بَنِى عَمْرٍو ... أو آسَى عَلَى إِثْرِ مُدْبِر »

وليسَ وراءَ الفوتِ شيءٌ يردُّه   عليكَ إذا ولّى سِوَى الصبرِ ،فاصْبِرِ[1]

وقال ابن المُعْتزّ[2] :

أَشكو إلى اللهِ أَحْدَاثًا من الزَّمَنِ   برينَنى مثلَ بَرْيِ القِدْحِ بالسَّفَنِ[3]

لم يَبْقَ فى العيشِ لى إلا مَرَارَتُه   إذا تَذَوَّقْتُه ، والحُلْوُ منه فَنِى[4]

يانَفْسُ صَبْرًا ، وإلافاهْلكِى جَزَعًا   إن الزَّمان على ماتكرهِينَ بُنِى

[٢٣١ ب]

وقال الأُستاذ أبو إسماعيل الطُّغْرائى[5] :

أَنْبَتُ بالحَظِّ لو نادَيْتُ مُسْتَمِعًا   والحظُّ عَنِّىَ بالجُهّالِ فى شُغُلِ[6]

تقَدمَتْنِى[7] رجالٌ كان شَوْطُهُم   وراءَ ظَهرِىَ لو أَمْشِى على مَهَلِ

---

(١) فى الحماسة «ولَيْسَ وراءَ الشَّىءِ شَىءٌ ... » .

وقال التبريزى فى تفسيره : وراء الشىء: يعنى الشىء الفائت ، وحذف الصفة لأن وراء دلت عليه ، ورواية المصنف هنا أغنت عن التقدير ، قال التبريزى المعنى : ليس يرد عليك الشىء الفائت لا الصبر ، والصبر ايضا لايرده، ولكنه أراد أن الصبر يكسبك المثوبة ، وحسن الاحدوثة ، فيكون ذلك عوضا عنه ، وفى الحماسة ـ زيادة عما هنا ـ البيتان :

سلَامٌ بَنِى عَمْرٍو على حَيْثُ هامُكُمْ   جَمَالُ النَّدِىِّ والقنا والسَّنَوَّرِ

أُولاكَ بَنُو خَيْرٍ وشَرٍّ كِلَيْهِمَا   جَمِيعًا وَمَعْرُوفٍ أَلَمَّ ومُنْكَرِ

(٢) الا بيات فى الجزء الرابع من شعر عبد الله بن المعتز (١٨٠ ط استانبول) من قصيدة كتب بها الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يجيبه ، وكان قد بعث اليه يعزيه ، ويقابلها الأبيات (١و٣و٨)

(٣) رواية الديوان : «بَرَيْنَ جِسْمِىَ بَرْىَ القِدْحِ بالسَّفنِ» .

والسفن ـ بفتحتين ـ : كل ماينحت به الشىء من فأس أو قدوم أو حجر أو نحوها .
والقدح : قطعة من خشب تعرض قليلا وتسوى على نحو خاص ، يضرب بها فى الميسر .

(٤) رواية البيتين : الثانى والثالث متفقة مع رواية الديوان .

(٥) الأبيات فى ديوان الطغرائى / ٥٥ (ط لجوائب) وفى الغيث المسجم بشرح لامية العجم ٢/ ٦٠ـ٦٩ ، ١٢١ـ١٧٩) من قصيدته المشهورة ، المعروفة بلامية العجم ، والتى مطلعها :

أَصَالَةُ الرَّأْىِ صَانَتْنِى عَنِ الخَطَلِ   وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِى لَدَى العَطَلِ

ويقابلها من القصيدة الأبيات ٣٧و٤٤و٤٥و٤٦

(٦) رواية الديوان : « اهبت بالحظ .. »

(٧) فى الديوان والغيث المسجم «تَقَدَّمَتْنِى أُناسٌ كانَ خَطْوُهُمْ   وَرَاءَ خَطْوى ...

هذا جزَاءُ امرئٍ أقْرانُه درجُوا من قبلِهِ فتَمَنَّى فُسْحةَ الأَجلِ

فإن(١) علانِيَ من دُونِي فلاعَجَبٌ لى أُسْوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

وقال بَيْهَسٌ - ويُلَقَّب نَعامة - وقد قُتِلَ إخوتُه(٢) :

أرقادًا أَرَدْتَ أم تَهْوِيمَا أم عَرَتْكَ الهُمُومُ ، فانْفِ الهُمُوما

لا ، بل الحادِثُ الجليلُ من الخَطْبِ أتانِي ، فَبِتُّ أَرْعَى النُّجُومَا

عينُ فابكِي الحُمَاةَ لِلمَجْدِ ، وابكِي من يُجِيرُ الجانى ويَحْمِى الحرِيمَا

وقال ابن المعتز(٣) :

أُسدُ الوغى وبُدُور أَنْدِيَة ، وفُرْسانُ المنَابِرْ

[١٢٣٢] خاضُوا غَدِيرَ المَوْتِ مُنْجَرِدًا من الأَقْذاءِ حاسِرْ (٤)

فمَضَوْا وأَبْقَوْا آجنًا مُرًّا تَقَسَّمَه الحناجِرْ(٥)

وقال أيضا(٦) :

---

(١) فى الديوان « وان »

(٢) هو بيهس الفـــزارى ، وانظر خبـــره ومقتل اخوته فى (الاغـــانى ٢١/١٨٨ - ١٩٠) ولم يرد فيه هذا الشعر

(٣) الابيات فى ديوانه الجزء الرابع من شعر ابن المعتز (١٤٧ ط استانبول) من قصـــيدة طويلة مطلعها :

أَشَجَتْكَ بعدَ الحىِّ منْ زِلَةٌ وأَطْلَالٌ داوِثِرْ

ويقابلها من القصـــيدة فى ترتيب الديوان الأبيات (٢٤ - ٢٦ وروايتهـــا تتفق مع رواية الديوان .

(٤) المنجرد : من قولهم : انجرد من ثوبه ، اذا تعرى ، الأقذاء . وأحدها القذى ، وأصله ما يتكون فى العين من الرمص والغمص ونحوهما ، والحـــاسر : المكشـــوف . أراد أنهم لشجاعتهم واجهوا الموت واضحا صريحا .

(٥) فى الديوان : « وَمَضَوْا وَبَقُّوا آجِنًا » والآجن : الماءُ المتغير اللون والطعم والرائحة وتقسمه : اقتسمه وتتنازعه .

(٦) الابيات فى شعر عبد الله بن المعتز (٤/١٥٨ ط استانبول) ومطلع القصيدة فيه :

يَاغَيْثُ سَقِّ مُحَمدًا جَوْدًا عَلَيْهِ كما فَعَلْ

ويقابلها من القصيدة الأبيات ٣و٥و١١

لا يَهْنَأْ الدهرُ الخَئُ ونُ ، ولا أساغَ ، فَكَمْ أكَلْ[1]

فتَكَ الزمانُ بمثلِهِ بطَلٍ أُتيحَ له بَطَلْ

من للمَحامِدِ ، لا أقو لُ عَسَى يكونُ ، ولا لَعَلْ !

أنشد ابن دُرَيْد عن أبي حاتم :

ألا فى سبيلِ اللهِ ماذا تَضَمَّنَتْ بطونُ الثَّرَى ، واستُودِعَ البَلَدُ القَفْرُ

بُدورٌ ، إذا الدّنيا دَجَتْ أشْرقتبهم وإن أجْدَبَتْ يومًا فأَيْدِيهمُ القَطْرُ

فياشامِتًا بالموتِ ، لا تَشْمَتَنْ بهم حياتُهم فَخْرٌ ، وموتُهم ذِكْرُ

حياتُهم كانت لأعدائِهم عَمًى وموتُهم للفاخرِينَ بهم فَخْرُ

وقال مُنْقِذ بن عبد الرحمن الهلالى[2] :

الدهرُ لاءَمَ بين أُلْفَتِنَا زَمَنًا ، وفَرَّقَ بيننا الدّهرُ[3]

وكذاك يفعَلُ فى تَصَرُّفِه والدهرُ ليس ينالُه وِتْرُ[4]

كنتُ الضَّنِينَ بمن فُجِعتُ[5] به وسلَوْتُ حين تفاقمَ[6] الأَمْرُ

ولخَيْرُ حظِّكَ فى الرَّزِيَّةِ أن يلقاكَ عندَ نُزولِها الصَّبْرُ[7]

[٢٣٢ب]

وقال السيد بن برك[8] الأسدِىّ :

---

(١) الرواية في الديوان : «ذَمًّا لِذَا الدَّهْرِ الحُرو نِ....

(٢) الأبيات فى حماسة ابى تمـــام / ٤٧١ (ط بون) ولم يذكر اسم أبيه عبد الرحمن

(٣) فى الحماسة (وكذاك فرق)

(٤) قال التبريزى : يَعْنِى أَنَّ الدَّهْرَ يُوتِرُ غَيْرَه ، ولا يُوتَرُ .

(٥) فى الحماسة « بمن أصبت به » (٦) فى الأصل كتب فوق كلمة تفـــاقم (تقادم) وعليها علامة الصحة ، ورواية الحماسة « حين تقادم » والضنين : البخيل .

(٧) فى الحماسة « فى المصيبة .. » وقال التبريزى : معناه « خير حظك فيما تصاب به أن يتلقاك الصبر عند الصدمة الاولى » .

(٨) كذا ورد اسمه ، وما قبل الراء فيه غير منقوط ، ولم اعثر له على ترجمـــة . والبيت الثانى أورده الثعالبى من غير عزو فى المنتحل/ ٤٦ فى أبيات ثلاثة وبعده

لَعمْرِى إنِّى بالخَلِيلِ الذى لَهُ عَلَىَّ دلالٌ واجِبٌ لَمُفَجَّعُ

وإنِّى بالموْلَى الذى لَيْسَ نافِعِى ولا ضائِرِى فِقْدانُه لَمُمَتَّعُ

وهذان البيتان فى أبيات منسوبة (فى حماسة أبى تمام / ٣٨٩ ط بون) الى البراء بن ربعى الفقعسى ، وأورد المصـــنف بعضـــها فى ص ٢٢١ ب .

أبعْدَ أَبِي حِصْنٍ حُصَيْن ، ومالكٍ وعَبْدَةَ ، أَبْكِي الهالِكِينَ وأَجْزَعُ

أُولئكَ إخوانُ الصَّفاءِ رُزِئْتُهم وما الكَفُّ إلا إِصْبَعٌ ثم إِصْبَعُ

كان الشَّمَرْدَلُ بن شَرِيك المِنْقَرِيّ خرج هو وإخوته : حَكَمٌ ، ووائِلٌ ، وقُدامة فى جَيْش مع وَكِيعِ بن أَبِي سُود ، فبعث كلَّ واحد منهم فى جيش[1] ، فأتاه الشَّمَرْدَل ، فقال : أَيُّها الأَمير ، إن رأَيتَ أَن تَبْعَثَنا معا فى وجهٍ واحد ؛ فإنا إذا اجْتَمَعْنا تعاوَنَّا ، وتواسَيْنا ، وتناصَرْنا ، فأَبَى عليه ، وبعث كلَّ واحد منهم فى جيشٍ ، فقُتِل إخوتُه ، وأتاه نَعِيُّهم ، فرثاهم ، [2] قال :

أَعاذِلَ كم من رَوْعَةٍ قد شَهِدْتُها وغَصَّةِ حُزْنٍ من فراقِ أَخٍ جَزْلِ[3]

إذا وَقَعَتْ بين الحَيَازِيمِ أَسْدَفَتْ عليَّ الضُّحَى حتى يُوَسِّيَنِى أَهْلِي[4]

أَقُولُ - إذا آسَيْتُ نَفْسِى بإِخْوَةٍ مَضَوْا لاضِعافٍ فى الحياةِ ولا عُزْلِ - [5]

[٢٣٣ ا]

أَبَى المَوْتُ إِلَّا أَنَّ كُلَّ بنى أَبٍ سيُمْسُونَ شَتَّى غيرَ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ[6]

سأَبْكِي أَخِلَّائِي الذين تَبَرَّضُوا[7] دُموعِيَ ، حتى أَسْرَعَ الحُزْنُ فى عَقْلِي

---

(١) فى الأغانى ٣٥١/١٣ (ط دار الكتب) ان هذه الغزوة كانت الى خراسان ، وتتمة الخبر فيه : ان وكيعا بعث وائلا فى بعث لحرب الترك ، وبعث قدامة الى فارس فى بعث آخر ، وبعث حكما فى بعث الى سجستان ، فقال له الشمردل : ان رأيت أيها الأمير ... الخ » .

(٢) فى الأغانى (٣٥٢/١٣ ط دار الكتب) القصيدة التى منها هذه الأبيات ، وذكر الاصفهانى عن أبى عبيدة انه قالها فى رثاء قدامة ووائل ، وفى حماسة أبى تمام ٣٣٧/٢ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) بيتان مغيران مما ورد فى القصيدة برواية الأغانى ، ونسبا الى الشمردل ابن شريك أو نهشل بن حرى .

(٣) فى الأغانى « فى فراق » والروعة : الفزعة ، والجزل : الكريم فى العطاء ، والعاقل الأصيل الراى .

(٤) فى الأغانى « حتى ينسينى » والحيازيم : جمع الحيزوم ، وهو ما استدار بالظهر والبطن ، أو ضليع الفؤاد ، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر ، واسدفت : أظلمت ، فى لغة تميم ، والشمردل تميمى .

(٥) العزل : الواحد أعزل ، وهو من لاسلاح معه .

(٦) الأغانى : « أَبَى المَوْتُ الا فَجْعَ كُلِّ بَنِى أَبٍ » .

(٧) الأغانى : « سَبِيلُ خَلِيلَيَّ اللَّذَيْنِ تَبَرَّضا » ومعنى « تبرضا دموعى » استنزفاها قليلا قليلا .

كأن لم نَعِشْ يومًا ، ونحنُ بغِبْطَةٍ جَمِيعًا ، ويَنْزِلْ عند رَحْلِهِمُ رَحْلِي[1]

كان مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ لا يَنْفَكُّ يبكِي أخاهُ مالِكًا[2] ، فخاف قومُه عليه أن يَذْهَبَ بصرُه من البكاء ، فزَوَّجُوه أُمَّ خالد ، لعلَّه يَسْلُو ، ويكُف عن البُكاء ، فبينَا هو واضِع رأسه على فخِذِها ، إذ بَكَى ، فقالت : لا إله إلا الله ، ألا تَنْسَى أخاكَ فى حال؟! فقال[3] :

أقولُ لها – لما نَهَتْنِي عن البُكا – : أفى مالِكٍ تَلْحَيْنَنِى أُمَّ خالِدِ[4] ؟!
فإنْ كان إخوانِى أُصِيبُوا وأَخْطَأَتْ بَنِى أُمِّكِ أسبابُ الحُتوفِ الرَّواصِدِ[5]
فكُلُّ بنى أُمٍّ سَيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعيانِهم غيرُ واحِدِ
ذَرِينِى ، فإن لا أَبْكِ لم أَنْسَ ذِكْرَه وإن أَمَرَتْنِى بالعَزاءِ عوائِدِى
ذَرِينِى ، فكَمْ من صالحٍ قد رُزِئْتُه أخٍ لى كصَدْرِ الهُنْدُوانِيِّ ماجِدِ[6]
بودِّىَ لو أنِّى تَمَلَّيتُ عُمْرَه[7] بمالِىَ من مالٍ طريفٍ وتالِدِ
وبالكَفِّ من يُمْنَى يَدَىَّ حياتَه ففارَقَنِى منها بنَانِى وساعِدِى
فعِشْنَا لنا أَيْدٍ ثلاثٌ وإنَّمَا تَصافِى الحياةِ بذُلِّها بالتَّحامُدِ

[٢٣٣ ب]

وقال مُتَمِّمٌ أيضا[8] :

لَعَمْرِى ، وما دَهْرِى بتَأْبِينِ هالِكٍ ولا جَزَعًا ، والدَّهْرُ يعْثُرُ بالفَتَى

(١) الأغانى : « وينزل عند رحليهما رحلى » والجميع : المجتمعون .

(٢) أورد الأصفهانى اخبار متمم ، وخبر مالك ومقتله فى الاغانى (١٥/٢٩٨–٣١٤ ط دار الكتب) وفيه بعض الشعر الوارد هنا ، وقد اختار المفضل الضبى من مراثيه المفضليات ٩و٦٧و٦٨

(٣) فى الأغانى (١٥/٣١١ و٣١٢ ط دار الكتب) الابيات ١و٢و٣ ، وفى حماسة البحترى ٣٦٢ البيتان ٢و٣

(٤) يقال : لحاه ، اذا لامه وعذله

(٥) كذا فى الأصل ، ورواية الأغانى «بَنِى أُمِّكِ اليَوْمَ الحُتُوفُ الرواصِدُ» وفيه أقواء ، وهو كثير فى شعر القدامى ، ورواية الحماسة :

فَإنْ يَكُ إخْوَانِى تُوُفُّوا وَأَخْطَأَتْ بَنِى أُمِّكِ الدنْيا حُتُوفُ الرواصِدِ

(٦) الهندوانى : السيف المطبوع من حديد الهند .

(٧) تملى عمره : استمتع فيه ، ويقال : تملى اخوانه · متع بهم .

(٨) الأبيات ١و٢و٣و٦و٧و٨ أوردها ياقوت فى معجم البلدان فى رسم (البعوضة) مع اختلاف فى الترتيب ، وفى بعض الكلمات .

لَئِنْ مالِكٌ خلَّى علىَّ مكانَه	لِى أُسْوَةٌ إن كانَ يَنْفَعُنِى الأَسَى[1]
كُهول ومُرْد من بنى عَمِّ مالِكٍ	وأَيسارِ صِدْقٍ لو تَمَلَّيْتُهُم رِضَى[2]
سُقُوا بالعُقارِ الصِّرْفِ حتى تَتَابَعُوا	كدَأْبِ ثمودٍ إذْ رغَا بَكْرُهُم ضُحَى[3]
وهَوَّنَ وَجْدِى بعد ماكِدْتُ أَنْتَحِى	على السَّيْفِ حتى يبلُغَ الجَوْفَ والحَشَى[4]
رجالٌ أَراهُمْ من مُلُوك وسُوقَة	خَبَوْا بعد ما نَالُوا السَّلامَةَ والغِنَى
على مِثْلِ أَصحابِ البَعُوضَةِ فاخْمِشِى	لكِ الْوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ ، ولْيَبْكِ من بكَى[5]
على يَسَرٍ مِنْهُم يسيرٍ ، وفارِسٍ	إذا ارْتَدَفَ الشَّىءَ الحَوَارِكُ والذُّرَى[6]
إذا القَوْمُ قالوا من فتًى؟ يَوْمَ نَجْدَةٍ	فما كُلُّهم يُعْنَى ، ولكِنَّه الفَتَى[7]

رُوِى أن عبدَ الله بنَ عَمْرٍو[8] العَبْلِىّ قال له عبدُ الله بنُ حَسَن بن حَسَن - رضى الله عنهم - : أَنْشِدْنى شيئًا مما رَثَيْتَ به قومَكَ ، فأَنشده :

---

(١) فى معجم البلدان « فلى أسوة » والأسوة: القدوة والمثل ، وما يتعزى به ، والجمع : أسى .

(٢) فى معجم البلدان « لأَيْفَاعِ صِدْقٍ قَدْ » جمع يافع ، وهو من شارف الاحتلام ، وهو دون المراهق ، والايسار : جمع يسر (بفتحتين) وهو الضريب والنظير ، والذى يساره فى القوة مثل يمينه ، وتمليتهم : متعت بهم .

(٣) إشارة إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود حين عقروا الناقة ، « فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِم فَسَوَّاها »

(٤) يريد أنه هم أن يقتل نفسه - بالطريقة التى وصفها - لولا أنه ثاب الى رشده حين راى الموت قدر يجرى على الناس جميعا : الملوك والسوقة .

(٥) يعنى بأصحاب البعوضة مالكا ومن قتلوا معه من قومه عند البعوضة ، وهى ماء لبنى أسد بنجد قريب القعر ، وقال الازهرى : البعوضة : ماءة معروفة بالبادية .

(٦) رواية هذا البيت فى معجم البلدان

عَلَى بَشَرٍ مِنْهُمْ أُسودٌ وذادَةٌ إذا ارْتَدَفَ الشَّرُّ الروادِفَ والرَّدى

(٧) هذا البيت أورده التبريزى فى شرح الحماسة (١/١٥ بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) من غير عزو وهو كقول طرفة بن العبد :

إذا القَوْمُ قالُوا مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنْنِى عُنِيتُ فلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتبلَّدِ

(٨) كذا فى الأصل ، والذى فى الأغانى ١١/٢٩٣ (ط دار الكتب) فى أخبار العبلى ونسبه أن اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن على بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى ... ويكنى أبا عدى ، شاعر مجيد من شعراء قريش ، ومن مخضرمى الدولتين (الأموية والعباسية) وله أخبار مع بنى امية وبنى هاشم ، يقال له : عبد الله بن عمر العبلى ، وليس منهم ، لأن العبلات من ولد أمية الأصفر بن عبد شمس... والخبر ومعه الشعر فى الأغانى (١١/٢٩٨و٢٩٩ ط دار الكتب) .

[١٢٣٤]

تَقُولُ أُمامَةُ لَمَّا رَأَتْ ... نُشُوزِى عن المَضْجَعِ الأَنْفَسِ (١)
وقِلَّةَ نَوْمِى على مَضْجَعِى ... لدى هَجْعةِ الأَعينِ النُّعَّسِ :
أَبِى ما عَرَاكَ ؟ فقلتُ : الهُمو ... مُ عَرَوْنَ (٢) أباكِ ، فلا تَبْأَسِى (٣)
لفَقْدِ الأَحِبَّةِ (٤) إذ نالَها ... سهامٌ من الحَدَثِ المؤيس (٥)
رَمَتْهَا المَنُونُ بلا نُصَّلٍ (٦) ... ولا طائشات ولا نُكَّس (٧)
بأَسْهُمِهَا المُتلِفاتِ النُّفو ... سِ متى ماتُصِبْ مُهْجَةً تُخْلَسِ (٨)
فصَرَّعْنَهُمْ بنواحِى البِلا ... دِ مُلْقَى بأَرْضٍ ولم يُرْمَسِ (٩)
فذاكَ الذى غَالَنِى فاعْلَمِى ... ولا تَسْأَلِى بامرئٍ مُؤْتَسِ (١٠)

---

(١) نشوزى : نفورى .

(٢) فى الأصـــل « عرين » والتصحيح من الأغانى (٢٩٨/١١ و ٤/ ٣٣٩ ط دار الكتب)

(٣) كذا فى الأصل وهو من بئس كتعب ، اذا اشتـد فقره ، ورواية الأغانى « فلا تبلسى » من ابلس ، اذا يئس وتحير ، أو اذا سكت من الغم والحزن .

(٤) فى الأغانى « لفقد العشيرة »

(٥) المؤيس : اسم الفاعل من آيسه بمعنى ايأســه ، وفى الأغانى : « المبئس » أى الموقع فى البؤس .

(٦) فى الأغانى ٢٩٨/١١ حاشية (٧) النصل : جمع ناصل وهو من الســـهام الذى سقط نصله أو على النسب بمعنى ذى نصل ، ويروى « بلا أنصل »

(٧) الذى فى كتب اللغة أنه يقال : ســـهم نكس ـ بكسر فســـكون ـ وهو الذى ينكس او يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله والجمع انكاس، وغريب أن يكون « نكس » بضم النـون وتشديد الكاف وصفا للسهام ، كذا ورد فى الأغانى الموضع السابق (حاشية / ٨) .

(٨) فى الأغانى «الخالسات النفوس»وضبط (تخلس) بالبناء للفاعل وضبطه فى الأصـــل بالبناء للمفعول ، والمعنى صـحيح عليهما ، فعلى الأول الفاعل السهام ، وعلى الثـــانى المخلوس النفوس .

(٩) رواية الأغانى للبيت :

فصَرْعاهُمُ فى نَواحِى البِلا ... دِ تُلْقَى بأَرْضٍ ولَمْ تُرْمَسِ

وفى الأغانى (٤-٣٣٩) :

فَصَرَّعْنَهُمْ فِى نَواحِى البِلا ... دِ مُلْقَى بأَرْضٍ ولم يُرْمَسِ

ومعنى ترمس : تدفن ، يقال : رمست الميت، وارمسته ، اذا دفنته .

(١٠) رواية الأغانى للشطر الثانى : «فلا تَسْأَلِينِى فتَسْتَنْحِسى » وهو من قولهم استنحس الأخبار ، اذا تندســها وتجسسها ، واستنحس عنها ، اذا تتبعها . ومعنى مؤتس : متخذ اسوة ، وفى هامش الأغانى ويروى (ولا تسألى بامرىء متعس)

أولئك قَوْمِي أَنَاخَتْ بِهِم نوائبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ[1]

قال : فرأيتُ دموعَ عبدِ الله بنِ حَسَن بن حَسنٍ – رضى الله عنهم– تَتَحَدَّرُ على خدّه .

ويروى أن هذا الشعر لأبي سعيدٍ مولى[2] فايد مولَى عَمْرِو بنِ عُثْمَان بنِ عَفَّان – رضوان الله عليه – يرثى قتلى بنى أمية الذين قتلهم عبدُ الله وداوُد ابنا علىّ بن عبد الله بن العبّاس– رضى الله عنهم – وكان الرشيد لمّا حج أحضر / أبا سعيد ، وقال له : أنشدنى قصيدتك : [٢٣٤ب]

«تقولُ أمامةُ لما رأتْ ....

فأنشده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، كان القوم موالى ، وأنعموا على ، فرثيتهم ولم أهج أحدًا ، فتركه .

وقال الأَشْهَبُ بن رُمَيْلَةَ[3] :

إنَّ الأُلَى حانَتْ بفَلْجٍ[4] دماؤهم هم القومُ كلّ القومِ ياأمَّ خالِدِ
هُم ساعِدُ الدَّهْرِ الذى يُتَّقَى بهِ وما خَيْرُ كفٍّ لا تَنُوءُ بساعِدِ[5]

أنشد النَّجِيرَمِي[6] لمنْظُور بن مَرْثَد الراجز[7] ، يرثى مُقاتِلًا ، وحُبَيْشًا ابنى جزء :

---

(١) فى الأغانى « أولئك قوم تداعت بهم... »

(٢) التشكيك فى نسبة القصيدة وارد أيضا فى الأغانى ٤ / ٣٣٩ فبعد ان اورد الاصفهانى قطعة من هذه القصيدة وقال : الشعر للعبلى عبد الله بن عمر ، والغناء لأبى سعيد مولى فائد .. نسبها الى أبى سعيد فى ٤ / ٣٤١ عن المدائنى .. »

(٣) البيتان فى معجم البلدان فى رسم (فلج) والبيت الاول فى شرح المفصل لابن يعيش (٣/١٥٢ ط المنيرية)

(٤) فى المصدرين السابقين « وان الذى حانت بفلج » واستشهد به فى شرح المفصل على مجيء الذى (بلفظ المفرد) لغة فى الذين للجمع ، او ان اصله « وان الذين » وحذفت النون ضرورة كذا فى اللسان (فلج) وفلج (بفتح فسكون) معناه القسم ، وهو هنا اسم واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة .

(٥) فى هامش المفصل (٣/١٥٢) اورد محققة البيت الثانى كروايته هنا ، وبعده

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَساوِدِ

وهذا البيت أورده التبريزى فى شرح الحماسة (٣٥٩/٤) من غير عزو

(٦) النجيرمى : نسبة الى نجيرم – بفتح النون وكسر الجيم وتفتح وفتح الراء – : محلة بالبصرة ، او بليدة مشهورة دون سيراف مما يلى البصرة على جبل هناك على ساحل البحر .

(٧) منظور بن مرثد الاسدى له رجز فى اللسان (قور ، كفر)

أما تَرينِّى اليومَ يا أُمَّ صالحٍ طَويلًا قيامِى للأَسَى وقُعودِى

فإنَّ مُصيبات ٍ أَصَبْنَ مُقاتِلاً وأَصْحابَه اسْتَجْهَلنَ كُلَّ جَليدِ[1]

وكانوا جمالى فى الحياةِ وعُدَّتى وحِرْزى إذا ما قلتُ أين أُسُودِى

وقال دِعْبِلُ بن على الخُزاعِى[2] :

كانت خُزاعَةُ ملءَ الأَرْضِ ما اتَّسعتْ فقَصَّ مَرُّ الليالِى من حوَاشِيها[3]

هذا أبو القاسِمِ الثَّاوِى ببَلْقَعَة تَسْفِى الرياحُ عليه من سوَافِيهَا[4]

هبَّتْ ، وقد عَلِمَتْ أن لا هُبُوب بهِ وقد تكونُ حَسِيرًا إذ يُبَارِيها[5]

أَضْحَى قِرًى للمَنَايَا إذْ نَزَلْنَ بهِ وكان فى سالِفِ الأَيَّامِ يَقْرِيها[6]

[١٢٣٥]

قال إسحاقُ بن إبراهِيم : كان الرَّشيدُ بعد قَتْلِ البرامِكَة شديد الأَسَف عليهم ، والنَّدَمِ على فِعْله ، ففطِنَ لذلك الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمان ، فكان يُغَنِّيه فى هذا المعنى ، فيُحَرِّكُه ، فغَنَّاه يوما[7] :

---

(١) استجهلته : استخفته ، يريد حملته على ترك الصبر والجلد .

(٢) الأبيات فى ديوانه (٢١٣) قالهـــا فى رثاء محمد بن يزيد الخزاعى ، وقيـــل فى رثاء أبى القاسم المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى، وانظر الأغانى (١٨/٣٤)

وما هنا يتفق مع الديوان رواية وترتيبا ، وقد وردت فى حماسة أبى تمام ٣ / ٣٠ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) من غير عزو .

(٣) خزاعة : فى اللسان (خزع) قال ابن الكلبى : انما ســـموا خزاعة ، لأنهم انخزعـــوا (تخلفوا) من قومهم حين اقبلـــوا من مأرب ، فنزلوا ظهر مكة . وقيل خزاعة حى من الازد ، سموا بذلك لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق فى البلاد تخلفت عنهم خزاعة ، وأقامت بها ، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، وهو لحى بضم اوله وفتح ثانيه وتشديد الياء ــ ابن حارثة .

(٤) البلقعة : الأرض التى لا شجر بها تكون فى الرمل وفى القيعان ، اراد هنا مكان قبره .

(٥) يقال : حسرت الدابة : أعيت وكلت ، والمعنى على التشبيه ، أراد أنه كان فى حياته أسبق من الريح كرما .

(٦) روايه الحماسة للبيت :

أَضْحَى قِرى للمَنَايا رَهْنَ بلْقَعَةٍ وَقَدْ يَكُونُ غَداةَ الرَّوْعِ يَقْرِيهَا

والقرى : مايقدم الى الضيف ، واراد بالشطر الثانى أنه كان فى حياته يقدم اعداءه قرى للمنايا ، كناية عن الشجاعة والغلبة .

(٧) الخبر والشعر فى الأغانى ١٧/٧٥ (ط بولاق) وليس الشعر للزبير ، وانما هو لأم قيس الضبية ، كذا نسبته اليها فى حماسة ابى تمام (٣/٨٠ و٨١) .

من للخُصُومِ إذا جَدَّ الخِصامُ بهم بعد ابنِ سَعْد ، ومن للضُّمَّرِ القُودِ[1]

ومَوْقِف قد كَفَيتَ النَّاطِقِينَ بهِ في مجمع من نَواصِي النَّاسِ مَشْهُودِ[2]

فرَّجْتَه بلسان غيرِ مُلْتَبِسٍ عند الحِفاظِ وقلب غير مَزْءُودِ[3]

فقال الرشيدُ : أَعِدْ ، فأَعادَ ، فقال له : وَيْحَكَ ، كأَنَّ قائلَ هذا الشعر يصفُ يحيي بن خالد ، وجعفَرَ بن يحيي ، وبكى حتى جَرَتْ دموعُه ، ووصل الزُّبَيْرَ بصِلَة سَنِيَّة .

وقال أَبو خِراشٍ الهُذَليّ ، يرثي إخوته[4] :

فقَدْتُ بنى لُبْنَى فلما فَقَدْتُهُم صَبَرْتُ ، ولم أَقْطَعْ عليهم أَنَامِلِي[5]

رِماحٌ من الخَطِّيّ ، زُرْقٌ نِصالُها حِدادٌ أَعالِيها ، شِدادُ الأَسافِلِ[6]

فلَهْفِي على مَيْت بنَعْمانَ لَلْفَتَى ولَهْفِي على مَيْت بِقُوسِ المعاقِلِ[7]

---

(١) النزال : المنازلة فى الحرب والطراد ،والضمر : الخيل التى تضمر ، أى تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، ويحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ولا يعنفون بها ، فاذا فعل ذلك بها أمن عليها البهر الشديد عند عدوها ، ولم يقطعها الشد، والقود : واحدها أقود، وهو الطويل العنق والظهر ، وقيل هو من الخيل : الطويل العنق العظيمة .

(٢) النواصى : واحدها ناصية وهى منبت الشعر فى مقدم الرأس ، كنى بها عن علية القوم وخيارهم ، وهم الرءوس والأشراف يقال : فلان ناصية قومه ، وذؤابة قومه .. »

(٣) فى الاغانى (غير مردود) وما هنا يوافق الحماسه ، والمزءود المذعور المفزع ، والحفاظ : المحافظة على العهد والمحاماة على الحرم ومنعها من العدو .

(٤) الأبيات فى ديوان الهذليين (١٢٣/٢ ط دار الكتب) من قصيدة عدتها تسعة أبيات ، ويقابلها من ترتيب الديوان الأبيات (١و٣و٩و٢)

(٥) فى الديوان : (اباجلى) مكان (انامل) وهى جمع أبجل ، وهو عرق فى الرجل ، قال أبو سعيد السكرى : وبنو لبنى اخوته ، والمعنى : لم أجزع عليهم كجزع غيرى .

(٦) الخطى : الرمح المنسوب الى الخط ، وهو موضع باليمامة ، والزرق . البيض ، وعنى بالنصال الأسنة .

(٧) رواية الديوان :

فَلَهْفِى عَلَى عَمْرِو بنِ مُرَّةَ لَهْفَةً ولَهْفِى عَلَى مَيْتٍ بقُوسَى المَعَاقِلِ

وفسر قوسى المعاقل بأنه موضع فى ديار بنى هذيل ، وفى ياقوت قوسى . بلد بالسراة ، وذكر أن عروة أخا أبى خراش قتل فيه .

[٢٣٥ب]

حِسانُ الوُجُوهِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهم كَرِيمٌ نَثاهُمْ غيرُ لُفٌّ مَعازِلِ (١)

وقال آخر(٢)

أَجَدِّكَ ما تَعْفُو كلُومُ مُصِيبَةٍ على صاحبٍ إلا فُجِعْتُ بصاحِبِ؟!

تقطَّعُ أَحشائِى إذا ما ذَكَرْتُهُم وتَنْهَلُّ عَيْنِى بالدموعِ السّواكِبِ

وكنتُ امرأً جَلْدًا على ما يَنُوبُنِى ومُعْتَرِفًا بِالصَّبْرِ عند النَّوائِبِ (٣)

فَهَدَّ أبو سُفيانَ رُكْنِى ، ولم أَكُنْ جَزُوعًا ولا مُسْتَنْكِرًا للنَّوَائِبِ

غَنِينَا مَعًا بِضْعًا وخَمْسِينَ حِجَّةً خليلَىْ صفاءٍ ، وُدُّنا غيرُ كاذِبِ(٤)

فأَصْبَحْتُ لما حالت الأَرضُ دُونَه على قُرْبِهِ منى كمَنْ لم أُصَاحِبِ

وقال أَعْشَى بنى أَسَدٍ، وهو خَيْثَمَةُ بنُ مَعْرُوفٍ ، أَخُو الكُمَيْتِ بن مَعْرُوف (٥) :

نامَ الخَلِىُّ ، وبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا كما تَزَاوَرَ يَخْشَى دَفَّهُ النَّكِبُ (٦)

---

(١) طيب حجزاتهم : حجزة الانسان : معقدالازار والسراويل ، أى هم أعفاء ، وهذه كناية ، كقولهم طاهر الذيل ، وعفيف المئزر ، وهى كقول النابغة :

حِسانُ الوُجُوهِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهم يُحَيُّونَ بالرَّيْحانِ يومَ السَّباسِبِ

النثا : ما اخبرت به عن المرء من حسن أو سيىء ، يصفهم بطيب الذكر ، ولف ، مفرده ألف، وهو الثقيل ، والمعازل ، والمعازيل : واحده معزال وهو بمعنى الاعزل ، أى الذى لا سلاح معه .

(٢) القائل هو سلمة بن عياش ، والبيتان الاول والثانى أوردهما ابن الشجرى فى حماسته ٨٠/ منسوبين اليـــه ، وروايته للبيت الاول :« لعمرك ما تعفو .. الخ »

(٣) يقال : عرف للامر ، واعترف ، اذا صبر ومنه قول قيس بن ذريح .

فيا قَلْبُ صَبْرًا واعْتِرافًا لما تَرَى ويا حُبَّها قَعْ بالذى أَنْتَ واقِعُ

(٤) يقال : غنى به : عاش ، ويقال : غنى القوم بالمكان : أقاموا به .

(٥) الأبيات منسوبة اليه أيضا فى الأغانى ١١٠/١٩ (ط بولاق) من قصيدة يرثى بها أهله مطلعها :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فإنَّ الدَّهْرَ مُنْجَدِبُ كُلُّ امْرِىءٍ عَنْ أَخِيهِ سَوْفَ يَنْشَعِبُ

(٦) الخلى : الفارغ من الهموم - والمرتفق : المتكىء على مرفقه ، وهى هيئة المهموم ، تزاور : مال وانحرف ، والدف - بفتح الدال - : الجنب من كل شىء أو صفحته ، والنكب : البعير المصاب بالنكب ، وهو داء يأخذه فى منكبه يظلع منه ،أو الذى يميل فى مشيته خلقة ، والوارد فى وصفه انكب ، وفى اللسان : «وَانْكَبُ زَيَّافٌ وما فِيهِ نَكَبْ» ، ورواية الأغانى «كما تَزَاوَرَ يَجْنِى دِفئَه النكِبُ» وهو تحريف .

إذا رَجَعْتُ إلى نَفْسِى أُحَدِّثُها　　عَّمن تَضَمَّن من أَصحابِىَ القُلُبُ(١)

ازْدَدْتُ(٢) وَجْدًا على وَجْدٍ أُكابِدُه　　حتى تكادَ بَناتُ الصَّدْرِ تَلْتَهِبُ(٣)

فقد عَلِمْتُ وإن(٤) مُلِّيتُ بُعْدَهُم　　أَنِّى سأَنْهَلُ بالشِّرْبِ الذى شَرِبُوا(٥)

[١٢٣٦]

وقال أبو العَبّاس الأَعْمَى ، وهو السّائب بن فرُّوخ (٦) :

آمَتْ نِساءُ بنى أُمَيَّةَ بَعْدَهم　　وبَناتُهم بمَضِيعَةٍ أَيتامُ(٧)

نامَتْ جُدُودُهُم وأُسْقِطَ نَجْمُهم　　والنَّجْمُ يسقُطُ والجُدُودُ تَنامُ(٨)

خَلَت المنابِرُ والأَسِرَّةُ مِنهُمُ　　فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ(٩)

وقال أيضا (١٠) :

ليتَ شِعْرِى من أَيْنَ رائِحَةُ المِسْكِ وما إن إخالُ بالخَيْفِ إنسِى ؟!(١١)

---

(١) تضمن : حوى وضم ـ القلب : جمـــع القليب ، وهى، البئر ، اراد بها هنا القبر ، وبعده فى الاغانى :

مِنْ إخْوَةٍ وَبَنِى عَمٍّ رُزِئْتُهُمٌ　　والدَّهْرُ فيهِ على مُسْتَعْتِبٍ عَتَبُ

(٢) فى الاغانى (عاودت) وبنات الصدر : الهموم

(٣) بعده فى الاغانى ·

هَلْ بَعْدَ صَخْرٍ ، وَهَلْ بَعْدَ الْكمَيْتِ أَخٌ　　أَمْ هَلْ يَعُودُ لنا دَهْرٌ فَنَصطَحِبُ ؟

(٤) فى الاغانى (ولو)

(٥) مليت : عشت ومتعت ، والشرب : الماء الذى يشرب ، والنصيب منه ·

(٦) الأبيات ـ ولها خبر ـ فى الأغانى (١٥/ ٦٠ ط بولاق) ونكت الهميـــان /١٥٥ ومروج الذهب ٢/١٨١

(٧) يقال : آمت المرأة ، اذا مات عنها زوجها ، ومنه قيل : الحرب تدع النساء أيامى والأطفـال يتامى ·

(٨) الجدود : الحظوظ ، وكنى بسقـــوط النجم عن لحاق النحس ·

(٩) أراد بخلو المنابر منهم ، انه لم يعد يذكر اسمهم فى الخطبة ، والاسرة : واحدها سرير ، وهو هنا كناية عن منصب الخلافة

(١٠) الابيات فى الأغانى ١٦/٢٩٩ (ط دار الكتب) ونكت الهميان/١٥٤

(١١) فى الأغانى « .. أَفَاحَ رائِحَةُ المِسْكِ » وما هنا أجود ، والخيف : المنحدر من غلظ الجبل ، قد ارتفـــع عن مسيل الماء ، فليس شرفا ولا حضيضا ، وخيف منى : الموضع الذى ينسب اليه مسجد الخيف ، وهناك أيضا خيف بنى كنانة ،وقال الزهرى · الخيف : الوادى ، واطلق الخيف على مواضع كثيرة ·

حين غَابَتْ بنو أُمَيَّةَ عنها[1] والبهالِيلُ من بنِي عَبْدِ شَمْسِ[2]

خُطباءُ على المنابرِ فُرْسَا نٌ، عليها، وقالَةٌ غيرُ خُرْسِ

لا يُعَابُونَ صامِتِينَ، وإن قا لُوا أَصابُوا، ولم يَقُولوا بِلَبْسِ[3]

بِحُلُومٍ، إذا الحُلُومَ اسْتُخِفَّتْ ووُجوه مثل الدنانِيرِ مُلْسِ[4]

عن خِداشِ بنِ فِراس النُّمَيْرِيّ، قال: أَغارَتْ علينا بَنُو جُشَم بن بَكْرٍ بظَهْرِ البِشْرِ، فأَصابُوا منا أَخَوَيْن فارِسَيْن سَيِّدَين، يقال لأحدهما: مسْعُودٌ، وللآخر حاتِمٌ، ابنا شَيْظَم، وكانت لهما أُخت سيدة بَرْزَةٌ[5]، يقال لها: / رائطة بنت شَيْظَم، فبكَتْهُما، ورَثَتْهما طويلًا، وكانت [٢٣٦ ب] أَحرَّ ما تكون أَسًى وأَسفًا، وأطول ما تكون حُزْنًا ولَهَفًا، إذا صاح صائِحنا، وذُعِرَ سارِحُنا، وركب فارسُنا، ولقد رأيتها على مثلِ تلك الحال فى بعضِ الأَيَّام، والناسُ ثائِرون والأَصواتُ متواتِرَة، والخيلُ مُتَبَادِرة، والصَّارِخُ هاتِف، وهى تَنْدُبُهما، وتقول:

لَهْفِى على الأَخَوَيْنِ كالأَ سدَيْنِ مسعود وحاتِمْ

السَّيِّدَيْنِ المانِعَيْن الذَّ ائِدَيْنِ[6] عن المحَارِمْ

الفاتِقَيْنِ الرّاتِقَ يْنِ السابِقَيْنِ إلى المكارِمْ[7]

الضَّارِبَيْنِ جَمَاجِمَ الـ أَبْطَالِ بالبِيضِ الصَّوارِمْ

---

(١) فى الاغانى « عنه ».

(٢) البهاليل: الواحد بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير

(٣) اللبس: الشك والاختلاط والالتباس.

(٤) الاغانى: « اذا الحلوم تقضت » وقال الاصفهانى: ويروى أضمحلت، وفى هامشه « استخفت » رواية بعض الأصول، والحلوم: جمع حلم، وهو هنا العقل

(٥) البرزة من النساء: التى تظهر للناس، ويجلس اليها القوم، وامرأة برزة: موثوق برأيها وعفافها.

(٦) الذائد: الحامى الحقيقة المدافع عن قومه، ومنه قول الفرزدق:

أَنا الذَّائِدُ الحامِى الذِّمَارَ وإنَّمَا يُدَافِعُ عن أَحْسَابِهِمْ أنا أَو مِثْلِى

(٧) الفتق: من معانيه شق عصا الجماعة بعد اجتماع الكلمه، ومن معانيه أيضا الحرب ونقض العهد، والرتق: خلاف الفتق، ارادت التعويل عليهما فى النفع والضر.

والطّاعِنَيْنِ بكلِّ ما رِنَة وقاصِمة وقاصِمْ (١)
حَدَقَ الفوارِسِ بالأَسِنَّةِ والقلوبُ لدى الغَلاصِمْ (٢)
كانا يَدىَّ فشُلَّتا بالسّاعِدَيْنِ وبالمعاصِمْ
فبقِيتُ كالطَّيْرِ المُقَصِّصِ ريشُه واهِى القَوادِمْ (٣)
لا أَسْتَطِيعُ ، ولا أطِيقُ أرُدُّ عَنىِّ كفَّ ظالِمْ
مع كل رَنَّةِ مَأْتَمٍ لى مَأْتمٌ ، وعلى ماتَمْ (٤)
فاليَوْمَ أَخْضَعُ للذَّلِيلِ وللمُجارِبِ والمُسَالِمْ

[١ ٢٣٧]

وقالت فاطمةُ بنت الأَجْحَم بن دنْدَنة الخزاعِيّة ، ترثى أباها (٥)
(والجَحمُ : حمرة العين) .

قد كنتُ ذاتَ حَمِيّة ما عِشْت لى أَمْشِى البَرَاحَ (٦) ،وكنتَ أَنْت جنَاحِى
قد كنتَ لى جَبَلًا ألوذ بظِلِّه فتركْتَنِى أَمْشِى (٧) بأَجْرَدَ ضاحِ
فالآن أَخْشعُ (٨) للذَّلِيلِ وأَتَّقِى مِنه ، وأَدْفعُ ظالِمِى بالرّاحِ

(١) المارن من الرماح : الصلب اللين ، والقاصمة : الكاسرة والمهلكة .
(٢) حدق : مفعول بالضاربين ، وهو جمع حدقه ، وهى السواد المستدير وسط العين ؛ والغلاصم . جمع غلصمة : الموضع الناتىء فى الحلق ، وقيل : اللحم الذى بين الرأس والعنق ، أو هو متصل الحلقوم بالحلق .
(٣) الواهى : الضعيف ، القوادم : اربع ريشات فى مقدم جناح الطائر ، الواحدة قادمة .
(٤) المآتم : جماعة النساء فى حزن أو فرح ،وغلب استعماله فى الاحزان .
(٥) الأبيات فى الأمالى (٣/٢ ط بولاق)وفى شرح حماسة ابى تمام ٣٦٦/٢ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) وفى رياض الادب فى مراثى شواعر العرب / ٦٦ ـ ١٦٧ القصيدة بتمامها وروايتها بتقديم البيت الأول على الثانى ، وقد نسبها لفاطمة بنت الأحجم أو الاحجم احدسادات العرب وفى الف باء البلوى (٥٤٤/٢) منسوبة لعائشة رضى الله عنها ، وفيها خمسة أبيات زائدة ، وفى سمط اللآلى /٦٢٦ . قال السكرى : هذا الشعر لليلى بنت يزيد بن الصعق ترثى ابنها قيس بن زياد ، وقال الأخفش : انه لامرأة من كندة .
وأوله فى رواية من رواة لفاطمة كما جاء فى الأمالى والحماسة :

يا عَيْنُ جُودِى عِنْد كُلِّ صَبَاحِ جُودِى بأَرْبعَة عَلَى الجرّاحِ

(٦) فى الأمالى « أمشى البراز » والبراز والبراخ : المتسع من الارض لازرع فيه ، فاذا خرج الانسان اليه قيل . قد برز .
(٧) فى الأمالى « أضحى » (٨) فى الأمالى : « فالآن أَخْضَعُ للذَّلِيل » .

وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شجَنًا لها يومًا على فَنَنٍ دَعَوْت صَبَاحِي[1]

وقع الطَّاعُون بالكوفةِ ، فأفْنى بنى غاضِرة[2] ، ومات فيه بنو زرّ بن حُبَيْش صاحِبِ أمير المؤمنين علىٍّ رضوان الله عليه ، فقال ابنُ مَيّادة يرثيهم :

أبعدَ بنى زرٍّ وبَعْد ابنِ جَنْدَلٍ وعَمْرو ، أُرَجّى لذَّةَ العيشِ فى خفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نـأمُلُ العيش بعدهم ألا إنَّ من يَبْقَى على إثْرِ من يَمْضِى

[٢٣٧ب] وقالت الخنساءُ بنت عَمْرِو بن الشَّرِيد[4] :

تعرَّقَنى الدَّهْرُ نهْسًا وحزًّا وأوْجَعَنى الدَّهْرُ قرْعًا وغَمْزًا[5]
وأفْنَى رِجالِى ، فبادُوا مَعًا فـأَصْبَحَ قلبِى لهم مُسْتَفَزًّا[6]
وكانوا سَراةَ بَنى مالِك وزينَ المقامَة فخْرًا وعِزًّا[7]

---

(١) فى الأمال «صباح» من غير ياء المتكلم ، وفى الأصل شحبا « وما بعد الشين غير منقوط » وفى الأمالى شجنا ، وفى السمط/٦٢٦ ، كان المعرى يردد هذا البيت ، وينكر هذه الرواية ، ويقول :

أنها تصحيف وينشده : «وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجِبًا لَهَا » بجيم مكسورة بعدها باء ، يعنى فرخها الهالك ، وهو الهديل ، والشجب بفتح الجيم ـ الهلاك ، وبكسرها : الهالك

(٢) غاضرة : قبيلة فى بنى أسد ، وحى من بنى صعصعة ، وبطن من ثقيف ، وفى بنى كندة .

(٣) انظر فى ترجمة الرماح بن ميادة واخباره (الاغانى ٢/٢٦١ ـ ٣٤٠ ط دار الكتب)

(٤) الابيات فى ديوان الخنســـاء (انيس الجلساء /١٤٢) وفى حماسة ابن الشجرى /٨٧

(٥) أشار محقق الديوان الى روايات كثيرة فى هذا البيت واكثرها سببـــه التحـريف والتصحيف وقرب معانى الكلمات ، وفى محاضرة الابرار لابن العربى (١/٣٣٢)

تَعَرَّقَنِى الدَّهْرُ قَرْعًا وغمْزَا وأوْجَعَنى الدَّهْرُ نَهْشًا وَوَخزَا

يقال : تعرق العظم :اذا أخذ اللحم عنـــه بأسنانه نهشا ، والنهش . الاخذ بالاسنان ، والحز القطع بالسكين ، والقرع : الضرب على الرأس ، والغمز باليد . والمعنى : اذهب رجالى وأهل بيتى كما يتعرق اللحم عن العظم ، ونابنى على كل حال من الحالات فلم يدع شيئا

(٦) الرواية فى حماسة ابن الشجرى :

أَصَابَ رِجَالِى فَأَفْنَاهُمُ فَأَصْبَحَ قَلْبِى بِهِمْ مُسْتَفَزَا

ما هنا يوافق رواية الديوان ، ويروى « فأصبحت من بينهم » والمعنى : آصبحت طائر الفـــؤاد مستخفا .

(٧) فى الديوان وأمالى ابن الشجرى : « وَزَيْنَ العَشِيرَة بَذْلًا وعِزًّا » وفى الديوان ويروى و « مجدا وعزا» ويروى ايضا « فخرا وعزا »وسراة القوم : سادتهم ، والمقامة : مجلس القوم

كأَنْ لم يَكُونوا حِمًى يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ فى ذاك من عَزَّ بَزَّا [١]

وقال البُحْترِى يَرْثِى المتوكل والفتْحَ بنَ خاقان من قصيدة [٢] :

مَضَى جَعْفرٌ والفتْحُ بين مُزَمَّلٍ [٣] وبين صَبِيغٍ بالدِّماءِ مُضرَّجِ

أَأَطْلُبُ أَنْصَاراً على الدهر بعدَمَا ثوَى مِنْهُما فى التُّرْبِ أَوْسِى وخَزْرَجِى [٤] ؟!

أُولئك ساداتِى الذينَ بِفضْلِهِمْ حَلبْت أَفاويقَ الرَّبيعِ المثَجَّجِ [٥]

وقال تَوْبَةُ بنُ مُضرِّس [٦] :

وسائِلةٍ عن توْبَةَ بنِ مُضرِّس وهانَ عليها ما أَصابَ به الدَّهْرُ

وسائِلةٍ أُخْرَى حَفِيٌّ سُؤالُها إِذا ذكرَتْهُ فاضَ من دَمْعِهَا غُزْرُ

رأَتْ إِخوتى بعد ائتلافٍ [٧] تفرَّقوا فلم يَبْقَ إِلا واحدًا منهم شَفْرُ [٨]

فلا وأَبيكِ الخيْرَ ، ماكان إِخْوَتى معازيلَ أَبْرَامًا إِذا جارَدَ القطْرُ [٩]

---

(١) الحمى : المحمى ، وهو ما يمنعه الانسان فلا يقرب ، أى كأنهم لم يكونوا حمى لايقربهم احد ، ومعنى من عزبز : من غلب سلب ، ووهو مثل ، وانظر فى مورده وأول من قاله ، الميدانى ٢١٩/٢

(٢) الأبيات فى ديوانه ١٠٥/١ من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن بلبل ، وكتب بها الى المبرد ـ كذا ذكرت مناسبتها فى الديوان ــ ومطلعها :

بعَيْنَيْك ضَوْءُ الأُقْحُوَانِ المبلَّجِ وأَلحاظُ عَيْنَىْ فاترِ اللَّحْظِ أَدْعجِ

(٣) فى الديوان ، مرمل) ولعله تحريف .

(٤) جعلهما أنصاره كالاوس والخزرج .

(٥) فى الديوان (الذين برأيهم) والمثجج : الذى ينصب بشدة

(٦) هو توبة بن مضرس العبدى ، ووجدت البيتين : الثالث والخامس منسوبين اليه فى حماسة البحترى /٣٦٢ وقافيتهما داليه ، وروايتهما على النحو التالى :

رأَتْ إِخْوَتى بَعْدَ التَّوَافِى تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا واحِدٌ مِنْهُمُ فَرْدُ

تَقَسَّمَهُمْ رَيْبُ المَنُونِ كَأَنَّمَا على الدَّهْرِ فيهم أَن يُفرِّقَهُمْ عهْدُ

(٧) فى الحماسة « بعد التوافى » وهو من توافى القوم ، اذا تتام عددهم .

(٨) هذا البيت أورده اللسان « شفر » من انشاد شمر من غير عزو ، وأورده الزمخشرى فى الاساس (شفر) ومعه البيت الاول منسوبين الى توبة بن مضرس ، ومعنى شفر : أحد ، يقال ما بالدار شفر .

(٩) معازيل : الواحد معزال ، وهو الأعزل الذى لاسلاح معه ، والابرام : جمع برم ، وهو الضجر ، وجارد القطر : قل .

أَرَبَّ بهم رَيْبُ المنونِ كأنّما ... على الدّهرِ فيهم أن يُفرّقَهُمْ نَذْرُ[١]

وقال أيضا[٢] :

وقائلةٍ لما رأتْ شيْبَ لِمَّتِي ... لها وَيْلها ! ما بال شعْرِ أبي الجَعْدِ؟!

برأْسِي خطوبٌ – لو عَلِمْتِ – كثيرةٌ ... أُصِبْت بها ظُلْمًا ، وأَطْلُبُها وَحْدِي

تُعَرِّى المصيباتُ الفتى وهو عاجزٌ ... ويلعبُ رَيْبُ الدهرِ بالحازمِ الجَلْدِ

وإنِّى امرُؤٌ لا يَنْقضُ العجزُ مِرَّتِي[٣] ... إذا ما انْطوَى منى الفؤادُ على الحِقْدِ

ولستُ بمخْتارِ الحياةِ بسُبَّةٍ ... تُثَنِّى بها حيًّا علىّ بَنو سَعْدِ

وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، يرثى إخوته[٤] :

تقول : ألا تبْكِي أخاك وقد أَرَى ... مكانَ البُكا لكن بُنِيتُ على الصَّبْرِ[٥]

فقلتُ : أعبدَ الله أبكى ، أم الذى ... على الشَّرَفِ الأَعْلَى[٦] ،قتِيلَ أبي بكرِ؟

وعبدَ يَغوث أم نديمَ مالِكا ... وعَزَّ المصابُ حَثْوُ قبر على قبْرِ[٧]

---

(١) ارب بالمكان : اقام به ولزمه لايبرحه ، وريب المنون : مصائبه ، وفي حماسه البحترى.. « ان يفرقهم عهد »

(٢) البيتان : الأول والثانى فى حماسة البحترى /٣٠٨ ونسبهما الى أبى الجعد عمرو بن مرة الجعدى ، وبينهما بيت لم يرد هنا ، وروايتها فيه .

تقولُ ابْنَةُ البَكرى لادرَّ دَرُّهَا ... لِأَتْرابِها – : مابَالُ رَأْسِ أَبي الجَعْدِ؟ !

تَغَيَّرَ حتَّى صَار شَرْجَيْن واحد ... أَحَمّ ، وجثل ، شابَ رأْسُ أَبِي بعْدِى

بِرَأْسِي خُطُوبٌ لَوْ عَلِمْتِ كَثِيرةٌ ... نَأَى ناصِرِي عَنْها وطَالَبْتُها وَحْدِى

(٣) يقال نقض الحبل والغزل : اذا حل طاقاته ، والمرة : القوة ، يريد ان العجز لايضعف عزيمته .

(٤) القصيدة فى أخبار دريد فى الأغانى (١٠/٥) وحماسة أبى تمام (٣٨٠ ط بون) وهى من أولها على التوالى :

(٥) أراد بقوله « مكان البكا » بيان استحقاق اخيه البكاء عليه ، وقصر البكاء وهو يمد ويقصر .

(٦) رواية الحماسة : له الجدث الأعلى ، يعنى المدفون فى القبر الأعلى قتيل أبى بكر بن كلاب

(٧) فى الحماسة : « وعَبْدَ يَغُوثٍ تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ » وفى الأغانى (أو خليلى خالدا » والمصاب : المصيبه ، قال التبريزى : يروى برفع المصاب ، وحثو بدل منه ، ويكون مفعول عز محذوفا ، كأنه قال : وعزنى المصاب حثو قبر على قبر ، أى حصول الواحد فى اثر الواحد .

أَبى القتلُ إلا آل صِمَّةَ إنهم أَبَوْا غَيْرَهُ ، والقَدْرُ يجرى على القدْرِ(١)

قال أبو الفرج الأَصْبِهَانى(٢) : ذُكِرَ عند النبى – صلى الله عليه وسلم – قسُّ بنُ ساعِدَة الإيادىُّ ، فقال رجل : يا رسول الله ، لقد رأَيْت من قُسٍّ(٣) عَجَبًا ، فقال : وما رَأَيْت؟ قال : [٢٣٨ ب] بينا أَنا بجبل يقال له : سِمْعان(٤) ، فى يومٍ شديدِ الحرِّ ، إذا بِقُسِّ بن ساعِدَة تحت ظلِّ شجرة عند عين ماء ، وعنده سِباعٌ ، كلَّما زأَرَ منها(٥) سَبُعٌ على صاحبِه ضربَه بيدِهِ ، وقال : كفَّ حتَّى يشربَ الذى وردَ قبلَك ، قال : ففرِقْت(٦) ، فقال : لا تخفْ ، وإذا بقَبْرَيْن بينهما مسجِدٌ ، فقلت : ما هذان القبران اللَّذانِ أَراهما ؟ قال : هما قبرا أَخوَيْن كانا لى ، فماتا ، فاتخذت بينهما مسجدًا أَعبدُ اللهَ فيه حتى أَلْحَقَ بهما ، ثم ذكر أَيَّامَهما ، فبكى ، وأَنشأَ يقول :

خَلِيلَىَّ هُبَّا ، طال ما قد رقدتما أَجَدَّكما ما تَقْضِيان كَرَاكما ؟
أَلَمْ تعْلمَا أَنى بِسِمْعَانَ(٤) مُفْرَدٌ ومالِى فيه من حَبِيبٍ سِواكما ؟
أُقِيمُ على قبْرَيْكُمَا لستُ بارِحًا طَوَال اللَّيَالِى أَويُجِيبَ صَدَاكمَا
كأَنَّكما ، والموت أَقربُ غايَةً بجِسْمِىَ فى قبْرَيْكمَا قد أَتاكمَا(٧)

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يرْحَمُ اللهُ قُسًّا(٨) » .

---

(١) فى الحماسة والاغانى « الى القدر » قال التبريزى : والشطر الأول كقول الآخر (طرفه)

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِى عَقِيلَةَ مال الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

وقوله « أَبَوْا غيره » يشبه قول الآخر: وَمَا ماتَ مِنَّا مَيِّتٌ حتْفَ أَنْفِهِ »

(٢) فى شرح حماسة ابى تمام ٢/٣٤١ أبيات من الشعر الوارد بعد ، ونسبها الى رجل من بنى أسد ، وذكر التبريزى فى شرحه طرفا من القصة الواردة هنا ، وأورد ياقوت القصة والشعر – معجم البلدان فى رسم (راوند) منسوبا الى رجل من أسد ايضا . والخبر والشعر – على نحو روايته هنا – أورده الاصفهانى فى الأغانى (١٥/٢٤٧ – ٢٤٩ ط دار الكتب)

(٣) يعنى قس بن ساعدة الايادى ، وانظر فى خبره الاغانى (١٥/٢٤٦ – ٢٥٠)

(٤) سمعان : جبل فى ديار بنى تميم ، وقد أورد ياقوت فى معجم البلدان البيت الثانى شاهدا عليه .

(٥) فى الأصل « منهم » والمثبت من الاغانى ، وهو الصحيح .

(٦) من الفرق – بفتح الفاء والراء – وهو الخوف والفزع .

(٧) اسقط المصنف بعد هذا البيت البيت التالى ، وهو معها فى الأغانى :

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسِى لنَفْسٍ وِقايَةً لجُدْتُ بِنَفْسِى أَنْ تَكُونَ فِداكُمَا

(٨) تتمة الحديث كما أورده المجد فى القاموس (ق س س)

« إنِّى لأَرْجُو يَومَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُبْعَثَ أُمَّةً وحْدَه »

[٢٣٩ ا] وروى[1] أنّ هذا الشِّعرَ لعِيسَى بنِ قُدامَة الأسديّ وكان له نديمان ، فماتابَرَاوَنْد[2] فكان يَجيءُ فيجلِسُ بينَ القبْرَيْنِ بموضع يقال له حُزاق[3] ، فيشربُ ، ويصبُّ على القبرين ، حتى يقضيَ وَطَره ، وينصرف ، وينشد وهو منصرف :

خليليَّ هُبَّا طال ما قد رَقدْتمَا ... أَجِدَّكما ما تَقْضِيانِ كرَاكمَا ؟

أَلمَ تعْلمَا مالِي بَرَاوَنْدَ من أخٍ[4] ... ولا بحُزاق[3] من نديمٍ سِواكما

مُقيما[5] على قبريْكمَا ، لست بارِحًا ... طوَال اللّيالى أويُجيبَ صَدَاكما

جَرَى النَّومُ مَجْرَى اللَّحْمِ والدّمِ منكما ... كَأَنَّ الذى يَسْقِي العُقارَ سَقاكما[6]

تحَمَّل من يَهْوَى القُفولَ ، وغادَرُوا ... أخًا لكما أَشْجَاهُ ما قد شجَاكمَا[7]

فأَيُّ أخٍ يَجْفو أخًا بعد مَوْتِهِ ... فلسْت الذى من بعد مَوْت جَفاكمَا

أَصُبُّ على قبْرَيْكمَا من مُدَامَةٍ ... فإلَّا تذوقاها تُرَوِّ ثرَاكمَا[8]

أُنادِيكما كيْمَا تُجيبَا وتنْطِقا ... وليْسَ مُجَابًا صوتُه من دَعَاكما

أَمِنْ طولِ نومٍ لم تُجِيبَا وتنْطِقا؟[9] ... خليليَّ ما هذا الذى قد دَهَاكُما ؟

---

(١) هذه الرواية عزاها الأصفهاني الى ابن السكيت .

(٢) راوند : بليدة قرب قاشان واصبهان ، وقد اورد ياقوت الخبر والشعر في رسم راوند ، مع اختلاف يسير .

(٣) كذا فى الأصل بحاء مهملة فى الموضعين، وفى الأغانى خزاق بالخاء المعجمة ، ومثله فى معجم البلدان ، ولم يفسره، ولم أجده فى كتب البلدان بالقراءتين .

(٤) الأغاني (.. براوَنْدَ هذه ، وفى معجم البلدان بَرَاوَنْدَ كُلِّها .. ولابِخُزاقٍ مِنْ صَدِيقٍ)

(٥) كذا فى الأصل « مقيما » بالنصب ، وفى الحماسة « أقيم » وفى الاغانى ومعجم البلدان « مقيم » بالرفع .

(٦) في الأَغاني : «جَرَى المَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ والعَظْمِ» وفي الحماسة . «جَرَى النَّوْمُ بَيْنَ اللَّحْمِ والجِلْدِ..» وفي معجم البلدان : جرى النوم بين العظم والجلد منكما ، والعقار : الخمر .

(٧) تحمل : ارتحل ، والقفول : الرجوع ، العودة ، واشجاه : أحزنه

(٨) كذا الرواية فى الأغانى ومعجم البلدان، ورواية الحماسة : « فالا تنالاها ترو جثاكما ، والجثا ــ بضم الجيم ــ جمع جثوة ، وهى التراب المجتمع . وبعد هذا البيت فى روايه معجم البلدان ، البيتان التاليان ، ولم يردا فى الاغانى ولا فى الحماسة .

أَلَمْ تَرْحَمَانِى أنَّنِى صِرْتُ مُفْرَدًا ... وأَنِّىَ مُشْتَاقٌ إلي أَنْ أَراكُمَا

فَإِنْ كُنْتُمَا لَاتَسْمَعَانِ فَمَا الذِى ... خَلِيلَيَّ ــ عَنْ سَمْعِ الدُّعَاءِ نَهَاكُمَا

(٩) الأغاني : «أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لاتُجِيبانِ دَاعِيًا ؟ » .

قَضَيْتُ بأَنِّى لامَحَالةَ هالِكٌ   وأَنِّى سَيَعْرُونِى الذى قَدْ عَرَاكُمَا

سأَبْكِيكُمَا طولَ الحيَاةِ وما الذى   يرُدُّ على ذِى لوْعَةٍ إِنْ بَكاكمَا؟![1]

وذكر العُتْبىّ أَنَّ الشعرَ للحارثِ[2] بنِ الحَارِثِ ، أَحدِ بنى عامِرِ بن صَعْصَعَةَ ، وكان له **[٢٣٩ ب]** نديمان : أَحدهما من بنى أَسَدٍ ، والآخر من بنى حَنِيفَةَ ، فمات أَحدُهما ، فكانا يشربان ويَصُبّان[3] : على قبره ، ويَقُول أَحدهما :

لا تصرِّدْ هامةً عن شِرْبِها   واسْقِهِ الرّاحَ وإن كانِ قُبِرْ[4]

كانَ حُرًّا فَهَوَى فيمن هَوَى   كلُّ عُودٍ ذى شُعُوبٍ يَنْكَسِرْ

ثم مات الآخر ، فكان الثالث يشرب عند قبرهما ، وينشد :

خلِيلَىّ هُبّا طالَ ما قَدْ رَقَدْتُمَا   أَجَدَّكما ما تَقْضِيان كَرَاكُمَا ؟ .. الأَبيات

وقال أعرابى :

أَلا يا دَهْرُ أَفْرِشْ عن شَرِيدِى   فقد أَدْرَكْتَ منِّى ما تُرِيدُ[5]

[أَفرِش] أَى كُفَّ[6] :

ذهبتَ بسالِمٍ ، وأَبِى سِنانٍ   فما للرُّزْءِ بعدَهما مَزِيدُ

---

(١) معجم البلدان «وابكيكما ..» وفى الحماسة « وابكيكما حتى الممات .. » وفى الأغانى والحماسه ومعجم البلدان : « يرد على ذى عولة »والعولة : العويل ، وهو صوت الصدر بالبكاء .

(٢) كذا فى الاصل ، والذى فى الاغانى ـ والنقل عنه « الحزين بن الحارث »

(٣) عبارة الاغانى : « فلما مات أحدهما كان يشرب ويصب على قبره ، ويقول »: الخ

(٤) فى الأَغانى « .. مِنْ كأْسِهَا   واسْقِهِ الْخَمْرَ .. »
والتصريد : سقى دون الرى ، وفى التهذيب: شرب دون الرى ، يقال : صرد شربه ، أى قطعه والهامة هنا طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ، ويقول : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثاره ، والشرب : النصيب من الماء ، والراح: الخمر .

(٥) الشريد هنا معناه المفرد قاله الأصمعى ، وأنشد لليمامى :

تَرَاهُ أَمَامَ النَّاجِياتِ كَأَنَّهُ   شَرِيدُ نَعامٍ شَذَّ عَنْهُ صوَاحِبُهْ

اراد عن واحدى ، والشريد ايضا من معانيه البقية من الشيء .

(٦) كذا فسره المصنف ، والذى فى اللسان :« افرش عنهم الموت : ارتفع ، وقولهم : ما افرش عنه ، أي ما أقلع » .

تُصِيبُ أقاربي ، وتَحِيدُ عنِي ومن حَوْلِي التخوُّفُ والوَعِيدُ (١)

ومَنْ تكُن المنِيَّةُ غَيَّبَتْه فسوف على تَفِيئَتِهِ تَعُودُ (٢)

[تفيئته] :هكذا رأيتُها بخطِّ الوزير أبي القاسم بن المَغْرِبيّ ، وكنت أظنُّها «بَقِيَّتِهِ» .

[١٢٤٠] كان مُحمّدُ بنُ صالحِ بنِ عبدِ الله بن مُوسَى بنِ عبدِ الله بنِ حسَنِ بن حَسَنِ بنِ عليّ بنِ أبي طالب – رضوان الله عليهم – لما مَنَّ عليه المتَوَكِّل ، وأخْرَجَه من الحَبْسِ سلَّمه إلى الفَتْحِ بن خاقان ، وضمَّنه إياه ألا يُفَارِقَ «سُرَّ مَنْ رَأَى» فكان مُقِيمًا بها يلتمسُ الرجوعَ إلى الحِجاز ، فلا يَقْدِر ، وكان مَأْلَفًا لسَراةِ النَّاسِ ، ووجوهِ أهلِ البلدِ ، وكان كثيرَ الأُنْسِ بسعيدِ بنِ حُمَيْد ، لا يَكادُ يفارقُه ، وفى سعيد يقولُ محمّدُ بنُ صالحٍ (٣) :

أُصاحِبُ من صَاحَبْتُ ثُمّتَ أَنْثَنِى إليكَ – أبا عُثْمَانَ – عَطْشَانَ صادِيَا

أَبَى القلبُ لم يَنْقَعْ بِهِمْ وهو حائِمٌ (٤) إليكَ ، وإنْ كانُوا الفُروعَ العَوَالِيا

وإنّا إذا جِئْنَاك لم نَبْغِ مَشْرَبًا سِواك ، وَرَوَّيْنا العِظامَ البَوَالِيَا (٥)

فتوُفِّىَ محمد بن صالح – رحمه الله – بسُرَّ مَنْ رَأَى ، فجَزِعَ عليه سَعِيدٌ ، وقال يَرْثِيه :

بأَىّ يَدٍ أَسْطُو على الدَّهْرِ بعدَمَا أَبان يَدِى عَضْبُ الذُّبابَيْنِ قاضِبُ (٦)

وهاضَ (٧) جناحِى حادِثٌ جَلَّ خطْبُه فسُدَّتْ على الصَّبْرِ الجميلِ المذاهِبُ

---

(١) يقال : حاد عنه ، اذا مال .

(٢) على تفيئته : على اثره ، ومنه حديث عمر – رضى الله عنه – : « انه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه ، ثم دخل أبو بكر على تفيئة ذلك ، اى على أثره » وفى اللسان (فيأ) ومثله على تئيفة ذلك بتقديم الياء على الفاء ، ويقال ايضا : على تئفة ذلك »

(٣) هذا الخبر ومعه الشعر فى الأغانى (١٦/ ٣٦٨ – ٣٧٠)

(٤) فى الأغانى . « يروى » مكان « ينقع » ومعنى ينقع : يشرب حتى يروى ، ومنه المثل : « حَتَّامَ تَكْرَعُ ولا تَنْقَعُ؟ »

(٥) الاغانى : « ولكن اذا جئناك .. » وفى هامشه (حاشية/٣) لعله يريد عظام ابائه الذين ماتوا ، وكان بينهم وبين آباء الممدوح صـلات مودة .

(٦) أبان يدى : فصلها وأبعدها ، والعضب : السيف الحاد ، وذباب السيف : حد طرفه ، والقاضب : القاطع .

(٧) يقال . هاض العظم ، اذا كسره بعد ما كاد ينجبر ، ومن المجاز : هاض الحزن قلبه : أصابه مرة بعد أخرى .

ومن عادةِ الأيّامِ أنَّ صُروفَها إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانِبُ

لعمرى لقد غالَ[1] التجلُّدَ أننا فقدْناك فقْدَ الغيْثِ ، والعامُ جادِبُ

وما أعْرِفُ الأيّامَ إلا ذميمَةً ولا الدّهْرَ إلا وهو بالثّأرِ طالِبُ[2]

لعَمْرِى لئِنْ كان الرَّدى بِك فاتنِى فكلُّ امرىءٍ يوما إلى الله ذاهب[3]

[٢٤٠ ب]

لقد أخذتْ منِى النَّوائبُ حقَّها[4] فما تركتْ حقًّا علىَّ النَّوائِبُ

ولا ترَكتْنِى أرْهَبُ الدهْرَ بَعْدَ لقدْ كلَّ[5] عَنى نابُه والمخالِبُ

سَقى جَدَثًا أمْسَى الكريمُ ابنُ صالحٍ يَحُلُّ به دان من المزْنِ[6] ساكِبُ

لما ظهَرَ عبدُ الله بن يَحْيى الكِنْدِىّ الإباضِىّ[7] ، المُلقَّبُ بطالِبِ الحَقّ ، واستولى على صَنْعاء ، وكثيرٍ من بلادِ اليَمَنِ ، جهّز أبا حَمْزة فى جيشٍ من الإباضِيّة فيهم أبْرَهَةُ بنُ الصبَّاح ، وبُلجُ بن عُقْبَة ، فاسْتوْلَى على المدينة ومَكّة ، فجهّز إليه مَرْوان بنُ محمد عبد الله بن عَطِيّة ، فلقيَه أبو حَمْزة بوادِى العفرة ، فقتل أبا حَمْزة ومن معه ، واستولى عبدُ الله بن عطية على عَسْكرهم ، وحاز غنائمَهم ، وبلغ ذلك عبدَ الله بن يحيى الملقّب بطالبِ الحقّ ، وهو بصَنْعَاء ، فسارَ يُرِيدُ عبد الله بن عطية وبلغ مسيرُه ابنَ عطيه ، فسارَ إليه ، فالتقى العَسْكران فظفِرَ به عبدُ الله بن عَطِيّة وقتِل عبد الله / بن يحيى الكِنْدِىّ ، ومُعْظمُ جَمْعِه ، وتفرّق من سلِم منهم من القتلِ فى البلادِ ،

[٢٤١ أ]

---

(١) غال التجلد : ذهب به ، والتجلد : الصبر والتحمل .

(٢) فى الاغانى بينَ هذا البيت والذى يليه هنا البيتان .

ولالِى مِن الإخوانِ إلّا مُكاشِرٌ فَوَجْهٌ له راضٍ ، ووَجْهٌ مُغاضِبُ ؛

فقَدْتُ فَتًى قَدْ كانَ للأَرْضِ زينَةً كما زَيَّنَتْ وَجْهَ السماءِ الكَوَاكِبُ

(٣) فى الاغانى « وكل امرىء ... » وهو الصواب ، اذ لا محل للفاء هنا ، لأن الجملة حالية ، وجواب القسم — الذى اغنى عن جواب الشرط — هو قوله التالى : لقد اخذت

(٤) فى الأغانى «حكمها »

(٥) كل :ضعف ولم يعد قاطعا .

(٦) المزن : السحاب يحمل الماء ، الواحدة مزنة .

(٧) الاباضى : المنسوب الى الاباضية ، فرقة من الخوارج ، وهم أصحاب عبد الله بن اباض التميمى ، قالوا : مخالفونا من أهل القبله كفار لامشركون ، ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن ، بناء على أن الأعمال داخله فى الايمان ، وكفروا اكثر الصحابة ، وافترقوا فرقا اربعا : الحفصية ، واليزيدية ، والحارثية ، والعادية .

وبَعَث برأسهِ إلى مَرْوانَ بنِ مُحَمّد ، فقال عَمْرُو بنُ الحُصَيْن العَنْبَرِيّ يرثى عبد الله بن يحى ، وأبا حَمْزة ، وأبْرَهة ، وبلجا ، وغيرَهم ممن قُتِل من الإباضِيَّة[1] :

هبَّتْ قُبَيْلَ تبلُّجِ الفجْرِ ... هِنْدٌ تقول ـ ودَمْعُها يَجْرِى ـ

إذْ أبْصَرَتْ عَيْنى وأدْمُعُها ... يَنْهَلُّ واكِفُها علَى نحْرِى[2] :

أنّى عَرَاك ، وكنْت عَهْدِىَ لا[3] ... سَرِبَ الدُّمُوع ، وكنتَ ذا صبْرِ

أقَذًى بعَيْنِك ما يُفارِقُهَا ... أم عائِرٌ ، أم مالها تذْرِى ؟![4]

أم ذِكْرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهم ... سَلكوا سبِيلَهُمْ على خُبْرِ[5]

فأجَبْتُها : من ذِكْرِ مَصْرَعِهِمْ ... لا غيرِه ، عبَراتُها تجْرِى

فى فِتْيَةٍ صَبَرُوا نفوسَهم ... للمَشْرَفِيَّةِ والقَنا السُّمْرِ[6]

تالله ألْقى الدَّهْرَ مِثْلَهم ... ـحتى أكونَ رَهِينةَ القبْرِ ـ

أوْفَى بذِمَّتِهم إذا عَقَدُوا ... وأعَفَّ عند العُسْرِ واليُسْرِ

مُتَأَهِّلون لِكلِّ صالِحَةٍ ... ناهُون من لاَمُوا عن النُّكْرِ[7]

صُمتٌ إذا احْتضرُوا مَجَالِسَهم ... أُذُنٌ لقولِ جَلِيسِهم ، وُقْرِ[8]

[٢٤١ب]

---

(١) البيتان : الأول والثالث أوردهما الأصفهانى (الأغانى ٢٠/٩٦ ط بولاق) منسوبين لعمرو بن الحصين ، وذكر بعدهما خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله .

(٢) يقال : وكف الماء ، اذا سال وقطر ، ووكفت العين الدمع : أسالته .

(٣) الاغانى « وكنت فى عهدى » وما هنا اجدو لصحة المعنى معه ، وسرب الدموع: جاريها، ويقال : سرب الدمع ، اذا جرى

(٤) تذرى ، اراد تذرى الدمع أى تسيله ، وهذا البيت كقول الخنساء :

قَذًى بِعَيْنِك أمْ بالْعيْنِ عُوّارُ ... أم ذَرَّفَتْ إذ خَلَتْ مِنْ أهْلِهَا الدَّارُ

(٥) يقال خبر الامر (من باب نصر) خبرا : عرف خبره على حقيقته ، او بلاه وامتحنه ، أى أنهم سلكوا طريق الشراة لى علم بحقيقته .

(٦) صبروا نفوسهم : حبسوها ، والمشرفيه : السيوف

(٧) متأهلون لكل صالحة : كذا فى الأصل بالرفع ، على القطع ، اى هم متأهلون وكان حقه الجرصفة ، ومعناه . هم أهل لكل صالحة ، أو هم مستحقون لكل صالحة .

(٨) ضبط « صمت » بالرفع والجر ، وقد تقدم وجهه فى البيت السابق ، والجر أولى . لتسلم القافيه من الأقواء ، وأذن ـ بضم الهمزة ، وسكون الذال ، وتضم ـ : مستمعون لما يقال قابلون له ، يقال : رجل اذن ، ورجال اذن ، ووقر: جمع وقور ، وصف من الوقار ، وهو الحلم والرزانة

متـأوِّهُون كأنَّ جَمْرَ غضًى ... للخوْفِ بين ضُلُوعِهِمْ يَسْرِى
لَمْ تَلْقَهُمْ إلا كأَنَّهُمْ ... صَدَرُوا لخَوْفِهِمُ عن الحَشْرِ[1]
كَمْ من أَخٍ لك قد فُجِعْتَ به ... قوَّامِ ليلتِه إلى الفجْرِ[2]
صَوَّامِ وَقْدَةِ كلِّ هاجِرةٍ ... ترَّاكِ لذَّتِه على قَدْرِ[3]
ترَّاكِ ما تهوى النفوس إذا ... رُغبُ النُّفوسِ دَعَتْ إلى النَّزْرِ[4]
خوَّاضِ غمْرَةِ كلِّ مُتْلِفَةٍ ... فى اللهِ تحت العِثْيَرِ الكُدْرِ[5]
فى فتيةٍ صُبُرٍ رُزِئْتُهُمُ ... كانوا يَدِى ، وهُمْ أُولو نصرى .

(القصيدة طويلة ، اقتصرت منها على ما أثبتُّه) .

روى أنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا المَوْسِمَ أيَّام الحَجّ[6] ، فسأَلَا رَجُلاً يُعْرَف بابن أَبِى دُبَاكِل[7] أن يَقِفَهُمَا على قبرِ ابن سُرَيْجٍ[8] ، فلما وَقفا حَسَر أَحَدُهما عِمامَته فإذا هوَ عبدُ اللهِ بن سَعِيد بنِ عبد المَلِك ابن مَرْوان ، فنزل فعَقَرناقتَه ، وأنشد عند قَبْرِ ابنِ سُرَيْج[8] :

[٢٤٢ | ١]

وقفْنا على قبْرٍ بِدَسْمٍ فهاجَنا ... وذكَّرَنا بالعَيْشِ إذْ هو مُصْحِبُ[9]
فجالَتْ بأَرْجاءِ الجُفونِ سَوافِحٌ ... من الدَّمعِ تَسْتَتْلِى الذى يَتعقَّبُ[10]

---

(١) صدروا عن الحشر : أى انصرفوا رآجعين منه .
(٢) قوام : مبالغة من القيام بمعنى التهجد ،وهو صلاة النافلة بالليل .
(٣) على قدر : على قدرة واستطاعة ، لاعن عجز ، والوقدة : أشد الحر .
(٤) النزر : القليل التافه .
(٥) المتلفة : المهلكة - العثير : الغبار .
(٦) هذا الخبر ، وما معه من شعر ، أورده الأصفهانى فى الأغانى (٦/ ٣٢٠-٣٢٢ ط دار الكتب) وقد تصرف المصنف مختصراً سندهـــا وعبارتها .
(٧) فى شرح القاموس : انه شاعر خزاعى ، من شعراء الحماسة ، ومعناه الغليظ الجـــلد السمج ، وقال التبريزى فى شرح الحماســــة ٢٩٧/٣ . هو علم مرتجـل ، وليس منقولا من جنس .
(٨) فى الأصل «شريح» والمثبت من الأغانى (سريج بالسين المهملة والجيم فى آخره) وهو الصواب، والقصة أوردها الاصفهانى فى اخبار ابن سريج ونسبه (الأغانى ١/ ٢٤٨ - ٣٢٤)
(٩) دسم : موضع قرب مكة ، قال ياقوت : فيه قبر ابن سريج ، وأورد هـــذه الابيـــات ، كروايتها هنا . والمصحب : الذليل المنقاد .
(١٠) تستتلى : تتوالى متتابعة .

إذا أَبْطأَتْ عن ساحَةِ الخدِّ ساقَها　　دَمٌ بعدَ دَمْعٍ إثْرَهُ يَتصبَّبُ

فإن تُسْعِدَا نَنْدُبْ عُبَيْدًا بعَبْرة　　وقلَّ له منَّا البُكا والتَّنَحُّبُ[1]

ثم نزل صاحبُه ، فعقر ناقتَهُ ، فقال له القُرَشِيّ : خذ فى صوتِ أبي يحْيَى ، فانْدَفعَ يغنِّى[2] :

أَسْعِدَانى بعَبْرَة أَسْراب[3]　　من دُمُوعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ

إنَّ أَهْلَ الحِصابِ قد تركونى　　مُوزعًا مُولعًا بأَهلِ الحِصَابِ[4]

أَهْلُ بيت تتابَعُوا للمَنايَا　　ما عَلَى الدهرِ بعدَهمُ من عِتابِ

فارَقُونى ، وقد عَلِمْت يَقِينًا　　ما لمن ذاقَ مِيتةً من إيابِ

كم بذاك الحُجُونِ من حَىٍّ صِدْق　　وكهول أَعِفَّة ، وشبَاب[5]

فلِيَ الوَيْلُ بعدَهم ، وعَليْهم　　صِرْت فرْدًا ومَلَّنى أَصْحَابِي

قال : ثم وَهَبا لى عِشْرين دينارا ، وسارا ، فعدتُ إلى الناقتين فبِعْتُهما ورَحْلَيْهما بثلاثين دينارًا .

[٢٤٢ب] وقال الفرزْدَق يرثى بَنِيه[6] :

إذا ذَكَرتْ عينى الذين هُمُ لها　　قذًى هِيجَ منها للبُكاءِ انسِكابُها

بَنِى الأَرْضِ قد كانوا بَنِىَّ فعزَّنى　　عليهم لآجالِ المنايَا كِتابُها[7]

---

(١) فى الأغانى ومعجم البلدان « ... عُبَيْدًا بِعَوْلَه .. البُكا والتَحُوُّبُ » والعولة : العويل ، وهو صوت الصدر بالبكاء ، والتنحب من النحيب وهو أشد البكاء ، ولم يرد هذا الاستعمال فى كتب اللغة ، والتحوب : التوجع .

(٢) الشعر لكثير بن كثير بن الصلت السهمى ، كذا نسبه ياقوت اليه فى (الحصاب) و (السباب) وقد مر فى ص/٢٠٦ ب .

(٣) أسراب : جمع سرب ــ بفتحتين ــ : الماء السائل .

(٤) فى الاغانى « مولها مولعا » وما هنا يوافق رواية معجم البلدان .

(٥) بين هذا البيت والذى يليه هنا فى الأغانى ومعجم البلدان فى رسم (السباب) ومصارع العشاق / ٧٥ البيت التالى :

سَكَنُوا الجزْعَ جزْعَ بَيْتِ أَبِى مُو　　سى إلى النَّخْلِ مِنْ صَفِىِّ السِّبَابِ

(٦) الابيات فى ديوانه / ١٧ (ط الاهلية ببيروت) ويقابلها من القصيدة فى ترتيب الديوان الابيات (١٤ و١٥ و١٦ و١٠)

(٧) عزني : غلبني .

ولوْلاَ الذى للأَرْضِ ماذَهَبَتْ بِهِم ... ولما يُفلَّلْ بالسيوفِ جِذابُها[1]

إذا ذُكِرَتْ أسماؤهم ، أوْدُعُوا بها ... تكادُ حَيازِيمى تَفرّى صِلابُها[2]

وقال شُتَيْم بن خوَيْلِدٍ ، يَرْثِى بنى خالِدَة[3] :

لا يُبْعِدِ اللهُ رَبُّ العبادِ والـ ... ـمِلْحِ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ[4]

همُ المطْعِمُونَ سَدِيفَ العِشا ... رِ واللَّحْمَ فى اللَّيلةِ البارِدَهْ[5]

وهم يَكْسِرُون صُدورَ الرِّما ... حِ فى الخيلِ تُطْرَدُ أو طارِدَهْ[6]

يذكِّرُنِى حُسْنَ آلائِهم ... تأوُّهُ مُعْوِلَةٍ فاقِدَهْ[7]

فإن يكن المَوْتُ أفناهُم ... فللموتِ ماتلِدُ الوالِدَهْ

وإن التى بَقِيَتْ بعدَهم ... على إثْرِ مَوْرِدِهم وارِدَهْ

بَنو خالِدَةَ الذين رثاهم شتيْم بن خوَيْلد خمْسَة ، منهم : كَرَدَمٌ[8] ، وهو الذى طعن / دُرَيْدَ [٢٤٣ ا]
ابنَ الصِّمَّة يوم قُتِل أخوه عبد الله ، الذى يقولُ فيه دُرَيْدٌ :

---

(١) كذا فى الاصل ، وفى الديوان « ولما تفلل بالسيوف حدابها» ولم يتضح المعنى عليهما ولعل الصواب (خدابها) بالخاء المعجمة والدال المهمله ، والفل : الثلم فى السيف ، والخداب جمع خدب وهو الضرب بالسيف .

(٢) الحيازيم : جمع الحيزوم : وسط الصدر ، وتفرى : تشقق .

(٣) البيتان : الأول والثانى أوردهما التبريزى من غير عزو فى شرح حماسة أبى تمام ٢/٢٧٥ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) وبعضه ورد فى اللسان (لوم) منسوبا الى شتيم أيضا وقال ابن برى : وقيل ان هذا الشعر لسماك أخى مالك بن عمرو العاملى ، وذكر مناسبته .

(٤) فى شرح الحماسه « رب التراب والملح » وفى اللسان (ملح) « رب العباد والملح » ومعنى الملح الرضاع .

(٥) السديف : السنام المقطع ، وقيل :شحم السنام ، والعشار : جمع عشراء ، وهى من الابل التى أتى عليها عشرة اشهر ، أو التى مضى على حملها عشرة أشهر .

(٦) طرد الخيل : عدوها وتتابعها

(٧) الآلاء : النعم ، وفى اللسان : الفاقد من النساء : التى يموت زوجها أو ولدها أو حميمها ، أو هى الثكول .

(٨) الضبط من القاموس ، وقال المجد : كردم بن شعبة الذى طعن دريد بن الصمة . وفى اللسان (لوم) ذكر منهم ـ غير كَرْدَم ـ كُرَيْدِم ومُعَرِّض .

تنادَوْا ، فقالُوا : أَرْدَتِ الخيلُ فارِسًا   فقلتُ : أَعبدُ اللهِ ذلكم الرَّدِى[1] ؟

فوقع دريدٌ بين القتْلَى ، فأَقبل رجلٌ من بنى عَبْسٍ ، فرآه ، فقال : إنى لأَظنُّه حيًّا ، فأَهْوَى له لِيَطْعَنَه ، فقام كَرْدَم بالسّيفِ دونه ، وقال : لا يَدْنُ من قَتيلى أحد ، ثم إن دُرَيْدًا تحامل فى اللَّيل ، ومضى إلى قومِهِ ، وبَرَأَ ، وحَجَّ كَرْدَمُ بعد زمانٍ فى أصحابٍ له ، فلم يشعُرُوا حتى هَجَمُوا على بيتِ دُرَيْدِ بنِ الصِّمَّةِ ، فأَقبل دُرَيْدٌ ، حتى انتهى إليهم ، فسَلَّم عليهم ، ورَحَّبَ بهم ، وقال : مَن القومُ ؟ وهو لايعرفُهم ، فغالطوه عن نسَبِهم ، وكان دريدٌ عالِمًا بالنَّسَب ، فلم يزل حتى عَرَفَهُمْ ، فلما رأَى ذلك كَرْدَم كشف عن وجهه ، فعَرَفه دُرَيْدٌ ، فسلَّم عليه ، وحيَّاه ، وقال : مرحَبًا بكم وبمن معكم ، وأَمر بقُبَّةٍ ، فضربت على كَرْدَمَ ، وبعث إليه بحُلَّةٍ وجَزورٍ ، فقال كَرْدَمَ أمّا الجَزورُ فقد قبِلْتُها ، وأما الحُلَّة فتكون عندَك حتى أَرْجع إليك ، فأَقامَ ما أَقامَ ، ثم ارْتحَل ، فكان آخر العهدِ به .

[٢٤٣ ب] ورأَيت هذه الأَبيات بخطِّ الوزيرِ الكاملِ أَبى القاسِمِ الحُسَيْنِ بن على بن الحُسَيْنِ المغْرِبِىّ ، منسوبة إلى الحارثِ بن عَمْرو الفَزارِىّ[2] ، يرثِى بنى خالِدَة ، كَرْدَم واخوته ، وهم بنو سعد بن حرام ، والبيت السادس من الأَبيات ما أَورده الوزير .

وقال آخر :

أُمَيْمُ ، هَيْهَات الصِّبى ، ذهَبَ الصِّبَى   وأَطارَ عَنى الحلمُ جهلَ غرابِى[3]

---

(١) هذا الخبر مبسوط فى نسب دريد بن الصمة واخبـاره (الاغـانى ١٠/٣ — ٤٠ ط دار الكتب) مع اختلاف فى الرواية ، وكان عبدالله بن الصمة قد شهد يوم حنين مع هوازن ، وقتل يومئذ ، فرثاه دريد بالقصيدة التى منهـا هذا البيت ، وبعده :

فَجئْتُ إليْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ   كَوَقْعِ الصياصِى فِى النَّسيجِ المُمَدَّدِ

وانظر أيضا الشعر والشعراء لابن قتيبـة/٤٧١ (ط ليدن)

(٢) هو الحارث بن عمرو بن حرجه الفزارى، له شعر فى حماسة ابن الشجرى / ٤٥ ، ولم اقف له على ترجمة .

(٣) يقال : طار به ، اى ذهب به ، وكنى بالغراب عن سواد الشعر فى الشباب ، وهو كقول الآخر :

زَمان عَلَىَّ غُرابٌ غُدافٌ   فَطَيَّرهُ الشَّيْبُ عَنِّى فطَارَا

أَبْكِي الأُلَى بالأَمْسِ كانوا جِيرَةً أَمْسَوْا دَفِينَ جنادِلٍ وتُرابَ [1]

ماتُوا ، ولو أَنِّى قدَرْتُ بحِيلةٍ لأَحَدْتُ صَرْفَ الموتِ عن أَحْبَابِي

ما حِيلَتِي إلا البكاءُ عليهم إن البُكاءَ سلاحُ كلِّ مُصَابِ

وقال النابغة الجَعدىُّ ، يرثى أَهلهُ ، من قصيدة أَولها[2] :

* أَلَمْ تسْأَل الدَّارَ الغدَاةَ متَى هِيَا *

عَهِدْتُ بها حَيًّا كِرامًا ، كأَنَّهم عِظامُ الملوكِ عِزَّةً وتباهِيَا

لهم مَجْلِسٌ غُلْبُ الرِّقابِ مَرَازِبٌ بدارِ الحِفاظِ أَو يَعُدْنَ الأَعَادِيَا [3]

وفِتْيانِ صِدْقٍ غير وُخْشٍ أُشابَةٍ مكاسبَ[4] للمالِ الطَّرِيفِ معاطِيا

الوخش : الردىء[5] ، والأشابة : الأخلاط

غدا فَتَيا دَهْرٍ ، ورَاحَا عليهِمُ[6] نهارٌ وليلٌ يُلْحِقانِ التَّواليا [١ ٢٤٤]

فلم يُبْقِ من تلك الدِّيَارِ وأَهلِها سُرَى اللَّيلِ والأَيَّامِ إلا مَغانيا

مَغانِيَ مَنْ غالَتْ شَعُوبُ فأَصْبَحَتْ حُلولهم تَبْكِي ، وتُبْكِي البَوَاكِيَا[7]

---

(١) الجنادل : جمع واحده جندل ، وهو الصخر العظيم ، وكنى بالجنادل والتراب عن القبور .

(٢) اورد المرزبانى فى الموشح /٦٣ أبياتا من هذه القصيدة ، وفى أمالى المرتضى ٢/٢٦٨ قطعة منها ، وهى فى شعر الجعدى /١٦٦ ـ ١٨٠ (ط المكتب الاسلامى بدمشق)

تمام المطلع فيه : « عَدَدْتُ لَها منَ السِّنِينَ ثَمَانِيَا » .

ويقابلها من القصيدة الأبيات ٦و٧و٨و١٢و١٣ والبيتان الخامس والسابع هنا لم يردا فيه

(٣) فى شعر الجعدى « .. مَرَاجِحُ قِدَارُ الحِفاظِ يدْفَعُونَ الأَعَادِيَا »

وغلب الرقاب : غلاظها ، والمرازب : جمع المرزبان ، وهو الفارس الشجاع (فارسى معرب)

(٤) فى شعر الجعدى « مكاسيب .. »

(٥) فى اللسان : الوخش : رذالة الناس وصغارهم .

(٦) فى شعر الجعدى « فمرا عليهم » وفى هامشه اشارة الى رواية المرزوقى فى الأزمنة

... وَرَاحا عليْهِمُ نهارٌ وَلَيْلٌ يُكْثِرانِ التَّوَالِيَا .

(٧) شعوب . المنية ، لأنها تشعب ، أى تفرق

إذا أتيَا حيًّا كِرامًا بغِبْطَة ... أناخا بهم حتى يُلاقُوا الدّواهِيَا[1]

وقال النابغة أيضا[2] :

لمنِ الدّارُ كأنْضاء الخِللْ ... عَهْدُها من حِقَبِ الدّهْرِ الأُوَلْ[3]

دارُ قَوْمِي قبلَ أنْ يُدْرِكَهُمْ ... عنتُ الدَّهْرِ ، وعَيْشٌ ذو خَبَلْ[4]

إذ همُ من خيْرِ حيٍّ سُوقة[5] ... وطِئَ الأرْض بسَهْلٍ أوجَبَلْ

لغرِيبٍ قامَ فيهم سائِلا ... ولجار جُنُبٍ[6] جاءَ فحَلّ

يسْتخِفُّون إلى الدّاعِي بهم ... وإلى الضَّيْفِ إذا الضَّيْفُ نزلْ[7]

هِزّةُ النّائِلِ فيهم والنَّدَى ... وثِقالٌ عند أطْرافِ الأَسَلْ[8]

ولهم سِيمَا إذا ما رُئِيَتْ ... بَيَّنتْ رِيبَةَ من كان سَأَلْ[9]

حُسْنُ أجسامٍ وسَرْوٌ ظاهِرٌ ... ورِماحٌ وجِبَابٌ وحُلَلْ[10]

---

(١) الضمير فى « أتيا » و«أناخا» يرجع الى « نهار وليل » فى البيت المتقدم ، وفى « يلاقوا » يعود الى « الحى الكرام »

(٢) القصيدة التى منها هذه الأبيات فى شعر الجعدى /٨٥ـ٩٦ مع مخالفة فى الترتيب، والابيات من ٣ـ٦ ومن ٨ـ١٠ لم ترد فى القصيدة كما جمعتها « مارينا نيللينو » وقد زادها ناشر شعر الجعدى أخيرا ، والقصيدة برواية المصنف هنا أجود ترتيبا ، وأقوى ارتباطا .

(٣) الانضاء : جمع نضو ، وهو من الحيوان المهزول ، ومن الثياب : الخلق البالى ، والخلل: جمع الخلة ـ بكسر الخاء ـ : وهى بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره ، وتجمع ايضا على خلال قال عبيد بن الابرص :

دَارُ حَيٍّ مَضَى بِهِمْ سَالِفُ الدهْـ ... ـرِ فأَضْحَتْ دِيَارُهُمْ كالخِلالِ

والحقب : جمع حقبة وهى المدة من الزمن .

(٤) ذو خبل : ذو التواء ، ويقال : دهر خبل : ملتو على أهله .

(٥) السوقة : هم بمنزلة الرعية التى تسوسها الملوك ، والسوقة أيضا خلاف الملك .

(٦) الجار الجنب : الغريب النازل فى جوارك .

(٧) يستخفون الى الداعى : يخفون لنجدة من استغاثهم .

(٨) هزة النائل : الارتياح الى النوال والعطاء، وثقال : جمع ثقيل وهو هنا البطىء ، أو الرزين أراد انهم سراع الى الندى ، ولا يستخفهم الطيش عند الغارة ، لانهم ذوو رزانة .

(٩) السيما : العلامة يعرف بها الخير والشر ورواية اللسان (سوم) .

ولَهُمْ سِيمَا إذا تُبْصِرُهُمْ

(١٠) السرو : المروءة والشرف

[٢٤٤ ب]

وسوامٌ لَجِبٌ سامِرُه ... طُلُحٌ ذادَتُه يومَ النَّهَلْ[١]

جَعَلوهُ دونَ أَحْسَابِهِمُ ... فوقاهم كلَّ ذَمٍّ وَبَخَلْ

سأَلَتْنِي جَارَتِي عن أُمَّتِي ... وإذا ماعَيَّ ذو اللُّبِّ سأَلْ[٢]

سأَلَتْنِي عن أُناسٍ هَلَكوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهم وأَكَلْ[٣]

طَلَبُوا المجْدَ فلما أَدْرَكوا ... لِكِتَابٍ وانْتَهى ذاكَ الأَجَلْ[٤]

وضَعَ الدهرُ عليهم بَرْكَه ... فأَرَاهُ لم يُغَادِرْ غيرَ فَلّْ[٥]

وأُرانى طَرِبًا فى إِثْرِهِم ... طَرَبَ الوَالِهِ أَوكالمُخْتَبَلْ[٦]

أَنْشُدُ النَّاسَ ، ولا أُنْشِدُهم ... إنما يَنْشُدُ من كانَ أَضَلّْ[٧]

وقال النابغةَ [الجَعْدِىّ] أيضا[٨] :

---

(١) السوام والسائمة بمعنى واحد ، وهو الماشية الراعية ، اللجب : صهيل الخيل ، ويقال أيضا لارتفاع أصوات الأبطال واختلاطها ، والسامر : السمار ، ويقال أيضا للموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، والطلح : التعبون ، ويقال أيضا للرعاة طلح .

(٢) هذا البيت والابيات الاربعة التالية له فى شرح ادب الكاتب للجواليقى/١٢١ وفى اللسان (طرب) أررد هذا البيت والذى يليه وبعدهما « وارانى طربا .. » وروايته « ..امتى عن جارتى » وجارته هنا . امرأته ، وأمته : قومه ، وعى ذو اللب ، أى لم يعرف ذو العقل وجه الأمر ، ولم يهتد له .

(٣) قال الجواليقى : شرب الدهر عليهم وأكل : شرب أهل الدهر ، والمعنى لما ماتوا فنسوهم ، وفارقهم الحزن عليهم عادوا الى الأكل والشرب ، وفى اللسان (أكل) قال أبو عمرو : يقول مر عليهم ، وهو مثل ، وفى أمثال الميدانى (٣٥/١) « أكل عليه الدهر وشرب » أى مضى عليه دهر طويل .

(٤) فى شرح أدب الكاتب « فلما ادركوا بحساب » والمعنى : لما نالوا ماقدر لهم من أحوال الملك المحسوبة والسنين المعلومة ماتوا وذهبوا.

(٥) بركة : صدره ، كأنه افترسهم كما يفترس الاسد فريسته ، وهو استعارة مكنيه ، والمراد أهلكهم ، والفل : المنهزمون ، أى لم يترك غير بقية منكسرة .

(٦) أنشده ابن قتيبة فى الاقتضاب/٢٩١ وأدب الكاتب وشرحه / ١٢١ وشاهدا على مجىء الطرب للجزع كما يجىء فى السرور ، وعبارته: « الطرب : خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع ، وقال الجواليقى : «وارانى » يروى بفتح الهمزة وضمها على مالم يسم فاعله » والواله : المتحير أو الثاكل ، والمختبل : الذاهب العقل ، ويروى : كالمحتبل ـ بالحاء المهملة ـ وهو الذى وقع فى الحبالة .

(٧) يقال : نشد الضالة ، اذا عرفها ودل عليها وطلبها وسأل عنها والبيت من شواهد اللسان على ذلك .

(٨) الأبيات وردت فى شعر الجعدى /١٣ وقبلها وهو المطلع :

سَمالَكَ هَمٌّ وَلَمْ تَطْرَبِ ... وبِتَّ بِبَثٍّ وَلَمْ تَنْصَبِ

وفى الموشح/٦٤ وأمالى المرتضى ٢٦٩/١ الأبيات الثلاثة الأولى ، ومعها المطلع المتقدم .

وقالت سُليْمَى : أرَى رَأسه كناصِيَةِ الفرَسِ الأشْهَبِ

وذلك من وَقَعَاتِ الزَّما نِ[1] ، ففيئِى إليكِ ولا تَعْجَبِى

أتينَ على إخْوَتِى سَبْعَةً وعُدْنَ على رَبْعِىَ الأقْرَبِ

الربع : الدار ، أراد أهلها ، وقال أبوعمرو : رَبْعُه : فخِذه من عشيرته .

[٢٤٥ ا] وسادَةِ رَهْطِىَ حَتى بَقِيـ ـتُ فرْدًا كصيصية الأعْضَبِ[2]

أصابَهُمْ القتْلُ ثمَّ الوَفا ة ، هَدَّ الأشاءةِ بالمِخْلبِ[3]

[الأشاءة] : الفَسِيلَة ـ [المخلب] : المنجل .

مضَوْا سَلفًا ثم لم يَرْجِعُوا إلينا ، فيَالك من مَوْكبِ !

غُيُوثاً تنوءُ على المُقْتِرِيـ نَ إن يَكْذِبِ الغيْثُ لم تكْذِبِ[4]

كِرامًا لدى الضَّيْفِ عند الشِّتا ء ، والجَدْبِ فى الزَّمَنِ الأجْدَبِ[5]

إذا أعْزَبَ الناسُ أحلامَهم أراحُوا الحُلومَ فلم تعْزبِ[6]

وقال أيضا يرثى قومه[7] :

دار حيٍّ كانت لهم زمَنَ التَّوْ بَةِ لا عُزَّلِ ، ولا أكفالِ[8]

يريد [بالتوبة] الإسلام .

---

(١) فى شعر الجعدى ، وأمـــالى المرتضى « وقعات المنون »

(٢) الصيصية : القرن ، والأعضب من الضأن : المكسور القرن .

(٣) الابيات الخمسة التالية لم ترد فى شعر الجعدى ، وقد زادهـــا ناشره أخيرا عن رواية المصنف الواردة هنا .

(٤) تنوء : تسقط ، والمقتر : الذى ضـاق عليه عيشه .

(٥) الجدب : القحط واحتباس المطر .

(٦) عزب حلمه : غاب عقله ، وأصله من قولهم : عزبت الأبل ، اذا أبعدت فى المرعى لاتروح، وأعزبها صاحبها اذا فعل بها ذلك .

(٧) الأبيات فى شعر الجعدى /٢٢٩ ـ٢٣٢ ويقابلها من القصيدة الأبيات من (١ـ٤و٩و١٠)

(٨) العزل : جمع الأعزل ، وهو من لاسلاح معه ، والآكفال : جمع كفل بكسر فسكون ، وهو الذى لايثبت على ظهر الفرس

لا أرى مِثْلَهُم ولو قَذَفَ الأَء داءُ فيهم هَوَاجِرَ الأَقْوَالِ(1)

من كُهولٍ غُلْبٍ مَلاوِيثَ قطٍّ. [م] ساعِينَ قِدَّ الأَسير ذِى الأَغْلالِ(2)

وهُمُ مَهْرَبُ الذَّليلِ كما يَهْ ربُ من خاف فى رُءُوسِ الجبالِ

هاجَرُوا يَطْلُبُون ما وَعَدَ اللهُ فبانوا ، وجارُهُم غيرُ قالِ(3)

فسلامُ الإلهِ يَغْدُو عليهم وفُيُوءُ الفِرْدَوْسِ ذاتِ الظِّلالِ(4)

وقال أبو بِلال ، مِرْداسٌ الخارجِىّ . يَرْثِى قتْلَى من الخوَارِجِ(5) :

[٢٤٥ ب]

أَبَعْدَ ابنِ وَهْبٍ ذى النَّباهَةِ والتّقَى ومَن خاض فى تلك الحُرُوب المهالِكا(6)

أُحِبُّ بقاءً ، أو أُرَجِّى سَلاَمَةً وقد قَتَلوا زيْدَ بنَ حِصْنٍ ومالِكا ؟!

فيارَبِّ سَلِّم نِيَّتِى وبَصِيرَتِى وهَبْ لى التُّقى حتى أُلاقِى أُولئِكا

وقال أبو الشَّغْبِ العبسىّ(7) :

أَبَعْدَ بنى الزُّهْرِ الغَطارِفَةِ الأُلى أُرَجِّى رَجاءً أو نوالًا من الدّهْرِ ؟!(8)

غطارِفَةٌ زهْرٌ مضوْا لسبيلهم أَلَهْفِى على تلك الغَطارِفَةِ الزُّهْرِ

لهم ذِكَرٌ يَعْتَدْنَ قلبى ، كأنما يُلذِّعْنه بين الجَوانحِ بالجَمْرِ

---

(1) هواجر : جمع هاجرة وهو مصدر جاء على وزن فاعلة كالعاقبه ـ بمعنى الهجر ، بضم فسكون ، وهو القبيح من الكلام .

(2) الغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ العنق ، كنى به عن الشجاعة والقوة ، والملاوث : جمع ملاث وملوث ، وهو السيد الشريف .

(3) قال ، من القلى ، أى كاره مبغض لهم .

(4) فيوء : جمع فىء ،وهو الظل ، وفى اللسان (ظلل) وقد جعل بعضهم للجنة فيئا غير أنه قيده بالظل ، فقال يصف حال أهل الجنه ثم أورد هذا البيت شاهدا على ذلك

(5) الأبيات منسوبة اليه فى الكامل /٥٨٦

(6) فى الكامل « ذى النزاهه »

(7) الأبيات (من ٣ـ٧) فى معجم البلدان فى رسم (حاضر) ونسبها ياقوت الى عكرشة العبسى (وهو اسم أبى الشغب) يرثى بنيه ،ووردت أيضا فى حماسه أبى تمام ٧٨/٣ (نشر محيى الدين عبد الحميد) كروايتها فى معجم البلدان

(8) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف السخى الكثير الخير ، وقيل : هو السخى السرى الشاب .

يُذكِّرُنِيهِمْ كلُّ خيرٍ رأيْتُه ... وشرٌّ فما أنْفكُّ منهم على ذِكْرِ [١]

سَقى اللهُ أجسادًا ورائى تركْتُها ... بحافةِ قِنَّسْرِين من سبُلِ القَطرِ [٢]

(أظنها حاضر قِنَّسرين) .

ثَوَوْا لا يُرِيدُون الرواحَ وَغالَهُم ... من الموتِ أسْبَابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ [٣]

ولو يَستطيعون الرَّوَاحَ ترَوَّحُوا ... معى ومَضَوْا فى المُصْبِحِينَ على ظَهْرِ [٤]

لعَمْرِى لقد وارَتْ قبُورٌ ضمِنَّهم ... أكفًّا شِدادَ القَبْضِ للأَسَلِ السُّمْرِ [٥]

[٢٤٦ أ]

وآخِرُ عَهْدٍ منكَ ياشَغْبُ شمَّةٌ ... بِشَرْجٍ وَداعًا والمطِىُّ بنا تَسْرِى [٦]

فكان وَدَاعًا ، لا تلاقِىَ بعده ... وبَيْنًا إلى يومِ القِيَامَةِ والحَشْرِ

وقال أَيمنُ بن خُرَيْمٍ الأَسَدِىّ [٧] :

---

(١) هذا البيت فى الحماسه ومعجم البلدان ورد بعد البيت الثامن هنا .

(٢) السبل : المطر الجود الهاطل ، ورواية الحماسة ومعجم البلدان (سقى الله أجداثا .. » وفيهما (بحاضر قنسرين) كما استدركه المصنف، والحاضر : الحى العظيم ، وقنسرين : كورة ومدينه بالشام ، وكان بينها وبين حمص مرحلة، ثم اتصل العمران بينهما ، وحـــاضر قنسرين ، موضع بالقرب منها كان لتنوخ ، قال ياقوت : وهى بلدة باقية الى الآن .

(٣) فى معجم البلدان والحماسة « مضـــوا لا يريدون .. » وغالهم : أهلكهم ، يقال : غالته غول ، اذا وقع فى مهلكه .

(٤) الرواح : السير ، وقيل : ماكان منه بعد الزوال ، اراد ولو يستطيعون الســـــير لساروا ، والمصبحون : من اصبح القوم ، اذا دخلوا فى الصباح ، وقوله (على ظهر) أى مزمعين للسفر غير مطمئنين ، كأنهم ركبوا ظهرا لذلك، والبيت من شواهد اللسان على هذا المعنى ، ولم ينسب فيه الى قائله .

(٥) رواية ياقوت فى معجم البلدان : «لَعمْرِى لَقَدْ وَارَتْ وَطَمَّتْ قُبُورُهم » وفى الحماسة « وضمت » ومعنى « ضمتهم القبور » : احتوتهم ، والأسل : الرماح على التشبيه ، واصل الأسل: نبات من الاغلات يخرج قضبانا دقاقا ، ليس لها ورق ولاشوك ، والسمر فى لونها ، لأن القناة اذا انتهت وصلبت سمرت .

(٦) شرج : اسم لأكثر من موضع ، منها :ماء شرقى الاجفر بينهما عقبة ، وجبل أو ماء فى ديار غنى . وآخر لفزارة ، وماء لبنى عبس بنجد فى أرض العالية ، ولعله المراد هنا ، لأن أبا الشغب عبسى .

(٧) الأبيات فى حماسة أبى تمام ٣٩٤/٢ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) ونسبها ابو تمام الى عبد الله ابن الزبير الأسدى والبيتان : ١و٢ منسوبان اليه فى شرح المقامات للشريشى ٢١٩/١ ونسبها المرزبانى فى المؤتلف والمختلف ٣٠٨و٣٠٩ الى فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد ، وروايته بتقديم البيتين ٣و٤ على ماقبلهما، وفى ذيل الأمالى /١١٦ وردت كروايتها هنا ، ونسبها القالى فيه الى الكميت بن معروف الأسدى ، وفى اللسان (سمد) البيتان ١و٢ من غير عزو

رمى الحَدَثانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ بمقْدار سَمَدْنَ له سُمُودَا (١)
فردَّ شُعُورَهُنّ السُّودَ بِيضًا وردَّ وُجُوهَهُنَ البيضَ سُودَا (٢)
فإنَّك لو رَأَيْتَ بُكاء هِنْدٍ ورَمْلَةَ إذ تَصُكَّانِ الخدُودَا (٣)
بَكَيْتَ بكاء مُعْوِلةٍ فقِيدٍ أصابَ الدَّهْرُ واحِدَها الفَقِيدَا (٤)

وقال أعرابى :

أَلا أَيُّها الموتُ الذى ليس جائِيًا أَرِحْنِى ، فقدْ أَفْنَيْتَ كلَّ خليلِ
أَراكَ بَصِيرًا بالذين أُحِبُّهُمْ كأنَّك تُهْدَى نحْوَهم بدلِيلِ

وقالت أمُّ الصَّرِيحِ الكِنْدِيَّةِ (٥) :

هوَتْ أُمُّهُمْ ما ذا بِهِمَ يوم صُرِّعُوا بحسمان (٦) من أسْبَابِ مجْدٍ تهَدَّمَا (٧)

---

(١) فى اللسان «بِأَمْرٍ قَدْ سَمَدْنَ لَهُ» وما هنا يوافق الحماسة ، والسمود : الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه ، وقيل : السهو واللهو عنه ، وفسره ابو العلاء فى البيت بتغير الوجه من الحزن

(٢) فسره التبريزى بقوله :« اى صارت شعورهن بيضا من الحزن ، ووجوههن سودا من اللطم »

(٣) الصك : الضرب الشديد بالشىء العريض ، والمراد هنا لطم الخدود ·

(٤) رواية المرزبانى فى المؤتلف والمختلف : «رَأَمْت بِكُلِّ مُعْوِلَةٍ ثَكُولٍ أبانَ الدَّهْرُ ... »
وفي الحماسة :
«سَمِعْتَ بُكَاء باكِيَةٍ وباكٍ » وقال التبريزى : من سمع هذين البيتين ولم يعرف المعنى قدر أن فيهما خطأ ، لأنه قال : لو سمعت بكاء هند ورملة وهما امرأتان ثم قال «سَمِعْتَ بكاء باكية وباكٍ » فجاء بانثى وذكر ، ولكن المعنى انهما تنوحان معا وتلطمان معا ، فيقدر انهما باكية واحدة لاتصال اصواتهما وصكهما وعطف بقوله وباك على قوله باكية ابان الدهر ·· فكأنه قال وباك كذلك

(٥) الأبيات فى حماسة أبى تمام ٣٨٨/٢ (نشر محيى الدين عبد الحميد) ورياض الأدب فى مراثى شواعر العرب ١١٢/١ وفى معجم البلدان فى رسم جيشان وذكر اسمها محرفا «أم صريع » وفيه وفى الحماسه عدتها ثلاثة كما أوردها المصنف هنا ·
وفى رياض الأدب (عن نسخة الحماسة الخطية) زاد جامعه بيتا بين الأول والثانى من هذه الأبيات وهو :

وَلَمَّا اكْفَهَرَّتْ مِنْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ إذا برقَتْ بالموْتِ أَمْطَرَت الدَّمَا

(٦) الرواية فى المراجع السابقه (بجيشان) مكان (بحسمان) ولم يرد « حسمان » موضعا فى ياقوت ، وفيه جيشان : مخلاف باليمن كان ينزله جيشان بن غيدان بن ذى رعين ·

(٧) فى الحماسه ومعجم البلدان (تصرما)

أبوْا أن يَفِرُّوا ،والقَنا فى نُحُورِهِمْ[1]	ولم يرْتَقُوا مِنَ خشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

[٢٤٦ب] وَلَوْ أنّهم فَرُّوا لكَانُوا أعزَّة	ولكن رَأوْا صبْرًا على المَوْت أكْرَما[2]

عن شِبْل بن بَشِير أنَّه خرَجَ فى سَفر وخَلَفَ الطاعُونُ فى أهلِه ، فلم يَدَعْ منهم أحَدًا إلا أمَةً سوداء ، فتحَوَّلتْ إلى بعضِ الجيرانِ ، فقدِمَ شِبْلٌ فجعل يدقُّ الباب ، فسمعته الأَمَةُ ، فقالت من هذا ؟ فقال : أنا رَبُّ الدارِ ، فقالت ما بقِى فى الدّارِ أحدٌ ، فجاءَ الناس يُعَزُّونه على ما افْتُرِطَ[3] من أهْلِه ، فقال :[4]

أتِى دونَ حُلْوِ العَيْشِ حتى أمَرَّه	نُكوبٌ على آثارِهِنَّ نُكوبُ[5]

تتابَعْنَ فى الأَحبابِ حتى أبَدْنَهُمْ	فلم يَبْقَ منهم فى الدّيارِ عَريبُ[6]

إذا ذَرَّ قَرنُ الشمسِ عُلِّلت بالمنى	ويَأوَى إلىّ الحُزْنُ حين تغِيبُ[7]

ونامَ خَلِيُّ البَالِ عَنى ولم أنمْ	كما لم يَنَمْ عارِى الفِناءِ عَزِيبُ[8]

أضرَّتْ به الأيامُ حتى تَرَكْنَهُ	بطولِ الذى عفَّيْنَ وهو رَقوبُ

---

(١) فى ياقوت (صدورهم) وفى الحماسة (نحورهم) وفى المراجع الأخرى (وان يرتقوا ؟

(٢) فى الحماسة ، (فلوأنهم) وروى ابن الاعرابى (لكانوا أشدة) قال : وهو كقول اوس :

وَلَيْسَ الْفِرَارُ اليومَ عارًا عَلى الفتَى	إذا جُرِّبَتْ منهُ الشجَاعةُ بالأَمْسِ

(٣) افترط من أهله ، أى ماتوا سراعا تباعا .

(٤) كذا نسبها المصنف الى شبل بن بشير ، ولم اقف على ترجمة له ، والبيت الأول منها وقع فى قصيدة لعريقة بن مسافع العبسى فى الاصمعيات (١٥ ط ليبزج) وكذلك وجدته فى قصيدة نسبها أبو زيد الخطابى فى جمهرة اشعار العرب /٢٧٧ لمحمد بن كعب الغنوى ، وهى فى أمالى القالى ٢/ ١٥٠ ــ ١٥٣ منسوبة الى كعب بن سعد الغنوى ،ولم يرد فيها البيت الأول (أتى دون حلو العيش ..) وفى سمط اللآلى/٧٧٣ استدرك البكرى على القالى البيت الثالث هنا : « اذاذر قرن الشمس .. »

(٥) نكوب : جمع نكب ــ بفتح فسكون ،وهو كالنكبة : المصيبة من مصائب الدهر .

(٦) أباده : أهلكه ــ وعريب : أحد ، يقال : ما بالدار عريب .

(٧) ذر القرن والبقل : طلع أدنى شىء منه ،ومن المجاز ذرقرن الشمس ، ويقال : ذرت الشمس : طلعت وظهرت ، وقيل : هو اول طلوعها ، وشروقها : يعنى أول ما يسقط ضوؤها على الارض .

(٨) العزيب : الرجل يبعد عن أهله وماله ،أو لعله أراد صاحب عزيب أى ابل بعيدة المرعى لاتروح على الحى ، لانه يكون شديد الحذر واليقظة فلا ينام .

وكيفَ بَقاءُ المرءِ من بعدِ أَهْلِه ... وليس له فى الغابِرِينَ حَبِيبُ ؟! (١)

وما ترَكَ الطَّاعُونُ من ذِى هَوَادَةٍ ... إلَيْنا إذا حان الإيابُ يَئُوبُ (٢)

وكنْتُ أُرَجِّى أن أَؤُوبَ إليهِمُ ... فغالهُم من دُونِ ذاك شَعُوبُ (٣)

[١ ٢٤٧]

مقادِيرُ لا يُغْفِلْنَ من حان يومُه ... لهُنَّ على كلِّ النُّفوسِ رَقِيبُ

سَقَيْنَ بكأْسِ الموتِ من قد أَمَتْنه ... وفى الحَىِّ من أنفاسِهِنّ ذَنُوبُ (٤)

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهُمْ فيَهيجُنِى ... فؤادٌ إلى أهلِ القبورِ طَرُوبُ (٥)

فلسْنا بأَحْيَا(٦) منهم ، غير أنَّنا ... إلى أجلٍ نُدعَى له فنُجيبُ

وقال الرُّقَيْعُ بن عُبَيْدٍ الأَسَدِىّ (٧) :

لحَى اللهُ دَهْرًا شَرُّه دُونَ خيْرِه ... وجَدًّا بصيفىٍّ نَأَى بعد مَعْبَد (٨)

بقِيةُ خُلَّانِى أَتى الدَّهْرُ دُونهم ... فما جَزَعِى أَمْ كيْف عنهُمْ تجَلُّدِى ؟! (٩)

فلو أنَّها إحْدَى يَدَىَّ رُزِئْتُهَا ! ... ولكِنْ يَدِى بانتْ على إِثْرِها يَدِى (١٠)

---

(١) الغابرين ، جمع غابر وهو هنا الباقى ٠

(٢) الهوادة من معانيها : اللين وما يرجى به الصلاح ، والترفق ، والابطاء فى السير

(٣) شعوب : علم علىّ المنية (غير مصروف) قيل : سميت بذلك لانها تشعب النـاس ، أى تفرقهم

(٤) كذا ضبط فى الاصل ، وهى الدلو العظيمه ، ويقال ايضا : له ذنوب من كـذا ، أى نصيب منه ، وفى القرآن الكريم : «فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ» ٠

(٥) الطروب : السريع الخفة والتأثر بمـا يطرب ، واصل الطرب : خفه وهزة تثير النفس لفرح أو حزن أو ارتياح ، وغلب اليوم فى الارتياح الى مايفرح ٠

(٦) أحيا : افعل تفضيـل من حيى ، أى لسنا اكثر حياة منهم ٠

(٧) الأبيات فى لباب الآداب /٤٠٨ كروايتها هنا ، وهى أيضا فى حماسه أبى تمـام ٣/٩١ (نشر محيى الدين عبد الحميد) والبيت الرابع هنا لم يرد فيها ونسبها أبو تمام الى رجل من كلب ٠

(٨) لحى الله ٠٠ دعاء على الدهر الذى وصفه ، ثم دعا على الوجد الذى تعجل له بصيفى بعـد وجد كان قد تقدم له فى معبد ، ورواية الحماسة « قبل خيره » ٠

(٩) الحماسة : « بقية اخوانى » وقـال التبريزى فى تفسيره : يجوز ان يكون المراد بالبقية : خيار اخوانه ، كما يقال : فلان من بقية الناس ، وان يكون المراد أنه كان فى اخـوانه وفور ، ففقد منهم عدة ، وجعل يانس ببقيتهم ، فأتى الدهر عليهم أيضا ٠ وقوله : فما جزعى انه لايعتد بالجزع الواقع من اجلهم جزعا لقصوره عن الواجب ٠

(١٠) حذف جواب لو ، وتقديره لو أنها احدى يدى رزئتها لتسليت بسلامة الآخرى ، أو نحو ذلك

كأنّى وصَيْفِيًا أخا الصِّدْقِ لم نَقُلْ ـ لموقدِ نارِ آخر اللّيْلِ ـ : أَوْقِدِ
فلسْتُ بباكٍ بعدهُ إثْرَ هالِكٍ قَدِى الآن من وَجْدِى على هالِكٍ قدِى[1]

وقال الشريف الرَّضِىّ ـ رضى الله عنه ـ[2] :

ما لِلْهُمُومِ كأنّهَا نارٌ على كبدِى تُشَبُّ
أَفِراقُ إخْوانِ الشّبا بِ غَدتْ مطايَاهم تَخُبّ[3] ؟

[٢٤٧ب]

فارقْتُهُمْ ، فالعَيْنُ عَيْـ نٌ بعدَهُم ، والقَلْب قَلْبُ
ما كنْتُ أَحْسِبُ أنّنى جَلْدٌ على الأَرْزاء صَعْبُ[4]
أو أنّنى أَبْقَى وَظَهْ رِىَ بعد إخْوانى أَجَبُّ[5]
ما أَخْطَأَتْكَ الحادِثا تُ إذا أصابَتْ مَن تحِبُّ

وقال أبو رِفاعة :

أَصبحَتْ من حُلولِ قَوْمِى وَحْشًا رُحَبُ الجُدْرِ جَلْسُها فالبِطاحُ[6]
ولقد أُلْفِيَتْ وفيها كُهولٌ وشَبابٌ بيضُ الوُجُوهِ صِباحُ

---

(١) الحماسة : «فَآلَيْتُ لا آسَى على إثْرِ هالِكٍ » وما هنا يوافق رواية لباب الآداب والمعنى : خوفى كان عليهم ، واذ قد اصبت بهم فانى لا أجزع بفائت ، فحسبى الآن من وجد على هالك .

(٢) الأبيات فى ديوانه /٧٩ ، وعنوانها فيه: « وقال بديها يرثى ابا الحسين احمد بن على البتى ، وكان من اصدقائه القدماء ، ومات فى شعبان سنة ٤٠٥ هـ وبعده بشهور مات الشريف الرضى »

(٣) تخب من الخبب وهو ضرب من العدو، ورواية الديوان :

لِوَدَاعِ إخْوانٍ .. مَضَتْ مَطَايَاهُمْ

(٤) فى الديوان : « .. على الارزاء صب » وما هنا أحسن .

(٥) الآجب : البعير الذى لا سنام له ، وهو على التشبيه ، ومثله قول النابغة :

فَإنْ يَهْلِكْ أَبُو قابُوسَ يهْلِكْ رَبِيعُ النّاسِ والْبَلَدُ الحرَامُ
وَنَأْخُذْ بَعْده بذِناب عَيْشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ له سَنَامُ

(٦) الحلول : جمع حال ، وهو المقيم ، خلاف المسافر ، وحشا : خاليه لاساكن بها ، والجلس ـ بفتح فسكون ـ الغليظ من الارض .

ومَهادِيرُ فى النَّدِىّ ولا يَنْفَكُّ فيه منهم نَدًى وسَماحُ [1]

وقال البُرَيْقُ بنُ عِياضٍ الهُذَلىّ [2] :

أَلم تَسْلُ عن لَيْلَى وقد ذهب العُمْرُ [3] وقد أَوْحَشَتْ منها الموارِجُ والحُضْرُ [4]

[الموارج ، والحضر] : مواضع

وقد هاجَنى منها بوَعْساء فَرْوعٍ [5] فأَجْراعِ ذى اللِّهباء منْزِلَةٌ قَفْرُ

يظَلُّ بها داعِى الهَدِيلِ [6] ، كأنّهُ على الساقِ نَشْوَانٌ تَمِيلُ به الخَمْرُ

فإن تَبْكِ [7] فى رَسْمِ الدّيارِ ، فإنّها دِيارُ بَنى زَيْدٍ وهل عنهم صبْرُ ؟

[٢٤٨ أ]

وقال آخر :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى ! هل يَعُودَنَّ ما مَضَى لياليَ عَيْشُ الأَصْفِياء رَطِيبُ ؟

وهل عائِدٌ قبلَ المماتِ ، فراجعٌ إلى عَهْدِهِ دَهْرٌ إلىّ حَبِيبُ ؟!

وهل يَجْمَعَنْ شَمْلِى من الدَّهْرِ جامِعٌ بَلَى ، ذاكَ إن شاءَ الإِلَهُ قَرِيبُ

ولى كَبِدٌ حرَّى بما قد تَضَمَّنَتْ عليكمْ وعينٌ بالدُّمُوعِ سَكُوبُ [8]

---

(١) مهادير : جمع مهدار مبالغه من هادر ، وأصله من ترديد البعير صوته فى حنجرته ، استعاره للخطابة ، وفى الحديث (هدرت فاطنبت) والندى : النادى وهو مجتمع القوم .

(٢) الأبيات فى ديوان الهذليين ٣/٥٨ ط دار الكتب) وهى من أول القصيدة على الترتيب ، وفى هامشه (حاشية /١) نقلا عن البقية ص ٤٢ - أن الأصمعى نسبها الى عامر بن سدوس ،

(٣) فى الديوان (نفد العمر) وفى هامشه وروى (ذهب العمر)

(٤) فى الديوان (الموازج فالحضر) وقال هما موضعان ، وأورد ياقوت فى رسم الموازج البيت منسوبا للبريق .

(٥) فى الديوان (بوعساء قرمد) وفسره نقلا عن ياقوت : الوعساء : رملة ، وقرمد موضع الوادى ، وقد أورد ياقوت هذا البيت شاهدا ولم يعزه لقائل ، وفى البقية (وعساء فروع) كرواية المصنف ، وفى ياقوت فروع : موضع فى ديار هذيل .

(٦) فى الديوان (الداعى الهديل) وفى البقية (داعى هديل) والهديل : الصوت ، وهو ايضا : ذكر الحمام ، وفرخها . وعنى بالساق : ساق الشجرة .

(٧) فى الديوان « فان تك » وفى البقية « تبك » كروايته هنا ، وهو أجود

(٨) كبد حرى : عطشى ، وهو فعلى من الحر ، مؤنث حران .

أُصَعِّدُ أنفاسِى حَنِينًا إليكم كما حَنَّ مقْصُورُ اليدَيْن نَجيبُ (١)

وقال حَيّان بن قَيس :

تطاولَ ليلى بالغُطَاطِ إلى الغَمْرِ وبات فِراشى مُشْعرًا جَاحِمَ الجَمْرِ (٢)

تذكَّرْتُ من أَضْحَتْ بحَوْرَانَ دارُه وكيف مع الأَحْدَاثِ أَصْبُو إلى الذِّكْرِ؟! (٣)

فإن أَرَهُمْ لا أَصْدِفْ الدَّهْرَ عنهُمُ سوى سَفَرٍ حتى أُغَيَّبَ فى القبْرِ (٤)

لعَمْرِى لقد أَمْسَتْ إلىَّ بغيضَةً نَوًى فَرَّقَتْ بينى وبَيْنَ بَنِى عَمْرِو

إذا هَبَطوا الأَدواتِ (٥) ، والبحرُ دونَنا فَقُلْ فى تَناءٍ بينَنَا آخِرَ الدَّهْرِ

[٢٤٨ ب] وقال كُشاجِمٌ :

تَخَرَّم الدهرُ أَشكالِى فأَفْرَدَنِى منهم ، وكنت أَراهُم خيرُ جُلَّاسِ

وصِرْتُ آلَفُ قومًا لا خَلَاقَ لهم والوَحْشُ يأْنَسُ عند المَحْلِ بالنَّاسِ

وقالت ليلى ، أُختُ الوَلِيدِ بن طَرِيفٍ الشَّارِى ، تَبْكِيه (٦) :

ذكرتُ الوَلِيدَ ، وأَيّامَه إذ الأَرْضُ من شَخْصِه بَلْقَعُ

فأَقْبَلْتُ أَطْلُبُه فى السماءِ كما يَبْتَغِى أَنْفَه الأَجْدَعُ

أَضاعكَ قَوْمُكَ ، فلْيَطْلُبُوا إفادَةَ (٧) مثْلِ الذى ضَيَّعُوا

---

(١) مقصور اليدين : مقيدهما ، والنجيب من الابل : القوى السريع الخفيف .

(٢) الغطاط : موضع ورد أيضا فى شعر الكميت بن معروف الأسدى ، وقال نصر موضع فى بلاد بكر . والغمر : أصله الماء الكثير ، ثم أطلق على عدة مواضع . الجاحم : الشديد الحر ، ومشعر من قولهم : اشعر الهم قلبه ، اذا لزق به ، ويقال اشعر الرجل هما .

(٣) حوران : كورة واسعه من أعمال دمشق ، وحوران أيضا : ماء بنجد ، قال نصر : اظنه بين اليمامة ومكة .

(٤) أصدف :أعرض

(٥) الأدوات : كذا فى الاصل ، ولم أجده فى البلدان ، وفى ياقوت الأدواء ، بالهمزة فى آخره ، وقال : موضع فى ديار تميم بنجد ، وفيه ايضا : الأرواد : اسم جزيرة فى البحر قرب قسطنطينية ، غزاها المسلمون ، ففتحوها سنة ٥٤ هـ فلعل ما هنا محرف عن الأرواد

(٦) الأبيات فى الأغانى (١١/١١) منسوبة أيضا لليلى بنت طريف فى رثاء أخيها الوليد وهى أيضا فى معاهد التنصيص /٤١٦ وروايتها متفقة مع رواية أسامه فى عددها وترتيبها .

(٧) فى معاهد التنصيص (اعارة) وما هنا يوافق روايه الاغانى .

لو أنّ السيُوفَ الذى (1) حَدّها يُصِيبُكَ تعلَمُ ما تَصْنَعُ
نَبَتْ عنكَ ، أو جَعَلَتْ - هَيْبَةً وخَوْفًا لصَوْلِكَ - لا تَقْطَعُ

وقالت فارِعَةُ المرِّيّة ، أُختُ مَسْعُودِ بنِ شَدادٍ، تَبْكِيه (2) :

يا مَنْ رَأَى بارِقًا قد بِتُّ أَرْمُقُه جَوْدًا (3) على الحَرَّةِ السّوداءِ والوَادِي
أَسْقِى به قَبْرَ من أعْنى ، وحُبَّ به قبرًا إلىّ ، وإن لم (4) يَفْدِه فادِ
شَهّادُ أَنْدِيَةٍ ، رَفّاعُ أَلْوِيَةٍ (5) شَدّادُ أَوْهِيَةٍ ، فَتّاحُ أَسْدَادِ
نحّارُ راغِيَةٍ ، قتّال طاغِيَةٍ حَلّال رابِيَةٍ ، فكّاك أَقْيَادِ (6)
قوّالُ مُحْكَمَةٍ ، نقّاض مُبْرَمَةٍ فرّاج مُبْهمَة ، حبّاس أَوْرادِ (7)
حلّال مُمْرِعَةٍ ، حمال مُضْلِعَةٍ فَرّاج مُفْظِعَةٍ ، طلّاعُ أنْجاد (8)

[1249]

---

(1) فى الاغانى والمعاهد (التى حدها)

(2) القصيدة بتمامها فى رياض الأدب (1/98) ومراجعها فيه : الحماسة البصرية وزهر الآداب للحصرى 3/256 ، والاغانى 10/16 ، وخزانة الأدب للبغدادى 4/505 ، ومعجم البلدان ويقابل هذه الأبيات من القصيدة بترتيب رياض الآداب الأبيات 2و3و6-9 و16 ، وأوردها صاحب الأمالى برواية الأخفش (2/328 و329) ونسبها الى فارعة بنت شداد كما فعل اسامة ، وفى سمط اللآلى انها تنسب أيضا الى عمرو بن مالك بن يثربى النخعى (جاهلى) وتنسب أيضا الى أبى الطمحان (مخضرم) وانظر سمط اللآلى 970و971) وأولها .

يا عَيْنُ بكّى لمَسْعُودِ بنِ شَدّادِ بكاءَ ذى عَبَرَاتٍ شَجْوُه بادِى

(3) رواية الأخفش (يسرى على الحرة) . وما هنا يوافق رواية ابن الاعرابى .

(4) فى الأمالى « ولما يفده فادى » وهذا البيت والذى قبله جزم البكرى فى سمط اللالى انهما من ابيات لجبلة بن الحارث يرثى بها مسعودا العدوى .

(5) رواية الأخفش «حَمّالُ أَلْوِيَةٍ شدّادُ أَنْجِيَةٍ » وما هنا يوافق رواية ابن الأعرابى كما فى الامالى .

(6) فى الأمالى : «قَتّالُ طاغِيَةٍ رَبّاءُ مَرْقَبَةٍ مَنّاعُ مغْلَبَةٍ فَكّاكُ أَقْيَاد »
وما هنا اقرب الى رواية ابن الأعرابى وهى:

قَتّالُ طاغِيَةٍ نحّارُ راغِيَةٍ حَلّالُ رابِيَةٍ فَكّاكُ أَقْيادِ

(7) روى « فتاح » مكان «فراج » والمحكمة هنا يعنى الخطبة أو القصيدة ، والمبرمة : الأمور التى قد أبرمت : أى أحكمت .

(8) رواية الامالى :

حَلّالُ مُمْرِعَةٍ ، فَرّاجُ مُفْظِعَةٍ حَمّالُ مُضْلِعَةٍ طَلّاعُ أَنْجادِ

أبا زُرارَة لا تَبْعُدْ ، وكلُّ فتىً يوما رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وأَعْوادِ [1]

وقال الشريف المرتضى ، رحمه الله [2] :

أَوْرَدْتَنِي ومَضَيْتَ مُبْتَدِرًا حزَّ المُدَى ، ولواذِعَ الجَمْرِ [3]

وتَرَكْتَنى – والدَّهْرُ ذو دُوَلٍ – أَعْشَى اللِّحَاظِ مُقَلَّمَ الظُّفْرِ [4]

أَرْمِي ، فلا أُصْمِي ، وإن رُمِيَتْ جِهَتى رُمِيتُ معرَّضَ النَّحْرِ [5]

وأَصُدُّ عَنْ لُقْيَا العَدُوِّ ، وَهَلْ أَلْقَى العَدُوّ ، ولَسْتَ من ظَهْرِى؟ [6]

وإذا مَضَى من كانَ يَعْضُدُنى ويَشُدُّ يومَ كَرِيهَةٍ أَزْرِى [7]

وَيَرُد عنى كلَّ طارِقَةٍ ويَخوضُ كلَّ رَدًى إلى نَصْرِى

فالحَظُّ لى ألا أَهِيجَ وَغًى حتى أكونَ مُسَالما دَهْرِى [8]

لا مُتْعَةٌ لى فى الحياةِ فما أَحْيَاهُ بَعْدَكَ ليسَ من عُمْرِى

[٢٤٩ب] وقال آخر [9] :

يا دَهْرُ قد أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا بسراتِنا ، ووقَرْتَ فى العَظْمِ [10]

---

(١) فى الأمالى « فكل »
الصفيحات : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العريضة يسوى بها القبر ، والأعواد هنا النعش

(٢) الابيات فى ديوانه ٢/٨٥ من قصيدة يرثى بها فخر الدولة ، ومطلعها :

شَطَّتْ عَلَيْكَ لُبَانَةُ الصَّدْرِ وحُرِمْتَهَا مِنْ حيْثُ لاتَدْرِى

(٣) فى الديوان « زودتنى ومضيت .. » حز المدى ، يريد مثل حز المدى ، كنى بذلك عن شدة وجده عليه .

(٤) اعشى اللحاظ : ضعيف النظر ، يعنى من كثرة بكائه ، أو من كبره ، وأراد بمقلم الظفر الكناية عن الضعف والعجز ، وانعدام النصير .

(٥) اصمى : اصيب مقتلا ، يقال : رمى فأصمى ، اذا أصاب مقتلا ، ورمى فاشوى ، اذا لم يصب مقتلا ، وروايه الديوان : (رميت معرضا نحرى)

(٦) ولست من ظهري ،أى ولست ظهيرا وناصرا لى ، وفى الديوان ، (فى ظهرى)

(٧) يعضدنى : يعيننى ، والأزر : الظهر ، ومنه المؤازرة للتقوية .

(٨) أراد بقوله « فالحظ لى .. » الأولى والأجدر بى

(٩) الابيات فى الاغانى (٣/٣٢٣ ط دار الكتب) ومختار الاغانى (٢/٣٨٩) مما غناه الغريض عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، والبيت الأول منسوب فى اللسان (وقر) الى الأعشى ، ولم أجده فى ديوانه .

(١٠) سراتنا : سادتنا وأشرافنا ، وقرت فى العظم : صدعته وكسرته ، قال الاصمعى : يقال ، ضربه ، ضربة وقرت فى عظمه ، والبيت من شواهد اللسان على هذا المعنى .

وسلَبْتَنَا ما لَسْتَ مُخْلِفَه يا دَهْرُ ما أنْصَفْتَ فى الحُكْمِ
لو كانَ لى قِرْنٌ أناضِلُهُ ما طَاشَ عِنْدَ حَفِيظَة سَهْمِى [1]
أو كان يُعْطِى النَّصْفَ قلْت له : أحْرَزْتَ سهمَك فالْهُ عن سَهْمِى [2]

وقالت أُمَيْمَةُ بنت عبدِ شَمْس ، ترثِى قومَها [3] :

أبَى لَيْلُكَ أنْ يَذْهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بالكَوكَبْ [4]
وهذا الصُّبْحُ لا يَأْتِى ولا يَدْنو ولا يَقْرُبْ
لفَقْدِ عشِيرَةٍ مِنَّا كرام الخِيم والمَنْصِبْ [5]
أمالَ عليهم دَهْرٌ حديدُ النابِ والمِخْلَبْ [6]
فحلَّ بهم وقد أمِنوا فلَمْ يُقْصِرْ ولم يَشْطبْ [7]
وما عَنْهُ إذا ما حلْ (م) لَ ، لا مَنْجَى ، ولا مهْرَبْ [8]
ألا يا عيْنُ فابكِيهِمْ بدَمْعٍ منكِ مُسْتَغْرِبْ [9]

---

(١) يقال : طاش السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٢) النصف ـ مثلثة النون ـ : الانصاف ،قال الفرزدق :

ولكنّ نصْفًا لَوْ سَبَبْتُ وسَبَّنِى بنُو عَبْدِ شَمْسٍ من مَنافٍ وهاشِمِ

(٣) فى الاغانى ١٩/٧٣و٨٢ وردت منسو به لاميمة بنت عبد شمس كما ذكرها اسامة هنا ، وصوبه صاحب رياض الأدب فقال : ان عبد شمس جدها ، وهى أميمة بنت أمية بن عبد شمس اعتمادا على ماورد فى الاغانى ١٩/٨٢ اذ يقول « .. لها رثاء فى اخيها أبى سفيان بن أمية وفى قومها القرشيين الذين قتلوا فىحرب الفجار . » ومن مراجع القصيدة .
الكامل لابن الاثير ١/٢٤٥ و٢٤٨ ، والعقدالفريد ٣/١١١ و١١٢ ، وأمثال الميدانى ٢/٢٩) والقصيدة بتمامها فى رياض الادب (١/٦٠ـ٦٣) والاغانى (١٩/٨٢) ويقابل هذه الأبيات منها بترتيبها فيهما ، الابيات : ١و٣ ـ٩)
(٤) بعده فى المرجعين الاخيرين :

ونَجْمٌ دُونَه النَّسْر انِ بَيْنَ الدَّلْوِ والعقْرَبْ

(٥) فى الأغانى (بعقر عشيرة) وفى رياض الأدب ، بفقد عشيرة) والخيم : الطبع والأصل.
(٦) الرواية : (أحال) مكان (أمال) .
(٧) يروى «فَلَمْ يُقْهَرْ» ومعنى «لم يشطب» : لم يبعد ، أو لم يعدل
(٨) فى الأغانى ، والرياض (من منجى ؟
(٩) دمع مستغرب : كثير الانهمال من قولهم استغرب الدمع ، اذا سال .

فإن أبكِ ، فهم عِزّى وهَمْ رُكْنى ، وهُمْ مِنْكَبْ[1]

[٢٥٠ ا] وقال هلال بن الأشعر ، يَرْثِى رَجُلًا من قَوْمِهِ يُقال له : المُغِيرَة بن قَنْبَرْ ، كان يَعُوله ويُفْضِل عليه[2] :

أَلا لَيْتَ المغيرَةَ كان حَيًّا وأَفْنَى قَبْلَهُ النَّاسَ الفَنَاءُ
لِيَبْكِ على المغيرَةِ كلُّ خَيْلٍ إذا أَفْنَى عَرَائِكَها اللِّقَاءُ[3]
ويَبْكِ على المغيرَةِ كلُّ كَلٍّ فقيرٍ كان ينْعَشُه العَطاءُ[4]
ويَبْكِ على المغيرَةِ كلُّ جيشٍ تَمُورُ لَدَى معَارِكِه الدِّماءُ[5]
فَتَى الفِتْيَانِ ، فارسُ كلِّ حَرْبٍ إذا شالَتْ[6] وقد رُفِعَ اللِّواءُ
لقد وارَى جَدِيدُ الأَرضِ مِنْه خِصالًا عقْدُ عِصْمَتِها الوَفاءُ[7]
وصَبْرًا[8] للنَّوائِبِ إنْ أَلَمَّتْ إذا ما ضَاقَ بالحَدَثِ الفَضَاءُ
هِزبرٌ تَنْجَلِي الغَمَرَاتُ[9] عنْهُ نَقِيُّ العِرْضِ ، هِمَّتُه العَلاءُ
إذا شَهِدَ الكَرِيهَةَ خاضَ فيها[10] بُحُورًا ، لا تكَدِّرُها الدِّلاءُ
جَسُورٌ لا يُورَّع[11] منه رَوْعٌ ولا يَثْنِى عَزِيمَتَه اتِّقاءُ

---

(١) استعارت المنكب للسند ، تقول : ولا غرو أن ابكيهم ، اذ انهم فخرى وركنى وعضدى

(٢) الشعر فى الأغانى (٣/٥٢و٥٣ ط دار الكتب) فى اخبار هلال ونسبه

(٣) العرائك : جمع عريكة ، وأصلها سنام البعير ، وتقال أيضا على النفس ، والقـــوة والشدة ، ولعل هذا المعنى هو المراد فى البيت

(٤) الكل : من يكون عالة على غيره

(٥) تمور : تجرى وتسيل

(٦) فى الأصل (سالت) بالسين ، والتصويب من الأغانى .

(٧) يريد بجديد الأرض قبره الذى جد منها وحفر ليدفن فيه .

(٨) فى الاغانى (فصبرا) وهو هنا معطوف على قوله (خصالا)

(٩) الغمرات : الشدائد ، جمع غمرة ..

(١٠) فى الأغانى (خاض منها)

(١١) كذا فى الأصل ، وفى الاغانى (يروع) بتقديم الراء على الواو ، وفى هامشه (يوزع) رواية احدى الأصول .

حَلِيمٌ فى عَشِيرَتِه[١] إذا ما حُبا الحُلَماءِ أَطْلَقَها المِراءُ

حَميدٌ فى عَشِيرَتِه فَقِيدٌ يَطِيبُ عليهِ فى الْمَلإِ الثَّناءُ[٢]

[٢٥٠ ب]

وقال امرؤُ القيسِ بن حُجْرٍ الكِندى[٣] :

تذكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِين وقد أَتَى على حَمَلٍ منَّا الرّكابُ فأَعْفَرَا[٤]

ولما بَدتْ حَوْرَانُ والآلُ دونَها نَظَرْتَ ، فلم تَنْظرْ بعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا[٥]

تَقَطَّعَ أَسبابُ اللُّبانَةِ والهَوَى عَشِيَّةَ جاوَزْنا حَماةَ وشَيْزَرَا[٦]

عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَماةَ ومَيْرُنَا أخو الجَهْدِ لا نَلْوِى على من تَعَذَّرَا[٧]

بَكَى صاحِبِى لما رَأَى الدَّرْبَ دُونَه وأَيْقَنَ أَنَّا لا حِقانِ بقَيْصَرَا[٨]

فقلتُ لهُ : لاتَبْكِ عينك إنما نُحاوِلُ مُلْكًا ، أو نَمُوتَ فنُعْذَرا

---

(١) فى الاغانى (فى مشاهده)
والحبا : جمع حبوة ، وهى الثوب الذى يحتبى به ، واسم للاحتباء بالثوب ، أى الاشتمال به ، ويكنى به عن السفه والطيش · المراء : المجادلة والمخاصمه
(٢) فقيد : يفتقده اصحساب الحاجات ويطلبونه ·
(٣) الابيات فى ديوانه (٦١ بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط دار المعارف)
(٤) رواية الديوان :

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرّكابِ وأَوْجَرا

وخملى وأوجر : موضعان قبل الشام وقد أورد ياقوت البيت فى رسم (حمل)

(٥) فى الديوان (فلمّا بَدَتْ حَوْرانُ فى الال ...) ومعنى لم تنظر .. الخ : ، لم أرَ شيئا أسر به ، فكان كل ماأراه غير مرئى لحقارته وقبحه فى عينى ·
(٦) تقطع : يريد تقطعت ، واللبانة : الحاجة ، وحماة : من مدن الشام ، وشيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة ، وكانت أمارتها لبنى منقذ اسرة اسـامة مؤلف الكتاب ·
(٧) صدر هذا البيت فى الديوان :

« بِسَيْرٍ يَضِجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمُنُّهُ .. أَخُو الجَهْدِ لايلْوِى ... »

ومعنى يمنه يذهب بمنته (أى قوته) و يضعفه ، واخو الجهد : الذى يجهد فى مسيره ويحمل عليه فوق طاقته ، « ولا يلوى ·· الخ » أى لا يتحبس ولا يتربص على من نابه عذر ، ويروى (تغدرا) أى تخلف وبقى ·
وعلى رواية المصنف يكون المعنى وسيرنا اخو الجهد ، اى اخذنا فى سير مجهد متعب مرهق ·
(٨) يريد بصاحبه عمرو بن قميئة اليشكرى ، والدرب : مابين بلاد العرب والعجم ·

[هذا لفظ ما وجد فى آخر الأصل]

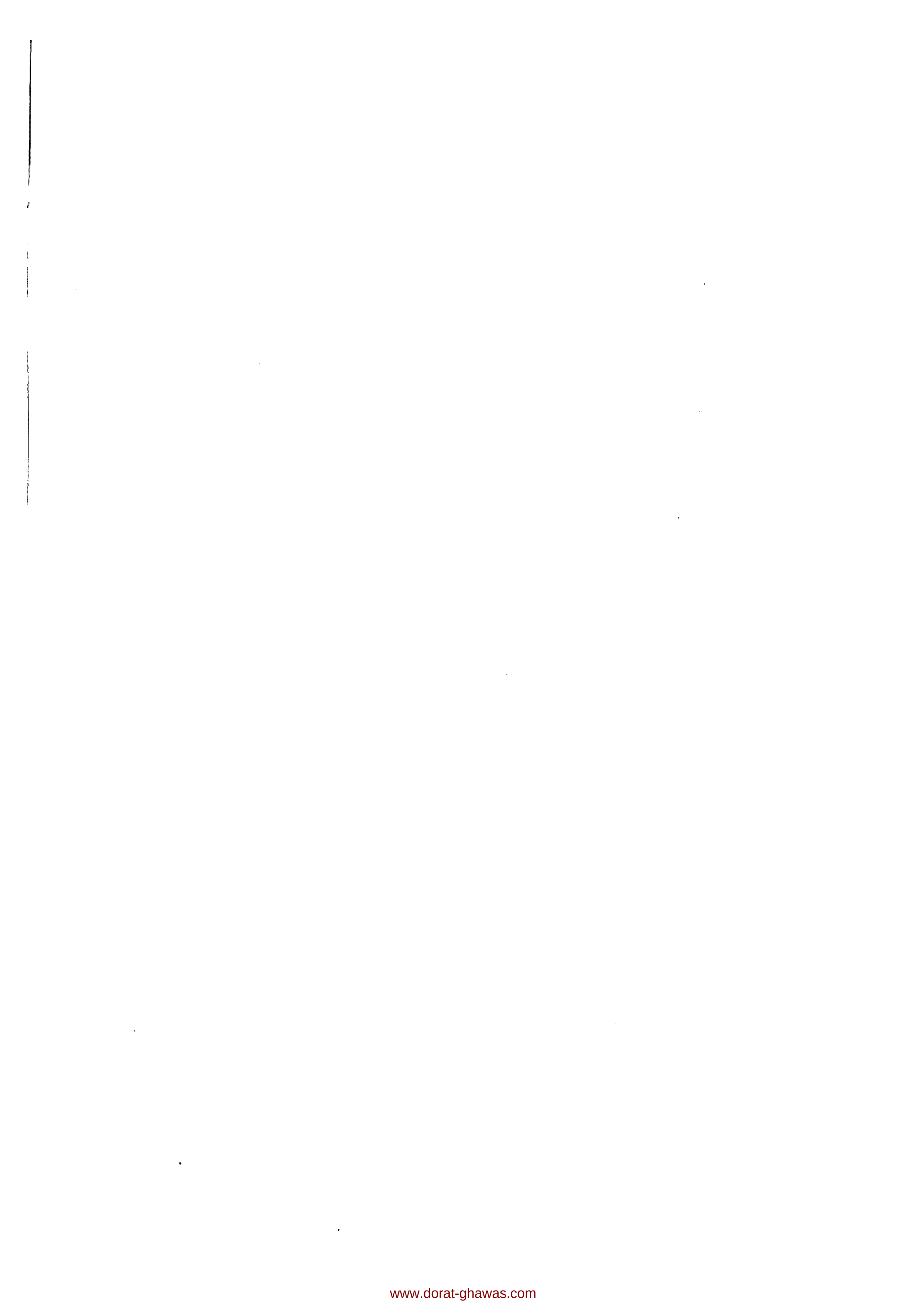
تم وكمل هذا التأليف المبارك ، المسمى بالمنازل والديار ، الذى هو بخط كاتبه العالم العلامة مجد الدولة الأمير أسامة ، أناله الله الفوز والكرامة فى دار المقامة ، فى جمادى الأولى لسنة ثمان وستين وخمسمائة من الهجرة المصطفوية ، على مهاجرها أفضل الصلاة وأكمل التحية ، وقد علقها مؤلفها لنفسه فى مدينة حصن كَيْفا فى التاريخ الأنور ، حسبما بينه العلامة النحرير ، المندرج إلى رحمة ربه القدير الإمام محمد أبو المعالى بن أحمد بن محمود الطالوى * الدمشقى تغمده الله برحمته ، فى بحبوحة جنته فى أول هذا السفر الشريف عند ذكر ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى ، وأجزل عليه نِعَمَه ووالى ، ناقلا تاريخ كتابته عن مؤلفه من آخر هذا المجلد الشريف ، لكن لتقادم الأزمان ، ومرور الأيام والأعوام انخرم آخره ، فقد نقلنا ما ذكره المرحوم الطالوي في ابتدائه إجمالا فى آخره ؛ ليعلم أن هذ النسخة المباركة عمرت ليوم رقم هذه الحروف خمسمائة وإحدى وعشرين سنة ، وليتحقق أن الخط يبقى زمانا بعد كاتبه ، وأنه بعد الآن أيضا يبقى ما شاء الله تعالى .

حَرَّره العبد الفقير محمدأنور بن الموقع ، غفر الله زَلَلَه ، وأحسن عمله ، فى سنة تسع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية .

« تم بحمــد الله »

* ترجم له المحبى فى خلاصة الأثر (٢ /١٤٩ ـ ١٥٢) وأورد اسمه « درويش محمدبن أحمد ، وقيل محمد ، أبو المعالى الطالوى الأرتقى الدمشقى » وقال : « اديب مترسل شاعر » وله كتاب « سانحات دمى القصر » جمع فيه أشعاره وترسلاته ، وكانت وفاته سنة١٠١٤هـ =١٦٠٦م)

الفهارس



١ ـ فهرس موضوعات الكتاب

فصول الكتاب ※

※ أورد المصنف فى ثنايا هذه الفصول اخبارا وطرائف ذكرها استطرادا ، وقد رأينا أن نبرزها فى فهرس الكتاب تيسيرا للقارىء وتتمة للفائدة (المحقق)

(١) ورد اسمه مع القصيدة فى العقد الفريد ٣/٣٧٥ وما بعدها (ط لجنة التاليف والترجمة والنشر) شبل بن معبد المجلى ٠

٢ ـ فهرس الآيات القرآنية

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

« أ »

« ح »

« د »

« ر »

الصفحة

« س »

« ع »

« ق »

« ل »

« م »

الصفحة

٤ ـ فهرس الشعر والرجز

اول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
عليّ لربع العامرية	كاتبُ	٣	الطويل	أبو فراس بن حمدان	١٥٢
بأى يد أسْطُو	قاضبُ	٩	»	سعيدبن حميد الكاتب	٤٥٦، ٤٥٧
ألا إنما الدنيا	جانبُ	٣	»	؟	٢٧٩
وقَفْنا على قبر	مصحبُ	٤	»	عبدالله بن سعيد بن عبدالملك	٤٥٩، ٤٦٠
أهيم بذكر الشرق	الغربُ	٤	»	عبد الوهاب بن على ابن نصر	٣١٩
ديارٌ خلت	خصْبُ	٢	»	أسامة بن منقذ	٧٧
أرَسْماً جديدا	فيثقُبُ	٤	»	النابغة الذبيانى	١٨٦
وهاجت لك	مذهَبُ	٣	»	النابغة الجعدى	٢٩٣
فما زلت	أؤُوبُ	٢	»	؟	٣٢٣
أتى دونَ حُلْو	نُكُوبُ	١٢	»	شبل بن بشير	٤٧٠، ٤٧١
ألا أيها البيت	ذنوبُ	٥	»	قيس بن الملوح	٣٩٠
وإنى لآتى البيت	حَبيبُ	٢	»	الأحوص	٣٩٦
ألا أيها البيتان	كثيبُ	٢	»	؟	٣٩١
ومستوحِشٍ	غريبُ	٢	»	أبو حكيمة راشد بن اسحاق	٣٤٤
رأيت دنوَّ الدار	قريبُ	١	»	؟	٣٣٢
ألا ليت شعرى	رطيبُ	٥	»	؟	٤٧٣، ٤٧٤
يقرّ بعينى	ويطيبُ	٧	»	الشريف الرضى	٣٨، ٣٩
وعاذلة باتت بليل	أجاذِبُهْ	٥	»	هذيلة بن سماعة	٤١٤، ٤١٥
وقفت على ربع	وأُخاطبُهْ	٤	»	ذو الرمة	١٤٨
أحبّ بلاد الله	سحابُها	٢	»	امرأة من طيئ	٢٦٨، ٢٦٩
أرى كل أرض	ترابُها	٤	»	؟	٢١٠

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
بالله ربِّك	الطربِ	٢	البسيط	ابراهيم بن المهدى	٣٨١
كيف المقام	الغضبِ	١	«	؟	٢١٤
يا منزل الحىّ	الحقَبِ	٧	«	حفص الأُموى	٣٨
أأُمَيْم هيهات	غرابِ	٤	الكامل	؟	٤٦٢، ٤٦٣
جئنا نجيِّى	الأَنصابِ	٢	«	البحترى	٤٣
أرُسُومُ دارٍ	الأَحقابِ	٣	«	البحترى	١٧٧، ٢٨١
إنِ المنازلَ	بجوابِ	٤	«	جميل بن معمر	٣٥
الدارُ دارُ مرازئٍ	وحبائبِ	٣	«	أنشدها على بن محمد بن ثابت	٢٧٥
ما أنت للكَلِفِ	بذاهِبِ	٤	«	البحترى	٧٧، ٨٩
كم مَشْرِق لى	للمغربِ	٢	«	البحترى	٢٣٧
قد قلت للزَّبّاء	ومِخْلَبِ	٣	«	أبو تمام	٢٤٣
دِمَنٌ لزينب	لعوبِ	٣	«	البحترى	١٦٤
لِمَن الدار	بالجوابِ	٣	الرمل	عدى بن الرِّقاع	٢٨١
اتبع طريقا	بمَلْحُوبِ	٣	السريع	أبو العلاء المعرى	١٩٥
إنَّ بكاءً	طَرَبَهْ	٣	المنسرح	أبو تمام	٣٢٩، ٣٣٠
سقم دون أعيُنٍ	العِذابِ	٢	الخفيف	البحترى	٣٣
ما على الركبِ	التصابِ	٤	«	البحترى	١٧٩
أَسْعِدانى بعَبْرِةٍ	التسكابِ	٦	«	كثير بن كثير بن الصلت	٣٨٣، ٤٦٠
أعلى العهد	طِلابِ	٤	«	الشريف المرتضى	١٩
ما على رسمٍ	الجوابِ	٥	«	اسماعيل بن يسار	٣٥
أى مرعى عِينٍ	من ملحُوبِ	٦	«	أبو تمام	١٠٤
لا تَجْعَلَنْ	لنصبى	٤	المجتث	أحمد بن إسماعيل	٣٣٢

اول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
عَلامَ هجرت	العِبادا	٥	الوافر	ابو العلاء المعرى	٦٥، ٦٦
رَمَى الحدثانُ	سمودا	٤	»	أيمن بن خريم	٤٦٩
يادار درَّ عليك	فترأدا	٢	الكامل	أبوتمام	٣١٢
الحَيْنُ ساقَ	بلدَا	٢	»	؟	٢٥٢
يامنزلا نسجت له	وبُرودَا	٢	»	البحترى	٩
حيِّ المنازِلَ	عَمِيدا	٣	»	الأقرع بن معاذ	٢٢
طَلَلَ الجميع	شَهيدَا	٣	»	أبو تمام	١٣
أبلغ الحارث	فجدًّا	٧	الخفيف	زامل بن عفير	٢٢١
لا يُبْعِد اللهُ	خالِدَهْ	٦	المتقارب	شتيم بن خويلد أو غيره	٤٦١
ألاهل إلى	مَعادُ	٢	الطويل	؟	٣٨٣
تجرّع أسىً	الوجْدُ	٣	»	أبوتمام	١٠١
أأطلال سُعْدَى	تجَدَّدُ	٤	»	كثير بن عبد الرحمن	١٣٢
أأطلال دار العامريَّة	هندُ	٢	»	البحترى	٣٣٨
ألا خَلِّنِي	شدِيدُ	٥	»	؟	٢٦١
ولكن قربَ الدارِ	شدِيدُ	٢	»	أحمد بن أبي خيثمة	٣٤٤
كفَى حزَنًا	وبعيدُ	٢	»	؟	٧٣
سل المنزل	وفراقِدُهُ	٥	»	ابن أبي حصينة	٤٦
لمنْ دِمْنَةٌ بالنَّعْفِ	جديدُها	٥	»	أبو وجزة	١٧٢
إلى الله	أسْتَزِيدُها	٣	الطويل	الحارث بن شداد	١٣
سَقَى الله	صعيدُها	٤	»	طلحة بن رفاعة	٣٢٩
إنَّ الهوانَ	الأُجُدُ	٤	البسيط	المتلمس	٢٥٤، ٢٥٥
هل فى تذكُّرِ	رَدَدُ	٧	»	زهيربن أبي سلمى	٢٨٥، ٢٨٦
تخرَّم الدهرُ	الفردُ	٢	»	شبيب بن البرصاء	٤٢٧

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
يادار أَضْحَتْ	الفرِدُ	٢	البسيط	؟	٢٨٨
لا يبعد الله	بعُدوا	٦	«	أم معدان الأنصارية	٤١٨، ٤١٩
هب أن مصرَ	موجودُ	٤	«	أسامة بن منقذ	٢٥٣
يادار ميَّة	المراويدُ	٢	«	ذو الرمة	٣٤٠
ألا يادَهْرُ	تريدُ	٤	الوافر	(أعرابى)	٤٥٥، ٤٥٦
أسقى محلَّتَك	جاسدُ	٢	الكامل	البحترى	١٩٨
ضَنَّت برجع سلامها..	الصدُّ	٢	«	عرقال (جنى)	٢٦٤
أَلِفُوا الفراق	يبعدُوا	٥	«	البحترى	١٥٦، ١٥٧
هل بالطلولِ	عَهْدُ	٧	«	سعيد بن حميد ، الدوقلة أو غيره	١١٦
فرّطتُ فى العيش	نكدُ	٣	السريع	داود الفارسى	٢٨٠
أهْلًا بدارٍ	خُرَّدُها	٤	المنسرح	المتنبى	٣١٢
أين أهل الديار	ثمودُ	٢	الخفيف	؟	٦٣
كأن ديار الحىِّ	بمدادِ	٤	الطويل	ذو الرمة	٨٧
أَربعَ البِلَى	ودادِى	٥	«	أبو نواس	١٣٨
وكانوا بنى كنٍّ	واحِدِ	٢	«	؟	٤٢٠
إنْ الأُلَى	أم خالدِ	٢	«	الأشهب بن رميلة	٤٤٣
أقول لها	خالدِ	٨	الطويل	متمم بن نويرة	٤٤٠
قفوا جددوا	ناشِدِ	٤	«	أبو تمام	٢٠١
أهاجك من سُعْداك	الأساودِ	٣	«	النابغة الذبيانى	١٠٢، ١٠٣
يقرّ بعيى	المتقاودِ	٣	«	نبهان بن على العبشمى	٢٦٧، ٢٦٨
أأطلال هند	والربدِ	٢	«	أبو تمام	١٢٩
سقى الله أطلالًا	لُبدِ	٣	«	رفاعة بن قيس	١٢٣

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
لحى الله دهراً	معْبَدِ	٥	الطويل	الرقيع بن عبيد	٤٧١، ٤٧٢
غشيت الديارَ	أم معْبَدِ	٣	»	زهير بن أبى سلمى	٩١
أيسأل رسم الدارِ	الوجْدِ	٣	»	أكثم بن صيفى	٢٨٥
فإن تكُ عيدُ الدارِ	وخِدِى	٢	»	عكرمة بن ربيعة	٦٨
منازِلُ أَضْحَتْ	ورِمْدَدِ	٣	»	البحترى	١٨
تنادَوْا فقالوا	الرَّدِى	١	»	دريد بن الصمَّة	٤٦٢
شهدت لقد أقْوَتْ	بُرْدِ	٣	»	أبو تمام	١٠١
أمنزلَتى ثَبْجاء	بَعْدِى	٢	»	رفاعة بن عاصم	٣٦
إخلاىَ ما استوحشتم	بعدِى	٣	»	أبو عبد الله بن حجاج	٣٢٣
أراكم بقلبى	بُعْدِى	٣	»	عُيَيْنة بن الحباب بن المنذر بن الجموح	٢٤٩
وقائلة لما رأت	الجَعْدِ	٥	»	توبة بن مضرِّس	٤٥٢
أولئك قومِى	أكمدِ	٣	»	ابن أبى سنَّة	٤٣٠
سألْتُ الغوادِى	ثهمَدِ	٢	»	البحترى	١٨
ألم تسأل	عَهْدِ	٥	»	جميل بن معمر	٣١٦
أشرت إليها	العَهْدِ	٢	»	؟	٥١
حَنَّتْ قَلُوصِى	العَهْدِ	٢	»	رجل من تميم	٢٢٦
بلادٌ جفانى	عوَّدِى	٤	»	؟	٢٦١
أما تَرينىِّ	وقُعُودِى	٣	»	منظور بن مرثد	٤٤٤
ياضيفُ أقْفرَ	الزادِ	٩	البسيط	ابن اللبّانة	٣٨٤
حىّ المنازلَ	أبلادِ	٣	»	جرير بن عطية	٣٧
سلّم على الدار	أمهادِ	٨	»	حارثة بن بدر	٣٥٢، ٣٥٣
يامن رأى بارقا	الوادِى	٧	»	فارعة المرِّيّة	٤٧٥، ٤٧٦

اول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
يادَارَمَيَّة	الأَبَدِ	٣	البسيط	النابغة الذبيانى	٣١٥
تخوّن الدهرُ	الأَبَدِ	٣	»	الحسين بن الضحّاك	٤٣٣
هبنى بقيتُ	وَلَدِ	٣	»	على بن محمد بن جعفر	٤٢٦
يادارَ ميَّة	بالكَمَدِ	٦	»	ذو الرمّة	٣٣٦
من للخُصوم	القُودِ	٣	»	أم قيس الضبيَّة	٤٤٥
طال الثواءُ	مُودِ	٢	»	الشمّاخ	١٨٣
ودّع أخا العَزْم	البيدِ	٢	»	أُسامة بن منقذ	٢١٨
هذا محبُّك	جَسَدِه	٢	»	؟	٥٣. ٥٢
أمِنْ رسمٍ	الفرادِ	٤	الوافر	ابو دواد الإيارى	١٨٥
أيا دار	الجمادِ	٤	»	مرشد بن على بن مقلد	٣٠٢
فإن تكن الحوادث	زيادِ	٣	»	الحارث بن عوف الجشمى	٤٢٥. ٤٢٤
لئن فجعت	البعيدِ	٣	»	زبان بن منطور	٤١٨
طيف تأوّب	الفؤادِ	٢	الكامل	نظام قينة ياسر المنعم	٢٦٤
يادار غيرها	أكبادِ	٤	»	أبو حيّة النميرى	٢٨٣
جرت الرياح	ميعادِ	١	»	الأَسود بن يعفر	٢١
يا دار إنْ بَخِلَتْ	العهادِ	٥	»	أسامة بن منقذ	٣٠٧، ٣٠٦
سقيت أيافث	الغوادِى	٣	»	؟	٢٦١. ٢٦٤، ٢٦٥
ماذا أُرَجِّى	وبعد إيادِ	٥	»	الأَسود بن يعفر	٦
إنَّ العراق	فليبعدِ	٣	الكامل	المتلمس	٢٥٥

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
ما هاج شوقك	فدافدِ	٣	الكامل	الرمّاح بن ميّادة	٢٠٧
أصبا الأصائلِ	السرمدِ	٣	»	البحترى	١٨٨
لولا التطير	عَهْدِى	٢	»	أنشدها الرياشى	٢٣
* ياطلل الحىّ بذات الصَّمْدِ *		٢٥	الرجز	بشار بن برد	١٣٥، ١٣٣
لا مزار منكم يُدْنِى	نجادِ	٤	الرمل	ابن هانئ المغربى	٢٠٦
نوح حمامٍ	كمَدِى	٣	المنسرح	سلامة بن بحر	٢٧٠
يا سند الظاعنين	سنَدِ	٥	»	ابن قيس الرقيات	١٩
كل بيت للهدم	العِمادِ	٢	الخفيف	ابو العلاء المعرى	٣٨١
يا ربوع الديار	جليدِ	٣	»	البحترى	١٤٠، ٧٤

قافية الذال

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
يالهفَ نفسى	ببغداذا	٢	البسيط	ابو العلاء المعرى	٢٣٩

قافية الراء

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
نزلت بحمد الله	والخَفَرْ	٧	الطويل	عمران بن حطان	٢٣٥
أُسْدالوَغَى	المنابِرْ	٣	الكامل	ابن المعتز	٣٤٧
لا تطلبن	مُعاشِرْ	٢	»	؟	٣٣١
قَلْقِلْ رِكابك	فى القصورْ	٣	»	صرّدرّ	٢٣٨
هل تعرف	القورْ	٥	الرجز	منظور بن مرثد	٣١٠
لا تصرِّد هامة	قُبِرْ	٢	الرمل	؟	٤٥٥
اين من كان	والخَطَرْ	٤	الخفيف	ابو نواس	٢٤٢
بكت للفراقِ	الديارْ	٢	المتقارب	؟	٩٢
هى الدارُ	الغِيَرْ	٢	»	ابو العتاهية	٢٢٩
تحِنُّ إلى مَىٍّ	قسْرَا	٤	الطويل	ذو الرُّمّة	١٦١

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
سقى الله أرضًا	الوقارا	٣	المتقارب	أبو نصر بن النحاس	٢١٠
أألحق إن دار الرباب	طائرُ	٧	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	٣٢٠، ٣٢١
فما بال ذا البيت*	نائرُ	٢	«	كثير بن عبد الرحمن	٣٩٢
بكيت وما أبكانى	داثرُ	٢	«	؟	١٨٩
عرفت وجرّبت الأمور	المتأخِّرُ	٣	«	نصيّب	٤٣٠
وقفت فأبكتنى	الحواسِرُ	٤	«	ريطة بنت عاصم	٢٨٧
وقفت فأبكتنى	الحواسرُ	٥	«	الفرزدق ؟	٤١٥
طوى الموت	ناشِرُ	٣	«	أبو نواس	٢٩٦
غشيت لليلى	الأعاصِرُ	٤	«	كثير بن عبد الرحمن	١٩٧
لميّة أطلال	المواطِرُ	٨	«	ذو الرمّة	١٢١
أفى كل يوم	ناظِرُ	٤	«	مزاحم العقيلى	٢٠٤، ٢٠٥
وإنى وإن لم آت	ناظِرُ	٢	«	؟	٣٩٨
عفارابغٌ	الأصافِرُ	٣	«	كثير بن عبد الرحمن	٠٠١
تذكرت من سلمى	مخامِرُ	٣	«	مالك بن معاوية القشيرى	١٨٤
أظنّ العدا	التِّبْرُ	٩	«	أسامة بن منقذ	٢٦٠
أفى رسم دار	يُخْبِرُ	٢	«	العَرْجىّ	١٧٧
فلله مَلْك	القبرُ	٣	«	أبو الفتيان بن حيوّس	٢١١، ٢١٢
توهَّمَها طرفِى	أثرُ	٢	«	[إبراهيم النظّام]	٥١

* فى الأصل (مابال) والوزن يقتضى زيادة الفاء أو نحوها .

اول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
ألم تسلُ عن ليلى	الحضْرُ	٤	الطويل	البريق بن عياض	٤٧٣
ألا يا اسلمى	القَطْرُ	٥	»	ذو الرُّمّة	٣٣٩
وقفتُ كأنى	أنظُرُ	٢	»	؟	٣١٩
لك الخيرُ	وأزفِرُ	٩	»	ذو الرّمّة	٣١٧، ٣١٦
ألا فى سبيل الله	القفرُ	٤	»	انشدها ابن دريد	٤٣٨
تقول لى الأشواق	قَفْرُ	٣	»	اسامة بن منقذ	٧٧
يريد إهالُ	بكْرُ	٥	»	؟	٤٠٧، ٤٠٦
أرى بيت لُبْنَى	منكرُ	٣	»	قيس بن ذريح	٣٩١
سكنتك يادنيا	أمْرُ	٣	»	أبو العلاء المعرى	١٩٦
ديار الهوى	الدهْرُ	٧	»	أسامة بن منقذ	٧٨
وسائلة عن توبةَ	الدهْرُ	٥	»	توبة بن مُضَرِّس	٤٥٢، ٤٥١
أيا منزلا	دَبُورُ	٤	»	رجل من زنباع	١٣
أدور ولولا أن أرى	أدورُ	٤	»	الأحوص	٣٩٦
أَلَمْ تَرَ للأطلال	قفُورُ	٦	»	الربيع بن قَعْنب	١١٨
أجارةَ بيتينا	عسيرُ	٩	»	أبو نواس	٤٠٠
فإنك أيضا	وقيرُ	٧	»	أبو ذؤيب الهُذَلىّ	٤٢٣، ٤٢٢
ومثلى إذا ما الدار	مرائرُه	٢	»	؟	٣٥٠
ألا أيها البيتُ	ناظِرُهْ	٩	»	يزيد بن الطَّثْرِيَّة	٣٩٨، ٣٩٧
أتهجر هذا الربْعَ	عامِرُهْ	٢	»	جميل بن سالم أو شهبر ؟	١٥٣
أتصرم هذا الربع	عامِرُهْ	٤	»	جميل بن معمر	١٤٧، ١٤٦
محل من القاطولِ	يغاورُهْ	٩	»	البحترى	٢٠١، ٢٠٠
نأَتْكَ بليلى	مريرُها	٣	»	توبة بن الحميِّر	٣٤١
ألا ليت شعرى	مسيرُها	٣	»	صدقة بن نافع الغنوى	٢٤٧

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
درَّت عليك	آثارُ	٢	البسيط	على بن ثروان الكندى	٣٣٣
الموت بابٌ	ما الدارُ	١	»	؟	٢٩٠
الدار جَنَّة عَدْنٍ	النارُ	٢	»	صالح بن عبد القدوس	٢٩١
هذى منازلُ	خَطَرُ	٢	»	؟	٦
دورٌ عَفتْ	المَطرُ	٣	»	الربيع بن أبى الحقيق	٢٩٣
قد طال بى	سفَرُ	٢	»	ابن اللبَّانة	٢٣١
لمن أسائلُ	السهرُ	٣	»	الوأواء الدمشقى	١٩٢
هل هيَّجتك	معذورُ	٢	»	الأحوص	١٠٦، ٣٠٠
قفا نُعطِ	غزار	٢	الوافر	البحترى	٩
أبَت ألا تكلمك	القطارُ	٥	»	ثوب الغَطَفانى	٧٤
أشاقَك بالعَبَوْقَرَةِ	قفارُ	٣	»	كثير بن عبد الرحمن	٨٠
وما أهلُ المنازلِ	ابتكارُ	٢	»	البحترى	٨
أحب منازل الأحباب	حضَرُوا	٤	»	؟	١٢
يادارُ غيَّرك البلى	الآثارُ	٥	الكامل	اسامة بن منقذ	٣٠٢، ٣٠٣
الزم ذراك	الإخدارُ	٥	»	أبو العلاء المعرى	٢٩٤، ٢٩٥
هاجت فؤادك	الأمطارُ	٧	»	جميل بن معمر	٣٣٥
من شاءَ بعدك	أحاذِرُ	٣	»	ابراهيم بن العباس الصولى	٢٣
أنا من أقام الحرف	أسطُرُ	٢	»	أبو العلاء المعرى	٣٣٠
غاضت دموعى	النافِرُ	٤	»	أُسامة بن منقذ	٢٨
الدَّهر لاءَمَ	الدهرُ	٤	»	منقذ بن عبد عبد الرحمن الهلالى	٤٣٨

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
ما أنت أول من	نارُه	٦	الكامل	أسامة بن منقذ	٣٠٧
تناءت					
بانَ الخليط.	طائرهُ	٦	»	محبوبة الهُذَليّة	٣٠٩
هل أنت معتَبِرٌ	دساكرُهُ	٦	»	أبو العتاهية	٢٩٧
دمن كمَشْحَبَةٍ	إمرارُها	٥	»	مهيار	١٥٨
نعم سقى اللهُ	أستارُها	٢	الرجز	مهيار	٤٠٧
أشَجاك الربع	خسارُ	٧	الرمل	الفند الزمّانى	١٣٨، ١٣٩
مررت بالدار	وآثارُ	٥	السريع	أبو المجد بن سليمان المعرى	١٩٤
ياربع اين انْتَجعَ	الماطِرُ	٤	»	حفص الأموى	١٣٩
زُرْنا امْرأً	خِيرُ	٣	»	حمّاد عَجْرَد	٤٠٨، ٤٠٩
ليت شعرى	ساروا	٥	الخفيف	عدىّ بن الرِّقاع	٦٧، ٦٨
فعفا آخر الزمان	الدمارُ	٢	»	لبيد بن ربيعة	١٩٢
ضوءُ نار بدا	نارُ	٣	»	الأحوص	١٩١
إن جرى بيننا	الديارُ	٢	»	؟	٩٢
عَرَصَات كَأنّهن	البدُورُ	٢	»	ابو محمد بن سنان	٢٠٧
يابن عمِّ الرسول	دمارُهْ	٧	»	أبو دلامة	٣٢١، ٣٢٢
سقى الله دارًا	يسارِ	٢	الطويل	؟	٣٤٧
أبعد بنى بكرٍ	مدبِرِ	٢	»	مسافع بن حذيفة	٤٣٥، ٤٣٦
تقول ألا تبكى	الصبْرِ	٤	»	دريد بن الصِّمّة	٤٥٢، ٤٥٣
أقول وقد جاوزت	الفجْرِ	٦	»	هلال بن الأسعر	٢٥٠
سرى طيف هند	فجْرِ	٧	»	ابن أبى حصينة	٣٤٦
إذا قلّ إنصاف	الهَجْرِ	٣	»	؟	٣٤٩
سلام على الأطلال	هجرى	٢	»	سلم الخاسر	١٩٢

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
أهاجَتْك أطلالٌ	النوادِرِ	٤	الطويل	ذو الرّمة	١٨٠، ١٨١
وجدنا أبانا	والْفِزْرِ	٣	»	موسى بن جابر الحنفى	٢٤٩، ٢٥٠
مقام الفتى.	يُزْرِى	٢	»	مهيار	٤٠٣
لأحسن من بطنٍ	الجسْرِ	٣	»	قبيصة بن عمرو	١٤٠
مضَوْا بَدَدًا	نَشْرِ	٤	»	؟	٤٣٢
أتعرف أطلالا	الخضْرِ	٧	»	ذو الرمة	١٢٧
سُقيتَ لمغنى حل فيك بالقطرِ		٣	»	أحمد بن محمد ابن الفضل بن الخازن	٢١٧، ٢١٨
لمن طلَلٌ بين الكُراع	القطْرِ	٢	»	سائب خاثر	١٢٠
سقى الله دارًا	القطْرِ	٢	»		٣٥٠
أدارَ الجميع	عُفْرِ	٤	»	جرير بن عطية	٢٨٢
كأنى وعَمْرًا	القفْرِ	٢	»	بشر . او عبد العزيز ابن مروان	٢٥١
أخٌ لا أخا لى غيره	فِكْرِ	٢	»	أنشدها أبو زيد	٤١٤
تطاول ليلى	الجمْرِ	٥	»	حيّان بن قيس	٤٧٤
ولو أن لى	بالخَمْرِ	٣	»	أبوالهندى	٣٤٨، ٣٤٩
لأسماء محتَلٌ	الدهْرِ	٢	»	الأخطل	٨٥
أبعْدَ بنى الزُّهْرِ	الدهْرِ	١٠	»	أبو الشغب العبسى	٤٦٧، ٤٦٨
ألا ياديارَ	تُغَيّر	٤	»	النابغة الجعدى	٦٨
بنو منقذ	وأسِيرِ	٥	»	أسامة بن منقذ	٧٧
أستارُ بيتك	بارى	٣	البسيط.	أبو القاسم بن المغربى	٣٨١
عُوجوا فحيُّوا	وأحجارِ	٥	»	النابغة الذبيانى	٣١٣، ٣١٤
» »	»	٤	»	»	١٥٩، ١٦٠

قافيـة الزاى

قافية السين

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
هو تسمع القول	الخرسِ	٢	البسيط	أبو العلاءِ المعرى	٢٩٣
لو أن دارًا	كناسِها	١٢	الكامل	ابن أبي حصينة	٣٤٥ و٣٤٦
دارٌ عمرناها	مِرْداسِ	٣	السريع	ابن أبي حصينة	٣٤٧
انصرفا لناس	رِمْسِهِ	٣	»	؟	٢٩٦
قل لديارٍ	أم خَرَسِ	٣	المنسرح	أبو نواس	٨١
ليت شعرى	أُنسِى	٥	الخفيف	أبو العباس الأَعمى	٤٤٧ و٤٤٨
تقول أُمامةُ	الأَنفسِ	٩	المتقارب	عبد الله بن عمرو العَبلىّ ، أَو غيره	٤٤٢ و٤٤٣

قافية الشين

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
جمال الدار	النقشِ	٢	الهزج	؟	٣٤٩

قافية الضاد

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
إنا رأَينا	الغَرَضَا	٣	البسيط	؟	٣٤٨
عرصات أَصبحن	أَرْضَا	٢	الخفيف	الشريف المرتضَى	٢٠٧
أَثَّر الدهرُ	مهيضَا	٢	»	ابن أَبي سِنَّة	٤٣٠
نظرت إلى دار الأَحبّة	المحضُ	٣	الطويل	أُسامة بن منقذ	٣٠٦
شجانى مغانى الحىّ	مريضُ	٣	»	؟	١٠٦
أَعاضنى الدهرُ	العِوَضُ	٣	البسيط	أُسامة بن منقذ	١٩٣
وسكّانُ دارٍ	بَعْضِ	٣	الطويل	ابن المعتز	٢٨٤
تَطامن إذا أَنكرت	خفْضِ	٢	»	أُسامة بن منقذ	٢١٨
أَبعد بنى زرّ	خفضِ	٢	»	ابن ميّادة	٤٥٠
لها منزل	مُرَوّضِ	٥	»	مهيار	٣٠
أَيا دارًا	المريضِ	٣	الوافر	عيسى بن القاشى	٣٤٨

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
		قافية الطاء			
فيا أيها الدار	شطُّوا	٥	الطويل	على بن مرشد بن على بن مقلد	٣٠٨
إنى غريبٌ	الشمَطِ.	٢	البسيط.	ابن المعتز	٣٥٠
		قافية الظاء			
يا دار ما للركب	لماظُ.	٣	الكامل	؟	٣١٠
		قافية العين			
خذا من دموعى	ارْبَعَا	٣	الطويل	البحترى	٤٥
خليلىّ عوجا	بَلْقَعا	٤	«	الصِّمّة القشيرى	١٧٨
متى تعرف العَيْنان	تَدمَعَا	٣	«	عمرو بن شأْس	١٦٥
ديارٌ كَرَعْنَ	فأَسمَعَا	٣	«	الشريف المرتضى	٧٩
ملثَّ الغيث	النقيعَا	٣	الوافر	المتنبي	١٥١
ورثنا المجدَ	الصنيعَا	٢	«	معن بن أَوس	٩٧
وارحمتا للغريبِ	صنَعَا	٢	المنسرح	[على بن الجهم]	٢٥١٠
يا خليلىّ	البقيعَا	٢	الخفيف	عمر بن أَبى ربيعة	٩٧
وما من حبيب	فَاجِعُ	٥	الطويل	قيس بن ذريح	٩
يقرّ بعينى	الاجادعُ	٢	«	؟	٢٦٨
ولست بمحيار	زعازِعُ	٤	«	على بن مقلد بن نصر	٢٣٩
أَبعد أَبى حصنٍ	وأَجزَعُ	٢	«	السد بن برك	٤٣٩
أَبعد بنى أُمِّى	أَجزَعُ	٣	«	البراءُ بن رِبْعِىّ	٤١٣
		٣	«	جميل بن معمر	١٨٧
أَهاجَكَ أَم لا	بلقعُ	٦	«	قيس بن الملوح	٩١ و٩٢
تزافر صحبِى	وأَضلُعُ	٣	«	؟	١٨

اول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
أروح بفتيانٍ	وأدمُعُ	٦	الطويل	الشريف الرضيّ	٩٣
أَمِنْ دِمْنَةٍ	تدمَعُ	٧	»	ذو الرمة	١٦١
وقفت لليلى	تدمَعُ	٢	»	؟	٤٨ و٤٩
بَلِينا وما تبلى	والمصانعُ	٨	»	لبيد بن ربيعة	٦٩
ألم ترنى	وأمانِعُ	٣	»	وعيل العبسى	٤١١
أراجعة ياليلَ	رجوعُ	٤	»	ذو الرمة	٨٢
أمن دمنة بالجوّ	جزوعُ	٦	»	ذو الرمّة	١٦٢
خليلى لا تستسلما	ربيعُ	٤	»	؟	٢٥٢
سقى طلل الدار	ربيعُ	٥	»	قيس بن ذريح	٣٣٥
أَحَبُّ بلاد الله	ربوعُها	٢	»	؟	٣٢٣
لما رأيت	انتفاعُ	٥	البسيط.	؟	٤٠٥ و٤٠٦
بنى أبى	الجذَعُ	٤	»	الشريف الرضى	٤١٨
سل المنازل	ما صنعوا	٦	»	على بن مرشد بن على	٢٥
بالله يا منزل اللّهو	أربُعُهُ	١٠	»	ابن زريق	٣٣و٣٤
استودع الله	مرتعُهُ	٥	»	أبو الحسن التهامى	٢٢٠
عابوا وفائى	أواقعُهُ	٢	»	مهيار	١٠٨
ما فى وقوفك	الأربُعُ	٧	الكامل	مرشد بن على	٧٥
أمن المنون وريبها	يجزَعُ	١٢	»	أبو ذُؤيب الهذلى	٤٢٠ – ٤٢٢
عتبان قد كنت	تضعضَعُ	٤	»	نهار بن توسعة	٤١٢
هل فى الخلودِ	مدفَعُ	٥	»	محمد بن خالد ابن الوليد	٤٢٥
تصفو الحياة	يُتَوَقَّعُ	٤	»	المتنبى	١٩١
يا منزلا	يجمَعُ	٦	»	ابن أبى طاهر	٧ و٨
يا ليت أن ديارنا	تجمَعُ	٣	»	أسامة بن منقذ	٨

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
حييت ياربع	الهُمّعِ	٤	الكامل	الشريف المرتضى	١٤١ و١٤٢
اربع بتلك الأَرْبُعِ	فالأَجرَعِ	١١	الرجز	على بن مرشد	١٥٥
قد لعمرى	الوجيعِ	٣	الرمل	الأَحوص	١٣٦
ما إنَّ هذا	الفاجعِ	٣	السريع	أبو تمام	٢٩١
فما لى أقمح	أدمُعِى	٣	المتقارب	مهيار	٢٥٩

قافية الفاء

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
أما الرسوم	يكفَا *	٣	البسيط	أبو تمام	١٧٦
هذا هو الصبر	أَلِفَا	٢	«	؟	٣٤٤
يا منزلا أعطى	تسويفَا	٧	الكامل	أبو تمام	٩
أرسم ديارٍ	حرجَفُ	٦	الطويل	محمد بن عبد الأَزدى	٧٣
وبيت تساوَى	تذرفُ	٤	«	؟	٤٠٤
عزفت بأَعْشاشٍ	تعرفُ	٢	«	الفرزدق	٤٠٧ و٤٠٨
إذا أنا شارفتُ	الذوارفُ	٢	«	أُسامة بن منقذ	٧٧
أفى رسم دارٍ	العواصفُ	٣	«	عمر بن أبى ربيعة	٣٥٢
صبرت ابتغاء الأَجر	توالِفُ	٣	«	؟	٤٢٦ و٤٢٧
ولم أر هندًا	تطوِّفُ	٤	«	عبد الله بن العجلان	٩٨
أى المنازل	منصرِفُ	٦	البسيط	بشر بن أبى خازم	٦و٧
يا دار ليس اليوم	خِلافُ	٢	الكامل	مهيار	٢٩٥
شرخ الشباب	خفوفُهُ	٤	«	البحترى	٧٠ و٧١
وبالغور للناسينَ	وصائفِ	٣	الطويل	مهيار	٤٦
أدارَ سليمى	الوُطْفِ	٤	«	الحطيئة	٣١٤
ولقد وقفت	الذرَّفِ	٤	الكامل	البحترى	١٨٩

* ورد فى موضعه «يقفَا» وصوابه «يكِفا» بالكاف.

اول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
أمن آل سلمى	مُثُولا	٢	المتقارب	زهير بن أبي سلمى	١٢٨
متى ينزل	قفَّالُ	٣	الطويل	أبو العلاء المعرى	٣٤٤
مغانى اللِّوى	مِحْلَالُ	٢	»	أبو العلاء المعرى	١٠٥
وماءُ بلادى	جريالُ	٣	»	أبو العلاء المعرى	٢٢٤
لسلمى بشرقىّ القنان	ماثِلُ	٤	»	زهير بن أبي سلمى	٤٠
أمن آل سلمى	موائِلُ	٤	»	كثير بن عبد الرحمن	١٨٠
متى أسل	موائلُ	٢	»	كثير بن عبد الرحمن	١٣٠
تطلَّ الطلول	المواثلُ	٣	»	أبو تمام	١١٤
ولما مررنا	نواحِلُ	٣	»	الشريف المرتضى	٧٩
وقفنا على ربع	تبخَلُ	٢	»	البحترى	١٤٦
عفا من سليمى	فالمتنخَّلُ	٦	»	يزيد بن عبد المدان	٩٦ و٩٧
كأن لم تكن سُعْدَى	منازِلُ	٣	»	كثير بن عبد الرحمن	٣٦
أللربع ظلت عينك	المفصّلُ	٤	»	ذو الرمّة	١٤١
أللشوق لما هيَّجتك	الغياطِلُ	٣	»	كثير بن عبد الرحمن	٤٧
أمزمعة للبين ليلى	غافِلُ	٣	»	[قيس بن الملوّح]	٢٤
دعاك الهوى	شامِلُ	٣	»	النابغة الذبيانى	٣١
شَعِفْتُ بعهد	شَامِلُ	٤	»	جرير بن عطية	١٦
بنى تغلب	أهلُ	٥	»	البحترى	٧١
إذا المرءُ لم يحببك	التحوّلُ	٢	»	؟	٢١٦و٢١٧
وفى الأرض منأًى	متحوَّلُ	٦	»	الشَّنفَرَى	٢١٣ و٢١٤
تعزَّ فإن الصبْرَ	معوَّلُ	٧	»	إبراهيم بن كنيف	٤٢٥ و٤٢٦
مررنا بأكناف	ومسايِلُ	٣	»	سيدوك الواسطى	٦٥
أأحبابنا مالى	غُولُ	١٣	»	الحسن بن على بن الزبير	٢٣٠
أشاقَتْك من أرض	وحلولُ	٢	»	؟	١١٣

اول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
ألا هل إلى الأبياتِ	سبيلُ	٢	الطويل	؟	٤٠٨
ألا هلْ إلى نصٍّ	سبيلُ	٢	«	[النميرى]	٢٤٨
ألا هل إلى شم الخُزامى	سبيلُ	٧	«	يحيى بن طالب الحنفى	٢٢٨ و ٢٢٩
لهند بحزّان الشريف	محيلُ	٤	«	طرَفة بن العبد	١١٨
أهاجك من سعدى	محيلُ	٣	«	كثير بن عبد الرحمن	١٣٠ و ١٣١
لعمرة بين الأخشبين	محيلُ	٢	«	الحادرة قطبة بن أوس	١٣١
وقفت على ربعٍ	تسيلُ	٢	«	؟	١٤٤
ذكرت أبا أروى	وكيلُ	٣	«	شقران	٤٣٤
هب الدار ردّتْ	تسائلُهْ	٤	«	البحترى	٢٨٨
سقى دارهم	ذابِلُهْ	١٢	«	أُسامة بن منقذ	٣٠٣ و ٣٠٤
لعلّ الهوى	عقابلُهْ	٥	«	أبو حيّة النميرى	٣٢
أمن طلل أقوى	منازِلُهْ	٥	«	كثير بن عبد الرحمن	١٢٤
لعمرك إنَّ الموتَ	فواضِلُهْ	٥	«	الشمردل بن شريك	٣٨٥
وأنزلنى طول النوى	أشاكلُهْ	٢	«	[الإمام الشافعى]	٣٣٢
أجل أيها الربع	تحاولُهْ	٣	«	أبو تمام	١٣٦ و ١٣٧
قف العيسَ	سؤالُها	٤	«	البحترى	٣٣٨
دَنا البينُ	واحتمالُها	٦	«	ذو الرمة	٣٤٠
أقول لجوّابٍ	مسيلُها	٢	«	الغَطَمَّش الضبى	٣٢٨ و ٣٢٩
مررت على أبيات	تميلُها	٣	«	صخر الجعد	٤٠٩
خَبِّرَنِّى أيها الطللُ	فَعَلُوا	٧	المديد	سعيد بن حميد ، الدَّوْقَلَة	١١٦
يا حيرة النفس	حلّالُ	٢	البسيط	على بن مرشد بن على	٣٠٢
إن كنت تزعُمُ	مرتحَلُ	٣	«	حاتم الطائى	٢١٤
يا إخوتى	متصِلُ	٥	«	على بن مرشد بن على	٧٦
إن شئت ألا ترى	الطلَلُ	٢	«	أبو تمام	١١٠

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
لم يبق بعدكمُ	عملُ	٤	البسيط	؟	١٨٨
ألم تربع	السَّئُولُ	٣	الوافر	جميل بن معمر	٢١٦
أهاجتك المعالم	الحُلولُ	٣	»	جميل بن معمر	٢٠٣
أهاجتك المنازل	الحُمُولُ	٣	»	» »	٣٨
أشاقتك المعارف	الحُمولُ	٢	»	» »	١١١
ألم تربع	محيلُ	٣	»	كثير بن عبد الرحمن	١٣١
عفا من آل بلجاء	الوسيلُ	٥	»	؟	١٢٢
أمرّ مجنبا	الغليلُ	٤	»	؟	٣٩٨
أثلث فإنَّا	الإبلُ	٤	الكامل	المتنبي	١١٤
وملوّح الخدّين	السبلُ	٥	»	الشريف المرتضى	٣٢٨
إنى وما نحروا	العُقُلُ	٤	»	الحارث بن خالد	٤٣
يا بيت عاتكةَ	موكَّلُ	١١	»	الأحوص	٣٩٤ و٣٩٥
لكم خيالٌ	موكَّلُ	٤	»	الحسن بن على بن الزبير	٦٧
قل للسحابِ	المتحمّل	٦	»	البحترى	١٩٨
لك يا منازل	أواهِلُ	٤	»	المتنبي	٣٣
يا دار لا زالت	تنهَلُ	٤	»	البحترى	٢٨٧ و٢٨٨
عفت الديار	السهْلُ	٥	»	الحارث بن خالد	٩٩
إن الذى سمك السماء	وأَطْوَلُ	٢	»	الفرزدق	٤٠١
بقيت طلولُك	طُلُولُ	٨	»	جرير بن عطية	١١٩
أَلْمِمْ على دِمَنٍ	جمالُها	٣	»	أحمر بن الأيهم	١٦٣
أمسح الربْعَ	الخليلُ	٢	الرمل	؟	١٤٣
أربع سلَّامةَ	الهاطِلُ	٢	السريع	؟	١٥٤
ربَّتَ دار	آهِلُ	٤	»	سعيد بن حميد الكاتب	٢٧٧ و٢٧٨

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
واسوأتا لامرئ	خَضِلُ	٣	المنسرح	؟	٢١٥
إذا صديق	الحِيَلُ	٢	»	المتنبى	٢٥٨
ليس يُجْدى	سُؤالُ	٢	الخفيف	الشريف المرتضى	١٢٦
من رأى العير	عِجَالُ	٦	»	أبو زبيد الطائى	٤٢٨
هاج ذا القَلبَ	مُحْوِلُ	٤	»	عمر بن أبى ربيعة	١٤
سقيت محلًا	تهملُ	٢	المتقارب	مهيار	١٩٩ و ٢٠٠
ألا انعم صباحا	الخالى	٣	الطويل	امرؤ القيس	١١٧
فيابرق ليس الكرخ دارى	ليالِ	٣	»	أبو العلاء المعرى	٣٤٣
ولست ببان لامرئ	بخمالِى	٣	»	خالد بن واثلة الليثى	٣٨٩
تذكرت فاستبكاك	حائِلِ	٤	»	الراعى النميرى	١٥
لعمرى لأنت البيت	بالأصائِلِ	٤	»	أبو ذؤيب الهذلى	٣٩٩
ثوى ماثلا	والبلابِلِ	٣	»	؟	١١٠ و ١١١
خليلىّ هيجا	والحبْلِ	٤	»	جرير بن عطية	٣٧
خليلىّ عوجا عوجةً	الحبْلِ	٥	»	ذو الرمة	١٢٤
أعاذل كم من روعة	جَزْلِ	٦	»	الشمردل بن شريك	٤٣٩ و ٤٤٠
سقى الله أرضًا	البقْلِ	٢	»	أعرابى	٢١٢
ثلاثة أبياتٍ	شكْلِى	٣	»	جميل بن معمر	٤٠٨
ألا قد أرى والله	أهْلِى	١٢	»	أنشدها على بن أبى طالب	٤١٠ و ٤١١
ألا حىّ ربعا	المنازلِ	٥	»	أرطاة بن سُهيّة	١٤٥
وإن بصحراء	منازلِ	٢	»	؟	٤٦
خليلىّ عُوجا	المنازلِ	٣	»	ذو الرمة	٤١
إلى الله أشكو	المنازلِ	٣	»	أسامة بن منقذ	٢٦

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
يا صاحبيّ ألمّا بي	والشُغُل	٢	البسيط.	رقيع بن عبيد بن صيفى	١١٢
يا دارَ أسماءَ	طَلَل	٣	»	ربيعة بن مقروم	٣٢٧
استنجدالريح	المحيلِ	٣	مخلع البسيط.	مهيار	١٥٤
فإما شئتما	البوالِي	٢	الوافر	الشريف المرتضى	١٧٢
ألم تُلْمِمْ على الدمنِ	الخوالِي	٥	»	رقيع بن عبيد بن صيفى	١٥٦
ثوى بين الحريش	ميل	٢	»	[رجل من إياد]	٤٣٢
هل أنت	المنزلِ	٧	الكامل	عدى بن الرِّقاع	١٧
لمن الديار	العُنْصُلِ	٣	»	ربيعة بن مقروم	٩٨
أخزى الذى رفع السماءَ	الأسفَلِ	٢	»	جرير بن عطية	٤٠١
حيّا ربوعَك	هامل	٧	»	أسامة بن منقذ	٢٧
أكثرت من ذكرى	فأجمِلِ	٥	»	البحترى	٤٥
رحلوا بأيامى الرقاق	السهل	٤	»	مهيار	١٧٣ و ١٧٤
ما هاج عينيك	الخوالى	٩	الرجز	ذو الرمّة	١١٥
يا ابنة الأقوام	تسألى	١٠	الرمل	جليلة بنت مرّة	٣٨٦ و ٣٨٧
هل عند هذا الطلل	سائل	٧	السريع	مهيار	١١٧
ما بال رسم	جامِلِ	٣	»	الشريف المرتضى	١٨١ و ١٨٢
إنك فى دار	العامِلِ	٤	»	؟	٢٨٦
نقّبوا فى البلاد	مجالِ	٢	الخفيف	؟	٤٣٢
قف على الدمنتين	خالِ	٢	»	المتنبى	١٦٦ و ١٦٧
دار حيٍّ	أكْفالِ	٦	»	النابغة الجعدى	٤٦٦ و ٤٦٧
عجبًا لى	تبقى لِى	٢	»	؟	٢٨٩
أصبحت دور	جَلالِ	٤	»	على بن مرشد بن على	٣٠٢
ما ذممت المقام	الرحيلِ	٢	»	عيسى بن على الموصلى	٢٥٤

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
بكت دارهم	أَلُومُ	٥	الطويل	قيس بن ذريح	٣١٥
إذا اشتدّ	كلومُ	٥	»	أبو الحسن التهامى	٢٦٩
أمن آل هند	قديمُ	٤	»	ربيعة بن مقروم	١٨٥
أشاقتك بالقنع	قديمُ	٥	»	مزاحم العقيلى	١٧٥ و١٧٦
سقى بلدا	ويُسيمُ	٤	»	؟	٢٦٦
منازل أما أهلها	فمقيمُ	٣	»	الرمّاح بن ميّادة	٢٠
تفانَوْا ولم يبقوا	كرامُها	٢	»	إبراهيم بن هرمة	٤٢٣
خليليّ عوجا حيّيا	خيامُها	٤	»	ذو الرمّة	١٦٣
بوجرة أطلال	قديمُها	٥	»	عمر بن أبى ربيعة	١٢١ و١٢٢
ألام على ليلى	كريمها	٣	»	؟	٢٥٢
أشجاك الربع	حُمَمُه	٢	المديد	طرَفة بن العبد	١٤٦
يا دار أنت التى	الحشَمُ	٤	البسيط.	أسامة بن منقذ	٣٠٤ و٣٠٥
شر البلاد	يصمُ	٢	»	المتنبي	٢٥٧
لاحبّذا أنت ياصنعاءُ	نقمُ	٩	»	زياد بن منقذ	٢٥٦
لله درّ أُناسٍ	الدِّيَمُ	٢	»	؟	١٠٢
قف بالديار	والديَمُ	٥	»	زهير بن أبى سُلمى	٨٥
أإن ترسّمْت	مَسْجُومُ	٣	»	ذو الرمّة	٤٨
وأصبحت المنازل	القَتَامُ	٢	الوافر	عبد الله بن الزِّبَعرى	٨
أقول لصحبتى	سجامُ	٤	»	جرير بن عطية	١٧٩
سل الأيام	الرسومُ	٥	»	أبو العتاهية	١٨٣
أحادرة دموعَك	الرسومُ	٣	»	ذو الرمّة	١٨٨
لمن طَلَلٌ	وشومُ	٤	»	طفيل الغنوى	١١٢٠
ينام المسعدون	الهمومُ	٧	»	العتبي	٤٢٧ و٤٢٨
لمن طلَلٌ برامة	قديمُ	٣	»	زهير بن أبى سُلْمى	١٢٣

أول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
يا دار ما فعلت	تُستامُ	٥	الكامل	أبو نواس	٢٩٢
آمَتْ نساءُ	أيتامُ	٣	»	أبو العباس الأعمى	٤٤٧
هذى ديارُ	وظلامُ	٣	»	أسامة بن منقذ	٧٦
دِمَنٌ أَلَمّ بها	الإلمامُ	٨	»	أبو تمام	١٥٧ و ١٥٨
قل للذى فقد الأحبّة	تسجمُ	٧	»	أسامة بن منقذ	٢٦
يا دارُ لو روّت	الدمُ	٤	»	أسامة بن منقذ	٣٠٥
هذى منازلهمْ	مغرمُ	٥	»	»	٢٩
هل للديارِ	الرسمُ	٣	»	ابن قيس الرقيات	٦٨
يا موسم اللذاتِ	موسِمُ	٣	»	أبو تمام	١٣٧
تدنو الديارُ	الظالمُ	٢	»	سعيدبن حميدالكاتب	٩٣
ولهُنَّ بالبيت العتيق	يتكلّمُ	٥	»	عمر بن أبى ربيعة	٣٩٦و٣٩٧
يامنزلاأضحى	يريمُ	٣	»	على بن مرشد بن على	٢٥
أسقى طلولهم	ونَعِيمُ	٣	»	أبو تمام	١١٠
عوجا نحيِّ الربع	سلامُهُ	٣	»	الشريف المرتضى	١٤٢
انظر معى	العلمُ	٦	المنسرح	مهيار	٢٩
لا أُعدّ الإقتار	الاعدامُ	١٠	الخفيف	أبو دواد الإيادى	٤١٦و٤١٧
أى دمع جرى	رُسُومُ	٤	»	الشريف المرتضى	٧٢
يا ديار الأحبابِ	والتسليمُ	٤	»	على بن مرشد بن على	٧٥ و ٧٦
ألا يانسيم الريح	سلامى	٣	الطويل	الشريف المرتضى	٢٠٩
كفى حسرةً	حمامى	٢	»	على بن مرشد بن على	٣٠٢
أأبكاك رسم المنزل	الأخارمِ	٤	»	أبو حيَّة النميرى	١٥
خليلى عُوجا اليوم	والأخارمِ	٣	»	ذو الرمة	١١٢و١١٣
فقولا لباقى الرسم	والمتخرّمِ	٦	»	كعب بن مشهور المخبّلى	١٨٤

أول البيت	قافيته	عدد الأبيــات	البحر	القائل	الصفحة
هو الرسم لو أغنى	بالحَزْمِ	٦	الطويل	ابن الخيّاط	١٧٧
تحمّل عن الأرضِ	الحَسْمِ	٣	»	أبو العلاء المعرى	٢١٣
أنا لائمِى	المعالِمِ	٤	»	المتنبي	٢٠٢ و٢٠٣
خليلى إنّ الدارَ	الكَلْمِ	٢	»	المرّار الفقعسى	٣٢٨
أمن أم أوفى دمنةٌ	فالمتثلَّمِ	٥	»	زهير بن أبي سلمى	١٥٩
ألالا أرى مثلى	وهمِى	٢	»	أبو نواس	١٧٦و١٧٧
ألا أيهذا المنزل	المتغيِّمِ	٤	»	ذو الرمّة	٤٢ و٤٣
لمن دِمَنٌ	رسومِ	٤	»	أبو نواس	١٦٨
ما إنْ أبو زيد	بذميمِ	٥	»	البُرَيق الهذلى	٤٢٨ و٤٢٩
تذكّرتُ من ماءِ العواصمِ جمامِهِ		٤	»	أبو العلاء المعرى	٢٥٨
لم تحتقب غير أثوابِ	القِدَمِ	١	البسيط.	ابن ذى سلم	٢٩٨
سلِّم على الربعِ	والقِدَمِ	٤	»	أبو تمام	١٣٧
أراحل أنت لم تلمم	الحَرَمِ	٦	»	كعب بن الأشرف	٥٨
يا منزلا كان فيه العزُّ	الكرمِ	٧	»	أسامة بن منقذ	٢٨
نشدتك الله	فالعلمِ	٤	»	البحترى	٤٧و ٤٨
مقام حرّ	المقيمِ	٢	مخلع البسيط.	ابن سارة المغربي	٣٤٩
ألا حيّ المنازل	بالكلامِ	٣	الوافر	ذو الرمّة	٤١
ألَسْتُم عائجين	الخيامِ	٢	»	الفرزدق	٢٠٧
أدار البؤس	النعيمِ	٤	»	أبو تمام	٣١٣
ألا يا وادِىَ	الغميمِ	٢	»	تُحَىّ (جنّى) ؟	٢٦٢
عوجا على الطلل المحيل خذامِ		٣	الكامل	امرؤ القيس	٨٦
» »	»	٢	»	»	١١٥
رحلت حرام	حرامِ	٤	»	توبة بن مضرّس	٦٣
عادات قومى	حسامِ	٤	»	أصرم بن حميد [أوغيره]	٤٣٥

قافية النون

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
أهاجك مَغْنَى دمنة	السوافنُ	٤	الطويل	كثير بن عبد الرحمن	١٦٠
وللموت تغذو الوالدات المساكنُ		٣	«	سابق البربرى	٢٨٠
لمن طَلَلٌ	جونُ	٣	«	أبو نواس	١٢٩
ومن ينأ	سيكونُ	٢	«	؟	٣٢٢ و٣٢٣
وإن امرأ	شجونُه	٢	«	أسامة بن منقذ	٣٠٨
ألا تسأل الدارَ	تستبينُها	٥	«	نصيب	٣٢٧
ليت الديارَ	بانوا	٣	البسيط	؟	٦٤
دعني وتسكاب دمعي	شانُ	٢	«	؟	١١و٢٣ و٢٤
أحبابنا ما الديارُ	أوطانُ	١	«	؟	٦٦
لا يذكر الرملَ	أوطانُ	٥	«	الشريف الرضى	٢٢٢
لأرحَلَنَّ المطايا	عَدَنُ	٢	«	؟	٢٣٨
لَزِمْتُ بيتًا بناه الجَدّ	يتَّزِنُ	٤	«	أبو العلاء المعرى	٤٠٣ و٤٠٤
قد كنت أقصرت	الحضنُ	٤	«	قَعْنب بن أم صاحب	٢١٠
العنكبوت بنت بيتًا	وطَنُ	٢	«	؟	٤٠٥
أعْفَى المنازل	الكَفَنُ	٢	«	أبو العلاء المعرى	٢٣
بمَ التعلُّلُ	سكَنُ	٤	«	المتنبي	٢٢٥
إذا بكى لديارٍ	الزمنُ	٤	«	أسامة بن منقذ	٧٨
هل منزل دارس	معينُ	٧	مخلع البسيط	كاسب بن غياث	١١
حيّ الديار	مَعانُ	٣	الكامل	أبو نواس	٨١
أين السلوُّ من المروَّع	خلانُ	٣	«	أسامة بن منقذ	٢٢٩
جمعوا فما أكلوا	سكَنُوا	٢	«	أبو العتاهية	١٩٦
وأبى المنازلِ إنها لشجون	لتبينُ	٤	الكامل	أبو تمام	١٠
مغناهم أضحى صموتا	بيانُه	٧	«	على بن مرشد بن على	١٠٦
يا مشيد القصر	الحصونُ	٤	الرمل	؟	٢٨٩

اول البيت	قافيته	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصفحة
ما جو خَبْتٍ	دِمَنُهْ	٣	المنسرح	البحترى	١٥٧
وأجهشت للتوباد	رآنى	٤	الطويل	قيس بن الملوّح	٦٦
ألا يا غرابى دمنة الدار	تنتحبانِ	٦	«	عروة بن حزام	١٧١
ألا ليت شعرى	بقِرانِ	٢	«	الحارث بن غنم ؛ أبو تغلب	٦٧
سقى الله أرضا	أجفانى	٢	«	؟	٢٠٩
يقول زميلى	تكفانِ	٣	«	بشر بن الهذيل	١١٠
يقول خليلى	تكفانِ	٤	«	[ابن الدمينة ، أو غيره]	٣٠٩و٣١٠
سقى العَلَم الفَرْدَ	مؤتلفانِ	٢	«	؟	٢٠٥ و٢٠٦
أفى كل يومٍ	غرقانِ	٢	«	عبد الله بن الدمينة	٢٦٨
ألا يا اسلما	الطَّلَلان	٦	«	طهمان بن عمرو	١٢٢و١٢٣
ألا يا اسلما	الهملانِ	٥	«	عمارة بن بلال بن جرير	١١٩ و١٢٠
ودار حِفاظٍ	مهانِ	٢	«	المساور بن هند	٢٨٧
لمن طلل	لأوان	٢	«	أبو نواس	١١٤
قفا صاحبىّ	بيانِ	٢	«	الشريف الرضى	١٤١
وبيت خلا	المساكِنِ	٢	«	[؟]	٤٠٦
طربت وهاجتك المنازل	بالحزنِ	٣	«	أبو حيّة النميرى	٤٤
أمر بربعٍ	والركنِ	٢	«	أبو العلاء المعرى	١٤٣
هنيئًا لك البيت الجديد	اليُمْنِ	٤	«	« «	٣٨٢
يا كثير النَّوْحِ	السكَنِ	٦	المديد	أبو نواس	١٦٨
يا بعيد الدار	سكنِهْ	٤	«	[العباس بن الأحنف]	٢٢٣
يا دار يا دار أطرابى	الجديدانِ	٤	البسيط	ابن المعتز	٢٧٩ و٢٨٠
من الخراب من الأوطان	عُمْرَانِ	١٠	«	؟	٢٤٠ و٢٤١
يا روح كم من أخى مثوى	غسّانِ	٨	«	عمران بن حِطّان	٢٣٣

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
لمن الديار	أذمانِ	٣	الكامل	كثير بن عبدالرحمن	٦٤
لمن الديارُ	بزمانِ	٥	»	جرير بن عطية	٨٤
أصبحتَ بعدمضرِّسٍ	راماني	٢	»	؟	٤١٤
صبر الأديب	هوانِ	٢	»	؟	٣٥٠
يا منزلا لعبت به	بتيقُّنِ	٤	»	مهيار	٢٤
لئن سلمنى الله	تولّانى	٥	الهزج	البستى	٢٢٧
واوحشتى فى الدار	العينِ	٤	الرجز	أسامة بن منقذ	٣٠٥و٣٠٦
أنا يا دار	يَخُنِّى	٣	الرمل	مهيار	١٠١
أبرزت من خلل البرد	كاللُّجَيْن	٤	»	روضة قينة ذى عين	٢٦٣
حنّ إلى أوطانهم معشر	اثنانِ	٢	السريع	؟	٢٢٧
يا ريح ما تصنعين	حَسَنِ	٣	المنسرح	على بن أحمد بن أبى أمية	١٩٣
» »	حَسَنِ	٦	»	» » »	١٦٤
يا ثقتى أنت		٢٣	»	ابن أبى جرادة	١٧٠و١٧١
الناس لا هون	ظَعَنِ	٢	»	» »	١٦٩
يا ربِّ خذنى	بالدِّمَنِ	٢	»	أبو موسى الأعمى	١٦٥
لمن الدار أقفرت	الصّمانِ	٥	الخفيف	حسّان بن ثابت	٢٨٨و٢٨٩
أبكيا هذه المغانى	بالغوانى	٣	»	البحترى	١٠٣
ألا من لنفسٍ	بحيطانِها	٣	المتقارب	ابن المعتز	٣٢٢

قافية الياء

أول البيت	قافيته	عدد الأبيـات	البحر	القائل	الصفحة
سقى الله أطلالا	مابيا	٢	الطويل	محمد بن بشير الخارجى	١١١
أصاحب من صاحبت	صاديا	٣	»	محمد بن صالح العلوى	٤٥٦

---

٥ ـ فهرس الشعراء

٦ – فهرس الأعلام

* هذه النجمة تشير الى أن العلم المذكور وردفى شعر ، فان وضعت فوق الرقم فهى اشارة الى وروده في الشعر في هذا الموضع ليس غير .

« غ »

« ف »

٧ ـ فهرس الأمم والفرق والقبائل والبطون

٨ ـ فهرس المواضع والبلدان

أكثر هذه الأعلام ورد فى شعر ، وما ورد منها فى غير الشعر ميزناه بوضع نجمة فوقه ، أو فوق رقم الصفحة أو الصفحات التى ورد فيها كذلك .

« غ »

« ف »

« ق »

٩ ـ أسماء الكتب التي ذكرها المؤلف

١٠ - فهرس مراجع التحقيق

- أخبار مكة للأزرقى (ط ليبزج سنة ١٨٥٨م)
- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى (ط الميمنية بمصر سنة ١٣٠٥هـ.)
- أساس البلاغة للزمخشرى (محمود بن عمر ، جار الله) بتحقيق عبد الرحيم محمود (ط نديم سنة ١٩٥٣)
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير (ط الوهبية بمصر سنة ١٢٨٠هـ.)
- الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ. أحمد بن حجر العسقلانى (ط القاهرة سنة١٣٢٨ هـ.)
- الأصمعيات «اختيار عبد الملك بن قريب الأصمعى» نشرايوارت (ط برلين سنة ١٩٠٢م)
- الاعتبار لأسامة بن منقذ نشر فيلب حتى (ط جامعة برنستون ١٩٣٠م)
- أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى ، محمود بن عمر ، جار الله (ط القاهرة ١٣٢٤هـ.)
- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ (ط حلب ١٩٢٣م)
- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس لدياب الإتليدى (ط الحلبى بمصر سنة ١٩٥٥م)
- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١ - ٢٠ (ط بولاق سنة ١٢٨٥هـ.)

  الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١ - ١٦ (ط دار الكتب ١٩٢٧ - ١٩٥٤م)

  الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج ٢١ (ط ليدن سنة ١٣٠٥هـ.)
- الاقتضاب شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى (ط الأدبية بيروت سنة ١٩٠١م)
- الألفاظ الفارسية المعربّة لأدّى شير (ط الكاثوليكية فى بيروت ١٩٠٨م)
- الأمالى لأبى علىّ القالى (ط الأميرية ببولاق ١٣٢٤ هـ.)
- أمالى ابن الشجرى لأبى السعادات هبة الله بن على بن حمزة العلوى (ط حيدر أباد ١٣٤٩هـ.)
- أمالى المرتضى (على بن الحسين) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (ط الحلبى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م)

□ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة لأبى الحسن على بن يوسف القفطى تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (ط دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ.)
□ ـ الأوراق (أشعار أولاد الخلفاء) للصولى / نشر : ج . هيورث . دن (ط. الصاوى بمصر ١٩٣٦م) .
□ ـ البداية والنهاية لابن كثير (ط السعادة بمصر ١٩٣٢م) .
□ ـ البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ بتحقيق الدكتور أحمد بدوى وزميله (ط الحلبى بمصر سنة ١٩٦٠) .
□ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى (ط الخانجى ١٣٢٦هـ) .
□ ـ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدى (ط القاهرة ١٣٠٧هـ) .
□ ـ تاريخ ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم بن عساكر (ط روحة الشام ١٣٢٩هـ) .
□ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، محمد بن جرير (ط الاستقامة ١٩٣٩م) .
□ ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبرى نشر أنطون صالحانى (ط الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٠م) .
□ ـ تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر :
(نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦هـ. = ١٩٦٦م) .
□ ـ تجريد الأغانى لابن واصل الحموى (ط كتاب الشعب ١٩٦٤م) .
□ ـ تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر ... لابن أبى الإصبع المصرى بتحقيق الدكتور حفنى شرف
(نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٤م) .
□ ـ تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود الأنطاكى (ط البهية بمصر سنة ١٣٠٢هـ) .
□ ـ تكملة إكمال الإكمال لابن الصابونى بتحقيق الدكتور مصطفى جواد (ط المجمع العلمى العراقى ١٩٥٧م) .
□ ـ تنقيح المقال فى أحوال الرجال للشيخ عبد الله المامقانى (ط المرتضوية بالنجف سنة ١٣٥٢ هـ) .
□ ـ التنوير بشرح سقط الزند للتبريزى ط السعادة بمصر (الطبعة الأولى) .

- التيجان فى ملوك حمير لأبى محمد عبد الملك بن هشام (ط الهند ١٣٤٧هـ) .
- الجامع الصحيح لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ط الأميرية ببولاق سنة ١٣١٣ - ١٣١٥هـ) .
- الجامع الصحيح لأبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى بتحقيق محمد فواد عبد الباق (ط الحلبى سنة ١٩٥٥م) .
- الجامع الصغير للسيوطى (ط الميمنية ١٣٢١هـ) .
- جمهرة أشعار العرب لأبى زيد الخطابى (ط الرحمانية)
- حماسة البحترى نشر مصطفى كمال (ط الرحمانية سنة ١٩٢٩م)
- حماسة ابن الشجرى لأبى المسعادات هبة الله بن على بن حمزة العلوى (ط حيدر أباد ١٣٤٥هـ.)
- خريدة القصر للعماد الأصفهانى :
  قسم شعراء الشام بتحقيق شكرى فيصل (ط. المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٥٥ م)
  قسم شعراء مصر بتحقيق أحمد أمين وآخرين (ط مصر سنة ١٩٥٩)
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى (ط بولاق ١٢٩٩هـ. وط السلفية سنة ١٣٤٧هـ)
- خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى (ط الوهبية ١٢٨٤ هـ.)
- دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) المجلد الثانى
- الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى بتحقيق جعفر الحسنى (ط الترقى بدمشق ١٩٤٨م) .
- دمية القصر لأبى الطيب على بن الحسن الباخرزى نشر محمد راغب الطباخ (ط حلب سنة ١٩٣٠م)
- الديارات للشابشتى ، على بن محمد ، بتحقيق كوركيس عواد (ط. بغداد سنة ١٩٥١ م)
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولى (فى الطرائف الأدبية) جمع عبد العزيز الميمنى (ط لجنة التأليف سنة ١٩٣٧م)
- ديوان الأخطل نشر أنطون صالحانى (ط بيروت سنة ١٨٨٩م)
- ديوان أسامة بن منقذ نشر الدكتور أحمد أحمد بدوى وزميله (ط القاهرة سنة ١٩٥٣م)
- ديوان الأعشى بتحقيق الدكتور محمد محمد حسين (نشر مكتبة الآداب ١٩٥٠م)

- ـ ديوان امرئ القيس بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (ذخائر العرب ـ دار المعارف ١٩٥٨ م).
- ـ ديوان البحترى طبعات مختلفة (ط هندية بتصحيح البرقوقى سنة ١٩١١م)
(ط بيروت بتصحيح رشيد عطية سنة ١٩١٠م)
(ط دار المعارف بتحقيق حسن كامل الصيرفى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧)
- ـ ديوان بشر بن أبى خازم بتحقيق الدكتور عزة حسن ط وزارة الثقافة السورية ١٩٦٠م)
- ـ ديوان بشار بن برد بتحقيق شوقى أمين ورفعت فتح الله (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٤م)
- ـ ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق الدكتور محمد عبده عزام (ط ذخائر العرب ـ دار المعارف) سنة ١٩٥١-١٩٦٤م)
- ـ ديوان تميم بن مقبل بتحقيق الدكتور عزة حسن (ط وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٦٢م)
- ـ ديوان التهامى، أبى الحسن على بن محمد (ط الأهرام سنة ١٨٩٣م)
- ـ ديوان جرير بتحقيق محمد إسماعيل الصاوى (ط مصر سنة ١٩٣٥م)
- ـ ديوان جميل جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار (ط مكتبة مصر سنة أولى).
- ـ ديوان حاتم الطائى برواية ابن الكلبى (ط لندن سنة ١٨٧٢م وط الوهبية القاهرة سنة ١٢٩٣هـ.)
- ـ ديوان الحادرة، قطبة بن أوس (ط ليدن)
- ـ ديوان حسّان بن ثابت (ط ليدن سنة ١٩١٠ وط البرقوقى بمصر سنة ١٩٢٩م)
- ـ ديوان ابن أبى حصينة السلمى (ط دمشق الطبعة الأولى)
- ـ ديوان الحطيئة بشرح السكرى وتصحيح الشنقيطى (ط التقدم بمصر بدون تاريخ)
- ـ ديوان ابن حيّوس، أبى الفيتان محمد بن سلطان (ط دمشق الطبعة الأولى)
- ـ ديوان الخنساء (أنيس الجلساء) نشر لويس شيخو (ط بيروت سنة ١٨٩٦م)
- ـ ديوان دعبل بن على الخزاعى بتحقيق عبد الصاحب البرجيلى (ط الآداب بالنجف ١٩٦٢)
- ـ ديوان ابن الدمينة (ط المنار بمصر سنة ١٣٣٧ هـ.)
- ـ ديوان ديك الجن الحمصى جمع وشرح عبدالمعين الملوحى وزميله (ط الفجر بحمص سنة ١٩٦٠م)

□ ـ ديوان شعر ذي الرمّة نشر كارليل (ط كلية كيمبردج ١٩١٩)

□ ـ ديوان ابن الرومى اختيار ونشر كامل كيلانى (ط التوفيق ـ بدون تاريخ)

□ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب (ط دار الكتب سنة ١٩٤٦م)

□ ـ ديوان الشريف الرضى (ط سنة ١٣٠٦هـ)

□ ـ ديوان الشريف المرتضى بتحقيق الصفار (ط الحلبي ١٩٥٨و١٩٥٩)

□ ـ ديوان الشماخ بن ضرار (ط السعادة بمصر سنة ١٣٢٧هـ.)

□ ـ ديوان صرّدر (ط دار الكتب ١٩٣٤م)

□ ـ ديوان طرفة بن العبد البكرى بشرح الأعلم الشنتمرى (ط باريس سنة ١٩٠٠م)

□ ـ ديوان الطغرائى (ط الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ.)

□ ـ ديوان العباس بن الأحنف (ط الجوائب ١٢٩٨ هـ.) .

□ ـ ديوان أبي العتاهية (الأنوار الزاهية) جمع لويس شيخو (ط الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٤ م) .

□ ـ ديوان العرجى (برواية ابن جنى) تحقيق خضر الطائى وزميله (ط بغداد سنة ١٩٥٦م) .

□ ـ ديوان عروة بن الورد نشر نولدكه (ط جوتنجن سنة ١٨٦٣ م . وط الجزائر سنة ١٩٢٦م) .

□ ـ ديوان على بن الجهم وتكملته بتحقيق خليل مردم (ط المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٤٩ م) .

□ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط ليبزج سنة ١٩٠١م) .
وجمع وتصحيح بشير يموت (ط الأهلية ببيروت سنة ١٩٣٤ م ؟

□ ـ ديوان أبي فراس الحمدانى بتحقيق سامى الدهان (ط بيروت سنة ١٩٤٤ م) .

□ ـ ديوان الفرزدق جمع وشرح محمد اسماعيل الصاوى (ط مصر سنة ١٣٥٤هـ.) .
و (ط باريس سنة ١٨٧٠م) .

□ ـ ديوان قيس بن الخطيم بتحقيق ناصر الدين الأسد (ط دار العروبة بمصر سنة ١٩٦٢)

- ◻ ـ ديوان قيس بن ذريح (قيس ولبنى) جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار (ط. مكتبة مصر الطبعة الأولى)
- ◻ ـ ديوان قيس بن الملوح العامرى (مجنون ليلى) جمع وتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج مكتبة مصر الطبعة الأولى
- ◻ ـ ديوان ابن قيس الرقيات بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم (ط دار صادر – بيروت سنة ١٩٥٨م)
- ◻ ـ ديوان كثير بن عبد الرحمن الخزاعى جمع وتعليق هنرى بيرس (ط الجزائر ١٩٢٨م) .
- ◻ ـ ديوان لبيد بتحقيق الدكتور إحسان عباس (ط الكويت سنة ١٩٦٢م) .
- ◻ ـ ديوان المتلمس الضبعى (جرير بن عبد المسيح) برواية الأثرم نشر مولارب (ط ليبزج سنة ١٩٠٣م)
- ◻ ـ ديوان المتنبي بشرح البرقوقى (ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٠م) .
- ◻ ـ ديوان مزاحم العقيلى (ط ليدن سنة ١٩٢٠م) .
- ◻ ـ ديوان ابن المعتز (ط القاهرة سنة ١٨٩١م . وط الإقبال ببيروت سنة ١٣٣٢م) . والجزء الرابع (ط استانبول سنة ١٩٤٥م) .
- ◻ ـ ديوان مهيار الديلمى (ط دار الكتب سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٣١م) .
- ◻ ـ ديوان النابغة الجعدى (شعر الجعدى ـ جمع وتحقيق مارينا نيللِّينو) (ط المكتب الاسلامى بدمشق سنة ١٩٦٥م) .
- ◻ ـ ديوان النابغة الذبيانى (التوضيح والبيان من شعر نابغة بنى ذبيان) (ط السعادة بمصر) بدون تاريخ (وط بيروت سنة ١٩٥٣م) .
- ◻ ـ ديوان أبى نواس نشر أحمد عبد المجيد الغزالى (ط مطبعة مصر سنة ١٩٥٤م) .
- ◻ ـ ديوان ابن هانئ الأندلسى (ط الأميرية ببولاق ١٢٧٤هـ) .
- ◻ ـ ديوان الهذليين (ط دار الكتب ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠م) .
- ◻ ـ ديوان الوأواء الدمشقى (أبى الفرج محمد بن أحمد الغسانى) بتحقيق كراتشكوفيسكى (ط ليدن سنة ١٩١٣) .

□ ـ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام :
(ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) .
□ ـ الروض الأنف للسهيلى (ط الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ.) .
□ ـ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة عبد الرحمن بن إسماعيل (ط وادى النيل ١٢٨٧ هـ.) .
□ ـ رياض الأدب فى مراثى شواعر العرب جمع لويس شيخو (ط بيروت سنة ١٨٩٧م) .
□ ـ زبدة الحلب لابن العديم بتحقيق الدكتور سامى الدهان .
(ط المعهد الفرنسى بدمشق ، والكاثوليكية ببيروت ١٩٥١ ـ ١٩٥٤) .
□ ـ زهر الفردوس (شرح مسند العلقمى) لابن حجر العسقلانى مصور بدار الكتب برقم ٢٠٩٩ .
□ ـ الزهراء (مجلة أدبية لصاحبها محب الدين الخطيب) المجلد ٣ و ٤ .
□ ـ الزهرة لأبى بكر محمد بن سليمان الأصفهانى القسم الأول (ط الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩٣٢م) .
□ ـ سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى لأبى عبيد البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى (طلجنة التأليف ١٩٣٦ م)
□ ـ سنن أبى داود بتصحيح الشيخ نصر الهوريبى (ط الكستليّة سنة ١٢٨٠هـ.) .
□ ـ سنن ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (ط الحلبى سنة ١٩٥٢ و١٩٥٣م) .
□ ـ سيرة ابن هشام ـ على هامش الروض الأنف (ط الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ.) .
□ ـ شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام ، جمع بشير يموت (ط الأهلية ببيروت سنة ١٩٣٤م) .
□ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى (ط القدسى سنة ١٣٥٠هـ.) .
□ ـ شرح أدب الكاتب للجواليقى (ط مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ.) .
□ ـ شرح أشعار الحماسة للخطيب التبريزى (ط بون سنة ١٨٢٨ م) .
□ ـ شرح أشعار الهذليين للسكرى بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج (ط دار العروبة مصر سنة ١٩٦٣ـ١٩٦٥)

- شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد (ط حجازى بالقاهرة ١٩٣٨م) .
- شرح شواهد المغنى للسيوطى (ط البهية ١٣٢٢ هـ.) .
- شرح فصيح ثعلب للهروى نشر الخانجى (ط السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ.) .
- شرح المختار من شعر بشار لاسماعيل بن أحمد التجيبى (ط الاعتماد بالقاهرة سنة ١٩٣٤)
- شرح المعلقات السبع للزوزنى (ط المنيرية بمصر سنة ١٣٥٢هـ.) .
- شرح المفصل لابن يعيش (ط المنيرية بدون تاريخ) .
- شرح مقامات الحريرى للشريشى (ط الأميرية ببولاق سنة ١٩٠٠م) .
- شرح مقصورة ابن دريد للزمخشرى (ط عبد الرحيم المكاوى بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ.) .
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ط الحلبى سنة ١٣٢٩ هـ.) .
- شعر الأخطل نشر أنطون صالحانى (ط اليسوعيين بيروت ١٩٠٥ م) .
- شعر الخليع (الحسين بن الضحاك) جمع وتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج (ط بيروت سنة ١٩٦٢م) .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط ليدن سنة ١٩٠٢م) .
(وط دار المعارف بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٣٦٤هـ.) .
- شفاء الغليل للخفاجى (ط الوهبية بمصر سنة ١٢٨٣هـ) .
- الصبح المنير فى شعر أبي بصير والأعشين الآخرين (ط فينا ١٩٢٧م) .
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوى (ط. الجمالية سنة ١٩١٤م) .
- طبقات الشافعية للسبكى (ط الحسينية سنة ١٣٢٤هـ.) .
- طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج (ذخائر العرب - ط. دار المعارف ١٩٥٦ م) .
- الطرائف الأدبية أشعار جمعها عبد العزيز الميمنى (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧) .
- طراز المجالس للشهاب الخفاجى (ط الوهبية بمصر سنة ١٢٨٤هـ.) .

□ ـ طيف الخيال للشريف المرتضى بتحقيق الأستاذين حسن كامل الصيرفى وإبراهيم الابيارى نشر وزارة الثقافة (ط الحلبى سنة ١٩٦٢ م).
□ ـ العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه بتحقيق الأستاذ أحمد أمين وآخرين (ط لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢م).
□ ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى نشر التجارية (ط حجازى سنة ١٩٣٤م) .
□ ـ الغيث المسجم بشرح لامية العجم للصفدى (ط الأزهرية سنة ١٣٠٥هـ) .
□ ـ الفاخر للمفضل بن سلمة تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوى نشر وزارة الثقافة (ط الحلبى سنة ١٩٦٠ م) .
□ ـ الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للشيخ يوسف النبهانى (ط الحلبى سنة ١٣٥١ هـ) .
□ ـ الفخرى فى الآداب السلطانية (ط الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٠هـ) .
□ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد (ط السعادة بمصر سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ م) .
□ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى (الطبعة الرابعة ـ دار المأمون بمصر سنة ١٩٣٨م) .
□ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ط محمد منير سنة ١٣٤٨هـ) .
□ ـ الكامل فى اللغة والأدب للمبرد (ط ليبزج سنة ١٨٦٤ و١٨٩٢م) .
□ ـ الكشكول لبهاء الدين العاملى ـ على هامش أدب الدنيا والدين (ط الميمنية بمصر سنة ١٣٠٥هـ) .
□ ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٥م) .
□ ـ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور (ط الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٠هـ ـ ١٣٠٨هـ) .
□ ـ اللزوميات للمعرى ، أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ط بيروت) .
□ ـ مآثر الإنافة فى معالم الخلافة للقلقشندى تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج (ط الكويت سنة ١٩٦٤م) .

□ ـ المؤتلف والمختلف للحسن بن بشر الآمدى تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج (ط الحلبى سنة ١٩٦١م) .

□ ـ مبارق الأزهار لابن ملك ـ عبد اللطيف بن عبد العزيز (ط دار الطباعة العامرة أنقرة سنة ١٣٢٨هـ.) .

□ ـ مجمع الأمثال للميدانى بترتيب الكرمانى (ط طهران سنة ١٢٩٠ هـ. و ط الأميرية ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ.) .

□ ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى نشر أحمد عارف الزين (ط. العرفان ببيروت سنة ١٣٣٣ هـ.) .

□ ـ المحاسن والأضداد للجاحظ. (ط ليدن سنة ١٨٩٨م) .

□ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (ط الشرفية سنة ١٣٢٦هـ.) .

□ ـ مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى لابن منظور نشر الدار المصرية للتأليف والنشر (ط الحلبى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م) .

□ ـ مختارات البارودى نشر ياقوت المرسى (ط الجريدة سنة ١٣٢٧هـ.) .

□ ـ المختار من دواوين أبى تمام والبحترى والمتنبى للجرجانى (فى الطرائف الأدبية) .
تحقيق عبد العزيز الميمنى (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧م) .

□ ـ مرآة الزمان لسبط. ابن الجوزى ، الجزء الثامن (ط حيدر أباد سنة ١٩٥١م) .

□ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ، بتحقيق الأستاذ على البجاوى (ط الحلبى سنة ١٩٥٤م) .

□ ـ مروج الذهب للمسعودى (ط بولاق سنة ١٢٨٠هـ.) .

□ ـ مسند الإمام أحمد بن جنبل (ط الميمنية بمصر سنة ١٣١٣هـ.) .

□ ـ مشارق الأنوار للحسن بن محمد بن الحسن الصاغانى (ط دار الطباعة العامرة ـ أنقرة سنة ١٣٢٨هـ.) .

□ ـ مشكاة المصابيح ، لولى الدين محمد بن عبد الله التبريزى العمرى (ط الهند سنة ١٣١٢هـ.) .

- مصارع العشاق للسراج ، أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارى (ط الجوائب سنة ١٢٧٧هـ) .
- مطالع البدور فى منازل السرور لعلى بن عبد الله البهائى (ط إدارة الوطن سنة ١٢٩٩هـ) .
- المطرب من أشعار أهل المغرب بتحقيق الأستاذين إبراهيم الإبيارى وحامد عبد المجيد (ط الأميرية سنة ١٩٥٤م) .
- المعانى الكبير لابن قتيبة (ط حيدر آباد سنة ١٣٤٩هـ) .
- معاهد التنصيص بشرح شواهد التلخيص للعباسى ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن (ط بولاق ١٢٧٤هـ) .
- معجم الأدباء لياقوت الحموى نشر دار المأمون (ط سنة ١٩٣٦م) .
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى الإسلام لزامباور ترجمة الدكتور زكى حسن وآخرين (ط جامعة القاهرة سنة ١٩٥١م) .
- معجم البلدان لياقوت الحموى نشر الخانجى (ط السعادة بمصر سنة ١٣٢٣ و١٣٢٤هـ) .
- معجم الشعراء للمرزبانى (ط القدسى سنة ١٣٥٤هـ) .
- معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٤هـ) .
- المعرّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، لأبى منصور الجواليقى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (ط دار الكتب سنة ١٣٦١ هـ) .
- المفضليات للضبى تحقيق وتعليق الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون (ط دار المعارف سنة ١٣٦١هـ) .
- المقصور والممدود لابن ولاد نشر بول برونيل (ط ليدن سنة ١٩٠٠م) .
- المنتحل لابى منصور الثعالبى نشر أحمد على (ط الاسكندرية سنة ١٩٠١م)
- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى (ط السلفية سنة ١٣٤٣م)
- الموطأ للامام مالك بن أنس بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (ط الحلبى سنة ١٩٥١م) .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩ - ١٩٥٠ م) .

□ ـ نقائض جرير والفرزدق (ط ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩١٣ م) .
□ ـ نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى نشر أحمد زكى (ط الجمالية بمصر سنة ١٩١١م).
□ ـ النهاية فى غريب الحديث لا بن الأثير (ط. الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢هـ) .
□ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى (ط دار الكتب سنة ١٩٢٩م) .
□ ـ الهاشميات للكميت بن زيد الأسدى (ط ليدن سنة ١٩٠٤ م) .
□ ـ الورقة لابن الجراح بتحقيق الأستاذين عبد الستار فراج وعبد الوهاب عزام (ط دار المعارف سنة ١٩٥٣ م) .
□ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (ط النهضة سنة ١٩٤٨ م) .
□ ـ يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (ط حجازى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م) .

تصويب الاخطاء

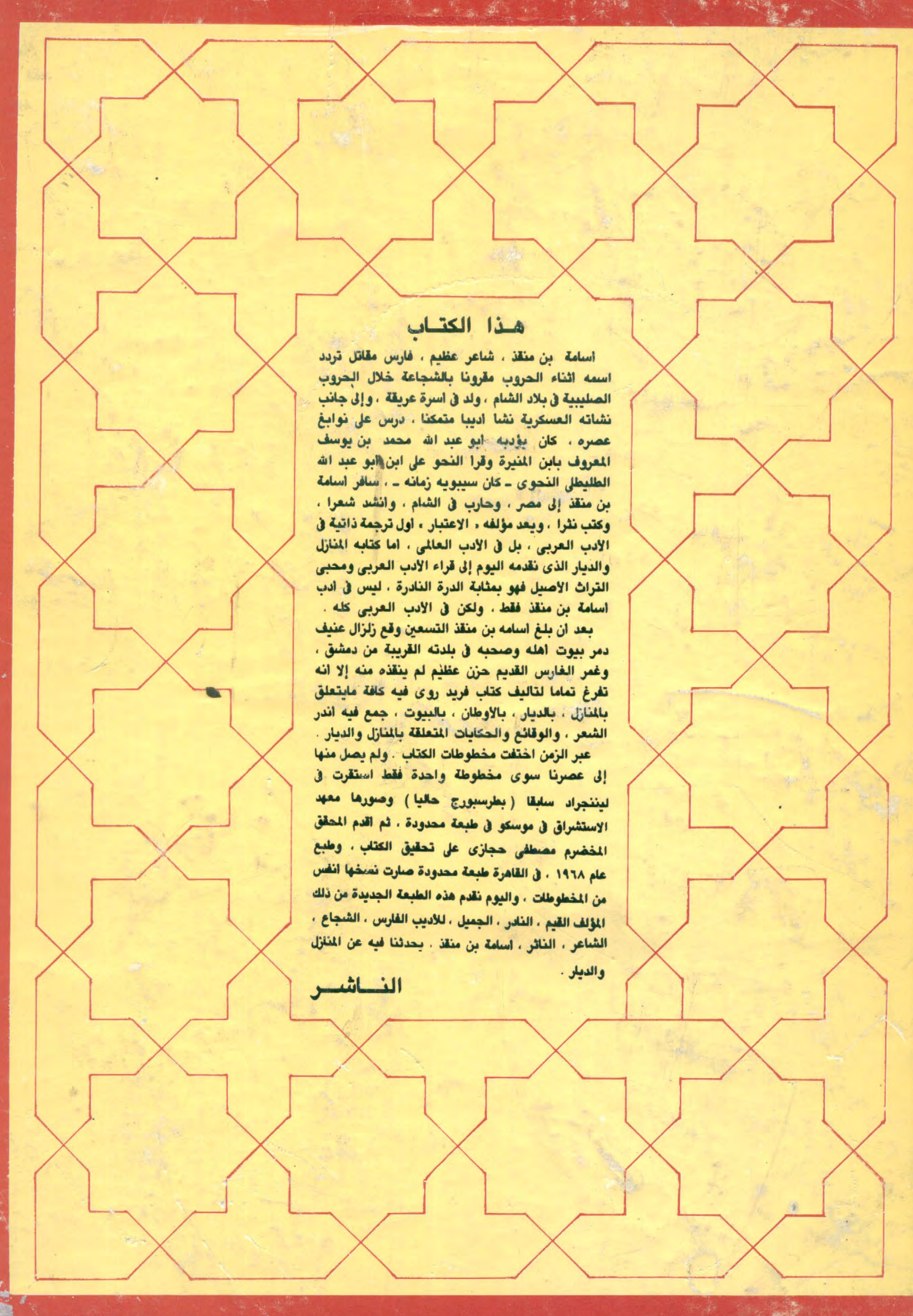
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٢٦	الحسن وهب	الحسن بن وهب	٢٥٩	١٢	٢٤٤٢	٢-٢٤٤
١٣	٢٨	٢/٧٠٦٩	٢/٦٩ و ٧٠	٢٦٨	٣	الأجادَع	الأجادِع
٢٠	١٥	ج/ ٢٣٨/ ٢٤٢	ج١/ ٢٣٨/ ٢٤٢	٢٨٠	١٣	اللَّحَدُ	اللَّحْدَ
٢٨	٢٦	وراية الغابة	رواية الغابة	٢٨٥	٥	تَعِلَّةَ	تَعِلَّةٌ
٥٨	٢٩	الغاية	الغابة	٢٨٩	٢	مَغْنى	مَغْنَى
٦٢	٩	« قال نوح »	« وقال نوح »	٢٩٠	٢٢	أضحُوا	أضحَوْا
٦٢	١٩	بادى الرأر	« بادى الرأى »	٣١٤	١٩	لا تصنى	لا تصغى
٦٣	١٧	أفَضَتْ	أفْضَتْ	٣٢٦	٢٥	ما رق الأزهار	مبارق الأزهار
٦٤	١٧	شعب تدفع عن يمين	شعبة تدفع عن يمين	٣٤٦	٢٤	بدة الحلب	زبدة الحلب
٦٥	١٧	ج ؤ /	ج ٣/	٣٧٣	١٠	[سقطت هذه الجملة أثناء الطبع]	«وقيل كما أخرجك ربك من بيتك بالمدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق»
١٠١	٦	الجَرَعْ	الجَرعُ				
١١١	١٥	السلأال	السؤال				
١١٦	٢١	أبو الشيف	أبو الشيص ، والعكوّك الكندى .				
١١٦	٢٢	ج٣/٣٤٧	ج٣/٢٢٤ و ٣٦٢				
١٢١	٨	ينالَ	ينالُ	٣٩٣	٨	دِمْشق	دمَشْق
١٧٦	٦	يقفا	يَكِفَا	٣٩٤	٧	عائكة	عَاتِكَة
١٩٢	٢٠	الأغانى ٣١ /	الأغانى ٢١ /	٣٩٤	٢٠	بالباء	بالياء
٢١٣	١٢	يحرج	يحوج	٣٩٨	٢٤	صيحا	صحيحا
٢٢٣	٢٠	ط الجوانب	ط الجوائب	٤٠١	١٤	الرواية	الراوية

تابع تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٠٢	٢٢	ستة عشر	ست عشرة
٤٠٣	١٢	تَنَمَ	تَنَمْ
٤٠٦	١٩	كارينه	كاريته
٤٠٧	٧	كُلّهم	كُلِّهم
٤١١	٢٧	واقپرها	وَقِيرُها
٤١٢	٩	تَضَعْضَعُ	تُضَعْضِعُ
٤١٣	٤	البَرّاءُ	البَرَاءُ
٤١٥	١٦	بنى عاصم	بنت عاصم
٤١٦	١٧	المؤتَ	المَوْتَ
٤١٨	٢٣	سلمة	سَلِمة
٤١٩	١	ميصه بمرَ	مَيْتٌ بمصْرَ
٤٢٠	١٧	وفى الجمره	وفى الجمهرة
٤٢٢	٢٧	منه قولهم	من قولهم
٤٢[illegible]	٢٧	الدمان	اللسان
٤٢٩	١٨	«وغير مقيم»	«وغير عقيم»
٤٣٠	٢٨	العنوى	الغنوى
٤٣١	١٢	وأوضاحُ	وأوْضاحَ
٤٣٢	٦	العَذْرِ	الغَدْرِ
٤٤١	٢٥	عزو	معزو
٤٤٩	٢١	الأَحجم أو الأَحجم	الأَجحم أو الأَحجم
٤٥٠	١٠ و ١١	الأما	الأمالى
٤٥١	٢٣	تنام	تتامّ
٤٥٢	١٧	بماحد	واحِدٌ
٤٥٤	٢٣	وجشاكما	ترو جشاكما
٤٥٦	٢١	تنفع	تَنْقَعُ
٤٦٢	١٥	أُمَيْمُ	أَأُمَيْمُ
٤٦٧	٢	قط. سَاعين	قطّاعين

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





هـذا الكتـاب

أسامة بن منقذ ، شاعر عظيم ، فارس مقاتل تردد اسمه اثناء الحروب مقرونا بالشجاعة خلال الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، ولد فى اسرة عريقة ، وإلى جانب نشاته العسكرية نشا اديبا متمكنا ، درس على نوابغ عصره ، كان يؤدبه ابو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة وقرا النحو على ابن ابو عبد الله الطليطلى النحوى ـ كان سيبويه زمانه ـ ، سافر اسامة بن منقذ إلى مصر ، وحارب فى الشام ، وانشد شعرا ، وكتب نثرا ، ويعد مؤلفه « الاعتبار » اول ترجمة ذاتية فى الأدب العربى ، بل فى الأدب العالمى ، اما كتابه المنازل والديار الذى نقدمه اليوم إلى قراء الأدب العربى ومحبى التراث الأصيل فهو بمثابة الدرة النادرة ، ليس فى أدب اسامة بن منقذ فقط ، ولكن فى الأدب العربى كله .

بعد أن بلغ اسامه بن منقذ التسعين وقع زلزال عنيف دمر بيوت اهله وصحبه فى بلدته القريبة من دمشق ، وغمر الفارس القديم حزن عظيم لم ينقذه منه إلا انه تفرغ تماما لتاليف كتاب فريد روى فيه كافة مايتعلق بالمنازل ، بالديار ، بالاوطان ، بالبيوت ، جمع فيه أندر الشعر ، والوقائع والحكايات المتعلقة بالمنازل والديار .

عبر الزمن اختفت مخطوطات الكتاب . ولم يصل منها إلى عصرنا سوى مخطوطة واحدة فقط استقرت فى لينينجراد سابقا (بطرسبورج حاليا) وصورها معهد الاستشراق فى موسكو فى طبعة محدودة ، ثم اقدم المحقق المخضرم مصطفى حجازى على تحقيق الكتاب ، وطبع عام ١٩٦٨ ، فى القاهرة طبعة محدودة صارت نسخها انفس من المخطوطات ، واليوم نقدم هذه الطبعة الجديدة من ذلك المؤلف القيم ، النادر ، الجميل ، للأديب الفارس ، الشجاع ، الشاعر ، الناثر ، اسامة بن منقذ . يحدثنا فيه عن المنازل والديار .

النـــاشــر

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم